السيرة النبوية

لابن هشام

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
المدرس بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

ابراهيم الأبيارى
المدرس بالمدارس
الأميرية

عبد الحفيظ شلبى
المدرس بالمدارس
الأميرية

الجزء الثالث

مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٦٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أسرى قريش يوم بدر

من بنى هاشم

قال ابن إسحاق :

وأسر من المُشركين من قُريش يومَ بدر ، من بنى هاشم بن عبد مناف : عَقِيل[1] بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ؛ ونوفل[2] بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم[3] .

من بنى المطلب

ومن بنى المطّلب بن عبد مناف : السّائبُ بنُ عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطّلب ؛ ونُعْمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطّلب . رجلان .

---

(١) أسلم عقيل عام الحديبية وحسن إسلامه ؛ وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا يزيد، إنى أحبك حبين : حبا لقرابتك منى ، وحبا لما أعلم من حب عمى إياك . وقد سكن عقيل البصرة ، ومات بالشام فى خلافة معاوية .

(٢) أسلم نوفل عام الخندق ، وهاجر؛ وقيل: بل أسلم حين أسر ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : افد نفسك ؛ قال : ليس لى مال أفتدى به ! قال : افد نفسك بأرماحك التى بجدة ؛ قال : والله ماعلم أحد أن لى بجدة أرماحا غير الله، وأشهد أنك رسول الله . وهو ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رمح ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين .

ومات نوفل بالمدينة سنة خمس عشرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما .

(٣) قال أبو ذر: « ولم يذكر معهما العباس بن عبد المطلب ، لأنه كان أسلم ، وكان يكتم إسلامه خوف قومه » .

من بنى عبد شمس وحلفائهم

ومن بنى عبد شَمْس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سُفيان بن حَرْب ابن أُمية بن عبد شَمْس ؛ والحارث بن أبى وجْزة[١] بن أبى عمرو بن أُمية ابن عبد شمس . ويقال : ابن أبى وحْرة ، فيما قال ابن هشام[٢] .

قال ابن إسحاق :

وأبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزّى بن [عبد][٣] شَمْس ؛ وأبو العاص ابن نَوفل بن عبد شَمْس .

ومن حلفائهم : أبو رِيَشة بن أبى عمرو ؛ وعَمْرو بن الأزْرق ؛ وعُقبة بن عبد الحارث بن الحَضْرمى . سبعة نفر .

من بنى نوفل وحلفائهم

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدىّ بن الخِيار بن عدىّ بن نوفل ؛ وعثمان ابن عبد شمس بن أخى غَزْوان بن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن مَنْصور ؛ وأبو ثَوْر ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدار وحلفائهم

ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ : أبو عَزيز بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدّار ؛ والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود ابن عامر بن عمرو بن الحارث بن السبّاق . رجلان .

من بنى أسد وحلفائهم

ومن بنى أسد بن عبد العُزى بن قُصىّ : السائب[٤] بن أبى حُبَيش بن المطّلب ابن أسد ؛ والحُوَيرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد .

---

(١) فى م ، ر : « وجرة » وهو تصحيف .

(٢) قال أبو ذر « كذا قيده الدارقطنى كما قال ابن هشام » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) والسائب هذا ، أخو فاطمة بنت أبى حبيش المستحاضة ، وهو الذى قال فيه عمر بن الخطاب : ذاك رجل لا أعلم فيه عيبا ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إن هذه المقالة قالها عمر فى ابنه عبد الله بن السائب . (راجع الروض الأنف) .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عُثْمان بن أسد .

قال ابن إسحاق :

وسالم بن شَمّاخ ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة : خالدُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مَخْزوم[1] ؛ وأُمَيّة بن أبى حُذيفة بن المُغيرة ؛ والوليد بن الوليد ابن المُغيرة ؛ وعُثْمان بن عبد الله بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وصَيْفى بن أبى رِفاعة بن عابد[2] بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ؛ وأبو المنذر[3] ابن أبى رفاعة بن عابد بن عَبد الله بن عُمر بن مخزوم ؛ وأبو عَطاء عبد الله ابن أبى[4] السّائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، والمُطّلب ابن حَنْطب بن الحارث بن عُبيد بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان ـ فيما يذكرون ـ أولَ من ولّى فارًّا منهزمًا ، وهو الذى يقول :

ولَسْنا على الأدبار تَدْمى كُلومنا ... ولـكنْ على أقْدامنا يَقْطُر الدّمُ[5]

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ » .

وخالد بن الأعلم ، من خُزاعة ؛ ويقال : عُقيلىّ .

---

(١) قال السهيلى : « وذكره ـ يريد خالدا ـ بعضهم فى المؤلفة قلوبهم » .

(٢) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى ، وفى سائر الأصول : « عائذ » قال أبو ذر : « كل ما كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، يعنى بالباء والدال المهملة ، وكل من كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ ، يعنى بالياء المهموزة والذال المعجمة » .

(٣) قال أبو ذر : « ويروى أيضا : المنذر بن أبى رفاعة . وكذا قال فيه موسى بن عقبة فى المغازى » .

(٤) فى ا : « عبد الله بن السائب » والظاهر أنه تحريف ؛ إذ المعروف أن أبا السائب هو ابن عائذ بن عبد الله ، وأن له ابنا يقال له : السائب .

(٥) الكلوم : الجراحات .

من بنى سهم

قال ابن إسحاق :

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب : أبو وَداعة بن ضُبيرة[1] ابن سُعَيد بن سَعْد بن سَهم ، كان أوّل أسير اُفتُدِى من أسرى بدر ، افتداه ابنُه المطّلب بن أبي وَداعة ؛ وَفرْوة بن قَيْس بن عَدىّ بن حُذافة ابن سعد[2] بن سهم ؛ وحَنْظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سَعْد بن سهم ، والحجّاج[3] بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم . أربعة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبدُ الله[4] بن أُبَىّ ابن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ وأبو عزّة عمرو بن عبد بن عُثمان ابن وُهيب[5] بن حُذافة بن جُمح ؛ والفاكه ، مولى أُميّة بن خلف ، ادّعاه بعد ذلك رَباح بن المُغترف ، وهو يزعُم أنه من بنى شَمّاخ بن مُحارب بن فهر — ويقال : إن الفاكه : ابنُ جَرْول بن حِذْيم بن عوف بن غَضْب بن شَمّاخ ابن مُحارب بن فِهر — ووَهْب[6] بنُ عُمَير بن وهب بن خَلَف بن وهب بن حُذافة ابن جُمح ؛ وربيعة بن دَرّاج بن العَنْبس بن أُهْبان بن وَهب بن حُذافة بن جُمح . خمسة نفر .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : سُهيل[7] بن عمرو بن عبد شَمس بن عبد وُدّ

(١) فى م ، ر : « صبيرة » بالصاد المهملة وهما روايتان فيه.

(٢) فى الأصول هنا وفيما سيأتى فى نسب الحجاج : « سعيد » وهو تحريف . وقد تقدم الكلام على هذا فى الجزء الأول من هذه الطبعة .

(٣) قال السهيلى : « وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع وهما، فإنه من مهاجرة الحبشة ، وقدم المدينة بعد أحد ، فكيف يعد فى أسرى المشركين يوم بدر! » .

(٤) أسلم عبد الله هذا يوم الفتح وقتل يوم الجمل .

(٥) فى م ، ر : « أهيب » .

(٦) أسلم وهب بعد أن جاء أبوه عمير فى فدائه ، فأسلما جميعا .

(٧) أسلم سهيل ومات بالشام شهيدا ، وهو خطيب قريش .

ابن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، أسره مالك بن الدُّخْشُم ، أخو بني سالم بن عَوْف ؛ وعبد[1] بن زَمَعة بن قَيْس بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وعبد الرحمن بن مَشنوء[2] بن وَقْدان بن قَيْس ابن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر . ثلاثة نفر .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فِهر : الطُّفيل بن أبى قُنَيع ؛ وعُتبة بن عمرو بن جَحْدم . رجلان .

قال ابن إسحاق :

فجميع من حُفِظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

مافات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام :

وقع من جُملة العدد رجل لم يذكر اسمه ومن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى:

من بنى هاشم

من بنى هاشم بن عبد مَناف : عُتبة ، حليف لهم من بنى فِهْر . رجل .

من بنى المطلب

ومن بنى المطّلب بن عبد مناف : عَقيل[3] بن عمرو ، حليف لهم ؛ وأخوه تميم بن عمرو ؛ وابنه . ثلاثة نفر .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شَمس بن عبد مناف : خالد بن أُسيد بن أبى العِيص ؛ وأبو العريض يَسار ، مولى العاص بن أُمية . رجلان .

من بنى نوفل

ومن بنى نَوفل بن عبد مناف : نَبْهان ، مولى لهم . رجل .

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبد العزّى : عبدُ الله[4] بن حُميد بن زُهير ابن الحارث . رجل .

---

(١) هو آخو سودة بنت زمعة ، أسلم . وهو الذى خاصمه سعد بن أبى وقاص فى أخيه من أبيه عبد الرحمن بن زمعة ، ابن وليدة زمعة . وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : هو لك يا عبد بن زمعة . (راجع الروض الأنف والاستيعاب فى ترجمتى عبد بن زمعة وعبد الرحمن أخيه) .

(٢) فى ا : « منشوء » .

(٣) فى م ، ر : « عليل » .

(٤) قال السهيلى : « المعروف فيه : عبيد الله بن حميد ، وكذلك ذكره ابن قتيبة وأبو عمرو السكلاباذى وأبو نصر ، وهو مولى حاطب بن أبى بلتعة » .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : عَقِيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

من بنى تيم

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : مُسافع بن عياض بن صَخر بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم ؛ وجابر بن الزّبير ، حليف لهم رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقظة : قَيْسُ بن السّائب . رجل .

من بنى جمح

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أُبى بن خَلف ؛ وأبو رُهْم بن عبد الله ، حليف لهم ؛ وحليف لهم ذهب عنّى اسمُه ؛ ومَوْليان لأُمَيّة بن خَلف ، أحدهما نِسطاس[1] ؛ وأبو رافع ، غلام أُميّة بن خَلف . ستة نفر .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو : أسْلَم ، مولى نُبيه بن الحجّاج . رجل .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : حبيب بن جابر ؛ والسّائب بن مالك . رجلان .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فِهْر : شافع وشَفيع ، حليفان لهم من اليمن . رجلان .

ما قيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق :

وكان ممّا قِيل من الشعر فى يوم بدر ، وترادّ به القومُ بينهم لما كان فيه ، قولُ حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله :

ـ قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها ـ :

ألم تَرَ أمراً كان من عَجَبِ الدهرِ ... وللحَيْن أسبابٌ مُبَيّنة الأمْرِ[2]

وما ذاك إلا أنّ قومًا أفادهم ... فحانوا تَواصٍ بالعُقوق وبالكفرِ[3]

---

(1) أسلم نسطاس بعد أحد ، فيما يقال .

(2) الحين : الهلاك .

(3) أفادهم : أهلكهم ، يقال : فاد الرجل : إذا مات . وتواص ، تفاعل ، من الوصية ، وهو الفاعل للفعل (أفادهم) .

عَشِيَّةَ راحُوا نحو بَدْرٍ بجَمْعِهِم ... فكانوا رهُونًا للرَّكِيَّةِ من بَدْرِ (١)
وكُنَّا طلَبْنا العِيرَ لم نَبْغِ غيرَها ... فسارُوا إلينا فالتقينا على قَدْرِ
فلمَّا التقَيْنا لم تَكُن مَثْنَوِيَّةٌ ... لنا غيرَ طَعْنٍ بالمثقَّفة السُّمْرِ (٢)
وضَرْبٍ بِبِيضٍ يَخْتلِى الهامَ حَدُّها ... مُشَهَّرةِ الألوانِ بَيِّنَةِ الأُثْرِ (٣)
ونحن تَرَكنا عُتْبةَ الغَيِّ ثاوِيًا ... وشَيْبةَ فى القَتْلَى تَجَرْجَمُ فى الجَفْرِ (٤)
وعَمْرو ثَوَى فيمن ثَوَى من حُماتِهم ... فشُقَّتْ جُيوبُ النائحاتِ على عمرو
جُيوبُ نِساءٍ من لُؤَىِّ بن غالبٍ ... كرامٍ تَفرَّعْنَ الذَّوائبَ من فِهْرِ (٥)
أولئك قومٌ قُتِلوا فى ضَلالِهم ... وخَلَّوْا لواءً غيرَ مُحْتَضَرِ النَّصْرِ
لِواءَ ضَلالٍ قادَ إبليسُ أهلَه ... فخاسَ بهم، إنَّ الخَبِيثَ إلى غَدْرِ (٦)
وقال لهم، إذ عايَنَ الأمرَ واضحًا: ... بَرِئتُ إليكم ما بِىَ اليومَ من صَبْرِ
فإنِّى أرَى ما لا تَرَوْن وإنَّنى ... أخافُ عِقابَ اللهِ واللهُ ذو قَسْرِ (٧)
فقَدَّمهم للحَيْنِ حتى تورَّطوا ... وكان بما لم يَخْبُرِ القومُ ذا خُبْرِ (٨)
فكانوا غَداةَ البئرِ ألفًا وجَمْعُنا ... ثلاثُ مِئِينٍ كالمُسَدَّمةِ الزُّهْرِ (٩)
وفينا جنُودُ اللهِ حين يُمِدُّنا ... بهم فى مقامٍ ثَمَّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْرِ
فشَدَّ بهم جبريلُ تحت لوائنا ... لدى مَأْزِقٍ فيه مناياهُمُ تَجْرِى (١٠)

---

(١) الرهون ، جمع رهن . والركية : البئر غير المطوية .
(٢) مثنوية : أى رجوع وانصراف . والمثقفة : الرماح المقومة .
(٣) يختلى : يقطع . والهام : الرءوس . والأثر (بضم الهمزة) : وشى السيف وفرنده .
(٤) ثاويا : مقيما . وتجرجم : تسقط . والجفر : البئر المتسعة .
(٥) تفرعن : علون . والذوائب : الأعالى .
(٦) خاس : غدر .
(٧) القسر : القهر والغلبة .
(٨) تورطوا : وقعوا فى الهلكة .
(٩) المسدمة : الفحول من الإبل . والزهر : البيض .
(١٠) فى ا : « منايا بهم تجرى » .

فأجابه الحارثُ بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

ألا يا لَقَوْمِي(١) للصَّبابة(٢) والهَجْر ... وللحُزْن منِّى والحَرارة فى الصَّدْرِ
وللدَّمْع من عينَىَّ جَوْدًا كأنّه ... فريدٌ هوًى من سِلْك ناظِمِه يَجْرى(٣)
على البَطل الحُلْو الشَّمائل إذ ثَوى ... رَهِينَ مقامٍ للرَّكيَّة من بَدْر
فلا تَبْعَدَنْ يا عمرو من ذى قَرابة ... ومن ذى نِدَام كان ذا خُلُق غمر(٤)
فإنْ يكُ قومٌ صادَفوا منك دَوْلةً ... فلا بُدّ للأيام من دُول الدَّهْر
فقد كنتَ فى صَرْف الزّمان الذى مضى ... تُريهم هَوانًا منك ذا سُبُل وَعْر
فإلاّ أمُتْ يا عَمْرو أتْرُكْك ثائرًا ... ولا أُبْقِ بُقْيًا فى إخاء ولا صِهْر(٥)
وأقطعْ ظهراً من رجال بمَعْشر ... كرامٍ عليهم مثل ما قطعوا ظَهْرى
أغرَّهم ما جَمّعوا من وشيظة ... ونحن الصَّميمُ فى القبائل من فِهْر(٦)
فيَالَ لُؤَىّ ذَبِّبوا عن حَريمكم ... وآلهةٍ لاتتركوها لذى الفَخْر(٧)
تَوارثها آباؤكم ووَرِثتمُ ... أواسِيَّها والبيتَ ذا السَّقْف والسِّتْر(٨)
فما لِحَليم قد أراد هلاكَكم ... فلا تَعْذِروه آلَ غالب من عُذْر(٩)
وجِدّوا لمن عاديتمُ وتَوازَرُوا ... وكونُوا جميعاً فى التَّأسِّى وفى الصَّبر(١٠)

---

(١) فى ا : « ألا يالقوم » .
(٢) الصبابة : رقة الشوق .
(٣) الجود : الكثير : يقال : جادت السماء تجود جودا (بالفتح) : إذا كثر مطرها . والفريد : الذهب والدر .
(٤) كذا فى ا . والغمر : الواسع الخلق ؛ يقال : رجل غمر الخلق : إذا كان واسعها حسنها . وفى سائر الأصول : « عمرو » وهو تحريف .
(٥) ثائر : ذو ثأر . وفى ا : « ثابرا » . والثابر : الخاسر .
(٦) الوشيظة : الأتباع ومن ليس من خالص القوم . والصميم : الخالصون فى أوليائهم .
(٧) ذببوا : ادفعوا وامنعوا .
(٨) الأواسى : جمع آسية ، وهى ما أسس عليه البناء .
(٩) غالب (هنا) : اسم قبيلة ، ولذلك لم يصرفه .
(١٠) توازروا : تعاونوا .

لعلَّكُمُ أنْ تثْأروا بأخِيكُمُ ... ولا شيءَ إن لم تثْأروا بذَوِى عمرو[1]
بمُطَّرِدات فى الأكُفِّ كأنها ... وَميضٌ تُطِير الهامَ بينةُ الأثْرُ[2]
كأن مَدبَّ الذَّر فوق مُتونها ... إذا جُرِّدت يومًا لأعدائها الخُزْرِ[3]

قال ابن هشام :

أبْدَلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحاق ، وهما « الفخر » فى آخر البيت ، و« قما لحليم » ، فى أول البيت ، لأنه نال فيهما من النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق :

وقال علىّ بن أبى طالب فى يوم بدر :

ـ قال ابن هشام : ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها ولا نقيضتَها ، وإنما كتبناها لأنه يقال إن عمرو بن عبد الله بن جُدْعان قُتل يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى ، وذكره فى هذا الشعر ـ

ألم تَر أنّ الله أبْلَى رسولَه ... بلاءَ عزيزٍ ذى اقتدار وذى فَضْلِ[4]
بما أنْزل الكُفّارَ دار مَذَلّةٍ ... فلاقَوْا هَوانًا من إسارٍ ومن قَتْلِ
فأمسى رسولُ الله قد عزّ نَصْرُه ... وكان رسول الله أُرْسِل بالعَدْلِ
فجاء بفُرْقانٍ من الله مُنْزَلٍ ... مُبَيّنةٌ آياتُه لذوى العَقْلِ
فآمَن أقوامٌ بذاك وأيْقنوا ... فأمْسَوا بحمد الله مُجْتَمِعى الشَّمْلِ
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم ... فزادهمُ ذو العَرْش خَبْلا على خَبْلِ[5]

---

(١) تثأروا بأخيكم ، أى تأخذوا بثأره .
(٢) بمطردات ، أى بسيوف مهتزات . والوميض : ضوء البرق . والهام : الرءوس .
(٣) الذر : صغار النمل . والخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه كبرا وعجبا .
(٤) أبلى : أى منّ عليه وأنعم ، وصنع له صنعا حسنا . قال زهير :
* فأبلى هنا خير البلاء الذى يبلو *
(٥) زاغت : مالت عن الحق . والخبل : الفساد .

وأمْكَن منهم يومَ بَدْرٍ رسولَه   وقومًا غِضابًا فِعْلُهم أحسن الفِعْلِ

بأيْديهمُ بيضٌ خِفافٌ عَصُوا بها   وقد حادَثوها بالجَلاء وبالصَّقْل(١)

فكم تركُوا من ناشىءٍ ذى حَمِيَّة   صَرِيعاً ومن ذى نَجْدة منهمُ كَهْل

تَبِيتُ عيونُ النائحات عليهمُ   تَجودُ بإسْبال الرَّشاش وبالوَبْل(٢)

نَوائحَ تَنْعَى عُتْبةَ الغَىَّ وابنَه   وشَيْبةَ تَنْعاه وتَنْعى أبا جَهل

وذا الرِّجْلِ تَنْعَى وابنَ جُدْعانَ فيهمُ   مُسَلِّبةً حَرَّى مبيِّنة الثُّكْل(٣)

ثَوى(٤) منهم فى بئر بدر عِصابةٌ   ذَوى نَجَدات فى الحُروب وفى المَحْل

دعا الغَىُّ منهم مَن دعا فأجابه   وللغَىِّ أَسبابٌ مُرَمَّقة الوَصْل(٥)

فأَضْحَوا لَدَى دار الجحيم بمَعْزِل   عن الشَّغْب والعُدْوان فى أشغل الشُّغْل(٦)

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

عجبتُ لأَقْوام تَغَنَّى سَفِيهُهُمْ   بأمرٍ سَفاهٍ ذى اعتراض وذى بُطْلِ

تَغَنَّى بقَتْلَى يومَ بدر تَتَابعوا   كِرَام المَساعى من غُلام ومن كَهْل

مَصاليتَ(٧) بِيضٍ من لُؤَىّ بن غالب(٨)   مَطاعينَ فى الهَيْجا مَطاعيمَ فى المَحْل(٩)

---

(١) بيض خفاف ، يعنى السيوف . وعصوا بها : ضربوا ، يقال : عصيت بالسيف ، إذا ضربت به . وحادثوها : تعهدوها .

(٢) الإسبال : الإرسال ؛ يقال : أسبل دمعه ، وذلك إذا أرسله . والرشاش : المطر الضعيف . والوبل : الكثير ، استعارهما هنا لقليل الدمع وغزيره .

(٣) يريد « بذى الرجل » : الأسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض . والمسلبة : التى لبست السلاب ، وهى خرقة سوداء تلبسها الثكلى . وحرّى : محرقة الجوف من الحزن . والثكل : الفقد .

(٤) فى ا : « ترى » .

(٥) مرمقة : ضعيفة ، من الرمق ، وهو الشىء اليسير الضعيف .

(٦) الشغب : التشغيب .

(٧) المصاليت : الشجعان .

(٨) فى ا : « من ذؤابة غالب » وذؤابة كل شىء : أعلاه .

(٩) مطاعين ، جمع مطعان ، وهو الذى يكثر الطعن فى الحرب . والهيجاء (بالمد ، وقصر للشعر) : الحرب . والمطاعيم : جمع مطعام ، وهو الذى يكثر الإطعام . والمحل : القحط والجدب .

أَصِيبوا كِرامًا لم يَبِيعوا عَشِيرةً ... بقوم سِواهم نازِحى الدّارِ والأَصْلِ
كما أصبَحتْ غسّانُ فيكم بطانةً[1] ... لكم بَدلاً منّا فيالكِ من فِعْل
عُقوقًا وإثمًا بَيِّنًا وقَطيعةً ... يَرى جَوْرَكم فيها ذوُو الرَّأى والعقل
فإن يكُ قومٌ قد مَضَوا لسبيلهم ... وخَيْرُ المَنايا ما يكون من القَتْل
فلا تَفرحوا أن تَقتلوهم فقَتْلُهم ... لكم كائنٌ خَبْلاً مُقيمًا على خَبْل
فإنّكم لن تَبرحوا بعد قَتْلهم ... شَتِيتاً[2] هَوا كم غير مُجْتَمِعى الشَّمْل
بِفَقْد ابن جُدْعان الحميد فِعالُه ... وعُتْبةَ والمدْعُوِّ فيكم أبا جَهْل
وشَيْبةَ فيهم والوليد وفيهمُ ... أُميّة مَأْوَى المُعْتَرِين وذو الرِّجْل[3]
أولئك فابْكِ ثم لا تَبْكِ غيرَهم ... نَوائحُ تَدْعو بالرزيّة والثُّكْل
وقولوا لأهل المَكَّتَيْنِ تحاشَدوا ... وسِيروا إلى آطام يَثْرِبَ ذى النَّخْلِ[4]
جميعاً وحامُوا آل كَعْب وذَبِّبوا ... بخالصةِ الألْوان مُحْدَثة الصَّقْل[5]
وإلاّ فبِيتُوا خائفين وأصْبِحوا ... أذلَّ لوطْء الوَاطئين من النَّعْل
على أنَّنى واللاتِ يا قومُ فاعلمُوا ... بكم واثقٌ أن لا تُقيموا على تَبْل[6]
سِوى جَمْعكم للسَّابغات وللقَنا ... وللبَيض والبِيضِ القواطع والنَّبل[7]

وقال ضِرار بن الخطاب[8] بن مِرْداس، أخو بنى مُحارب بن فِهر، فى يوم بدر:

عجبتُ لفَخْر الأَوْس والحَيْنُ دائرٌ ... عليهم غداً والدهرُ فيه بصائرُ

---

(١) بطانة الرجل: خاصته.
(٢) الشتيت: المتفرق.
(٣) المعترون: المحتاجون المتعرضون للمسألة. ويروى: «المقترون» والمقتر: الفقير. وذو الرجل: الأسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض.
(٤) مكتين: أى مكة والطائف. والأطام: جمع أطم، وهو الحصن.
(٥) ذبوا، أى امنعوا وادفعوا.
(٦) التبل: العداوة وطلب الثأر.
(٧) السابغات: الدروع.
(٨) فى م: «الخطيب» وهو تحريف.

وَفخْر بني النجّار إن كان معشرٌ أُصيبوا ببَدْر كلّهم ثَمّ صابرُ
فإن تكُ قَتْلى غُودِرت من رجالنا فإنّا رجالٌ[1] بعــدهم سنُغادِر
وتَرْدِى بنا الجُرْد العناجِيجُ وَسطكم بنى الأوس حتى يَشْفِى النفسَ ثائرُ[2]
ووَسْطَ بنى النجّار سوف نَكُرّها لها بالقَنا والدّارعين زوافِر[3]
فَنترك صَرْعَى تَعْصِبُ الطيرُ حولهم وليس لهم إلا الأمانىَّ ناصر[4]
وتَبْكيهم من أهل يَثْرب نِسوةٌ لهنّ[5] بها ليلٌ عن النَّوْم ساهر
وذلك إنّا لا تزال سُيُوفنا بهنّ دَمٌ مِمَّن[6] يُحارِبن مائرُ[7]
فإنْ تَظْفروا فى يوم بَدْر فإنما بأحمــدَ أمْسَى جَدُّكم وهو ظاهر
وبالنَّفر الأخْيار هم أَوْلياؤُه يُحامُون فى اللَّأْواء والموتُ حاضِر[8]
يُعَدُّ أبو بكر وحمــــزة فيهمُ ويُدْعى علىٌّ وَسْط مَنْ أنت ذاكر
ويُدْعى أبو حفص وعثمانُ منهمُ وسَعْدٌ إذا ما كان فى الحَرْب حاضر
أولئك لا مَنْ نَتَّجَتْ فى دِيارها بنو الأوس والنجّار حين تُفاخر[9]
ولكنْ أبُوهم من لُؤىّ بن غالبٍ إذا عُدّت الأنسابُ كَعْبٌ وعامرُ
هم الطّاعِنون الخَيْل فى كل مَعْرَك غداةَ الهِياج الأَطْيَبُونَ الأكاثر[10]

فأجابه كعبُ بن مالك ، أخو بَنى سَلِمة ، فقال :

عَجِبْتُ لأمْر الله والله قادِرٌ على ما أراد ، ليس لله قاهِــرُ

---

(١) فى م : « رجالا » وهو تحريف .
(٢) تردى : تسرع . والجرد : الخيل العتاق القصيرات الشعر. والعناجيج : جمع عنجوج، وهو الطويل السريع . والثائر : الطالب بثأره .
(٣) الزوافر : جمع زافرة ، وهى الحاملات للثقل .
(٤) تعصب : تجتمع عصائب عصائب .
(٥) فى م : « لهم » وهو تحريف .
(٦) فى م : « مما » .
(٧) مئر : سائل .
(٨) اللأواء : الشدة .
(٩) نتجت : ولدت .
(١٠) فى م ، ر : « الأكابر » .

قضَى يومَ بَدرٍ أن نلاقِيَ معشراً ... بَغَوْا وَسبيل البَغْى بالنّاس جائرُ

وقد حَشدُوا واستنْفَرُوا من يَلِيهمُ ... مِن الناس حتى جَمْعُهُم مُتكاثر

وسارتْ إلينا لا تُحاول غَــيْرَنا ... بأَجْمعها كَعبٌ جميعاً وعامر

وفينا رســولُ الله والأَوسُ حولَه ... له مَعْقِلٌ منهم عــزيز وناصر[1]

وَجمْــعُ بنى النجّار تحت لِوائه ... يُمَشّون[2] فى المــاذِىّ والنَّقْعُ ثائر[3]

فلما لَقِيناهم وكــلٌّ مُجاهِــد ... لأَصحابه مُسْتَبسلُ النَّفْس صابر

شَهِدنا بأنّ الله لا ربّ غــيره ... وأنّ رســولَ الله بالحق ظاهر

وقــد عُرِّيت بِيضٌ خِفافٌ كأَنها ... مَقابِيسُ يُزْهِيها[4] لعَينَيك شاهر

بهنّ أَبَدْنا جمعَهم فتبدّدوا ... وكان يُلاقى الحَيْنَ مَنْ هــو فاجر[5]

فــكبّ أبو جَهل صَريعاً لوَجْهه ... وعتبةُ قــد غادَرْنه وهو عاثر[6]

وشَيبةَ والتَّيْمِىّ غادَرْنَ فى الوَغى ... وما منهمُ[7] إلا بذى العَرْش كافر

فأمْسَوْا وَقُودَ النّار فى مُسْتقَرِّها ... وكلّ كَفور فى جَهــنّم صائر

تلظّى عليهم وهى قد شبّ حَمْيُها ... بزُبْر الحــديد والحِجارة ساجِرِ[8]

وكان رسول الله قد قال أَقْبِلوا ... فوَلّوا وقالوا : إنمــا أنت ساحِر

لأَمْرٍ أَراد الله أن يَهلِــكوا به ... وليس لأَمْرٍ حَمّه الله زاجر[9]

---

(١) المعقل : الموضع المنيع .

(٢) ويروى : « يميسون » . والميس : التبختر والاختيال .

(٣) المـاذى : الدروع البيض اللينة . والنقع : الغبار .

(٤) يزهيها : يستخفها ويحركها .

(٥) أبدنا : أهلــكنا .

(٦) كذا فى الأصول . والعاثر : الساقط . ويروى : « عافر » بالفاء ، وهو الذى لصق بالعفر ، وهو التراب .

(٧) فى ا : « ومامنهما » .

(٨) تلظى : تلتهب . وشب : أوقد . وزبر الحديد (بفتح الباء وسكن للشعر) : قطعه . وساجر : موقد ؛ يقال : سجرت التنور : إذا أوقدته نارا .

(٩) حمه الله : قدره .

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِىّ يبكى قَتْلى بدر :

ــ قال ابنُ هشام : وتروى للأعشى بن زُرارة بن النبّاش ، أحد بنى أُسَيد ابن عمرو بن تَميم ، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : حليفُ بنى عبد الدار ــ :

ماذا على بَدْر وماذا حَـوْله ... من فِتْية بيض الوُجوه كِرَام
تركوا نُبَيهاً خَلْفهم ومُنَبِّهاً ... وأَبْنى رَبِيعة خَـيْرَ خَصْم فِئَام (١)
والحارثَ الفيّاض يَبْرُق وجهه ... كالبدر جَلَّى ليـلَةَ الإِظْلام (٢)
والعاصِىَ بنَ مُنَبِّـه ذا مِرّة ... رُمْحا تَمِيماً غـيرَ ذى أَوْصام (٣)
تَنْمِى به أعراقُه وجُـدُوده ... ومآثر الأَخْـوال والأَعْمام (٤)
وإذا بكَى باكٍ فأَعْـوَل شَجْوَه ... فعلَى الرّئيس الماجِـد بن هشام (٥)
حيّا الإلهُ أبا الوليـد ورَهْطَه ... رَبّ الأنام ، وخصّهم (٦) بسَـلام

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصارىّ ، فقال :

ابْكِ بَكَت عيناكَ ثم تبادَرَتْ ... بدَم تُعَلّ غُـرُوبُها سَجّام (٧)
ماذا بَكيتَ به الذين تَتابعوا (٨) ... هلا ذكرتَ مكارِم الأقـوام
وذكرتَ منّا ماجِـدًا ذا هِمّة ... سَمْحَ الخلائق صادق الإقْـدام
أعنِى النبىَّ أخَا المَكارم والنَّدى ... وأَبرَّ من يُولى على الإقْسام (٩)

---

(١) الفئام : الجماعات من الناس .

(٢) الفياض : الكثير الإعطاء .

(٣) المرة : القوة والشدة . والتميم (هنا) : الطويل . والأوصام : العيوب؛ الواحد: وصم .

(٤) المآثر : جمع مأثرة ، وهى مايتحدث به عن الرجل من خير وفعل حسن .

(٥) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء . والشجو : الحزن .

(٦) فى م : « وخصه » .

(٧) تعل : تكرر. مأخوذ من العلل، وهو الشرب بعد الشرب . والغروب : جمع غرب ، وهو مجرى الدمع . والسجام : السائل .

(٨) تتابعوا ، أى ألقوا بنفسهم فى التهلكة .

(٩) يولى : يحلف .

فلِمثْله ولمثل ما يَدْعــو له   كان المُدَّحَ ثَمّ غيرَ كَهام(١)

شعر لحسان في بدر أيضا

وقال حسّان بن ثابت الأنصاريّ أيضاً :

تَبَلتْ فؤادكَ فى المنام خَريدةٌ   تَسْقِى(٢) الضّجيع ببارِدٍ بسّامِ(٣)
كالمِسْك تخْلطه بمـاء سحابةٍ   أو عاتقٍ كدَم الذّبيح مُــدَام(٤)
نُفُجُ الحَقِيبَة بُوصُها متنضِّدٌ   بَلْهاء غــيرُ وشيكةِ الأَقْسام(٥)
بُنِيت على قَطَن أَجَمَّ كأنه   فُضُلاً إذا قَعَدتْ مَدَاكُ رُخَام(٦)
وتكادُ تَـكْسَل أنْ تَجىء فِراشَها   فى جِسْم خَرْعَبة وحُسْن قَوَام(٧)
أمّا النهارُ فلا أُفَتِّر ذِكـْرَها   والليل تُوزِعنى بها أَحْلامى(٨)
أَقْسَمْت أَنْساها وأتْرُكَ ذِكْرها   حتى تُغيَّبَ فى الضريح عظامى(٩)

---

(١) الكهام : الضعيف .

(٢) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « تشفى » .

(٣) تبلت : أسقمت . والخريدة : الجارية الحسنة الناعمة .

(٤) العاتق : الخمر القديمة . قال أبو ذر : « ومن رواه بالكاف ، فهو أيضا الخمر القديمة التى احمرت . والقوس إذا قدمت واحمرت قيل لها : عاتكة ، وبها سميت المرأة » . والمدام : اسم من أسماء الخمر .

(٥) نفج (بالجيم) : مرتفعة . ويروى بالحاء المهملة ، ومعناه : متسعة ؛ والأول أحسن . والحقيبة : مايحمله الراكب وراءه ، فاستعارها هنا لردف المرأة . والبوص (بالضم وبالفتح): الردف . ومتنضد ، أى علا بعضه بعضا ، من قولك : نضدت المتاع ، إذا جعلت بعضه فوق بعض . وبلهاء : غافلة . ووشيكة : سريعة . والأقسام (بالفتح) : جمع قسم ، وهو اليمين؛ (وبالكسر) المصدر من أقسم.

(٦) القطن : مابين الوركين إلى بعض الظهر . وأجم : ممتلئ باللحم غائب العظام . والمداك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب .

قال السهيلى : « نصب فضلا على الحال ، أى كأن قطنها إذا كانت فضلا ، فهو حال من الهاء فى كأنه ، وإن كان الفضل من صفة المرأة لامن صفة القطن ، ولكن لما كان القطن بعضها صار كأنه حل منها ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى « قعدت » ، لاستحالة أن يعمل ما بعد إذا فيما قبلها . والفضل من النساء والرجال : المتوشح فى ثوب واحد » .

(٧) الخرعبة : اللينة الحسنة الخلق . وأصل الخرعبة : الغصن الناعم .

(٨) توزعنى : تغرينى وتولعنى .

(٩) الضريح : شق القبر ؛ يقال : ضرح الأرض : إذا شقها .

يا مَنْ لعاذلةٍ تلوم سَـــفاهةً   ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوّامِي
بَكَرَتْ علىّ بسُحْرة بعد الـكَرَى   وتقارُبٍ من حادث الأيّام
زَعَمتْ بأنّ المرءَ يكرُبُ عُمْرَه   عَـــدَمٌ لمعتكِرٍ من الأَصْرام[1]
إن كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثْتِني   فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشام
تَرَكَ الأَحبّة أن يُقاتل دونهم   ونجا برأس طِمِرَّة ولِجام[2]
تذر العَناجيج الجياد بقَفْرة   مرَّ الدَّمُوكِ بمُحْصَدٍ ورِجام[3]
مَلأَت به الفَرْجَين فأرمدّتْ به   وثَوَى أَحِبّتُه بشَرِّ مقام[4]
وبنو أبيـــه ورَهْطُه فى مَعْرَك   نصر الإلٰهُ به ذوى الإســـلام
طَحَنَتْهُمُ ، واللهُ يُنْفِذ أمرَه ،   حَرْبٌ يُشَبُّ[5] سَعيرُها بضِرام[6]
لولا الإلٰهُ وجَـــرْيُها لتَرَكْنه   جَزَرَ السباع ودُسْنه بحَوَامى[7]
من بين مَأْسور يُشَد وَثاقُه   صَقْرٍ إذا لاقَى الأَسِنّة حامى[8]
ومجدَّلٍ لا يستجيب لدَعْوة   حـــتى تَزُول شوامخُ الأَعْـلام[9]

---

(١) يكرب : يحزن ، من الـكرب ، وهو الحزن . وعمره ، أى مدة عمره . ويروى : «يومه» ، كما فى ديوان حسان . والمعتكر : الإبل التى ترجع بعضها على بعض ، فلا يمكن عدها لـكثرتها . والأصرام: جمع صرم (بكسر ففتح) ، وصرم : جمع صرمة (بالـكسر) ، وهى القطعة من الإبل .

(٢) الطمرة : الفرس الـكثيرة الجرى . وزاد الديوان بعد هذا البيت :

جرداء تمزع فى الغبار كأنها   سرحان غاب فى ظلال غمام

(٣) العناجيج : جمع عنجوج ، وهو الطويل السريع . والدموك : البكرة بآلتها . والمحصد: الحبل الشديد الفتل . والرجام : حجر يربط فى الدلو ، ليكون أسرع لها عند إرسالها فى البئر . قال السهيلى : « والرجام : واحد الرجامين ، وهما الخشبتان اللتان تلق عليهما البكرة » .

(٤) الفرجان (هنا) : مابين يديها ومابين رجليها . وارمدت : أسرعت . وثوى : أقام.

(٥) كذا فى ا . ويشب : يوقد : وفى سائر الأصول : « يشيب » .

(٦) الضرام : ماتوقد به النار .

(٧) دسنه : وطئنه . والحوامى : جمع حامية ، وهى ما عن يمين سنبك الفرس وشماله .

(٨) رواية هذا البيت فى الديوان :

من كل مأسور يشد صفاده   صقر إذا لاقى الـكتيبة حامى

(٩) المجدل : الصريع على الأرض . والأعلام : جمع علم ، وهو الجبل العالى .

بيضَ السيوف تَسُوق كلَّ هُمَام ِ   بالعار ِ والذلِّ المُبَيّن ِ إذ[1] رأى[2]
بِيَدَىْ أغــرَّ إذا انتمى لم يُخْزِه ِ   نَسَبُ القِصار سَمَيْدَع ٍ مِقْدام ِ[3]
بيضٌ إذا لاقت حــديداً صَمَّمَتْ   كالبَرْق تحت ظلال كلِّ غمام

شعر الحارث فى الرد على حسان

فأجابه الحارث بن هِشام ، فيما ذكر ابنُ هشام ، فقال :

الله أعلمُ ما تركتُ قِتالَهم   حتى حَبَوْا مُهْرِى بأشْقَر مُزْبِدِ[4]
وعرفتُ أنّى إن أُقاتلْ واحــداً   أُقْتَلْ ولا يَنْــكِى[5] عَدُوّى مَشْهدى
فصَدَدْتُ عنهم والأحبّة فيهمُ   طمعاً لهم بعقَاب يوم مُفْسِدِ[6]

قال ابن إسحاق :

قالهــا الحارثُ يعتذر من فِرَاره يوم بدر .

قال ابن هشام :

تركنا من قصيدة حسّان ثلاثة أبيات من آخرها ، لأنه أقذع فيها[7] .

شعر لحسان فيها أيضا

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

لقد علِمَتْ قريشٌ يوم بَدْر   غداةَ الأَسْر والقَتْل الشّــديد ِ
بأنّا حينَ تَشْتَجِر العَوالى   حُماةُ الحَرْب يومَ أبى الوَلِيــد[8]
قَتلنا أُبنَىْ ربيعة يومَ سارَا   إلينا فى مُضاعَفة الحَديد[9]

---

(١) فى م ، ر : « إذا » .
(٢) الهمام : السيد الذى إذا هم بأمر فعله .
(٣) القصار : الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم ، ولم يرد بهم قصار القامات . والسميدع : السيد .
(٤) يريد « بالأشقر : الدم . والمزبد : الذى قد علاه الزبد .
(٥) ينكى : يؤلم ويوجع .
(٦) يريد « بالأحبة » من قتل أو أسر من رهطه وإخوته .
(٧) فى الديوان بعد هذا البيت خمسة أبيات لا ثلاثة .
(٨) تشتجر : تختلط وتشتبك . والعوالى : أعالى الرماح . وقد ورد هذا الشعر بين أبيات سبعة للحارث فى شرح الحماسة ببعض اختلاف .
(٩) يريد « بمضاعفة الحديد » : الدروع التى ضوعف نسجها .

وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالت بنو النجّار تَخْطِرُ كالأُسُودِ[1]
وولّت عند ذاك جُموع فِهْر وأسْلمها الحُوَيْرِثُ مِنْ بعيد
لقد لا قيتمُ ذُلاًّ وقَتْلاً جَهِزاً نافذا تحت الوَرِيد[2]
وكلُّ القوم قد ولَّوْا جميعاً ولَمْ يَلْوُوا على الحَسب التَّليد[3]

وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

يا حَار قد عَوّلْتَ غـير مُعوَّل عند الهياج وساعةَ الأَحْسابِ[4]
إذ تمْتَطى سُرُحَ اليدَين نَجيبةً مَرْطَى الجِراء طويلة الأَقْراب[5]
والقومُ خَلْفك قد تركتَ قتالهم ترْجو النّجاءَ وليس حين ذَهاب
ألاَّ عطَفْتَ على ابنِ أُمّك إذ ثَوَى[6] قَعْصَ الأسنّة ضائعَ الأَسْلاب[7]
عَجِلَ المَليك له فأَهْلكَ جَمْعه بِشَنَارِ مُخْزِيةٍ وسُـوء عذاب[8]

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أَقْذع فيه .

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بنُ ثابت أيضاً :

ـ قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السّهْمى[9] ـ :

---

(١) فر ، قال أبو ذر: من رواه بالقاف ، فهو من باب التقريب ، وهو فوق المشى، ودون الجرى . ومن رواه بالفاء ، فهو من الفرار ، وهو معلوم . وتخطر : تهتز وتتجرد فى المشى إلى لقاء أعدائها .

(٢) جهيزا : سريعا ، يقال: أجهز على الجريح ، وذلك إذا أسرع قتله . والوريد : عرق فى صفحة العنق .

(٣) التليد : القديم .

(٤) عولت : عزمت . والهياج : الحرب .

(٥) تمتطى : تركب . وسرح اليدين ، أى سريعة اليدين ، ويريد بها فرسا . والنجيبة : العتيقة . ومرطى : سريعة : يقال : هو يعدو المرطى : إذا أسرع . والجراء : الجرى . والأقراب : جمع قرب ، وهى الخاصرة ومايليها .

(٦) فى م ، ر : « توى » (بالتاء المثناة) . وتوى : هلك .

(٧) القعص : القتل بسرعة . والأسلاب : جمع سلب ، وهو ماسلب من سلاح أو ثوب أو غير ذلك .

(٨) الشنار : العيب والعار .

(٩) جاءت هذه القصيدة فى ديوان حسان منسوبة إليه من غير اختلاف فى ذلك .

مُسْتَشْعِرِى حَلَقِ المَاذِىّ يقدُمُهم   جَلْدُ النَّحِيزة ماضٍ غيرُ رِعْدِيدِ[1]
أعْنِى رسولَ إلهِ الخلق[2] فضَّله   على البريَّة بالتقْوى وبالجُود
وقد زعمتم بأنْ تَحْمُوا ذِماركم   وماء بَدْرٍ زعمتم غيرُ مَوْدود
ثُمَّ وَرَدْنا ولم نسمعْ لقَوْلكم   حتى شَرِبْنا رَواء غير تَصْريد[3]
مُسْتَعْصمين[4] بحَبْلٍ غير مُنْجذم[5]   مُسْتحكم من حبالِ الله مَمْدود
فينا الرسولُ وفينا الحَقُّ نَتْبعه   حتى المَمات ونَصْرٌ غيرُ مَحْدود[6]
وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُسْتَضاء به   بَدْرٌ أنار على كلِّ الأَمَاجِيد[7]

قال ابن هشام :

بيته : « مُسْتعصمين بحَبْل غير مُنْجذم » عن أبى زيد الأنصارىّ .

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت أيضاً .

خابتْ[8] بنو أَسَدٍ وآبَ غَزِيُّهم   يوم القَليب بسَوءةٍ وفُضُوحِ[9]
مِنْهم أبو العاصى تجدَّلَ مُقْعَصاً   عن ظَهْرِ صادِقة النَّجاء سَبُوحِ[10]

---

(١) يقال : استشعرت الثوب ، وذلك إذا لبسته على جسمك من غير حاجز ، ومنه : الشعار ، وهو ماولى الجسم من الثياب . والماذى : الدروع البيض اللينة . والنحيزة : الطبيعة . والرعديد : الجبان .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « الحق » .

(٣) الرواء (بفتح الراء) : التملؤ من الماء . (وبكسر الراء) : جمع راو . والتصريد : تقليل الشرب .

(٤) هذا الشطر والشطر الأخير من البيت السابق ساقطان فى ا .

(٥) منجذم : منقطع .

(٦) غير محدود ، أى غير ممنوع .

(٧) الأماجيد : الأشراف .

(٨) قال أبو ذر : « خابت » ، من رواه بالخاء المعجمة ، فهو من الخيبة ، ومن رواه (حانت) بالحاء المهملة ، فهو من الحين ، وهو الهلاك .

(٩) الغزى : جماعة القوم الذين يغزون .

(١٠) تجدل : صرع على الأرض . واسم الأرض : الجدالة . ومقعصا : أى مقتولا قتلا سريعا . ويريد « بصادقة النجاء » : فرسا سريعة . والنجاء : السرعة. والسبوح : التى تسبح فى جريها كأنها تعوم .

حَيْناً له من مانع بِسلاحِه لمّا ثَوى بعقامه الَمْذبوحِ
والمرءِ زَمْعةُ قد ترَكْن ونَحرُه يَدْمَى بعاندٍ مُعْبَطٍ مَسْفوحِ[1]
مُتوسِّداً حُرَّ الجَبِين مُعَفَّرا قد عُرَّ مارِنُ أَنفِهِ بقُبُوحِ[2]
ونَجا ابنُ قَيسٍ فى بقيّة رَهْطه بِشَفا الرِّماقِ مُوَلِّياً بجُروحِ[3]

وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

ألاَ ليتَ شِعْرى هل أتى أهلَ مكّةٍ إبارَتُنا الكُفّارَ فى ساعة العُسْرِ[4]
قَتَلْنا سَرَاةَ القوم عند مَجالِنا فلم يَرْجعوا إلا بقاصِمَة الظَّهْرِ[5]
قَتلنا أبا جَهْلٍ وعُتْبةَ قبـله وشَيْبة يَكْبُو لليَدَيْن وللنَّحْرِ[6]
قَتلنا سُوَيْداً ثم عُتْبةَ بعـده وطُعْمة أيضاً عنـد[7] ثائرة القَتْرِ[8]
فكم قد قتَلْنا من كَريم مُرَزَّإٍ له حَسَبٌ فى قومه نابِه الذِّكر
تركناهمُ للعاوِيات يَنُوبْنَهم ويَصْلون ناراً بعدُ حاميةَ القَعْرِ[9]
لَعَمرك ما حامت فَوارسُ مالك وأشياعُهم يوم التَقَيْنا على بَدْرِ[10]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيتَه :

---

(١) العاند : الذى يجرى ولا ينقطع ، والمعبط : الدم الطرى . والمسفوح : السائل المنصب .

(٢) معفرا ، أى لاصقا بالعفر ، وهو التراب . وعر : لطخ . ومارن الأنف : مالان منه .

(٣) شفا كل شىء : حده وطرفه . والرماق : بقية الحياة .

(٤) إبارتنا ، أى إهلاكنا ؛ تقول : أبرنا القوم : أى أهلكناهم .

(٥) سراة القوم : سادتهم وخيارهم . ويريد « بقاصمة الظهر » : الداهية التى تقصم الظهور ، أى تكسرها فتبينها . يقال : قصم الشىء إذا كسره فأبانه ، فإذا لم يبنه قيل : فصمه (بالفاء) .

(٦) يكبو : يسقط .

(٧) فى م ، ر : « عبد » .

(٨) يريد « بثائرة القتر » : ماثار من الغبار وارتفع . والقتر : الغبار .

(٩) العاويات : الذئاب والسباع . وينبنهم ، أى يأتونهم مرة بعد مرة . ويروى : ينشنهم ، أى يتناولنهم .

(١٠) قال أبو ذر : «ماحامت ، من رواه بالخاء المعجمة ، فمعناه : جبنت . ومن رواه بالحاء المهملة ، فهو من الحماية ، أى الامتناع » . وقد ورد هذا الشعر فى ديوان حسان طبع أوربا باختلاف كثير فى ألفاظه وبعض أبياته عما هاهنا .

قتلنا أبا جهل وعُتْبةَ قَبْله ... وشَيْبة يَكْبو لليَدَين وللنَّحْرِ

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

نَجَّى حَكِيمًا يوم بدر شَدُّهُ ... كَنَجاءِ مُهْرٍ من بنات الْأَعْوجِ[1]

لما رأى بدرًا تسيلُ جِلاَهُه ... بكَتيبةٍ خَضْراءَ من بَلْخَزْرَجِ[2]

لاَ يَنْكُلُون إذا لَقُوا[3] أعداءهم ... يمشون عائدة الطَّرِيق الْمَنْهَجِ[4]

كم فيهمُ من ماجدٍ ذى مَنْعةٍ[5] ... بَطَلٍ بمَهْلَكَةِ الجبَان الْمُحْرَجِ[6]

ومُسَوَّدٍ يُعْطِى الجَزيلَ بكَفِّهِ ... حَمّال أثقال الدِّيات مُتَوَّجِ

زَيْنِ النَّدِيّ معاودٍ يوم الوَغَى ... ضَرْبَ الكُماة بكلِّ أبيض سَلْجَجِ[7]

قال ابن هشام : قوله سَلَجج ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان أيضاً :

فما نَخْشى بحَوْل[8] الله قومًا ... وإن كَثُروا وأُجْمِعت الزُّحُوفُ[9]

إذا ما أَلَّبوا جَمْعاً علينا ... كفانا حَدَّهم ربٌّ رَءوفُ[10]

---

(1) الشد (هنا) : الجرى . والأعوج : اسم فرس مشهور فى الجاهلية .

(2) الجلاه : ما استقبلك من حروف الوادى ؛ الواحدة : جلهة (بالفتح) ، وخضراء ، أى سوداء لما يعلوها من الحديد . والعرب تجعل الأسود أخضر ، فتقول : ليل أخضر .

(3) فى م ، ر : « بقوا » بالباء الموحدة .

(4) عائدة الطريق : حاشيته . والمنهج : المتسع .

(5) المنعة : الشدة والامتناع ، ويروى : « ميعة » بالياء ، وهى النشاط .

(6) المحرج : المضيق عليه .

(7) الندى : المجلس . والوغى : الحرب . والأبيض : السيف . والسلجج : الماضى الذى يقطع الضريبة بسهولة .

(8) فى ا : « بحمد » .

(9) الزحوف : جمع زحف ، وهى الجماعة تزحف إلى مثلها ، أى تسرع وتسبق .

(10) ألبوا : جمعوا .

سَمَــوْنا يومَ بدر بالعــوالِي ... سِراعًا ما تُضَعْضِعنا الحُتوف[1]
فلم تَرَ عُصبةً فى الناس أنكى ... لمن عادَوْا إذا لَقِحت كَشُوف[2]
ولكنّا توَكّلنا وقُلْنــا ... مآثِرُنا ومَعْقِلنا السّــيوف[3]
لَقِيناهم بها لمّا سَمَــوْنا ... ونحنُ عِصابةٌ وهُمُ أُلوف

وقال حسّان بن ثابت أيضاً ، يهجو بنى جُمحَ ومن أُصيب منهم :

جَمَحَت بنو جُمَحٍ لِشَقْوة جَدّهم ... إنّ الذليــل مُوَكَّل بذليلِ[4]
قُتِلت بنو جُمحٍ ببَدْر عَنْوةً ... وتخاذَلوا سَعْياً بكل سَبيلِ[5]
جَحدوا الكِتاب وكذّبوا بمحمّد ... واللهُ يُظهِر دين كلّ رَسول
لَعَن الإله أبا خُزَيمة وابنَه ... والخالدَيْن ، وصاعِدَ بن عَقِيل

قال ابن إسحاق :

شعر عبيدة ابن الحارث فى قطع رجله

وقال عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب فى يوم بدر ، وفى قَطْع رِجْله حين أُصيبت ، فى مُبارزته هو وحمزة وعلىّ حين بارزوا عدوّهم ـ قال ابن هشام ، و بعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لعُبيدة ـ :

سَتَبْلُغ عنّا أهلَ مكة وَقْعةٌ ... يَهُبّ لها مَن كان عن ذاك نائيا[6]
بعُتْبة إذ ولّى وشَــيْبة بعدَه ... وما كان فيها بِكْرُ عُتْبة راضِيا[7]

---

(١) ماتضعضعنا ، أى ماتذلنا ولاتنقص من شجاعتنا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت

(٢) لقحت : حملت . والكشوف (بفتح الكاف) : الناقة التى يضربها الفحل فى الوقت الذى لاتشتهى فيه الضراب، فاستعارها (هنا) للحرب. ولقحت الحرب: إذا هاجت بعد سكون

(٣) المآثر : جمع مأثرة ، وهى مايحدث به عن الإنسان من خير أو فعل حسن . والمعقل : الممتنع الذى يلجأ إليه .

(٤) جمحت ، أى ذهبت على وجهها فلم ترجع . والجد : الحظ والبخت .

(٥) عنوة ، أى قهرا وغلبة . وقد تكون العنوة : الطاعة ، فى لغة هذيل . قال كثير :

فما أسلموها عنوة عن مودة ... ولكن بحد المشرفى استقالها

(٦) يهب : يستيقظ . والنائى : البعيد .

(٧) يريد « ببكر عتبة » : ولده الأول .

فإن تَقْطعوا رِجْلى فإنّىَ مُسْلم   أُرجّى بها عيشاً من الله دانيا
مع الحُور أمثال التماثيل أُخْلِصَت   مع الجنّة العُلْيا لمن(١) كان عاليا(٢)
وبِعْتُ بها عيشاً تعرّقْتُ صَفوه   وعالجْتُه حتى فقدتُ الأدانيا(٣)
فأكْرَمنى الرحمنُ من فَضْل مَنّه   بثَوْب من الإسلام غَطّى المَساوِيا
وما كان مكروهاً إلىّ قِتالُهم   غداةَ دعا الأكْفاءَ مَنْ كان داعِيا
ولم يَبْغِ إذ سالوا النبىّ سواءنا   ثلاثتنا حتى حَضَرْنا المناديا
لَقِيناهم كالأُسْد تَخْطِر بالقَنا   نُقاتل فى الرّحمن من كان عاصيا
فما بَرِحتْ أقدامُنا من مقامنا   ثلاثتنا حتى أُزِيروا المَنائيا(٤)

قال ابن هشام:

لما أصيبت رِجْلُ عُبيدة قال: أمَا والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنّى أحقُّ منه بما قال حين يقول:

كَذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمداً   ولمّا نُطاعِن دونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حولَه   ونَذْهل عن أبنائنا والحلائل

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب، قد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

رثاء كعب لعبيدة بن الحارث

قال ابن إسحاق:

فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْله يوم بدر. قال كعب بن مالك الأنصارى يَبْكيه:

---

(١) فى م، ر: «العلياء من ....»

(٢) التماثيل: جمع تمثال، وهى الصورة تصنع أحسن مايقدر عليه. وأخلصت: أحكم صنعها وأتقن، هذا إذا كان مرجع الضمير إلى التماثيل، وإذا رجع الضمير إلى الحور، فمعناه خص بها. قال أبو ذر: وهو أحسن.

(٣) كذا فى أكثر الأصول. وتعرقت (بالقاف): مزجت، يقال: تعرق الشراب، إذا مزجه، وفى ا: «تعرفت».

(٤) المنائيا: يريد المنايا. قال أبو ذر: «وقد تكون هذه الهمزة منقلبة عن الياء الزائدة التى فى منية.

أيا عين جُــودى ولا تَبْخلى   بدَمْعك حقًّا ولا تنزُرِى[1]

على سيّدٍ هَــدَّنا هُلْـكُه   كـريم المَشاهــد والعُنْصر

جَرِىء المقدَّم شا كى السِّلاَح   كريم النثا طَيِّب المَـكْسِر[2]

عُبيدة أمسى ولا نَرْتجِيه   لعُرْفٍ عرَانا ولا مُنْكـر

وقد كانَ يحمى غداة القِتا   ل حامية الجَيْش بالمِبْتَر[3]

شعر لكعب في بدر

وقال كعب بن مالك ، أيضاً ، فى يوم بدر :

ألاهل أتى غَسّانَ فى نَأى دارِها   وأَخْبرُ شيء بالأُمُور عَلِيمها

بأنْ قد رَمَتْنا عن قِسِيٍّ عَداوةً   مَعدٌّ معاً جُهَّالُها وحليمها[4]

لأنّا عَبَدْنا الله لم نَرْجُ غيرَه   رَجاء الجِنان إذ أتانا زعيمها[5]

نبىّ له فى قومـه إرْثُ عِزّةٍ[6]   وأعراقُ صدق هذَّبَتْها أُرومها[7]

فساروا وسِرْنا فالتقَيْنا كأنّنا   أُسُود لِقاء لا يُرَجَّى كَلِيمها[8]

ضَربناهمُ حتى هوَى فى مَكرِّنا   لِمَنْخر[9] سَوْء من لُؤَىٍّ عَظِيمها

فوَلّوا ودُسْناهم ببيض صَوارم   سَواء علينا حِلْفُها وصَمِيمها[10]

وقال كعب بن مالك أيضاً :

---

(١) لا تنزرى، أى لا تقللى من الدمع .

(٢) شا كى السلاح ، أى حاد السلاح . والنثا : مايتحدث به عن الرجل من خير وشر . وطيب المـكسر ، أى أنه إذا فتش عن أصله وجد خالصا ، ويروى : « طيب المـكشر » (بالشين) ، أى طيب النـكهة .

(٣) يريد « بالمبتر » : السيف ، مأخوذ من البتر ، وهو القطع .

(٤) القسى : جمع قوس ، وهو معروف .

(٥) الزعيم : الرئيس والضامن . ويريد به هنا النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) فى ا : « عزه » بالهـاء المهملة .

(٧) هذبتها : أخلصتها . والأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل .

(٨) الـكليم : الجريح .

(٩) فى م ، ر : «لمنحر».

(١٠) دسناهم : وطئناهم . والصوارم: السيوف القواطع . وحلفها ، أى من كان حليفا فيهم وليس منهم . والصميم : الخالص من القوم .

لعَمْرُ أبيكُما يابنى لُؤَىٍّ ... على زَهْوٍ لدَيْكم وانْتِخاءِ[1]
لَمَا حامَت فوارسُكم ببدْرٍ ... ولا صَبَروا به عند اللِّقاءِ[2]
ورَدْناه بنور الله يَجْلو ... دُجَى الظَّلْماء عنّا والغِطاء
رسولُ الله يَقْدُمنا بأمْرٍ ... مِن أمرِ الله أُحكِمَ بالقَضاء
فما ظَفِرتْ فوارسُكم ببَدْرٍ ... وما رجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعْجَل أبا سُفيان وارقُبْ ... جِياد الخيل تَطْلُع من كَدَاء[3]
بنصر الله روحُ القُدْس فيها ... وميكالٌ ، فياطِيبَ المَلاء[4]

شعر طالب فى مدح الرسول وبكاء أصحاب القليب

وقال طالبُ بن أبى طالب ، يمدح رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويبكى أصحاب القَليب من قريش يوم بدر :

ألا إنّ عَيْنِي أنفدَتْ دمعَها سَكْبا ... تُبكّى على كَعب وما إن ترى كَعْبَا
ألا إنّ كَعباً فى الحُروب تخاذلوا ... وأَرْدَاهمُ ذا الدهرُ واجترَحُوا ذَنْبا[5]
وعامر تَبْكى للمُلِمّات غُدْوةً ... فيا ليت شِعْرِى هل أرى لهما قُرْبا
هما أَخَوَاىَ لن يُعَدّا لِغَيَّةٍ ... تُعَدُّ ولن يُسْتام جارُهما غَصْبا[6]
فيا أَخَوَيْنا عبدَ شمسٍ ونوفلا ... فِدًا لكما لا تَبْعَثوا بَيْننا حَرْبا
ولا تُصْبِحوا من بعد وُدٍّ وأُلفةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يَشْتكى النَّكْبا[7]
ألم تعلموا ما كان فى حَرْب داحسٍ ... وجيش أبى يَكْسُوم إذ مَلَئوا الشِّعْبا[8]

---

(١) الانتخاء : الإعجاب والتكبر .
(٢) حامت : امتنعت ، من الحماية ، وهى الامتناع .
(٣) كداء . (بفتح الكاف والمد) : موضع بمكة .
(٤) الملاء ، أراد الملأ ، وهم أشراف القوم وسادتهم .
(٥) أرداهم : أهلكهم . واجترحوا : اكتسبوا ؛ ومنه قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » .
(٦) يقال : هو لغية ، إذا كان لغير أبيه ؛ كما يقال : هو لرشده ، إذا كان لأبيه .
(٧) النكبا : يريد نكبات الدهر .
(٨) داحس : اسم فرس ، كانت حرب بسببه . وأبو يكسوم : ملك من ملوك الحبشة، وقد مر حديثه فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

فلولا دِفاعُ اللهِ لا شىء غَيرُه   لأصْبحتمُ لا تَمْنعون لكم سِرْبا[1]
فما إنْ جَنينا فى قُريش عظيمةً   سِوَى أن حَمَيْنا خيرَ مَنْ وطِئ التُّرْبا
أخا ثِقةٍ فى النّائبات مُرَزّأً   كريماً ثناه لا بَخِيلا ولا ذَرْبا[2]
يُطِيف به العافُون يَغْشَوْن بابَه[3]   يؤُمّون[4] بحرا لا نَزُورا ولا صَرْبا[5]
فوالله لا تنفكّ نفسى حزينةً   تَمَلْمَلُ حتى تَصْدُقوا الخَزْرجَ الضَّرْبا[6]

شعر ضرار فى رثاء أبى جهل

وقال ضرار بن الخطّاب الفهرى، يرثى أبا جهل:

ألاَ مَنْ لعينٍ باتت الليلَ لم تَنَمْ   تُراقبُ نَجْماً فى سوادٍ من[7] الظُّلَمْ
كأنّ قذًى فيها وليس بها قذًى   سوى عَبْرة من جائلِ الدّمعِ تَنْسَجِمْ[8]
فبلِّغْ قُريشاً أنّ خَيْرَ نَدِيِّها   وأكرمَ مَنْ يمشى بساقٍ على قَدَمْ[9]
ثَوَى يوم بدر رَهْنَ خَوْصاءَ رَهْنُها   كريمُ المساعى غيرُ وَغْدٍ ولا بَرَمْ[10]
فآليتُ لا تنفكّ[11] عينى بعَبْرة   على هالكٍ بعد الرّئيس أبى الحَكَمْ
على هالكٍ أشْجَى لُؤَيَّ بنَ غالب   أتتْه المنايا يوم بدر فلم يَرِمْ[12]
ترى كِسَرَ الخَطِّىّ فى نَحْرِ مُهْرِه   لَدَى بائنٍ من لحمه بينها خِذَمْ[13]

---

(١) السرب (بالفتح): الإبل الراعية. والسرب (بالكسر): القوم، ويقال النفس ومنه الحديث: «أصبح آمنا فى سربه».
(٢) الذرب. الفاسد. ومنه يقال: ذربت معدته، إذا تغيرت.
(٣) العافون: الطالبون للمعروف.
(٤) كذا فى م. وفى سائر الأصول: «يؤوبون نهرا». أى يذهبون ويرجعون.
(٥) النزور: القليل. والصرب: المنقطع.
(٦) تململ، أى لا تستقر على فراشها.
(٧) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «مع».
(٨) القذى: ما يسقط فى العين وفى الشراب والماء، وتنسجم: تنصب.
(٩) الندى: المجلس.
(١٠) الخوصاء (هنا): البئر الضيقة. والوغد: الدنىّ من القوم، والبرم البخيل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله.
(١١) فى ا: «لا تنهل».
(١٢) أشجى: أحزن؛ من الشجو، وهو الحزن. ولم يرم، أى لم يبرح ولم يزل.
(١٣) الخطى: الرماح. والخذم (بالخاء أو بالجيم): قطع اللحم.

وما كان ليثٌ ساكنٌ بَطْنَ بِيشَةٍ ... لدى غَلَلٍ يَجْرِى بِبَطْحاءَ فِى أَجَمْ[1]
بأَجْرأَ منه حين تختلف القَنا ... وتُدْعَى نَزَالِ فى الْقَماقِمَة البُهَمْ[2]
فلا تَجْزعوا آلَ الْمُغيرة واصبِروا ... عليه ومَنْ يَجْزع عليه فلم يُلِم[3]
وجِدُّوا فإنَّ الموت مَكْرُمَةٌ لكم ... وما بعده فى آخِرِ العَيْش مِنْ نَدَم
وقد قلتُ إنَّ الريحَ طَيِّبَةٌ لكم ... وعِزَّ المقام غير شكٍّ لذى فَهَم[4]

قال ابن هشام : و بعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لِضرار .

قال ابن إسحاق :

شعر الحارث ابن هشام فى رثاء أبى جهل

وقال الحارث بن هشام ، يبكى أخاه أبا جهل :

ألا يالهْفَ نَفْسى بعد عَمْرو ... وهل يُغْنى التَّلهُّفُ مِن قَتيلِ[5]
يُخَبِّرنى الْمُخبِّر أنّ عَمْرًا ... أَمام القوم فى جَفْرٍ[6] مُحيل[7]
فقِدْمًا كنتُ أَحْسب ذاك حقًّا ... وأَنْتَ لِمَا تقدَّم غيرُ فِيل[8]
وكنتُ بِنعْمة ما دُمْتَ حيًّا ... فقد خُلِّفْتُ فى دَرَج المَسِيل[9]
كأنِّى حين أُمْسِى لا أراه ... ضعيفُ العَقْد ذوهَمٍّ طويل[10]

---

(١) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود ، والغلل (بالعين المعجمة) : الماء الجارى فى أصول الشجر . والأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الملتف ، وهىموضع الأسود .

(٢) القماقمة : السادة الكرماء ؛ واحدهم : قمقام . والبهم : الشجعان ؛ الواحد : بهمة .

(٣) فلم يلم ، قال أبو ذر : « من رواه بكسر اللام ، فمعناه : لم يأت بما يلام عليه ؛ ومن رواه بفتح اللام ،فمعناه : لم يعاتب ، من اللوم ، وهو العتاب » .

(٤) يريد « بطيب الريح » : النصر . قال تعالى : « وتذهب ريحكم » .

(٥) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والفتيل (بالفاء) : الذى يكون فى شق النواة يضرب به المثل فى الشىء القليل ، ومنه قوله تعالى : « لا يظلمون فتيلا » . وفى الأصول : « قتيل » بالقاف .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . والجفر : البئر التى لابناء لها ، وفى ا : « حفر » .

(٧) والمحيل : القديم المتغير .

(٨) غير فيل، أى غير فاسد الرأى ؛ يقال : رجل فيل الرأى ، وفال الرأى ، وفائل الرأى: إذا كان غير حسن الرأى .

(٩) يريد « بدرج المسيل » : موطن الذل والقهر ؛ يقال : تركته درج المسيل ، إذا تركته بدار مذلة ، وهو حيث لا يقدر على الامتناع .

(١٠) العقد (هنا) : العزم والرأى .

على عمروٍ إذا أمْسيتُ يوما   وطَرْفٍ من تَذكُّره كَليلِ

قال ابن هشام :

وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام ؛ وقوله : « فى جفر » عن غير ابن إسحاق .

شعر ابن الأسود فى بكاء قتلى بدر

قال ابن إسحاق :

وقال أبو بكر بن الأسود بن شُعوب اللّيثى ، وهو شدّاد بن الأسود :

تُحيِّى بالسّلامة أمُّ بكر   وهل لى بعد قومى من سلامِ

فماذا بالقَليب قَليب بدر   من القَينات والشَّرْب الكِرام(١)

وماذا بالقَليب قليب بدر   من الشِّيزَى تُكَلَّل بالسَّنام(٢)

وكم لك بالطَّوِىّ طوىّ بدر   من الحَوْمات والنَّعَم المُسام(٣)

وكم لكِ بالطوىّ طوىّ بدر   من الغايات وأُلدُّسُع العظام(٤)

وأصحابِ الكريم أبى علىّ   أخى الكاس الكريمةِ والنِّدَام

وإنكِ لو رأيتِ أبا عَقيل   وأصحابَ الثنيّة من نَعَام(٥)

إذًا لَظَلَلْتِ من وَجْدٍ عليهم   كأُمّ السَّقْب جائلةَ المَرَام(٦)

يُخبّرنا الرسولُ لسَوْف نَحْيا   وكيف لِقاء أصداء وَهام ؟(٧)

---

(١) القليب : البئر . والقينات : الجوارى . والشرب : جماعة القوم الذين يشربون .

(٢) الشيزى : جفان تصنع من خشب ، وإنما أراد أصحابها الذين يطعمون فيها . والسنام : لحم ظهر البعير .

(٣) الطوى : البئر . والحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . والمسام : المرسل فى المرعى ؛ يقال : أسام إبله ، إذا أرسلها ترعى دون راع .

(٤) الدسع (هنا) : العطايا .

(٥) الثنية : فرجة بين جبلين . ونعام : موضع

(٦) السقب : ولد الناقة حين تضعه .

(٧) الأصداء : جمع صدى ، وهى بقية الميت فى قبره ، وهى أيضاً طائر ، يقولون هو ذكر البوم . والهام : جمع هامة ، وهو طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل إذا قتل فيصيح : استونى اسقونى ؛ فلا يزال يصيح كذلك حتى يؤخذ بثأره ، فحينئذ يسكت .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عُبيدة النحويّ :

يُخبِّرنا الرسولُ بأنْ سَنَحْيا   وكيف حياةُ أصداء وهامِ

قال : وكان قد أسلم ثم ارتدّ .

شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر

قال ابن إسحاق :

وقال أُميةُ بن أبي الصَّلت ، يرثى من أُصيب من قريش يوم بدر :

ألاّ بَكيتِ على الـكِرا   م بَنى الـكِرام أُولِى المَمادحْ

كبكا الحَمام على فُرو   ع الأَيْك فى الغُصُن الجَوانح(١)

يَبْـكين حَرَّى مُسْتكيـــناتٍ(٢) يُرحْن مع(٣) الرَّوائح

أمثالهـــنّ الباكيا   ت المُعْولاتِ من النَّوائح(٤)

مَنْ يَبْكِهم يَبْكِ على   حُزْن ويَصدُق كلّ مادح

ما ذا ببَدْر فالعَـــقَنْــقَل من مَرازبةٍ جَحاجِح(٥)

فمَدافـــع البَرْقَيْن فالْـــحَنّان من طَرَف الأَواشِح(٦)

شُمْطٍ وشُـــبَّانٍ بَهَا   ليلٍ مَغاويرٍ وحَاوِح(٧)

ألاَّ تَرَوْنَ لِمَا أرى   ولقد أبانَ لـكُلِّ لامح

١ أنْ قد تَغَـــيّر بَطْنُ مــكّــة فَهْى مُوحِشة الأباطح

---

(١) الأَيك : الشجر الملتف ؛ واحدته : أيكة . والجوانح : الموائل ؛ يقال : جنح : إذا مال .

(٢) حرى : يعنى اللاتى تجدن من الحزن . ومستكينات : خاضعات .

(٣) فى م ، ر : « من » .

(٤) المعولات : الرافعات الصوت بالبكاء .

٢ (٥) العقنقل : الـكثيب من الرمل المنعقد . والمرازبة : الرؤساء ؛ الواحد : مرزبان ، وهى كلمة أعجمية . والجحاجح : السادة ؛ واحدهم : جحجاح .

(٦) يريد « بمدافع البرقين » : حيث يندفع السيل . والبرقين : موضع . والحنان : الـكثيب من الرمل . والأواشح : موضع .

(٧) الشمط : الذين خالطهم الشيب . والبهاليل : السادة ؛ الواحد : بهلول . والمغاوير :

٢ جمع مغوار ؛ وهو الذى يكثر الغارة . والوحاوح : جمع وحواح ، وهو الحديد النفس .

من كلّ بِطْرِيقٍ لِبِطْـــرِيق نَقِيّ اللون واضِح[1]
دُعْمُوصِ أبواب المُلو ك وجائبٍ للخَرْق فاتِح[2]
مِن السَّراطمة[3] الخلا جِمة المَلاوثة المَناجح[4]
القائلــــين الفاعِليـــن الآمرين بكُلّ صالح
المُطْعِمين الشَّــحْم فو ق الخُبْز شَحْماً كالأنافح[5]
نُقُل الجِفــان مع الجِفاَ ن إلى جِفانٍ كالمنَاضِح[6]
لَيْست بأصْـــفار لمن يَعْفو[7] ولا رَحٍ رحارِح[9]
للضَّيْف ثم الضَّيف بعد [الضيف][8] والبُسْط السَّلاَطح[10]
وُهُب المِئــينَ من المِئيـــنَ إلى المِئينَ من اللَّواقح[11]
سَـــوْق المُؤَبَّل للمُؤَبَّـــل صادراتٍ عن بَلادِح[12]
لِـكِرامهـــم فوق الـكِرا م مزِيّةٌ وَزْنَ الرَّواجح

---

(١) البطريق : رئيس الروم .

(٢) الدعموص : دويبة تغوص فى الماء . يريد أنهم يكثرون الدخول على الملوك . والجائب: القاطع . والخرق : الفلاةالواسعة .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والسراطمة : جمع سرطم ، وهو الواسع الحلق . وفى ا : « الشراظمة » .

(٤) الخلاجمة : جمع خلجم ؛ وهو الضخم الطويل . والملاوثة : جمع ملواث ، وهو السيد . والمناجح : الذين ينجحون فى سعيهم ويسعدون فيه .

(٥) الأنافح : جمع إنفحة ،وهى شىء يخرج من بطن ذى الكرش داخله أصفر ، فشبه به الشحم ، وهو الذى يقول له العامة : النبق .

(٦) المناضح : الحياض ، شبه الجفان بها فى عظمها .

(٧) أصفار : جمع صفر ، وهو الخالى من الآنية وغيرها . ويعفو : يقصد طالبا للمعروف .

(٨) كذا فى ا . ورح رحارح ، أى واسعة من غير عمق . وفى سائر الأصول : « رح وحارح » وهو تحريف .

(٩) زيادة عن ا .

(١٠) السلاطح : الطوال العراض .

(١١) يريد « باللواقح » : الإبل الحوامل .

(١٢) المؤبل : الإبل الكثيرة . وصادرات : راجعات . وبلادح : موضع .

كتثاقُلِ(1) الأَرْطال بالْقِسْطاس(2) فى الأَيْدى(3) المَوائح(4)

خَذَلتهمُ فِئَةٌ وهم يَحمون عَوْرات الفَضائح

الضّاربين التّقْدُمِيّةَ بالمُهَنَّدة الصّفائح(5)

ولقد عَنانى صَوْتُهم من بين مُسْتَسْقٍ وصائح(6)

لله دَرُّ بَنى عَلِيٍّ أَيِّمٍ منهم وناكح(7)

إن لم يُغِيروا غارةً شَعْواءَ تُجْحِر(8) كُلَّ نابح

بالمُقْرَبات، المُبْعَدا ت، الطّامحات مع الطوامح(9)

مُرْداً على جُرْدٍ إلى أُسْدٍ مُكالِبةٍ كوالح(10)

ويُلاقِ قِرْنٌ قِرْنَهُ مَشْىَ المُصافِح للمُصافِح(11)

بِزُهاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْفٍ بين ذى بَدَنٍ ورامح(12)

قال ابن هشام:

تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم.

وأنشدنى غيرُ واحد من أهل العلم بالشعر بيتَه:

---

(1) فى م، ر: «كتثاقل».

(2) القسطاس: الميزان الكبير.

(3) فى م، ر: «فى أيدى».

(4) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر. والموائح: التى تتمايل لثقل ما ترفعه. وفى ا، ط: «الموانح». وفى سائر الأصول: «المواتح». ولا يستقيم بهما المعنى.

(5) يريد «بالتقدمية»: التقدم، أى يضربون متقدمين فى أول الجيش. والمهندة: السيوف المطبوعة من حديد الهند؛ الواحد: مهند. والصفائح: العراض.

(6) عنانى، أى أحزننى وشق على.

(7) الأيم: الذى لم يتزوج.

(8) كذا فى ا، ط. وتجحر: تلجئه إلى جحره. وفى سائر الأصول: «تجسر».

(9) المقربات: الخيل التى تقرب من البيوت لكرمها. والمبعدات: التى تبعد فى جريها أو فى مسافة غزوها. والطامحات: التى ترفع رءوسها.

(10) الجرد: الخيل العتاق. والمكالبة: هم الذين بهم شبه الكلب، وهو السعار، يعنى حدتهم فى الحرب. والكوالح: العوابس.

(11) القرن: الذى يقاوم فى قتال أو شدة.

(12) البدن: الدرع.

وُيلاق قِرنٌ قِرْنه مشى المُصافح للمُصافح

وأنشدنى أيضاً[1] :

وُهُبُ المِئِينَ من المئيـــنَ إلى المئِينَ من اللّواقحْ
سَـــوْق المُؤَبَّل للمُؤَبَّـــل صادرات عن بلادِح

قال ابن إسحاق :

وقال أُميّة بن أبى الصّلت أيضاً ، يبكى زَمَعة بن الأسود ، وقتلَى بنى أسَد :

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبَلات أبا الحا رث لا تَذْخَرِى على زَمَعه[2]
وابكى عقيلَ بن أسودٍ أسَد البَأْ س ليوم الهِيَاج والدَّفَعه[3]
تلك بنو أســد إخْوَة الجَوْ زاءِ لا خَانَةٌ ولا خَــدَعَه[4]
هم الأُسْرَة الوسيطة من كَعْــبٍ وهم ذِرْوَة السَّنام والقَمعه[5]
وهم أنْبتوا من معاشرٍ شَعَر الرأْ س وهم ألحقوهمُ المَنَعَه
أمْسى بنو عمّهم إذ حَضَر البأْ سُ أكْبادُهم عليهمُ وَجِعه
وهم المُطْعمون إذ قَحِط القَطْـــر وحالَتْ فلا ترى قَزَعه[6]

قال ابن هشام :

هذه الرواية لهذا الشعر مُخْتلطة ، ليست بصَحِيحة البناء ، ولكن أنشدنى أبو مُحْرِز خلف الأحْمَر وغيره ، روى بعضٌ مالم يَرْوِ بعض :

---

(١) هذه الكلمة « أيضا » ساقطة فى ا .

(٢) المسبلات : الدموع السائلة ، يقال : أسبل الدمع : إذا جرى ؛ وأسبله هو : إذا أجراه . ولا تدخرى ، أى لا تدخرى .

(٣) كذا فى أ كثر الأصول. وفى ا : «الدقعه» (بالقاف). قال أبو ذر : «من رواه (بالفاء) فهو جمع دافع : ومن رواه (بالقاف) ، فهو من الدقعاء ، وهو التراب ، ويعنى به الغبار . وقد يجوز أن يكون « الدقعة » هنا : جمع داقع ، وهو الفقير ؛ فيقول : ابكى للحرب وللجود» .

(٤) الجوزاء : اسم نجم . وخانة : جمع . خائن . وخدعة : جمع خادع .

(٥) الأسرة : رهط الرجل. والوسيطة : الشريفة . وذروة السنام : أعلاه. والقمعة : السنام.

(٦) القزعة : سحاب متفرق .

عَيْنُ بكِّي بالمُسْبَلات أبا الحا   رث لا تذخـرى على زَمَعه

وعقيلَ بْنَ أسْـودٍ أسدَ البأ   س ليـوم الهياج والدَّفَعَه

فَعلى مثلِ هُلْكهم خَوتِ الجَوْ   زاء، لا خانةٌ ولا خَـدَعه

وهمُ الأسْرة الوَسيطة من كعـبٍ، وفيهم كذِرْوة القَمَعه

أَنْبَتُوا من معاشرٍ شَعَر الرأ   س، وهم أَلْحقوهم المَنَـعَه

فبنو عمِّهم إذا حضر البأ   س عليهم أكبادُهم وجِعَـه

وهُمُ المُطْعِمون إذ قَحِط القَطْـر وحالت فلا ترى قَزَعـه

قال ابن إسحاق :

شعر أبي أسامة

وقال أبو أُسامة، معاويةُ بن زُهير بن قَيْس بن الحارث بن سعد ابن ضُبَيعة بن مازن بن عديّ بن جُشَم بن مُعاوية، حليف بني مخزوم - قال ابن هشام : وكان مُشركًا، وكان مَرَّ بهُبَيْرة بن أبي وَهْب[1]، وهم مُنهزمون يوم بدر، وقد أعْيا هُبَيْرة، فقام فألقَى عنـه دِرْعه وحمله فمضى به، قال ابن هشام : وهذه أصح أشعار أهل بدر - :

ولَمَّا أنْ رأيتُ القوم خَفُّوا   وقـد زالت[2] نعامتُهم لنَفْرِ

وأَنْ تُرِكَتْ سَراة القوم صَرْعَى   كأنّ خِيارَهم أَذْباحُ عِتْرِ[3]

---

(١) فى ر : (رهم) .

(٢) كذا فى ا، وشرح السيرة، والروض . وفى سائر الأصول : «شالت» . قال السهيلي : « العرب تضرب زوال النعامة مثلا للفرار، وتقول : شالت نعامة القوم : إذا فروا وهلكوا . والنعامة (فى اللغة) : باطن القدم، ومن مات فقد شالت رجله ؛ أى ارتفعت، وظهرت نعامته . والنعامة (أيضا) : الظلمة . وابن النعامة : عرق فى باطن القدم . فيجوز أن يكون قوله : زالت نعامتهم، كما يقال، زال سواده، وضحا ظله : إذا مات . وجائز أن يكون ضرب النعامة مثلا، وهو الظاهر فى بيت أبى أسامة، لأنه قال : زالت نعامتهم لنفر . و العرب تقول : أشرد من نعامة وأنفر من نعامة . . . . . فإذا قلت : زالت نعامته، فمعناه : نفرت نفسه، التى هى كالنعامة فى شرودها » .

(٣) سراة القوم : خيارهم . والعتر : الصنم الذى يذبح له .

وكانت جُمَّةٌ(1) وافتْ حِمامًا ... ولُقِّينا المَنايا يوم بَــــدْرِ
نَصُدّ عن الطريق وَأَدْرِكونا ... كأنّ زُهاءهم غَطَيَانُ بَحْرُ(2)
وقال القائلون : مَنِ ابنُ قَيْس؟ ... فقلتُ : أبو أُسامة ، غيرَ فَخْر
أنا الجُشميّ كيما تَعرفونى ... أُبيِّن نِسْــــبتى نَقْراً بنَقْرِ(3)
فإن تكُ فى الغَلاصمِ مِن قريش ... فإنى من معاوية بن بَكْرِ(4)
فأبْلغ مالــكًا لما غُشِــــينا ... وعندك مالِ إنْ نَبّأتَ خُبْرى(5)
وأبْلغ إنْ بلغتَ(6) المرءَ عنّا ... هُبيرة ، وهو ذو عِلْمٍ وقَدْر
بأنى إذ دُعيت إلى أُفَيْدٍ ... كَررْتُ ولم يَضِقْ بالكَرّ صَدْرى(7)
عَشيَّة لا يُكَرّ على مُضاف ... ولا ذى نَعْمة منهم وصِهْرِ(8)
فدُونَــكمُ بنى لأْيٍ أخاكم ... ودونكِ مالكًا يا أمّ عَمْرو(9)

---

(1) كذا فى أ كثر الأصول ، وفى ا : « حمة » بالحاء المهملة ، قال أبو ذر : «من رواه بالجيم ، فمعناه الجماعة من الناس ، وأ كثر مايقال فى الجماعة الذين يأتون يسألون فى الدية ؛ ومن رواه : حمة ، بالحاء المهملة ، فمعناه : قرابة وأصدقاء ، من الحميم ، وهو القريب » . وقال السهيلى : « الحمة : السواد ؛ والحمة : الفرقة ؛ فإن كان أراد بالحمة سواد القوم فله وجه ؛ وإن كان أراد الفرقة منهم فهو أوجه » .

(2) غطيان بحر ، أى فيضانه .

(3) قال السهيلى : النقر : الطعن فى النسب ، يقول: إن طعنتم فى نسبى وعبتموه بينت الحق ، ونقرت فى أنسابكم ، أى عبتها وجازيت على النقر بالنقر . وقالت جارية من العرب : مروا بى على بنى نظرى — تعنى الفتيان الذين ينظرون إليها — ولا تمروا بى على بنات نقرى، تعنى النساء اللواتى ينقرن ، أى يعبن .

(4) الغلاصم : الأعالى من النسب . وأصل الغلصمة : الحلقوم الذى يجرى عليه الطعام والشراب .

(5) مال ، يريد : مالك ، فرخم ، وحذف حرف النداء من أوله .

(6) فى ا : « عرضت » .

(7) أفيد ، قال أبو ذر: « أفيد (بالفاء والقاف) : اسم رجل» . وقال السهيلى : « أفيد: تصغير وفد ، وهم المتقدمون من كل شىء من ناس أو خيــل أو إبل ، وهو اسم للجمع مثل ركب ، ولذلك جاز تصغيره ؛ وقيل : أفيد ، اسم موضع » .

(8) المضاف : الخائف المضطر .

(9) بنى لأى ، يريد : بنى لؤى ، فجاء به مكبرا على الأصل ، ولؤى تصغير لأى . (عن الروض الأنف) .

فلولا مَشْهدِى قامت عليــه ... مُوَقَّفَةُ القوائم أُمُّ أَجْرِى (١)
دَفُوعٌ للقُبور بمَنْـكِبَيْها ... كأنّ بوَجْهِها تَحْمِيمَ قِـدْر (٢)
فأُقْسِم بالذى قد كان ربِّى ... وأَنْصَابٍ لَدَى الجَمرات مُغْر (٣)
لسوف تَرَوْن ما حَسَبِى إذا ما ... تبدَّلت الجُلودُ جلودَ نِمْر
فما إنْ خادِرٌ من أُسْد تَرْج ... مُدِلٌّ عَنْبَسٌ فى الغِيل مُجْرِى (٤)
فقد أَحْمى الأَباءة من كُلَافٍ (٥) ... فما يَدْنو له أَحَـدٌ بنقر (٦)
بخَلٍّ تَعْجِزُ الحُلفاء عنــه ... يُواثب كلَّ هَجْهجة وزَجْر (٧)
بأَوْشَكَ سَـوْرةً منِّى إذا ما ... حَبَوْتُ له بقَرْقرة وهَـدْر (٨)
ببِيضٍ كالأَســنّة مُرْهفاتٍ ... كأنّ ظُباتِهن جَحيمُ جَمْر (٩)

---

(١) يريد «بالموقفة» : الضبع ، من الوقف وهو الخلخال ، لأن فى قوائمها خطوطا سودا . وأجر : جمع جرو ، وهو ولدها .

(٢) التحميم : السواد .

(٣) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها . والجمرات : موضع الجمار التى يرمون بها . ومغر : جمع أمغر ، وهو الأحمر ؛ يريد : أنها مطلية بالدم .

(٤) الخادر : الأسد الذى يكون فى خدره ، وهى أجمته . وترج : جبل بالحجاز كثير الأسد . وعنبس ، أى عابس الوجه . والغيل (بالكسر) : الشجر الملتف . ومجرى ، أى له جراء ، يعنى أشبالا ، أى أولادا .

(٥) أحمى : جعلها حمى لا تقرب . والأباءة (بفتح الهمزة) : أجمة الأسد . وكلاف ، قال أبو ذر : « كلاف (بالفاء) : اسم ، موضـع » . وقد ذكره ياقوت ، وقال : إنه واد من أعمال المدينة . وقال السهيلى : « لعله أراد من شـدة كلفه بما يحميه ، فجاء به على وزن فعال ، لأن الكلف إذا اشتد كالهيام والعطاش . ولعل كلافا : اسم موضع . وقال أبو حنيفة : الكلاف : اسم شجر » .

(٦) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بنفر » بالفاء .

(٧) الخل : الطريق فى الرمل . والحلفاء : الأصحاب المتعاضدون . والهجهجة : الزجر ؛ يقال : هجهجت بالسبع : إذا زجرته ، وهو أن تقول له : هج هج .

(٨) بأوشك : بأسرع . والسورة : الحدة والوثبة . وحبوت : قربت . والقرقرة والهدر : من أصوات الإبل الفحول .

(٩) يريد « بالبيض » : السهام . والظباة : حدها ؛ الواحدة : ظبة .

وأكلفَ مُجنإٍ من جِلْد ثَوْر   وصَفْراء البُراية ذاتِ أزْرِ[1]
وأبيضَ كالغَدِير ثَوَى عليه   عُمَير بالمداوِس نِصْف شَهْرٍ[2]
أُرَفِّل فى حَمائله وأَمْشِي   كِمشْية خادرٍ ليثٍ سِبَطْرِ[3]
يقول لى الفَتى سعدٌ هَدِيًّا   فقلتُ : لعلّه تقريبُ غَدْرِ[4]
وقلتُ أبا عَدِىّ لا تَطُرْهم   وذلك إن أطَعْت اليوم أمْرِى[5]
كَدَأْبِهِمُ بفَرْوَةَ إذ أتاهم   فظَلّ يُقاد مَكْتوفاً بضَفْرِ[6]

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو مُحْرز خلف الأحمر :

نَصُدّ عن الطريق وأدْركونا   كأن سِراعَهم تيّارُ بَحْرِ

وقوله : * مدلّ عَنْبس فى الغِيل مُجْرى * عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

وقال أبو أُسامة أيضاً :

ألاَ من مُبلغٌ عنّى رسولاً   مُغَلْغلةً يُثَبّتُها لَطِيفُ[7]
ألم تَعْلَم مرَدّى يوم بدر   وقد بَرَقَتْ بجَنْبيك الكُفُوفُ[8]

---

(١) وأكلف ، قال أبوذر : «من رواه باللام ، فإنه يعنى ترسا أسود الظاهر ؛ ومن رواه بالنون، فهو الترس أيضا ؛ مأخوذ من كنفه ، أى ستره» . والمجنأ : الذى فيه اجتناء . أى انحناء. ويريد « بصفراء البراية » : قوسا . والبراية : ما يتطاير منها حين تنحت .

(٢) يريد « بأبيض كالغدير » : سيفا . وعمير : اسم صيقل . والمداوس : جمع مدوس ، وهى الأداة التى يصقل بها السيف .

(٣) أرفل : أطول . وسبطر ، أى طويل ممتد .

(٤) الهدى ، قال أبو ذر: « الهدى هنا : الأسير » . وقال السهيلى : « الهدى : مايهدى إلى البيت ، والهدى (أيضا) : العروس تهدى إلى زوجها ، ونصب (هديا) هنا على إضمار فعل، كأنه أراد : أهد هديا » .

(٥) لاتطرهم : لاتقربهم ، مأخوذ من طوار الدار ، وهو ما كان ممتدا معها من فنائها .

(٦) كدأبهم : كعادتهم . وفروة : اسم رجل . والضفر : الحبل المضفور .

(٧) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد . واللطيف : الرفيق الحاذق فى الأمور .

(٨) برقت : لمعت .

وقد تُرِكت سَراةُ القوم صَرْعَى   كأنّ رُءوسهم حَدَجٌ نَقِيفُ[1]
وقد مالتْ عليك ببَطْن بدْرٍ   خِلافَ القوم داهيةٌ خَصيف[2]
فنجّاه من الغَمرات عَزْمِى   وعونُ الله والأمرُ الحَصِيف
ومُنْقَلبِى من الأبْواء وَحْدِى   ودونك جَمْعُ أعداء وُقوف[3]
وأنت لمن أرادك مستكينٌ   بجَنْب كُرَاشَ مكلومٌ نَزِيف[4]
وكنتُ إذا دعانى يومَ كَرْب   من الأصحاب داعٍ مُسْتضيف[5]
فأسْمعنى ولو أحببتُ نَفْسى   أخٌ فى مثل ذلك أو حَليف
أرُدّ فأكْشِف الغُمّى وأرْمى   إذا كَلَح المَشافرُ والأُنُوف[6]
وقِرْنٍ قد تركتُ على يديه   يَنُوء كأنه غُصْن قَصِيف[7]
دَلفْتُ له إذا اختلطوا بحَرّى   مُسَحْسَحةٍ لعاندها حَفِيف[8]
فذلك كان صُنْعى يوم بدر   وقَبْلُ أخو مُداراة عَزُوف[9]
أخوكم فى السّنينَ كما علمتم   وحربٍ لا يزال لها صَرِيف[10]

---

(١) الحدج : الحنظل ؛ الواحدة : حدجة . والنقيف : المكسور .
(٢) الخصيف : المكونة ألوانا ؛ وقيل : المتراكمة .
(٣) الأبواء : موضع ، وبه قبر أم الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) كراش (بضم الكاف والشين المعجمة) : اسم جبل لهذيل ؛ وقيل : ماء بنجد لبنى دهمان. (راجع معجم البلدان) . ومكلوم : جريح . ونزيف : سائل جميع دمه .
(٥) مستضيف : ملجأ مضيق عليه .
(٦) الغمى : الأمر الشديد . وكلح : عبس . والمشافر : الشفاه، لذوات الخف ، وهى الإبل ، فاستعارها هنا للآدميين .
(٧) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا ، ر : «قطيف» . قال أبوذر : « من رواه بالصاد المهملة ، فمعناه : مكسور ، تقول : قصفت الغصن : إذا كسرته . ومن رواه «قطيف» بالطاء المهملة ، فهو الذى أخذ ما عليه من الثمر والورق » .
(٨) دلفت : قربت. وبحرى : أى بطعنة موجعة . ومسحسحة : كثيرة سيلان الدم. والعاند: العرق الذى لا ينقطع دمه . والحفيف : صوته .
(٩) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عروف » ، قال أبوذر : « من رواه بالزاء ، فهو الذى تأبى نفسه الدنايا . ومن رواه بالراء ، فمعناه أيضا : الصابر ، هاهنا » .
(١٠) يريد « بالسنين » : سنين القحط والجدب . والصريف : الصوت .

ومِقدامٌ لكم لا يَزْدَهِينى جَنَانُ الليل والأَنَسُ اللَّفيف[1]
أَخُوض الصَّرَّةَ[2] الجَمَّاء[3] خَوْضاً إذا ما الكلبُ أَلجأه الشَّفيف[4]

قال ابن هشام :

تركت قصيدةً لأبى أُسامة على اللام ، ليس فيها ذكر بدر إلا فى أول بيت منها والثانى ، كراهيةَ الإكثار .

شعر هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق :

وقالت هندُ بنت عُتبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر :

أَعَيْنِى جُودَا بدَمْعٍ سَرِبْ على خيرِ خِنْدِفَ لم ينقلِبْ
تَدَاعى له رَهْطُه غُدْوَةً بنو هاشم وبنو المطَّلِب
يُذيقونه حَدَّ أسيافِهم يَعُلُّونه بعد ما قد عَطِب
يَجُرُّونه وعفيرُ التراب على وَجْهه عاريًا قد سُلِب
وكان لنا جَبَلاً راسياً جميلَ الْمَرَاةِ كثيرَ العُشُب[5]
وأَمَّا[6] بُرَىٌّ فلم أعْنِه فأُوتِىَ من خير ما يَحْتسب[7]

وقالت هِنْدُ أيضاً :

يَرِيب علينا دهرُنا فيَسُوءنا ويَأْبَى فما نَأْتِى بشىء يُغالبُهْ
أبعدَ قتيل من لُؤىّ بن غالب يُرَاع امرؤٌ إنْ ماتَ أو ماتَ صاحبُه

---

(١) جنان الليل : ظلمته . والأنس : الجماعة من الناس ، واللفيف : الكثير .

(٢) الصرة : الجماعة ، وقد تكون الصرة (أيضا) : شدة البرد ، وإياها عنى ، لذكره الشفيف فى آخر البيت .

(٣) كذا فى شرح السيرة . وفى جميع الأصول : « الحماء » قال أبو ذر : « الجماء (بالجيم) : الكثير . ومن رواه : الحماء ، بالحاء المهملة ، فمعناه : السود » .

(٤) الشفيف (بالشين المعجمة) : الريح الشديدة البرد .

(٥) جميل المراة ، أرادت مرآة العين ، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن ، فذهبت الهمزة .

(٦) فى م ، ر : « فأما » .

(٧) تريد « بيرى » : البراء ، وهو رجل ، فصغرته .

أَلا رُبَّ يومٍ[1] قدرُ زِئتُ مُرَزَّأً   تَروح وتَغْدو بالجزيل مَواهبُهْ
فأبْلغ أبا سُفيان عنّىَ مَأْلُكاً   فإن أَلْقَه يومًا فسوف أُعاتبِه[2]
فقد كان حربٌ يَسْعَر الحربَ إنّه   لِكلِّ امرئ فى الناس مولًى يُطالبه[3]

قال ابن هشام :

وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لِهنْد .

قال ابن إسحاق :

وقالت هنْد أيضاً :

لله عَيْنا مَنْ رأى   هُلْكاً كهُلْكِ رجاليَهْ
يا رُبَّ[4] باكٍ لى غدا   فى النّائبات وباكيَه
كم غادرُوا يوم الْقَلِيـ   ـب غداةَ تلك الواعِيَه[5]
منْ كلِّ غَيْثٍ فى السِّنيـ   ـن إذا الكواكبُ خاوِيه[6]
قد كنت أحذَر ما أرى   فاليوم حقٌّ حـذاريه
قد كنت أَحْذَر ما أرى   فأنا الغـداةَ مُواميه[7]
يا رُبَّ[4] قائلةٍ غـداً   يا وَيْحَ أمِّ معُاويه

---

(1) فى شرح السيرة : «ألا رب رزء قد رزأت مرزأ» . قال أبو ذر: المرزأ : الكريم الذى يرزؤه القاصدون والأضياف ، أى ينقصون من ماله» .

(2) المألك : جمع مألكة ، وهى الرسالة .

(3) حرب : هو والد أبى سفيان . ويسعر : يهيج .

(4) فى م ، ر : « بل رب » .

(5) الواعية : الصراخ .

(6) إذا الكواكب خاوية ، يعنى أنها تسقط فى مغربها عند الفجر ، ولا يكون لها أثر ولا مطر ، على مذهب العرب فى نسبتهم ذلك إلى النجوم .

(7) مواميه ، قال أبو ذر: «أى مختلطة العقل» . وقال السهيلى: «موامية ، أى ذليلة . وهى مؤامية ، بهمزة ، ولكنها سهلت فصارت واوا ، وهى من لفظ الأمة ، تقول : تأميت أمة ، أى اتخذتها . ويجوز أن يكون من المواءمة ، وهى الموافقة ، فيكون الأصل: مواءمة ؛ ثم قلب فصار موامية ، على وزن مفالعة . تريد أنها قد ذلت فلا تأبى ، بل توافق العدو على كره» .

قال ابن هشام :

و بعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لِهنَد .

قال ابن إسحاق :

وقالت هند أيضاً :

يا عَيْنُ بَكّى عُتُبهْ   شيخاً شديد الرَّقبَهْ[1]
يُطْعِم يوم المَسْغبه   يدفعُ يومَ المَغْلَبــه[2]
إنّى عليــه حَرِبه   مَلْهوفةٌ مُسْــتَلَبه[3]
لَنهْبِطن يَثْرِبه   بغارةٍ مُنْثعبــه[4]
فيها الخيولُ مُقْرَبه   كلُّ جَوَادٍ سَلْهبَه[5]

شعر صفية

وقالت صَفِيّة بنتُ مُسافر بن أبى عمرو بن أُمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، تبكى أهلَ القَليب الذين أُصيبوا يوم بدر من قُريش : [وتذكر مصابهم] :[6]

يا مَنْ لَعينٍ قَذَاها عائرُ الرّمدِ   حَدَّ النّهارِ وقَرْنُ الشمسِ لم يَقِدِ[7]
أُخْبِرْتُ أنّ سَراة الأكْرَمين معاً   قد أحرزتْهم مَناياهم إلى أَمَد
وَفَرّ بالقَوْم أصحابُ الرّكاب ولم   تَعْطِفْ غداتئذٍ أُمٌّ على وَلَد

(١) عتبة ، أرادت : عتبة ، (باسكان التاء) إلا أنها أتبعتها للعين .

(٢) المسغبة : الجوع والشدة .

(٣) حربة :حزينه غضبى. ومستلبة : مأخوذة العقل . قال السهيلى : «الأجود فى مستلبة ، أن يكون بكسر اللام ، من السلاب ، وهى الخرقة السوداء التى تختمر بها الثكلى .

(٤) كذافى الأصول. ومنثعبة : أى سائلة بسرعة ؛ يقال: انثعب الماء: إذا سال. ويروى: منشعبة ، أى متفرقة .

(٥) المقرب من الخيل: الذى يقرب من البيوت لكرمه . والسلهبة : الفرس الطويل.

(٦) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٧) القذا : ما يقع فى العين والشراب . والعائر : وجع العين ؛ ويقال : هو قرحة تخرج فى جفن العين . وحد النهار : الفصل الذى بين الليل والنهار . وقرن الشمس : أعلاها . ولم يقد ، أى لم يتمكن ضوءه .

قَومِي صَفِيٌّ ولا تَنْسَىْ قرابتَهُم   وإن بَكَيْتِ فما تَبْكين مِنْ بُعُدِ
كانُواسُقُوب[1] سماءالبيتفانقصفت   فأصْبح السَّمْك منها غيرَ ذِي عَمَد

قال ابن هشام :

أنشدنى بيتَها « كانوا سقوب[1] » بعضُ أهل العلم بالشعر .

قال ابن إسحاق :

وقالت صفيّة بنت مُسافر أيضاً :

ألَا يا مَنْ لِعَيْن للتَّبكِّى   دمعُها فانْ[2]
كغَرْبَىْ دالج يَسْقِى   خِلال الغَيْثِ الدَّان[3]
وما ليثُ غَرِيفٍ ذو   أظافِيرٍ وأسْنان[4]
أبو شِبْلَيْن وثّابٌ   شديدُ البَطْش غَرْثان[5]
كَحِبّى إذ تولّى و   وُجوه القوم ألْوان
وبالكفّ حُسام صا   رم أبيضُ ذُكْرَان[6]
وأنت الطاعن النَّجلا   ءِ منها مُزْبدٌ آن[7]

قال ابن هشام : ويروى قولها « وما ليث غريف » إلى آخرها ، مفصولا من البيتين اللذين قبله .

شعر هند بنت أثاثه

قال ابن إسحاق :

وقالت هِند بنت أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب تَرْثِى عُبيدة بن الحارث بن المطّلب:

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والسقوب (بالباء) : عمد الخباء الذى يقوم عليه . وفى ا : «سقوف» .

(٢) كذا فى أكثر لأصول . وفى شرح السيرة لأبي ذر : «قانى» ، أى أحمر ، وكان الأصل أن تقول ، قانئ : بالهمزة ، خففت الهمزة . تريد أن دمعها خالطه الدم .

(٣) الغرب : الدلو العظيمة . والدالج : الذى يمشى بدلوه بين البئر والبستان .

(٤) الغريف : موضع الأسد ، وهى الأجمة .

(٥) غرثان : جائع .

(٦) ذكران : أى سيف طبع من مذكر الحديد .

(٧) مزبد ، أى دم له زبد ، أى رغوة . وآن : حام .

لقد ضُمِّن الصَّفْراءُ مجداً وسُودُدًا ... وحِلْماً أصيلاً وافرَ اللُّبِّ والعَقْلِ[1]
عُبيدةَ فابكيه لأضياف غُرْبةٍ ... وأرمَلة تَهْوِى لأشْعثَ كالجِذْلِ[2]
وبَكّيه للأقْوام فى كلّ شَتْوة ... إذا احْمَرَ آفاقُ السَّماء من المَحْلِ[3]
وبَكّيه للأيْتام والرِّيحُ زَفْزَفٌ[4] ... وتَشْبيب[5] قِدْرٍ طالما أزْبدتْ تَغْلِى[6]
فإن تُصْبح النِّيران قد مات ضَوْءُها ... فقد كان يُذْكِيهن بالحَطَب الجَزْلِ[7]
لطارِقِ لَيْلٍ أو لمُلتمس القِرَى ... ومُسْتنبحٍ[8] أضحَى لديْه على رِسْلِ

قال ابن هشام :

وأكثرُ أهل العلم بالشعر يُنْكرها لهِنْد .

قال ابن إسحاق[9] :

شعر قتيلة بنت الحارث

وقالت قُتيلة[10] بنت الحارث ، أخت[11] النّضر بن الحارث ، تَبْكيه :

---

(١) الصفراء : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) الأشعث : المتغير . والجذل (بالجيم والذال المعجمة) : أصل الشجرة وغيرها . تصفه بالثبات والقوة .

(٣) المحل : القحط .

(٤) الزفزف من الرياح : الشديدة السريعة المرور .

(٥) كذا فى ا . والتشبيب : إيقاد النار تحت القدر ونحوها . وفى سائر الأصول : « تشتيت » .

(٦) أزبدت : رمت بالزبد ، وهى الرغوة .

(٧) الجزل : الغليظ .

(٨) المستنبح : الرجل الذى يضل بالليل فيتكلف نباح الكلب وحكايته لتجاوبه كلاب الحى المتوهم نزولهم فى طريقه ، فيهتدى بصياحه ، والرسل (بالكسر) : اللبن .

(٩) فى ا ، ر : « قال ابن هشام » .

(١٠) قال السهيلى : « الصحيح أنها بنت النضر لا أخته ، كذلك قال الزبير وغيره ، وكذلك وقع فى كتاب الدلائل » .

(١١) كانت قتيلة هذه تحت الحارث بن أبى أمية الأصغر ، فهى جدة الثريا بنت عبد الله ابن الحارث ، التى يقول فيها عمر بن أبى ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان ؟
هى شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمانى !

يا راكبا إنّ الأُثَيْل مظِنّة ... من صُبْح خامسةٍ وأنت مُوفّق[1]
أَبْلِغ بها مَيْتاً بأنّ تحيّــةً ... ما إن تزال بها النَّجائب تَخْفِق[2]
منّى إليك وعَـــبْرةً مسْفُوحةً ... جادتْ بوَاكِفها وأُخْرى تَخْنُق[3]
هل يَسْمعنّى النّضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يَسْمع ميّتٌ لا يَنْطِق
أمحمد ياخـــيرَ ضنْءِ كريمةٍ[4] ... فى قَوْمها والفحلُ فحلٌ مُعْرِق[5]
ما كان ضرّك لو مَننْتَ وربما ... مَنّ الفتى وهو المَغيظ المُحْنَق[6]
أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلْيُنفقنْ ... بأعزّ ما يَغْـــلو به ما يُنْفق[7]
فالنّضر أقربُ مَنْ أسرت قرابةً ... وأحقّهم إن كان عِتْق يُعتق
ظلّت سـيوفُ بنى أبيه تَنُوشُه ... لله أرحامٌ هناك تُشَـــقّق[8]
صَـبْراً[9] يُقاد إلى المنيّة مُتْعباً ... رَسْفَ المُقيَّد وهو عانٍ مُـوثَق[10]

قال ابن هشام :

فيقال ، والله أعلم : إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لمّـا بلغه هذا الشعرُ ، قال : لو بلغنى هذا قبل قتله لَمَنَنْتُ عليه .

تاريخ الفراغ من بدر

قال ابن إسحاق :

وكان فراغُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من بدر فى عَقِب شهر رمضان أو فى شوال .

---

(1) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء . ومظنة ، أى موضع إيقاع الظن.
(2) النجائب : الإبل الكرام . وتخفق : تسرع.
(3) الواكف : السائل .
(4) الضنء : الأصل . ورواية هذا الشطر فى الروض .
* أمحمدها أنت ضئ نجيبة *
والضيُ : الأصل والولد .
(5) المعرق : الكريم .
(6) المحنق : الشديد الغيظ .
(7) كذا فى الأصول . ورواية هذا البيت فى الأغانى (ج ۱ ص ۱۹ طبع دار الكتب المصرية):
أو كنت قابل فدية فلنأتين ... بأعز مايغلو لديك وينفق
(8) تنوشه : تتناوله . وتشقق : تقطع .
(9) فى شرح السيرة : « قسرا » . والقسر : القهر والغلبة .
(10) الرسف : المشى الثقيل ، كمشى المقيد ونحوه . والعانى : الأسير . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى ، (ج ۱ ص ۱۹ طبع دار الكتب والحماسة (ص ٤۲۷ طبع أوربا) باختلاف فى ترتيبها وبعض ألفاظها .

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق :

فلما قدِم [رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم][1] لم يُقِم بها إلا سبعَ ليالٍ [حتى][1] غزا بنفسه ، يريد بنى سُليم .

قال ابن هشام :

واستعملَ على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغِفارىّ ، أو ابن أم مَكتوم .

قال ابن إسحاق :

فبلغ ماءً من مِياههم ؛ يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْق كيداً ، فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جُلّ الأسارَى من قُريش[2] .

---

(1) زيادة عن : ا .
(2) إلى هنا ينتهى الجزء العاشر من أجزاء السيرة .

غزوة السويق

عدوان أبي سفيان وخروج الرسول في أثره

قال حدّثنا أبو محمّد عبد الملك بن هشام: قال حدّثنا زيادُ بن عبدالله البَكّائى عن محمد بن إسحاق المُطلبى قال :

ثم غَزَا أبو سفيان بن حَرْب غَزْوة السَّويق فى ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المُشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان ، كما حدّثنى محمد ابن جعفر بن الزّبير ، ويَزيد بن رُومان ، ومن لا أتّهم عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجَع فَلُّ[1] قُريش من بدر ، نذَر أن لا يمسّ رأسَه ماء من جَنابة[2] حتى يَغْزو محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج فى مِئَتَىْ راكب من قُريش ، ليَبرّ يمينَه ، فسلك النّجْدية ، حتى نزل بصَدْر قَناة إلى جَبَل يقال له : ثَيْب[3] ، من المدينة على بَريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بنى النَّضير تحت الليل ، فأتى حُيَيّ بن أَخْطب ، فضرب عليه بابَه ، فأَبَى أن يفتح له بابَه وخافَه ، فانصرف عنه إلى سَلاّم بن مِشْكم ، وكان سيّد بنى النَّضير فى زمانه ذلك ، وصاحبَ كَنْزهم[4] ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فقَراه[5] وسَقاه ، وبَطَن[6] له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى

---

(١) الفل ، القوم المنهزمون .

(٢) قال السهيلى : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما بقى معهم الحج والنكاح » .

(٣) فى م ، ر : « نيب » .

(٤) يريد « بالكنز » : المال الذين كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يعرض لهم .

(٥) قراه : أى صنع له القرى ، وهو طعام الضيف .

(٦) بطن له ، أى أعلمه من سرهم .

أصحابَه ، فبعث رجالاً من قُريش إلى المدينة ، فأتَوْا ناحية منها ، يقال لها : العُرَيْض فحرقوا فى أصْوار[١] من نخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له فى حَرْث لهما ، فقتَلوهما ، ثم انصرفوا راجعين [٢] ، ونَذِر بهم الناسُ . فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى طَلَبهم ، واُستعملَ على المدينة بَشير ابنَ عبد المُنذر ، وهو أبو لُبابة ، فيما قال ابن هشام[٣] ، حتى بلغ قَرْقَرة[٤] الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأَوْا أزوادا من أزواد القوم قد طَرحوها فى الحَرْث يتخفّفون منها للنجاء[٥] ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رسولَ الله ، أتَطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

سبب تسميتها بغزوة السويق

قال ابن هشام :

وإنما سُمِّيت غزوة السَّويق[٦] ، فيما حدَّثنى أبو عُبيدة : أنّ أكثر ما طرح القومُ من أَزْوادهم السَّويقُ ، فهَجم المسلمون على سَويق كثير ، فسُمِّيت غزوة السويق .

شعر أبى سفيان فيها

قال ابن إسحاق :

وقال أبو سُفيان بن حَرْب عند مَنْصرفه ، لما صنع به سلاّم بن مِشْكم :

---

(١) الأصوار : جمع صور ، وهو جماعة النخل .

(٢) مكان هذه العبارة من قوله : « واستعمل على المدينة » إلى قوله « فيما قال ابن هشام متأخر فى « ا » إلى آخر القصة .

(٣) نذر بهم الناس : علموا بهم .

(٤) قرقرة الكدر : موضع بناحية المعدن ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (راجع معجم البلدان) .

(٥) النجاء : السرعة .

(٦) السويق : هو أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحوذلك ، ثم تطحن ، ثم يسافر بها ، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن وتلت ، فإن لم يكن شىء من ذلك مزجت بالماء .

وإنى تخيَّرتُ المدينةَ واحدًا لِحِلفٍ فلم أندَم ولم أتَلوَّمِ[1]
سقانى فرَّوانى كُمَيتاً مُدامة[2] على عَجَلٍ منّى سَلاَم بن مِشْكَمِ[3]
ولما تولّى الجَيْشُ قلتُ ولم أكُنْ لِأُفْرِحَه : أبشرْ بعزٍّ ومَغْنَمِ[4]
تأمّلْ فإنّ القومَ سِرٌّ وإنهم صريحُ لُؤَىّ لا شَماطِيطُ جُرْهُمِ[5]
وما كان إلا بعضُ ليلةِ راكبٍ أتَى ساعياً[6] من غير خَلّة مُعْدِمِ

غزوة ذى أمر

فلمّا رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من غَزْوة السَّويق ، أقام بالمدينة بقيّةَ ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجدًا ، يريد غَطَفان ، وهى غزوة ذى أَمَرَ ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفّان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق :

فأقام بنَجْد صفراً كلّه أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كيدا . فلَبِث بها شهر ربيع الأول كُلّه ، أو إلا قليلاً منه .

---

(١) المدينة ، أراد : من المدينة ، فحذف حرف الجر . ولم أتلوم ، أى لم أدخل فيما ألام عليه .

(٢) الكميت : من أسماء الخمر .

(٣) سلام بن مشكم ، قال أبو ذر : « إنه أراد أن يقول : سلام بن مشكم ، بتشديد اللام ، لكنه خففه لضرورة الشعر ، ولم يذكر الدارقطنى سلاما بالتخفيف إلا فى عبد الله بن سلام وحده » . وذكر السهيلى أنه بتخفيف اللام وتشديدها .

(٤) لأفرحه ، أى لأشق عليه .

(٥) سر القوم . خالصهم ؛ وكذلك الصريح منهم . والشماطيط : المختلطون .

(٦) ساعيا ، قال أبو ذر : « من رواه ساعيا ، فهو من السعى ، وهو معلوم .. ومن رواه ساغبا ، فالساغب : الجائع ، ومن رواه : شاعبا ، فهو من التفرق » .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا [رسولُ الله][1] صلّى الله عليه وسلّم ، يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مَكْتوم ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابن إسحاق :

حتى بلغ بَحْرانَ ، مَعْدِناً بالحجاز من ناحية الفُرُع[2] ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلْق كيداً .

أمر بنى قينقاع

نصيحة الرسول لهم وردهم عليه

[قال][1] :

وقد كان فيما بين ذلك ، مِن غَزْو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أمرُ بنى قَيْنُقاع ، وكان من حديث بنى قَيْنقاع أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم جمعهم بسوق [بنى][1] قَيْنقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثلَ ما نزل بقُريش من النّقمة ، وأسْلِموا ، فإنّكم قد عرَفتم أنّى نبىّ مُرْسل ، تجدون ذلك فى كِتابكم وعهد الله إليكم ؛ قالوا : يا محمد ، إنك ترَى أنّا قومُك ! لاَ يغُرّنك أنك لقيتَ قومًا لا عِلم لهم بالحرب ، فأصبْتَ منهم فُرصَةً ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس .

ما نزل فيهم

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولًى لآل زيد بن ثابت عن سَعيد بنُ جبير ، أو عن عِكْرمة عن ابن عبّاس ، قال :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) الفرع (بضمتين) : قرية من ناحية المدينة ، ويقال : هى أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة .

ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا » أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقريش « فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ » .

كانوا أول من نقض العهد

قال ابن إسحاق : وحدّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة :

أن بني قَيْنقاع كانوا أوّل يهودَ نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد .

سبب الحرب بينهم وبين المسلمين

قال[1] ابن هشام : وذكر عبدُ الله بن جعفر بن الْمِسوَر بن مَخْرمة عن أبي عَوْن قال :

كان من أمر بني قَيْنقاع أن امرأةً من العرب قَدِمتْ بجَلَب[2] لها ، فباعته بسوق بني قَيْنقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يُريدونها على كَشْف وجهها ، فأَبَت ، فعَمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها ، فعَقده إلى ظَهْرها ، فلما قامت انكشفت سَوْءتها ، فضَحِكوا بها ، فصاحتْ . فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديّا ، وشدَّت اليهود على المُسلم فقَتلوه ، فاستصرخ أهلُ المُسلم المسلمينَ على اليهود ، فغَضِب المسلمون ، فوَقع الشرّ بينهم وبين بني قَيْنقاع .

ما كان من ابن أبيّ مع الرسول

قال ابن إسحاق : وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قَتادة قال :

فحاصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نَزلوا على حُكْمه ، فقام إليه عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلُول ، حين أَمْكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسنْ في مَواليّ ، وكانوا حُلفاء الخَزْرج ؛ قال : فأَبطأ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال : يا محمد ، أَحْسنْ في مواليّ ، قال : فأعرض عنه . فأَدْخل يدَه في جَيْب

---

(١) في ا : « قال وحدثنا ابن هشام » .

(٢) الجلب (بتحريك اللام) : كل مايجلب للأسواق ليباع فيها .

دِرْع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفُضول .

قال ابن إسحاق :

فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أرْسلنى ، وغَضِب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى رأوا لوجهه ظُللا[١] ، ثم قال : ويحك ! أَرْسلنى ؛ قال : لاوالله لا أُرسلك حتى تُحْسن فى موالىّ ، أربع مئة حاسر[٢] وثلاث مئة دارع[٣] قد مَنعونى من الأحمر والأسود ، تَحْصدهم فى غَداة واحدة ، إنّى والله أمرؤٌ أخشى الدّوائر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هم لك .

مدة حصارهم

قال ابن هشام :

واستعمل رسولُ الله صلّى اُلله عليه وسلّم على المدينة فى مُحاصرته إياهم بَشِير ابن عبد المُنذر ، وكانت مُحاصرته إياهم خمسَ عشرَة ليلة .

تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفى ابن أبى

قال ابن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاقُ بن يَسار عن عُبادة بن الوَليد ابن عبادة بن الصّامت قال :

لما حاربتْ بنو قَينْقاع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم تشبّث بأَمرهم عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلُول ، وقام دونهم . قال : ومشى عُبادة بن الصامت إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان أحدَ بنى عوف لهم من حِلْفِه مثلُ الذى لهم من عبد الله بن أُبىّ ، فَخَلعهم إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وتبّرأ إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى رسوله صلّى الله عليه وسلّم من حِلْفِهم ، وقال : يا رسولَ الله ، أتولّى اللهَ ورسوله صلّى الله عليه وسلّم والمُؤمنين ، وأبرأ من حِلْف

---

(١) الظلل : جمع ظلة ، وهى السحابة فى الأصل ، فاستعارها هنا لتغير الوجه إلى السواد إذا اشتد غضبه . ويروى : ظلالا ، وهى بمعناها .

(٢) الحاسر : الذى لادرع له .

(٣) الدارع : الذى عليه الدرع .

هؤلاء الكفّار وولايتهم . قال : ففيه وفى عبد الله بن أُبىّ نزلت هذه القصّة من المائدة : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » أى لعبد[1] الله بن أُبىّ وقوله : إنى أخشى الدّوائر « يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى ٱللهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهٰؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِٱللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ »، ثم القصة إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ». وذكر[2] لتولّى عُبادة بن الصّامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بنى قَيْنقاع وحِلفهم ووِلايتهم : « وَمَنْ يَتَوَلَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

إصابة زيد للعير وإفلات الرجال

قال ابن إسحاق :

وسريّةُ زيد بن حارثة التى بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها ، حين أصاب عِيرَ قُريش ، وفيها أبو سفيان بنُ حَرْب ، على القَرَدة ، ماء من مياه نَجد . وكان من حديثها : أنّ قريشاً خافُوا طريقَهم الذى كانوا يسلكون إلى الشأم ، حين كان من وَقْعة بدر ما كان ، فسَلكوا طريقَ العِراق ، فخرج منهم تُجَّار ، فيهم : أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضّة كثيرة ، وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بنى بكر بن وائل ، يقال له : فُراتُ بن حيّان[3] يدُلّهم فى ذلك على الطريق .

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « كعبد » .
(٢) فى م ، ر : « وذلك » .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حبان » بالباء الموحدة . وهما روايتان فيه ، إلا أن ما أثبتناه أشهر .

قال ابن هشام :

فُرات بن حيّان ، من بنى عِجْل ، حليف لبنى سَهْم .

قال ابن إسحاق :

وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة فلَقِيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العِير وما فيها ، وأعجَزه الرجالُ ، فقَدِم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

شعر حسان فى تأنيب قريش

فقال : حسّان بن ثابت بعد أُحُد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لأَخْذهم تلك الطريق :

دَعُوا فَلَجاتِ الشامِ قد حال دونها ... جِلادٌ كأفْواه المَخَاض الأوارِكِ[1]
بأَيْدِى رجال هاجروا نحو ربّهم ... وأنصارِه حقًّا وأَيْدِى الملائِكِ
إذا سَلَكتْ للغَوْر من بَطْن عالِجٍ ... فقُولا لها : ليس الطريقُ هنالكِ[2]

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ فى أبيات لحسّان بن ثابت ، نقضَها عليه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطّلب ، وسنذكرها ونقيضَتها إن شاء الله [فى][3] موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

استنكاره خبر رسولى الرسول بقتل ناس من المشركين

قال ابن إسحاق :

[4]وكان من حديث كَعْب بن الأشرف أنه لما أُصيب أصحاب بدر ، وقدم زيدُ بن حارثة إلى أهل السّافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشيرَيْن ،

---

(١) الفلجات : جمع فلجة ، وهى العين الجارية . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر.

(٢) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : موضع به رمل كثير.

(٣) زيادة عن ا .

(٤) زادت م ، ر قبل هذه الكلمة : «وقال كعب بن الأشرف» .

بعثهما رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفَتح اللهِ عزّ وجلّ عليه ، وقَتْل مَنْ قُتِل من المشركين ، كما حدّثنى عبدُ الله بن المُغيث ابن أبى بُرْدة الظَّفَرى ، وعبدُ اللهِ بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، وصالح بن أبى أُمامة بن سَهل ، كلٌّ قد حدّثنى بعضَ حديثه ، قالوا :

قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طَيِّئ ، ثم أحدَ بَنى نَبْهان ، وكانت أمّه من بنى النَّضِير ، حين بلغه الخبرُ : أحقٌّ هذا ؟ أتَرَوْن محمّدا قتل هؤلاء الذين يُسمّى هذان الرجلان ــ يعنى زيدًا وعبد الله بن رواحة ــ فهؤلاء أَشْراف العرب وملوكُ الناس ، والله لئن كان محمّد أصابَ هؤلاء القوم ، لبَطْنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

شعره فى التحريض على الرسول

فلما تيقّن عدوّ الله الخبرَ ، خرج حتى قَدِم مكّة فنزل على المطّلب بن أبى وَداعة بنُ ضبيرة السَّهْمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العِيص بن أُميّة بن عبد شَمْس ابن عبد مناف، فأنْزلته وأكرَمْته ، وجعل يحرّض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويُنْشِد الأشعار، ويبكى أصحاب القَليب من قُرَيش،الذين أُصيبُوا ببدر،فقال:

طَحَنَتْ رحى بدْرٍ لِمَهْلك أهــلِهِ ... ولِمثْلِ بدْرٍ تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ[1]
قُتِلتْ سَراةُ الناس حول حِياضِهم ... لا تَبْعَدوا إنَّ المُلوكَ تُصَرَّعِ
كم قد أُصِيب به منَ أبْيَض ماجدٍ ... ذى بَهْجة يأوِى إليــه الضُّيَّعِ[2]
طَلْقِ اليَدَيْن إذا الكواكبُ أخلفَتْ ... حَمّالِ أثقال يَسُــــــود ويَرْبَعِ[3]
ويقول أقــوامٌ أُسَرُّ بسُخْطهم ... إنَّ ابنَ الأشرفِ ظلَّ كعْباً يَجْزَعِ
صدقوا فليتَ الأرض ساعةَ قُتِّلوا ... ظلّت تَسُوخ بأهلها وتُصَــدَّعِ

(١) رحى الحرب . معظمها ومجتمع القتال . وتستهل : تسيل بالدمع .

(٢) الضيع : جمع ضائع ، وهو الفقير .

(٣) طلق اليدين ، أى كثير المعروف . وأخلفت : أى لم يكن معها مطر ، على ما كانت العرب تنسب إلى هذه الكواكب . ويربع : أى يأخذ الربع ، أى أنه كان رئيسا ، لأن الرئيس فى الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة .

صار الذى أثرَ الحديثَ بطَعْنة   أو عاش أعمى مُرْعَشاً لاَ يَسْمعُ
نُبِّئْت أن بَنى المُغيرة كلَّهم   خَشَعوا لقَتْل أبى الحَكيم وجُدِّعُوا[1]
وابنا ربيعة عنده ومُنَبِّهٌ   ما نال مِثْل المُهْلَكين وتُبَّعٌ[2]
نُبِّئْتُ أنّ الحارث بن هشامهم   فى الناس يَبْنى الصالحات ويَجْمع
ليزُور يَثْرِب بالجُموع وإنما   يَحْمِى على الحَسَبِ الكريمُ الأرْوَعُ[3]

قال ابن هشام: قوله «تُبَّع»، «وأسر بسُخْطهم»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق:

شعر حسان فى الرد عليه

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصارى، فقال:

أَبَكَى لكَعْبٍ[4] ثم عُلَّ[5] بعَبْرة   منه وعاش مُجَدَّعا لا يَسْمَعُ؟
ولقد رأيتُ ببَطْن بدرٍ منهمُ   قَتْلى تَسُحّ لها العيون وتَدْمَع[6]
فابكى فقد أبكيتَ عبداً راضعاً   شِبْه الكُلَيْب إلى الكُلَيْبة يَتْبَع
ولقد شَفَى الرحمنُ منا سيّداً   وأهانَ قوماً قاتلوه وصُرِّعُوا
ونجا وأُفْلِت منهم من قَلْبُه   شَعِفٌ[7] يظَلّ لخَوْفه يتَصَدَّع

قال ابن هشام:

وأكثر أهل العلم بالشّعر يُنكرها لحسّان[8]. وقوله «أبكى لكعب» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) التجديع: قطع الأنف. وأراد به هنا: ذهاب عزم.

(٢) تبع: ملك من ملوك اليمن.

(٣) الأروع: الذى يروعك بحسنه وجماله.

(٤) كذا فى أكثر الأصول. وفى ا: «أبكاه كعبا». وفى الروض: «بكى كعبا». قال السهيلى: «وفيه دخول زحاف على زحاف، وهو غريب فى الزحاف، فإنه زحاف سهل زحافا، ولولا الزحاف الذى هو الإضمار ماجاز ألبتة حذف الرابع من متفاعلن».

(٥) عل، من العلل، وهو الشرب بعد الشرب، يريد البكاء بعد البكاء.

(٦) تسح: تصب.

(٧) كذا فى الأصول. قال أبو ذر. من رواه بالعين المهملة، فمعناه: محترق ملتهب. ومن رواه بالغين المعجمة، فمعناه: أن الحزن بلغ إلى شغاف قلبه، والشغاف: حجاب القلب.

(٨) قد بحثنا فى شعر حسان فلم نجد هذه القصيدة.

شعر ميمونة في الرد على كعب

قال ابن إسحاق :

وقالت امرأةٌ من المسلمين من بنى مُرَيْد[1] ، بطن من بَلِيّ ، كانوا حلفاء فى بنى أُميّة بن زيد؛ يقال لهم: الجَعادرة ، تُجيب كَعبا ــ قال ابن إسحاق : اسمُها ميمونة بنت عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها ، وينكر نَقِيضَتَها لكعب بن الأشرف ــ :

تحنَّن هــذا العبدُ كلَّ تحنُّن ... يُبَكِّى على قَتْلى وليس بناصبِ
بكتْ عينُ من يبكى لَبدر وأهله ... وعُلّت بمثليها لُؤَىّ بن غالب
فليتَ الذين ضُرّجــوا بدِمائهم ... يَرى مابهم من كان بين الأَخاشب[2]
فَيَعلَمَ حقًّا عن يقين ويُبْصِروا ... مَجَرّهُم فوق اللِّحَى والحَواجب

شعر كعب فى الرد على ميمونة

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألاَ فازجُرُوا منكم سفيهاً لتَسْلَموا ... عن القول يأتى منه غيرَ مُقارِبِ[3]
أَتَشْتُمنى أن كنتُ أبكى بَعَبْرة ... لقَوْمٍ أتانى وِدُّهم غــيرُ كاذب
فإنى لباكٍ ما بقيتُ وذاكر ... مآثر قوم مَجْــدُهم بالْجَباجب[4]
لعَمْرى لقد كانت مُرَيْدٌ بِمَعْزِل ... عن الشَّرّ فاحتالتْ[5] وُجوهَ الثّعالب
فحُــقّ مُرَيدٌ أنْ تُجَدّ[6] أنوفُهم ... بِشَتْمهمُ حَــيّىْ لؤىّ بن غالب
وهَبْتُ نَصيبى من مُرَيد لجَعْدَر ... وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

(١) يروى بفتح الراء وكسرها ، والصواب الأول .

(٢) ضرجوا : لطخوا . والأخاشب : يريد : الأخشبين ، وهما جبلان بمكة ، وجمعهما هنا مع ماحولهما .

(٣) يريد « بالسفيه » : ميمونة ، قائلة الشعر السابق ، وذكر لأنه حمل ذلك على معنى الشخص ، والشخص يذكر ويؤنث .

(٤) الجباجب : منازل مكة .

(٥) كذا فى م ، ر . واحتالت : تغيرت . وفى سائر الأصول : « فاختالت » بالخاء المعجمة ، وهو من الاختيال ، بمعنى الزهو . ويروى : « فاجتالت » بالجيم ، واجتال الشيء : تحرك . ونصبت « وجوه الثعالب » على الذم .

(٦) فى ا : تجذ » .

تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة فى قتله

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبّب[1] بنساء المُسلمين حتى آذاهم. فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، كما حدّثنى عبدُ الله بنُ المُغيث بن أبى بُرْدة: مَنْ لى بابن الأشرف؟ فقال له محمدُ بنَ مَسْلمة، أخو بنى عبد الأشهل: أنا لك به يا رسولَ الله، أنا أقتُله؛ قال: فافعل إن قدرتَ على ذلك[2]. فرجع محمّد ابن مَسْلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعْلق به نفسه، فذُكر ذلك لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، فدعاه، فقال له: لم تركتَ الطعام والشراب؟ فقال: يا رسولَ الله، قلت لك قولاً لا أدرى هل أفِيَن لك به أم لا؟ فقال: إنما عليك الجهد؛ فقال: يارسولَ الله، إنه لابد لنا من أن نقول: قال: قولوا مابدا لكم، فأنتم فى حلّ من ذلك. فاجتمع فى قتله محمّد بن مَسْلمة، وسِلْكان بن سلامة ابنَ وَقْش، وهو أبو نائلة، أحد بنى عبد الأشْهل، وكان أخا كَعْب بن الأَشْرف من الرّضاعة، وعبّاد بن بِشْر بن وقش، أحدُ بنى عَبْد الأشهل، والحارث ابن أوس بن مُعاذ، أحد بنى عبد الأَشْهل، وأبو عَبْس بن جَبْر[3]، أحد بنى حارثة؛ ثم قدَّموا إلى عدوّ الله كَعْب بن الأشرف، قبل أن يأتوه، سِلْكان بن سلاَمة، أبا نائلة، فجاءه، فتحدّث معه ساعة، وتناشدُوا شعراً، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: ويحك يا بن الأشرف! إنى قد جِئْتُك لحاجة أُريد ذكرها لك، فاكتُم عنّى؛ قال: أفعلُ؛ قال: كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء، عادَتْنا به العربُ، ورَمَتْنا عن قوس واحدةٍ، وقَطَعت عنا السُّبُل حتى ضاع العِيال، وجُهِدت الأنفس، وأصبحنا قد جُهِدْنا وجهد عيالُنا؛ فقال

---

(1) يروى أنه شبب بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب، فقال:

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فى أبيات له.

(2) قال السهيلى: فى هذه من الفقه وجوب قتل من سب النبى صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهد، خلافا لأبى حنيفة رحمه الله، فإنه لايرى قتل الذمى فى مثل هذا».

(3) فى م: «حبر» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. (راجع الاستيعاب).

كعب : أنا ابنُ الأَشْرَف ، أمَا والله لقد كنتُ أُخبرك يا بن سلامة أنّ الأمر سَيصير إلى ما أقولْ ؛ فقال له سِلْكان : إنى قد أردتُ أن تَبيعنا طعامًا ونَرْهنَك ونُوثِقَ لك ، وتُحْسِن فى ذلك ؛ فقال : أتَرْهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تَفْضَحنا ، إنّ معى أصحابًا لى على مثل رأيى ، وقد أردتُ أن آتيَك بهم، فَتبيعهم وتُحْسن فى ذلك ، ونرْهنك من الحَلَقة[1] ما فيه وَفاء ، وأراد سلكان أن لا يُنْكر السِّلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن فى الحَلْقة لوَفاء ؛ قال : فرجع سِلْكانُ إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ،ثم يَنْطلقوا فيَجْتمعوا إليه ، فاجتمعُوا عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن هشام

ويقال : أترهنونى نِساءكم ؟ قال : كيف نَرْهنك نساءنا ، وأنت أشبّ أهل يَثْرِب وأعْطرهم ؛ قال : أترهنونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدّثنى ثَوْر بن زَيْد عن عكرمة عن ابن عبّاس . قال :

مشى معهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بَقيع الغَرْقد ، ثم وجّههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ؛ اللهم أَعِنْهم ، ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بَيْته ، وهو فى ليلة مُقْمِرة ، وأقْبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه ، فهَتف به أبونائلة ، وكان حديث عهد بعُرْس ، فوثب فى[2] مِلْحفته ، فأخذتْ امرأتُه[3] بناحِيتها وقالت : إنك امرؤٌ مُحارب ، وإن أصحابَ الحَرْب لا يَنْزلون فى هذه السّاعة ؛ قال : إنه أبو نائلة ، لو وَجدنى نائمًا لما أيْقظنى ؛ فقالت : والله إنى لأعرف فى صَوْته الشرّ ؛ قال : يقول لها كَعْب : لو يُدْعَى الفتى لطَعْنة لأجاب . فنزل فتحدّث معهم ساعةً ، وتحدّثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن نَتماشى

(١) يريد « بالحلقة » : السلاح كله ، وأصلها فى الدروع .
(٢) فى ر : « عليه » . وفى م : « إن » . وهو تحريف .
(٣) فى م ، ر : « امرأة » .

إلى شِعْب العَجُوز[١] ، فنتحدّث به بقيّة ليلتَنا هذه ؟ قال : إن شِئْتم . فخرجوا يَتماشَوْن ، فمَشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شامَ[٢] يده فى فَوْد رأسه ، ثم شمّ يده فقال : ما رأيت كالليلة طِيباً أعطرَ قطُّ ، ثم مَشَى ساعة ، ثم عاد لِمثلها حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوَّ الله فضربوه ، فاختلفت عليه[٣] أسيافُهم ، فلم تُغْنِ شيئاً .

قال محمّد بن مَسْلمة : فذكرتُ مِغْولاً[٤] فى سَيْفى ، حين رأيتُ أسيافَنا لا تُغْنى شيئاً ، فأخذتُه ، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبقَ حولنا حِصْنٌ إلاّ وقد أُوقِدتْ عليه نارٌ . قال : فوضعته فى ثُنَّته[٥] ، ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانتَه ، فوقع عدوُّ الله ، وقد أُصيب الحارث بنُ أوس بن مُعاذ ، فجرح فى رَأسه أو فى رجله ، أصابَه بعضُ أسْيافنا . قال : فخرجنا حتى سَلَكنا على بنى أُمية بن زيد ، ثم على بنى قُرَيظة ، ثم على بُعاث حتى أَسْنَدْنا[٦] فى حَرّة[٧] العُرَيْض[٨] ، وقد أَبْطأ علينا صاحِبُنا الحارث بن أَوْس ، ونَزَفه[٩] الدمُ ، فوَقَفْنا له ساعة ، ثم أتانا يَتْبَع آثارَنا . قال : فاحتملناه فجئْنا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم آخرَ الليل ، وهو قائم يُصلّى ، فسلّمنا عليه ، فخَرَج إلينا ، فأخبرْناه بقَتْل عدوّ الله ، وتَفَلَ على جُرح صاحِبنا ، فرَجَع ورَجَعْنا إلى أهلنا ، فأَصْبحنا وقد خافتْ يهود لوَقْعَتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يَخاف على نفسه .

---

(١) شعب العجوز : بظاهر المدينة .

(٢) شام يده : أدخلها .

(٣) فى م ، ر : « عليهم » .

(٤) المغول : السكين التى تكون فى السوط .

(٥) الثنة : مابين السرة والعانة .

(٦) أسندنا : ارتفعنا .

(٧) الحرة : أرض فيها حجارة سود .

(٨) العريض : وادى المدينة .

(٩) نزفه : أضعفه بكثرة سيلانه .

شعر كعب ابن مالك فى مقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحاق : فقال كَعْب بن مالك :

فغُودِر منهمُ كعبٌ صريعاً ... فَذلَّتْ بعد مَصْرَعه النَّضِيرُ
على الكفَّين ثَمَّ وقد عَلَتْه ... بأَيْدِينا مشهَّرةٌ ذكُور
بأمر محمد إذ دسَّ ليلاً ... إلى كَعْب أخا كعب يَسِير
فَماكَرَهُ فأنزله بمَكْر ... ومحمودٌ أخو ثِقة جَسُور

قال ابن هشام :

وهذه الأبياتُ فى قصيدة له فى يوم بنى النّضير، سأذكرُها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

شعر حسان فى مقتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت يذكر قتلَ كَعْب بن الأشرف وقَتْلَ سَلّام ابن أبي الحُقَيق .

لله دَرُّ عِصابة لاقيتهم ... يابن الحُقَيق وأنت يابن الأَشْرفِ
يَسْرُون بالبِيض الخِفاف إليكمُ ... مَرَحًا كأُسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرف(١)
حتى أتوكم فى مَحلِّ بِلادكم ... فسَقَوكم حَتْفاً ببِيض ذُفَفِ(٢)
مُسْتَنْصرين لنَصْر دِين نبيّهم ... مُسْتَصغرين لكُل أمرٍ مُجْحِف

قال ابن هشام :

وسأذكر قتلَ سلاّم بن أبي الحُقَيق فى موضعه إن شاء الله .

وقوله : « ذفف » ، عن غير ابن إسحاق .

---

(١) العرين : موضع الأسد . ومغرف : ملتف الشجر .

(٢) يريد « بالبيض » : السيوف . وذفف : سريعة القتل .

أمر محيصة وحويصة

لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديا ثم إسلامه

قال ابن إسحاق :

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ ظَفِرتُم به من رجال يهود فاقتُلوه، فوثب مُحيصة بن مَسْعود ـ قال ابن هشام : [مَحِيصة][1] ، ويقال : مُحَيِّصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدىّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس ـ على ابن سُنَينة ـ قال ابن هشام: ويقال سُبَينة[2] ـ رجلٍ من تجّار يهود ، كان يُلابسهم ويُبايعهم، فقتله . وكان حُوَيِّصة بن مَسْعود إذ ذاك لم يُسْلم ، وكان أسنَّ من مُحَيِّصة ، فلما قتله جعل حُوَيِّصة يَضْربه ، ويقول : أى عدوّ الله ، أقتلتَه ، أما والله لرُبّ شحمٍ فِى بَطْنك من ماله . قال مُحيِّصة ؛ فقلت : والله لقد أمرنى بقتْله من لو أمرنى بقَتْلك لضربتُ عنقك ؛ قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويِّصة قال : آو الله لو أمرك محمّد بقَتْلى لقتلتَنى؟ قال : نعم والله لو أمرنى بضَرْب عُنقك لضربتُها ! قال : والله إنّ ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حُوَيِّصة .

قال ابن إسحاق : حدّثنى هذا الحديث مولًى لبنى حارثة ، عن ابنة مُحيِّصة عن أبيها مُحَيِّصة .

شعر محيصة فى لوم أخيه له

فقال مُحيِّصة فى ذلك :

يَلُومُ ابنُ أُمّى لو أُمِرْتُ بِقَتْله ... لطَبَّقتُ ذِفْراه بأَبْيض قاضبِ[3]

حُسامٍ كلَوْن المِلْح أُخْلِص صَقْله ... متى ما أُصَوِّبْه فليس بكاذب

(1) زيادة عن ا .

(2) كذا فى ا . وفى سائر الأصول . « شبينة » وظاهر أن كليهما محرف عن « شنينة » بنونين . (راجع الروض الأنف) .

(3) طبق : قطع وأصاب المفصل . والذفرى : عظم ناتئ خلف الأذن . والأبيض القاضب : السيف القاطع .

وما سَرّنى أنى قتلتُكَ طائعاً وأنّ لنا ما بين بُصْرى ومَأْرِب

رواية أخرى في إسلام حويصة

قال ابن هشام : وحدّثنى أبو عُبيدة عن أبى عَمرو المَدَنى ، قال :

لما ظَفِر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ببنى قُرَيظة أخذ منهم نحواً من أربع مئة رجلٍ من اليهود ، وكانوا حلفاءَ الأوس على الخزرج ، فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأن تُضرب أعناقُهم ، فجعلت الخزرجُ تضرب أعناقَهم ويسرّهم ذلك ، فنظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الخزرج ووجوهُهم مُسْتَبْشرة ، ونظر إلى الأوس فلم يَرَ ذلك فيهم ، فظنّ أن ذلك للحِلْف الذى بين الأوس وبين بنى قُريظة ، ولم يكن بَقِى من بنى قُريظة إلا اثنا عشَرَ رجلاً ، فدفَعهم إلى الأوس ، فَدفع إلى كلّ رجلين من الأوس رجلاً من بنى قُريظة وقال : ليضربْ فلانٌ وليذفِّفْ فلان . فكان ممّن دفع إليهم كعبُ بن يَهوذا ، ١

وكان عظيماً فى بنى قُريظة ، فدفعه إلى مُحيِّصة بن مَسْعود ، وإلى أبى بُرْدة ابن نَيّار ـ وأبو بُرْدة الذى رخص له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى أن يذْبح جَذَعا من المَعْز فى الأَضْحى ـ وقال : ليضربه مُحيِّصة وليذفّف عليه أبو بُردة ، فضَربه مُحيِّصة ضربةً لم تَقطع ، وذفّف أبو بُردة فأجْهز عليه . فقال حُويّصة ، وكان كافرا ، لأخيه محيِّصة : أقتلتَ كَعْب بن يَهوذا ؟ قال : نعم ؛ فقال ١

حُويِّصة : أما والله لرُبَّ شَحْم قد نَبَت فى بَطْنك من ماله ، إنك للئيم يا مُحيِّصة ؛ فقال له مُحيِّصَة : لقد أمَرَنى بقَتْله من لو أمَرَنى بقتلك لقتلتك ؛ فعَجِب من قوله ثم ذهب عنه متعجّبا . فذكَروا أنه جَعل يتيقّظ من الليل : فَيعجب من قول أخيه مُحيِّصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لَدِين . ثم أتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فأسلم ، فقال محيِّصة فى ذلك أبياتاً قد كتبْناها . ٢

المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد

قال ابن إسحاق :

وكانت إقامةُ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، بعد قُدومه من بَحْران، جمادى الآخرة ورجباً وشَعبان وشهر رمضان ، وغزَتْه قريشٌ غزوَة أُحُد فى شوال سنة ثلاث .

غزوة أحـــد

وكان من حديث أُحُد ، كما حدّثنى محمد بن مُسْلم الزُّهْرى ومحمد بن يَحْيى ابن حبّان وعاصم بن عمر بن قَتادة والحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلّهم قد حدّث بعضَ الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثُهم كُله فيما سقتُ من هذا الحديث عن يوم أُحُد : قالوا ، أو من قاله منهم :

التحريض على غزو الرسول

لما أُصِيب يوم بدر من كفّار قُرَيش أصحاب القَلِيب ، ورَجَع فَلُّهم إلى مكة ، ورَجع أبو سُفيان بن حَرْب بِعِيرِه ، مَشَى عبدُ الله بن أبى ربيعة ، وعِكْرمةُ بن أبى جَهل ، وصَفْوان بن أمية ، فى رجال من قُريش ، ممن أُصِيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سُفيان بن حَرْب ، ومن كانت له فى تلك العِير من قريش تجارة ، فقالوا : يا مَعْشَر قُرَيش ، إن محمداً قد وَتَرَكم ، وقتَل خِيارَكم ، فأعِينُونا بهذا المال على حَرْبه ، فلعلّنا نُدْرِك منه ثأرنا بمن أصاب منّا ، ففعلوا .

ما نزل فى ذلك من القرآن

قال ابن إسحاق :

ففيهم ، كما ذكر لى بعضُ أهل العلم ، أنزل الله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » .

اجتماع قريش للحرب

فاجتمعت قريشٌ لحرب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين فعل ذلك أبو سُفيان ابن حَرْب ، وأصحابُ العِير بأحابيشها[1] ، ومَنْ أطاعها من قبائل كِنانة ، وأهل تِهامة . وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحىّ قد مَنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر ، وكان فقيرًا ذا عِيال وحاجة ، وكان فى الأسارى ، فقال :

---

(١) يريد « بأحابيشها » : من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

إنى فقير ذو عِيال وحاجةٍ قد عرفتَها ، فامنُن علىّ صلّى الله عليك وسلّم ؛ فمنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال له صَفْوان بن أُميّة : يا أبا عَزة إنك أمروٌ شاعرٌ، فأعِنّا بلِسانك ، فاخرُج معنا ؛ فقال: إن محمداً قد منّ علىّ، فلا أُريد أن أُظاهِر عليه ؛ قال : [بَلَى][1] فأعِنّا بنفسك ، فلك اللهُ علىّ إن رجعتُ أن أُغْنِيك ، وان أُصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتى ، يُصيبهن ما أصابهنّ من عُسْر ويُسر . فخرج أبو عَزّة يَسير فى تِهامة ، ويدعو بنى كِنانة ويقول :

إيْهاً[2] بنى عبد مناةَ الرُّزَّامْ أنـــتم حُماةٌ وأبوكم حامْ[3]
لا تَعِدُونى نَصْرَكم بعدَ العام لا تُسْلِمونى لا يَحِلُّ إسْلام

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بنى مالك ابن كِنانة ، يحرِّضهم وَيدْعوهم الى حرب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

يا مال ، مال الحسب المُقَدَّمِ أَنشُد ذا القُربى وذا التذمُّم[4]
مَنْ كانذا رُحْمٍومنلم يَرْحَم الحِلْفَ وَسْط البَلد المُحَرَّم
* عند حطيم الـكَعْبة المُعظَّم *

ودعا جُبَير بن مُطْعم غلامًا له حَبشِيًّا يقال له : وَحْشى ، يَقْذِف بحرْبة له قَذْف الحَبشة ، قلّما يُخطىءُ بها ، فقال له : اخرُج مع الناس ، فإن أنت قَتلت حمزة عمّ محمد بعمِّى طُعَيمة بن عَدِىّ ، فأنت عَتيق .

خروج قريش

[قال][1] فخرجت قريش بحَدِّها وجَدِّها وَحَدِيدها وأحابِيشها ، ومن تابعها

(١) زيادة عن ا .
(٢) كذا فى ا : وفى سائر الأصول « أيا » .
(٣) الرزام : جمع رازم ، وهو الذى يثبت ولا يبرح مكانه . يريد أنهم يثبتون فى الحرب ولا ينهزمون .
(٤) يامال : أراد : يامالك ، فحذف الـكاف للترخيم . وذو التذمم : هو الذى له ذمام ، أى عهد .

من بنى كِنانةَ ، وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن[1]؟ التماسَ الحَفيظة ، وألاّ يفرّوا . فخرج أبو سُفيان بنُ حَرْب ، وهو قائدُ الناس ، بهِنْد بنة عتبة ، وخرج عِكْرمة بن أبى جَهل بأمّ حَكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوَليد بن المُغيرة ، وخرج صَفْوان ابن أُميّة بِبَرْزة بنت مَسْعود بن عمرو بن عُمير الثّقَفيّة ، وهى أم عبدالله بن صَفْوان ابن أُمية .

قال ابن هشام . ويقال ، رقيَّة .

قال ابن إسحاق :

وخرج عمرو بن العاص برَيْطة بنت مُنبِّه بن الحجّاج ، وهى أم عبد الله ابن عمرو ، وخرج طَلْحة بن أبى طَلْحة وأبو طَلْحة عبدُ الله بن عبدُ العُزى ابنُ عثمان بن عبد الدار ، بسُلافة بنت سَعد بن شُهَيد الأنصاريّة ، وهى أم بنى طَلْحة : مُسَافع والجُلاس وكِلاب ، قُتِلوا يومئذ [هم][2] وأبوهم ؛ وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزيز ابن عُمير ، وهى أم مُصْعب بن عُمير ؛ وخرجت عَمْرة بنت عَلقمة ، إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة . وكانت هِنْد بنت عُتْبة كلَّما مرّت بوَحْشيّ أو مرّ بها ، قالت : ويْها أبا[3] دَسْمة ، اشْفِ واستَشْف ، وكان وَحْشيّ يُكْنى بأبى دَسْمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين ، بجَبل ببطن السَّبْخة ، من قَناة على شَفير الوادى ، مقابل المَدينة .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم

[قال][2] فلما سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للمسلمين : إنى قد رأيت والله

---

(1) يريد « بالظعن » : النساء فى الهوادج .

(2) الزيادة عن ا .

(3) ويها : كلمة معناها الإغراء والتحضيض .

خيرا ، رأيتُ بقرًا ، ورأيتُ فى ذُباب سَيْفِى ثَلْمًا ، ورأيتُ أنى أدْخَلتُ يدِى فى دِرْع حَصِينة ، فأوّلتُها المدينة .

قال ابن هشام :

وحدَّثنى بعضُ أهل العِلْم ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال :

رأيت بقَرًا لى تُذْبح ؟ قال : فأما البقر، فهى ناسٌ من أصحابى يُقتلون ، وأما الثَّلم الذى رأيتُ فى ذُباب سَيْفِى ، فهو رَجُل من أهل بَيْتى يُقتل .

مشاورة الرسول القوم فى الخروج أو البقاء

قال ابن إسحاق :

فإن رأيتم أن تُقِيموا بالمدينةِ وتَدعُوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بَشرِّ مُقام ، و إن هم دَخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأىُ عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول مع رَأْى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، يَرَى رأيَه فى ذلك ، وألاّ يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَكْره الخُروج ، فقال رجال من المسلمين ، ممن أَكْرم الله بالشّهادة يوم أُحُد وغيره ، ممّن كان فاته بدرٌ : يا رسول الله ، اخرُج بنا إلى أعدائنا ، لا يَروْن أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفنا ؟ فقال عبدُ الله ابن أُبَىّ بن سَلول : يا رسول الله ، أقِمْ بالمدينة لا تَخْرُج إليهم ، فوالله ما خَرَجنا منها إلى عدوّ لنا قطُّ إلا أصاب مِنّا ، ولا دخَلها علينا إلا أصبْنا منه ، فَدَعْهم يا رسولَ الله ، فإن أقامُوا أقامُوا بشرّ مَحْبِس ، و إن دَخلوا قاتلهم الرجالُ فى وجْههم، ورماهم النِّساء والصِّبْيان بالحِجارة من فَوْقهم ، و إن رجَعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلَم يَزَل الناسُ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، الذين كان من أمرهم حبُّ لِقاء القوم ، حتى دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بيته[1]، فَلبِس لأْمته ، وذلك يومَ الجُمعة حينَ فرغ من الصلاة. وقد مات فى ذلك اليوم رَجلٌ من الأنصار، يقُال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجّار، فصلَّى عليه رسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) زيادة عن ا .

ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهْنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قالوا : يا رسولَ الله ، استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئتَ فاقعُد صلّى الله عليك ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ما يَنْبغى لنبيٍّ إذا لَبِس لَأْمته أن يَضَعها حتى يُقاتل ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى ألفٍ من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل[1] ابنَ أُمّ مَكْتوم على الصلاة بالناس .

انخذال المنافقين

قال ابن إسحاق :

حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد ، انْخزل عنه عبدُ الله بن أُبَيّ ابن سَلول بثُلث الناس ، وقال : أطاعهم وعَصانى ، ما نَدْرى علامَ نَقْتُل أنفسَنا هاهنا أيها الناس ! فرَجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النّفاق والرَّيْب ، واتبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام ، أخو بَنى سلمة ، يقول : يا قوم ، أذكّركم الله ألاّ تخذُلوا قومَكم ونَبيَّكم عند ما حَضَر من عدوّهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون لَمَا أسْلمناكم ، ولكنا لا نَرى أنه يكون قتالٌ . قال : فلما استعْصَوا عليه وأَبَوْا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداءَ الله ، فسيُغْنى الله عنكم نبيَّه .

قال ابن هشام : وذكر غير زياد عن محمد بن إسحاق عن الزّهرى .

أن الأنصار يوم أُحد قالوا لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رسول الله ألا نَسْتعين بحُلفائنا من يَهود ؟ فقال : لاحاجة لنا فيهم .

حادثة تفاءل بها الرسول

قال زياد : حدّثنى محمد بن إسحاق قال :

ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى سَلك فى حَرّة بنى حارثة ، فذَبّ[2]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) ذب بذنبه ، أى حركه ليذب به الطير .

فرس بذنبه ، فأصاب كُلاَّبَ سيْفٍ[1] فاستلّه .

قال ابن هشام : ويقال : كِلَاب[2] سيف .

قال ابن إسحاق :

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان يحبّ الفَأْل ولا يَعْتاف[3] ، لصاحب السيف : شِمِ[4] سيفك ، فإنى أرى السُّيوف ستُسل اليوم .

ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه

ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على القوم من كَثَب ، أى من قرب ، من طريق لا يمُرّ بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنَفَذ به فى حَرّة بَنى حارثة ، و بين أموالهم، حتى سَلَك فى مال لِمرْبَع بن قَيْظِىّ ، وكان رجلاً منافقاً ضَرِير البَصر ، فلمّا سَمِع حِسّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وَمَنْ معه من المسلمين ، قام يَحْثى فى وُجوههم التّراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله فإنى لا أُحلّ لك أن تدخل حائطى . وقد ذُكر لى أنه أخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنّى لا أُصِيب بها غيرك يا محمد لضربتُ بها وجهك . فابتدره القَومُ لِيقتلوه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لاتقتلوه ، فهذا الأعمى أَعْمى القَلْب ، أَعْمى البَصَر . وقد بَدَر إليه سعدُ بن زَيد ، أخو بَنى عبد الأشهل ، قَبْل نَهْى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عنه ، فضَربه بالقوس فى رأسه، فشجّه .

نزول الرسول بالشعب وتعبيته للقتال

قال : ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل الشِّعب من أُحد ، فى عُدْوة الوادى إلى الجَبل ، فجعل ظَهْره وعسكره إلى أُحد ، وقال : لا يقاتلنّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرّحت قريش الظَّهر والكُراع[5] فى

---

(١) الكلاب : مسمار يكون فى قائم السيف ، وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٢) لعله : « كلب سيف » بالفتح ، إذ الكلاب والكلب بمعنى واحد .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . ولا يعتاف : لايتطير . وفى ا : « يعتان» بالنون .

(٤) شم سيفك ، أى أغمده . وهذا الفعل من الأضداد .

(٥) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

زورع كانت بالصَّمغة[١] ، من قَناة المُسلمين ؛ فقال رجلٌ من الأنصار حين نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن القِتال : أتُرعى زُروع بنى قَيْلة[٢] ولما نُضَارب ! وتَعبَّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للقِتال ، وهو فى سَبْع مِئَة رجل ، وأمَّر على الرُّماة عبدَ الله بن جبير ، أخا بنى عَمْرو بن عوف ، وهو مُعْلَمٌ يومئذ بثياب بِيض ، والرُّماة خَمْسون رجلاً ، فقال : انضَح[٣] الخيل عنّا بالنَّبْل ، لا يأتُونا من خَلْفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبُت مكانك ، لا نُؤْتَينَّ من قِبَلك . وظاهَر[٤] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين دِرْعين ، ودَفع اللّواء إلى مُصْعب بن عُمير ، أخى بنى عبد الدّار .

من أجازهم الرسول وهم فى الخامسة عشرة

قال ابن هشام :

وأجاز رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزارىّ ، ورافع ابن خَديج ، أخا بنى حارثة ، وهما أبنا خمس عَشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقِيل له : يا رسول الله إن رافعاً رامٍ ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعاً ، قِيل له : يارسول الله ، فإن سَمُرة يَصْرع رافعاً ، فأجازه . وردّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أسامة بن زيد وعبدَ الله بن عمر بن الخطّاب ، وزيد بن ثابت ، أحد بنى مالك بن النّجار ، والبراء بن عازِب ، أحد بنى حارثة ، وعمرو بن حَزم ، أحد بنى مالك بن النّجار ، وأُسيد ابن ظُهَير ، أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق :

وتَعَبّأتْ قريشٌ ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جَنَبوها[٥] ، فجعلوا على مَيْمنة الخَيل خالدَ بن الوليد ، وعلى مَيْسرتها عِكرمةَ بن أبى جهل .

---

(١) الصمغة : أرض قرب أحد .

(٢) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج وقيلة : أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها .

(٣) انضح الخيل ، أى ادفعهم .

(٤) ظاهر بين درعين ، أى لبس درعا فوق درع .

(٥) جنبوها : قادوها إلى جنوبهم .

أمر أبي دجانة

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : من يأخذ هذا السيفَ بحقّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ؛ حتى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن تَضرب به العدوّ حتى ينْحنى ؛ قال : أنا آخذُه يا رسول الله بحقّه ، فأعْطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلاً شُجاعا يختال عند الحَرب ، إذا كانت ، وكان إذا أُعْلِم بعصابة له حَمْراء ، فاعتَصب بها عَلِم الناسُ أنه سيُقاتل ؛ فلما أخـذ السيفَ من يد رسولِ الله صـلّى الله عليه وسلّم أخرج عِصابته تِلك ، فعَصب بها رأسَه ، وجعل يتبختر بين الصّفين .

قال ابن إسحاق فحدّثنى جعفر بن عبد الله بن أَسْلم ، مولى عمر بن الخطّاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سَلَمة قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمِشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

أمر أبي عامر الفاسق

قال ابن إسحاق وحدّثنى عاصمُ بن عمر بن قَتادة :

أنّ أبا عامر ، عبد عمرو بن صَيفىّ بن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضُبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُباعِدًا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، معه خمسون غلاما من الأوس ، و بعضُ الناس كان يقول : كانوا خمسةَ عشر رجلا ، وكان يَعد قريشاً أن لو قد لقى قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فلما التقى الناسُ كان أول من لَقِيهم أبو عامر فى الأحابِيش وعُبْدان أهل مكة ، فنادى : يا معشرَ الأوس ، أنا أبو عامر ؛ قالوا : فلا أَنْعم الله بك عيناً يا فاسق ـ وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية : الراهب ، فسمّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الفاسق ـ فلما سَمع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شرٌّ ، ثم قاتلهم قتالاً شديدا ، ثم راضَخهم[1] بالحجارة .

---

(١) راضخهم : راماهم .

أسلوب أبى سفيان فى تحريض قريش

قال ابن إسحاق:

وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللّواء من بنى عبد الدار يُحرّضهم بذلك على القتال: يا بنى عبد الدار، إنكم قد وَلِيتم لِواءَنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قِبَلِ راياتهم، إذا زالت زالُوا، فإما أن تَكْفُونَا لِوَاءَنا، وإما أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنَكْفِيكموه؛ فهمُّوا به وتواعدُوه، وقالوا: نحن نُسْلِم إليك لواءَنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نَصْنع! وذلك أراد أبو سفيان.

تحريض هند والنسوة معها

فلما التقى الناس، ودَنا بعضُهم من بعض، قامت هِندُ بنت عُتبة فى النِّسوة اللاتى معها، وأخذْن الدفوف يَضْربن بها خلف الرجال ويُحرّضنهم، فقالت هند فيما تقول:

ويْها بَنِى عبد الدارْ ويْها حُماةَ الأدبار[1]

* ضَرْبًا بكل بتّار[2] *

وتقول:

إن تُقْبِلوا نُعانِقْ ونَفْرِش النَّمارِق[3]

أو تُدْبِروا نُفارِق فِراقَ غيرَ وامِق[4]

شعار المسلمين

وكان شِعارُ[5] أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد: أمِتْ، أمِتْ، فيما قال ابن هشام.

تمام قصة أبى دجانة

قال ابن إسحاق:

فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن فى الناس.

قال ابن هشام: حدّثنى غير واحد، من أهل العلم أن الزّبير بن العوّام قال:

---

(١) حماة الأدبار، أى الذين يحمون أعقاب الناس.

(٢) البتار: القاطع.

(٣) النمارق: جمع نمرقة، وهى الوسادة الصغيرة.

(٤) الوامق: المحب.

(٥) الشعار (هنا): علامة ينادون بها فى الحرب، ليعرف بعضهم بعضا.

وَجِدْتُ فى نفسى حين سألتُ رسـولَ الله صلّى الله عليه وسلّم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دُجانة ، وقُلت : أنا ابنُ صفيّة عمّته ، ومن قُريش ، وقد قُمْت إليه فسألته إياه قَبْله ، فأعطاه إياه وتَركنى ، والله لأنظرنّ ما يصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حَمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عِصابةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب بها . فَخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهَـدنى خليلِى ... ونحنُ بالسَّفْح لَدَى النَّخِيلِ
ألاَّ أقوم الدهرَ فى الـكَيُّول ... اضْرب بسيف الله والرسول[1]

قال ابن هشام : ويروى فى الكُبُول[2] .

قال ابن إسحاق :

فجعل لا يَلْقى أحدًا إلا قَتله . وكان فى المُشركين رجلٌ لا يَدَع لنا جريحًا إلا ذفَّف عليه ، فجَعل كل واحد منهما يَدْنو من صاحبه . فدعوتُ الله أن يَجْمع بينهما ، فالتَقيا ، فاختَلفا ضَرْبتين ، فضَرب المُشْرك أبا دُجانة ، فاتّقاه بدَرقته ، فعَضت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقَتله ، ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مَفْرِق رأس هِند بنت عُتبة ، ثم عدل السيفَ عنها . قال الزبير : فقلتُ : الله ورسولُه أعلم .

قال ابن إسحاق :

وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة : رأيت إنساناً يَخْمِش[3] الناس خَمْشا شديدا ، فصمدتُ له ، فلما حملتُ عليه السَيف وَلْول ، فإذا امرأةٌ ، فأكرمت سيفَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أن أضرب به امرأة .

---

(١) الـكيول : آخر الصفوف فى الحرب .
(٢) الـكبول: القيود ؛ الواحد : كبل (بالفتح ويكسر) .
وقد زادت م ، ب بعد هـذه الـكلمة : « يعنى آخر الصفوف » وهى تفسير للـكيول (بالياء المثناة) .
(٣) فى م ، ر : « يحمش » بالحاء المهملة .

مقتل حمزة

وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتل أَرْطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحدَ النّفر الذين يَحْملون اللّواء؛ ثم مرّ به سِبَاع بن عبد العُزّى الغُبْشانى. وكان يكنى بأبى نِيَار، فقال له حَمْزة: هلمّ إلىّ يا بن مُقَطّعة البُظور — وكانت أمّه أم أنمار مَوْلاة شَرِيق بن عمرو بن وهب الثّقفى.

[قال ابن هشام: شَرِيق بن الأخْنس بن شَرِيق][١]. وكانت خَتَّانَةً بمكة — فلما التقيا ضَرَبه حمزةُ فقتله.

قال وَحْشِىّ، غلامُ جُبير بن مُطْعم: واللهِ إنى لأنظر إلى حَمْزة يَهُدُّ[٢] الناس بسيفه ما يُلِيق[٣] به شيئًا، مثل الجمل الأَوْرق[٤] إذ تقدّمنى إليه سِبَاعُ بن عبد العزّى، فقال له حمزة: هلمّ إلىّ يا بن مُقَطِّعة البُظور، فضَرَبه ضَرْبة، فكأنّ ما أخْطأ[٥] رأسَه، وهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضِيتُ منها دفعتُها عليه، فوقعتْ فى ثُنَّته[٦] حتى خرجتْ من بين رِجْليه، فأقبل نَحْوِى، فغُلِب فوقع، وأمهلتُه حتى إذا مات جِئْت فأخذت حَرْبتى، ثم تنحّيت إلى العسكر، ولم تكن لى بشىء حاجةٌ غيره.

وحشى يحدث الضمرى وابن الخيار عن قتله حمزة

قال ابن إسحاق: وحدّثنى عبد الله بن الفَضْل بن عبّاس[٧] بن ربيعة ابن الحارث، عن سُليمان بن يَسار عن جَعْفر بن عمرو بن أُمية الضَّمْرى قال: خرجتُ أنا وعُبيد الله بن عدىّ بن الخيار، أخو بنى نَوْفل بن عبد مناف،

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا.

(٢) يهد، قال أبو ذر: «من رواه بالذال المعجمة، فمعناه يسرع فى قطع لحوم الناس بسيفه. ومن رواه بالدال المهملة، فمعناه يرديهم ويهلكهم».

(٣) مايليق: مايبقى.

(٤) الأورق: الذى لونه إلى الغبرة.

(٥) كأن ما أخطأ رأسه، أى كان الأمر والشان ماأخطأ رأسه، وما: نافية والنون فى «كأن» منفصلة عن «ما». ويجوز أن تكون مامتصلة بكأنّ، ويكون المعنى: كأنه أخطأ رأسه، أى أسرعه الضرب والقطع وكأن السيف لم يصادف مايريده. (راجع شرح السيرة لأبى ذر)

(٦) الثنة: مابين أسفل البطن إلى العانة.

(٧) فى ا: «عياش». وهو تحريف. قال أبو ذر: «الصواب: ابن عباس، بالباء والسين المهملة».

فى زمان مُعاوية بن أبى سُفيان ، فأَدْرَبْنا[١] مع الناس ، فلما قَفَلنا مَرَرْنا بحِمْص ـ وكان وَحْشى ، مولى جُبير بن مطعم ، قد سَكَنها ، وأقام بها ـ فلمّا قَدِمْناها ، قال : لى عُبيد الله بن عَدِىّ : هل لك فى أن نَأْتى وحشيًّا فنسأله عن قَتْل حمزة كيف قَتله ؟ قال : قلت له : إن شئتَ . فخَرَجْنا نسأل عنه بحِمْص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستَجدانه بفِناء داره ، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فإن تَجِداه صاحياً تَجدَا رجلاً عربيًّا ، وتجدا عنده بعضَ ما تُريدان . وتُصيبا عنده ما شِئْتما من حديث تَسْألانه عنه ، و إن تجداه و به بَعْض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودَعاه . قال : فخرجنا نَمْشِى حتى جِئْناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له[٢] ، فإذا شيخٌ كبير مثل البُغاث .

ـ قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الطير إلى السواد[٣] ـ

فإذا هو صاحٍ لا بأس به . قال : فلما انتهينا إليه سَلَّمنا عليه ، فرفع رأسَه إلى عُبيد الله بن عدىّ فقال : ابنٌ لعدىّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله ما رأيتُك منذ ناولْتُك أُمَّك السعدِيّة التى أَرْضعتك بذى طُوى[٤] ، فإنى ناولتُكها وهى على بَعيرها ، فأَخَذَتْك بعُرْضَيْك[٥] ، فلمعتْ لى قَدَماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه ، فقُلنا له : جِئْناك لتحدّثنا عن قَتْلك حَمْزة ، كيف قَتلتَه ؟ فقال : أما إنى سأحدّثـكما كما حدّثت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين سألنى عن ذلك ،

---

(١) فأدربنا مع الناس ، أى جزنا الدروب .

(٢) الطنفسة (مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس) : واحدة الطنافس من البسط والثياب والحصير .

(٣) فى ا : « قال ابن هشام : مثل البغاثة ، وهى ضرب من الطير » .

(٤) ذو طوى : موضع بمكة .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « بعرضك » . قال أبو ذر : « أخذتك بعرضتك ، من رواه هكذا ، فالعرضة : الجلد الذى يكون فيه الصبى إذا أرضع ، ويربى فيه . ومن رواه « بعرصتك » بالصاد المهملة ، فمعناه أنه رفعه إليها بالثوب الذى كان تحته ، ومنه عرصة الدار ــ وهو مايقع عليه البناء ــ ومن رواه « بعرضيك » فمعناه بجانبيك . وعرض الشىء (بضم العين) : جانبه » .

كنتُ غلامًا لجُبير بن مُطْعم ، وكان عمُّه طُعَيْمة بن عدىّ قد أُصيب يومَ بدر ، فلما سارتْ قُرَيشٌ إلى أحد ، قال لى جُبير : إن قتلتَ حمزةَ عمَّ محمد بعمِّى فأنت عَتيق ؛ قال : فخرجتُ مع الناس ، وكنتُ رجلاً حَبشيًّا أَقْذف بالحَرْبة قَذْفَ الحَبشة ، قلّما أُخْطئُ بها شيئًا ، فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته فى عُرْض الناس مثــل الجَمل الأورق[1] ، يَهُدّ الناس بسيفه هدًّا ، ما يقُوم له شىء ، فوالله إنى لأتَهيأ له ، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حَجَر ليَدْنو منّى ، إذ تقدّمنى إليه سِباعُ بن عبـد العُزّى ، فلما رآه حَمْزة قال له: هَلُمّ إلىّ يابن مُقطّعة البُظور. قال: فضَربه ضربة كأنّما أخطأ رأسه. قال: وهَزَزتُ حَرْبتى، حتى إذا رَضيتُ منها، دفعتُها عليه ، فوقعتْ فى ثُنَّته ، حتى خرجتْ من بين رِجْليه ، وَذهب لينُوء[2] نحوى ، فغُلِب، وتركتُه وإياها حتى مات ، ثم أتيتُه فأخذتُ حَرْبتى ، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدتُ فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنمـا قتلتُه لأُعتق . فلما قَدِمت مكةَ أُعْتِقت ، ثم أقمتُ ، حتى إذا افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكةَ هربتُ إلى الطائف، فمكثت[3] بها ، فلما خَرج وفدُ الطائف إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ليُسْلِموا تَعيَّت علىّ المذاهب ، فقلت : أَلْحق بالشأم ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همّى إذ قال لى رجل : ويحك ! إنه والله ما يقتُل أحدًا من الناس دخَل فى دينه ، وتشهّد شهادته[4] .

وحشى بين يدى الرسول يسلم

فلما قال لى ذلك ، خرجتُ حتى قَدِمتُ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بى قائماً على رأسه أتشهّد بشهادة الحق ، فلما رآنى قال : أوحشىّ ؟ قلت : نعم يا رســولَ الله . قال : اقعُد فحدِّثنى كيف قتلتَ حمزة ؛ قال فحدّثته كما حدّثتكما ، فلما فرغتُ من حـديثى قال : وَيْحك ! غيِّب عــنى وجهك ، فلا أُرَيَنّك . قال : فكنتُ

(١) الجمل الأورق : الذى لونه بين الغبرة والسواد ، سماه كذلك لما عليه من الغبار .
(٢) ينوء : ينهض متثاقلا .
(٣) فى ا : فكنت .
(٤) فى م ، ر : شهادة الحق.

أتنكّب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حيث كان ، لئلا يَرانى ، حتى قَبَضه الله صلّى الله عليه وسلم .

قتل وحشى لمسيلمة

فلما خرج المُسلمون إلى مُسَيلمة الكذّاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأَخَذْت حَرْبتى التى قتلتُ بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذّاب قائمًا فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيّأت له ، وتهيّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كِلانا يُريده ، فهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضيت منها دفعتُها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصارىّ ، فضربه بالسيف ، فربُّك أعلم أيّنا قتله ، فإن كنت قتلتُه ، فقد قتلت خيرَ الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد قتلت شرّ الناس .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يَسار عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكان قد شهد اليمامة ، قال :

سمعت يومئذٍ صارخًا يقول : قَتَله العبدُ الأسود .

خلع وحشى من الديوان

قال ابن هشام :

فبلغنى أنّ وحشيًّا لم يزل يُحدّ فى الخمر حتى خُلِع من الديوان ، فكان عمرُ بن الخطاب يقول : قد علمتُ أنّ الله تعالى لم يكُن لِيَدع قاتل حَمْزة .

مقتل مصعب ابن عمير

قال ابن إسحاق :

وقاتل مُصْعبُ بن عُمَير دون رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قُتِل ، وكان الذى قتله ابن قمئة اللّيثى ، وهو يَظُن أنه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فرَجع إلى قُرَيش فقال : قتلتُ محمداً . فلما قُتِل مُصْعب بن عُمير أعْطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اللواءَ علىَّ بنَ أبى طالب ، وقاتل علىٌّ بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدّثنى مَسْلمة بن عَلْقمة المازنى قال :

لما اشتدّ القِتال يومَ أُحد جلَس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تحت راية

الأنصار، وأرسل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إلى علىّ بن أبى طالب، رضوان الله عليه: أَنْ قَدِّم الرايةَ. فتقدّم علىّ، فقال: أنا أبو القُصَم[1] ويقال أبو الفُصَم، فيما قال ابن هشام ـ فناداه أبو سَعْد بن أبى طَلْحة، وهو صاحب لواء المشركين: أنْ هل لك يا أبا القُصَم فى البِرَاز من حاجةٍ؟ قال: نعم. فبَرزا بين الصَّفين، فاختلفا ضَرْبتين، فضرَبه علىٌّ فصرَعه، ثم انصرف عنه ولم يُجْهِز عليه؛ فقال له أصحابُه: أفلا أَجْهزت عليه؟ فقال: إنه استَقْبلنى بعَوْرته، فعَطَفَتْنى عنه الرَّحم[2]، وعرفتُ أنّ الله عزّ وجلّ قد قتله.

ويقال: أنّ أبا سعد بن أبى طلحة خرج بين[3] الصّفّين، فنادى: أنا قاصمٌ[4] مَنْ يُبارز برازا، فلم يخرجُ إليه أحدٌ. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم فى الجنّة، وأن قتلانا فى النار، كذبتم واللات! لو تعلمون ذلك حقًّا لخرج إلىّ بعضُكم. فخرج إليه علىّ بن أبى طالب، فاختلفا ضَرْبتين، فضَربه علىٌّ، فقَتله.

قال ابن إسحاق:

قتل أبا سَعْد بن أبى طلحة سعدُ بن أبى وقّاص[5].

---

(١) فى ا، ط هنا وفيما سيأتى رواية عن ابن هشام: «القصم» بالقاف. مع اختلاف فى الضبط، فضبطت هنا بالفتح، وفى الثانية بضم ففتح. وفى سائر الأصول هنا: «القصيم» وفيما سيأتى: «الفصيم». والتصويب عن الروض الأنف. وقد اختار السهيلى أن تضبط على الروايتين بضم ففتح على أنها جمع قصمى أو فصمى. والقصم: كسر ببينونة. والفصم: كسر بغير بينونة، ككسر القضيب الرطب ونحوه.

(٢) وقد فعل على رضى الله عنه هذه مرة أخرى يوم صفين، حمل على بسر بن أرطاة، فلما رأى بسر أنه مقتول كشف عن عورته، فانصرف عنه؛ ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو ابن العاص مع على رضى الله عنه يوم صفين.

(٣) فى م، ر: «أبا قاسم».

(٤) زيادة عن ا، ط.

(٥) قال السهيلى: «رواه الكشى فى تفسيره عن سعد، قال: «لما كف عنه علىّ طعنته فى حنجرته، فدلع لسانه إلىّ كما يصنع الكلب، ثم مات».

شأن عاصم ابن ثابت

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأَقْلح ، فقَتَل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الجُلَاس بن طلحة ، كلاهما يُشْعِره[1] سَهْماً ، فيأتِى أُمَّه سُلافةَ ، فيَضع رأسَه فى حِجْرها ، فتقول : يا بُنىّ ، من أصابَك ؟ فيقول سمعتُ رجلاً حين رَمانى وهو يقول ، خُذْها وأنا ابن أبى الأَقْلح . فنذرتْ إن أَمْكنها الله من رأس عاصم أن تَشرب فيــه الخَمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشْركاً ، أبداً ، ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إن علَى أهـــلِ اللواء حقًّا أن يَخْضِبوا الصَّعْدة أو تَنْدَقّا[2]

فقَتله حمزةُ بن عبد المطلب .

حنظلة غسيل الملائكة

١ والتقى حَنْظلة بن أبى عامر الغَسِيل وأبو سفيان ، فلما استَعْلاه حَنْظلةُ ابن أبِى عامر رآه شدّاد بن الأسود[3] ، وهو ابن شَعوب ، قد علا أبا سفيان . فضَربه شَدّاد فقَتله . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن صاحبكم ، يعنى حنظلة لتُغَسّله الملائكة . فسألوا أهلَه ما شأْنه ؟ فسئلت[4] صاحبته عنه . فقالت : خرَج وهو جُنُب حين سَمِــع الهاتفة[5] .

١ ـ قال ابن هشام : ويقال الهائعة . وجاء فى الحديث : خيرُ الناس رجل مُمسِك بِعنان فَرسه ، كلما سمع هَيْعة طار إليها . قال الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطائى ، والطرماح الطويل من الرجال ــ :

---

(١) يشعره سهما ، أى يصيبه به فى جسده ، فيصير له مثل الشعار . والشعار : ماولى الجسد من الثياب .

٢ (٢) الصعدة : القناة .

(٣) وقيل : إن الذى قتل حنظلة جعونة بن شعوب الليثى ، مولى نافع بن أبى نعيم . (راجع الروض) .

(٤) فى م ، ر : « فسألت » .

(٥) الهـاتفة : الصيحة .

أنا ابن حُماة المَجْد من آلِ مالك   إذا جَعلَتْ خُورُ الرِّجال تَهِيـعُ[1]

[والهَيْعة : الصيحة التى فيها الفزع][2] —

قال ابن إسحاق :

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لذلك غسّلته الملائكة .

[قال ابن إسحاق][2] :

شعر الأسود فى قتلهما حنظلة وأبى سفيان

وقال شَدّاد بن الأسود فى قَتْله حنظلة :

لأَحْمِينّ صاحِـــبِى ونَفْسى   بطَعَنة مثلِ شُعاع الشمسِ

وقال أبو سفيان بن حَرْب ، وهو يذكر صَبْره فى ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعُوب إياه على حَنظلة .

ولو شِئْتُ نَجّتْنِى كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ   ولم أَحْمِلِ النَّعْماء لابن شَعُوبِ[3]

ومازال مُهْرِى مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ   لَدُنْ غُدْوةٍ حتى دنَتْ لغُروب[4]

أُقاتلهـــم وأدّعِى يا لَغَالِبٍ   وأَدْفَعهم عنّى بُرُكْنٍ صَلِيب

فبَكّى ولا ترْعَى مقالة عاذِلٍ   ولا تَسْأَمى من عَبْرة ونَحِيب

أباكِ وإخـــوانًا له قد تَتابعوا   وحُقّ لهم من عَبْرة بنَصِيب

وَسَلّى الذى قد كان فى النّفس أنّنى   قتلتُ من النجّار كلّ نَجِيب

ومن هاشمٍ قَرْمًا كريمًا ومُصْعبًا   وكان لدى الهَيْجاء غير هيوب[5]

ولو أننى لم أشفِ نفسىَ منهمُ   لكانت شجًا فى القَلبِ ذات نُدُوب[6]

---

(١) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف الجبان .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٣) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٤) مزجر الكلب : يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه . ودنت لغروب ، أى الشمس ، وقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر ، لأن الغدوة دلت عليها . وروى بخفض غدوة ونصبه .

(٥) القرم : الفحل الكريم من الإبل ، ويريد به هنا حمزة رضى الله عنه . والهيجاء الحرب .

(٦) الشجا : الحزن . والندوب : آثار الجروح ، الواحد : ندب .

فآبوا وقد أوْدى الجَلابِيبُ منهمُ ... بهم خَدَبٌ من مُعْطب وكَئيب[(١)]
أصابهمُ مَنْ لَمْ يكن لدمائهم ... كِفاءً ولا فى خُطَّة بضَرِيب[(٢)]

شعر حسان فى الرد على أبى سفيان

فأجابه حسّان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ذَكَرْتَ القُرومَ الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولَسْتَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصِيبِ
أتعجَب أن أقصَدْتَ حمزةَ منهم ... نجيباً وقد سَمَّيْتَه بنَجِيب[(٣)]
ألم يقتُلوا عَمْرًا وعُتْبَــةَ وابنَه ... وشَيْبَــةَ والحجّاجَ وابنَ حَبيب
غداةَ دعا العاصِي عليًّا فَراعَــه ... بضَرْبة عَضْب بَلَّه بخَضِيب[(٤)]

قال ابن إسحاق :

وقال ابنُ شَعُوب يذكُر يدَه عند أبى سُفيان فيما دفع عنه ، فقال :

ولولا دِفاعى يا بن حَرْب ومَشْهَدِى ... لأُلْفِيت يوم النَّعْف غــيرَ مُجيب[(٥)]
ولولا مَكَرّى المُهْرَ بالنَّعف[(٦)] قَرْقَرت ... ضِباعٌ عليــه أو ضِرَاء كَلِيب[(٧)]

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق :

شعر الحارث فى الرد على أبى سفيان أيضا

قال ابن إسحاق :

وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان :

---

(١) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو (هاهنا) : الإزار الخشن . وكان مشركو أهل مكة يسمون من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: الجلابيب ، يلقبونهم بذلك . وأودى: هلك . والخدب : الطعن النافذ إلى الجوف . والمعطب ، قال أبو ذر : المعطب : الذى يسيل دمه . والكئيب : الحزين . ويروى : كبيب ، أى قد كب على وجهه .

(٢) الخطة (هنا) : الخصلة الرفيعة . والضريب : الشبيه .

(٣) أقصده : رماه فأصابه .

(٤) العضب : السيف القاطع . وبخضيب : أى بدم .

(٥) النعف : أسفل الجبل .

(٦) فى م ، ر : « النعت » وهو تحريف .

(٧) قرقرت : أسرعت وخفت لأكله . والضراء : الضارية المتعودة الصيد أو أكل لحوم الناس . وكليب : اسم لجماعة الكلاب .

جَــــزَيتهم يومًا ببَدْرٍ كِمثْله   على سابحٍ ذى مَيْعَةٍ وشَبيبِ[1]
لدى صَحْن بدرٍ أو أقمت نوائحًا   عليك ولم تَحْفِل مُصاب حبيب
وإنك لو عاينتَ ما كان منهمُ   لأبْتَ بقَلْب ما بقيت نَخيب[2]

قال ابن هشام :

وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظنّ أنه عرّض به فى قوله :

* وما زال مُهرى مَزْجَرَ الكلبِ منهم *

لِفرار الحارث يوم بدر .

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحاق :

ثم أنزل الله نَصْرَه على المسلمين وصدَقهم وَعْدَه ، فحَسُّوهم[3] بالسيوف حتى كَشَفوهم عن العَسْكر ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال :

والله لقد رأيتُنى أنظُر إلى خَدَم هِنْد بنت عُتْبة وصَواحبها مشمّرات هوارب ، ما دون أَخْذهن قليلٌ ولا كثير ، إذ[4] مالت الرماةُ إلى العسكر حين كَشَفنا القومَ عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خَلْفنا ، وصَرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قُتل ؛ فانكفأنا[5] وانكفأ علينا القوم بعد أن أصَبْنا أصحابَ اللواء حتى ما يَدْنو منه أحدٌ من القوم .

قال ابن هشام :

الصارخ : أزبّ العقبة ، يعنى الشيطان

---

(١) السابح : الفرس الذى كأنه يسبح فى جريه . والميعة : الحدة والنشاط . وشبيب ، أى شباب ، وهو أن يرفع الفرس يديه جميعا . ويروى : « سبيب » بالسين المهملة ، والسبيب : شعر ناصية الفرس .
(٢) أبت : رجعت . والنخيب : الجبان الفزع .
(٣) حسوهم بالسيوف : قتلوهم واستأصلوهم.
(٤) فى م ، ر : « إذا »
(٥) انكفأنا : رجعنا .

شجاعة صؤاب وشعر حسان فى ذلك

قال ابن إسحاق : حدّثنى بعضُ أهل العلم :

أن اللِّواء لم يزل صَريعاً حتى أَخَذَتْه عَمْرة بنت عَلْقمة الحارِثّية ، فرفعته لقُريش ، فلا ثُوا به[1] . وكان اللواء مع صؤاب ، غلامٌ لبنى أبى طَلْحة ، حبشىّ ، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتَل به حتى قُطِعت يداه ، ثم بَرَك عليه ، فأخذ اللواء بصَدْره وعُنقه حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أَعْزرت ـ يقول أعذرت[2] ـ فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

فَخَرتُم باللِّواء وشَرُّ فخرٍ ... لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤابِ

جَعلتم فَخْرَكم فيه بعَبْدٍ ... وألأمِ مَن يَطَا عَفَرَ التراب[3]

ظننتم ، والسَّفيه له ظُنون ... وما إن ذاك من أمر الصَّوَاب

بأنّ جِلادنا[4] يومَ التَقَيْنا ... بمكة بَيعُكم حُمْر العِياب[5]

أَقرَّ العينَ أن عُصِبت يدَاه ... وما إن تُعصَبان على خِضَاب

قال ابن هشام :

آخرُها بيتاً يُروى لأبى خِراش الهُذلى ، وأَنشدنيه له خَلَفٌ الأحمر :

أقرّ العينَ أن عُصبت يدَاها ... وما إن تُعصبان على خِضاب

فى أبيات له ، يعنى امرأته ، فى غير حديث أُحد . وتروى الأبيات أيضا لمَعْقِل بن خُويلد الهُذلىّ .

شعر حسان فى عمرة الحارثية

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت فى شأن عَمْرة بنت عَلقمة الحارثّية ورَفْعها اللِّواء :

---

(١) لاثوا به : اجتمعوا حوله والتفوا .

(٢) قال أبو ذر : « يعنى أنه كان فى لسانه لكنة أعجمية فغير الذال من « أعذرت » إلى الزاء ، لأنه كان حبشيا » .

(٣) يطا ، الأصل فيه الهمز وسهل للشعر . وعفر التراب : الذى لونه بين الحمرة والغبرة .

(٤) فى م ، ر : « جلادكم » .

(٥) العياب . جمع عيبة ، وهى مايضع فيها الرجل متاعه .

إذا عَضَــلٌ سِيقَتْ إلينا كأنَّها جِدَايَةُ شِرْكٍ مُعْلَمَاتِ الحواجِبِ[1]
أَقَمْنا لهم طَعْناً مُبِيراً مُنَكِّلاً وحُزْنَاهُم بالضَّرْبِ من كلِّ جانبِ[2]
فلَوْلا لِواءُ الحارثيّةِ أصبحُوا يُباعون فى الأسواقِ بيعَ الجَلائِبِ[3]

قال ابن هشام :

وهذه الأبيات فى أبيات له .

ما لقيه الرسول يوم أحد

قال ابن إسحاق :

وانكشف المسلمون ، فأصابَ فيهم العدوّ ، وكان يومَ بلاء وتمْحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم. فدُثَّ[4] بالحجارة حتى وقع لشقِّه[5] ، فأُصيبت رَباعيته ، وشُجّ[6] فى وجهه ، وكُلِمت[7] شفته ، وكان الذى أصابه عُتْبة بن أبى وقّاص .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى حُميد الطّويل عن أنس بن مالك ، قال :

كُسرت رَباعية النّبى صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد ، وشُجَّ فى وجهه ، فجعل الدمُ يَسيل على وجهه ، وجعل يَمْسح الدم وهو يقول : كيف يُفلح قَوْم خَضَبوا وجه نبيّهم ، وهو يدْعوهم إلى ربّهم ! فأنزل الله عزّ وجل فى ذلك : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُم ظَالِمُونَ » .

قال ابن هشام : وذكر رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبى سَعيد الخُدْرى عن أبيه ، عن أبى سَعيد الخُدْرى :

أن عُتبة بن أبى وقّاص رمَى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ فكسر

(١) عضل : اسم قبيلة من خزيمة ، والجداية (بفتح الجيم وكسرها) : الصغير من أولاد الظباء . وشرك ، قال أبو ذر : بضم الشين وكسرها : موضع ، ولم نجد فى المعاجم بهذا الاسم غير موضعين ، أحدهما بالفتح ، وهو جبل بالحجاز ؛ والآخر بالكسر ، وهو ماء وراء جبل القنان لبنى منقذ بن أعيا ، من أسد .

(٢) مبيرا : مهلكا . ومنكلا : قامعا لهم ولغيرهم .

(٣) الجلائب : مايجلب إلى الأسواق ليباع فيها .

(٤) فدث ، قال أبو ذر : « من رواه بالراء فمعناه أصيب بها . ومن رواه (فدث) بالدال المهملة ، فمعناه : رمى حتى التوى بعض جسده » .

(٥) الشق : الجانب .

(٦) شج : أصابته شجة .

(٧) كلم : جرح (بالبناء للمجهول فيهما) .

رَباعِيته اليُمنى السُّفلى ، وجرح شفته السُّفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجّه فى جَبْهته ، وأن ابن قَمِئة جَرح وَجْنته[1] ، فدخلت حَلقتان من حَلَق المِغفر[2] فى وَجنته ، ووقع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى حُفْرة من الحُفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المُسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ علىّ بن أبى طالب بيد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورَفعه طَلحة بن عُبيد الله حتى استوَى قائمًا ، ومصَّ مالك بن سِنان ، أبو أبى سَعيد الخُدرى ، الدمَ عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم ازدرده[3] ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : من مَسّ دمى دمَه لم تُصبه النار .

قال ابن هشام[4] : وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّراوردىّ :

أن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال : من أحبّ أن يَنظُر إلى شَهيد يَمْشى على وَجه الأرض ، فليَنْظر إلى طَلْحة بن عُبيد الله .

وذكر ، يعنى[5] عبد العزيز الدراوردى ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طَلْحة ، عن عائشة عن أبى بكر الصديق :

أن أبا عُبيدة بن الجرّاح نَزَع إحدى الحَلْقتين من وَجْه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فسقطت ثَنيّته ، ثم نزع الأخرى ، فسَقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقطَ الثنيّتين .

شعر حسان فى عتبة وما أصاب به الرسول

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت لعُتبة بن أبى وقّاص :

إذا الله جازَى معشراً بفِعالهم ... وَضَرّهم[6] الرحمن ربّ المَشارِقِ

---

(1) الوجنة : أعلى الخد .
(2) المغفر : شبيه بحلق الدرع يجعل على الرأس يتقى به فى الحرب .
(3) ازدرده : ابتلعه .
(4) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(5) هذه الكلمة ساقطة فى ا .
(6) كذا فى ط . وفى ا : « وبضرهم » . وفى سائر الأصول : « ونصرهم » وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .

فأخزاك ربّى يا عُتَيبَ بن مالك ... ولقّاك قبلَ الموتِ إحدى الصَّواعقِ
بَسَطْتَ يميناً للنبىّ تعمُّداً ... فأدْميت فاهُ، قُطِّعَت بالبَوارق[1]
فهلاّ ذكرتَ اللهَ والمَنْزِلِ الذى ... تَصيرُ إليه عند إحدى البوائِق[2]

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقْذع فيهما.

ابن السكن وبلاؤه يوم أحد

قال ابن إسحاق:

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، حين غَشِيه القومُ: مَن رجلٌ يَشْرى لنا نفسَه؟ كما حدّثنى الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد[3] بن السَّكَن فى نفر خَمْسة من الأنصار ـ وبعضُ الناس يقول: إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن ـ فقاتلوا دون رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، رجلاً ثم رجلاً، يُقْتَلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثْبَتته الجراحة، ثم فاءت فِئةٌ[4] من المُسلمين، فأجْهضَوهم[5] عنه، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: أدْنُوه منّى، فأدنَوْه منه، فوسّده قدَمه، فمات وخدُّه على قَدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

حديث أم سعد عن نصيبها فى الجهاد يوم أحد

قال ابن هشام:

وقاتلت أمّ عُمارة، نُسيبة بنت كعب المازنيّة يوم أُحد.

فذكر سَعيد بن أبى زيد الأنصارى: أن أم سعد بنت سَعْد بن الرَّبيع كانت تقول:

دخلتُ على أم عُمارة فقلت لها: يا خالة، أخْبرينى خَبرك؛ فقالت: خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظُر ما يَصْنع الناس، ومعى سِقاء فيه ماء، فانتهيتُ

(١) البوارق: السيوف.
(٢) البوائق: الدواهى ومصائب الدهر.
(٣) فى م، ر: «زيد».
(٤) الفئة: الجماعة.
(٥) أجهضوهم: أزالوهم وغلبوهم.

إلى رسولِ الله صلّى اللّٰه عليه وسلّم ، وهو فى أصحابه ، والدولةُ والريح[1] للمُسلمين . فلما انهزم المُسلمون انحزتُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقُمْتُ أُباشر القِتال وأذبّ عنه بالسّيف، وأرْمى عن القوْس، حتى خَلَصت الجراحُ إلىّ . قالت: فرأيتُ على عاتقها جُرحًا أجْوف له غَوْر ، فقلت : من أصابكِ بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه[2] الله ! لمّا ولّى الناسُ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أقبل يقول : دلّونى على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ومُصعب بن عُمير، وأناس ممن ثَبَت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فضَربنى هذه الضَّربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضَربات ، ولكنّ عدوّ الله كانت عليه دِرْعان .

أبو دجانة وابن أبى وقاص يدفعان عن الرسول

قال ابن إسحاق :

وتَرّس دون رسولِ الله صلّى اللّٰه عليه وسلّم أبو دُجانة بنفسه ، يقع النّبلُ فى ظهره وهو مُنْحنٍ عليه ، حتى كثُر فيه النّبلُ . ورمى سعدُ بن أبى وقّاص دون رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال سعد : فلقد رأيته يُناولنى النَبل وهو يقول : ارمِ ، فِداكَ أبى وأمى ، حتى إنه ليُناولنى السّهم ماله نَصْل ، فيقول : ارمِ به .

بلاء قتادة وحديث عينه

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة :

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم : رَمى عن قوْسه حتى اندقّت سِيَتُها[4] ،فأخَذها قَتادة بن النعمان، فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة ابن النّعمان ، حتى وقعت على وَجْنته .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

أن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ردّها بيده ، فكانت أحسنَ عَيْنيه وأحدّها .

---

(١) يريد « بالريح » النصر .

(٢) أقمأه الله : أذله .

(٣) زيادة عن ا ، م .

(٤) السية : طرف القوس .

شأن أنس ابن النضر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدىّ ابن النجّار قال :

انتهى أنسُ بن النّضر ، عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطّاب ، وطلحة ابن عبيد الله ، فى رجال من المُهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : فماذا تصْنعون بالحياة بعده ؟ [قوموا][1] فمُوتوا على مامات عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم، ثم استقبل القومَ ، فقاتل حتى قُتل ؛ وبه سمى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى حُميد الطويل عن أنس بن مالك ، قال :

لقد وجدنا بأنس بن النّضْر يومئذ سَبْعين ضربة ، فما عَرَفه إلا أختُه ، عرفْته ببَنانه .

ما أصاب ابن عوف من الجراحات

قال ابن هشام : حدّثنى بعضُ أهل العلم :

أن عبد الرحمن بن عوف أُصيب فُوه يومئذ فهُتم[2] ، وجُرح عشرين جراحة ، أو أكثر ، أصابه بعضُها فى رِجْله فعرِج .

أول من عرف الرسول بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق :

وكان أول من عَرَف رسولَ الله صلّى اُلله عليه وسلّم بعد الهزيمة ، وقولِ الناسِ : قتل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، كما ذكر لى ابنُ شهاب الزّهرى كعبُ بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزْهران[3] من تحت المِغْفر ، فناديتُ بأعلى صَوتى : يا معشر المسلمين ، أبشرُوا ، هذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فأشار إلىّ رسولُ الله صلّى اُلله عليه وسلّم : أن أنْصِت .

قال ابن إسحاق :

فلما عرف المُسلمون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نَهضوا به ، ونَهض معهم

(١) زيادة عن ا .
(٢) هتم : كسرت ثنيته .
(٣) تزهران : تضيئان .

نحو الشِّعب، معه أبو بكر الصّديق، وعُمر بن الخطّاب، وعلىّ بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصِّمة، ورهْط من المسلمين.

مقتل أبىّ ابن خلف

[قال][1]:

فلما أسند رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الشِّعب أدركه أُبىّ بن خلف، وهو يقول[2]: أى محمد، لا نجوتُ إن نجوتَ! فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجلٌ منّا؟ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: دَعُوه. فلمّا دنا تناول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الحرْبةَ من الحارث بن الصِّمة؛ يقول بعضُ القوم، فيما ذُكر لى: فلما أخذها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منه انتفض بها انتفاضة، تطايرْنا عنه تطاير الشَّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها — قال ابن هشام: الشعراء: ذباب له لدغ — ثم استقبله فطعَنه فى عُنقه طَعْنة تَدأدأ منها عن فرسه مرارا.

قال ابن هشام: تدأدأ، يقول تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج.

قال ابن إسحاق:

وكان أُبىّ بن خلف، كما حدّثنى صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، يَلْقى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة، فيقول: يا محمد، إن عندى العَوْذ، فرساً أَعْلفه كل يوم فَرْقاً[3] من ذرة، أقتلك عليه؛ فيقول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: بل أنا أقتُلك إن شاء الله. فلما رجَع إلى قريش وقد خَدَشه فى عُنقه خَدْشا غيرَ كبير، فاحتَقن الدم، قال: قتَلنى والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إنْ بك من بأس؛ قال: إنه قد كان قال لى بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بَصَق علىّ لقتَلنى. فمات عدوّ الله بسَرِف[4] وهم قافلون به إلى مكة

(١) زيادة عن ا.
(٢) فى ا: «أى» وفى سائر الأصول: «أين».
(٣) الفرق (بفتح الراء وإسكانها): مكيال يسع ستة عشر منا، وقيل: اثنى عشر رطلا.
(٤) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وقيل، سبعة، وتسعة واثنى عشر، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها، وهناك توفيت. (راجع معجم البلدان).

شعر حسان في مقتل أبي ابن خلف

قال ابن إسحاق :

فقال حسّان بن ثابت في ذلك :

لَقدْ وَرِث الضَّـــلالةَ عن أَبيهِ أُبيٌّ يوم بارَزه الرســــــولُ
أتيتَ إليــه تَحْمِل رِمّ عَظْمٍ وتُوعِـــده وأنتَ به جَهول[1]
وقــد قتلتْ بنو النجّار منكم أُميــةَ إذ[2] يُغَوِّثُ : يا عَقيل
وتَبَّ ابنا ربيعة إذ أطَاعا أبا جَهْل ، لأمهما الهبُــول[3]
وأَفْلت حارثٌ لما شَـــغَلنا بأَسر القَوْم ، أُسْرته قَليـــــل[4]

قال ابن هشام : أسرته : قبيلته .

وقال حسان بن ثابت أيضاً في ذلك :

ألا من مُبلغ عـــنّى أبيًّا لقد أُلْقيت في سُحق السَّعير[5]
تمنّى بالضَّلالة من بَعيـــد وتُقسم أن قَدَرْت مع[6] النُّذور
تَمنِّيك الأمانى من بعيـــد وقولُ الـكُفر يَرْجع في غُرور
فقد لاقَتْك طعنةُ ذى حفاظ كريم البيت ليس بذى فُجور[7]
له فَضْــل على الأَحْياء طُرًّا إذا نابتْ مُلِمّات الأمور

انتهـــاء الرسول إلى الشعب

[قال][8] :

فلما انتهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إلى فَم الشِّعب خَرج عليٌّ ابن أبي طالب ، حتى ملأ دَرَقته ماءً من المِهْراس[9] ، فجاء به إلى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ليشرب منه ، فوَجد له ريحاً . فعافه[10] ، فلم يَشْرب منه ، وغَسل

---

(١) الرم : العظم البالى .
(٢) في ا : «ان» .
(٣) تب : هلك . والهبول : الفقد ؛ يقال : هبلته أمه ، أى فقدته .
(٤) الفليل : المنهزمون . ويروى . « قليل » بالقاف ، وهو معلوم .
(٥) السحق : البعد والعمق .
(٦) م ، ر : « على » .
(٧) الحفاظ : الغضب في الحرب .
(٨) زيادة عن ا .
(٩) قال أبو ذر : « قال أبو العباس: المهراس: ماء بأحد . وقال غيره : المهراس :حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ، ويصب فيه المـاء لينتفع به الناس» .
(١٠) عافه : كرهه .

عن وَجهه الدمَ ، وصبّ على رأسه وهو يقول : اشتد غَضَبُ الله على من دمَّى وجَه نبّيه

حرص ابن أبى وقاص على قتل عتبة

قال ابن إسحاق : فحدّثنى صالح بن كَيسان عمّن حدّثه عن سَعد ابن أبى وقاص أنه كان يقول :

والله ما حَرَصت على قَتْل رجل قطّ كحِرْصى على قَتْل عُتبة بن أبى وقّاص، وإن كان ما علمتُ لسيّئَ الخلق مبغضا فى قومه ، ولقد كَفانى منه قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اشتد غضبُ الله على من دمَّى وجه رسوله .

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم

قال ابن إسحاق :

فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالشّعب ، معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ عَلَت عاليةٌ من قريش الجبلَ .

قال ابن هشام . كان على تلك الخَيل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يَعْلونا ! فقاتل عمرُ بن الخطاب ورهْطٌ معه من المهاجرين حتى أهْبطوهم من الجبل .

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له

قال ابن إسحاق :

ونَهض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى صَخْرة من الجَبل ليعلوها ، وقد كان بَدَّن(١) رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وظَاهر بين دِرْعين ، فلما ذَهب ليَنْهض صلّى الله عليه وسلّم لم يَسْتطع ، فَجلس تحته طَلْحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استَوى عليها . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، كما حدّثنى يحيى ابن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال :

سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ يقول : أوجَب(٢) طلحة حين

---

(١) بدن : أسن وضعف .

(٢) أوجب : وجبت له الجنة .

صنع برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ما صنع .

قال ابن هشام : و بلغني عن عِكْرمة عن ابن عبّاس :

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لم يبلغ الدَّرجة المبنيّة فى الشّعب .

صلاة الرسول قاعدا

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة :

أن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم صلّى الظهر يوم أُحد قاعداً من الجراح التى أصابتْه ، وصلّى المُسْلمون خلفَه قُعودا .

قال ابن إسحاق :

مقتل اليمان وابن وقش

وقد كان الناس انْهزموا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انتهى بعضُهم إلى المُنَقّى ، دون الأعْوص[1] .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لَبيد، قال :

لما خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أُحد ، رَفع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمان[2] أبو حُذيفة[3] بن اليمان ، وثابت بن وَقْش ، فى الآطام مع النساء والصّبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شَيْخان كَبيران : لا أبالك ، ما تنتظر ؟ فوالله ما بقى لواحد منّا من عمره إلا ظِمْء[4] حِمار، إنما نحن هامةٌ[5] اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نَلْحق برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لعل الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ فأخذَا أسيافهما ثم خَرجا ، حتى دخَلا

---

(١) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(٢) قال السهيلى : « وسمى حسيل بن جابر : اليمانى ، لأنه من ولد جروة بن مازن بن قطيعة بن عبس ، وكان جروة قد بعد عن أهله فى اليمن زمنا طويلا ثم رجع ، إليهم فسموه اليمانى.

(٣) ويكنى حذيفة : أبا عبد الله ، وهو حليف لبنى عبد الأشهل . وأمه الرباب بنت كعب . (راجع الروض) .

(٤) الظمء : مقدار مايكون بين الشربتين . وأقصر الأظماء ظمء الحمار ، لأنه لا يقصر عن الماء ، فضرب مثلا لقرب الأجل .

(٥) الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل فلا يزال يصيح : اسقونى اسقونى ! حتى يؤخذ بثأره ، فضربته العرب مثلا للموت .

فى الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأما ثابت بن وَقْش فقتله المُشْركون ، وأما حُسَيل ابن جابر ، فاختلفت عليه أسيافُ المُسْلمين ، فقَتلوه ولا يَعرفونه[1] ، فقال حُذيفة: أَبِى[2]؛ فقالوا : والله إنْ عرفناه ، وصدَقوا. قال حُذَيفة : يَغْفِر الله لكم وهو أرْحم الراحمين. فأراد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يَدِيَه ؛ فتصدّق حُذيفة بدِيته على المُسلمين ؛ فزَاده ذلك عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم خيراً .

مقتل حاطب ومقالة أبيه

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة :

أن رجلا منهم كان يُدْعى حاطب بن أُميّة بن رافع ، وكان له ابنٌ يقال له يزيد بن حاطب ، أصابتْه جراحةٌ يوم أُحد ، فأُتِى به إلى دار قومه وهو بالمَوْت ، فاجتمع إليه أهلُ الدار ، فجَعل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبْشر يا بن حاطب بالجنّة ؛ قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا فى الجاهلية ، فنجَمَ يومئذ نِفاقُه ، فقال : بأى شىء تبشّرونه؟ بجنّة من حَرْمل[3] ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان منافقا كما حدث الرسول بذلك

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال :

كان فينا رجلٌ أتِىٌّ[4] لا يُدرى ممّن هو ، يقال له: قُزْمان ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول ، إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار قال : فلما كان يوم أُحد قاتلَ قتالا شديداً ، فقتَل وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتتْه الجراحة ، فاحتُمل إلى دار بنى ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أَبليتَ اليوم يا قُزْمان ، فأبْشِر قال : بماذا أبشر؟

(١) قيل إن الذى قتله خطأ هو عتبة بن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود ، وجد عبد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه . وعتبة هذا هو أول من سمى المصحف مصحفا .

(٢) فى م ، ر : « أبى والله » .

(٣) قال السهيلى : « من حرمل ، يريد الأرض التى دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل ، أى ليس له جنة إلا ذاك » .

(٤) أتىّ : غريب .

فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ماقاتلتُ . قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سَهْمًا من كِنانته فقَتَل به نفسه .

قتل مخيريق

قال ابن إسحاق :

وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخَيريق ، وكان أحدَ بنى ثَعْلبة بن الفِطْيون قال : لمـا كان يوم أُحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أنّ نَصْر محمد عليكم لحقٌّ ؛ قالوا : إنّ اليوم يوم السّبت ؛ قال : لا سَبْت لكم . فأخذ سيفَه وعُدَّته ، وقال : إنْ أُصِبتُ فَمـالِى لمحمّد ، يَصْنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم – فيما بلغنا – مُخَيريق خير يهود .

أمر الحارث ابن سويد

قال ابن إسحاق :

وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت مُنافقًا ، فخرج يوم أُحد مع المُسلمين ، فلما التقَى الناسُ ، عدَا علَى المُجذَّر بن ذِياد البَلَوى ، وقَيْس بن زيد ، أحد بنى ضُبَيعة ، فقَتَلهما ، ثم لحق بمكّة بقُرَيش ؛ وكان رسـولُ الله صلّى الله عليه وسلّم – فيما يذكرون – قَد أَمر عُمَر بن الخطاب بقَتْله إنْ هو ظَفِر به ، ففاتَه ، فكان بمكة ؛ ثم بَعث إلى أخيه الجُلَاس بنُ سُويد يطلب التوبةَ ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى عن ابن عبّاس : « كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنّ الرَّسُولَ حقٌّ وَجَاءَهُمْ البيّناتُ ، واللهُ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينْ » إلى آخر القصة .

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر

قال ابن هشام : حدّثنى مَنْ أثِق به من أهل العِلْم :

أنّ الحارث بن سُويد قَتَل المُجذَّر بن ذِياد ، ولم يَقْتل قيسَ بن زيد ، والدليلَ على ذلك : أنّ ابن إسحاق لم يذكره فى قَتْلى أُحد ؛ وإنمـا قَتل المُجذَّر ، لأن المُجذَّر بن ذياد كان قتل أباه سُويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضَى من هذا الـكتاب .

فبينا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث ابن سُويد من بعض حَوائط المدينة ، وعليه ثوبان مُضرَّجان[1] ، فأمر به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عثمانَ بن عفّان ، فضَرب عُنقه ؛ ويقال : بعضُ الأنصار .

قال ابن إسحاق :

قتل سويدَ بن الصّامت معاذُ بن عَفراء غيلةً ، فى غير حَرب ، رماه بسَهْم فقَتله قبل يوم بُعاث .

أمر أصيرم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى الحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد ابن معاذ عن أبى سُفيان ، مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هُرَيرة قال كان يقول : حدّثونى عن رجل دخَل الجنة لم يُصلِّ قطُّ ، فإذا لم يَعْرفه الناسُ سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصَيْرم ، بنى[2] عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت ابن وَقْش . قال الحُصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأُصَيرم ؟ قال . كان يأبى الإسلام على قومه . فلمّا كان يوم خَرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أُحد ، بدا له فى الإسلام فأَسْلم ، ثم أخذ سيفَه ، فعدا حتى دخل فى عُرْض الناس ، فقاتل حتى أَثْبتته الجِراحة . قال : فبينا رجالٌ من بنى عبد الأشهل يَلْتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكر لهذا الحديث ، فَسألوه ما جاء به ؟ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أَحَدَبٌ على قومك أم رَغبة فى الإسلام ؟ قال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سَيْفى ، فغدوتُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ثم لم يلبث أنْ مات فى أيديهم . فذكروه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

---

(١) المضرج : المشبع حمرة ، كأنه ضرج بالدم ، أى لطخ به .

(٢) فى ا : « من بنى » .

مقتل عمرو ابن الجموح

قال ابن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاقُ بن يَسار عن أشياخ من بنى سَلِمة :

أن عمرو بن الجَموح كان رجلاً أعْرج شـديد العَرَج ، وكان له بَنون أربعة مثل الأُسْد ، يشهدون مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشاهد ، فلما كان يوم أُحد أرادوا حَبْسه ، وقالوا له : إنّ الله عزّ وجلّ : قد عَذَرك ، فأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : إن بنىّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخُروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعَرْجتى هذه فى الجنة ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أما أنت فقد عَذَرك الله، فلا جهاد عليك، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة ؛ فخرج معه فقُتل يوم أُحد[1] .

هند وتمثيلها بحمزة

قال ابن إسحاق :

ووقعت هند بنت عُتبة ، كما حدّثنى صالح بن كَيْسان ، والنسوة اللاتى معها . يمثّلن بالقَتْلى من أصْحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، يجدّعن[2] الآذان والآنُف ، حتى اتخذت هِنْد من آذان الرِّجال وآنُفِهمْ خَدَما[3] وقلائد ، وأعْطت خَدَمها وقلائدها وقِرَطتها وَحْشيًّا ، غلام جُبير بنُ مطعم، وبَقَرت[4] عن

---

(١) قال السهيلى : « وزاد غـير ابن اسحاق : أنه لما خرج قال : اللهم لا تردنى ، فاستشهد ، فجعله بنوه على بعير ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فـكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ، ذكروا قوله : اللهم لا تردنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه » .

(٢) يجدعن : يقطعن .

(٣) الخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال .

(٤) بقرت : شقت .

كَبِد حَمْزة ، فَلاَكتها[١] ، فلم تستطع أن تُسِيغها[٢] ، فَلَفَظَتها[٣] ، ثم عَلَت على صَخْرةٍ مشرفة ، فصَرَخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جَزَيْناكم بيوم بَــدْر ... والحرْب بعد الحرب ذات سُعْرِ[٤]
ما كان عن عُتْبة لى من صَبْر ... ولا أخى وعمّــه وبَكْرى
شَفَيتُ نفسى ، وقَضَيتُ نَذْرى ... شَفَيتَ وَحْشِيّ غَلِيل صَدْرى[٥]
فشُكْر وَحْشِيّ علىّ عُمْرى ... حتى ترِمَّ أعظُمى فى قَبْرى[٦]

شعر هند بنت أثاثة فى الرد على هند بنت عتبة

فأجابتها هند بنت أُثاثة بن عبّاد بن المُطلب ، فقالت :

خَزِيتِ فى بدر و بعــد بَدْر ... يا بنتَ وقّاعٍ عظيم الكُفْرِ[٧]
صَبّحك الله غـداةَ الفَجْر ... ملْهاشميّين الطِّوال الزُّهْرِ[٨]
بكلّ قطّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِى ... حَمْزةُ لَيْثى وعلىٌّ صَقْرى[٩]
إذ رام شَيْبٌ وأبوكِ غَدْرى ... فخَضَّبا منه ضَواحِي النَّحْرِ[١٠]

* ونَذْرك السُّوء فَشرُّ نَذْرِ *

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أَقْذعتَ فيها .

---

(١) لاكتها : مضغتها .
(٢) أن تسيغها : أن تبتلعها .
(٣) لفظتها : طرحتها .
(٤) السعر (بضمتين وسكن للشعر) : الالتهاب .
(٥) الغليل : العطش ، أو حرارة الجوف .
(٦) ترم : تبلى وتتفتت .
(٧) الوقاع ، الكثير الوقوع فى الدنايا .
(٨) ملهاشميين ، أراد : من الهاشميين ، لحذف النون من (من) لالتقاء الساكنين ، ولا يجوز ذلك إلا فى (من) وحدها لكثرة استعمالها . والزهر : البيض ؛ الواحد : أزهر .
(٩) الحسام : السيف القاطع . ويفرى : يقطع .
(١٠) شيب : أرادت شيبة . فرخمته فى غير النداء . وضواحى النحر : ماظهر من الصدر .

شعر هند بنت عتبة أيضا

قال ابن إسحاق :

وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَيتُ من حَمْزة نَفْسِى بأُحد ... حتى بَقَرْتُ بَطْنَه عن الكَبِدْ
أَذْهَب عنّى ذاك ما كنتُ أجِد ... من لَذْعة الحُزن الشَّديد المُعْتمِد[1]
والحَرب تَعْلوكم بشُؤْبوب بَرِد ... تُقْدم إقداماً عليكم كالأسَد[2]

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : فحدّثنى صالح بن كَيْسان أنه حُدّث :

أنّ عمرَ بن الخطاب قال لحسّان بن ثابت : يا بن الفُرَيعة ـ قال ابن هشام : الفريعة بنت خالد بن خُنيس، ويقال : خُنيس: ابنُ حارثة بن لَوْذان بن عبد ود ابن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ لو سمعتَ ما تقول هِنْد، ورأيت أشرَها[3] قائمةً على صَخرة ترْتجز بنا ، وتذكر ماصنعتْ بحمزة ؟ قال له حسّان : والله إنى لأنظر إلى الحَرْبة تَهْوِى وأنا على رأس فارع ـ يعنى أُطُمَه ـ فقلت : والله إن هذه لسِلاَح ما هىَ بسِلاح العَرب ، وكأنها إنما تهوى إلى حَمْزة ولا أدْرى ، لكن أسْمِعنى بعض قَولِها أكفكموها ؛ قال : فأنشده عمرُ بن الخطّاب بعض ما قالت ؛ فقال حسّان بن ثابت :

أَشِرَتْ لَكاعِ وكان عادتُها ... لُؤْماً إذا أَشِرتْ مع الكُفْرِ[4]

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتاً أيضاً له على الدال ، وأبياتاً أخر على الذال ، لأنه أقذع فيها .

استنكار الحليس على أبى سفيان تمثيله بحمزة

قال ابن إسحاق :

وقد كان الحُلَيس بن زَبّان ، أخو بنو الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ

---

(١) اللذعة : ألم النار ، أو مايشبه بها . والمعتمد : القاصد المؤلم .
(٢) الشؤبوب : دفعة المطر الشديدة . وبرد ، أى ذو برد ، شبهت الحرب بها .
(٣) الأشر : البطر .
(٤) قال السهيلى : « لكاع ، جعله اسما لها فى غير موضع النداء ، وذلك جائز ، وإن كان فى النداء أكثر ، نحو ياغدار ويافساق . واللكاع : اللئيمة » .

سيّد الأبيش ، قد مرّ بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شِدْق حمزة بن عبد المطلب بزُجِّ الرمح ، ويقول : ذُق[1] عُقَقُ ؛ فقال الحُلَيس : يا بنى كنانة ، هذا سيّد قُريش يصنع بابن عمّه ما تَرَون لحمًا[2] ؟ فقال : ويْحك ! اُكْتُمْها عنّى ، فإنها كانت زلّة .

شماتة أبى سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر

ثم إن أبا سفيان بن حَرْب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجَبَل ، ثم صَرَخَ بأعلى صوته ، فقال : أنعمْتَ فعال[3] ، إنّ الحرب سِجال[4] يوم بيوم ، أُعْلِ هُبَل[5] ، أى أظْهر دينك ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قُمْ يا عُمر فأجِبْه ، فقل : الله أعْلى وأجلّ ، لاسواء[6] ، قتلانا فى الجنّة ، وقَتْلاكم فى النّار . فلما أجاب عُمر أبا سُفيان ، قال له أبو سُفيان : هَلُمّ إلىّ يا عمر ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعُمر : ائته فانظر ماشَأْنُه ؛ فجاءه ، فقال له أبوسفيان : أنشدكَ الله ياعمرُ ، أقَتَلنا محمد ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامَكَ الآن ؛ قال : أنت أصدق عندى من ابن قَمِئة وأبرّ ؛ لقول ابن قَمِئة لهم : إنى قد قتلت محمدا .

قال ابن هشام : واسم ابن قَمِئة عبد الله .

توعد أبى سفيان المسلمين

قال ابن إسحاق :

ثم نادى أبو سُفيان : إنه قد كان فى قَتْلاكم مثل ، والله ما رضيت ، وما سَخِطْتُ ، وما نهيتُ ، وما أمرت .

---

(١) ذق عقق ، أراد ياعاق ، فعدله إلى فعل .

(٢) لحما : أى ميتا لايقدر على الانتصار .

(٣) أنعمت فعال ، أى بالغت ؛ يقال : أنعم فى الشيء ، إذا بالغ فيه . قال أبو ذر : « أنعمت (بفتح التاء) يخاطب به نفسه. ومن رواه أنعمت (بسكون التاء) ، فانه يعنى به الحرب أو الوقيعة . وقوله : فعال ، أى ارتفع (بصيغة الأمر فيهما) يقال : اعل عن الوسادة ، وعال عنها ، أى ارتفع . وقد يجوز أن تكون معدولة من الفعلة ، كما عدلوا فجار عن الفجرة ، أى بالغت فى هذه الفعلة ، ويعنى بالفعلة الوقيعة » .

(٤) السجال : المكافأة فى الحرب وغيرها .

(٥) هبل : اسم صنم .

(٦) لاسوا ، أى لانحن سواء . قال السهيلى : « ولا يجوز دخول (لا) على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار ، ولكنه جاز فى هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفى الفعل ، أى لا نستوى .

ولما انصرف أبو سُفيان ومن معه نادى : إنّ موعدكم بدر للعام القابل ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

خروج على فى آثار المشركين

ثم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب ، فقال : اخرُج فى آثار القوم ، فانظُر ماذا يَصْنعون وما يُريدون ؛ فإن كانوا قد جنَّبوا الخيل[1] ، وامتطوا الإبل ، فإنهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل ، فإنهم يُريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ، ثم لأناجزنَّهم. قال علىّ : فخرجت فى آثارهم أنظُر ماذا يصنعون ؛ فجَنّبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ووَجّهوا إلى مكة .

من القتلى بأحد

وفرغ[2] الناس لقَتْلاهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كما حدّثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصعة المازنى ، أخو بنى النَّجار : مَنْ رجلٌ ينظر لى ما فعل سَعد بن الربيع ؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار[3] : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سَعْد ، فنظَر فوَجده جريحاً فى القَتْلى وبه رَمق . قال : فقلت له : إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمرنى أن أنظُر ، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عنّى السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ماجزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومَك عنّى السلام وقُل لهم : ان سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عُذْر لكم عند الله إن خُلِص إلى

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم.

(٢) ويروى : « فزع » أى خافوا لهم ولم يشتغلوا بشىء سواهم .

(٣) قال السهيلى : « الرجل هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدى ، وذكر أنه نادى فى القتلى : ياسعد بن الربيع ، مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، حتى قال : يا سعد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى أنظر ماصنعت ؛ فأجابه حينئذ بصوت ضعيف وذكر الحديث . وهذا خلاف ماذكره أبو عمر فى كتاب الصحابة ، فانه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده أن الرجل الذى التمس سعدا فى القتلى هو أبىّ بن كعب » .

نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم ومنكم عينٌ تطرِف[1] . قال : ثم لم أبْرح حتى مات ؛ قال : فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخْبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدّثنى أبو بكر الزُّبيرى :

أنّ رجلاً دخَل على أبى بكر الصدّيق ، وبِنْتٌ لسَعْد بن الرّبيع جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْره يَرْشُفها[2] ويقبّلها ؛ فقال له الرجل : مَنْ هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجل خير منِّى ، سعْدِ بن الرّبيع ، كان من النُّقباء يوم العَقَبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أحد .

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة

قال ابن إسحاق :

وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فيما بلغنى ، يَلْتمس حمزةَ بن عبد المُطلب ، فوَجده ببطْن الوادى قد بُقِر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به ، فجُدِع أنفُه وأُذُناه .

فحدّثنى محمدُ بن جَعْفر بن الزبير :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : حين رأى ما رأى : لولا أن تَحْزَن صَفيّة ، ويكون سُنَّة من بعدى لَترَكْته ، حتى يكون فى بطُون السِّباع ، وحَواصل الطير ، ولئن أَظْهرنى الله على قُرَيش فى مَوْطن من المَواطن لأَمثلنّ بثلاثين رجلاً منهم فلما رأى المسلمون حُزْن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وَغَيظه على مَن فعل بعَمّه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثّلن بهم مُثْلة لم يُمثِّلها أحد من العرب .

قال ابن هشام :

ولما وقف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على حَمْزة قال : لن أُصاب بمثلك أبدا ! ما وقفتُ موقفاً قطّ أغيظ إلىّ من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريلُ فأَخبرنى

(١) يقال : طرف بعينه يطرف : إذا ضرب بجفن عينه الأعلى على جفن عينه الأسفل .

(٢) يرشفها : يمصّ ريقها .

إنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وأسد رسوله

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وحمزة وأبو سَلَمة بن عبد الأسد ، إخْوة من الرضاعة ، أرْضَعتهم مولاة لأبى لَهب(1) .

ما نزل فى النهى عن المثلة

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بُرَيدة بنُ سُفيان بن فَرْوة الأسلمى عن محمد ابن كَعْب القُرظى ، وحدّثنى من لا أتّهم عن ابن عبّاس :

أن الله عزّ وجلّ أنزل فى ذلك ، من قول رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقول أصحابه : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَاصَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلاَ تَكُ فى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » . فعفا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصَبَر ونهى عن المثلة .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حُميد الطويل عن الحسن عن سَمُرة بن جُنْدب، قال:

ماقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مقام قطّ ففارقه ، حتى يأمرنا بالصّدقة ويَنْهانا عن المثلة(2) .

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لا أتّهم عن مِقْسم ، مولى عبد الله ابن الحارث عن ابن عبّاس ، قال :

أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحَمْزة فسُجِّى(3) ببردة ، ثم صلّى عليه ، فكبّر سَبعَ تكبيرات ، ثم أُتى بالقتلَى فيوضعون إلى حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلّى عليه ثنتين وسبْعين صلاة(4) .

---

(1) اسمها ثويبة .

(2) قال السهيلى : « وهو حديث صحيح فى النهى عن المثلة ، فإن قيل : فقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم بالحرة ؟ قلنا : فى ذلك جوابان ، أحدهما : أنه فعل ذلك قصاصا لأنهم قطعوا أيدى الرعاء وأرجلهم وسملوا أعينهم ؛ وقيل إن ذلك قبل تحريم المثلة ؛ فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا عطاشا . قلنا : عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة » .

(3) سجى : غطى .

(4) قال السهيلى : « ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعى لوجهين ، أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث ، قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، يعنى الحسن بن عمارة ، فيما ذكروا ، ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لايرونه شيئا ، =

صفية وحزنها على حمزة

قال ابن إسحاق .

وقد أقبلتْ فيما بَلَغنى ، صفيّة بنت عبد المطلب لتنظُر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأُمّها ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لابنها الزُّبير بن العوام : القَها فأَرْجعها لا تَرَى ما بأخيها ؛ فقال لها : يا أُمّه . إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يأْمُرُك أن تَرْجعى ، قالت : ولِمَ ؟ وقد بلغنى أن قد مُثِل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسِبنّ ولأصْبِرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره بذلك ؛ قال : خلِّ سبيلَها ، فأتَتْه ، فنظرتْ إليه ، فصلّت عليه ، واستَرْجعت(1) ، واستغفرَت له ، ثم أمر به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فدُفن .

قال :

دفن عبدالله ابن جحش مع حمزة

فزعم لى آلُ عبد الله بن جَحْش ـ وكان لأُميمة بنت عبد المطلب ، حَمْزة خاله، وقد كان مُثِّل به كما مُثِّل بحَمْزة ، إلا أنه لم يُبْقر عن كَبِده ـ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم دَفَنَه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهلِه .

دفن الشهداء

قال ابن إسحاق :

وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلاهم إلى المَدينة ، فدَفنوهم بها ، ثم نَهَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرعوا .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن مُسلم الزُّهرى عن عبد الله بن ثَعْلبة ابن صُعَير العُذْرى ، حليف بنى زُهرة :

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لما أشْرف على القَتْلى يوم أُحد قال : أنا شَهيد

= وإن كان الذى قال فيه ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجهل يوبقه .

والوجه الثانى ، أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى غزوة أحد ، وكذلك فى مدة الخليفتين ، إلا أن يكون الشهيد مرتثا من المعركة .

(1) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

على هؤلاء أنه مامن جَريح يُجْرح فى الله إلا والله يَبْعثه يوم القيامة يَدْمى جرحُه، اللونُ لونُ دمٍ، والريحُ ريح مسك، انظروا أكثَرَ هؤلاء جَمْعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصْحابه فى القَبْر - وكانوا يَدْفِنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد .

قال: وحدّثنى عمّى موسى بن يَسار أنه سمع أبا هُرَيرة يقول :

قال أبو القاسم صلّى الله عليه وسلّم: مامن جريح يُجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يَدْمى، اللون لون دم، والريح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاقُ بن يسار، عن أشياخ من بنى سَلِمة :

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال يومئذ، حين أمر بدَفن القتلى : انظروا إلى عَمْرو بن الجَموح، وعبد الله بن عمرو بن حَرام، فإنهما كانا مُتصافِيين فى الدنيا، فاجعلوهما فى قبر واحد .

حزن حمنة على حمزة

قال ابن إسحاق :

ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم راجعاً إلى المدينة، فلقِيَتْه حَمْنة بنت جحش، كما ذكر لى، فلما لقيت الناسَ نُعِيَ إليها أخوها عبدُ الله ابن جحش، فاستَرْجعت واستَغْفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعِي لها زوجها مُصْعب بن عُمير، فصاحت وَوَلْولت! فقال رسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: إن زَوْج المرأة منها لبمكان! لِمَا رأى من تَثَبّتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها .

بكاء نساء الأنصار على حمزة

قال ابن إسحاق :

ومرّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظفَر، فسَمع البكاء والنَّوائح على قتلاهم، فَذَرفت عينا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فبكى، ثم قال: لكنّ حمزة لابواكى له! فلما رجع سعد بن مُعاذ

وأسيد بن حُضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فيبْـكِين على عمّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق : حدّثنى حكيم بن حكيم بن عَبّاد بن حُنَيف عن بعض رجال بنى عبد الأشهل ، قال :

لمـا سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بُكاءهن على حمزة خرج عليهن وهنّ على بابِ مَسْجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يَرْحمكن الله ، فقد آسيتنّ[1] بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النَّوْح .

قال ابن هشام : وحدّثنى أبو عُبيدة

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمـا سمع بكاءهن قال : رحم الله الأنصار ! فإن المُواساة منهم ما عتمت[2] لقَديمة ، مُروهنّ فلْيَنْصرفن .

شأن المرأة الدينارية

قال ابن إسحاق وحدّثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن عن إسماعيل بن محمد عن سَعْد بن أبى وقاص ، قال :

مرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بامرأة من بنى دِينار ، وقد أُصيب زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأُحد ، فلما نُعوا لهـا قالت : فمـا فعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أَرُونيه حتى أنظُر إليه ؟ قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل ! تُريد صغيرة .

قال ابن هشام :

الجلل : يكون من القليل ، ومن الـكثير ، وهو هاهنا من القليل . قال امرؤ القيس فى الجلل القليل :

---

(١) آسيتن : عزيتن وعاونتن ، وأكثر ما يقال فى المعونة .

(٢) فى ا : « ماعلمت » .

لقَتلِ بنى أســــد رَبَّهم[١] ألاَ كلُّ شىء سواه جَلل[٢]

قال ابن هشام[٣] : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعْلة الجَرْمِىّ :

ولئن عَفَوْتُ لأعْفون جَللاً ولئن سَطَوْتُ لاوْهِنن عَظْمى

[فهو من الكثير][٤] .

غسل السيوف

قال ابن إسحاق :

فلما انتهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهله ناول سَيْفه ابنَته فاطمة ، فقال : اُغسلِى عن هذا دَمه يا بُنيّة ، فوالله لقد صَدَقنى اليومَ ؛ وناولها علىُّ ابن أبى طالب سَيْفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسِلى عنه دَمه ، فوالله لقد صدَقنى اليوم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لئن كنت صدقتَ القتال لقد صَدَق معك سهلُ بن حُنَيف وأبو دُجانة .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسَيْف رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذو الفقَار[٥] .

قال ابن هشام : وحدّثنى بعضُ أهل العلم أن ابن أبى نجيح قال : نادى مُنادٍ يومَ أُحد :

لا ســــيف إلا ذو الفقا ر ، ولا فــــتَى إلا علىّ

قال ابن هشام : وحدّثنى بعضُ أهل العلم :

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعلىّ بن أبى طالب : لا يُصيب المشركون منّا مثلَها حتى يَفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق[٦] :

وكان يوم أحد يوم السّبت للنّصف من شوّال .

(١) ربهم : أى ملكهم، ويعنى به والده حجرا ، لأنه كان ملكا على بنى أسد فقتلوه.
(٢) فى ا : « خلاه » .
(٣) كذا وردت هـذه العبارة فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « أى صغير قليل . قال ابن هشام : والجلل أيضا العظيم . قال الشاعر ... الخ » .
(٤) زيادة عن ا ، ط .
(٥) وكان ذوالفقار سيف العاصى بن منبه ، فلما قتل كافرا يوم بدر صار إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء إلى على بن أبى طالب .
(٦) فى ا : «قال ابن هشام» .

خروج الرسول فى أثر العدو ليرهبه

قال :

فلما كان الغدُ [من][1] يوم الأحد لستَّ عشرة ليلة مضتْ من شوال ، أذّن مؤذّن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم فى الناس بِطلب العدوّ ، فأذَّنَ مؤذّنه أن لا يخرجن معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضَر يومَنا بالأمس . فكلّمه جابر ابن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقال : يا رسول الله ، إنّ أبى كان خَلّفنى على أخوات لى سَبْع ، وقال: يا بُنىّ ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نَترك هؤلاء النِّسوة لا رَجل فيهنّ ، ولست بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم على نَفْسى ، فتخلَّفْ على أخواتك ؛ فتخلَّفتُ عليهن . فأذِن له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فخَرج معه . و إنما خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مُرْهِباً للعدّو ، وليبلغهم أنه خرج فى طَلَبهم، ليظنّوا به قوةً، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدّوهم .

مثل من استماتة المسلمين فى نصرة الرسول

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبدُ الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب ، مولى عائشة بنت عُثمان :

أن رجلاً من أصحاب رسولِالله صلّى الله عليه وسلّم ، من بنى عَبد الأشهل، كان شَهِد أحداً مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : شهدتُ أحداً مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنا وأخ لى ، فرَجعنا جَريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى أو[2] قال لى : أَتفوتُنا غَزوةٌ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ والله ما لَنا من دابّة نَرْكبها ، وما مِنّا إلا جَريح ثَقيل فخرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكنت أيسرَ جُرحًا ، فكان إذا غُلِب حملته عُقبةً[3] ، ومشى عُقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المُسلمون .

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى ا : «وقال» .

(٣) عقبة : من الاعتقاب فى الركوب .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن إسحاق :

فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انتهى إلى حَمْراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المَدِينة ابنَ أم مَكْتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق :

فأقام بها الاثنين والثُّلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

شأن معبد الخزاعى

قال : وقد مرّ به كما حدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، معبدُ بن أبى مَعْبد الخُزاعى ، وكانت خُزاعة ، مُسلمهم ومُشْركهم عَيْبَةَ[1] نُصح لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بتهامة ، صَفْقَتهم[2] معه ، لايُخْفون عنه شيئاً كان بها ، ومَعْبد يومئذ مُشْرِك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولوددْنا أنّ الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحمراء الأسد ، حتى لقى أبا سُفْيان بن حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء ، وقد أجمعوا الرّجْعة إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدَّ أصحابه وأشْرافهم وقادَتهم ، ثم نرجع قبل أن نَسْتأصلهم ! لنكرَّن على بَقيّتهم، فَلْنَفْرغنّ منهم . فلما رأى أبو سُفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمّد قد خرج فى أصحابه يَطْلُبكم فى جَمْع لم أَرَ مثله قطُّ ، يتحرّقون[3] عليكم تحرُّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه فى يَوْمكم ، وندموا على ما صنعوا[4] ، فيهم من الحَنَق[5] عليكم شىء لم أرَ مثلَه قطُّ ؛ قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن تَرْتحل حتى أرى نواصى الخَيل ؛ قال : فوالله

---

(١) عيبة نصح رسول الله : أى موضع سره .

(٢) صفقتهم معه ، أى اتفاقهم معه . يقال : أصفقت مع فلان على الأمر : إذا اجتمعت معه عليه . وكان الأصل أن يقال : إصفاقهم معه ، إلا أنه استعمل المصدر ثلاثيا .

ويروى : «ضلعهم معه» ومعناه : ميلهم .

(٣) يتحرقون : يلتهبون من الغيظ .

(٤) فى م ، ر : «ضيعوا» .

(٥) الحنق : شدة الغيظ .

لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم ، لنَسْتأصل بقيّتهم ؛ قال : فإنى أنهاك عن ذلك ؛ قال . والله لقد حَملنى ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتًا من شعر ؛ قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادتْ تُهدُّ من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرضُ بالجُرْد الأبابيلِ [1]
تَرْدِى بأُسْدٍ كرامٍ لا تَنابلةٍ ... عند اللِّقاء ولا مِيلٍ مَعازِيل [2]
فَظَلْت عَدْوا أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيس غير مَخْذول [3]
فقلتُ: ويل ابنِ حَرْبٍ من لقائكم [4] ... إذا تَغَطمطت البَطحاء بالجيل [5]
إنى نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً ... لكلّ ذى إرْبةٍ منهم ومعقول [6]
من جَيْش أحمدَ لا وَخشٍ قنابله ... وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقِيل [7]

فثَنَى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

رسالة أبى سفيان إلى الرسول على لسان ركب

ومَرَّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؛ قال : ولِم ؟ قالوا : نُريد المِيرة ؛ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرْسلكم بها إليه ، وأُحمّل لكم هذه غدا زَبيباً بعُكاظ إذا وافيتُموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا وافيتُموه فأخْبروه أنّا قد أجمعنا السير

(١) تهد : تسقط لهول مارأت من أصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق . والأبابيل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لارمح أولا ترس معه ؛ وقيل : هو الذى لايثبت على السرج . والمعازيل : الذين لاسلاح معهم .

(٣) العدو : المشى السريع . وسموا : علوا وارتفعوا .

(٤) ابن حرب ، هو أبو سفيان .

(٥) كذا ورد هذا لشطر فى ا ، ط . وتغطمطت : اهتزت وارتجت ، ومنه : بحر غطامط ، إذا علت أمواجه . والبطحاء : السهل من الأرض . والجيل : الصنف من الناس . وفى سائر الأصول :

* إذا تعظمت البطحاء بالخيل *

وهو ظاهر التحريف .

(٦) أهل البسل : قريش ، لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام . والضاحية : البارزة للشمس . والإربة : العقل .

(٧) الوخش : رذالة الناس وأخساؤهم . والتنابلة : القصار . والقيل : القول .

إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمرّ الركبُ برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بحَمْراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سُفيان ؛ فقال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل !

كف صفوان لأبي سفيان عن معاودة الكرة

قال ابن هشام : حدّثنا أبو عبيدة :

أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لما انصرف يوم أُحد أراد الرُّجوع إلى المدينة ، ليَسْتأصل[1] بقيّة أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لهم صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف : لا تفْعلوا ، فإنّ القوم قد حَرِبوا[2] ، وقد خَشينا أن يكون لهم قِتال غير الذى كان ، فارجعُوا فرجعوا . فقال النّبى صلّى الله عليه وسلّم ، وهو بحَمْراء الأسد ، حين بلغه أنهم هَموا بالرَّجعة : والذى نَفْسى بيده ، لقد سُوّمت[3] لهم حجارة ، لو صُبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب[4] .

مقتل أبي عزة ومعاوية ابن المغيرة

قال أبو عبيدة[5] :

وأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى جهة ذلك ، قبل رُجوعه إلى المدينة ، مُعاويةَ بن المُغيرة بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك ابن مروان ، أبو أُمه عائشة بنت مُعاوية ، وأبا عَزّة الجُمحى ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أسَره ببدر ، ثم مَنّ عليه ؛ فقال : يا رسولَ الله ، أقِلْنى ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : والله لا تَمْسح عارضيك بمكة بعدَها وتقول : خدعت محمداً مرّتين ، اضربْ عنقه يا زُبير . فضرب عُنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المُسيّب أنه قال :

---

(١) فى م ، ر : « ليستأصل فيما زعموا » .
(٢) حربوا : غضبوا .
(٣) سومت ، أى جعلت لها علامة يعرف بها أنها من عند الله .
(٤) فى ا : « قال » .
(٥) قال أبو ذر : « ووقع فى كتاب أبى على الغسانى بعد هذا : حدثنا أبو صالح وابن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ، هذا الحديث حاشية فى كتاب أبى على الغسانى رحمه الله » .

قال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ المؤمن لا يُلْدغ من جُحر مرّتين ، اضربْ عُنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه .

مقتل معاوية ابن المغيرة

قال ابن هشام :

ويقال إن زيدَ بن حارثة وعَمّار بن ياسر قتلاَ مُعاوية بن المغيرة بعد حَمْراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستَأْمن له رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأمنه ، على أنه أن وُجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعثهما النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم وقال : إنكما ستَجدانه بموضع كذا وكذا ، فوَجداه فقَتلاه .

شأن عبدالله ابن أبيّ بعد ذلك

قال ابن إسحاق :

فلما قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، وكان عبدُ الله بن أبيّ بن سَلول ، كما حدّثنى بن شهاب الزُّهرى ، له مقامٌ يقومه كل جمعة لا يُنْكَر ، شرفًا له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الجمعة وهو يَخْطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين أظْهركم ، أكْرمكم الله وأعزّكم به ، فانصُروه وعزِّروه ، واسمعوا له وأَطِيعوا ، ثم يَجْلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صَنع . ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المُسلمون بثيابه من نَواحيه وقالوا: اجلس ، أى عدوّ الله ، لستَ لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعتَ ، فخرج يتخطّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لكأنّما قلت بَجْرا[1] أن قمت أشدّد أمرَه . فلَقِيه رجلٌ من الأنصار بباب المسْجد فقال : مالك ؟ ويلك ! قال : قمتُ أشدّد أمره ، فوَثب علىّ رجالٌ من أصحابه يَجذبوننى ويُعَنِّفوننى ، لكأنّما قلت بَجْرًا أنْ قُمت أشدّد أمره ؛ قال : ويلك ! ارجع يَسْتغفر لك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : والله ما أبتَغِى أن يَسْتغفر لى .

(١) بجرا : أمرا عظيما . ويروى : « هجرا » وهو الكلام القبيح .

كان يوم أحد يوم محنة

قال ابن إسحاق :

كان يوم أُحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمْحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المُنافقين ، ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُسْتخف بالكُفر فى قلبه ، ويومًا أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته .

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

قال : حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدّثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال :

فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أُحد من القرآن ستّون آية من آل عِمْران ، فيها صِفة ما كان فى يومهم ذلك ، ومُعاتبة من عاتَب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: «وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

قال ابن هشام :

تُبوئ المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكُميت بن زيد :

لَيتَنى كنتُ قبـلَهُ ... قد تبوأتُ مَضـجعاً

وهذا البيتُ فى أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

«إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا » : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سَلَمة ابن جُشَم بن الخَزرج ، وبنو حارثة بن النّبت من الأوس ، وهما الجَناحان . يقول الله تعالى : « والله وليّهما» : أى المُدافع عنهما ماهمّتا به من فَشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما غير شكّ فى دينهما ، فتولّى دفع ذلك عنهما برَحمته وعائدته ، حتى سَلِمتا من وُهونهما وضَعفهما ،

---

(١) فى م ، ر : «بن» .

ولحِقتا بنبيّهما صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن هشام : حدّثنى رجل من الأَسْد من أهل العلم ، قال :

قالت الطائفتان : ما نُحب أنا لم نَهمّ بما هممنا به، لتولّى الله إيانا فى ذلك.

قال ابن إسحاق :

يقول الله تعالى : « وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » أى من كان به ضَعْف من المؤمنين فليتوكّل علىّ، وليستعِنْ بى، أُعِنْه على أمره ، وأُدافع عنه ، حتى أبلغ به، وأَدْفع عنه، وأقوّيه على نيّته. « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى فاتقونى ، فإنه شُكر نعمتى. «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللهُ بِبَدْرٍ » وأنتم أقل عدداً وأضعف قُوة « إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ » أى إن تصبروا لعدوّى ، وتُطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وَجْههم هذا ، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

مسومين : مُعْلِمين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ أنه قال : أعْلَموا على أذناب خَيْلهم ونَواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سِيماهم يوم بدر عَمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عزّ وجل : « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » أى علامتهم . « وَحِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً » يقول : مُعلَمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رُؤبة بن العجّاج :

فالآنَ تُبلى بى الجيادُ السُّهم   ولا تُجارينى إذا ما سَوَّمُوا[1]

* وشَخَصت أبصارُهم وأجْذموا *

[أجذموا (بالذال المعجمة) : أى أسرعوا ؛ وأجدموا (بالدال المهملة) : أقطعوا][2] .

وهذه الأبيات فى أُرجوزة له . والمُسوّمة (أيضاً). المَرْعيّة . وفى كتاب الله تعالى : « والخَيْلِ المُسَوَّمةِ » وَ « شَجَرٌ فيهِ تُسِيمُونَ » . تقول العرب : سَوَّم خَيْله و إبلَه ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكُميت بن زيد :

راعياً كان مُسْجِحًا ففَقَدنا   هُ وَفقدُ المُسيم هُلْكُ السَّوَام

قال ابن هشام :

مُسجحا : سَلِس السياسة مُحسن [إلى الغنم[2]] . وهذا البيت فى قصيدة له .

«وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ » أى ما سَمّيت لكم مَنْ سَمَّيتُ من جنود ملائكتى إلا بُشْرى لكم ، ولتطمئنّ قلوبكم به ، لما أعرف من ضَعْفكم ، وما النصر إلا من عندى ، لسُلْطانى وقُدرتى ، وذلك أن العزّ والحكم إلىّ لا إلى أحد من خَلْقى .

ثم قال : « لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ » أى ليقطع طرفاً من المُشْركين بِقَتْل يَنتقم به منهم ، أو يردّهم خائبين ، أى وَيَرْجِعَ مَنْ بَقِى منهم فَلاًّ خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

يَكْبِتهم : يغمّهم أشد الغَمّ ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرُّمّة :

ما أَنْسَ مِن شَجَنٍ لا أنسَ مَوْقِفَنا   فى حَيْرة بينَ مَسْرور ومَكْبوتِ[3]

(١) الجياد : الخيل العتاق . والسهم : العابسة المتغيرة من شدة الحرب .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) الشجن : الحزن .

ويَكْبِتهم (أيضاً) : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق :

ثم قال لمحمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » أي ليس لك من الحكم شيء في عبادى ، إلا ما أمرتُك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئتُ فعلت ، أو أعذّبهم بذُنوبهم فبحقّى « فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » أي قد استوجبوا ذلك بمَعْصيتهم إيّاى « وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » أي يغفر الذنب ويَرْحم العباد ، على ما فيهم.(١)

النهي عن الربا

ثم قال: « يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً » أي لا تأكلوا في الإسلام إذ هداكم الله به ما كُنتم تأكلون إذ أنتم على غَيْره ، مما لا يَحِلّ لكم في دينكم « وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » أي فأطيعوا الله لعلّكم تَنْجُون مما حذّركم الله من عذابه ، وتُدْركون ما رغّبكم الله فيه من ثَوابه « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » أي التي جُعلت داراً لمن كَفَر بي .

الحض على الطاعة

ثم قال : « وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » معاتبةً للذين عَصَوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره . ثم قال : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » أي داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى . « الذينَ يُنْفِقُونَ فى السَّرَّاءِ وَالضرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » أي وذلك هُوَ الإحسانُ ، وأنا أُحبّ مَنْ عمل به « وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا

---

(١) قال السهيلي ، عند ذكر قوله تعالى « ليس لك من الأمر شيء » : « وفي تفسير الترمذي حديث مرفوع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أبي سفيان والحارث ابن هشام وعمرو بن العاص حتى أنزل الله تعالى « ليس لك من الأمر شيء » قال : فتابوا وأسلموا وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت في حسن إسلام أبي سفيان ، خلافا لمن زعم غيرَ ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف في حسن إسلامه وفي موته شهيدا بالشام ، وأما عمرو بن العاص فقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : أسلم الناس وآمن عمرو » .

اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » أي إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمَعْصية ذكروا نَهْى الله عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعَرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . « وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » أي لم يُقيموا على مَعْصيتى كفعل من أشرك بى فيما غَلَوْا به فى كفرهم وهم يَعلمون ما حرّمتُ عليهم من عِبادة غيرى. « أُولئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ » أى ثواب المُطيعين .

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه

ثم استقبل ذكر المُصيبة التى نزلت بهم ، والبَلاء الذى أصابهم ، والتَّمحيص لما كان فيهم ، واتخاذَه الشُّهداء منهم ، فقال ، تعزيةً لهم ، وتعْريفا لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ » أى قد مَضت منّى وقائع نِقْمة فى أهل التكذيب لرُسلى والشِّرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مَثُلات قد مَضت منّى فيهم ، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى ، فإنى أَمْلَيت لهم ، أى لئلا يظنوا أنّ نقمتى انقطعتْ عن عدوّكم وعدوّى ، للدولة التى أدلْتهم بها عليكم ، ليَبْتليكم بذلك ، ليُعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى: « هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » أى هذا تفسير للناس إن قَبلوا الهدى «وهُدًى ومَوْعظة» أى نور وأدب للمتقين، أى لمن أطاعنى وعَرف أمرى . « وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا » أى لا تَضْعفوا ولا تَبْتئسوا على ما أصابكم ، « وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ » أى لكم تكون العاقبة والظهور « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » أى إن كنتم صدقتم نبيّى بما جاءكم به عنّى . « إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ » أى جراح[1] مثلها « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا

---

(1) قال أبو ذر : « قال الفراء : القرح (بفتح القاف) : الجراح . والقرح (بضم القاف): ألم الجراح . وغيره لا يفرق بينهما .

بَيْنَ النَّاسِ » أى نُصرّفها بين الناس للبلاء والتمحيص « وَلِيَعْلَمَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَٱللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » أى ليُميّز بين المؤمنين والمنافقين ، وليُكرِم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة « وَٱللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » أى المنافقين الذين يُظهرون بألسنتهم الطاعةَ ، وقلوبهم مُصِرّة على المَعْصية « وَلِيُمَحِّصَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا » أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلّصهم بالبَلاء الذى نَزل بهم ، وكيف صَبْرهم ويقينهم « وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » أى يُبْطل من المنافقين قولَهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يُظهر منهم كُفْرهم الذى يَسْتترون به .

دعوة الجنة للمجاهدين

ثم قال تعالى : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ » أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأَبْتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صِدْق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فىّ « وَلقدْ كنتم تَمَنَّوْنَ الشَّهادَةَ » على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استَنْهضوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى خُروجه بهم إلى عدوّهم، لِما فاتَهم من حُضور اليوم الذى كان قَبْله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتَتْهم بها ، فقال: « وَلقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ » يقول : « فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » أى الموت بالسّيوف فى أيْدى الرجال قد خلّى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدّهم عنكم . « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى ٱللهُ الشَّاكِرِينَ » أى لِقَول الناس : قُتل محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وانهزامُهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوّهم « أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ » رجعتم عن دينكم كفّارا كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوّكم ، وكتاب الله . وما خلّف نبيّه صلّى الله عليه وسلم من دينه معكم وعِنْدكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم

به عنى أنه ميت ومُفارقكم . « وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ » أى يرجع عن دينه « فَلَنْ يَضُرَّ ٱللهَ شَيْئًا » أى ليس ينقص ذلك عزّ الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قُدْرته « وَسَيَجْزِى ٱللهُ الشَّاكِرِينَ » أى مَنْ أطاعه وعَمِل بأَمْرِه[1] .

ذكره أن الموت بإذن الله

ثم قال : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً » أى أن لمحمد صلّى الله عليه وسلّم أجلاً هو بالغه ، فإذا أذِن الله عزّ وجل فى ذلك كان. « وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ » أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رَغْبة فى الآخرة ، نُؤته منها ما قُسم له من رزق، ولا يَعْدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظّ ، ومن يرد ثواب الآخرة نُؤْته منها ما وُعد به، مع ما يُجزى عليه من رزقه فى دُنياه ، وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال : « وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فى سَبِيلِ ٱللهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا ، وَٱللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ » أى وكأين من نبىّ أصابه القتل ، ومعه رِبّيون كثير ، أى جماعة ، فما وَهَنوا لفقْد نبيّهم ، وما ضعفوا عن عدوّهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يُحب الصابرين « وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا : رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَٱنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

واحد الرّبيين : رِبّى ؛ وقولهم : الرِّباب ، لولد عبد مناة بن أد بن طابخة

---

(١) قال السهيلى : « تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه . وكان أبو بكر يسمى أمير الشاكرين لذلك . وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم من ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه » .

ابن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تَجمعوا وتحالفوا ، من هذا ، يريدون الجماعات . وواحدة الرِّباب: رِبّة [ورِبابة[1]] وهى جماعات قِداح أوعصِى ونحوها، فشبّهوها بها . قال أبو ذؤيب الهُذلى[2] :

وكأنّهن رَبابة وكأنّه يَسَر يَفيض على القِداح و يَصْدعُ

وهذا البيت فى أبيات له ، وقال أُميّة بن أبى الصلت :

حَـــوْل شياطينهم أبابيلُ رِبّـ يونَ شـــدُّوا سَنَوّرًا مَدْسُورا

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام :

والربابة (أيضاً) : الخِرقة التى تُلَفّ فيها القداح .

قال ابن هشام : والسَّنَوّر : الدروع . والدُّسُر ، هى المسامير التى فى الحِلَق، يقول الله عزّ وجل : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ ودُسُر » .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخزر الحِمّانى ، من تميم :

* دُسْراً بأطراف القَنا المُقَوّم *

قال ابن إسحاق :

أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضُوا على دينكم كما مَضَوا على دينهم ، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثبّت أقدامكم ، واستَنْصروه كما استَنْصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقَدْ قُتل نبيّهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظّهور على عدوهم ، وحُسن ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

تحذيره إياهم من إطاعة الكفار

« يـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ » أى عن عدوكم فتذهب دُنياكم وآخرتكم « بَلِ اللهُ

(١) زيادة عن ١ .

(٢) هذه العبارة من قوله « قال أبو ذؤيب » إلى أول قوله « وقال أمية » ساقطة فى ١ .

مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدّين عن دينه . « سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ » أى الذى به كنتُ أنصركم عليهم ، بما أشركوا بى مالم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتبعتم أمرى ، للمُصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ[1] ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » أى وقد وفّيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوّكم ، إذ تحسّونهم بالسيوف ، أى القتل ، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفّى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام :

الحس : الاستئصال ؛ يقال : حَسَسْتُ الشيء ، أى استأصلته بالسيف وغيره . قال جرير :

تحسّهم السيوفُ كما تَسامَى حريقُ النار فى الأَجَم الحَصِيدِ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رُؤْبة بن العَجاج :

* إذا شَكَوْنا سَنةً حَسُوساً *

* تأكل بعد الأخْضَر اليبِيسا *

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

---

(١) قال السهيلى : « قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميرا على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم، ولا يخالفوا أمر نبيهم، فثبت معه طائفة، فاستشهد واستشهدوا، وهم الذين أرادوا الآخرة، وأقبلت طائفة على المغنم وأخذ السلب، فكر عليهم العدو وكانت المصيبة» .

(٢) تسامى: ارتفع. والأجم : جمع أجمة ، وهو الشجر الملتف . والحصيد: المحصود المقطوع.

قال ابن إسحاق :

حتى إذا فشلتم ، أى تخاذلتم وتنازعتم فى الأمر ، أى اختلفتم فى أمْرى ، أى تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة « مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ » أى الفتح ، لا شكّ فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ، « منكم مَنْ يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا » أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أُمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة « وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ » أى الذين جاهدوا فى الله، ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه ، لعَرَض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حُسن ثوابه فى الآخرة ؛ أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يُهلككم بما أتيتم من مَعْصية نبيكم ، ولكنى عُدت بفضلى عليكم ، « وَكَذٰلِكَ مَنّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ » أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجلِ الدنيا أدبًا وموعظة ، فإنه غيرُ مستأصل لكُلّ ما فيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من مَعْصيته ، رحمةً لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم

ثم أنّبهم بالفرار عن نبّيهم صلّى الله عليه وسلّم، وهم يُدعون لا يَعْطفون عليه لدُعائه إياهم ، فقال : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فى أُخْرَاكُمْ، فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ » أى كَرْبًا بعد كرب ، بقتل من قُتل من إخوانكم ، وعُلوّ عدوكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول مَنْ قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تَتابع عليكم غمًّا بغم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوّكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قَتْل إخوانكم ، حتى فرّجتُ ذلك الكربَ عنكم « وَٱللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » . وكان الذى فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ، أن الله عزّ وجل ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيّهم

صلّى الله عليه وسلّم ، فلما رأوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حيًّا بين أظهرهم ، هانَ عليهم مافاتهم من القوم بعد الظُّهور عليهم، والمُصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم، حين صَرَف الله القتلَ عن نبيّهم صلّى الله عليه وسلّم . « ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ، يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ مَالَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَاقُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَافِى صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحِّصَ مَافِى قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » فأنزل الله النعاسَ أمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهلُ النّفاق قد أهمّتهم أنفسهم ، يظنّون بالله غير[1] الحق ظنَّ الجاهلية[2] ، تخوفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزّ وجلّ تلاوُمَهم وحسْرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلّى الله عليه وسلم: « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ » لم تحضُروا هذا الموطنَ الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سَرائركم « لَأَخْرَجَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » إلى موطن غيره يُصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدورهم « وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » أى لا يَخْفَى عليه ما فى صُدُورهم ممَّا استخفوا به منكم .

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت فى الله

ثم قال : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِى الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ، وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » أى لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضَّرْب

(١) أى يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه .

(٢) أى أهل الجاهلية كأبى سفيان وأصحابه .

فى الأرض فى طاعة الله عزّ وجل ، وطاعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتلوا « لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ » لقلّة اليقين بربّهم « وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ » أى يُعجّل مايشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . ثم قال تعالى : « وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » أى أن الموت لكائن لابدّ منه ، فموتٌ فى سبيل الله أو قَتْل خير لو علموا وأيقنوا مما يَجْمعون من الدنيا التى لها يتأخّرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقَتْل لما جمعوا من زَهْرة الدنيا زهادةً فى الآخرة «وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ» أىّ ذلك كان «لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ» أى أن إلى الله المرجع، فلا تغرنّكم الدنيا، ولا تَغْتَرّوا بها ، وليكن الجهادُ وما رغّبكم الله فيه من ثوابه آثَرَ عندكم منها .

ذكره رحمة الرسول عليهم

ثم قال تبارك وتعالى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » أى لتركوك « فَاعْفُ عَنْهُمْ » أى فتجاوز عنهم « وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » فذكر لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم لِينه لهم ، وصَبْره عليهم، لضَعْفهم ، وقلّة صَبْرهم على الغِلْظة لو كانت منه عليهم فى كل ما خالفوا عنه ، مما افترض عليهم من طاعة نبيّهم صلّى الله عليه وسلّم . ثم قال تبارك وتعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ» : أى تجاوز عنهم، «وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ» من قارف[1] من أهل الإيمان منهم ؛ «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» ، أى لتريَهم أنك تسمع منهم، وتَسْتعين بهم، وإن كنت غنيًّا عنهم ، تألّفًا لهم بذلك على دِينهم « فَإِذَا عَزَمْتَ » أى على أمرٍ جاءك منى وأمرٍ من دينك فى جهاد عدوك لا يُصلحك ولا يُصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أُمرتَ به، على خلاف من خالفك، ومُوافقة من وافقك، «وتوكلْ على

(١) يقال : قارف الرجل الذنب : إذا دخل فيه ولابسه .

الله »، أى أرض به من العباد، « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ » أى لئلا تترك أمرى للناس، وارفض أمر الناس إلى أمرى، وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون .

ما نزل فى الغلول

ثم قال : « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ » أى ما كان لنبى أن يكتم الناسَ ما بعثه الله به إليهم، عن رَهْبة من الناس ولا رغبة، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به، ثم يُجزى بكسبه، غيرَ مظلوم ولامتعدًّى عليه « أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ » على ماأحبّ الناسُ أوسخطوا « كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ » لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى، فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله، واستوجب سخطه، فكان مأواه جهنم وبئس المصير، أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار، أى أن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

فضل الله على الناس يبعث الرسل

ثم قال : « لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ » أى لقد منَّ الله عليكم يأهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم، وفيما عملتم، فيعلّمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشرّ فتتقوه ؛ ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته، وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، لتتخلّصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنّته « وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ » أى لفى عمياء من الجاهلية، أى لا تعرفون حسنة، ولا تستغفرون من سيّئة، صمّ عن الخير، بُكم عن الحق، عُمْى عن الهدى .

ذكر المصيبة التى أصابتهم

ثم ذكر المصيبةَ التى أصابتهم ، فقال : « أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ : أَنَّى هٰذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » أى إن تك قد أصابتكم مُصيبة فى إخوانكم بذُنوبكم ، فقد أصبتُم مثليها قبلُ من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلاً وأسراً ، ونسيتم معصيتكم وخِلافكم عما أمركم به نبيُّكم صلّى الله عليه وسلّم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم « إِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » أى إن الله على ما أراد بعِباده من نِقْمة أو عَفْو قدير « وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّٰهِ ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ » أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نَصْرى ، وصَدَقتكم وَعْدى ، ليميز بين المؤمنين والمُنافقين ، وليعلم الذين نافقوا منكم ، أى ليظهر ما فيهم . « وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّٰهِ أَوِ ادْفَعُوا » يعنى عبد الله بن أُبَىّ وأصحابَه الذين رَجعوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، حين سار إلى عدوّه من المُشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنكم تُقاتلون لسِرْنا معكم ، ولَدَفعنا عنكم ، ولكنّا لا نظن أنه يكون قتال . فأظهر منهم ما كانوا يُخفون فى أَنْفسهم . يقول الله عزّ وجل : « هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ » أى يُظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم « وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ » أى ما يُخفون « الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ » الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : « لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ، قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » أى أنه لا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تَدْفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ فى سبيل الله ، حِرْصاً على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت .

الترغيب فى الجهاد

ثم قال لنبيه صلّى الله عليه وسلّم ، يرغّب المؤمنين فى الجهاد ، ويهوّن

عليهم القتل : « وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ » أى لا تظنّن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، أى قد أَحْييتهم ، فهم عندى يُرزقون فى رَوْح الجنة وفَضْلها ، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويَسْتبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خَلْفهم ، أى ويُسَرون بلُحوق مَنْ لحقهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم، ليَشْركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزن ، يقول الله تعالى : « يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنْ ٱللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » لما عاينوا من وَفاء المَوْعود ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أحد

قال ابن إسحاق : وحدّثنى إسماعيل بن أُمية عن أبى الزبير عن ابن عبّاس قال:

قال رسولُ ٱلله صلّى ٱلله عليه وسلّم : لمّا أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضْر ، تَرِد أنهارَ الجنّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طِيبَ مَشْربهم ومأكلهم وحُسْن مَقيلهم ، قالوا : ياليت إخوانَنا يعلمون ما صَنع الله بنا ، لئلا يَزْهدوا فى الجهاد ، ولا يَنْكُلوا[1] عن[2] الحرب ؛ فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلّى ٱلله عليه وسلّم هؤلاء الآيات : « ولا تحسبن » .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى الحارث بن الفُضيل عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عبّاس أنه قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : الشُّهداء على بارقٍ ، نهر بباب الجنّة ، فى قُبّة خَضراء ، يخرج عليهم رزقُهم من الجنة بكرة وعشيا .

---

(١) لاينكلوا : أى لا يرجعوا هائبين لعدوهم ، خائفين منه.

(٢) فى م ، ر : « عند » .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لا أتهم عن عبد الله بن مسعود أنه سُئِل عن هؤلاء الآيات : « ولاَ تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » فقال : أما إنّا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانُكم بأُحد جعل الله أرواحَهم فى أجْواف طير خضر ، تَرِد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب فى ظل العرش ، فَيطَّلع الله عزّ وجل عليهم اطّلاعةً فيقول : يا عبادى ، ما تَشْتهون فأَزيدَكم ؟ قال : فيقولون : ربّنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة[1] نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع الله عليهم اطلاعةً فيقول : يا عبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون: ربنا لافوق ما أَعْطيتنا ، الجنة نأكلُ منها حيث شِئنا ! قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول : ياعبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ! فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نُحب أن ترد أرواحُنا فى أجسادنا ، ثم نُرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول :

قال لى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ألا أُبَشرك يا جابر ؟ قال : قلت : بلى ، يا نبىّ الله ؛ قال : إنّ أباك حيثُ أُصِيب بأحد ، أحياه الله عزّ وجل، ثم قال له : ما تحبّ يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؛ قال : أى رب ، أحب أن تردّنى إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : والذى نَفْسى بيده ، ما من مُؤْمن

---

(١) قال أبو ذر فى التعليق على هذه العبارة « يروى هنا بالخفض والرفع، ويخفض الجنة على البدل من (ما) فى قوله (ما أعطيتنا) ورفعها على خبر مبتدأ مضمر ، تقديره : هو الجنة ، أو هى الجنة » .

يفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأنّ له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يُردّ إلى الدنيا، فيقاتل فى سبيل الله، فيقتل مرةً أخرى .

ذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد

قال ابن إسحاق :

ثم قال تعالى : « الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ » أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد[1] على ما بهم من ألم الجراح : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النّفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ؟ قالوا : إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عزّ وجل: « فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم ، إنما ذلكم الشيطان ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم « يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ » أى يرهبكم بأوليائه ، « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ » أى المنافقون « إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » أى المنافقين « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ » أى فيما يُريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه « وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ » ، أى يعلمه ذلك « فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا » أى ترجعوا وتتوبوا « فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ » .

---

(١) حمراء الأسد : موضع .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق : من بنى هاشم

واستُشهد من المُسلمين يوم أُحد مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من المهاجرين من قُريش ، ثم من بَنى هاشم بن عبد مناف : حَمزةُ بن عبد المطلب ابن هاشم ، رضى الله عنه ؛ قتله وحْشىٌّ ، غلامُ جُبير بن مُطْعم .

من بنى أمية ومن بنى أُمية بن عبد شمس : عبدُ الله بن جَحْش ، حليف لهم من بنى أسد بن خُزيمة .

من بنى عبد الدار ومن بنى عبد الدار بن قُصىّ : مُصعب بن عُمير ، قتله ابنُ قَمِئة الليثىّ .

من بنى مخزوم ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : شَمَّاس بن عُثمان . أربعة نفر .

من الأنصار ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأَشْهل : عمرو بن مُعاذ بن النُّعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السَّكَن .

قال ابن هشام : السَّكَن : ابنُ رافع بن أمرئ القيس ؛ ويقال : السَّكْن[1]

قال ابن إسحاق :

وسَلَمة بن ثابت بن وَقْش ، وعمرو بن ثابت بن وَقْش . رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة :

أن أباهما ثابتاً قُتِل يومئذ . ورفاعة بن وَقْش . وَحُسَيْل بن جابر ، أبو حُذيفة وهو اليَمان ، أصابه المُسلمون فى المَعْرَكة ولا يَدْرون ، فتصدّق حُذيفة بديته على مَنْ أصابه ؛ وصَيْفىّ بن قَيْظِى . وحَباب[2] بن قَيْظِى . وعَبّاد ابن سَهْل ، والحارث بن أَوْس بن مُعاذ . أثنا عشر رجلاً .

---

(١) ضبط فى بعض النسخ بفتح الكاف فى الأولى ، وبسكونها فى الثانية .

(٢) قال أبو ذر : « وحباب بن قيظى ، وقع هنا بحاء مهملة مفتوحة وباء ، وجناب ، بالجيم المفتوحة ، وبالنون حكاه الدارقطنى عن ابن إسحاق . والمحفوظ بالحاء » .

من راتج ومن أهلِ راتج[1] : إياس بن أوْسِ بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعلم ابن زَعُوراء بن جُشم بن عبد الأَشْهل ؛ وعُبيد بن التيّهان .

قال ابن هشام : ويقال عتيك بن التيهان .

وحبيب بن يَزيد بن تَيم . ثلاثة نفر .

من بنى ظفر ومن بنى ظفر : يزيد بن خاطب بن أُمية بن رافع . رجل .

من بنى ضبيعة ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضُبيعة بن زيد : أبو سُفيان ابن الحارث بن قيس بن زيد ، وحَنْظلة بن أبى عامر بن صَيْفيّ بن نعمان ابن مالك بن أَمَة ، وهو غَسيل الملائكة ، قتله شدّاد بن الأسود ابن شعوب الليثى . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضُبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

من بنى عبيد قال ابن إسحاق :

ومن بنى عُبيد بن زيد : أُنيس بن قتادة . رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حَيّة[2] ، وهو أخو سعد ابن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حية : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق :

وعبد الله بن جُبير بن النُّعمان ، وهو أمير الرماة . رجلان .

من بنى السلم ومن بنى السَّلْم بن أمرئ القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثمة أبو سعد ابن خيثمة . رجل .

---

(١) راتج (بكسر التاء المثناة الفوقية والجيم) : أطم من آطام المدينة .

(٢) كذا فى جميع الأصول . قال أبو ذر : « أبو حنة ، وكذا روى هنا بالباء والنون معا والحاء المهملة ؛ وقال الدارقطنى : ابن إسحاق وأبو معشر يقولان فيه : أبو حية ، بالياء ؛ والواقدى يقوله بالنون » . ومن رواية أبى ذر يستفاد أنه كان فى الأصل كما روى هو بالباء أو بالنون . ولعل وقوعه بالياء ، كما فى الأصول ، تصحيف من النساخ .

من بنى العجلان

ومن حلفائهم من بنى العَجْلان : عبدُ الله بن سَلمة[1] . رجل .

من بنى معاوية

ومن بنى مُعاوية بن مالك : سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس ابن هَيْشة . رجل .

قال ابن هشام : ويقال سُوَيْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة .

من بنى النجار

قال ابن إسحاق :

ومن بنى النّجار : ثم من بنى سَوَاد بن مالك بن غَنم : عمرو بن قَيْس ؛ وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابنُ زيد بن سواد .

قال ابن إسحاق :

وثابت بن عمرو بن زيد ؛ وعامر بن مَخْلد . أربعة نفر

من بنى مبذول

ومن بنى مَبْذول : أبو هُبيرة بن الحارث بن عَلقمة بن عمرو بن ثَقْف ابن مالك بن مَبْذول ؛ وعمرو بن مُطرِّف بن عَلْقمة بن عمرو . رجلان .

من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن مالك : أَوس بن ثابت بن المُنْذر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسّان بن ثابت .

من بنى عدى

قال ابن إسحاق :

ومن بنى عَدِىّ بن النجّار : أنس بن النَّضْر بن ضَمْضم بن زيد بن حَرام ابن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجّار . رجل .

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : خادم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

من بنى مازن

ومن بنى مازن بن النجّار : قيس بن مُخَلَّد ؛ وكيسان ، عبد لهم . رجلان .

من بنى دينار

ومن بنى دينار بن النّجار : سُليم بن الحارث ؛ ونعمان بن عبدعمرو . رجلان .

---

(١) يروى بفتح اللام وكسرها . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

من بني الحارث ومن بني الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زُهير ؛ وَسْعد ابن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير ، دُفنا في قبر واحد ؛ وأوس بن الأرقم بن زيد ابن قيس بن نعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

من بني الأبجر ومن بني الأَبْجر ، وهم بنو خُدْره : مالك بن سِنَان بن عُبيد بن ثعلبة ابن عبيد[1] بن الأبجر ، وهو أبو أبي سعيد الخُدريّ .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدري : سنان ؛ ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسَعِيد بن سُوَيد بن قَيْس بن عامر بن عَبّاد بن الأبجر ؛ وعُتبة بن ربيع بن رافع بنُ معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر . ثلاثة نفر .

من بني ساعدة ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثَعْلبة بن سعد بن مالك بن خالد ابن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ؛ وثَقْف بن فَرْوة ابن البَدِيّ . رجلان .

من بني طريف ومن بني طَرِيف ، رَهْط سعد بن عُبادة : عبدُ الله بن عمرو بن وَهْب بن ثعلبة ابن وقْش بن ثَعْلبة بن طريف ؛ وضَمْرة ، حليف لهم من بني جُهينة . رجلان .

من بني عوف ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العَجْلان ابن زيد بن غَنم بن سالم : نوفل بن عبد الله ؛ وعبّاس بن عُبادة بن نَضلة ابن مالك بن العَجْلان ؛ ونُعْمان بن مالك بن ثَعْلبة بن فِهْر بن غَنْم بن سالم ؛ والُمجذَّر بن ذِياد ، حليف لهم من بَليّ ؛ وعُبادة بن الحَسْحاس .

دُفن النعمان بن مالك ، والُمجَذّر ، وعُبادة في قبر واحد . خمسة نفر .

من بني الحبلى ومن بني الْحُبلى : رِفاعة بن عَمْرو . رجل .

من بني سلمة ومن بني سَلمة ، ثم من بني حَرام : عبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعلبة ابن حرام ؛ وعمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام ، دُفنا في قبر واحد ؛ وخلّاد

(١) كذا في ا : وفي سائر الأصول : « عبد » .

ابن عَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام ؛ وأبو أَيْمن ، مولى عَمْرو بن الجَموح . أربعة نفر .

من بنى سواد

ومن بنى سَواد بن غَنم : سُلَيم بن عمرو بن حَديدة ؛ ومولاه عَنترة ؛ وسهل ابن قيس بن أبى كعب بن الْقين . ثلاثة نفر .

من بنى زريق

ومن بنى زُرَيق بن عامر : ذَكْوان بن عبد قَيْس ؛ وعُبيد بن الْمُعلَّى ابن لَوْذان . رجلان .

قال ابن هشام : عُبيد بن الْمُعَلَّى ، من بنى حبيب .

عدد الشهداء

قال ابن إسحاق :

فجميع من استُشهد من الْمُسلمين مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم من الْمُهاجرين والأنصار . خمسة وستون رجلا .

من بنى معاوية

قال ابن هشام :

وممّن لم يذكر ابن إسحاق من السَّبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس ، ثم من بنى مُعاوية بن مالك : مالك بن نُمَيلة ، حليف لهم من مُزينة .

من بنى خطمة

ومن بنى خَطْمة ــ واسم خَطْمة : عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس ــ الحارث بن عَدِىّ بن خَرَشة بن أُمية بن عامر بن خَطْمة.

من بنى الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك : مالك بن إياس .

من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن مالك بن النّجار : إياس بن عدىّ .

من بنى سالم

ومن بنى سالم بن عوف . عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

من بنى عبد الدار

قال ابن إسحاق :

وقُتل من المُشركين يوم أُحد من قُريش ، ثم من بنى عَبْد الدار بن قُصَىّ من أصحاب اللِّواء : طلحة بن أبى طَلْحة ، واسم أبى طلحة : عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عُثمان بن عبد الدار ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ؛ [و][1] أبو سعيد ابن أبى طلحة ، قتله سعدُ بن أبى وقّاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىٌّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق :

وعُثمان بن أبى طَلْحة ، قتله حمزة بن عبد المُطلب ؛ ومسافع بن طلحة ، والجُلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح . وكلاب بن طَلْحَة ؛ والحارث بن طَلْحة ، قَتلهما قُزْمان ، حليف لبنى ظَفَر .

قال ابن هشام ويقال : قتل كلاباً عبدُ الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق :

وأرطاة بن عَبْد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان ؛ وصُؤاب : غلام له[2] حَبشى ، قتله قُزْمان .

قال ابن هشام : ويقال : قَتله علىٌّ بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقاص ، ويقال : أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق :

والقاسِط بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان . أحد عشر رجلا .

---

(1) زيادة عن ا .
(2) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « لهم » .

من بنى أسد

ومن بنى أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عبدُ الله بن حُميد بن زُهير ابن الحارث بن أسد . قتله علىٌّ بن أبى طالب . رجل .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : أبو الحَكم بن الاخنس بن شَرِيق بن عمرو ابن وَهْب الثَّقفى، حليف لهم ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ؛ وسِبَاع بنُ عبْد العُزّى — واسم عبد العُزّى : عَمْرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سليم بن مَلَكان بن أَفْصى — حليف لهم من خُزاعة ، قتله حمزةُ بن عبد المطلب . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم بن يقَظة ، هِشَام بن أبى أُمية بن المُغيرة ، قتله قُزْمان ؛ والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزْمان ؛ وأبو أُمية بن أبى حُذيفة ابن المغيرة ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ؛ وخالد بن الأَعْلم ، حليف لهم ، قَتله قُزْمان . أربعة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن حُذَافة ابن جُمح ، وهو أبو عَزّة ، قَتله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صَبْرًا ؛ وأُبَىّ ابن خَلف بن وَهْب بن حُذَافة بن جُمح ، قتله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بيده . رجلان .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤى : عُبيدة بن جابر ؛ وشيبة بن مالك بن المُضرِّب ، قتلهما قزمان . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عُبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود .

عدد قتلى المشركين

قال ابن إسحاق :

فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

شعر هبيرة

قال ابن إسحاق :

وكان ممـا قِيل من الشعر فى يوم أحد ، قولُ هُبيرة بن أبى وَهْب بن عمرو ابن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم ـ قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران ابن مخزوم ـ :

مابالُ هَمٍّ عَميدٍ بات يَطْرُقنى … بالوُدِّ من هِنْدٍ إذْ تَعْدو عَوادِيها[1]

باتتْ تُعاتِبنى هنـــدٌ وتَعذُلنى … والحربُ قد شُغِلَت عنّى مواليها

مَهْلاً فلاَ تعذُلينى إنّ من خُلُقى … ما قد عَلِمْتِ وما إن لستُ أُخْفيها

مُساعِفٌ لبَنى كَعْبٍ بمـا كَلِفوا … حَمّال عِبْءٍ وأثْقال أعانيها[2]

وقدحملتُ سلاحى فوق مُشْتَرِف … ساطٍ سَبوحٍ إذا تَجْرى يُبارِيها[3]

كأنه إذ جَرى عَيْر بفَدْفدة … مُـكَدَّمٌ لاحِقٌ بالعُون يَحْميها[4]

من آل أعوجَ يَرْتاح النّدىٌ له … كجِذْع شَعْراء مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيها[5]

---

(١) العميد ، المؤلم الموجع . والعوادى : الشواغل .

(٢) مساعف : مطيع موات . وبمـا كلفوا : أى بمـا أولعوا به وأحبوه . والعبء : الحمل الثقيل ، فاستعاره هنا لمـا يكلفونه من الأمور الشاقة العظام .

(٣) مشترف (بفتح الراء) أى فرس يستشرفه الناس ، أى ينظرون إليه لحسنه . (وبكسر الراء) أى مشرف . والساطى : البعيد الخطو إذا مشى . والسبوح : الذى يسبح فى جريه كأنه يعوم . ويباريها : يعارضها . وأعاد (الهـاء) على الخيل ، وإن لم يتقدم لهـا ذكر ، لأن الـكلام يدل عليها .

(٤) العير : الحمار الوحشى . والفدفدة : الفلاة . والمـكدم : المعضوض ، عضته أتنه . والعون : جماعات حمر الوحش .

(٥) أعوج : اسم فرس مشهور فى العرب . ويرتاح : يستبشر ويهتز . والندى : المجلس من القوم . والجذع : الفرع . وشعراء : نخلة كثيرة الأغصان . ومراقيها : معاليها .

أَعْدَدْتُه ورِقاقَ الحدِّ مُنْتَخَلا ... ومارِنًا لخُطوب قد أُلاقِيها(١)
هذا وَبيضاءَ مثل النِّهْى مُحْكَمة ... نيطت علىّ فما تَبْدو مساوِيها(٢)
سُقْنا كِنانة من أطراف ذِى يَمَن ... عُرْضَ البلادِ على ما كان يُزْجِيها(٣)
قالت كِنانةُ . أنَّى تَذْهبون بنا ؟ ... قُلْنا: النُّخَيل ، فأَمُّوها ومَنْ فِيها(٤)
نحن الفَوارس يوم الجَرّ من أُحد ... هابتْ مَعَدٌّ فقُلْنا نحن نأتيها(٥)
هابُوا ضِرابًا وطَعْنا صادِقًا خَذِمًا ... مما يَرَوْن وقد ضُمَّت قَواصِيها(٦)
ثُمَّتَ رُحْنا كأنا عارِضٌ بَرِدٌ ... وقام هامُ بَنى النَّجار يَبْكِيها(٧)
كأن هامَهُم عند الوَغَى فِلَقٌ ... من قَيْض رُبْدٍ نَفَتْهُ عن أَداحِيها(٨)
أو حَنْظَلٌ ذَعْذَعَتْه الرِّيحُ فى غُصُن ... بالٍ تَعاوَره منها سَوافِيها(٩)
قد نبذُلُ المالَ سَحًّا لا حِسابَ له ... ونَطْعن الخيل شَزْراً فى مآقِيها(١٠)

---

(١) رقاق الحد . يريد سيفا . ومنتخلا : متخيرا والمارن : الرمح اللين عند الهز . والخطوب : حوادث الدهر .

(٢) يريد « بالبيضاء » : الدرع . والنهى (بفتح النون وكسرها) : الغدير من الماء . ونيطت : علقت . وهى رواية أبى ذر . ورواية الأصول : « لظت » أى ألصقت . ومساويها : عيوبها .

(٣) عرض البلاد : سعتها . ويزجيها : يسوقها .

(٤) يريد بالنخيل (كزبير) : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى اسم لعين قرب المدينة . وأموها : قصدوها .

(٥) الجر : أصل الجبل .

(٦) الخذم (بالخاء والذال المعجمتين) : الذى يقطع اللحم سريعا . وقواصيها : ما تفرق منها وبعد .

(٧) العارض : السحاب . والبرد : الذى فيه برد . والهام : جمع هامة ، وهى الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل .

(٨) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس . والوغى : الحرب . والفلق : جمع فلقة ، وهى القطعة من الشىء . والقيض : قشر البيض الأعلى . والربد : النعام ، لأن ألوانها بين البياض والسواد ، وهو اللون الأربد . والأداحى : جمع أدحى ، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعام .

(٩) ذعذعته : حركته . وتعاوره : تتداوله . والسوافى : الرياح التى تقلع التراب والرمل من الأرض .

(١٠) سحا : صبا ؛ يريد أنه عطاء كثير . والشزر : الطعن عن يمين وشمال . والمآقى : مجارى الدموع من العين . والمآقى (أيضا) : المقدمات . وكلا المعنين يستقيم به الكلام .

وليلةٍ يَصْطلِى بالفرْث جازِرُها … يَخْتصّ بالنَّقَرى المُثْرِينَ داعِيها[1]

وليلةٍ من جُمادى ذاتِ أنديةٍ … جَرْبًا جُمادِيّةٍ قد بِتُّ أسْرِيها[2]

لاَيَنْبح الكلبُ فِيها غَيْرَ واحدة … من القَرِيس ولا تَسْرِى أفاعيها[3]

أوْقَدتُ فيها لِذِى الضَّرّاء[4] جاحِمة[5] … كالبرق ذاكيةَ الأرْكانِ أحميها[6]

أوْرَثنى ذاكمُ عَمْرٌو ووالدُه … من قبله كان بالمَثْنَى يُغاليها[7]

كانوا يُبارون أنْواء النُّجوم فما … دنَتْ عن السَّوْرة العُليا مساعيها[8]

شعر حسان فى الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق :

فأجابه حَسان بن ثابت ، فقال :

سُقتُمْ كِنانة جهلاً من سفاهتكم … إلى الرسول فجُنْدُ الله مُخزِيها

أوْرَدتموها حِياضَ الموْتِ ضاحِية … فالنارُ مَوْعِدها ، والقَتْل لا قِيها[9]

---

(١) يصطلى : يستدفئ من شدة البرد . والنقرى : أن تدعو قوما دون قوم ؛ يقال : هو يدعو الجفلى : إذا عم ، وهو يدعو النقرى : إذا خص . والمثرين : الأغنياء .

(٢) الأندية : جمع ندى (على غير قياس) وقد قيل : إنه جمع الجمع ، كأنه جمع ندى على نداء (مثل جمل وجمال) ثم جمع الجمع على أفعلة ، وهـذا بعيد فى القياس ، لأن الجمع الكثير لا يجمع ، وفعال من أبنية الجمع الكثير . وقد قيل هو جمع ندىّ ، والندىّ : المجلس . وهذا لا يشبه معنى البيت ، ولكنه جمع جاء على مثال أفعلة ، لأنه فى معنى الأهوية والأشتية ، ونحو ذلك . وأقرب من ذلك أنه فى معنى الرذاذ والرشاش ، وهما يجمعان على أفعلة . (راجع الروض الأنف) . وجربا : شديدة البرد مؤلمة ، أو قحطة لامطر فيها . ويريد « بجمادية » : نسبة إلى شهر جمادى . وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر فى زمن جمود الماء ، ثم انتقل بالأهلة ، وبقى الاسم عليه ، وإن كان فى الصيف والقيظ ؛ وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمتها ، وإن خرجت عن تلك الأوقات . (راجع الروض) .

(٣) القريس : البرد مع الصقيع .

(٤) لذى الضراء ، أى لذى الحاجة والعوز .

(٥) كذا فى ا ، ط . والجاحمة : الملتهبة . وفى سائر الأصول : « حامية » .

(٦) ذاكية : مضيئة .

(٧) بالمثنى ، أى مرة بعد مرة .

(٨) يبارون : يعارضون . ودنت : قصرت . والسورة : الرفعة والمنزلة . والمساعى : مايسعى فيه من المكارم .

(٩) الحياض : جمع حوض . والضاحية : البارزة للشمس .

جَمَّعتموها أحابيشاً بلا حَسَبٍ   أَئِمَّة الكُفر غَرَّتكم طواغيها(١)

ألاّ اعتبرتم بخَيل الله إذْ قَتلتْ   أهلَ القَليب وَمَن أَلْقَينه فيها(٢)

كم من أسيرٍ فككْناه بلا ثَمنٍ   وَجَزِّ ناصية كُنَّا مَوَاليها(٣)

قال ابن هشام :

أنشدنيها أبو زيد الأنصاريّ لكَعب بن مالك :

قال ابن هشام : و بيتُ هُبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه :

وليلةٍ يصْطلى بالفَرْث جازِرُها   يَخْتص بالنَّقَرَى المُثْرِين داعِيها

يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى الكَلْب الهُذلىّ ، فى أبيات لها فى غير يوم أُحد.

شعر كعب فى الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق :

وقال كعب بن مالك يُجيب هُبيرة بن أبى وهب أيضاً :

أَلاَ هل أَتى غَسَّانَ عنّا ودُونهم   مِنَ الأرض خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ(٤)

صَحارٍ وأعلامٌ كأنَّ قَتامَها   من البُعْد نَقْعٌ هامدٌ مُتَقطِّعُ(٥)

تَظَلّ به البُزْل العَراميس رُزَّحا   وَيَخْلو به غَيْث السِّنين فيُمْرِعُ(٦)

به جِيَفُ الحَسرَى يَلُوح صَليبُها   كما لاح كَتَّانُ التِّجار المُوَضَّعُ(٧)

به العِينُ والآرامُ يَمْشين خِلْفةً   وَبَيضُ نَعام قَيْضُــه يَتَقلّعُ(٨)

---

(١) الحسب : الشرف . والطواغى : جمع طاغية ، وهو المتكبر المتمرد .

(٢) يعنى « بأهل القليب » : من قتل ببدر من المشركين .

(٣) مواليها : أهل النعمة عليها .

(٤) الخرق : الفلاة الواسعة، التى تنخرق فيها الريح . ومتنعنع ، أى مضطرب ؛ وروى « متعتع (بالتاء) أى متردد .

(٥) الأعلام : الجبال المرتفعة . والقتام : ما مال لونه إلى السواد . والنقع : الغبار . والهامد : المتلبد الساكن .

(٦) البزل : الإبل القوية ؛ واحدها : بازل . والعراميس : الشديدة ، والرزح : المعيية .

(٧) الصليب : الودك . والموضع : المبسوط المنقوش .

(٨) العين : بقر الوحش . والآرام : البيض البطون السمر الظهور . وخلفة : أى يمشين قطعة خلف قطعة . والقيض : قشر البيض الأعلى . ويتقلع : ينشقق .

مُجالِدُنا(١) عن دِينِنا كلُّ فَخْمةٍ ... مُـــذَرَّبةٍ فيها القَوانِسُ تَلْمَعُ(٢)

وكلُّ صَمُوتٍ فى الصِّوانِ كأنّها ... إذا لُبِسَتْ نَهْىٌ من الماءِ مُتْرَعُ(٣)

ولـكن ببَدْر سائِلُوا مَنْ لَقِيتُمُ ... من الناس والأنباء بالغيب تَنْفعُ(٤)

و إنّا بأرضِ الخَوْفِ لو كانَ أهلها ... سوانا لقد أجْلَوا بلَيْل فأقْشَعوا

إذا جاء منّا راكبٌ كان قولُه ... أعِدّوا لما يُزْجِي ابنُ حربٍ ويَجْمَعُ(٥)

فَمَهْما يُهِمّ الناسَ مما يَكِيدُنا ... فنحن له من سائرِ الناس أوْسعُ

فلو غيرُنا كانت جميعاً تَكيدُه الْـــبرّيةُ قد أعطَوْا يداً وتوزّعوا(٦)

نُجالِدُ لا تَبْقَى علينا قَبيـــلةٌ ... من النّاس إلا أنّ يهابوا ويَفظَعوا(٧)

ولما ابْتَنَوْا بالعِرْض قال سَراتُنا ... عَلامَ إذا لم تَمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ؟(٨)

وفينا رســـولُ الله نَتْبَعُ أمْرَه ... إذا قال فينا القَــول لا نَتطلّعُ(٩)

تَدَلّى عليه الروحُ من عند ربّه ... يُنَزَّلُ من جَوِّ السّماء ويُرْفَعُ(١٠)

نُشاوِره فيما نُرِيد وقَصْرُنا ... إذا ما اشتهى أنّا نُطيع ونَسْمَعُ(١١)

وقال رسولُ الله لما بَدَوْا لنا ... ذَرُوا عنكم هَوْلَ المنيّات واطْمَعُوا

وكُونوا كمَنْ يَشْرِي الحياةَ تَقَرّباً ... إلى مَلِكٍ يُحْيا لَدَيه ويُرْجَعُ

---

(١) فى ا « مجالدنا » .

(٢) الفخمة : الكتيبة العظيمة . والمدربة : المتعودة القتال الماهرة فيه . وهى رواية ا . وتروى « مذربة » بالذال المعجمة ، أى محددة ، وهى رواية سائر الأصول . والقوانس : رءوس بيض السلاح .

(٣) الصموت : الدرع أحكم نسجها وتقارب حلقها فلا يسمع لها صوت والصوان : كل مايصان فيه الشيء ، درعا كان أو ثوبا أو غيرها . والنهى : الغدير . ومترع : مملوء .

(٤) أقشعوا : فروا وزالوا .

(٥) يزجى : يسوق .

(٦) كذا فى أكثر الأصول ، وشرح السيرة . وتوزعوا تقسموا . وفى ا : « تورعوا » وتورعوا : ذلوا .

(٧) يفظعوا : يهابوا ويفزعوا .

(٨) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم . والعرض : موضع خارج المدينة . وسراتنا : خيارنا .

(٩) لانتطلع : لاننظر إليه إجلالا وهيبة له . وهى رواية ا ، ويروى : « لا نتظلع » أى لا نميل عنه . وهى رواية سائر الأصول .

(١٠) الروح : جبريل عليه السلام .

(١١) قصرنا : غايتنا .

ولـكن خُذوا أسيافكم وتوكّلوا ... على الله إنّ الأمرَ لله أجْمَعُ
فسِرْنا إليهم جَهْرةً فى رِحالهم ... ضُحَيًّا علينا البِيضُ لا نتخشّعُ(١)
بِمَلْمُومة فيها السَّنَوَّر والقَنَا ... إذا ضربوا أقـدامَها لا تَوَرَّعُ(٢)
فجِئْنا إلى مَوْجٍ من البحر وَسْطه ... أحابيشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنَّعُ(٣)
ثلاثة آلاف ونحنُ نَصِيّةٌ ... ثلاث مئين إن كَثُرنا وأربعُ(٤)
نُغاورهم تجْرِى المنيّـة بيننا ... نُشارعهم حوضَ المَنَايا ونَشْرعُ(٥)
تَهادَى قِسِيّ النَّبْع فينا وفيهمُ ... وما هو إلا اليـثْرِبِيّ المُقَطَّعُ(٦)
ومَنْجوفَةٌ حِرْمِيّـة صاعديّةٌ ... يُذَرّ عليها السَّمّ ساعةَ تُصْنَعُ(٧)
تَصُوب بأبدانِ الرّجال وتارةً ... تَمُرّ بأعراضِ البِصار تَقَعْقَعُ(٨)
وخَيْل تَراها بالفَضاء كأنّها ... جَرادُ صَباً فى قَرّةٍ يَتَرَيَّعُ(٩)
فلما تَلاَقَيْنا ودارتْ بنا الرَّحَى ... وليس لأمْرٍ حَمّه الله مَدْفعُ(١٠)
ضَرَبناهم حتى تركنا سَراتَهم ... كأنهمُ بالقاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ(١١)
لَدُن غُدوةً حتى استَفَقْنا عشِيّةً ... كأنّ ذَكانا حَرّ نار تَلَفَّعُ(١٢)

---

(١) البيض: السيوف.
(٢) الملمومة: الكتيبة المجتمعة. والسنور: السلاح. ولا تورع: لا تكف. ويروى: «لاتوزع»: أى لا تتفرق.
(٣) الحاسر: الذى لا درع عليه ولا مغفر. والمقنع: الذى لبس المغفر على رأسه.
(٤) النصية: الخيار من القوم.
(٥) نغاورهم: نداولهم. ونشارعهم: نشاربهم. ونشرع: نشرب.
(٦) النبع: شجر تصنع منه القسى. واليثربى: الأوتار، نسبة إلى يثرب.
(٧) المنجوفة: السهام. والحرمية: نسبة إلى أهل الحرم؛ يقال: رجل حرمى، إذا كان من أهل الحرم. والصاعدية: نسبة إلى صاعد، صانع معروف.
(٨) تصوب: تقع. والبصار: حجارة لينة. وتقعقع: تصوت.
(٩) الصبا: ريح شرقية. والقرة: البرد. ويتريع: يجىء ويذهب.
(١٠) رحى الحرب: معظم موضع القتال فيها. وحمه الله: قدره.
(١١) سراتهم: خيارهم. والقاع: المنخفض من الأرض.
(١٢) ذكانا، أى التهابنا فى الحرب. وتلفع: يشتمل حرها على من دنا منها.

وراحوا سِراعاً مُوجَفين كأنهم ... جَهامٌ هراقت ماءه الريحُ مُقْلع (1)

ورُحنا وأُخْــرانا بطاءٌ كأننا ... أُســودٌ على لحم ببيشة ظُلَّع (2)

فَنِلنا ونال القومُ منّا ورُبما ... فَعلْنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارتْ رَحانا واستدارت رَحاهم ... وقد جعلوا كُلّ من الشّر يَشْبَع

ونحن أُناس لاَ نرى القتْل سُبَّةً ... عَلَى كُلّ مَنْ يَحْمِي الذِّمارَ وَيَمْنع (3)

جِلادٌ على رَيْب الحوادث لا نَرَى ... عَلَى هالكٍ عيْناً لنا الدَّهْرَ تَدْمَع (4)

بنو الحَرْبِ لاَ نعيا (5) بشيء نَقُوله ... ولا نحن مما جَرّت الحربُ نجْزَع

بنو الحَرْبِ إن نَظْفرْ فلَسْنا بفُحَّش ... ولا نَحْنُ من أظْفارها نَتوجَّع

وكُنّا شِهاباً يتَّقي الناسُ حَرَّه ... وَيَفْرُج عنه من يَليه ويَسْفع (6)

فَخَرْتَ عَلَيّ ابنَ الزِّبعرى وقد سرى ... لكم طَلَبٌ من آخر الليل مُتْبِع

فسَلْ عنك في عُلْيا مَعَدٍّ وغيرها ... من الناس مَنْ أخْزَى مَقاماً وأشْنَع

ومَنْ هو لم تَتْرك له الحربُ مَفْخراً ... ومن خدُّه يومَ الكريهة أضْرَع (7)

شَدَدْنا بحَوْل الله والنَّصْر شَدّةً ... عليكم وأطرافُ الأسِنَّةِ شُرَّع

تَكُرّ القَنا فيكم كأنّ فُروغها ... عَزالِي مَزادٍ ماؤها يَتَهزَّع (8)

عَمَدنا إلى أهلِ اللواء ومن يَطِرْ ... بذِكْر اللواء فهو في الحَمد أسْرَع

فخانوا وقد أعْطَوا يداً وتخاذَلوا ... أبَى اللهُ إلا أمْرَه وهو أصْنَع

---

(1) موجفين ، مسرعين . والجهام : السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء .

(2) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود .

(3) الذمار : مايجب على الرجل أن يحميه .

(4) جلاد : جمع جليد ، وهو الصبور .

(5) في ا : « لا نعني » .

(6) الشهاب : القطعة من النار . ويسفع : يحرق ويغير . وفي ا : « يشفع » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(7) أضرع : ذليل .

(8) الفروغ : الطعنات المتسعة . وقد وردت هذه الكلمة في الأصل بالعين المهملة ، وهو تصحيف . وعزالي : جمع عزلاء ، وهي فم المزادة ، ويتهزع : يتقطع . ويروى «يتهرع» أي يتفرغ ويسرع سيلانه .

قال ابن هشام :

وكان كعب بن مالك قد قال :

* مجالدنا عن جِذْمنا[1] كل فخمة *

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أيصلُح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فهو أحسن ؛ فقال كعب : مجالدنا عن ديننا .

شعر لابن الزبعرى

قال ابن إسحاق :

وقال عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أُحد :

يا غرابَ البَيْنِ أَسْمعْتَ فقُلْ ... إنما تَنْطِق شيئاً قد فُعِلْ

إنّ للخَيْر وللشّرّ مدًى ... وكِلاَ ذلك وَجْهٌ وَقبَل[2]

وَالعطِيّاتُ خِساسٌ بينهم ... وسَوَاء قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلْ[3]

كلّ عَيْشٍ ونَعيم زائلٌ ... و بناتُ الدَّهر يَلْعَبْنَ بِكُل[4]

أَبْلغاً حَسّان عنّى آيةً ... فقَرِيض الشعْر يَشْفِي ذا الغُلَل[5]

كم تَرى بالجرِّ من جُمْجُمة ... وأَكُفٍّ قد أُتِرَّتْ ورجِل[6]

وسَرابيلَ حِسانٍ سُرِيَتْ ... عن كُماة أُهْلِكوا فى المُنْتَزَل[7]

كم قتَلْنا مِنْ كَرِيم سَيِّد ... ماجِدِ الجَدّين مِقْدام بَطل

صادِق النجْدة قَرْم بارِعٍ ... غير مُلْتاثٍ لَدَى وَقْع الأَسَل[8]

(١) الجذم : الأصل .
(٢) المدى : الغاية . والقبل : المواجهة والمقابلة . يريد أن كل ذلك ملاقيه الإنسان .
(٣) خساس : حقيرة . والمثرى : الغنى . والمقل : الفقير .
(٤) بنات الدهر : حوادثه .
(٥) الآية : العلامة . والغلل : جمع غلة ، وهى حرارة العطش .
(٦) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت . والرجل: الأرجل .
(٧) السرابيل : الدروع . وسريت : جردت . والكماة : الشجعان . والمنتزل : موضع الحرب .
(٨) النجدة : القوة والشجاعة . والقرم : الفحل الكريم . والبارع : المبرز على غيره . والملتاث : الضعيف . والأسل : الرماح .

فَسَلِ الْمِهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ؟ ... بين أقْحَافٍ وهامٍ كالْحَجَلِ(١)

لَيْتَ أشياخي ببَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرجِ مَنْ وَقْعِ الأسَلِ

حِينَ حَكَّتْ بقُباءٍ بَرْكَهَا ... واستحَرَّ القتلُ فى عبدِ الأَشَلِ(٢)

ثُمَّ خَفُّوا عند ذاكم رُقَّصاً ... رَقَصَ الْحَفَّانِ يعلو فى الجَبَلِ(٣)

فقَتَلْنا الضِّعْفَ من أشْرافِهِم ... وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعتَدَلْ

لا أَلُومُ النَّفْسَ إلا أنَّنا ... لو كَرَرْنا لَفَعَلْنا المُفْتَعَلْ

بسُيوفِ الهِنْدِ تَعْلُو هامَهم ... عَلَلاً تَعَلُوهم بعد نَهَلْ(٤)

رد حسان على ابن الزبعرى

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضى الله عنه ، قال :

ذهبَتْ يابنَ الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ ... كان منَّا الفَضْلُ فيها لو عَدَلْ

ولقد نِلتُمْ ونِلْنا مِنْكُمُ ... وَكَذَاكَ الحربُ أحياناً دُوَلْ

نضَعُ الأسيَافَ فى أكتافِكم(٥) ... حيثُ نَهْوِى عَلَلاً بعد نَهَلْ

نُخْرِجُ الأضياحَ من استاهِكم(٦) ... كسُلاحِ النِّيبِ يأكُلْنَ العَصَلْ(٧)

إذ تُوَلُّونَ على أعْقَابكم ... هُرَّباً فى الشِّعْبِ أشْباهَ الرِّسَلْ(٨)

إذ شَدَدْنا شَدَّةً صادِقةً ... فأَجَأْناكم إلى سَفْحِ الجَبَلْ(٩)

---

(١) الأقحاف : جمع قحف. والهام : الرءوس .

(٢) البرك : الصدر . وبنو عبد الأشل : يريد بنى عبد الأشهل ، فحذف الهاء .

(٣) الرقص : مشى سريع . والحفان : صغار النعام .

(٤) العلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول . يريد الضرب بعد الضرب .

(٥) فى شرح السيرة : « الحطى » والحطى : الرماح ، نسبة إلى الخط ، وهو موضع .

(٦) كذا فى شرح السيرة . والأضياح : جمع ضيح ، وهو اللبن المخلوط بالماء . وفى الأصول : « الأصبح » .

(٧) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة . والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر.

(٨) الرسل : الإبل المرسلة بعضها فى إثر بعض .

(٩) فأجأناكم : أى ألجأناكم .

بِخَنَاطِيلَ[1] كَأَشْدَافِ[2] الْمَلَا ... مَنْ يُلَاقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهَلْ[3]
ضَاقَ عَنَّا الشِّعْبُ إِذْ نَجْزَعُهُ ... وَمَلَأْنَا الْفَرْطَ مِنْهُ وَالرِّجَلْ[4]
بِرِجَالٍ لَسْتُمُ أَمْثَالَهُمْ ... أُيِّدُوا جِبْرِيلَ نَصْرًا فَنَزَلْ[5]
وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتُّقَى ... طَاعَةِ اللَّهِ وَتَصْدِيقِ الرُّسُلْ
وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمُ ... وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رِفَلّ[6]
وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً ... يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلْ
وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ ... يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَابِيلُ الْهُبُلْ[7]
فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جَمَّعُوا ... مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فِي الْخِصْبِ الْهَمَلْ[8]
نَحْنُ لَا أَمْثَالُكُمْ وُلْدَ اسْتِهَا ... نَحْضُرُ النَّاسَ إِذَا الْبَأْسُ نَزَلْ[9]

قال ابن هشام :

وأنشدنى أبو زيد الأنصاريّ : « وأحاديث المثل » والبيت الذى قبله .

وقولِه : « فى قريش من جموع جمعوا » عن غير ابن إسحاق .

---

(١) الخناطيل : الجماعات من كل شيء .

(٢) كذا فى (ا) قال أبو ذر . ويروى : « كأمذاق » . والأمذاق : الأخلاط من الناس. غير أن كتب اللغة لم تجمع شدفا على أشداف ، وإنما جمعته على شدوف ، وفى سائر الأصول : كأشداق « بالقاف » وهو تحريف . ويروى : « كجنان الملا » والجنان : الجن .

(٣) الملا : المتسع من الأرض . ويهل : يرتاع ، من الهول ، وهو الفزع .

(٤) نجزعه : نقطعه. والفرط : ما علا من الأرض . والرجل : جمع رجلة ، وهو المطمئن من الأرض .

(٥) قال أبو ذر : «أيدوا جبريل» أراد أيدوا بجبريل، فحذف حرف الجر، وعدى الفعل.

(٦) الجحجاح : السيد . والرفل : الذى يجر ثوبه خيلاء .

(٧) التنابيل القصار اللئام ، ويروى : القنابل . يريد الخيل ؛ الواحدة قنبلة . وهى القطعة من الخيل . والهبل ، قال أبو ذر : من رواه بضم الهاء والباء ، فمعناه الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم ، ومنه يقال : رجل مهبل : إذا كثر لحمه . ومن رواه بفتح الهاء والباء ، أو بضم الهاء وفتح الباء ، فهو من الثكل ؛ يقال : هبلته أمه : إذا ثكلته .

(٨) الهمل : الإبل المهملة ، وهى التى ترسل فى المرعى دون راع .

(٩) ولد : جمع ولد .

شعر كعب فى بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحاق :

وقال كعب بن مالك يبكى حَمزةَ بن عبد المطلب وقَتْلى أُحد من المسلمين .

نَشجْتَ وهل لك من مُنْشِج ... وكنتَ متى تَذَّكِرْ تَلْجَجِ (1)
تَذَكُّرَ قـــومٍ أتانى لهم ... أحاديثُ فى الزَّمَن الأعْوَجِ
فَقلْبكَ من ذِكرهم خافقٌ ... من الشَّوقِ والحَزَن المُنْضِـجِ
وقَتْلاهمُ فى جنَانِ النَّعيم ... كِرَامُ المَدَاخِـلِ والمَخْرَجِ
بما صَــبَرُوا تحت ظِلّ اللواء ... لواء الرَّسول بذى الأَضْوُجِ (2)
غداة أجابتْ بأسْـيافها ... جميعاً بنو الأَوْس والخَزْرجِ
وأشياعُ أحمــدَ إذ شايَعوا ... على الحقّ ذى النور والمَنْهَجِ (3)
فما بَرِحوا يَضْرِبون الكُماة ... ويَمْضون فى القَسْطَل المُرهَجِ (4)
كذلك حتى دعاهم مليك ... إلى جَنَّـةٍ دَوْحَــةِ المَوْلِجِ (5)
فكلُّهم مات حُرَّ البـلاء ... على مِـــلَّة الله لم يَحْرَجِ (6)
كَحمْزة لَمّا وفَى صادقاً ... بذى هَبَّــةٍ صارِمٍ سَلجَجِ (7)
فلاقاه عَبْـــدُ بَنى نَوْفَلٍ ... يُبَرْبِرُ كالجَمَل الأَدْعَجِ (8)
فأَوْجَـــره حَرْبةً كالشِّهاب ... تَلَهَّبُ فى اللَّهَب المُوهَجِ (9)

---

(1) نشجت : بكيت ، وتلجج ، من اللجج ، وهو الإقامة على الشىء والتمادى فيه .

(2) الأضوج (بضم الواو) : جمع ضوج ، وهو جانب الوادى . والأضوج (بفتح الواو) : اسم مكان .

(3) شايعوا : تابعوا . والمنهج : الطريق الواضح .

(4) الكماة : الشجعان . والقسطل : الغبار . والمرهج : الذى علا فى الجو .

(5) الدوحة : الشجرة الكثيرة الأغصان . والمولج : المدخل .

(6) حر البلاء : خالص الاختبار .

(7) بذى هبة : يعنى سيفا ، وهبة السيف : وقوعه بالعظم . والصارم : القاطع . وسلجج : مرهف .

(8) عبد بنى نوفل : هو وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصيح . والجمل الأدعج : الأسود .

(9) أوجره : طعنه فى صدره . والشهاب : القطعة من النار . والموهج : الموقد .

ونُعْمَانُ أوْفَى بِمِيثاقه ... وَحَنظلة الخَيرِ لم يُحْنَج[1]
عن الحَقِّ حتى غدت رُوحه ... إلى مَنْزِل فاخِرِ الزِّبْرِج[2]
أُولئك لا مَنْ ثَوَى منكُمُ ... من النار فى أَدْرَكِ المُرْتج[3]

شعر ضرار فى الرد على كعب

فأجابه ضرار بن الخطّاب الفِهْرِىّ ، فقال :

أيَجْزَع كعبٌ لِأشياعِه ... ويَبكى من الزَّمن الأعْوَج[4]
عَجِيجَ المُذَكِّى رأى إلفه ... تَرَوَّح فى صادِرٍ مُحْنَج[5]
فرَاح الرَّوايا وغادَرْنه ... يُعَجْعِج قَسْرًا ولم يُحْدَج[6]
فقُولا لكَعْبٍ يُثَنِّى البُكا ... وللنّىءِ من لحمه يَنْضَج
لِمصْرع إخوانه فى مَكَرٍّ ... من الخَيْل ذى قَسْطل مُرْهَج[7]
فياليت عمراً وأشياعَه ... وعُتْبة فى جَمْعنا السَّوْرَج[8]
فيَشْفُوا النفوس بأوتارها ... بقَتْلَى أُصيبتْ من الخَزْرج[9]
وقَتْلَى من الأَوْس فى مَعْرَكٍ ... أُصيبوا جميعاً بذى الأَضْوُج[10]
وَمقْتل حمزة تحت اللّواء ... بِمُطَّرِدٍ ، مارِنٍ ، مُخْلَج[11]
وحيث انثَنَى مُصْعَب ثاويًا ... بضَرْبة ذى هَبَّة سَلْجَج[12]

---

(١) لم يحنج : لم يصرف عن وجهه الذى أراده من الحق .
(٢) الزبرج : الوشى .
(٣) الدرك : ما كان أسفل .
(٤) الأشياع : الأتباع .
(٥) العجيج : الصياح . والمذكى (هنا) : المسن من الإبل ، وأكثر مايقال فى الخيل . والصادر : الجماعة الصادرة عن الماء . ومحنج : ، أى مصروف عن وجهه .
(٦) الروايا : الإبل التى تحمل الماء . وغادرنه : تركنه . ويعجعج : يصوت ، وقسرا قهرا . ولم يحدج : لم يجعل عليه الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء .
(٧) القسطل : الغبار . والمرهج : المرتفع .
(٨) السورج : المتقد .
(٩) الأوتار : جمع وتر ، وهو طلب الثأر .
(١٠) المعرك : موضع الحرب .
(١١) المطرد: الذى يهتز، ويعنى به رمحا والمارن : اللين . والمخلج: الذى بطعن بسرعة.
(١٢) الذى يطعن بسرعة .

بأُحْد وَأسْـــنيافا فِيهِمُ تَلَهَّبُ كاللَّهَب المُهَـجِ
غَـــداةَ لقيناكُمُ فى الْحَديدِ كأُسْد البَراحِ[1] فلم تُعْنَجِ[2]
بكُلّ مُجَلِّحـــة كالعُقابِ وأَجْرد ذى مَيْعة مُسْرَجِ[3]
فُدُسْناهم ثُمَّ حـــتى انثَنَوْا سِوَى زاهِق النَّفْس أو مُحْرجِ[4]

قال ابن هشام :

وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضِرار . وقولُ كعب : « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى .

شعر ابن الزبعرى فى يوم أحد

قال ابن إسحاق :

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أحد ، يبكى القتلى[5] :

ألا ذَرَفَت من مُقْلَتيك دُموعُ وقد بانَ من حَبْل الشَّباب قُطوعُ[6]
وشَطَّ بمن تَهْوَى المَزارُ وفَرَّقت نَوَى الحَىِّ دارٌ بِالحَبيب فَجُوعُ[7]
وليس لما وَلَّى على ذِى حرارة وإن طالَ تَذْرافُ الدموع رُجوعُ
فذَرْ ذا[8] ولكن هل أتى أُمَّ مالك أحاديثُ قَوْمى والحديثُ يَشيعُ
ومُجْنَبنا جُرْداً إلى أهل يَثْرِبٍ عَناجيجَ مِنها مُتْـــلَد ونَزِيعُ[9]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والبراح : المتسع من الأرض . وفى ا : « البراج » بالجيم ، وهو تصحيف .
(٢) لم تعنج : لم تكف ولم تصرف .
(٣) المجلحة : الماضية المتقدمة . ويعنى بها فرسا ؛ ومن رواه : « محجلة » فهو من التحجيل فى الخيل . والأجرد : الفرس العتيق . والميعة : النشاط .
(٤) دسناهم : وطئناهم . والمحرج : المضيق عليه .
(٥) هذه العبارة « يبكى القتلى » ساقطه فى ا .
(٦) ذرفت : سالت .
(٧) شط : بعد . والنوى : البعد والفرقة .
(٨) فى ا : « فذرنا » .
(٩) مجنبنا : أى قودنا ؛ يقال : جنبت الخيل : إذا قدتها ولم تركبها . والعناجيج : الطوال الحسان . والمتلد : الذى ولد عندك . والنزيع . الغريب .

عَشِيَّةَ سِرْنا فى لُهامٍ(1) يَقُودنا(2) ... ضَرُورُ الأعادِى للصَّدِيق نَفُوعُ
نَشُدُّ علينا كلَّ زَغْفٍ كأنها ... غَدِيرٌ بضَوْجِ الوادِيَين نَقِيع(3)
فلما رأونا خالَطَتْهُم مَهابةٌ ... وعايَنهم أمرٌ هناك فَظِيع
ووَدُّوا لو أن الأرض يَنشق ظَهْرُها ... بهم وصَبُور القوم ثَمَّ جَزوع
وقد عُرِّيت بِيضٌ كأنَّ وَمِيضَها ... حَرِيق تَرَقَّى فى الأَباء سَرِيع(4)
بأيمانِنا نَعْلو بها كلَّ هامةٍ ... ومِنْها سِمَام للعَدوِّ ذَرِيع(5)
فغادَرْنَ قَتْلى الأَوْس عاصبةً بهم(6) ... ضِباعٌ وطَيْرٌ يَعْتَفين وُقُوع(7)
وجَمْعِ بنى النجّار فى كلِّ تَلْعة ... بأَبدانهم مِنْ وَقْعِهن نَجيع(8)
ولولا عُلُوُّ الشِّعْب غادَرْنَ أحمداً ... ولكنْ عَلاَ والسَّمْهَرِىُّ شُرُوع(9)
كما غادرتْ فى الكرِّ حَمْزَةَ ثاوِيًا ... وفى صَدْره ماضِى الشَّباة وَقِيع(10)
ونعمان قد غادَرْن تحت لوائه ... على لَحْمِهِ طَيرٌ يُجُفْن وُقوع(11)
بأُحْدٍ وأرماحُ الكماة يُرِدْنهم ... كما غالَ أشطانَ الدِّلاءِ نُزُوع(12)

شعر حسان فى الرد على ابن الزبعرى

فأجابه حسّان بن ثابت، فقال:

أشاقك من أمّ الوَليد رُبُوعُ ... بلاقِعُ ما مِنْ أَهْلِهنّ جَمِيعُ(13)

---

(1) اللهام: الجيش الكثير.
(2) فى ا: «يقودها».
(3) الزغف: الدروع اللينة، والضوج: جانب الوادى، ونقيع: مملوء بالماء.
(4) الوميض: الضوء والأباء: الأجمة الملتفة الأغصان.
(5) الذريع، الذى يقتل سريعا.
(6) كذا فى أكثر الأصول. وعاصبة: لاصقة. وفى ا: «عاصية» بالياء المثناة. وهو تصحيف.
(7) يعتفين: يطلبن الرزق.
(8) والنجيع: الدم.
(9) الشعب: الطريق فى الجبل. والسمهرى: الرماح. وشروع: مائلة للطعن.
(10) شباة كل شىء: حده. ووقيع: أى محدد.
(11) كذا فى ا، ط. ويجفن: يدخلن جوفه أو يطلبن ما فى جوفه. وفى سائر الأصول: «يحفن» أى يقعن على لحمه. ويروى: «يحمن»، أى يستدرن.
(12) الكماة: الشجعان. وغال: أهلك. والأشطان: الحبال. والدلاء: جمع دلو والنزوع (بضم النون): جذب الدلو وإخراجها من البئر. والنزوع (بفتحها): المستقى.
(13) البلقع: القفر الخالى.

عَفَاهُنّ صَيْفِىٌّ الرِّياح ووَاكِفٌ ... من الدلْوِ رَجّافُ السَّحَاب هَمُوعُ[1]
فَلم يَبْقَ إلاّ مَوْقِدُ النّار حَوْله ... رواكِد أمثال الحَمام كُنُوع[2]
فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بدّدَتْ بين أهلها ... نَوًى لِمتَينات الحِبَال قَطُوع[3]
وقُلْ إنْ يَكُنْ يومٌ بأُحْد يَعُدُّه ... سَفيهٌ فإنّ الحَقّ سوف يَشِيع
فقد صابرتْ فيه بَنُو الأوس كلهم ... وكان لهم ذِكْرٌ هناك رَفيع
وحامَى بنو النجّار فيه وصابَرُوا ... وما كان منهم فى اللِّقاء جَزُوع
أمامَ رسولِ الله لا يَخْذُلونه ... لهم ناصرٌ من ربِّهم وشَفِيع
وفَوْا إذْ كفرتُم يا سَخِينَ بربِّكم ... ولا يَسْتوِى عبدٌ وفَى ومُضِيع[4]
بأيْديِهم بِيضٌ إذَا حَمِش الوغَى ... فلا بُدَّ أنْ يَرْدَى لهن صَرِيع[5]
كما غادرتْ فى النَّقع عُتبة ثاويًا ... وَسَعْدًا صَرِيعاً والوشِيجُ شُروع[6]
وقد غادرتْ تحتَ العَجَاجة مُسْنداً ... أُبيًّا وقد بَلّ القَمِيص نَجِيع[7]
بكفّ رسولُ الله حيث تَنصبَّت ... على القوم مما قد يُثِرْن نُقُوع[8]
أولئك قومٌ سادةٌ من فُروعِكم ... وفى كلّ قوم[9] سادةٌ وفُروع
بهنّ نُعزّ اللهَ حتى يُعزّنا ... وإن كان أمرٌ يا سَخِينَ فَظِيع
فلا تَذْكُروا قَتْلى وَحمزة فيهم ... قَتيلٌ ثَوَى لله وهو مُطِيع

---

(١) عفاهن : غيرهن ودرسهن . والواكف : المطر السائل ، ومن الدلو : يعنى برجا فى السماء . ورجاف : أى متحرك مصوت . وهموع : أى سائل .
(٢) الرواكد : الثوابت . يعنى الأثافى . وكنوع : أى لاصقة بالأرض .
(٣) النوى : البعد . والمتينات : الغليظات الشديدات .
(٤) ياسخين : أراد ياسخينة ، فرخم . وكانت قريش فى الجاهلية تلقب سخينة لمداومتهم على أكل السخينة ، وهى دقيق أغلظ من الحساء ، وأرق من العصيدة ، وإنما تؤكل فى الجدب وشدة الدهر .
(٥) حمش : اشتد ، والوغى : الحرب . ويردى : يهلك .
(٦) النقع : الغبار . وعتبة : يعنى عثمان بن أبى طلحة . والوشيج : الرماح . وشروع : مائلة للطعن .
(٧) العجاجة : الغبرة ، والنجيع : الدم .
(٨) نقوع : جمع نقع ، وهو التراب .
(٩) فى ا « يوم » .

فإنّ جِنان الخُلْد مَنْزِلةٌ له   وأَمْرُ الذى يَقْضِى الأُمور سَرِيع
وقَتْلاكمُ فى النّار أفضلُ رِزْقهم   حَمِيمٌ معًا فى جَوْفها وضَرِيع(١)

شعر عمرو بن العاص فى يوم أحد

قال ابن هشام:

وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنْكرها لحسّان وابن الزِّبَعْرى: وقوله «ماضى الشَّباة، وطير يجفن» عن غير ابن إسحاق:

وقال ابن إسحاق:

وقال عمرو بن العاصى [فى] يوم أحد:

خرجنا من الفَيْفا عليهم كأنّنا   مع الصُّبح من رَضْوى الحَبيكُ المُنَطَّقُ(٢)
تَمنّت بنو النجّار جَهْلاً لقاءَنا   لدَى جَنْب سَلْعٍ والأمانِىُّ تَصْدُق(٣)
فما راعَهم بالشرِّ(٤) إلا فُجاءة   كَرادِيسُ خَيْلٍ فى الأَزِقّة تَمْرُق(٥)
أرادُوا لكيما يَسْتَبِيحوا قِبابَنا   ودُونِ القِباب اليومَ ضَرْبٌ مُحَرِّق
وكانت قِبابًا أُومِنت قبلَ ما تَرَى   إذ رامها قومٌ أُبِيحوا وأُحْنِقوا(٦)
كأن رءوس الخَزْرَجيّين غدوةً   وأيمانَهم بالمُشْرِفيّة بَرْوَق(٧)

شعر كعب فى الرد على ابن العاصى

فأجابه كَعب بن مالك، فيما ذكر ابن هشام. فقال:

أَلاَ أَبْلغَا فِهْرًا عَلَى نَأْى دَارِها   وعِنْدَهم مِنْ عِلْمنا اليومَ مَصْدَقُ
بأنّا غَدَاة السَّفْح من بطن يَثْرِبٍ   صَبَرنا ورَاياتُ المَنِيّة تَخفِق(٨)

(١) الضريع: نبات أخضر يرميه البحر.

(٢) الفيفا: القفر الذى لا ينبت شيئا، وقصره هنا للشعر. ورضوى: اسم جبل، والحبيك: الذى فيه طرائق. والمنطق: المحزم.

(٣) سلع: اسم جبل.

(٤) فى ا: «بالسر» بالسين المهملة.

(٥) الكراديس: جماعات الخيل، وتمرق: تخرج.

(٦) أحنقوا: أى أغضبوا وزادت (ا) بعد هذا البيت:

كأن رءوس الخزرجيين غدوة   لدى جنب سلع حنظل متفلق

(٧) البروق: نبات له أصول تشبه البصل.

(٨) السفح: جانب الجبل وتخفق: تضطرب وتتحول.

صَــبَرْنا لهم والصبرُ منّا سَجيّة ... إذا طارتْ الأَبْرامُ نَسْمُو وَنرْتُقُ[1]
على عادة تِلْــكم جَرَيْنا بصَبْرِنا ... وَقِدْمًا لدى الغَايات نَجْرى فَنَسْبِق
لنا حَــوْمةٌ لا تُسْتطاع يَقُودُها ... نَبِىٌّ أتَى بِالحق عَفٌّ مُصَــدَّق[2]
ألا هل أتى أفْناءَ فِهْرِ بن مالك ... مُقَطَّعُ أطْرَافٍ وَهَامٌ مُفَلَّق[3]

شعر ضرار في يوم أحد

قال ابن إسحاق :

وقال ضِرار بن الخطّاب :

إنى وجــدِّكَ لولا مُقْدَمى فَرَسى ... إذْ جالت الخيل بين الجِزْع والقَاعِ[4]
ما زال منكم بجَنْبِ الجِزْع من أُحُدٍ ... أصواتُ هام تَزَاقى أمرُها شاعى[5]
وفارسٌ قد أصابَ السيفُ مَفْرِقه[6] ... أفلاقُ هامته كَفَرْوَة[7] الراعى
إنى وَجــدِّكَ لا أنفَكّ مُنتطِقاً ... بصارِمٍ مثل لَوْنِ المِلْحِ قَطّاعِ[8]
على رِحالة مِــــــلْواحٍ مُثابِرة ... نحو الصّرِيخ إذا ما ثُوِّبَ الدَّاعى[9]
وما انتميتُ إلى خُورٍ ولا كُشُفٍ ... ولا لِئامٍ غــداةَ البَأْسِ أوْرَاعِ[10]

---

(١) السجية : العادة . والأبرام : اللئام ؛ الواحد: برم . وأصله الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر للؤمه . ونرتق : نسد ونصلح .

(٢) الحومة : الجلة . والعف: العفيف.

(٣) أفناء القبائل : المختلطة منها . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٤) الجزع : منعطف الوادى . والقاع : المنخفض من الأرض .

(٥) الهام : جمع هامة، وهى الطائر الذى يزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فيصيح، وتراقى : تصيح، ورواية هذه الكلمة فى ا : «تزقى» . وشاعى : أراد شائع، فقلب.

(٦) المفرق : حيث تفرق الشعر فوق الجبهة .

(٧) الفروة «بالفاء» : معروفة ، وتروى : كقروة (بالقاف) . والقروة : إناء من خشب يحمله الراعى معه .

(٨) منتطق : محتزم . والصارم : السيف القاطع .

(٩) الرحالة : السرج . والملواح : الفرس الشديدة التى ضمر لحمها ، ومثابرة : متابعة . والصريخ : المستغيث . وثوب : كرر الدعاء .

(١٠) الخور : الضعفاء . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس له فى الحرب . والأوراع : جمع ورع . وهو الجبان . ويروى : أوزاع « بالزاى » ، أى متفرقون .

بل ضارِ بين حَبِيك البيض إذ لحِقوا ... شُمٌّ العَرانِين عنـد المَوْت لُدّاع (١)

شُمٌّ بهاليل مســـترخ حمائلُهم ... يَسْعَون للموت سَعْياً غـير دَعْداع (٢)

وقال ضرار بن الخطاب أيضاً :

لمـا أَتَتْ من بنى كَعْب مُزَيَّنة ... وَالخَزْرَجِيَّة فيها البِيضُ تَأْتَلِق (٣)

وجَــرَّدوا مَشْرَفِيَّاتٍ مهنَّدةً ... ورَايةً كجَناح النَّسرِ تَخْتَفِقُ (٤)

فقُلْت يومٌ بِأَيَّامٍ ومَعْرَكةٌ ... تُنْبِى لمـا خَلْفها ما هُزْهِز الوَرِق (٥)

قد عَوَّدوا كلَّ يوم أن تكون لهم ... رِيحُ القِتَالِ وَأَسْلابُ الذين لَقُوا (٦)

خيَّرت (٧) نفسى على ما كان من وَجَل ... منها وأَيْقَنَتْ أنَّ المَجْدَ مُسْتَبَق (٨)

أكرهتُ مهْرِى حتى خاضَ غَمْرتهم ... وَبَلَّهُ من نَجِيـــعٍ عانكٍ عَلَق (٩)

فَظَلَّ مُهْرِى وسِرْبا لى جَسِيدُهما ... نفخُ العُروقِ رشاشُ الطَّعْن والوَرَق (١٠)

أيقنتُ أنِّى مُقيـــمٌ فى دِيارهمُ ... حتى يُفارق ما فى جَوْفه الحَدَق (١١)

لا تَجْزعوا يا بنى مَخْزومَ إنّ لكم ... مِثْلَ المُغِيرةِ فيكم ما به زَهَق (١٢)

صَبراً فِدًى لـكُمُ أُمِّى وما وَلَدت ... تَعاوَرُوا الضَّرْب حتى يُدْبِر الشَّفَق (١٣)

---

(١) الحبيك : الأبيض طرائقه . وشم : مرتفعة . والعرانين : الأنوف ، يصفهم بالعزة .

(٢) البهاليل : السادة ؛ الواحد : بهلول . ومسترخ حمائلهم : يعنى حمائل سيوفهم ، وفيه إشارة إلى طولهم . والدعداع : الضعيف البطىء .

(٣) مزينة ؛ يعنى كتيبة فيها ألوان من السلاح ، وتأتلق : تضىء وتلمع .

(٤) المشرفيات : سيوف منسوبة إلى المشارف ، وهى قرى بالشام .

(٥) تنبى ، يريد تنبىء ، خفف وحذف الهمزة ، وتروى ثنيا ، أى ثانية على أولى ، وهزهز (بالبناء للمجهول) أى حرك . ويروى هزهز (بفتح الهـاء) أى تحرك .

(٦) الأسلاب : جمع سلب .

(٧) فى ا : « خبرت » بالباء الموحدة .

(٨) الوجل : الفزع .

(٩) غمرتهم : جماعتهم ، والنجيع : الدم ، وعانك : أحمر ، ويروى : عاند ، أى لا ينقطع . والعلق : من أسماء الدم .

(١٠) جسيدهما : لونهما أو صبغهما ، ونفح العروق : ماترمى به من الدم ، ويروى : نفخ العروق « بالخاء المعجمة » . والورق : الدم المنقطع ؛ ويروى : العرق .

(١١) الحدق جمع حدقة ، وهى سواد العين .

(١٢) الزهق : العيب .

(١٣) تعاوروا : تداولوا .

شعر عمرو فى يوم أحد

وقال عمرو بن العاصى :

لما رأيتُ الحربَ يَنْزُو شَرُّها بالرَّضْفِ نَزْوَا(١)
وتَناوَلت شَهْبَاءَ تَلْحُو الناسَ بالضرّاء لَحْوَا(٢)
أيقنتُ أنَّ الموتَ حَقٌّ والحياةَ تكونُ لَغْوا
حُمِّلْتُ أثوابى على عَتَدٍ يَبُذُّ الخيلَ رَهْوا(٣)
سَلِسٍ إذا نكبْنَ فى البَيْداءِ يَعْلو الطِّرْفَ عُلْوا
وإذا تَنَزَّل مَاؤُه مِن عِطْفِهِ يَزْداد زَهْوا(٤)
رَبِذٍ كيَعْفُورِ الصَّرِيمةِ رَاعه الرَّامُونَ دَحْوا(٥)
شَنِجٍ نَسَاهُ ضَابِطٍ للخَيْلِ إرْخاءً وعَدْوا(٦)
فَفِدًى لهمْ أمى غَداةَ الرَّوْعِ إذْ يَمْشُونَ قَطْوا(٧)
سَيْراً إلى كَبْشِ الكَتِيبةِ إذْ جَلَتْهُ الشمسُ جَلْوا(٨)

قال ابن هشام :

وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو .

شعر كعب فى الرد على عمرو بن العاصى

قال ابن إسحاق :

فأجابهما كعبُ بن مالك ، فقال :

---

(١) ينزو : يرتفع ويثب . والرضف : الحجارة المحماة بالنار .

(٢) شهباء : أى كتيبة كثيرة السلاح . وتلحو : تقشر وتضعف ؛ تقول : لحوت العود : إذا قشرته .

(٣) العتد : الفرس الشديد . يبذ : يسبق . والرهو : الساكن اللين .

(٤) ماؤه : أى عرقه . والعطف : الجانب . والزهو : الإعجاب والتكبر .

(٥) ربذ : سريع . واليعفور : ولد الظبيه ، والصريمة : الرملة المنقطعة . وراعه : أفزعه . والدحو : الانبساط .

(٦) شنج : منقبض . والنسا : عرق مستبطن الفخذين . وضابط : ممسك . والإرخاء والعدو : ضربان من السير .

(٧) القطو : مشى فيه تبختر كمشى القطاة .

(٨) كبش الكتيبة : رئيسها . وجلته : أبرزته.

أَبْلِـغْ قُرَيشاً وخيرُ القَوْلِ أصدقُه ... والصدقُ عنْد ذَوِى الألباب مَقبولُ (١)
أنْ قد قَتَلْنا بقَتْــلانا سَرَاتَــكم ... أهلَ اللِّواء فَفِيما يَــكْثُر القِيل (٢)
ويَوم بدرٍ لَقينا كم لنا مــــددٌ ... فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبْرِيل
إن تَقْتلونَا فَدِينُ الحقّ فِطْرتُنا ... والقَتْلُ فى الحقّ عند الله تَفْضِيل
وإن تَرَوْا أمرَنا فى رَأْيِــكم سَفَهاً ... فرأىُ منْ خالف الإسْلام تَضْليل
فلا تمنَّوا لِقَاحَ الحَرْبِ واقْتَعِدُوا ... إنّ أخاالحَرْبِ أَصْدَىاللونِ مَشْغُول (٣)
إنّ لــكم عِنْدنا ضَربًا تَراحُ له ... عُرْجُ الضِّباع له خَذْم رَعابِيل (٤)
إنّا بنو الحَرْب نَمْرِيها ونَنْتُجُها ... وعندنا لذَوِى الأَضْغَان تَنْــكِيل (٥)
إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْب بعد مابلغتْ ... منــه التَّراقِى وأمرُ الله مَفْعول (٦)
فقد أفادتْ له حِلْماً ومَوْعِظةً ... لمن يكونُ له لبٌّ ومَعْقُول
ولو هَبطتم ببَطْن السَّيْل كافَحكم ... ضَرْبٌ بشاكِلة البَطْحاء تَرْعِيل (٧)
تَلْقاكم عُصَبٌ حَوْل النبىّ لهم ... مما يُعِدّون للهَيْجا سَرَابِيل (٨)
من جِذْم غَسّان مُسْترخٍ حمائلهم ... لا جُبَناء ولا مِيــــلٌ مَعازِيل (٩)

---

(١) الألباب : العقول .

(٢) سراة القوم : خيارهم . والقيل : القول .

(٣) لقاح الحرب : زيادتها ونموها، وأصدى اللون : لونه بين السواد والحمرة، ومشغول : من الشغل . ويروى : « مشعول » بالعين المهملة وكذا ورد فى (ا) أى متقد ملتهب .

(٤) تراح : تفرح وتهتز . والخذم (بضم الخاء): قطع اللحم، (وبفتحها) المصدر . والرعابيل : المنقطعة .

(٥) نمريها : نستدرها . وننتجها : من النتاج . والأضغان : العداوات. والتنكيل: الزجر المؤلم.

(٦) التراقى : عظام الصدر .

(٧) كافحكم : واجهكم . وبشاكلة : أى بطرف . والبطحاء : الأرض السهلة . والترعيل : الضرب السريع .

(٨) الهيجاء : الحرب .

(٩) الجذم : الأصل . وحمائلهم : أى حمائل سيوفهم . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا ترس له . والمعازيل : الذين لا رماح معهم . مفرده : معزال .

يَمْشُونَ تحت[1] عَمايات القِتال كما ... تَمْشِى المَصَاعِبُ الأُدْم المَرَاسِيلُ[2]

أو مِثْل مَشْى أُسود الظِّلِّ أَلْثَقَها[3] ... يومُ رَذَاذٍ من الجَوْزاء مَشْمُولُ[4]

فى كلّ سابغةٍ كالنِّهْى مُحْكَمَةٍ[5] ... قِيامِها[6] فَلَجٌ كالسَّيْفِ بُهْلُولُ[7]

تردُّ حَدَّ قِرام النَّبلِ خاسِئةً ... ويَرْجِعِ السيفُ عنها وهو مَفْلُولُ[8]

ولو قَذَفْتُم بِسَلْعٍ عن ظُهُورِكُمُ ... وللحَيَاة ودَفْع المَوتِ تَأْجِيلُ[9]

مازال فى القَوْم وِتْرٌ منكمُ أبداً ... تَعْفُو السَّلامُ عليه وهو مَطْلُولُ[10]

عبدٌ وحُرٌّ كريمٌ مُوثَقٍ قَنَصاً ... شَطْرَ المَدِينةَ مَأْسُورٌ ومَقْتُولُ[11]

كنّا نُؤَمِّل أُخْراكم فأَعْجَلَكُم ... مِنّا فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ[12]

إذا جَنَى فيهم الجانى فقد عَلِموا ... حقًّا بأنَّ الذى قَدْ جَرَّ مَحْمُولُ

مَا نحنُ لا نحن[13] من إِثْمٍ مُجاهِرةً ... ولا مَلُومٌ ولا فى الغُرْم مَخْذُولُ

شعر حسان فى أصحاب اللواء

وقال حسّان بن ثابت، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد:

ـ قال ابن هشام. هذه أحسن ما قيل ـ

مَنَع النَّومَ بالعَشاء الهمومُ ... وَخَيَالٌ إذَا تَغُورُ النُّجُومُ

---

(1) فى ا: « تحو ».

(2) عمايات القتال: ظلماته. ويروى: غيابات، أى سحابات. والمصاعبة: الفحول من الإبل؛ واحدها: مصعب. والأدم: الإبل البيض. والمراسيل التى يمشى بعضها إثر بعض.

(3) كذا فى الأصول. وفى شرح السيرة: « الطل » وهو المطر الضعيف.

(4) ألثقها: بلها. والرذاذ: المطر الضعيف. والجوزاء: اسم لنجم معروف. والمشمول: الذى هبت فيه ريح الشمال.

(5) السابغة: الدرع الكاملة. والنهى: الغدير من الماء.

(6) كذا فى ا وشرح السيرة. وقيامها، أى القائم بأمرها ومعظمها. وفلج نهر. وفى سائر الأصول « فتامها فلج ».

(7) البهلول: الأبيض.

(8) خاسئة: ذليلة.

(9) سلع: جبل.

(10) يعفو: يدرس ويتغير. والسلام: الحجارة. ومطلول: أى لم يؤخذ بثأره.

(11) القنص: الصيد، وشطر المدينة: نحوها وقصدها.

(12) الميل: الذين لا تراس معهم.

(13) فى ا: « مايجن لا نجن ».

مِن حَبيب أَضَافَ قلبَك منه سَقَم فهو داخِـــلٌ مَكْتُومُ(١)
يا لَقَوْمى هَلْ يَقْتل المرءَ مثلى واهِنُ البَطْش والعِظامِ سُؤُوم(٢)
لو يَدِب الحَوْلىّ من ولد الذ رّ عليهـا لأَنْدَبَتهـا الـكُلُوم(٣)
شَأْنُها العِطْر والفراشُ ويَعْـلو ها لُجين ولُؤلؤ مَنْظُوم(٤)
لَمْ تَفُتْها شَمْسُ النَّهار بشىء غيرَ أنَّ الشَّبابَ ليس يَدُوم
إن خَالِى خَطِيبُ جابِيَة الجَوْ لان عند النُّعْمان حين يَقُوم(٥)
وأنَا الصَّقْر عند باب ابنِ سَلْمى يوم نُعْمان فى الـكُبول سقِيم
وأبِىٌّ وواقِـــدٌ أُطْلِقا لِى يوم راحَا وَكَبلهم مَخْطُوم(٦)
ورهنتُ اليدَيْن عنهم جَميعاً كلّ كَفّ جُزْءٌ لهـا مَقْسوم
وَسَطَتْ نِسْبَتِى الذَّوائبَ منهم كلّ دارٍ فيها أبٌ لى عظِيم(٧)
وأَبِى فى سُمَيحـــة القائل الفا صِلِ يوم التقتْ عليـه الخُصوم(٨)
تلك أفعالُنا وفِعْل الزِّبَعْرى خاملٌ فى صَـــديقه مَذْموم
ربّ حِلْم أضاعــه عَدَم المـا لِ وَجَهْل غَطّى(٩) عليه النّعِيم(١٠)

---

(١) أضاف : نزل وزار .

(٢) الوهن : الضعيف ، والسؤوم : الملول .

(٣) الحولى ، الصغير ، وأندبتها أثرت فيها ، من الندب ، وهو أثر الجرح والكلوم : الجراحات

(٤) اللجين : الفضة .

(٥) خالى : يريد به مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجابية : الحوض الصغير . والجولان : موضع بالشام .

(٦) مخطوم : مكسور .

(٧) وسطت : توسطت ، والذوائب : الأعالى .

(٧) سميحه : بئر بالمدينة ، كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان بن ثابت .

(٩) ويروى . غطا « بتخفيف الطاء » ، أى علا وارتفع .

(١٠) زادت م ، ر بعد هذا البيت :

إن دهرا يبور فيه ذوو العلـــم لدهر هو العتو الزنيم

لا تَسُبَّنَّنى فلستَ بسِــــبِّى إن سِبِّى من الرِّجالِ الـكريمُ[١]
ما أُبالى أَنبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لَحانى بظَهْرِ غَيْبٍ لَئيم[٢]
ولِىَ البأسَ منكم إذ رَحَلْــــتم أسرةٌ من بَنِى قُصَىٍّ صميم[٣]
تِسعـــةٌ تَحْمِل اللواءَ وطارتْ فى رَعاع من القَنا مَخْـــزُوم[٤]
وأقامُوا حتى أُبيحوا جَميعاً فى مَقام وكلُّهم مَـــــذْموم
بدمٍ عانِك وكان حِفاظًا أن يُقيموا إنْ الـكَرِيم كريم[٥]
وأقامُوا حتى أُزيروا شَعُوبًا والقَنا فى نُحُورهم مَحْطوم[٦]
وقُرَيش تفِرّ مِنَّا لِواذًا أن يُقِيموا وَخَفَّ منها الحُلوم[٧]
لم تُطِق حَمْله العواتِقُ منهم إنمـا يَحْمِل اللّواء النُّجوم[٨]

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

* منع النّوم بالعشاء الهُموم *

ليلاً ، فدعا قَومه ، فقال لهم : خَشِيت أن يُدْركنى أَجَلى قبل أن أصبح ، فلا تَرْووها عنى[٩] .

قال ابن هشام :

أنشدنى أبو عُبيدة للحجّاج بن عِلاط السُّلَمى يَمْدح [أبا الحسن أمير المؤمنين][١٠] علىَّ بن أبى طالب : ويذكر قتْله طَلْحة بن أبى طلحة بن عبدالعُزّى ابن عثمان بن عبد الدّار ، صاحب لواء المشركين يوم أُحد :

---

(١) السب : هو الذى يقاوم الرجل فى السب ويكون شرفه مثل شرفه .
(٢) نب : صاح . ولحانى : ذكرنى عائبا .
(٣) الصميم : الخالص النسب .
(٤) الرعاع : الضعفاء .
(٥) العانك : الأحمر .
(٦) شعوب : اسم للمنية .
(٧) لواذا : مستترين . والحلوم : العقول .
(٨) العواتق : جمع عاتق ، وهو مابين الـكتف والعنق والنجوم : المشاهير من الناس .
(٩) هذه العبارة من قوله «قال ابن هشام» إلى هنا ساقطة فى ا .
(١٠) زيادة عن ا .

لِلهِ أىُّ مُذَبِّب عن حُرْمةً ... أعْنى ابنَ فاطمة الْمُعِمّ الْمُخْوِلاَ(١)

سَبقتْ يَدَاكَ له بعاجل طَعْنةٍ ... تركتْ طُلَيحة للجَبِينِ مُجَدِّلا(٢)

وَشَدَدْتَ شَدّةَ باسل فكَشَفْتَهم ... بالجرّ إذ يَهْوُون أخْول أخْوَلا(٣)

شعر حسان في قتلى يوم أحد

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت يَبْكى حَمْزة بن عبدالمطلب ومن أُصيب من أصحاب رسول الله صلّى اُلله عليه وسلّم يوم أُحد :

يا مَىَّ قُومِى فاندُبِنْ ... بسُحيرَة شَجْوَ النَّوَائحِ(٤)

كالحامــــلات الوِقْر بالـــثّقل الْمُلِحّاتِ الدّوالحِ(٥)

الْمُعْــــولات الخَامِــــشات وُجوه حُرّاتٍ صَحائحِ(٦)

وكأنّ سَيْل دُمُوعها الأنْـــصابُ تُخَضَبُ بالذّبائحِ(٧)

يَنْقُضْن أشعاراً لهنّ هُـــناك بادِيةً المَسَائحِ(٨)

وكـأنها أذْنابُ خَيْـــلٍ بالضُّحَى شُمْسٍ روامِحِ(٩)

---

(١) المذبب : الدافع؛ يقال ذبب عن حرمه : إذا دفع عنها. وابن فاطمة : يريد على بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهـا شمى ، والمعم : الكريم الأعمام . والمخول : الكريم الأخوال .

(٢) المجدل : اللاصق بالأرض .

(٣) الباسل : الشجاع . والجر : أصل الجبل . ويهوون : يسقطون . وأخول أخولا : أى واحدا بعد واحد .

(٤) الشجو : الحزن ، ورواية هذا البيت فى ا :

يا مى قومى فاندبن بسحرة شجوالنوائح

(٥) الملحات : الثابتات التى لا تبرح . والدوالح : التى تحمل الثقل .

(٦) المعولات : الباكيات بصوت . والخامشات : الخادشات .

(٧) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لهـا ، ويطلونها بالدم .

(٧) المسائح : ذوائب الشعر ؛ الواحدة : مسيحة .

(٩) الشمس : النوافر ؛ وهى جمع شموس، والروامح : التى ترمح بأرجلها ؛ أى تدفع عنها.

مِن بَين مَشْزُورٍ(١) ومَجْـــزُورٍ يُذَعْذَع بالبَوارِح(٢)
يَبْكِين شَجْوا مُسْلَبا ... تٍ كَدَّحَتْهن الكَوادِح(٣)
ولَقَدْ أصاب قُلوبَها ... مَجْلٌ له جُلَبٌ قَوارِح(٤)
إذْ أَقصَد الحِدْثان مَنْ ... كُنّا نُرَجّى إذْ نُشايِح(٥)
أَصحابَ أُحْـــدٍ غالَهم ... دهرٌ ألَمَّ(٦) له جَوارِح(٧)
مَنْ كان فارسَنا وَحَا ... مِيناً إذا بُعِث المسَالِح(٨)
يا حَمْـــز، لا والله لا ... أَنْساكِ ما صُرَّ اللّقَائح(٩)
لمُناخ أيْتام وَأَضْــيافٍ ... وأرْمَلةٍ تُلَامح(١٠)
ولِمَا يَنُوب الدهرُ فى ... حَرْبٍ لِحَرْبٍ وهْى لاقح(١١)
يا فارساً يا مِـــدْرها ... يا حَمْز قد كُنْتَ المُصامِح(١٢)

---

(١) كذا فى شرح السيرة. ومشزور: مفتول وهو تصحيف، وفى جميع الأصول: «مشرور» بالراء المهملة.

(٢) يذعذع: يفرق (بالبناء للمجهول) فيهما. والبوارح: الرياح الشديدة.

(٣) مسلبات (بفتح اللام وكسرها) اللائى يلبسن السلاب، ثياب الحزن. ومن رواه بالتخفيف فهو بذلك المعنى. وكدحتهن: أثرت فيهن، والكوادح: نوائب الدهر.

(٤) مجل: أى جرح ندى. وجلب: جمع جلبة وهى قشرة الجرح التى تكون عند البرء وقوارح: موجعة.

(٥) أقصد: أصاب. والحدثان: حادثات الدهر، ونشايح: نحذر.

(٦) غالهم: أهلكهم: وألم: نزل.

(٧) فى شرح السيرة: بوارح (بالباء). والبوارح: الأحزان الشديدة.

(٨) المسالح: القوم الذين يحملون السلاح، ويحمون المراقب لئلا يطرقهم العدو على غفلة، وهو مشتق من لفظ السلاح.

(٩) صر: ربط. واللقائح: جمع لقحة، وهى الناقة التى لها لبن. وقد وردت هذه الكلمة فى ا: اللقالح (باللام) وهو تحريف.

(١٠) المناخ: المنزل. وتلامح: أى تنظر بعينها نظرا سريعا ثم تغضها.

(١١) اللاقح من الحروب: التى تتزيد شرها.

(١٢) المدره: المدافع عن القوم بلسانه ويده. والمصامح: الشديد الدفاع. ويروى: المصافح (بالفاء). والمصافح: الراد للشىء؛ تقول: أتانى فلان فصفحته عن حاجته، أى رددته عنها.

عنّا شَدِيدَاتِ الْخُطو ... ب إذا ينُوب لهنّ فادِح
ذَكَّرتنى أَسَد الرّسو ... ل ، وذاك مِدْرَهنا المُنافِح (١)
عــــنّا وكان يُعَدّ إذ ... عُدّ الشَّرِيفون الجَحَاجِح (٢)
يَعْـــلو القَماقِمَ جَهْرةً ... سَبْطَ اليَدَيْنِ أغرّ واضِح (٣)
لا طائشٌ رَعِــشٌ ولا ... ذو عِلّة بالحِمْل آنِح (٤)
بَحْر فليس يُغِبّ جا ... راً منه سَيْبٌ أو مَنادِح (٥)
أَوْدَى شَبابُ أُولِى الحَفَا ... ئظ والثقيلون المَرَاجِح (٦)
المُطْعِمُــون إذا المَشا ... تِى ما يُصَفِّقهُنّ ناضِح (٧)
لَحْمَ الجِـلاد وفَوْقَه ... من شَحْمه شُطَبٌ شَرائح (٨)
لِيُدَافِعوا عن جارِهم ... مارَام ذو الضِّغْنِ المُكاشِح (٩)
لَهْفِى لشُبّانٍ رُزِئْــناهم كأنهُمُ المَصَابِح
شُمٌ ، بَطارِقــةٌ ، غَطَا ... رِفةٌ ، خَضَارِمَةٌ ، مَسَامِح (١٠)

---

(١) المنافح : المدافع عن القوم ؛ وكان حمزة ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد .

(٣) القماقم : السادة . وسبط اليدين : جواد ؛ ويقال للبخيل : جعد اليدين . وأغر : أبيض . وواضح : مضىء مشرق .

(٤) الطائش : الخفيف الذى ليس له وقار . والآنح : البعير الذى إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المعتصر .

(٥) السيب : العطاء . والمنادح : جمع مندحة ، وهى السعة . ويروى : منائح ، والمنائح : العطايا .

(٦) أودى : هلك . والحفائظ . جمع حفيظة وهى الغضب . والمراجح : الذين يزيدون على غيرهم فى الحلم .

(٧) مايصفقهن : مايحلبهن . والناضح : الذى يشرب دون الرى .

(٨) الشطب : الطرائق فى السيف .

(٩) ذو الضغن : ذو العداوة . والمكاشح : المعادى .

(١٠) شم : أعزاء . وبطارقة : رؤساء . وغطارفة : سادة ، والخضارمة : الذين يكثرون العطاء . والمسامح : الأجواد .

المُشْتَرُوْنَ الحمْدَ بالْـــأَمْوالِ إنّ الحَمْدَ رَابِح

والجَامِزُونَ بلُجْمِهم يَومًا إذا ما صَاح صائِح[1]

مَنْ كان يُرْمى بالنَّوا[2] قِرِمِنْ زَمانٍ غيرِ صَالِح

ما إنْ تَزالُ رِكَابُهُ يَرْسِمْن فى غُبْرٍ صَحاصِح[3]

راحتْ تَبارَى وهو فى رَكْبٍ صُدُورُهُمُ رَواشِح[4]

حـــتى تَئُوب له المَعا لِى لَيْسَ من فوزِ السَّفائح[5]

يا حَمْزَ قد أوْ حَـــدْتَنى كالعُود شَذَّبه الكَوافِـح[6]

أشْـكو إليك وَفَوْقَك الـــتُّرْب المُـكَوَّرُ والصَّفَائح[7]

من جَنْدلٍ نُلْقيه فو قكَ إذأجادَ الضَّرْحَ ضارِح[8]

فى واسعٍ يَحْشُـــونه بالتُّرْب سَوَّتْه المَماسِـح[9]

فعَزَاؤُنَا أنّا نَقُو ل وقَـوْلُنا بَرْحٌ بَوارِح[10]

من كان أمْسَى وهو عَمّـــا أَوْقع الحِدْثان جانِح[11]

فليَأْتنا فلتَبْكِ عَيْـــناه لهلْكانا النَّوافِـح[12]

---

(١) الجامزون : الواثبون . ولجم : جمع لجام ، وهو بضم الجم ، وسكن للشعر .

(٢) كذا فى الأصول . والنواقر : غوائل الدهر، التى تنقرعن الانسان، أى تبحث عنه . ويروى : البواقر « بالباء » ، وهى الدواهى .

(٣) الركاب : الإبل . ويرسمن ، من الرسم ، وهو ضرب من السير . والصحاصح جمع صحصح ، وهو الأرض المستوية الملساء .

(٤) تبارى : تتبارى أى تتعارض . ورواشح : أى أنها ترشح بالعرق .

(٥) قال أبو ذر : « تئوب : ترجع . والسفائح ، جمع سفيح ، وهو من قداح الميسر لا نصيب له . أو السفائح : جمع سفيحة ، وهى كالجوالق ونحوه . الروض الأنف » .

(٦) شذ به : أزال أغصانه وشوكه . والكوافح : الذين يتناولونه بالقطع .

(٧) المكور : الذى بعضه فوق بعض . والصفائح : الحجارة العريضة .

(٨) الضرح : الشق ، ويعنى به شق القبر .

(٩) يحشونه : يحثونه . والماسح : ما يمسح به التراب ويسوى .

(١٠) البرح : الأمر الشاق .

(١١) الجانح : المائل إلى جهة .

(١٢) النوافح : الذين كانوا ينفحون بالمعروف ، ويوسعون به .

القائلين الفاعلين ذوى السماحة والمادح
من لايزالُ ندَى يديه له طوال الدهر مائح[1]

قال ابن هشام :

وأكثر أهلُ العِلْم بالشعر يُنكرها لحسّان ، وبيته : « المطعمون إذا المشاتى » ، وبيته : « الجازون بلجمهم » ، وبيته : «من كان يُرْمَى بالنواقر »

عن غير ابن إسحاق :

شعر حسان في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يبكى حمزة بن عبد المطلب :

أتعرفُ الدارَ عَفا رَسْمُها … بعدكَ صَوْبُ المُسْبِل الهَاطِلِ[2]
بين السَّراديح فأُدْمانةٍ … فمَدْفع الرَّوْحاء فى حَائلِ[3]
ساءلتُها عن ذاكَ فاستعجمَتْ … لم تَدْرِ ما مَرْجُوعةُ السَّائلِ؟[4]
دَعْ عنك داراً قد عفا رسْمُها … وابك على حَمْزة ذى النّائلِ[5]
المالئُ الشِّيزَى إذا أعْصَفت … غَبْراءُ فى ذى الشَّبِم المَاحلِ[6]
والتَّارِكِ القِرْنَ لَدَى لِبْدةٍ … يَعْثُرُ فى ذى الخُرُص الذّابلِ[7]

---

(١) المائح : الذى ينزل فى البئر فيملأ الدلو إذا كان ماؤها قليلا ، ويروى : الماتح « بالتاء » أى الذى يجذب الدلو عليه . فضربها مثلا للقاصدين له ، الذى ينتجعون معروفه .

(٢) عفا : درس وتغير . والرسم : الأثر . والصوب : المطر . والمسبل : المطر السائل . والهاطل : الكثير السيلان .

(٣) سراديح : جمع سرداح ، وهو الوادى أو المكان المتسع . وأدمانة : موضع . والمدفع : حيث يندفع السيل . والروحاء : من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلا . وحائل : واد فى جبلى طيء .

(٤) استعجمت : أى لم ترد جوابا . ومرجوعة السائل : رجع الجواب .

(٥) النائل : العطاء .

(٦) الشيزى : جفان من خشب . وأعصفت : اشتدت . والغبراء : الريح التى تثير الغبار . والشبم : الماء البارد . ويريد بذى الشبم : زمن اشتداد البرد والقحط . والماحل : من المحل ، وهو الجدب .

(٧) القرن : المنازل فى القتال . وذو الخرص : الرمح . والخرص : سنانه ، وجمعه : خرصان . والذابل : الرقيق .

والّلابس الخَيْل إذ أجْحَمت[1] كالليثِ فى غابَته الباسِلِ
أبيضُ فى ٱلذِّروة من هاشمٍ لم يَمْرِ دون الحق بالبَاطل[2]
مالَ شَهِيداً بين أسيافكم شُلّت يدًا وَحْشِىَّ مِنْ قاتل[3]
أىّ أمرئ غادر فى أَلّةٍ مَطْرورةٍ مارِنةِ العامل[4]
أظلمتِ الأرضُ لِفِقْدَانه واسـودّ نورُ القمرِ النّاصِلِ[5]
صـلّى عليه الله فى جَنّةٍ عاليــةٍ مُكْرَمة ٱلدّاخِل
كنّا نَرى حَمْزة حِرْزاً لنا فى كلّ أمر نابنا نازل
وكان فى الإسلام ذا تُدْرَأٍ يَكْفِيك فَقْدَ القاعِدِ الخَاذِلِ[6]
لا تَفْرَحِى يا هند واسْتَحْلِبِى دمعاً وأذرى عَبْرة الثّاكِل
وابكى على عُتْبة إذ قَطّه بالسّيف تحت الرّهجِ الجائلِ[7]
إذ خَرّ فى مَشيخةٍ مِنْكُم مِنْ كل عاتٍ قلبُه جاهلِ[8]
أَرْدَاهمُ حَمْزةُ فى أُسْرةٍ يَمشُون تحت الحلَقِ الفاضِلِ
غَداةَ جِبْرِيل وَزِيرٌ له نِعْمَ وزيرُ الفارسِ الحامِلِ

---

(١) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : احجمت « بتقديم الحاء » وهما بمعنى .

(٢) لم يمر : من المراء ، وهو الجدل .

(٣) حذف التنوين من وحشى للضرورة .لأنه علم ، والعلم قد يترك صرفه كثيرا .

(٤) عادر : ترك . والألة : الحربة لها سنان طويل . والمطرورة : المحددة . ومارنة : أى لينة . والعامل : أعلى الرمح .

(٥) الناصل : الخارج من السحاب ؛ ونصل القمر من السحاب : إذا خرج منه .

(٦) ذاتدرأ : أى ذا مدافعة .

(٧) قطه : قطعه . والرهج : الغبار . والجائل : المتحرك ذاهبا راجعا. وقد وردت هذه الكلمة فى ا بالحاء المهملة .

(٨) خر : سقط . وأرداهم : أهلكهم . وأسرة : أى قرابة . والحلق : الدروع . والفاضل: الذى يفضل منه وينجر على الأرض .

شعر كعب في بكاء حمزة

وقال كعبُ بن مالك يَبْـكى حمزةَ بن عبد المطلب :

طَرقتْ هُمومُك فالرُّقاد مُسَهَّدُ ... وَجزِعتَ أن سُلِخ الشبابُ الأَغْيد[1]

وَدَعَتْ فؤادَك للهوى ضَمْرِيَّةٌ ... فهواك غَوْرِى وَصَحْوك مُنْجِد[2]

فَدعِ التَّمادِىَ فى الغَوَاية سادِراً ... قد كنتَ فى طلب الغَوَاية تُفْنَدَ[3]

ولقد أَنَى لك أنْ تَنَاهَى طائعاً ... أو تَسْتَفِيق إذا نَهاك المُرْشِد[4]

ولقد هُدِدْتُ لفقدِ حَمْزة هَدَّةً ... ظَلَّت بناتُ الجَوْف منها تَرْعَد[5]

ولوَ أنَّه فُجِعت حِراء بِمِثْله ... لرأيتَ رَاسِىَ صَخْرِها يتبدَّد[6]

قَرْمٌ تَمَـكَّن فى ذُؤَابة هاشمٍ ... حيث النُّبوّة والنَّدَى والسُّودَد[7]

والعاقرُ الـكُومَ الجِلاد إذا غَدَتْ ... ريحٌ يكاد الماء منها يَجْمُدُ[8]

والتّارِكُ القِرْنَ الـكَمِىَّ مُجَدَّلا ... يومَ الـكَرِيهة والقَنا يَتَقَصَّد[9]

وتراه يَرْفل فى الحَدِيد كأنه ... ذو لِبْدةٍ شَثْنُ البراثِن أَرْبد[10]

عمّ النبىّ محمدٍ وصَفِيّـــــه ... ورد الحِمامَ فطَاب ذاكَ المَوْرِد

---

(١) مسهد : قليل النوم . وأراد : فالرقاد رقاد مسهد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ويجوز أن يكون وصف الرقاد بأنه مسهد من المجاز . وسلخ : أزيل (بالبناء للمجهول فيهما) . والأغيد : الناعم .

(٢) ضمرية : نسبة إلى ضمرة ، وهى قبيلة . وغورى : نسبة إلى الغور ، وهو المنخفض من الأرض . وفى رواية : « وصحبك » بدل « وصحوك » .

(٣) تفند : تلام وتكذب .

(٤) أنى : حان .

(٥) بنات الجوف : يعنى قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه ، وسماها بنات الجوف ، لأن الجوف يشتمل عليها .

(٦) حراء : جبل ، وأنثه هنا حملا على البقعة . والراسى : الثابت .

(٧) القرم : السيد الشريف . وذؤابة هاشم : أعاليها .

(٨) الـكوم : جمع كوماء ، وهى العظيمة السنام من الإبل . والجلاد : القوية .

(٩) الـكمى : الشجاع . ومجدلا : مطروحا على الجدالة ، وهى الأرض . ويتقصد : ينكسر .

(١٠) ذو لبدة : يعنى أسدا . واللبدة : الشعر الذى على كتفى الأسد . وشثن : غليظ . والبراثن للسباع : بمنزلة الأصابع للناس . والأربد : الأغبر يخالطه سواد .

وأتى المنِيّةَ مُعْلِما فى أُسْرةٍ   نَصَروا النبىَّ ومنهم المُسْتَشْهَدُ[١]
ولقد إخَالُ بذاكَ هنداً بُشِّرت   لتُميت داخلَ غصة لا تَبرُدُ[٢]
مما صَبحنا بالعَقَنْقَل قومَها   يومًا تَغيّبَ فيه عنها الأسْعَدَ[٣]
وببِئْرِ بَدْرٍ إذ يَرُدُّ وُجوهَهم   جِبْرِيلُ تحت لِوائنا ومُحَمَّدُ
حتى رأيت لدى النبىِّ سَرَاتَهم   قِسْمَيْنِ : يَقْتُلُ مَنْ نَشاءَ ويطْرُد[٤]
فأقامَ بالعَطَن المُعَطَّن منهمُ   سَبْعون ، عُتْبةُ منهمُ والأَسْود[٥]
وابنُ المُغِيرة قد ضَرَبْنا ضَرْبةً   فوق الوَرِيد لهـا رشاشٌ مُزْبِد[٦]
وأُمّيّة الجُمَحِىُّ قوَّم مَيْـــــله   عَضْبٌ بأيدى المُؤْمنين مُهَنَّد
فأتاكَ فَلُّ المُشْرِكِين كأنهم   والخَيْلُ تَثْفِنهم نعَام شُرَّد[٧]
شَتّان مَنْ هو فى جَهنّم ثاوِيًا   أبداً ومن هو فى الجِنَان مُخَلَّد

وقال كعبٌ أيضاً يبكى حمزة :

صَفِيّة قُومِى ولا تَعْجِزى   وبَكِّى النِّساءَ على حَمْزَةَ
ولا تَسْأَمِى أن تُطيلى البُكا   على أَسدِ الله فى الهِزَّةِ[٨]
فقد كان عِزًّا لأَيْتَامِـــــنا   ولَيْثَ المَلَاحِمِ فى البِزّةِ[٩]
يُريد بذاكَ رِضا أحْمَـــــدٍ   ورِضْوانَ ذى العَرْش والعِزَّة

(١) معلما : مشهرا نفسه بعلامة يعرف بها فى الحرب . والأسرة : الرهط .
(٢) إخال : أظن (وكسر الهمزة لغة تميم) . والغصة : ما يعترض فى الحلق فيشرق .
(٣) العقنقل : الكثيب من الرمل .
(٤) سراتهم : خيارهم .
(٥) العطن : مبرك الإبل حول الماء . والمعطن : الذى قد عود أنه يتخذ عطنا .
(٦) الوريد : عرق فى صفحة العنق . والرشاش المزبد : الدم تعلوه رغوة .
(٧) الفل : القوم المنهزمون . وتثفنهم : تطردهم وتتبع آثارهم .
(٨) الهزة : الاهتزاز والاختلاط فى الحرب .
(٩) الملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب التى يكثر القتل فيها . البزة : السلاح.

شعر كعب فى أحد

وقال كعب أيضاً فى أحد :

إنكِ عَمْرَ أبيكِ الكريـــم أَنْ تَسْألى عَنْكِ منْ يَجْتَدِينا[1]
فإنْ تسْألِى ثَمّ لا تُـكْذَبى ... يُخبرك مَنْ قد سألتِ اليَقِينا
بأنا لَـــــــيالِىَ ذاتِ العِظا ... م كُنّا ثِمـالا لِمَنْ يَعْتَرِينا[2]
تَلُوذ البجـــود[3] بِأَذْرَائِنا ... من الضُّرِّ فى أزَماتِ السِّنِينا[4]
بِجَدْوَى فُضول أُولِى وُجْدِنا ... وبالصَّبْرِ والبَذْل فى المُعْدِمينا[5]
وأبْقَتْ لنا جَلَمات الحُرو ... ب ممن نوازى لدن أن بُرِينا[6]
مَعاطِنَ تَهْوِى إليها الحُقو ... ق يَحسِبها من رآها الفَتِينا[7]
تُخَيِّس فيها عِتَاقُ الجِما ... ل صُحْما دَواجِنَ حُمْراً وجُونا[8]

---

(١) عمر أبيك ، يجوز فيه الرفع والنصب ، وإن أدخلت عليه اللام فقيل : لعمر أبيك لم يجز فيه إلا الرفع . ويجتدينا : يطلب معونتنا .

(٢) ليالى ذات العظام : ليالى الجوع التى تجمع فيها العظام فتطبخ، فيستخرج ودكها، فيؤتدم به ، وذلك الودك يسمى الصليب ، قال الشاعر :

* وبات شيخ العيال يصطلب *

والثمال : الغياث . ويعترينا : يزورنا .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والبجود : جماعات الناس ؛ الواحد : بجد . وفى (ا) وديوان كعب المخطوط : « النجود » بفتح النون ، وهى المرأة المكروبة .

(٤) والأذراء : الأكناف ؛ الواحد : ذرى . والأزمات : الشدائد .

(٥) الجدوى : العطية . والوجد (بضم الواو) : سعة المال .

(٦) جلمات الحروب : من الجلم ، وهو القطع ، ويروى : جليات (بالباء) . ونوازى : نساوى . وبرينا : خلقنا . وأصله الهمز ، فسهل .

(٧) المعاطن : مواضع الإبل حول الماء ، وأراد بها هنا الإبل بعينها . والفتين : الحرار، وهى الأراضى فيها حجارة سود ، سميت بذلك لأنها تشبه مافتن بالنار ، أى أحرق .

(٨) تخيس : تذلل . والصحم : السود ، ويروى : « طحما » بالطاء ، والحاء المهملتين . والطحم : الكثيرة به كما يروى : طخما (بالخاء المعجمة) ، وهى التى بها سواد . والدواجن : المقيمة ، والجون : السود ، وقد تكون البيض أيضا ، وهى من الأضداد .

ودُفَّاعِ رَجْلٍ كَمَوج الفُرا ت يَقْدُم جَأْواء جُولاً طَحُـونا(١)
تَرَى لونَها مِثلَ لونِ النُّجو م رَجْرَاجَـةً تُبرِق الناظِرِينا(٢)
فإن كنتَ عَن شأنِنا جاهِلاً فسَلْ عنه ذا العِلْمِ مِمَّن يَلِينا
بِنا كيف نَفْعل إن قَلَّصتْ عَوَاناً ضَرُوساً عَضُوضا حَجُونا(٣)
أَلَسْنا نَشُـدّ عليها العِصَا ب حتى تَدُرَّ وحتى تَلِيـنا(٤)
وَيومٌ له وَهَـجٌ دائمٌ شَديد التَّهاوُل حامِى الأَرِينا(٥)
طَويلٌ شَـدِيدُ أُوارِ القِتا ل تَنْـفِى قَوَاحِـزُهُ المُقْرِفينا(٦)
تَخالُ الكُماة بأَعْراضِـه ثِمالاً على لَذَّةٍ مُنْزفِينا(٧)
تَعاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهـم كئوسَ المَنايا بحدّ الظُّبِينا(٨)
شَهِدْنا فكُنّا أُولِى بَأْسِه وتَحت العَمَـايَة والمُعْلِمِينا(٩)

(١) الدفاع : مايندفع من السيل ؛ شبه كثرة الرجل به . والرجل : الرجالة . والفرات : اسم نهر . وجأواء : كتيبة لونها السواد والحمرة من كثرة السلاح . والجول : الكتيبة الضخمة ، ويروى : جونا ، أى سوداء . والطحون : التى تهلك ما مرت به .

(٢) الرجراجة : التى يموج بعضها فى بعض . وتبرق : تحير وتبهت .

(٣) قلصت : ارتفعت وانقبضت ، والتقليص : كناية عن الشدة فى الحرب . والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة . والضروس : الشديدة . والعضوض : الكثيرة العض . والحجون : المعوجة الأسنان .

(٤) العصاب : مايعصب الضرع .

(٥) الوهج : الحرب ويروى : الرهج ، وهو الغبار . والتهاول : الهول والشدة . والإرين: جمع إرة ، وهى مستوقد النار . وقد جمع كجمع المذكر السالم ، لأنه مؤنث محذوف اللام .

(٦) الأوار : الحر ، والقواحز : من القحز ، وهو القلق وعدم التثبت . والمقرفون : اللئام.

(٧) الكماة : الشجعان . وبأعراضه ، أى بنواحيه . وثمالا : سكارى ؛ ويروى : ثمالى . ومنزفينا : قد ذهبت الخمر بعقولهم . ويروى : مترفينا . والمترفون ، جمع مترف ، المسرف فى التنعم .

(٨) تعاور : تداول . والظبين : جمع ظبة ، وهى حد السيف .

(٩) العماية : السحابة ، والمعلمون : من يعلمون أنفسهم بعلامة فى الحرب يعرفون بها .

بِخُرْس الحَسِيس حِسَانٍ رِواء ... وبُصْرِيّة قد أُجِمْن الجُفُونا(1)
فما يَنْفَلِلْنَ وما يَنْحَنِين ... وما يَنْتَهِين إذا ما نُهِينا
كَبرْقِ الخَرِيف بأَيْدِى الكُماة ... يُفجِّعن بالطَّلِّ هامًا سُكُونا(2)
وعَلَّمَنَا الضربَ آباؤُنا ... وسَوْف نُعلِّمُ أيضاً بَنِينا
جِلادَ الكُماة، وبَذْلَ التِّلا ... دِ، عن جُلِّ أحْسابنا ما بَقِينا(3)
إذا مَرَّ قِرْنٌ كَفَى نَسْلُه ... وأَوْرَثه بعدَه آخَرِينا(4)
نَشِبُّ وتَهْلِكُ آباؤنا ... وبينا نُرَبِّى بَنِينا فَنِينا
سألتُ بك ابنَ الزِّبَعْرَى فلم ... أُنَبَّأْك فى القَوْم إلا هَجِينا
خَبِيثاً تُطِيف بك المُنْدِيات ... مُقِيما على اللُّؤْم حيناً فَحِينا(5)
تبجَّسْت تَهْجو رسول المَلِيك ... قاتَلك اللهُ جِلْفاً لَعِينا(6)
تَقُول الخَنا ثم تَرْمِى به ... نَقِىَّ الثِّياب تَقِيًّا أَمِينا(7)

قال ابن هشام:

أنشدنى بيته: «بنا كيف نفعل» والبيت الذى يليه، والبيت الثالث

---

(1) الخرس: التى لاصوت لها، ويعنى بها السيوف. ورواء، أى ممتلئة من الدم. وبصرية: سيوفٌ منسوبة إلى بصرى، وهى مدينة بالشام. وأجمن: مللن وكرهن. والجفون: الأغماد.

(2) الكماة: الشجعان. وبالطل: أى ظلال السيوف. ويروى: «بالطل» بالطاء المهملة. يريد ماطل من دمهم ولم يؤخذله بثأر. والهام: جمع هامة، وهى الرأس. والسكون المقيم الثابت.

(3) الجلاد: المضاربة بالسيوف. والتلاد: المال القديم. وجل الشىء: معظمه.

(4) القرن (بفتح القاف): الأمة من الناس. (وبكسر القاف): الذى يقاوم فى شدة أو قتال أو علم.

(5) المنديات: المخازى والأمور الشنيعة.

(6) تبجست: نطقت وأكثرت، كما يتبجس الماء، إذا تفجر وسال. ويروى: تنجست (بالنون) أى دخلت فى أهل النجس والخبث. والجلف: الجافى.

(7) الخنا: الكلام الذى فيه فحش.

منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله « نشبَ وتهلك آباؤنا » والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصاريّ .

قال ابن إسحاق :

وقال كعب بن مالك أيضاً ، فى يوم أحد :

سائِلْ قريشاً غداة السَّفْح من أُحُدٍ ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَرَبِ[1]
كُنّا الأسودَ وكانوا النُّمْرَ إذ زَحَفوا ما إنْ نُراقِبُ من آلٍ ولا نَسَبِ[2]
فكَم تَركنا بها من سَيِّدٍ بَطَلٍ حامِى الذِّمار كَرِيمِ الجَدِّ والحَسَبِ[3]
فِينا الرسولُ شِهابٌ ثم يَتْبعه نُورٌ مُضِىءٌ له فَضْلٌ على الشُّهُبِ
الحق مَنْطِقه والعَدْل سِيرَتُه فمَنْ يُجِبْه إليه يَنْجُ من تَبَبِ[4]
نَجْد المُقدَّم ، ماضِى الهَمِّ ، مُعْتَزِم حين القُلوبُ على رجْفٍ من الرُّعُبِ[5]
يَمْضِى ويَذْمُرُنا عن غير مَعْصِية كأنه البدرُ لم يُطْبَع على الكَذِبِ[6]
بَدَا لنا فاتبعْناه نُصَدِّقه وكَذَّبوه فكنّا أسعدَ العَرَبِ
جالُوا وجُلْنا فما فاءوا وما رَجعوا ونحن نَثْفِنهم لم نَأْلُ فى الطَّلَبِ[7]
ليسا سواءً وشَتّى بين أَمْرِهما حزْبُ الإله وأهل الشِّرك والنُّصُبِ[8]

قال ابن هشام :

أنشدنى من قوله : « يمضى ويذمرنا » إلى آخرها ، أبو زيد الأنصارى .

---

(١) السفح : جانب الجبل مما يلى أصله .
(٢) النمر : جمع نمر ، وهو معروف .
(٣) حامى الذمار . أى يحمى ما تجب حمايته .
(٤) التبب : الخسران .
(٥) الرجف : التحرك . والرعب : الفزع .
(٦) لم يطبع : لم يخلق .
(٧) جالوا : تحركوا . وفاءوا : رجعوا . وثفنهم : نتبعهم . ولم نأل : لم نقصر .
(٨) النصب : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها .

شعر ابن رواحة فى بكاء حمزة

قال ابن إسحاق :

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة يَبْـكِى حمزةَ بن عبد المطلب :

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لـكَعْب بن مالك :

بكتْ عَيْنِى وحُقّ لهـا بُـكاها وما يُغْـنِى البُـكاء ولا العَوِيلُ
على أَسدِ الإلهِ غداةَ قالوا أَحمزةُ ذا كُمُ الرجلُ القَتِيل
أُصِيب المُسْلمون به جميعاً هُناك وقد أُصِيب به الرسولُ
أبا يَعْلى لك الأَرْ كانَ هُدَّت وأنت المـاجِدِ البَرُّ الوَصُول[1]
عَلَيك سلامُ ربِّك فى جِنَانٍ مُخالِطُـها نَعِيمٌ لا يَزُول
ألا يا هاشمُ الأَخْيارُ صَبْرًا فـكُلُّ فِعالـكم حَسَنٌ جَمِيل
رسولُ الله مُصْطَبِر كـريمٌ بأَمْرِ الله يَنْطِق إذ يَقُول
أَلاَ مَنْ مُبْلِـغ عنِّى لُؤَيًّا فبَعد اليـومِ دائلةٌ تَدُول[2]
وقَبلَ اليومِ ما عَرَفوا وذاقُوا وقائعَنا بها يُشْـفَى الغَلِيل[3]
نَسِيتم ضَرْبنَا بقَلِيب بَدْرٍ غداةَ أتا كُمُ المَوْتُ العَجِيل
غداةَ ثَوى أبو جَهْل صَرِيعاً عليه الطيرُ حائمـةً تَجُول[4]
وعُتْبة وابنُه خَـرَّا جميعاً وشَيبةُ عضَّه السيفُ الصَّقِيـل[5]
وَمَترَكُنا أُميّـةَ مُجْلَعِباً وفى حَـيْزُومه لَدْن نَبِيل[6]
وهَامَ بَنِى رَبيعـةَ سائِلُوها ففى أَسْـيافنا مِنْها فُلُول

---

(١) أبو يعلى : كنية حمزة رضى الله عنه . والماجد: الشريف .

(٢) الدائلة : الحرب .

(٣) الغليل : حرارة العطش والحزن .

(٤) حائمة : مستديرة ؛ يقال : حام الطائر حول المـاء ، إذا استدار حوله . وتجول : تجىء وتذهب .

(٥) خرا : سقطا .

(٦) مجلعبا : ممتدا مع الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . واللدن : الرمح اللين . والنبيل: العظيم .

أَلا يا هِنْدُ فابكِى لاتَمَلّى ... فأَنت الوَاله الْعَبْرَىٰ الهَبُول[1]
أَلا ياهِنْدُ لا تُبْدِى شِمَاتًا ... بِحَمْزة إِنّ عزّكم ذَلِيل

قال ابن إسحاق :

شعر كعب فى أحد

وقال كعب بن مالك :

أَبْلغ قُرَيشًا على نَأْيِها ... أَتَفْخَر منا بما لم تَلِى[2]
فَخَرْتُم بقَتْلى أصابَتْهمُ ... فواضلُ من نِعَم الْمُفْضِل
فحَلُّوا جِنانًا وأبقَوا لكم ... أُسودًا تُحامِى عن الأَشْبُل[3]
تُقاتِل عن دينها ، وَسْطَها ... نَبِىٌّ عن الحقِّ لم يَنْكُل[4]
رَمَتْه مَعَدٌّ بعُور الكَلام ... ونَبْل العَداوة لا تَأْتلى[5]

قال ابن هشام :

أنشدنى قوله : « لم تلى » وقوله « من نعم المفضل » أبو زيد الأنصارىّ .

قال ابن إسحاق :

شعر ضرار فى أحد

وقال ضِرَار بن الخطّاب فى يوم أحد :

ما بالُ عَيْنِكَ قد أَزْرى بها السُّهد ... كأَنَّما جال فى أَجْفانها الرَّمدُ[6]
أَمِن فِرَاقِ حَبيبٍ كُنتَ تَأْلفه ... قد حالَ مِنْ دونه الأَعداء والبُعد
أَم ذاك من شغْب قوم ٍ لاجَدَاء بهم ... إذا الحُروب تلظّت نارُها تَقِد[7]
مَاينْتَهُون عن الغَىّ الذى رَكِبوا ... وما لهم من لُؤَىّ وَيْحهم عَضُد

(١) الواله : الفاقد . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : الفاقد (أيضا) .
(٢) النأى : البعد .
(٣) تحامى : تمنع . والأشبل : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .
(٤) لم ينكل : لم يرجع .
(٥) عور الكلام : قبيحه والفاحش منه . واحده : عوراء . ولا تأتلى : لا تقصر .
(٦) أزرى : قصر ؛ يقال أزريت بالرجل ، إذا قصرت به ؛ وزريت على الرجل ، إذا عبت عليه فعله . والسهد : عدم النوم . والرمد : وجع العين .
(٧) لاجداء : لامنفعة ولا قوة . وتلظت : التهبت .

وقد نَشَدناهُمُ باللهِ قاطبــــةً ... فما تردّهم الأرحامُ والنِّشَــــدُ (١)
حــــتى إذا ما أَبَوْا إلا مُحاربةً ... واستَحْصدت بيننا الأضْغان والحِقد (٢)
سِرْنا إليهم بجَيْش فى جَــوانبه ... قَوانِسُ البَيْض والمَحْبُوكَةُ السَّرد (٣)
والجُرْدُ تَرْفُل بالأبْطال شازِبةً ... كأنّها حِدَأٌ فى سَـــيْرِها تُؤَد (٤)
جَيْش يَقُودهُمُ صَخْر وَيَرْأَسهمْ ... كأنه لَيْث غابٍ هاصِرٌ حَرِد (٥)
فَأَبْرَزَ الحَيْنُ قومًا من منازِلهم ... فكان مِنّا ومِنهم مُلْتَقًى أُحُد
فغُودِرت منهمُ قَتْــلى مُجَدَّلَة ... كالمَعْز أصْرَدَه بالصَّرْدحِ البَرَد (٦)
قَتْلى كرامٌ بنو النجّار وَسْطهم ... ومُصْعب مِن قَنَانا حــوله قِصَد (٧)
وحَمْزة القَرْم مَصْروع تُطيف به ... ثَــكْلَى وقد حُزّ منه الأنفُ والكَبِدُ (٨)
كأنه حين يَكْبُو فى جَديّته ... تَحت العَجاجِ وفيه ثَعْلَب جَسِد (٩)
حُوارِ نابٍ وقدْ ولّى صَحابته ... كما تولّى النّعام الهارِب الشُّرُد (١٠)

---

(١) قاطبة: جميعا . والنشد . جمع نشدة ، وهى اليمين .

(٢) استحصدت : تقوت واستحكمت ، مأخوذ من قولك : حبل محصد ، إذا كان شديد الفتل محكمه . والحقد : أصله سكون القاف ، وحركه بالكسر للضرورة .

(٣) القوانس : أعالى بيض السلاح . والمحبوكة : الشديدة . والسرد : المنسوجة ، يريد : الأدرع .

(٤) الجرد : الخيل العتاق . وشازبة : ضامرة شديدة اللحم . والحدأ : جمع حدأة . وتؤد : ترفق وتمهل .

(٥) صخر : اسم أبى سفيان . وغاب : جمع غابة وهى موضع الأسد . وهاصر : كاسر ، أى يكسر فريسته إذا أخذها . وحرد : غاضب .

(٦) مجدلة : صرعى على الأرض . واسم الأرض الجدالة . وأصرده : بالغ فى برده . والصرد : البرد . والصردح : المكان الصلب الغليظ .

(٧) وقصد : قطع متكسرة .

(٨) القرم : السيد . وثكلى : حزينة فاقد . وحز : قطع (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٩) يكبو : يسقط . والجدية : طريقة الدم . والعجاج : الغبار . والثعلب (هنا) : مادخل من الرمح فى السنان . وجسد : قد يبس عليه الدم .

(١٠) الحوار : ولد الناقة . والناب : المسنة من الإبل . والشرد : النافرة .

مُجَلِّحين ولا يَلْوُون قد مُلِئوا   رُعْباً فنجّتهم العَوْصاء والكُؤُد[1]
تَبْكى عليهم نِساءٌ لا بعُولَ لها   من كُل سَالِبة أثوابُها قِدَد[2]
وقد تَركْناهم للطَّـيْر ملْحمة   وللضباع إلى أجْسادهم تَفِد[3]

قال ابن هشام :

وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار :

رجز أبي زعنة يوم أحد

قال ابن إسحاق :

وقال أبو زَعْنة[4] بن عبد الله بن عمرو بن عُتبة ، أخو بنى جُشَم ابن الخزرج ، يوم أحد :

أنا أبو زَعْنـة يعدو بى الهُزَمْ   لم تُمنَعِ المَخْـزاة إلا بالألَمْ[5]
* يحمى الذمارَ خَزْرجيٌّ من جُشَمْ[6] *

رجز ينسب لعلى فى يوم أحد

قال ابن إسحاق :

وقال على بن أبى طالب — قال ابن هشام : قالها رجل من المُسلمين يوم أُحد غير علىّ ، فيما ذَكر لى بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى :

لاهُمَّ إن الحارث بن الصّمهْ   كان وفيًّا وبنا ذا ذِمّـهْ[7]

---

(١) مجلحين : مصممين لايردهم شىء . والعوصاء : عقبة صعبة تعتاص على سالكها . والكؤد : جمع كؤود ، وهى عقبة صعبة المرتقى .

(٢) السالبة (هنا) : التى لبست السلاب ، وهو ثياب الحزن . وقدد : قطع ؛ يعنى أنها مزقت ثيابها.

(٣) الملحمة : الموضع الذى تقع فيه القتلى فى الحرب . وتفد : تقدم وتزور .

(٤) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالنون ؛ وزعبة ، بالزاى والعين المهملة والباء المنقوطة بواحدة من أسفلها ، كذا قيده الدارقطنى » .

(٥) يعدو : يسرع . والهزم (بضم الهاء وفتح الزاى) : اسم فرس ؛ ويروى : الهزم (بفتح الهاء وكسر الزاى) وهو الكثير الجرى .

(٦) الذمار : مايحق أن يحمى .

(٧) الذمة : العهد.

أَقْبَل فى مَهَامِـــــهِ مُهِمَّهْ   كَلِيلة ظَلْماءَ مُـــــدْلَهِمَّه[1]

بين سيـــوف ورِماح جَمَّهْ   يَبْغى رســـول الله فيما ثَمَّهْ[2]

قال ابن هشام: قوله «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

رجز عكرمة فى يوم أحد

قال ابن إسحاق:

وقال عِكرمة بن أبى جهل فى يوم أُحد:

كُلُّهم يزجره أَرْحِبْ هَلاَ   ولن يَرَوْه اليومَ إلا مُقْبِلا[3]

* يَحْمِل رُمْحاً ورَئِيساً جَحْفَلا[4] *

شعر لأعشى التميمى فى بكاء قتل بنى عبد الدار يوم أحد

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّباش التَّميمى – قال ابن هشام: ثم أحد بنى أَسد بن عمرو بن تَميم – يبكى قَتْلى بَنى عَبْد الدار يوم أُحد:

حُيِّيَ مِنْ حَيٍّ علىَّ نأيهم   بنو أَبِى طَلْحة لا تُصْرَفُ[5]

يَمُرّ ساقيهم عليهم بها   وكلُّ ساقٍ لهمُ يُعْرف

لا جارُهم يَشْكو ولا ضَيْفهم   مِنْ دُونه بابٌ لهم يَصْرِف[6]

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى يوم أحد:

قَتَلْنا ابنَ جَحْش فاغتبطنا بقَتْله   وحَمْزة فى فُرْسانه وابن قَوقلِ

وأفْلَتَنا منهم رجالٌ فأَسْرَعوا   فَلَيتهم عاجُـــوا ولم نتعجّل[7]

أَقامُوا لنا حتى تَعضّ سُيوفنا   سَراتَهم وكلّنا غير عُزّل[8]

(١) المهامه: جمع مهمه، وهو القفر. والمدلهمة: الشديدة السواد.

(٢) جمة: كثيرة.

(٣) أرحب هلا: كلمتان لزجر الخيل.

(٤) الجحفل: العظيم.

(٥) النأى: البعد. ولا تصرف: لا ترد، ويريد التحية، ودل على ذلك قوله «حى».

(٦) يصرف، يغلق فيسمع له صوت.

(٧) عاجوا: عطفوا وأقاموا.

(٨) سراتهم: خيارهم. العزل: الذين لا سلاح لهم. جمع أعزل.

وحتى يكونَ القَتْلُ فينا وفيهمُ ... ويَلْقَوا صَبوحا شَرّه غيرُ مُنْجَلِى[1]

قال ابن هشام : وقوله « وكلنا » وقوله « ويلقوا صبوحا » : عن غير ابن إسحاق .

شعر صفية فى بكاء حمزة

قال ابن إسحاق :

وقالت صَفِيَّة بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزةَ بن عبد المطلب :

أسائِلة أَصحاب أُحْـــد مَخافةً ... بناتُ أَبى من أَعْجَم وخَبِيرِ[2]
فقال الخَبِير إن حَمْزة قد ثَوَى ... وَزِيرُ رســـولِ اللهُ خيرُ وَزِيرِ
دَعاه إلٰهِ الحَقِّ ذو العَرْشِ دَعوةً ... إلى جنّـــة يحيا بها وسُرورِ
فذلك ما كُنّا نرجّى ونَرْتَجى ... لحَمْزة يوم الحَشْر خير مَصيرِ
فواللهِ لا أَنْساكَ ما هبّت الصَّبا ... بكاءً وحزناً مَحْضَرى ومَسِيرى[3]
على أَسد اللهِ الذى كان مِدْرَهاً ... يَذُود عن الإسْلام كلَّ كَفُورِ[4]
فياليتَ شِلْوى عند ذاك وأَعْظُمى ... لدى أَضْبُعٍ تَعْتادنى ونُسورِ[5]
أقولُ وقد أَعْلَى النَّعِىّ عَشِيرتى ... جزَى الله خيراً مِنْ أخٍ ونَصيرِ[6]

قال ابن هشام :

وأنشدنى بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولهــا :

* بكاء وحُزْناً مَحْضَرى ومسيرى *

---

(١) والصبوح : شرب الغداة . يعنى أنهم يسقونهم كأس المنية ومنجلى : منكشف . وفى روايته : « صباحا »

(٢) الأعجم : الذى لا يفصح .

(٣) الصبا : ريح شرقية . ومسيرى : أى غيابى .

(٤) المدره : الذى يدفع عن القوم . ويذود : يمنع .

(٥) الشلو : البقية . تعتادنى : تتعاهدنى .

(٦) النعى : يروى بالرفع على أنه فاعل ، ومعناه الذى يأتى بخبر الميت ؛ كما يروى بالنصب على أنه مفعول ، ومعناه النوح والبكاء بصوت .

شعر نعم في بكاء شماس

قال ابن إسحاق :

وقالت نُعم ، امرأة شَمّاس بن عثمان ، تبكى شَمَّاسا ، وأصيبَ يوم أحد :

ياعينُ جُودِى بفَيْضٍ غَيرِ إبْساسِ[1] ... على كريمٍ من الفِتْيان أبَّاسِ[2]
صَعْبِ البَدِيهة مَيْمونٍ نَقِيبتُه ... حَمَّالِ ألْوِية رَكَّاب أفْراس[3]
أقولُ لَمَّا أتَى الناعِى له جَزِعًا ... أوْدَى الجوادُ وأوْدَى المُطعِم الكاسى[4]
وقُلْت لَمَّا خلَت منه مَجالسُه ... لا يُبعد اللهُ عنّا قُرْبَ شَمَّاس

شعر أبي الحكم في تعزية نعم

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحَكَمَ بن سعيد بن يَرْبوع ، يُعزِّيها ، فقال :

إقْنَىْ حياءَك في سِتْرٍ وفي كَرَم ... فإنما كان شَمَّاس من النَّاسِ[5]
لاتَقْتُلِى النفسَ إذ حانت مَنِيَّته ... في طاعةِ اللهِ يومَ الرَّوْع والبَاسِ[6]
قد كان حمزةُ ليثَ اللهِ فاصطبِرى ... فذَاق يومَئذٍ من كَأْسِ شَمَّاس

شعر هند بعد عودتها من أحد

وقالت هِنْد بنت عُتبة ، حين انصرف المشركون عن أُحُد :

رجعتُ وفى نَفْسِى بَلابلُ جَمَّةٌ ... وقد فاتَنى بعضُ الذى كانَ مَطْلَبِى[7]
مِنَ اصحابِ بَدْرٍ من قُرَيش وغيرِهم ... بنى هاشمٍ مِنهم ومن أَهْل يثرب
ولَـكنّنى قد نِلْتُ شيئًا ولم يَكن ... كما كنتُ أرجو فى مسِيرى ومرْكَبِى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولَها :

---

(١) الإبساس : أن تستدر لبن الناقة بأن تمسح ضرعها ، وتقول لها : بس بس ، وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف .

(٢) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والأباس : الشديد الذى يغلب غيره . وفى الأصول : « لباس » وهو صيغة مبالغة للذى يلبس أداة الحرب .

(٣) البديهة : أول الرأى والأمر . وميمون النقيبة : مسعود الفعال . والألوية : جمع لواء ، وهو العلم .

(٤) أودى : هلك . والمطعم الكاسى : الجواد الذى يطعم الناس ويكسوهم .

(٥) إقنى حياءك : الزمى حياءك .

(٦) يوم الروع : يوم الفزع ، وهو يوم اليأس والقتال .

(٧) البلابل : الأحزان . وجمة : كثيرة .

* وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى *
و بعضهم يُنسكرها لِهِنْد ، والله أعلم[1] .

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث

طلبت عضل والقارة نفرا من المسلمين ليعلموهم فأوفد الرسول ستة

قال : حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدّثنا زِياد بن عبد الله البَكّائى ، عن محمد بن إسحاق المُطلبى ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :

قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أُحد رهطٌ من عَضَل والقارَة .

نسب عضل والقارة

قال ابن هشام :

عَضَل والقارة ، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْركة .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء[2] .

قال ابن إسحاق :

فقالوا : يارسول الله ، إن فينا إسلامًا ، فابعثْ معنا نفراً من أصحابك يُفَقّهوننا فى الدين ، ويُقرِئُوننا القرآن ، ويعلّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم معهم نفراً ستة[3] من أصحابه ، وهم : مَرْثد بن أبى مرثد الغَنوىّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطلب ؛ وخالد بنُ البُكَير اللّيْثى ، حليف بنى عَدِىّ ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عَوْف بن مالك ابن الأوس ؛ وخُبَيب بن عدى ، أخو بنى جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة بن مُعاوية ، أخو بنى بَياضة بن عمرو[4] بن زُرَيق بن عبد حارثة ابن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخَزرج ؛ وعبد الله بن طارق ، حليف بنى ظَفَر ابن الخَزرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس .

غدر عضل والقارة بالنفر الستة

(١) إلى هنا انتهى الجزء الثانى عشر من أجزاء السيرة .
(٢) وعلى هذه الرواية اقتصر الصحاح والقاموس وشرح المواهب .
(٣) قيل : إنهم كانوا عشرة ، وهو أصح ، ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار . (راجع الروض وشرح ديوان حسان طبع أوربا ص ٦٦ ، وشرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٦٤) .
(٤) فى م : « عامر » .

وأمّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبى مرثدٍ الغَنوىّ[(١)]، فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرّجيع ، ماء لهُذيل بناحية الحِجاز ، على صدور الهَدْأة[(٢)] غدرُوا بهم ، فاستصرَخوا[(٣)] عليهم هُذيلاً ، فلم يَرُع القوم ، وهم فى رِحالهم ، إلا الرّجالُ بأيديهم السيوف ، قدغَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلُوهم ؛ فقالُوا لهم : إنا والله ما نُريد قتلَكم ، ولكنّا نُريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقُه أن لاَ نقتلكم .

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم

فأما مَرْثَد بن أبى مرثد وخالد بن البُكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لاَ نقبْل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً ؛ فقال عاصم بن ثابت :

ما عِلّتى وأنا جَلْدٌ نابلُ ... والقوسُ فيهَا وترٌ عُنابلُ[(٤)]
تزلّ عن صَفْحتها المَعابِلُ ... الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ[(٥)]
وكلٌّ ما حَمَّ الإله نازل ... بالمرْء والمرءُ إليه آئلُ[(٦)]
* إن لم أُقاتلكم فأُمّى هابِل *

قال ابن هشام : هابل : ثا كل .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سُلَيمان وريشُ المُقْعَد ... وضالةٌ مثل الجَحِيم المُوقَد[(٧)]
إذا النّواجي افتُرِشْتِ لم أُرْعد ... ومُجْنأ من جلدِ ثوْرٍ أجْرِدِ[(٨)]
* ومُؤمِنٌ بما على محمّد *

---

(١) قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عليهم عاصم بن ثابت . (راجع الروض وشرح المواهب) .

(٢) قال ياقوت : «الهدأة ، كما ذكره البخارى فى قتل عاصم ، قال : وهو موضع بين عسفان ومكة ، وكذا ضبطه أبو عبيد البكرى الأندلسى . وقال أبو حاتم : يقال لموضع بين مكة والطائف : الهدة ، بغير ألف ، وهو غير الأول ، ذكر معه لنفى الوهم» .

(٣) استصرخوا : استنصروا .

(٤) النابل : صاحب النبل . ويروى : «بازل» وهو القوى . وعنابل (بالضم) : غليظ شديد .

(٥) المعابل : جمع معبلة ، وهو نصل عريض طويل .

(٦) حم الإله : قدره . وآئل : صائر .

(٧) المقعد : رجل كان يريش النبل . والضالة : شجر تصنع منه القسى والسهام ؛ والجمع : ضال . ويعنى بالضالة (هنا) : القوس .

(٨) النواجى : الإبل السريعة . ويروى : «الواحى» بالحاء المهملة . وافترشت : عمرت ، والمجنأ : الترس لا حديد فيه . والأجرد : الأملس .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سُلَيمان ومِثْلى رامَى وكان قومِى معشراً كِرامَا

وكان عاصم بن ثابت يُكنى : أبا سليمان . ثم قاتل القومَ حتى قُتل وقُتل صاحباه .

حديث حماية الدبر لعاصم

فلما قُتِل عاصم أرادت هُذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سُلافة بنت سَعد بن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنيها يوم أحــد : لئن قَدَرت على رأس عاصم لتشربَنّ فى قِحْفه الخمر ، فمنعته الدَّبر[1] ، فلما حالت بَيْنه و بينهم [الدَّبْرُ][2] قالوا : دعُوه حتى يُمْسِى فتذهب عنه ، فنأخذه . فبعث الله الوادِىَ ، فاحتمل عاصمًا ، فذهب به . وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يمسَّه مشرك ، ولا يمسّ مُشْركًا أبداً ، تَنَجُّساً ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلَغه أن الدَّبْر منعته : يحفظ الله العَبد المؤمن ، كان عاصم نَذَر أن لا يمسّه مشركٌ ، ولا يمس مشركا أبداً فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته .

مقتل ابن طارق وبيع خبيب وابن الدثنة

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وَخُبَيب بن عدىّ ، وعبدالله بن طارق ، فلانُوا ورقّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعْطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خَرجوا بهم إلى مكّة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهران[3] انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القِران[4] ثم أخذ سيفه ، واستأْخر عنه القومُ ، فرَموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبْره ، رحمه الله ، بالظَّهْران ؛ وأما خُبيب بن عَدىّ وزيد بن الدَّثِنَّة فقدموا بهما مكّة .

قال ابن هشام :

فباعوهما من قُريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق :

فابتاع خُبيباً حُجيرُ بن أبى إهاب التميمىّ ، حليف بنى نوفل ، لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه ، ليقتله بأبيه .

(١) الدبر : الزنابير والنحل .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) الظهران : واد قرب مكة . (عن معجم البلدان) .
(٤) القران : الحبل يربط به الأسير .

قال ابن هشام :

الحارث بن عامر ، خال أبي إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو ابن تميم ؛ ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم .

قال ابن إسحاق :

مقتل ابن الدثنة ومثل من وفائه للرسول

وأما زيد بن الدَّثِنَة فابتاعه صَفْوان بن أُمية ليقتله بأبيه ، أُميّة بن خلف ، وبعث به صفوان بن أُمية مع مولًى له ، يقال له نِسطاس ، إلى التَّنعيم[1] ، وأخرجوه من الحَرم ليقتلوه . واجتمعَ رهط من قُريش ، فيهم أبو سفيان بنُ حَرْب ؛ فقال له أبو سفيان حين قَدِم ليُقتل : أَنْشُدُكَ اللهَ يازيد ، أتحبّ أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نَضرِب عنقه ، وأنك فى أَهْلك ؟ قال : والله ما أحبّ أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه ، وأنّى جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يُحب أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نِسطاس ، يرحمه الله .

مقتل خبيب وحديث دعوته

وأما خُبيب بن عدىّ ، فحدّثنى عبدُ الله بنُ أبى نَجيح ، أنه حُدِّث عن ماوِيّة[2] ، مولاة حُجير بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت :

كان خُبيب عِنْدى ، حُبس فى بيتى ، فلقد اطّلعت عليه يومًا وإن فى يده لقِطفاً من عِنب ، مِثل رأسَ الرّجُل يأكل منه ، وما أَعْلم فى أَرْض الله عنباً يُؤكل .

قال ابن إسحاق وحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتادة وعبْد الله بن أبى نَجِيح جميعا أنها قالت :

قال لى حين حضَره القتلُ : ابعثى إلىّ بحَديدة أتطهر بها للقتل ؛ قالت : فأعطيتُ غلامًا من الحىّ المُوسىْ ؛ فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البَيت ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل ؛ فلما ناوله الحديدة

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، (راجع معجم البلدان) .

(٢) تروى بالراء وبالواو . (راجع الروض والاستيعاب وشرح المواهب) .

أخذها من يده ثم قال : لَعَمْرك ، ما خافت أمّك غَدْرى حين بَعَثَتْك بهذه الحديدة إلىّ ! ثم خلّى سبيلَه .

قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنُها[1] .

قال ابن إسحاق : قال عاصم :

ثم خرجوا بخُبَيْب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعيم ليَصْلبوه ، قال لهم : إن رأيتُم أن تَدعونى حتى أرْكعَ رَكْعتين فافعلوا ؛ قالوا : دونك فاركَع . فركع ركعتين أتمهما وأحْسنهما ، ثم أقْبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أنى إنما طوّلت جزعًا من القتل لاستكثرتُ من الصلاة . قال : فكان خُبيب ابنُ عدىّ أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمُسلمين . قال : ثم رَفعوه على خشبة ، فلما أوْثقوه ، قال : اللهم إنّا قد بَلّغنا رسالَة رسولك ، فبلّغه الغداةَ مايُصنع بنا ؛ ثم قال : اللهم أحْصِهم عدداً ، واقتُلهم بَدَداً[2] ، ولا تغادر منهم أحداً . ثمّ قتلوه رحمه الله .

فكان معاويةُ بن أبى سُفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضَره مع أبى سفيان ، فلقد رأيتُه يُلْقِينى إلى الأرض فَرَقًا من دعوة خُبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعى عليه ، فاضطجع لِجَنْبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدّثنى يحيى بن عَباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، عن عُقْبة بن الحارث ، قال سمعته يقول :

ما أنا والله قَتلت خبيباً ، لأنى كنت أصغَر من ذلك ، ولكنّ أبا مَيْسرة ، أخا بنى عبد الدار ، أخذ الحربةَ فجَعلها فى يدى ، ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طَعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعض أصحابنا ، قال :

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سَعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمحىّ على بعض الشام ، فكانت تُصيبه غَشْيةٌ ، وهو بينَ ظَهْرَىِ القوم ،

(١) وقيل : هو أبو حسين بن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . (راجع شرح المواهب) .

(٢) بددا : متفرقين .

فذُكِر ذلك لعُمر بن الخطاب، وقيل : إن الرجل مُصاب . فسأله عمر فى قَدْمةٍ قَدِمها عليه، فقال : ياسَعيد، ما هذا الذى يُصيبك ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين مابى من بَأْس، ولكنّى كنتُ فيمَن حضر خُبيب بن عدىّ حين قُتل، وسمعتُ دعوتَه، فوالله ما خطرتْ على قلبى وأنا فى مَجلس قطُّ إلا غُشى علىّ، فزادَتْه عند عمر خيْرا .

قال ابنُ هشام :

أقام خُبيب فى أيديهم حتى انقضتْ الأشهرُ الحرم، ثم قتلوه

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن

قال ابن إسحاق :

وكان مما نزل من القرآن فى تلك السَّرِيّة، كما حدثنى مولًى لآل زيد ابن ثابت، عن عِكْرمة مولى ابن عبّاس، أو عن سَعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس قال : قال ابن عباس:

لما أصيبتْ السَّرِيّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع، قال رجال من المُنافقين : ياويحَ هؤلاء المَفْتونين الذين هَلَكوا [هكذا][1]، لاهم قعدوا فى أهْليهم، ولاهم أدَّوْا رسالةَ صاحبهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المُنافقين، وما أصاب أولئك النفرِ من الخير بالذى أصابهم، فقال سبحانه : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا » أى لما يُظهر من الإسلام بلسانه « وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ » وهو مُخالِف لما يقول بلسانه « وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ » أى ذو جِدال إذا كلمك وراجَعك .

تفسير ابن هشام بعض الغريب

قال ابن هشام :

الألد : الذى يَشغب، فتشتدّ خصومته ؛ وجمعه : لُدٌّ وفى كتاب الله عز وجل : « وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا[2] » . وقال المُهلهل بن ربيعة التَّغْلَبىّ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدىّ[3] بن ربيعة :

---

(1) زيادة عن ا .

(2) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(3) فى القصيدة مايرجح أن اسمه عدى، وهو قوله :

ضربت صدرها إلىّ وقالت يا عديا لقد وقتك الأواقى

إن تحت الأحجار حَدًّا ولِيناً   وخَصِيما أَلدَّ ذا مِعْــلاقِ[1]

ويروى « ذا مِغْلاق[2] » فيما قال ابن هشام . وَهذا البيت فى قصيدة له ؛ وهو الالَندد . قال الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائىّ يَصِف الحِرباء :

يُوفِى على جِذْم الجُذول كأنّه   خَصْم أبَرَّ على الخُصُوم ألندد[3]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق[4] :

قال تعالى : « وَإِذَا تَوَلَّى » أى خرج من عندك « سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ » أى لا يحب عَمَله ولاَ يرْضاه . « وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ منْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءوفٌ بِالْعِبَادِ » أى : قَد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله ، والقيام بحقّه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السَّرِيَّة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

يَشْرِى نفسه : يبيع نفسه ؛ وَشَرَوْا : باعوا . قال يَزيد بن رَبيعة[5] بن مُفرِّغ الحِمْيَرِىّ :

وشَريتُ بُرْداً لَيْتَنِى   من[6] بعد بُرْد كنتُ هامَه[7]

---

(١) يقول : إن فيه حدة لأعدائه ولينا لأوليائه ، والألد : الشديد الخصومة . وذا معلاق : أى أنه يتعلق بحجة خصمه .

(٢) ذا مغلاق : أى أنه يغلق الكلام على خصمه ، فلا يقدر أن يتكلم معه .

(٣) يوفى : يشرف . والجذم : القطعة من الشيء ، وقد يكون الأصل أيضا . والجذول : الأصول ؛ الواحد : جذل . وأبر : أى زاد وظهر عليهم . ويروى « أبن » بالنون ، أى أقام ولم يفهم الخصومة ؛ يقال : أبن فلان بالمكان : إذا أقام به .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «وإذا تولى سعى فى الأرض» . قال ابن إسحاق حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : أى خرج من عندك سعى فى الأرض » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٦) فى ا : « من قبل » وهى رواية فيه .

(٧) الهامة : طائر كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ، فلا يزال يقول : اسقونى اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره .

برد : غلام له باعه . وهذا البيت فى قصيدة له . وشَرَى أيضاً : اشترى ، قال الشاعر :

فقلت لها لا تَجْزَعى أمَّ مالكٍ … على ابنَيْك إنْ عبْدٌ لئيمٍ شرَاها

قال ابن إسحاق :

شعر خبيب حين أريد صلبه

وكان مِمّا قيل فِى ذلك من الشعر ، قولُ خُبيب بن عدى ، حين بلغه أن القومَ قد اجتمعوا لصَلْبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنْكرها له .

لقد جَمَّع الأحزابُ حولى وألَّبوا … قبائلَهم واستَجْمعوا كُلَّ مَجْمعِ[1]
وكلّهمُ مُبْدِى العدَاوة جاهِدٌ … عَلَىَّ لأنّى فى وِثاقٍ بمَضْيع[2]
وقد جَمّعوا أبناءَهم ونِساءَهم … وقُرِّبتُ من جِذْعٍ طَويل مُمنَّع
إلى اللهِ أشكو غُرْبتى ثم كُرْبتى … وما أرْصَدَ الأحزابُ لى عند مَصْرعى[3]
فذَا العَرشِ ، صَبِّرْنى على مايُرادُ بى[4] … فقد بَضَّعوا لَحْمى وقد ياسَ مَطْمَعى[5]
وذلكَ فى ذاتِ الإله وإنْ يَشَأْ … يُبارِكْ على أوْصَال شِلْو مُمزَّع[6]
وقد خَيَّرونى الكُفْرَ والموتُ دونه … وقد هَملتْ عيناىَ من غير مَجْزَع[7]
وما بى حِذَارُ المَوْت ، إنى لميّتٌ … ولكنْ حِذَارى جَحْم نار مُلَفَّع[8]

---

(١) ألبوا : جمعوا ؛ يقال : ألبت القوم على فلان : إذا جمعتهم عليه وحضضتهم .
(٢) كذا فى أ كثر الأصول . وفى ا : « مضيع » .
(٣) أرصد : أعد .
(٤) فى ا : « يرادنى » وهو تصحيف .
(٥) وبضعوا : قطعوا . وياس : لغة فى يئس .
(٦) الشلو : البقية . والممزع : المقطع .
(٧) هملت : سال دمعها .
(٨) كذا فى ا . والجحم (بتقديم المعجمة على المهملة) : الملتهب المتقد ؛ ومنه سميت الجحيم . وفى سائر الأصول : « حجم » (بتقديم المهملة على المعجمة) وهو تحريف . وملفع : مشتمل عام ؛ يقال : تلفع بالثوب ، إذا اشتمل به .

فوالله ما أرجو[1] إذا مُتّ مُسْلماً على أى جَنْب كان فى الله مَصْرعى[2]
فلستُ بمُبْدٍ للعــدوّ تَخشّعاً ولا جَزَعًا إنى إلى الله مَرْجِعى[3]

شعر حسان فى بكاء خبيب

وقال حسّان بن ثابت يبكى خُبيبا

ما بالُ عينك لاَ تَرقا مَدَامعُها[4] سحًّا على الصّدْر مثلَ اللُّؤلؤ القَلِق[5]
على خُبَيبٍ فتى الفِتْيان قد عَلِموا لا فشِلٍ حينَ تَلْقاه ولا نَزِق[6]
فاذهب خُبَيبُ جَزاكَ اللهُ طَيِّبة وجَنّةَ الخُلْد عند الحُور فى الرُّفُق[7]
ماذا تَقُولون إن قال النبىّ لكم حين الملائكة الأبْرار فى الافُق
فِيم قَتلتم شهيدَ الله فى رَجُــلٍ طاغٍ قَدَ اُوعثْ فى البُلدان والرُّفَق[8]

قال ابن هشام :

ويروى : « الطرق[9] » . وتركنا ما بقى منها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكى خُبيبا :

ياعين جُودى بدَمْعٍ منكِ منسَكب وابكِى خُبيباً مع الفِتْيان لم يَؤُبِ[10]
صَقْراً توسّط فى الأنْصار مَنصِبُه سَمْحَ السجيّة مَحْضاً غير مُؤتَشِب[11]

---

(١) أرجو ، أى أخاف ؛ وهى لغة . وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقارا » ، أى لا تخافون .

(٢) فى ا : « مضجعى » .

(٣) التخشع : التذلل .

(٤) كذا فى ا ، والديوان . وفى سائر الأصول : « عينيك » . والصواب ما أثبتناه . ولا ترقا مدامعها : لاتكف ؛ وأصله الهمز فسهله .

(٥ كذا فى ا . والديوان . والقلق : المتحرك الساقط . وفى سائر الأصول : « الفاق » بالفاء ، وهو تصحيف .

(٦) الفشل : الجبان الضعيف القوة . والنزق : السيئ الخلق . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى الديوان * على خبيب وفى الرحمن مصرعه *

(٧) قال أبو ذر : الرفق (بضم الراء والفاء) : جمع رفيق .

(٨) أوعث : اشتد فساده . والرفق (بفتح الفاء) : جمع رفقة (بضم الراء وكسرها) .

(٩) وهى رواية الديوان .

(١٠) منسكب : سائل ، ولم يؤب : لم يرجع .

(١١) السجية : الطبيعة . وفى الديوان : « حلو السجية » والمحض : الخالص ؛ وأراد به هنا : خلوص نسبه . والمؤتشب : المختلط .

قد هاجَ عَيْنى على عِلاَّتِ عَبْرتها إذ قيل نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخَشَبِ[1]
يأيها الراكب الغَادِى لِطَيَّتِهِ أَبلغ لديك وعيداً ليس بالكَذِبِ[2]
بنى كُهيبة[3] أنّ الحَرْب قد لَقِحَت مَحْلوبُها الصَّابُ إذْ تُمْرَى لمُحْتَلِبِ[4]
فيها أُسودُ بَنِى النجّار تَقْدُمُهم شُهْبُ الأسنَّة فى مُعْصَوْصِبٍ لجَبِ[5]

قال ابن هشام :

وهذه القصيدة مثل التى قَبلها ، و بعضُ أهل العلم بِالشعر يُنكرهما لحسان ، وقد تركنا أشياء قالهـا حسّان فى أمر خُبيب لِمـا ذَكرتُ .

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت أيضا :

لو كان فى الدار قَرم ما جِدٌ بَطل أَلْوى من القوم صَقْرٌ خالُه أَنَسُ[6]
إِذن وجدتَ خُبيباً مجلِسًا فَسِحاً ولم يُشَدَّ عليك السِّجنُ وَالحَرَس
ولم تَسُقْك إلى التَّنْعِيم زِعْنِفَة من القبائل منهم من نَفَت عُدَس[7]
دلَّوكَ غَدْراً وهم فيها أُولُو خُلُفٍ وأنت ضَيْم لهـا فى الدار مُحْتَبَس[8]

---

(١) العلات : المشقات . ونص : رفع (بالبناء للمجهول فيهما) ؛ مأخوذ من النص فى السير ، وهو أرفعه .

(٢) الطية : ما انطوت عليه نيتك .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والروض . قال السهيلى : « جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوطرى وبني القبرة وبنى درزة . قال الشاعر :

* أولاد درزة أسلموك وطاروا *

وهـذا كله اسم لمن يسب ، وعبارة عن السفلة من الناس . وكهيبة : من الكهبة ، وهى الغبرة ، وهذا كما قالوا : بنى الغبراء » . وفى ا : « كهينة » بالنون . وفى الديوان « فكيهة » .

(٤) لقحت : ازداد شرها . ومحلوبها : لبنها . والصاب : العلقم . وتمرى : تمسح .

(٥) المعصوصب : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات .

(٦) القرم : السيد ، وأصله الفحل من الإبل . والماجد : الشريف . وألوى ، أى شديد الخصومة . ورواية هذا البيت فى الديوان :

لو كان فى الدار قوم ذو محافظة حامى الحقيقة ماض خاله أنس

(٧) الزعنفة : الذين ينتمون إلى القبائل ويكونون أتباعا لهم . وعدس : قبيلة من لقيم . ورواية هذا الشطر الأخير فى الديوان : * من المعاشر ممن قد نفت عدس *

(٨) دلوك ، أى غروك . ومنه قوله تعالى : « فدلاهما بغرور » . والخلف (بضمتين) :

قال ابن هشام :

أَنَسٌ : الأصمّ السُّلمى : خال مُطْعِم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف . وقوله : من « نفت عُدَسَ » يعنى حُجَيْر بن أبى إهاب ؛ ويقال : الأعشى بن زُرارة ابن النَّبَّاش الأسدى ، وكان حليفاً لبنى نوفل بن عبد مناف .

من اجتمعوا لقتل خبيب

قال ابن إسحاق :

وكان الذين أجلبوا[1] على خُبَيب فى قَتْلِه حين قُتل من قريش : عِكْرمة ابن أبى جهل ، وسَعيد بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ ، والأخنُس بن شريق الثقفى ، حليف بنى زُهرة ، وعُبَيْدَة بن حَكِيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلمى ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، وأمية بن أبى عُتْبة ، و بنو الحَضْرمىّ .

شعر حسان هجاء هذيل لقتلهم خبيبا

وقال حسان أيضاً يهجو هُذَيْلاً[2] فيما صَنَعوا بخُبيب بن عَدِىّ :

أَبلِـغ بنى عَمْرٍو بأن أخاهم   شَرَاهُ امرؤٌ قد كان للغدر لازِمَا[3]
شَراهُ زُهَير بن الأغرّ وجامِـع   وكانا جميعاً يَرْكبان المَحارِما
أَجَرتُم فلمّـا أن أجَرْتُم غَدَرْتُمُ   وكُنتُم بأَكْناف الرّجيع لهَـاذِما[4]
فليت[5] خُبَيباً لم تَخُنْهُ أمانةٌ   وليت خُبَيباً كان بالقوم عَالِمَـا

قال ابن هشام : زهير بن الأغر وجامع : الهذليان اللذان باعا خبيبا .

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت أيضا :

= الحلف (ضم فسكون) ، وضمت لامه فى الشعر إتباعا للحاء . والضيم : الذل ؛ والمراد : « ذو ضيم » فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولم يذكر هذا البيت فى الديوان وذكر مكانه:

صبرا خبيب فإن القتل مكرمة   إلى جنان نعيم يرجع النفس

(1) أجلبوا : اجتمعوا وصاحوا .

(2) هجا حسان هذيلا ، لأنهم إخوة القارة والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه . وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن الياس . وعضل والقارة من بنى خزيمة . (راجع الروض) .

(3) شراه : باعه ، وهو من الأضداد .

(4) لهاذما (بالذال المعجمة) : جمع لهذم ، وهو القاطع من السيوف . (وبالزاى) : الضعفاء الفقراء . وأصل اللهزمتين : مضغتان تكونان فى الحنك ؛ واحدتهما : لهزمة ؛ والجمع : لهازم ، فشبههم بها لحقارتها .

(5) فى م : « فليست » ، وهو تحريف .

إن سرّكَ الغدْرُ صِرْفاً لامِزاجَ له ... فأتِ الرَّجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيانِ[1]
قومٌ تواصَوْا بأَكْل الجارِ بَيْنهمُ ... فالكَلْبُ والقِرْدُ والإنسانُ مِثْلانِ[2]
لو يَنْطِقُ التَّيسُ يومًا قام يَخْطُبُهم ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام :

وأنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله :

لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم ... وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت أيضا يهجو هُذيلا :

سالتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلّت هُذيل بما سالت ولم تُصِبِ[3]
سالُوا رسولَهم ما ليس مُعْطِيَهمْ ... حتى المماتِ وكانوا سُبّةَ العَرَبِ
ولَن ترى لهُذيل داعياً أبداً ... يَدْعو لِمَكْرُمةٍ عن منزل الحَرَبِ[4]
لقد أرادُوا خِلاَلَ الفُحْشِ وَيْحَهُمُ ... وأن يُحِلّوا حرامًا كان فى الكُتُبِ[5]

وقال حسّان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

لعَمْرِى لقد شانت هُذيلَ بنَ مُدْرِكٍ ... أحاديثُ كانت فى خُبيبٍ وعاصمِ[6]

---

(١) لحيان (بكسر اللام وقيل بفتحها) : ابن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . (راجع شرح المواهب) .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ميلان » .

(٣) قال أبو ذر « سالت ، أراد : سألت ، ثم خفف الهمزة ، وقد يقال : سال يسال (بغير همز) ، وهى لغة . ويشير حسان إلى ماسألت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرادوا الإسلام أن يحل لهم الزنا ، فهو يعيرهم ذلك » .

وقال السهيلى : « وقوله سالت هذيل ، ليس على تسهيل الهمزة فى سألت ، ولكنها لغة ، بدليل قولهم تسايل القوم ، ولو كان تسهيلا لكانت الهمزة بين بين ولم يستقم وزن الشعر بها لأنها كالمتحركة ، وقد تقلب ألفا ساكنة كما قالوا المنساة ، ولكنه شىء لايقاس عليه ؛ وإذا كانت سال لغة فى سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل ، ولكن قد حكى يونس : سلت تسال ، مثل خفت تخاف ، وهو عنده من ذوات الواو ، وقال الزجاج : الرجلان يتسايلان ، وقال النحاس والمبرد : يتساولان ، وهو مثل ماحكى يونس » .

(٤) الحرب : السلب ؛ يقال : حرب الرجل ، إذا سلب (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٥) الخلال : الخصال .

(٦) شانت عابت .

أحاديثُ لِحْيان صَلوا بقبيحها[1] ... ولِحيانُ جَرّامون شَرَّ الجرائم[2]
أناس هُمُ من قومِهم فى صَميمهم ... بمَنْزِلة الزِّمْعان دُبْرَ القَوادِمِ[3]
هُمُ غدرُوا يوم الرَّجيع وأسْلَمت ... أمانتُهم ذا عِفّـــة ومَكَارم
رسولَ رسولِ الله غدراً ولم تَكُن ... هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنْكراتِ المَحارم
فسوف يَرَوْن النصرَ يومًا عليهمُ ... بقَتْلِ الذى تَحْميه دون الحرائم[4]
أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دون لَحْمه ... حَمَت لَحم شَهّادٍ عِظَامَ المَلاحِم[5]
لعلّ هُذيلاً أن يَرَوْا بمُصَابه ... مَصَارِعَ قَتْلى أو مَقاماً لِمَاتم[6]
ونُوقِعَ فيهم[7] وقعةً ذاتَ صَوْلةٍ[8] ... يُوافِى بها الرُّكبانُ أهلَ المَواسم
بأمْرِ رسولِ الله إنّ رَسولَه ... رأى رأْىَ ذى حَزْم بلَحْيانَ عالِم
قُبَيِّلةٌ ليس الوفاءُ يُهِمّهم ... وإن ظُلِموا لم يَدْفَعوا كَفَّ ظالِم
إذا الناسُ حلّوا بالفَضاء رأيتَهم ... بمَجْرَى مَسِيل الماءِ بين المَخارم[9]
محلُّهم دارُ البَوار ورَأْيُهم ... إذا نابَهم أمرٌ كرَأْى البَهائم[10]

---

(١) كذا فى ا . وصلوا بقبيحها ، أى أصابهم شرها . وفى سائر الأصول : « صلوب قبيحها » وهو تحريف .

(٢) جرامون : كاسبون .

(٣) صميم القوم : خالصهم فى النسب . والزمعان : جمع زمع . وهو الشعر الذى يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها . ودبر : خلف . والقوادم (هنا) : الأيدى ، لأنها تقدم الأرجل .

(٤) تحميه ، يعنى عاصم بن الأقلح الذى حمته النحل . ودون الحرائم : أى دون أن يحبسه أحد من الكفار .

(٥) الأبابيل : الجماعات ، يقال : إن واحدها : إبيل . والدبر : الزنابير ، ويقال النحل أيضا : دبر . والشمس : المدافعة . والملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب .

(٦) المأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأراد به هنا أنهن يجتمعن فى مناحته . وقد سهل همزه « المـأتم » لأن القافية هنا مؤسسة بالألف .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : فيها .

(٨) الصولة : الشدة .

(٩) المخارم : مسايل الماء التى يجرى فيها السيل .

(١٠) البوار : الهلاك .

وقال حسّان بن ثابت يهجو هُذيلا :

لَحى اللهُ لِحْياناً فليستْ دِماؤُهم ... لنَا مِن قتيلَىْ غَدْرَةٍ بوفَاءِ[1]
همو قتلوا يوم الرَّجيع ابنَ حُرّةٍ ... أخا ثِقَةٍ فى وُدِّه وصَــــفاء
فلو قُتلوا يوم الرَّجيع بأَسْرهم ... بذِى الدَّبْرِ ما كانوا له بكِفَاء[2]
قَتيلٌ حَمَتْه الدَّبْرُ بين بُيوتهم ... لدَى أهلِ كُفْرٍ ظاهرٍ وجَفاء
فقد قتلتْ لِحْيان أكرَم مِنْهُمُ ... وباعُوا خُبَيباً ويلَهم بلَفَاء[3]
فأُفٍّ للحْيانٍ على كلّ حالةٍ ... على ذِكْرهم فى الذِّكْر كل عفاء[4]
قَبيِّلةٌ باللؤم والغدْر تَغْــــترى ... فلم تُمْس يَخْفى لؤمها بخفاء[5]
فلو[6] قُتلوا لم تُوفِ منه دماؤُهم ... بلَى إنّ قتْل القاتِليه شِفائى
فإلاّ أُمُت أَذْعَر هُذيلاً بغَارةٍ ... كغادِى الجَهَامِ المُغتَدِى بإِفاء[7]
بأمرِ رسُول الله والأمرُ أمْره ... يَبيتُ للحْيان الخَنا بفَناء
يُصبِّح قومًا بالرَّجيع كأنّهم ... جِداء شــــتاء بِتْنَ غيرَ دِفاء[8]

---

(١) لحى : أضعف وبالغ فى أخذهم ، وهو من قولهم : لحوت العود ، إذا قشرته .

(٢) يريد « بذى الدبر » : عاصما ، وقد تقدم ذكره .

(٣) اللفاء : الشىء الحقير اليسير . ومنه قولهم : اقنع من الوفاء باللفاء .

(٤) كذا فى ا وشرح السيرة لأبى ذر . والعفاء : الدروس والتغير .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . وتغترى : يغرى بعضها بعضا . وفى ا : « تعتزى » أى تنتسب .

(٦) فى ا : « ولو » .

(٧) أذعر : أفزع . والغادى : المبكر . والجهام : السحاب الرقيق . والإفاء (هنا) : الغنيمة .

(٨) الجداء : جمع جدى . ورواية هذا الشطر الثانى فى ا

* جداء وشعائين غير دفاء *

وقال حسّان بن ثابت أيضاً يهجُو هذيلاً :

فلا واللهِ ما تدرِى[1] هذيلٌ[2] أصافٍ[3] ماءُ زَمْزَمَ أم مَشُوبُ[4]
ولا لهُمُ إذا اعتمرُوا وحَجُّوا من الحِجْرَينِ وَالمسْعَى نَصيبُ[5]
ولكنَّ الرَّجيعَ لهم محَلٌّ به اللؤمُ المبيَّنُ والعُيوبُ
كأنهُم لدى الكَنَّاتِ أُصْلاً تُيُوسٌ بالحِجازِ لها نَبيبُ[6]
همُ غَرُّوا بذمّتهم خُبَيباً فبِئسَ العَهدُ عهدُهُم الكَذُوبُ

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبى زيد الأنصارى .

شعر حسان فى بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى خُبيباً وأصحابه :

صلّى الإله على الذين تتَابَعُوا يومَ الرَّجيعِ فأُكْرِموا وأُثيبُوا[7]
رأسِ السرِيَّة مَرْثد وأَميرِهم وابنِ البُكَير إمامهم وخُبَيبُ[8]
وابنٍ لطارقَ وابنِ دَثْنةَ منهمُ وافاه ثَمّ حِمامُه المَكْتوبُ[9]
والعاصمُ المَقْتولُ عند رَجيعهم كَسَبَ المَعَالِىَ إنه لَكَسُوبُ

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أتدرى » .

(٢) فى ا : « هذيلا » وهو تحريف .

(٣) فى ديوان حسان طبع أوربا : « أمحض » .

(٤) المشوب : العكر المختلط بغيره .

(٥) يعنى بالحجرين : حجر الكعبة ، فثناه مع مايليه . ومن رواه «الحجرين» بالتحريك ، أراد الحجر الأسود ، والحجر الذى فيه مقام إبراهيم عليه السلام . والمسعى : حيث يسعى بين الصفا والمروة .

(٦) الكنات : جمع كنة ، وهى شىء يلصق بالبيت يكن به . وأصل (بضمتين وسكن تخفيفا) جمع أصيل ؛ وهو العشى . والنبيب : الصوت . وقد أسقط الديوان هذا البيت وأثبت بدله :

تجوزهم وتدفعهم علىّ فقد عاشوا وليس لهم قلوب

وقال فى التعليق عليه :على بن مسعود الغسانى ، وحضن بنى عبد مناف بن كنانة فنسبوا إليه .

(٧) أثيبوا : من الثواب .

(٨) أردف حرف الروى بياء مفتوح ماقبلها ، فخالف بذلك سائر أبيات القصيدة ، وهذا عيب من عيوب القافية ، يسمى : التوجيه ، وهو أن يختلف ماقبل الردف .

(٩) ترك تنوين « طارق » هنا لضرورة إقامة وزن الشعر ، وهو سائغ على مذهب الكوفيين ، والبصريون لايرونه . والحمام : الموت .

مَنَعَ المَقادة أن ينالوا ظَهْرَه حتى يُجالد إنّه لنَجِيب[1]

قال ابن هشام . ويروى : حتى يجدّل إنه لنجيب[2] .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسّان .

حديث بئر معونة

فى صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق :

بعث بئر معونة

فأقام رسول الله صلّى الله عليه وسلم بقيةَ شوال وذا القعدة وذا الحجة — ووَلِى تلك الحِجة المشركون — والمحرم ، ثم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أصحابَ بئر معونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أُحُد .

سبب إرساله

وكان من حديثهم ، كما حدّثنى أبى إسحاقُ بن يسار عن المُغيرة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، وعبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وغيرُه من أهل العلم ، قالوا :

قدم أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأسنّة[3] على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ ، فعرض عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثتَ رجالاً من

---

(١) المقادة : الانقياد والمذلة ، ويجالد : يضارب بالسيف .

(٢) يجدل : يقع بالأرض ؛ واسم الأرض : الجدالة .

(٣) وسمى أبو براء ملاعب الأسنة بقوله يخاطب أخاه فارس قوزل ، وكان قد فرّ عنه فى حرب كانت بين قيس وتميم :

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

أصحابك إلى أهل نجد ، فدَعَوْهم إلى أمرك ، رجوتُ أن يَسْتجيبوا لك ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى أخشَى عليهم أهلَ نجد ؛ قال أبو بَراء : أنا لهم جار ، فابعَثْهم فليدْعُوا الناسَ إلى أمرك .

رجال البعث

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُنذر بن عَمرو ، أخا بنى ساعدة ، المُعْنِق لِيَموت [1] فى أربعين رجلا [2] من أصحابه ، من خِيَار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصِّمَّة ، وحَرَام بن مِلْحان أخو بنى عَدِىّ بن النجَّار ، وعُرْوة بن أسماء ابن الصَّلْت السُّلَمى ، ونافع بنُ بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعىّ ، وعامر بن فُهيرة ، مولى أبى بكر الصدّيق ، فى رجال مُسمَّين من خِيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا ببئر معُونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحَرّة بنى سُلَيم ، كلا البَلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سُليم أقرب .

غدر عامر بهم

فلما نزلُوها بعثوا حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عدوالله عامر بن الطُّفيل ، فلما أتاه لم ينظرُ فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتَله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِر [3] أبا بَراء ، وقد عقدلهم عقداً وجِواراً ؛ فاستصرخ عليهم قبائلَ من بنى سُليم [من [4]] عُصيّة ورِعْل وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القَوْم ، فأحاطوا بهم فى رِحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سُيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد ، أخا بنى دينار بن النّجار ، فإنهم تركوه و به رَمَق ، فارتُثّ [5] من بين القَتْلى ، فعاش حتى قُتل يومَ الخَنْدَق شهيداً ، يرحمه الله .

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بقتل أصحابهما

وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف .

---

(١) المعنق ليموت ، أى المسرع ، وإنما لقب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلا. (راجع البخارى ، ومسلم ، والروض وشرح المواهب).

(٣) تخفر : تنقض عهده .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) ارتث : أى رفع وبه جراح ، يقال : ارتث الرجل من معركة الحرب : إذا رفع منها وبه بقية حياة .

قال ابن هشام : هو المُنذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجُلَاح .

قال ابن إسحاق :

فلم يُنبِّئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطيرُ تحومُ على العَسْكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنًا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دِمائهم ، وإذا الخيلُ التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فنُخبره الخبَرَ ؛ فقال الأنصارى : لكنّى ما كنتُ لأرغب بنفسى عن مَوْطن قُتل فيه المُنذر بن عمرو ، وما كنتُ لِتُخبرنى عنه الرجال ؛ ثم قاتل القومَ حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بنَ أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مُضر ، أطلقه عامر بن الطُّفيل ، وجزّ ناصيتَه ، وأَعْتقه عن رَقَبة زعم أنها كانت على أمه .

قتل العامريين

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقَرْقرة[1] من صَدْر قَناة[2] ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : [ثم[3]] من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سُليم .

قال ابن إسحاق :

حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه ، وكان مع العامريَّين عَقدٌ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجِوار ، لم يَعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرةً[4] من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فلما قَدِم عمرو بن أمية على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبره الخَبر ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد قتلتَ قتيلين ، لأَدِيَنَّهما !

حزن الرسول من عمل أبى براء

ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : هذا عمل أبى بَرَاء ، قد كنت لهذا كارهًا

(١) هى قرقرة الكدر ، موضع بناحية المعدن ، قريب من الأرحضية ، بينه وبين المدينة ثمانية برد . (عن معجم البلدان) .

(٢) قناة : واد يأتى من الطائف ويصب فى الأرحضية وقرقرة الكدر . (عن معجم البلدان) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الثؤرة : الثأر .

متخوِّفا . فبلغ ذلك أبا بَرَاء ، فشقّ عليه إخفارُ عامر إياه ، وما أَصاب أصحابَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم بسَببه وجِواره ؛ وكان فيمن أُصيب عامر بن فُهيرة .

قال ابن إسحاق : فحدّثني هشام بن عُروة عن أبيه :

أمر ابن فهيرة بعد مقتله

أن عامر بن الطفيل كان يقول : مَنْ رجل مِنْهم لمّا قُتِل رأيته رُفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهيرة [1] .

سبب إسلام جبار بن سلمى

قال ابن إسحاق : وقد حدّثني بعض بنى جَبّار بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، قال ـ وكان جَبار فيمن حضرها [2] يومئذ مع عامر ثم أَسْلم ـ [قال] [3] فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أنى طعنتُ رجلا منهم يومئذ بالرُّمح بين كتفَيه ، فنظرتُ إلى سِنان الرُّمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فُزْتُ والله ! فقلت فى نفسى : مافاز ! ألستُ قد قتلتُ الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ؛ فقلت : فاز لعَمْرو الله .

شعر حسان فى تحريض بنى أبى براء على عامر

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت يحرّض بنى أبى بَراء على عامر بن الطُّفيل :

بَنى أُمِّ البنَين أَلم يَرُعْكم ... وأنتمْ من ذَوائب أهل نَجْدِ [4]

---

(1) قال السهيلى : «هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق . وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد : أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبي عليه السلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة » .

(2) حضرها ، أى حضر يوم بئر معونة .

(3) زيادة عن ا .

(4) قال أبو ذر : يريد قول لبيد :

* نحن بنى أم البنين الأربعة *

وكانوا نجباء فرسانا ، ويقال إنهم كانوا خمسة ، لكن لبيدا جعلهم أربعة لإقامة القافية ... وقال السهيلى : « وإنما قال الأربعة وهم خمسة (طفيل وعامر وربيعة وعبيدة الوضاح ومعاوية ، معوذ الحكماء) ، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزى إلى الفراء ، أنه قال أربعة ولم يقل خمسة ، من أجل القوافى . فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن . وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه وتعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . =

تَهَكَّمُ عامرٍ بأبى بَرَاءٍ ... لِيُخْفِرَه وما خطأٌ كعَمْدِ
ألاَ أَبْلِغْ رَبيعةَ ذا المَساعى ... فما أحدثتَ فى الحَدَثان بعْدِى[1]
أبوكَ أبو الحُروب أبو بَراء ... وخالُك ماجدٌ حَكَم بنُ سَعْد

نسب حكم وأم البنين

قال ابن هشام:

حكم بن سعد: من القَيْن بن جَسْر؛ وأم البنين: بنت عمرو[2] ابن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة، وهى أم أبى بَرَاء.

طعن ربيعة لعامر

قال ابن إسحاق:

فحمل ربيعةُ [بن عامر][3] بن مالك على عامر بن الطُّفَيل، فطعنه بالرمح، فوقع فى فخذه، فأَشْوَاه[4]، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبى بَرَاء، إن أَمُت فدمِى لعمِّى، فلا يُتْبَعَنَّ به، وإن أَعِش فسأرى رأيى فيما أُتِىَ إلىَّ.

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له

وقال أنس بن عبّاس السُّلمى، وكان خال طُعيمة بن عدىّ بن نوفل، وقتل يومئذ نافعَ بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعىَّ:

تركتُ ابنَ وَرقاءَ الخُزاعىَّ ثاوياً ... بمُعْتَرَكٍ تَسْفِى عليه الأَعاصِرُ[5]

= وقال: أراد جنة واحدة، وجاء بلفظة التثنية ليتفق رؤوس الآى، أو كلاما هذا معناه».

ثم قال السهيلى: «ومما يدلك على أنهم كانوا أربعة حين قال لبيد هذه المقالة، أن فى الخبر ذكر يتم لبيد وصغر سنه، وأن أعمامه الأربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ماقاولهم به الربيع بن زياد، فسمعهم لبيد يتحدثون بذلك، ويهتمون له، فسألهم أن يدخلوه معهم على النعمان، وزعم أنه سيفحمه، فتهاونوا بقوله، واختبروه بأشياء، وكان من حديث ذلك أن دخل وألقى بين يديه قصيدته.

نحن بنى أم البنين الأربعة ... المطعمون الجفنه المدعدعة

والذوائب: الأعالى.

(1) المساعى: السعى فى طلب المجد والمكارم.

(2) قال السهيلى: «واسمها ليلى بنت عامر، فيما زعموا».

(3) زيادة عن ا

(4) أشواه: أخطأ مقتله.

(5) المعترك: الموضع الضيق فى الحرب. وتسفى: تأتى إليه بالتراب. والأعاصر: الرياح التى يلتف معها الغبار.

ذكرتُ أبا الرَّيَّان لما رأيتُه[1]   وأيقنتُ أنى عند ذلك ثائرُ[2]

وأبو الرَّيان : طُعيمة بن عدى .

وقال عبدُ الله بن رَواحة يبكى نافع بن بُديل بن وَرْقاء :

رَحِم الله نافعَ بن بُديلٍ   رحمةَ المُبتغى ثوَابَ الجِهادِ
صابرٌ صادق وفىٌّ إذا ما   أكثر القومُ قال قولَ السَّدَادِ

شعر حسان فى بكاء قتلى بئر معونة

وقالَ حسَّان بن ثابت يبكى قَتلى بئر معونة ، ويخُصُّ المُنذر بن عمرو :

على قَتْلَى مَعونةَ فاستهِلِّى   بدَمْعِ العيْن سَحًّا غيرَ نَزْرِ[3]
على خَيْل الرسولِ غداةَ لاقَوا   مناياهُم ولاقَتْهم بقَدْرِ[4]
أصابَهمُ الفناءُ بعَقْدِ قوم   تُخُوِّن عَقْدُ حَبْلِهم بغَدْرِ[5]
فيالَهفِى لمُنذرَ إذْ تولَّى   وأعنَق فى منيَّته بصَبْرِ[6]
وكائنْ قد أُصيب غداةَ ذاكُم   مِنَ ابْيض ماجدٍ من سرِّ عمرو[7]

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتاً أبو زيد الأنصارى .

شعر كعب فى يوم بئر معونة

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر مَعونةَ ، يُعيِّر بنى جعفر بن كِلاب :

تركتُم جَارَكم لبَنِى سُلَيم   مخافةَ حَرْبِهم عجزاً وهُونا[8]
فلو حَبْلاً تناولَ من عُقَيل   لَمَدَّ بحَبْلها حبلاً مَتِينا[9]

---

(1) كذا فى أكثر الأصول والمؤتلف والمختلف والروض رواية عن إبراهيم بن سعد . وفى ا : « الزبان » وذكر أبوذر أن الأولى هى الصواب فيه .

(2) ثائر : آخذ بثأرى .

(3) استهلى : أسيلى دمعك . والسح : والصب ، والنزر : القليل .

(4) كذا فى ديوانه . وفى الأصول :

ولا قتهم منايام بقدر

(5) تخون : تنقص (بالبناء للمجهول فيهما) .

(6) أعنق : أسرع . والعنق بفتحتين : ضرب من السير سريع .

(7) سر القوم : خيرهم وخالصهم .

(8) الهون : الهوان .

(9) يعنى « بالحبل » : العهد والذمة .

أو القُرَطَاء ما إن أسْلَوه   وقِدْمًا ما وَفَوا إذ لاتفُونا

نسب القرطاء

قال ابن هشام :

القُرَطاء : قبيلة من هَوازن ، ويروى « من نُفَيل » مكان « من عقيل » وهو الصحيح : لأن القُرَطاء من نُفَيل قريب(١) .

أمر إجلاء بنى النضير

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق :

خروج الرسول إلى بنى النضير يستعينهم فى دية قتلى بنى عامر وهمهم بالغدر به

ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بنى النَّضير(٢) يَسْتعينهم فى دِيَة ذينك القَتيلين من بنى عامر ، اللذين قَتل عمرو بن أُمية الضَّمْرِي ، للجوار الذى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عَقد لهما ، كما حدّثنى يزيد بن رُومان ، وكان بين بنى النَّضير و بين بنى عامر عَقْد وحِلْف . فلما أتاهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَسْتعينهم فى دِيَة ذَيْنك القَتيلين ، قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نُعينك على ما أحببْت ، مما استعَنت بنا عليه . ثم خلا بعضُهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه ــ ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم إلى جَنْب جِدار من بيوتهم قاعد ــ فَمَنْ رَجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيُلْقِى عليه صخرةً ، فيُريحنا منه ؟ فانتدَب لذلك عمرو بن جِحَاش بن كعب ، أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصَعِد لِيُلْقِىَ عليه صخرَة كما قال ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى نَفَر من أصحابه ،

---

(١) قال أبو ذر : « القرطاء : بطون من العرب من بنى كلاب ، وهم : قرط (بالضم) وقريط (بالتصغير) وقريط (بفتح فكسر) . ويسمون القروط أيضا » .

(٢) قال السهيلى : « ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة فى هذا الموضع وكان ينبغى أن يذكرها بعد بدر ، لما روى عقيل وغيره عن الزهرى قال : كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة شهور .

فيهم أبو بكر وعُمر وعلىّ ، رِضْوان الله عليهم .

انكشاف نيتهم للرسول واستعداده لحربهم

فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القومُ ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة . فلما استلبثَ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم أصحابُه ، قاموا فى طَلبه ، فلقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ؛ فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهوا إليه صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرهم الخبَر ، بما كانت اليهودُ أرادتْ من الغَدْر به ، وأمرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالتّهيؤ لحَرْبهم ، والسَّيْر إليهم .

قال ابن هشام[1] :

واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق :

ثم سار بالنّاس[2] حتى نزل بهم .

قال ابن هشام :

وذلك فى شهر رَبيع الأول ، فحاصرهم ستَّ ليالٍ ، ونزل تحريمُ الخمر .

حصار الرسول لهم وتقطيع نخلهم

قال ابن إسحاق :

فتحصّنوا منه فى الحُصون ، فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بقَطْع النَّخيل والتَّحْريق فيها ، فنادَوْه : أنْ يا محمد ، قد كنتَ تَنْهى عن الفَساد ، وتَعيبه على مَنْ صَنعه ، فما بال قَطْع النخل وتحريقها[3] ! .

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح

وقد كان رَهْط من بنى عَوْف بن الخزرج ، منهم [عدُو الله[4]] عبدُ الله بن أُبىّ ابن سَلول [و[5]] وديعة ومالك بن أبى قَوْقل ، وسُوَيد وداعِس ، قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتُوا وتمنَّعوا ، فإنا لن نُسْلمكم ، إن قوتلتم[6] قاتلنا معكم ،

---

(١) فى ا : « فيما قال ابن هشام » وقد وردت هذه العبارة بعقب كلمة « مكتوم » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٣) قال السهيلى : « قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء حتى أنزل الله تعالى : « ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ... » الآية .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٥) زيادة عن ا .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قتلتم » وهى ظاهرة التحريف .

وإن أُخْرِجتم خَرَجنا معكم . فتربصوا ذلك من نَصْرهم ، فلم يَفْعلوا ، وقَذف الله فى قلوبهم الرعب ، وسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُجْليَهم ويكفّ عن دمائِهم ، على أنّ لهم ما حَملت الإبل من أموالهم إلا الحلْقة[1] ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِم بيتَه عن نِجَاف[2] بابه ، فيَضعه على ظَهْر بعيره، فيَنْطلق به . فخرجوا إلى خَيْبرَ ، ومنهم مَنْ سار إلى الشام .

من هاجر منهم إلى خيبر

فكان أشرافُهم مَنْ سار منهم[3] إلى خَيبر : سلاّم بن أبى الحُقَيق ، وكِنَانة ابن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق ، وحُيَيّ بن أَخْطب . فلما نزلوها دان لهم أهلُها .

قال ابن إسحاق :

فحدّثنى عبدُ الله بن أبى بَكْر أنه حُدِّث :

أنهم استقلّوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدُّفوف والمَزامير ، والقِيان يَعْزِفن خَلْفهم ، وإنّ فيهم لأُمّ عَمْرو صاحبةَ عروة بن الوَرْد العَبْسىّ ، التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساءِ بنى غِفار[4] ، بزُهاء[5] وفَخْر ما رُئِىَ مثله من حىّ من الناس فى زمانهم .

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين

وخلّوا الأموال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكانت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خاصّةً ، يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سَهْل بن حُنيف

---

(١) الحلقة : السلاح كله ، أو خاص بالدروع .

(٢) النجاف (بوزن كتاب) : العتبة التى بأعلى الباب . والأسكفة : العتبة التى بأسفله .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٤) هى سلمى . وقال الأصمعى : اسمها ليلى بنت شعواء . وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب ، امرأة من كنانة كانت (ناكحة فى مزينة) ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسباها . قال السهيلى : وكونها من كنانة لايدفع قول ابن إسحاق أنها من غفار ، لأن غفار من كنانة ، فهو غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناه بن كنانة . « راجع الروض الأنف للسهيلى » .

(٥) الزهاء : الإعجاب والتكبر .

وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[1].

من أسلم من بنى النضير

ولم يُسْلم من بنى النَّضير إلا رجلان: يامينُ بن عُمير، أبو[2] كعب بن عمرو ابن جِحاش؛ وأبو سعد بن وهب، أسْلما على أموالهما فأحْرزاها.

تحريض يامين على قتل ابن جحاش

قال ابن إسحاق ـ وقد حدّثنى بعض آل يامين:

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال ليامين: ألم تر مالقِيتُ من ابن عمّك، وما همّ به من شأنى؟ فجعل يامينُ بن عُمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له عَمْرو ابن جِحاش، فقتَله فيما يزعمون.

ما نزل فى بنى النضير من القرآن

ونزل فى بنى النَّضير سورةُ الحَشْر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نِقْمته. وما سلّط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عمل به فيهم، فقال تعالى: «هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ[3]، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ، فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ» وذلك لهَدْمهم بيوتهم عن نُجُف أبْوابهم إذ احتملوها. «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ. وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ» وكان لهم من الله نقمة «لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا» أى بالسيف «وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ» مع ذلك. «مَاقَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا» واللينة: ما خالف العجوة من النخل «فَبِإِذْنِ اللهِ» أى فبأمر الله قُطعت، لم يكن فساداً، ولكن كان نقمة من الله «وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ».

---

(١) قال السهيلي: «وقال غير ابن إسحاق: وأعطى ثلاثة من الأنصار».

(٢) فى الأصول: «ابن» والتصويب عن شرح السيرة لأبى ذر.

(٣) قال السهيلي: روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له: إلى أين تخرج يا محمد؟ قال: إلى الحشر، يعنى أرض المحشر، وهى الشام؛ وقيل إنهم كانوا فى بسطة لم يصبهم جلاء قبلها، فلذلك قال: لأول الحشر؛ والحشر: الجلاء.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

اللِّينة: من الألوان ، وهى مالم تكن بَرْنِيَّة ولا عَجْوة من النخل، فيما حدّثنا أبو عُبيدة(١) . قال ذو الرمة :

كأنّ قُتُودى فوقها عُشُّ طائر ... على لِينَةٍ سَوْقاء تَهْفو جُنُوبها(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له .

« ومَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ » .

قال ابن إسحاق :

يعنى من بنى النَّضِير « فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » أى له خاصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير . قال تميم بن أُبىّ بن مُقْبِل ، أحد بنى عامر ابن صَعْصعة :

مَذَاويد بالبِيض الحديثِ صِقَالها ... عن الرَّكب أحياناً إذا الركبُ أوْجَفوا(٣)

وهذا البيت فى قصيدة له، وهو الوجيف . [و(٤)] قال أبو زبيد(٥) الطائى، واسمه حَرْملة بن المُنْذِر :

مُسْنفات كأنّهن قَنا الهِنْــدِ لِطُول الوَجيف جَدْبَ المَرُود(٦)

---

(١) فى ا : « قال ابن هشام : قال أبو عبيدة » .

(٢) القتود: الرحل مع أدواته . وسوقاء : غليظة الساق . وتهفو : تهتز وتضطرب . وجنوبها : نواحيها .

(٣) المذاويد : جمع مذواد ، وهو الذى يدفع عن قومه . والبيض : السيوف . والحديث صقالها ، أى القريب عهدها بالصقل .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « زيد » وهو تحريف .

(٦) مسنفات : مشدودات بالسنف ، وهو الحزام . والجدب : القفر . والمرود : الموضع الذى يرتاده الرائد ، أى الطالب للرعى .

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام :

السِّناف : الْبِطان[١] . والوجيف (أيضاً) : وجيف القلب والكبد ، وهو الضَّربان . قال قيس بن الخَطِيم الظَّفَرى :

إنّا وإن قدَّموا التى علموا[٢] أَكْبادُنا من وَرائهم تَجِفُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ » .

قال ابن إسحاق :

ما يُوجِف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفُتِح بالحرب عنوة فلله وللرسول « وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » . يقول : هذا قِسْم آخر فيما أُصيب بالحرب[٣] بين المسلمين ، على ماوضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا » يعنى عبد الله بن أبىّ وأصحابه ، ومَن كان على مثل أمرهم « يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » يعنى بنى النَّضير ، إلى قوله « كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » يعنى بنى قَيْنُقاع . ثم القصّة إلى قوله : « كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ ، إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ » فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين .

ماقيل فى بنى النضير من الشعر

وكان مما قيل فى بنى النَّضير من الشعر قولُ ابن لُقَيْم العَبْسى ، ويقال :

(١) البطان : حزام منسوج .

(٢) فى م ، ر : « عملوا » .

(٣) فى م ، ر : « الحروب » .

قاله قيس بن بَحْر بن طَرِيف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعي ــ فقال :

أَهْلِي فداءٌ لامرئٍ غير هالكٍ أَحَلَّ اليهودَ بالحَسِيِّ المُزَنَّمِ (١)

يَقيلون في جَمْرِ الغَضَاةِ وبُدِّلوا (٢)
أُهَيْضِبَ (٣) عُودَى (٤) بالوَدِيِّ المُكَمَّمِ (٥)

فإنْ يكُ ظَنِّي صادقاً بمحمَّدٍ تَرَوْا خَيْلَه بين الصَّلاَ ويَرَمْرَمِ (٦)

يَؤُم بها عمرو بن بُهْثَة إنهم عدوٌّ وما حيٌّ صديقٌ كمُجْرِمِ

عليهنَّ أبطالٌ مَساعيرُ في الوَغَى يَهزُّون أطرافَ الوَشِيجِ المُقَوَّمِ (٧)

وكلُّ رقيقِ الشَّفرتين مُهَنَّدٍ تُوورِثْن من أزمان عادٍ وجُرْهُمِ

فمَنْ مُبْلغٌ عنِّي قُرَيشاً رِسالةً فهَلْ بعدهم في المَجدِ من مُتَكَرَّمِ

---

(١) قال أبو ذر : «الحسى والحساء : مياه تغور في الرمل وتمسكها صلابة الأرض ، فإذا حفر عنها وجدت . والمزنم (على هذا القول) : القليل اليسير . ومن رواه : بالحشيِّ ، أراد به حاشية الإبل ، وهي صغارها وضعافها ، وهو الصواب . والمزنم (على هذا القول) : أولاد الإبل الصغار . وقد يكون المزنم (هنا) : المعز ، سميت بذلك للزنمتين اللتين في أعناقها ، وهما الهنتان اللتان تتعلقان من أعناقها » .

وقال السهيلي : «يريد أحلهم دار غربة في غير عشائرهم ، والزنيم والمزنم : الرجل يكون في القوم وليس منهم ، أي أنزلهم بمنزلة الحسى ، أي المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الذليل حسيا ، لأنه عرضة الأكل . والحسى والحسو . مايحسى من الطعام حسوا ، أي أنه لايمتنع على آكل . ويجوز أن يريد بالحسى معنى الفذى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرعى ، يقال : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم رذال المال وغذاء الغنم والمزنم منه . فهذا وجه يحتمل . وقد أكثرت التنقير عن الحسى في مظانه من اللغة فلم أجد نصا شافيا أكثر من قول أبي على : الحسية والحسى: مايحسى من الطعام . وإذ قد وجدنا الغذى ، واحدة غذاء الغنم ، فالحسى في معناه غير ممتنع أن يقال ، والله أعلم . والمزنم (أيضا) صغار الإبل» .

(٢) كذا في ا . والغضاة : واحدة الغضى ، وهو شجر . وفي سائر الأصول : «العضاة» وهو شجر أيضا ؛ الواحدة : عضة .

(٣) كذا في أكثر الأصول وشرح السيرة لأبي ذر . والأهيضب : المكان المرتفع وفي ا . « أهيصب » بالصاد المهملة .

(٤) كذا في ا . قال أبو ذر : «عودى : اسم موضع . ومن رواه : عودا ، فهو من عاد يعود ، أو الصواب رواية من رواه : «عودى» . وفي سائر الأصول : « عورى » .

(٥) الودى : صغار النخل . والمكمم : الذي خرج طلعه .

(٦) الصلا ويرمرم : موضعان .

(٧) مساعير : يسعرون الحرب ويهيجونها. والوشيج : الرماح.

بأنّ أخاكم فاعلمُنّ محمداً … تَلِيد النَّدى بين الحَجون وزَمْزم (1)
فدِينُوا له بالحقّ تَجْسُم أمورُكم … وتَسْموا من الدنيا إلى كل مُعْظَم (2)
نَبىّ تلاقَتْه من الله رحمةٌ … ولا تَسْألوه أمرَ غَيْبٍ مُرَجَّم (3)
فقد كان فى بَدْرٍ لعَمْرِىَ عِبْرةٌ … لكم يا قريشاً والقَليب المُلَمَّمِ (4)
غداةَ أتَى فى الخَزْرجيّة عامداً … إليكم مُطيعاً للعظيم المُكرَّم
مُعاناً برُوح القُدْس يُنْكِى عدوّه … رسولاً من الرحمن حقًّا بمَعْلَم (5)
رسولاً من الرحمن يَتْلو كِتابَه … فلمّا أنارَ الحقّ لم يتلَعْثَمَ (6)
أَرى أمرَه يَزْداد فى كلّ مَوطن … عُلُوًّا لأمرٍ حَمَّه الله مُحْكَمِ (7)

قال ابن هشام : عمرو بن بُهْثة ، من غَطَفان . وقوله «بالحسىّ المزنم» ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

وقال على بن أبى طالب : يذكر إجلاء بنى النَّضير ، وقَتْل كعب ابن الأشرف .

قال ابن هشام :

قالها رجلٌ من المسلمين غير علىّ بن أبى طالب ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم أرَ أحداً منهم يعرفها لعلىّ :

---

(1) تليد . قديم . والندى : الكرم . والحجون : موضع بمكة .
(2) فدينوا ، أى أطيعوا . وتجسم : تعظم . وتسمو : ترتفع .
(3) المرجم : المظنون الذى لا يتيقن
(4) الململم : المجموع .
(5) روح القدس : جبريل عليه السلام . وينكى عدوه : يبالغ فى ضرره . والمعلم : الموضع المرتفع المشرف .
(6) لم يتلعثم : لم يتأخر ولم يتوقف .
(7) حمه : قدره .

عرفتُ ومن يَعْتدل يَعْرِفِ وأيقنتُ حقًّا ولم أَصْدِفِ[1]
عن الكلم المُحكم اللاء من[2] لدى الله ذى الرَّأْفة الأَرْأَف
رسائلُ تُدْرَس فى المُؤمنين بهنّ اصطفَى أحمدَ المُصْطَفِى
فأَصْبح أحمدُ فينا عزيزاً عزيزَ المَقامةِ والمَوْقِف[3]
فيأيها المُوعِدوه سَفاهاً ولم يأتِ جَوْرًا ولم يَعْنُف[4]
ألستم تَخافون أَدنَى العذابِ وما آمنُ الله كالأَخْوف
وأنْ تُصْرعوا تحت أَسْيافه كَمصْرعِ كعبِ أبى الأَشْرف
غداةَ رأى اللهُ طُغْيانه وأَعْرض كالجمل الأَجْنَف[5]
فأَنزلَ جبريلَ فى قَتْلِه بِوَحْى إلى عَبْده مُلْطَف
فَدَسَّ الرسولُ رسولاً له بأَبْيَض ذى هَبّةٍ مُرْهَف[6]
فباتت عيونٌ له مُعْوِلاتٍ متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِف[7]
وقُلْن لأحمَد ذَرْنا قَليلاً فإنا من النَّوح لم نَشْتف
فخلّاهُمُ ثم قال اظْعَنُوا دُحورًا على رَغَم الآنُف[8]
وأجلَى النَّضِيرَ إلى غُرْبةٍ وكانوا بدارٍ ذوى زُخْرف[9]

---

(١) لم أصدف : لم أعرض .
(٢) فى ا : « الآى » .
(٣) المقامة (بضم الميم) : موضع الإقامة .
(٤) الموعدوه : المهددوه . والسفاه : الضلال . ولم يعنف : لم يأت بخلاف الرفق .
(٥) الأجنف : المائل إلى جهة .
(٦) بأبيض : يعنى سيفا . والهبة : الاهتزاز . والمرهف : القاطع .
(٧) معولات : باكيات بصوت . وينعى : يذكر خبر قتله . وتذرف . تسيل بالدموع .
(٨) اظعنوا : ارحلوا . والدحور (بالدال المهملة) : الذل والهوان . وعلى رغم الآنف : على المذلة ؛ يقال : أرغم الله أنفه ، إذا أذله . والآنف : جمع أنف .
(٩) الغربة (بضم الغين) : الاغتراب . (وبفتح الغين) : البعد . والزخرف : الزينة وحسن التنعم .

إلى أذرِعاتٍ رُدَافَى وهُم على كلِّ ذى دَبَرٍ أعجَفَ[1]

فأجابه سَمّاك[2] اليهوديّ ، فقال :

إن تَفْخروا فهو فَخْرٌ لكم بمَقْتلِ كعبٍ أبى الأَشْرف
غداةَ غَدَوْتم على حَتْفه ولم يَأْت غدراً ولم يُخْلِف
فعلَّ اللّيالِى وصَرَفَ الدُّهور يُديل[3] من العادِل المُنصِف[4]
بقَتْلِ النَّضِـــيرِ وأحلافها وعَقْر النَّخيل ولم تُقْطَف[5]
فإن لا أمُتْ نَأْتكم بالقَنَا وكلِّ حُسامٍ معاً مُرْهَف[6]
بكفِّ كَمِىٍّ به يَحْتمى متى يَلْقَ قِرْناً له يُتْلِف[7]
مع القَوْم صَخْرٌ وأشياعُه إذا غاوَر القومَ لم يَضْعُف[8]
كليثٍ بتَرْجٍ حَمَى غِيلَه أخِى غابةٍ هاصِرٍ أجْوَف[9]

---

(١) أذرعات : موضع بالشام . وردافى : أى مرتدفين يردف بعضهم بعض ؛ الواحد : رد فى (كسكرى وسكارى) . ويروى : ردافاً ، وهو بهذا المعنى . وذو دبر أعجف : يعنى جملا . ودبر : جرح . والأعجف : الهزيل الضعيف .

(٢) كذا فى ا : وفى سائر الأصول : « سمال » وهو تحريف .

(٣) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . ويديل : من الدولة ، أى نصيب منه مثل ماأصاب منا . وفى ا : « يدين » وفى سائر الأصول : « يدان » .

(٤) ويريد بالعادل المنصف : النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبوذر : فإن قيل : كيف قال اليهودى فيه : العادل المنصف ، وهو لايعتقد ذلك ؟ فالجواب أن يقال : أن يكون ذلك مما لفظه لفظ المدح ومعناه الذم ، مثل قوله تعالى : « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وكما قال الآخر :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فهذا إن كان ظاهره المدح ، فمعناه الذم .

(٥) الأحلاف : جمع حاف ، وهو الصاحب . ويروى : وإجلائها ، يعنى وإخراجها من بلادها . ولم تقطف (بفتح الطاء) لم يؤخذ ثمرها ؛ ويروى بكسر الطاء ، أى لم تبلغ زمن القطاف .

(٦) الحسام المرهف : السيف القاطع .

(٧) الكمى : الشجاع . والقرن : الذى يقاومك فى قتال .

(٨) صخر : هو أبو سفيان بن حرب .

(٩) ترج : جبل بالحجاز تنسب اليه الأسود . والغيل : أجمة الأسد . والهاصر : الذى يكسر فريسته إذا أخذها . والأجوف : العظيم الجوف .

شعر كعب في إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحاق :

وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النَّضِير وقَتْل كعب بن الأشرف :

لقد خَزِيتْ بغَدْرتها الحُبُورُ   كذاكَ الدهرُ ذو صرْف يَدُور[1]
وذلك أنَّهم كفروا بربٍّ   عزيزٍ أمرُه أمرٌ كَبِير
وقد أُوتُوا معاً فَهْمًا وعِلْمًا   وجاءهُمُ من الله النَّذِير
نذيرٌ صادقٌ أدّى كتابًا   وآياتٍ مُبيِّنَةً تُنِير
فقالوا ما أتَيْتَ بأمرِ صِدْقٍ   وأنتَ بمُنْكَرٍ منّا جَدِير[2]
فقال بلَى لقد أدَّيتُ حقًّا   يُصدِّقني به الفَهِمُ الخَبِير
فمن يَتْبعه يُهْدَ لكلِّ رُشْدٍ   ومن يَكفر به يُجْزَ الكَفور
فلمّا أُشْرِبوا غدراً وكُفراً   وحاد بهم[3] عن الحقِّ النُّفُور
أرى اللهُ النبيَّ برأيِ صدْقٍ   وكان الله يَحْكُمُ لا يَجُور
فَأيّده وسَلّطه عليهم   وكان نَصِيرَه نِعْمَ النَّصِير
فغُودِر منهمُ كعبٌ صَرِيعاً   فذلّت بعد مَصْرَعه النَّضِير
على الكَفّين ثَمَّ وقد عَلَتْه   بأيْدِينا مُشَهَّرَةٌ ذُكُور[4]
بأمرِ محمّدٍ إذ دسَّ[5] ليلاً   إلى كعبٍ أخا كعبٍ يَسِير
فَما كَرَه فأنْزله بمَكْرٍ   ومَحْمُودٌ أخو ثِقَةٍ جَسُور
فتِلْك بنو النَّضِير بدارِ سَوْءٍ   أبارَهم بما اجتَرَمُوا المُبِير[6]

---

(١) الحبور : جمع حبر ، وهو العالم ، ويقال في جمعه : أحبار (أيضا) . ويريد «بالحبور» : علماء اليهود .

(٢) جدير : حقيق وخليق .

(٣) كذا في شرح السيرة لأبي ذر : وحادبهم ، أي مال بهم . وفي جميع الأصول : «وجد بهم» .

(٤) مشهرة ذكور : سيوف مسلولة من أغمادها ، قوية قاطعة .

(٥) في ا : « دش » (بالشين المعجمة) .

(٦) أبارهم : أهلكهم . واجترموا : كسبوا .

غداةَ أتاهُم فى الزَّحْفِ رَهْواً ... رسولُ اللهِ وهْوَ بهِمْ بَصِيرُ[1]
وغسّان الحُماة مُوازِرُوه ... على الأَعْداءِ وهْوَ لهم وَزِيرُ
فقال السِّلْمَ[2] ويحكمُ فَصدُّوا ... وحالفَ[3] أمرَهم كَذِبٌ وزُور
فذاقُوا غِبَّ أمرهِم وَبالاً[4] ... لكلِّ ثلاثةٍ منهم بَعِيرُ
وأُجْلُوا عامِدِين لقَيْنُقاع ... وغُودر منهمُ نَخْل ودُور[5]

فأجابه سَمَّاكٌ اليهودىّ ، فقال :

شعر سماك فى الرد على كعب

أَرِقتُ وضافَنِى همٌّ كَبِيرُ ... بلَيْلٍ غيرُه ليلٌ قَصِيرُ[6]
أرى الأحْبَارَ تُنْكِره جميعاً ... وكلّهم له عِلْمٌ خَبِيرُ
وكانوا الدَّارسِين لكلِّ عِلْمٍ ... به التَّوْراة تَنْطق والزَّبُور
قتلتم سيِّدَ الأحْبار كعبًا ... وقِدْمًا كانَ يَأْمن مَنْ يُجِير
تَدلَّى نحو محمودٍ أخيه ... ومحمودٌ سَرِيرته الفُجُور
فغادَره كأنّ دمًا نجيعًا ... يَسيل على مَدَارِعه عَبِيرُ[7]
فقد وأبيكمُ وأَبِى جميعًا ... أُصِيبتْ إذ أُصيبَ به النَّضِير
فإن نَسْلَم لكم نترك رجالاً ... بكَعْب حولَهم طَيْرٌ تَدُور
كأنّهمُ عَتائر يومِ عيدٍ ... تُذَبَّحُ وهْىَ ليس لها نَكِير[8]

---

(1) الرهو : مشى فى سكون .
(2) السلم (بفتح السين وكسرها) : الصلح .
(3) كذا فى ا وشرح السيرة . وحالف : صاحب . وفى سائر الأصول : « وخالف » بالخاء المعجمة .
(4) الوبال : النكال .
(5) عامدين : قاصدين . وقينقاع : قبيلة من اليهود .
(6) أرقت : امتنع النوم عنى . وضافنى : نزل بى .
(7) النجيع : الدم الطرى . والمدارع : جمع مدرعة ، وهى ثوب يلبس . وقال بعضهم : لاتكون المدرعة إلا من صوف . ويروى : « مذارعه » . بالذال المعجمة ، والمذارع من البعير والدابة : قوائمهما ؛ وأراد به هنا : اليدين والرجلين . والعبير : الزعفران .
(8) العتائر : جمع عتيرة ، وهى الذبيحة .

بِبيضٍ لاتُليقُ لهن عظمًا صَوَافِي الحَدِّ أكثرُها ذُكور[1]

كما لاقيتمُ من بأسِ صَخْرٍ بأُحْد حيثُ ليس لكم نصير[2]

شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير

وقال عبّاس بن مرداس، أخو بني سُليم ، يمتدح رجال بني النَّضير :

لو أنَّ أهلَ الدارِ لم يتصدَّعُوا رأيتَ خِلالَ الدارِ مَلْهًى ومَلعبَا[3]

فإنّك عَمْرِي هل أُريك ظَعائنًا[4] سَلَكْن على رُكن الشَّطَاة[5] فتَيْأبا[6]

عليهنّ عِينٌ[7] من ظِباَء تَبالةٍ أوانسُ يُصْبِين الحليمَ المُجرَّبا[8]

إذا جاء باغِي الخيرِ قُلْن فُجاءةً له بوُجوه كالدَّنانير مَرْحبا

وأهلاً فلا ممنوعُ خيرٍ طَلبْتَه ولا أنتَ تخشى عندنا أن تُؤَنَّبا

فلا تَحسبنِّي كنتُ مولَى ابن مِشْكَمٍ سَلاَمٍ ولا مَوْلى حُيَيِّ بن أَخْطَبا[9]

شعر خوّات في الرد على ابن مرداس

فأجابه خوّات بن جُبير ، أخو بني عمرو بن عوف ، فقال :

تُبَكِّي على قَتْلَى يهودَ وقد ترى من الشَّجْو لو تَبْكي أحبَّ وأَقْربا[10]

فهلاَّ على قَتْلَى بِبطْن أُرَيْنِق بكيتَ ولم تُعْوِل من الشَّجْو مُسْهِبا[11]

إذا السِّلْمُ دارت في صديق رددتَها وفي الدين صَدَّادًا وفي الحَرْب ثَعْلَبا[12]

---

(١) لاتليق : لاتبقى .

(٢) صخر : هو أبو سفيان بن حرب .

(٣) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا .

(٤) الظعائن : النساء في الهوادج .

(٥) كذا في ا وشرح السيرة لأبي ذر . والشطاة (بالطاء المهملة) : موضع . وفي سائر الأصول : « الشظاة » .

(٦) تيأب . موضع .

(٧) كذا في أكثر الأصول . والعين . جمع عيناء ، وهي الكبيرة العين وفي ا : « عير » .

(٨) تبالة : موضع . ويصبين : يذهبن العقل .

(٩) المولى (هنا) : الحليف والصاحب .

(١٠) الشجو : الحزن .

(١١) أرينق (بالراء والزاء) : موضع . ولم تعول : لم ترفع صوتك بالبكاء . والمسهب : المتغير الوجه .

(١٢) الصداد : الذي يصد عن الدين والحق . وثعلبا ، أي كثير الروغان ، أي لايصدق في الحرب .

عمدتَ إلى قَدْرٍ لقَوْمِك تَبْتغى ... لهم شَبَهاً كَيْما تعزّ وتَغْلبا

فإنك لمّا أن كَلِفْتَ تَمدُّحا ... لمن كان عَيْبا مدحُه وتَكَذُّبا

رحلتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمِثْله ... ولم تُلْفِ فيهم قائلاً لك مَرْحَبا

فهلاّ إلى قومٍ مُلوكٍ مدحتَهم ... تَبَنَّوْا من العزّ المُؤَثَّل مَنْصِبا(١)

إلى معشر صاروا مُلوكاً وكُرِّموا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْف مُجْدِبا(٢)

أولئك أحْرى من يَهُودَ بمِدْحةٍ ... تراهم وفيهم عِزّةُ المَجْد تُرْتُبا(٣)

شعر ابن مرداس فى الرد على خوّات

فأجابه عبّاس بن مرداس السلمى ، فقال :

هجوتَ صريحَ الكاهِنَيْن وفيكمُ ... لهم نِعَمٌ كانت من الدهر تُرْتُبا(٤)

أولئك أَحْرَى لو بكيتَ عليهمُ ... وقومُك لو أَدَّوا من الحقِ مُوجَبا

من الشكر إنّ الشكر خيرٌ مَغَبّةً ... وأوفقُ فعلاً للذى كان أَصْوَبا(٥)

فكنتَ كمن أمسى يُقطِّع رأسَه ... ليبلغَ عزًّا كان فيه مُرَكَّبا

فَبكِّ بنى هارون واذكر فَعالَهم ... وقَتْلَهم للجُوع إذ كنت مُجْدِبا

أخوّاتُ أذرِ الدمعَ بالدَّمع وابكهمْ ... وأَعْرِضْ عن المَكْرُوه منهم ونَكِّبا(٦)

فإنك لو لاقيتَهم فى ديارِهم ... لأُلْفيتَ عمّا قد تقُول مُنَكِّبا

سِراعٌ إلى العَلْيا كرامٌ لَدى الوَغى ... يُقال لباغِى الخَيْر أهلاً ومَرْحبا

شعر لكعب أو ابن رواحة فى الرد على ابن مرداس

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رَواحه ، فيما قال ابن هشام ، فقال :

لَعَمْرى لقد حَكّت رَحى الحرب بَعدما ... أطارتْ لُؤَيًّا قبلُ شَرْقاً ومَغْرِبا

---

(١) المؤثل : القديم .

(٢) مجدب : من الجدب ، وهو القحط وقلة الخير .

(٣) ترتب : (بضم التاء الثانية وفتحها) : ثابت . والتاء الأولى فيه زائدة ، وهو من « رتب » عند سيبويه .

(٤) الصريح : الخالص النسب . والكاهنان : قبيلان من يهود المدينة ، يزعمون أنهم من ولد هارون عليه السلام . ويروى : « الكاهنين » بالجمع .

(٥) خير مغبة ، أى خير فيما يستقبل بعد .

(٦) نكب : عرج عنهم .

بقيّـــــةَ آلِ الكاهِنَيْن وعِزَّها فعادَ ذليلاً بعد ما كان أغْلَباً(١)
فَطاحَ سَلاَمٌ وابنُ سَــعْية عَنْوةً وقِيدَ ذليلاً للمنَايَا ابنُ أخْطَبا(٢)
وأجْلَبَ(٣) يَبْغِى العزَّ والذلَّ يَبْتغى خِلافَ يدَيْه ما جَنَى حين أجْلبا
كتاركِ سَهْلِ الأرضِ والحَزْنُ هَمَّهُ وقدكان ذاقى الناس أكْدَى وأصعبا(٤)
وشـــأسٌ وعَزّال وقد صَليا بها وما غُيِّبا عن ذاكَ فيمن تَغَيَّبا
وعَوفُ بن سَلْمى وابن عَوْفٍ كلاهما وكَعبُ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا(٥)
فبُعدًا وسُـــحْقًا للنَّضِير ومثلها إن اعقبَ فتحٌ أوإنِ اللهُ أعْقَبا(٦)

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدنى:

ثم غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد بنى النَّضِير بَنى المصْطلق. وسأذكر حديثَهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه.

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق: الأهبة لها

ثم أقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة بعد غزوة بنى النَّضِير شهرَ

---

(١) الأغلب: الشديد.
(٢) طاح: ذهب وهلك. والعنوة: القهر والذلة.
(٣) كذا فى أكثر الأصول. وفى ا «وأحلب». قال أبو ذر: «من رواه بالجيم، فمعناه جمع وصاح، ومن رواه بالحاء المهملة. فمعناه جمع (أيضا)، إلا أن الذى. بالجيم لايكون إلا مع صياح.
(٤) الحزن: ماعلا من الأرض. وأكدى: لم ينجح فى سعيه؛ يقال: أكدى الرجل فى حاجته، إذا لم يظفر بها.
(٥) حان: هلك.
(٦) أو ان الله أعقبا. أى أوأن الله جاء بالنصر عليهم.

ربيع الآخر وبعضَ جُمادَى[1]، ثم غزا نجدًا يُريد بنى مُحارب وبنى ثَعْلبة من غَطفان، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفارىّ[2]؛ ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام.

سبب تسميتها بذات الرقاع

قال ابن إسحاق:

حتى نزل نَخلا[3]، وهى غزوة ذات الرِّقاع.

قال ابن هشام:

وإنما قيل لها غزوة ذات الرِّقاع، لأنهم، رقَّعوا فيها راياتِهم؛ ويقال: ذات الرِّقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرِّقاع[4].

قال ابن إسحاق:

فلقى بها جمعًا عظيما[5] من غَطفان، فتقارب الناسُ، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضُهم بعضًا، حتى صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس صلاةَ الخَوْف، ثم انصرف بالناس.

---

(١) قال الزرقانى: «وعند ابن سعد وابن حبان أنها كانت فى المحرم سنة خمس» وجزم أبو معشر أنها بعد بنى قريظة».

(٢) قال الزرقانى: «قاله ابن إسحاق، وتعقبه ابن عبد البر بأنه خلاف ماعليه الأكثر، وبأن أبا ذر لما أسلم بمكة رجع إلى بلاده فلم يجئ إلا بعد الخندق».

(٣) نخل: موضع بنجد من أرض غطفان. (راجع معجم البلدان).

(٤) قال أبو ذر: «إنما قيل لها ذات الرقاع، لأنهم نزلوا بجبل يقال له ذات الرقاع. وقيل أيضا: إنما قيل لها ذلك، لأن الحجارة أو هنت أقدامهم، فشدوا رقاعا، فقيل لها: ذات الرقاع».

وقال السهيلى بعد ماعرض رأى ابن هشام: «وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود، وبقع بيض، كلها مرقعة برقاع مختلفة، قد سميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة، وأصح هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى، قال: خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة، ونحن ستة بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماى وسقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا».

وقال الزرقانى فى شرح المواهب بعد ماساق كلاما لايخرج عن هذا: «وهى غزوة محارب، وغزوة بنى ثعلبة، وغزوة بنى أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها بها، وغزوة الأعاجيب. لما وقع فيها من الأمور العجيبة».

(٥) فى ا: «جمعا مع غطفان».

قال ابن هشام :

حدثنا عبدالواث بن سعيد التَّنُّورى ـ وكان يكنى : أباعُبيدة[1] ـ قال حدّثنا يونس بن عُبَيد عن الحسن بن أبي الحسن عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخَوْف ، قال :

صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[2] بطائفة ركْعتين ثم سلّم ، وطائفةٌ مُقْبلون على العدو . قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أُخريين ، ثم سلّم .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث قال حدثنا أيوب عن أبي الزبير عن جابر قال :

صفّنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صفّين ، فركع بنا جميعاً ، ثم سجد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وسجد الصفّ الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلُونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصفّ الأوّل وتقدّم الصفّ الآخر حتى قامو مقامَهم ، ثم ركع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهم جميعا ، ثم سجد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسجد الذين يلُونه معه ؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سَجْدَتين .

قال ابن هشام[1] : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنّورى قال حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال :

يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدّوهم ، فيركع بهم الإمام ويَسْجد بهم ، ثم يتأخّرون فيكونون مما يلي العدو ، يتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة و يسجد بهم ، ثم تصلّى كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلّوا بأنفسهم ركعةً ركعة .

غورث وماهم به من قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدّثني عمرو بن عُبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله :

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٢) كذا فى ا . وزادت سائر الأصول : «صلاة الخوف ثم انصرف بالناس. قال ابن هشام» .

أن رجلا من بنى مُحارب ، يقال له : غَوْرَث[1] ، قال لقومه من غَطَفان ومُحارب : ألا أقتُل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالس ، وسيفُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى حِجره ، فقال : يا محمد ، أَنْظُر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم ـ وكان مُحلًى بفضة ، فيما قال ابن هشام ـ قال : فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ، ويُهم فيُكْبِته[2] الله ؛ ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يَدِى السيف ؟ قال : لا ، يَمْنعنى [الله[3]] منك . ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه . قال : فأنزل الله : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن رُومان :

أنها إنما أنزلت فى عَمْرو بن جِحاش ، أخى بنى النَّضير وما همّ به ، فالله أعلم أى ذلك كان .

جابر وقصته هو وجمله مع الرسول

قال ابن إسحاق : وحدّثنى وهب بن كَيْسان عن جابر بن عبد الله قال :

خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوة ذات الرّقاع من نخل ، على جَمل لى ضعيف ، فلما قفَل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : جعلت الرِّفاقُ[4] تمضى ، وجعلت أتخلّف ، حتى أدركنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : مالك ياجابر ؟ قال : قلت : يارسول الله ، أبطأ بى جملى هذا ؛ قال : أنخه ؛ قال : فأنختُه ، وأناخ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصاً من شَجرة ؛ قال : ففعلت . قال : فأخذها رسولُ الله صلى الله

(١) يحكى بالفتح على وزن جعفر ، كما يحكى بضم أوله . ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة ، وحكى الخطابى فيه غويرث ، بالتصغير (راجع شرح المواهب) .

(٢) يكبته الله : يذله ويقمعه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فى ا : « الرقاع » ولامعنى لها .

عليه وسلم فنَخسه بها نَخساتٍ ، ثم قال : اركب ، فركبتُ ، فخرج ، والذى بعثه بالحق ، يُواهق[1] ناقتَه مُواهقة .

قال : وتحدَّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟ قال : قلت :يارسول الله ، بل أهَبه لك ؛ قال : لا، ولكن بعْنيه ؛ قال : قلت : فسُمْنيه يارسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال : قلت : لا ، إذن ، تغبِننى يارسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقيَّة . قال : فقلت : أفقد رضيتَ يارسولَ الله ! قال : نعم ؛ قلت : فهولك ؛ قال : قد أخذته. قال : ثم قال : ياجابر ، هل تزوّجتَ بعد ؟ قال : قلت : نعم،يا رسول الله ؛ قال : أثيِّبا أم بكرا ؟ قال : قلت : لا، بل ثيِّبا ؛ قال : أفلا جارية تُلاعبها وتلاعبك ! قال : قلت : يارسول الله ، إن أبى أُصيب يوم أُحُد وترك بنات له سَبْعاً ، فنكحتُ امرأة جامعةً ، تجمع رءوسهن،وتقوم عليهن ؛ قال : أصبتَ إن شاء الله ، أما إنَّا لوقد جئنا صِرَاراً[2] أمَرْنا بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها يومَنا ذاك ، وسمعت بنا فنَفَضَتْ نمارقَها[3] . قال : قلت : والله يا رسول الله مالنا من نَمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قَدِمت فاعمل عملاً كيِّسا . قال : فلما جئْنا صراراً أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجَزور فنُحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما أمسى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دخل وَدَخَلنا ؛ قال : فحدثتُ المرأة الحديثَ ، وماقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدُونك ، فسمع[4] وطاعة . قال : فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنختُه على باب[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ثم جلستُ فى المسجد قريبا منه ؛ قال : وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : يارسول الله،هذا جمل جاء به جابر ؛ قال : فأين جابر ؟ قال : فدُعيتُ له ؛ قال :

---

(١) يواهق ناقته : يعارضها فى المشى لسرعته .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . (راجع معجم البلدان) .

(٣) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « سمع » .

(٥) فى ا : « على باب مسجد » .

فقال : يا بن أخى، خذ برأس جملك، فهو لك، ودعا بلالاً ، فقال له : اذهب بجابر، فاعطه أوقية . قال : فذهبت معه ، فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئاً يسيراً . قال : فوالله مازال يَنْمِى عندى ، و يُرى مكانه من بيتنا ، حتى أُصيب أمس فيما أُصيب لنا ، يعنى يوم الحَرّة[1] .

ابن ياسر وابن بشر وقيامهما على حراسة جيش الرسول وما أصيبا به

قال ابن إسحاق: وحدّثنى عمى صَدَقة[2] بن يَسار عن عَقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا، أتى زوجُها ، وكان غائباً ، فلما أُخبر الخبر حَلَف لا ينتهى حتى يُهَرِيق فى أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم دمًا ، فخرج يتبع أثَر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رَجل يكلؤنا[3] ليلَتنا [هذه][4] ؟ قال : فانتَدبَ رجلٌ من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ؛ قال : فكونا بفَم الشِّعب . قال : وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادى ، وهما عمّار ابن ياسر وعبّاد بن بِشْر ، فيما قال ابن هشام .

---

(١) يريد وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى ، الذى يسميه أهل المدينة : مسرف بن عقبة . وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد . ولم يوافق على هذا الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم . وكان من أمر جابر هذا ، فى هذا اليوم أنه أخذ يطوف فى أزقة المدينة، والبيوت تنتهب وهو أعمى ، وهو يعثر فى القتلى ، ويقول : تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد حديثه صلى الله عليه وسلم : من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبى. فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره مروان ، وأدخله بيته . (راجع الروض الأنف) .

(٢) صدقة هذا خزرى سكن بمكة ، وليس بعم محمد بن إسحاق . قال أبو ذر : « وقد خرجه أبو داود عن محمد بن إسحاق ولم يذكر فيه « عمى » .

(٣) يكلؤنا : يحفظنا .

(٤) زيادة عن ا .

قال ابن إسحاق :

فلما خرج الرجلان إلى فَم الشِّعب ، قال الأنصاريُّ للمهاجريّ : أيّ الليل تحب أن أكْفيكه : أوّلَه أم آخرَه ؟ قال : بل اكفنى أوّلَه ؛ قال فاضطجع المهاجرِيّ فنام ، وقام الأنصارى يصلّى ؛ قال : وأَتَى الرجل ، فلما رأى شخصَ الرجلِ عرَف أنه رَبيئة[1] القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ؛ قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائمًا ؛ قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائمًا ؛ ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ؛ قال : فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ[2] صاحبَه ، فقال : اجلس ، فقد أُثْبِتُّ[3] ؛ قال : فوثب ، فلما رآهما الرجلُ عرف أن[4] قد نَذِرا[5] به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجرىّ ما بالأنصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهببتنى أول ما رمَاك ؟ قال : كنت فى سُورة أقرؤها فلم أُحبَّ أن أقطعها حتى أُنفِدَها ، فلما تابع علىّ الرمْىَ ركعتُ فآذِنتك ، وايم الله ، لولا أن أُضيّع ثَغْرا أمرنِى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحفظه ، لقَطع نفسى قبل أن أقطَعها أو أُنفِدَها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

رجوع الرسول

قال ابن إسحاق :

ولما قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرِّقاع ، أقام بها بقية جمادَى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبًا .

---

(١) الربيئة : الطليعة الذى يحرس القوم .

(٢) أهب : أيقظ .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . وأثبت : جرحت جرحا لا يمكن التحرك معه . وفى ا : « أثبت » . وأثبت : أصبت .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أنه » .

(٥) نذرا به : علما .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

خروج الرسول

قال ابن إسحاق :

ثم خرج فى شعبان إلَى بَدْر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

استعماله ابن أبى على المدينة

قال ابن هشام :

واستعمل على المدينة عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول الأنصارىّ .

رجوع أبى سفيان فى رجاله

قال ابن إسحاق :

فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكّة حتى نزل مَجَنّة ، من ناحية الظّهران ؛ وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لايصلحكم إلاَّ عام خَصيب تَرْعون فيه الشَّجر ، وتَشْربون فيه اللبن ، وإنّ عامكم هذا عامُ جدْب ، وإنى راجعٌ ، فارجِعوا ، فرجع الناس . فسمّاهم أهْل مكة جيش السَّويق ، يقولون : إنما خرجتم تَشْرَبون السويق

الرسول ومخشى الضمرى

وأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على بَدر ينتظر أبا سُفيان لِميعاده ، فأتاه مَخْشِىُّ بن عَمْرو الضَّمْرى ، وهو الذى كان وادَعه على بنى ضَمْرة فى غزوة ودّان ، فقال : يامحمد ، أجئتَ للقاء قُريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بنى ضَمْرة ، وإن شئتَ مع ذلك رَددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ؛ قال : لا والله يا محمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

معبد وشعره فى ناقة الرسول هوت

فأقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينتظر أبا سُفيان ، فمرّ به مَعْبد بن أبى مَعْبد الخُزاعى ، فقال ، وقد رأى مكان[1] رسول الله صلى الله عليه وسلّم وناقته تهوى[2] به :

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وقد كان رسول الله . . الخ » .

(٢) تهوى : تسرع .

قد نَفَرتْ من رُفقَتَىْ مُحمَّدِ … وعَجْوةٍ من يَثْرِب كالْعَنْجَدِ [1]

تَهْوِى على دِين أبيها الأَتْلَدَ … قد جَعلَتْ ماء قُدَيْد مَوْعِدى [2]

* وماء ضَجْنانَ [3] لهـا ضُحَى الْغَدِ *

شعر لابن رواحة أو كعب فى بدر

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة فى ذلك ــ قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لـكعب بن مالك ــ :

وَعدْنا أبا سُفيان بدراً فلم نَجدْ … لميعادِه صِدْقاً وما كانَ وَافِيَا

فأُقْسِم لو وافيْتَنا فلَقيتنا … لأُبْتَ ذَمِيماً وافتقَدْتَ المَواليا [4]

تركْنا به أوصالَ عُتْبَةَ وابنَه … وعمراً أبا جَهْل تَرَكْناه ثَاوِيا [5]

عَصَيتم رسولَ الله أُفٍّ لدِينكم … وأمْرِكم السَّيْءُ الذى كان غاوِيا [6]

فإنِّى وإن عَنَّفْتمونى لقائلٌ … فِدًى لرسولِ الله أهلِى وماليا [7]

أطَعْناه لم نَعْدِلْه فينا بغَــيْرِه … شِهاباً لنا فى ظُلْمة الليل هادِيا [8]

شعر حسان فى بدر

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعُوا فَلَجاتِ الشَّام قد حال دُونها … جِلادٌ كأفواهِ المَخاضِ الأَوارِكِ [9]

بأَيْدى رِجالٍ هاجرُوا نحو ربِّهم … وأَنصاره حقًّا وأَيْدى المَلائك

إذا سلَـكتْ للغَوْرِ من بَطْنِ عالجٍ … فقُولاَ لها ليس الطَّرِيق هُنَالِك [10]

---

(1) العنجد : حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب الأسود .

(2) الدين : الدأب والعادة . والأتلد : الأقدم . وقديد : موضع قرب مكة .

(3) ضجنان (بالفتح وبالتحريك) : جبل بناحية تهامة ، وقيل على بريد من مكة . (راجع معجم البلدان) .

(4) افتقدت : فقدت . والموالى : القرابة .

(5) ثاويا : مقيما .

(6) السىء (بالتخفيف) : السيء (بالتشديد) .

(7) عنفتمونى : لمتمونى .

(8) لم نعدله : لم نر معه غيره .

(9) الفلجات . جمع فلج ، وهو الماء الجارى : سمى فلجا ، لأنه فدخ فى الأرض ، وفرق بين جانبيه . والمخاض : الحوامل من الإبل . والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر .

(10) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : مكان فيه رمل كثير .

أَقَمْنا على الرَّسِّ النَّزُوعِ ثَمَانِيًا ... بأَرْعَنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ المَبارِكِ[1]
بكلّ كُمَيتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِه ... وقُبٍّ طِوالٍ مُشْرِفاتِ الحَوارِكِ[2]
تَرَى العَرْفَجَ العامِيَّ تَذْرِى أُصُولَه ... مَناسِمُ أَخْفافِ المَطِيِّ الرَّوَاتِكِ[3]
فإنْ نَلْقَ فى تَطْوافِنا والتِماسِنا ... فُراتَ بنَ حَيّانَ يَكُنْ رَهْنَ هالِكِ
وإنْ تَلْقَ قَيْسَ بنَ امرئِ القَيْسِ بَعْدَه ... يُزَدْ فى سَوادٍ لونُه لونُ حالِكِ[4]
فأَبْلغْ أَبا سُفْيانَ عنِّى رِسالةً ... فإنك مَنْ غُرِّ الرِّجالِ الصَّعالِكِ[5]

شعر أبى سفيان فى الرد على حسان

فأجابه أبو سفيان بنِ الحارث بن عبد المطلب، فقال:

أَحسّانُ إنّا يابنَ آكِلَةِ الفَغَا ... وجَدِّكَ نَغْتالُ الخُرُوقَ كذلكِ[6]
خَرَجْنا وما تَنْجُو اليَعافِيرُ بَيْنَنا ... ولو وَأَلَتْ مِنّا بِشَدٍّ مُدارِكِ[7]
إذا ما انبَعَثْنا من مُناخٍ حَسِبْتَه ... مُدَمَّنَ أَهْلِ المَوْسِمِ المُتَعارِكِ[8]

---

(1) الرس: البئر. والنزوع: التى يخرج ماؤها بالأيدى. والأرعن: الجيش الكثير الذى له أتباع وفضول.

(2) الكميت: الفرس. وجوزه: وسطه، ويريد بطنه. وقب: جمع أقب، وهو الضامر. والحوارك: جمع حارك، وهو أعلى الكتفين من الفرس.

(3) العرفج: نبات. والعامى: الذى أتى عليه العام. وتذرى أصوله: تقلعها وتطرحها. ومناسم: جمع منسم، وهو طرف خف البعير. والرواتك: المسرعة.

(4) الحالك: الشديد السواد.

(5) الغر: البيض. والصعالك: جمع صعلوك، وأصله: الصعاليك، حذفت ياؤه لإقامة الوزن، وهو الفقير الذى لامال له.

(6) الفغا: التمر؛ وقيل: هو غبرة تعلو التمر قبل أن يطيب. قال أبو ذر: يريد أنهم أهل نخيل وتمر. ونغتال: نقطع. والخروق: جمع خرق، وهو الفلاة الواسعة.

(7) اليعافير: جمع يعفور، وهو ولد الظبية، يريد أنهم لكثرتهم لاتنجو معهم الظباء. ووألت: اعتصمت ولجأت، يقال: وألت إلى الجبل، أى اعتصمت به، ومنه: الموئل، وهو الملجأ. والشد: الجرى. والمدارك: المتتابع.

(8) المدمن: الموضع الذى ينزلون فيه فيتركون به الدمن، أى آثار الدواب والإبل، وأرواثها وبعارها. وأهل الموسم، أى جماعة الحجاج؛ وكل مكان كانت العرب تجتمع فيه فهو موسم، إذا كان ذلك عادة منهم فى ذلك المكان، كسوق عكاظ وذى المجاز وأشباههما. والمتعارك: الذى يزدحم فيه الناس.

أقمتَ على الرسِّ النَّزوعِ تُريدنا ... وتَتْركنا فى النَّخْلِ عنْدَ المَدَارِكِ[1]

على الزَّرْعِ تَمْشى خَيْلُنا ورِكابُنا ... فَما وَطِئَتْ أَلْصَقْنه بالدَّكادِكِ[2]

أقمْنا ثلاثًا بين سَلْعٍ وفارِعٍ ... بِجُرْدِ الجِيَادِ والمَطِيّ الرَّوَاتِكِ[3]

حَسِبتُم جِلَادَ القَوْمِ عند قِبابِهم ... كَمأْخَذِكم بالعين أَرْطَالَ آنُكِ[4]

فلا تَبْعَثِ[5] الخيلَ الجِيَادَ وقُلْ لَها ... على نَحْوِ قولِ المُعْصِمِ المُتَمَاسِكِ[6]

سَعِدْتم بها وغَيْرُكم كان أهلَها[7] ... فوارسُ من أبناءِ فِهرِ بنِ مَالِكِ

فإنكَ لا فى هجرةٍ إن ذَكَرْتَها ... ولا حُرُمَاتِ الدينِ أنتَ بناسِكِ[8]

قال ابن هشام :

بقيت منها أبيات تركناها ، لقُبح اختلاف قوافيها . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى هذا البيت :

* خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا *

والبيت الذى بعده لحسّان بن ثابت فى قوله :

* دعُوا فَلَجات الشأمِ قد حال دونها *

وأنشدنى له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

---

(1) الرس النزوع : البئر التى ينزع ماؤها بالأيدى . والمدارك : المواضع القريبة . ويروى : « المبارك » .

(2) الدكادك : جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .

(3) سلع وفارع : جبلان . والرواتك : المسرعة .

(4) كذا فى ا . قال أبو ذر : « العين (هنا) : المال الحاضر . والعين (أيضا) : الدر ، وكلاهما يصلح ها هنا » . وفى سائر الأصول : « العير » . قال أبو ذر : « ومن رواه « بالعير » فالعير : الرفقة من الإبل . والآنك : القزدير .

(5) فى ا : « لاتنعت » .

(6) المعتصم : المستمسك بالشيء .

(7) قال السهيلى : «وفى حاشية الشيخ : شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها» .

(8) كذا فى أكثر الأصول . والناسك : المتبع لمعالم دينه وشرائعه . ويروى « ناسكى » منسوبا ، وخففت الياء للقافية . ورواية الشطر الثانى فى ا : * ولا حرمات دينها أنت ناسك *

غزوة دومة الجندل

في شهر ربيع الأول سنة خمس

موعدها

قال ابن إسحاق :

ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، فأقام بها أشهرا ، حتى مضى ذو الحِجة ، وولى تلك الحِجّة المُشركون ، وهى سنة أربع من مَقْدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة . ثم غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم دُومة الجَنْدل[1] .

استعمال ابن عرفطة على المدينة

قال ابنُ هشام :

فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغِفارى .

قال ابن إسحاق :

رجوع الرسول

ثم رجَع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يصل إليها ، ولم يَلْق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

غزوة الخَندق[2]

فى شوال سنة خمس

تاريخها :

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق المطّلبى ، قال :

ثم كانت غزوة الخَنْدق فى شوال سنة خمس[3] .

---

(١) دومة (بضم الدال وتفتح) من أعمال المدينة ، وبينها وبينها خمس عشرة ليلة ، سميت بدومى بن إسماعيل ، كان نزلها . (راجع الروض ومعجم البلدان وشرح المواهب) .

(٢) بهذه الغزوة يبتدى الجزء الرابع عشر من أجزاء السيرة .

(٣) قال الزرقانى : « واختلف فى تاريخها ، فقال موسى بن عقبة فى مغازيه التى شهد مالك والشافعى بأنها أصح المغازى ، كانت سنة أربع . قال الحافظ : وتابعه على ذلك الإمام مالك » .

تحريض اليهود لقريش وما نزل فيهم

فحدّثنى يزيد بن رُومان مولى آل الزّبير بن عُروة بن الزبير ، ومَنْ لا أتّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، ومحمد بن كَعْب القرظىّ ، والزُّهْرى ، وعاصم بن عمر ابن قَتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث مالا يحدّث به[1] بعض ، قالوا :

إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلاّم ابن أبى الحُقيق النَّضَرى[2] وحُيى بن أَخْطب النَّضرى ، وكِنَانة[3] ابن أبى الحُقيق النَّضَرى ، وهَوْذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمّار الوائلى ، فى نفر من بنى النَّضير ، ونَفَر من بنى وائل ، وهُمُ الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، خرجوا حتى قَدِموا على قُريش مكّةَ ، فدعوهم إلى حرب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نَسْتأصله ؛ فقالت لهم قُريش : يامعشر يهود ، إنكم أهل الكِتاب الأول والعلِم بما أصْبحنا نَخْتلف فيه نحن ومحمد ، أفدِينُنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دِينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق [منه][4] . فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ[5] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً» إلى قوله تعالى : «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ » أى النبوة[1] « فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً » .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) قال السهيلى : « ونسب طائفة من بنى النضير ، فقال فيهم : النضرى ، وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه : النضيرى ، إلا أن يكون من باب قولهم : ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس » .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى » .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) الجبت والطاغوت : كل مايعبد من دون الله .

تحريض اليهود لغطفان

قال[1] :

فلما قالوا ذلك لقُريش ، سرّهم ونَشِطوا لما دَعَوْهم إليه ، من حَرْب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له . ثم خرج أولئك النّفر من يَهودَ ، حتى جاءوا غَطفان ، من قيس عيلان ، فدَعَوْهم إلى حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأخْبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحاق :

فخرجت قريش ،وقائدُها أبو سُفيان بن حَرْب؛ وخرجت غَطَفان ، وقائدها عُيَينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر[2] ، فى بنى فَزارة ؛ والحارث بن عَوْف ابن أبى حارثة المُرّى ، فى بنى مُرّة ؛ ومِسْعر بن رُخَيلة بن نُويرة بن طَرِيف ابن سُحْمة بن عبد الله بن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْثَ بن غَطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشْجع .

حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضَرب الخَنْدَق عَلَى المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْغيباً للمسلمين فى الأجر ، وعَمِل معه المسلمون فيه ، فَدأب فيه ودَأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عماهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرّون[3] بالضّعيف من العمل ، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن . وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابتْه النائبة ، من الحاجة التى لابد له منها ،يذكر ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم،

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) كان اسم عيينة بن حصن : حذيفة ، وسمى عيينة،لشتر كان بعينه . أسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيرا ، فأتى به أبو بكر رضى الله عنه فمن عليه ، ولم يزل مظهرا الإسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة أعرابيته حتى مات .وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم: الأحمق المطاع ، لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة . (راجع الروض وشرح المواهب) .

(٣) يورون : يستترون .

ويستأذنه فى اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبةً فى الخير، واحتساباً له.

ما نزل فى العاملين فى الخندق مؤمنين ومنافقين

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ». فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحِسْبة والرغبة فى الخير، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالى، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبىّ صلى الله عليه وسلّم: « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ».

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام:

اللواذ: الاستتار بالشىء عند الهرب، قال حسّان بن ثابت:

وقُرَيش تَفِرُّ مِنَّا لِواذًا   أن يُقيموا وخَفّ منها الحُلومُ

وهذا البيت فى قصيدة له، قد ذكرتها فى أشعار يوم أُحد.

« أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ».

قال ابن إسحاق: من صدق أو كذب.

« وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ».

قال ابن إسحاق:

ارتجاز المسلمين فى حفر الخندق

وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعَيل، سمّاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: عَمراً، فقالوا:

سَمّاه مِنْ بعــد جُعَيل عَمْرَا   وكان للبائس يومًا ظَهْرَا[1]

فإذا[2] مروا «بعَمرو» قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: عمراً، و إذا مروا «بظَهْر» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ظهرا[3].

ماظهر من المعجزات

قال ابن إسحاق:

وكان فى حفر الخندق أحاديثُ بلَغتنى، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق نبوّته، عاين ذلك المسلمون.

معجزة الكدية

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدّث:

أنه اشتدّت عليهم فى بعض الخَنْدق كُدية، فشكَوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء من ماء، فتَفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يَدْعو به، ثم نَضَحَ ذلك الماء على تلك الكُدْية؛ فيقول من حَضرها: فوالذى بَعثه بالحق نبيًّا، لانهالت[4] حتى عادت كالكَثِيب، لا تردّ فأساً ولا مِسْحاة.

البركة فى تمر ابنة بشير

قال ابن إسحاق: وحدّثنى سَعيد بن مِينا أنه حُدث:

أن ابنة لبَشِير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتنى أمّى عَمْرة بنتُ رَوَاحة، فأعطَتنى حَفنة من تمر فى ثَوْبى، ثم قالت: أى بُنَيّة، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رَوَاحة بِغَدائهما. قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى؛ فقال: تعالى يا بُنية، ما هذا معك؟ قالت: فقلت: يارسول الله، هذا تمر، بعثتْنى به أمى إلى أبى بَشِير بن سعد، وخالى

---

(1) الظهر: القوة والمعونة. والضمير فى «سماه» و «كان» للنبى صلى الله عليه وسلم. قال أبو ذر: «وقد يجوز فيه وجه ثان، وهو أن يكون الظهر (هنا): الإبل، فيكون البيت على وجه آخر، تقديره: وكان المال للبائس يوما ظهرا؛ فأضمر اسم كان وإن لم يتقدم مايفسره، لأن مساق الكلام يدل عليه، كما قالوا: إذا كان غداً فأتنى، أى إذا كان اليوم غدا».

(2) زادت ا بعد هذا البيت: «فى كتاب ابن إسحاق ظهرا».

(3) أى قال معهم آخره أيضا، فكانوا يرتجزون هذا الشعر، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول معهم أواخر أبياته.

(4) انهالت: تفتتت.

عبدالله بن رَوَاحة يتغدّيانه ؛ قال: هاتيه ؛ قالت: فصَبَبْته فى كَفّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسط له ، ثم دعا بالتمر عليه، فتبدّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق : أن هَلُمّ إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعلَ يزيد ، حتى صَدر أهل الخَنْدق عنه ، و إنه ليسقُط من أطراف الثوب .

البركة فى طعام جابر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى سَعِيد بن مينا عن جابر بن عبد الله قال :

عملنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الخَندق ، فكانت عندى شُوَيهة، غير جِدّ سَمِينة[1] . قال : فقلت : والله لو صَنَعناها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : فأمرت امرأتى ، فطحنت لنا شيئاً من شَعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذَبحت تلك الشاة ، فَشوَيناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمْسَينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ـ قال : وكنا نعمل فيه نهارَنا ، فإذا أمْسينا رَجعنا إلى أهَالينا ـ قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد صنعت لك شُوَيهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشَّعير، فأُحب أن تَنْصرف معى إلى منزلى ، و إنما أُريد أن يَنْصَرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدَه . قال : فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرَخ : أن انصرفوا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم إلى بيت جابر ابن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله و إنا إليـــه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس رأخرجناها إليه. قال : فبرك وسمّى [الله][2] ، ثم أكل ، وتوارَدها الناس ، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها .

---

(١) غير جد سمينة : غير كاملة السمن .
(٢) زيادة عن ا .

ما أرى الله رسوله من الفتح

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت عن سَلْمان الفارسيّ أنه قال:

ضربت فى ناحية من الخندق، فغلُظت علىّ صخرةٌ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب منى، فلما رآنى أضرب ورأى شدّةَ المكان علىّ، نزل فأخذ المِعْول من يدى، فضرب به ضربةً لَمَعَت تحت المِعْول برقةٌ؛ قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلَمعت تحته برقة أخرى؛ قال: ثم ضرب به الثالثة، فلَمعت تحته برقةأخرى. قال: قلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله! ما هذا الذى رأيتُ لَمَع تحت المِعول وأنت تضرب؟ قال: أوَقَد رأيت ذلك ياسَلْمان؟ قال: قلت: نعم؛ قال: أما الأولى فإن الله فَتَحَ علىّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح علىّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق.

قال ابن إسحاق: وحدّثنى من لاأتهم عن أبى هُريرة أنه كان يقول، حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده:

افتحوا مابدا لكم، فوالذى نفسُ أبى هريرة بيده، ماافتتحتم من مدينة ولا تَفْتَتِحونها إلى يوم القيامة، إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلّى الله عليه وسلّم مفاتيحَها قبل ذلك.

نزول قريش المدينة

قال ابن إسحاق:

ولمّا فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم من الخندق، أقْبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة، بين الجُرُف وزُغابة[1] فى عشرة آلاف من أحابيشهم،

(١) قال أبو ذر: «كذا وقع هنا بالزاء مفتوحة. ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد، وكذلك رواه الوقشى».

وقال السهيلى: «زغابة: اسم موضع، بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة. وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة، بضم الزاى والعين المهملة. وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث: بين الجرف والغابة، واختار هذه الرواية، وقال: لأن زغابة لاتعرف. قال السهيلى: والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال زغابة، بالغين المنقوطة، لأن فى الحديث المسند أنه عليه السلام قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى، فكافأه بست بكرات، فلم يرض، فقال عليه السلام: ألا تعجبون لهذا الأعرابى: أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها كما أعرف بعض أهلى، ذهبت منى يوم زغابة، وقد كافأته بست فسخط».

ومَنْ تَبِعهم من بَنى كِنانة وأهلِ تِهامة ، وأقبلت غَطَفَان ومَنْ تَبِعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنب نَقْمَى ، إلى جانب أُحد . وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون،حتى جعلوا ظُهورهم إلى سَلْع (١) ،فى ثلاثة آلاف من المسلمين؛فضرب هنالك عَسْكَره ، والخَنْدق بينه وبين القوم .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن هشام :

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم .

قال ابن إسحاق :

وأمر بالذَّرارىّ والنساء فجُعلوا فى الآطام (٢) .

[قال] (٣) :

حمل حيي كعبا على نقض عهده للرسول

وخرج عدوّ الله حُيَىُّ بن أَخْطب النَّضْرى حتى أتى كَعْبَ بن أسد القُرَظى ، صاحبِ عَقْد بنى قُريظة وعَهْدهم ، وكان قد وادَعَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ، فلما سمع كَعْب بحُيى بن أخطب أَغْلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيى : ويحك يا كعب ! افتح لى ؛ قال : ويحك ياحُيى ! إنك امرؤٌ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلستُ بناقضٍ مابينى وبينه ، ولم أرَ منه إلاوفاء وصِدْقا ؛ قال : ويحك ! افتح لى أكلّمك ؛ قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك (٤) أن آكل معك منها (٥) ؛ فأحفظ (٦) الرجلَ ، ففتح له ؛ فقال :

---

(١) سلع : جبل بالمدينة .

(٢) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش ، وهو البر يطحن غليظاً ، وهو الذى تقول له العامة : « دشيش » بالدال، والصواب الجيم .

(٥) كذا وردت هذه العبارة فى ا . ونصها فى سائر الأصول : « إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل منها معك » .

(٦) أحفظه : أغضبه .

ويحك يا كعب ! جئتُك بعزّ الدهر وببَحْر طام[1] ، جئتك بقُريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلْتهم بمُجتمع الأسيال من رُومة ؛ وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقْمى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يَبْرحوا حتى نَسْتأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذُلّ الدهر ، وبجَهام[2] قد هَرَاق ماءه ، فهو يَرْعد ويبرق ، ليس فيه شىء ، ويحك ياحُيى ! فدَعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا صدقاً ووفاء . فلم يزل حُيى بكعب يَفتِله فى الذّروة والغارب[3] ، حتى سَمح له ، على أن أَعْطاه عهداً [من الله][4] وميثاقاً : لئن رجعتْ قريش وغَطفان ولم يُصِيبوا محمداً أن أدخلَ معك فى حِصنك حتى يُصيبنى ما أصابك . فنَقض كعبُ بن أسد عهدَه، وَبَرِئَ مما كان بينه وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

تحرى الرسول عن نقض كعب للعهد

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سعدَ بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيّد الأوس ، وسعدَ بن عُبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبــــدُ الله بن رَواحة ، أخو بنى الحارث ابن الخزرج[5] ، وخَوّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحقٌ مابلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقّا فالحنوا لى لحنا[6] أعرفه ، ولا تَفُتّوا فى أَعْضاد الناس[7] ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهرُوا به للناس . قال: فخرجوا حتى أتوهم ، فوَجدوهم على أَخْبث مابلغهم عنهم ،

---

(١) طام : مرتفع ؛ ويريد كثرة الرجال .
(٢) الجهام : السحاب الرقيق الذى لاماء فيه .
(٣) هذا مثل ، وأصله فى البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القرادة من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة ، فيأنس عند ذلك . فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة
(٤) زيادة عن ا .
(٥) فى ا : « أخو بنى الخزرج » .
(٦) اللحن : اللغز ، وهو أنه يخالف ظاهر الكلام معناه .
(٧) يقال : فت فى عضده ، إذا أضعفه وأوهنه .

[فيها[1]] نالوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعدُ بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ؛ فقال له سعد بنُ عبادة : دع عنك مُشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أرْبى[2] من المشاتمة . ثم أقبل سَعدٌ وسعدٌ ومن معهما ، إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسلّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقَارَة ؛ أى : كغدر عَضَل والقارة بأصحاب الرجيع، خُبَيب وأصحابه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر ، أبشروا يامعشر المسلمين .

[قال][1] :

ماعم المسلمين من الخوف وظهور نفاق المنافقين

وعظم عند ذلك البلاء ، واشـــتدّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فَوقهم ومن أسفلَ منهم، حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظَن ، ونَجَمَ النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحَدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

رأى ابن هشام فى نفاق معتب

قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم :

أن مُعتِّب بن قُشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق :

وحتى قال أوس بن قَيْظِيّ ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرة من العدوّ ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرْجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شَهْر، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيَا[3] بالنبل والحِصار .

قال ابن هشام : ويقال الرِّمْيا .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) أربى : أعظم .

(٣) الرميا (بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء) : المراماة .

فلما اشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مُسلم بن عبيد[1] الله بن شهاب الزهرى، إلى عيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف ابن أبى حارثة المُرّى، وهما قائدا غَطَفان، فأعطاهما ثُلث ثِمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكِتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح، إلا المُراوضة فى ذلك. فلما أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يفعل، بعث إلى سَعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه؛ فقالا له: يارسول الله، أمراً تُحبه فنَصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لابد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شىء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العَرب قد رَمَتْكم عن قَوْس واحدة، وكالبوكم[2] من كلّ جانب، فأردت أن أكْسِر عنكم من شَوْكتهم إلى أمرٍ ما؛ فقال له سَعْد بن مُعاذ: يا رسول الله، قد كُنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعِبادة الأوثان، لانعبد الله ولا نعرفه، وهم لايَطْمعُون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى[3] أو بيعا، أفَحِين أكْرمنا الله بالإسلام وهدَانا له وأعزّنا بك وبه، نُعْطِيهمْ أموالَنا! [والله][4] مالنا بهذا مِنْ حاجة، والله لانُعْطيهم إلا السَّيف حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم؛ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: فأنت وذاك. فتناول سعد بن مُعاذ الصَّحيفة، فمحا ما فيها من الكِتاب، ثم قال: لِيَجْهدوا علينا.

هم الرسول بعقد صلح بينه وبين غطفان ثم عدل

قال ابن إسحاق:

عبور نفر من المشركين الخندق

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون، وعدّوهم محاصروهم، ولم

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «عبد الله».
(٢) كالبوكم: اشتدوا عليكم.
(٣) القرى: مايصنع للضيف من الطعام.
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى ا.

يكن بينهم قِتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عَبْد وُدّ بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لؤي .

ـ قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس ـ

قال ابن إسحاق:

وعِكْرِمة بن أبي جهل، وهُبَيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضِرَار بن الخطّاب الشاعر[1] ابن مرداس، أخو بني محارب بن فهر، تلبّسوا لِلقتال، ثم خرجوا على خَيْلهم، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة، فقالوا: تهيئوا يا بني كنانة للحرب[2]، فستعلمون مَن الفُرسان اليوم. ثم أقبلوا تُعْنِق[3] بهم خيلُهم، حتى وقفوا على الخَنْدق، فلما رَأوه قالوا: والله إن هذه لَمَكيدة ما كانت العربُ تَكيدها.

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام.

يقال إن سَلمان الفارسيّ أشار به على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وحدّثني[4] بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سَلمان منّا؛ وقالت الأنصار: سلمان منا؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: سلمان منا أهلَ البيت .

قتل على لعمرو بن عبد ود وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق:

ثم تيمموا مكاناً ضيّقاً من الخنْدق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السَّبخة بين الخندق وَسلْع، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثَّغرة[5] التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبَتته الجراحة، فلم يَشْهد يوم أُحد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِما[6] ليرى مكانه .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة في ا .
(٢) في ا: « للقتال » .
(٣) تعنق: تسرع .
(٤) زادت م، ر قبل هذه الكلمة: « قال ابن هشام » .
(٥) الثغرة: الثلم الذي كان هناك في الخندق .
(٦) المعلم: الذي جعل له علامة يعرف بها .

فلما وقف هو وخَيْله ، قال : من يبارز ؟ فبرز له علىّ بن أبى طالب ، فقال له: ياعمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألايدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَلّتين إلا أخذتَها منه : قال له : أَجَل ؛ قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله، و إلى رسوله، و إلى الإسلام ؛ قال : لاحاجة لى بذلك ؛ قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال ؛ فقال له : لمَ يابن أخى ؟ فوالله ماأحبّ أن أقتلك ، قال له علىّ : لـكنى والله أحبّ أن أقتلك ؛ فحَمِى[1] عمرو عند ذلك ، فاقتحَم عن فرسه ، فَعقره ، وضَرب وجْهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ رضى الله عنـه[2] . وخرجت خيلهم مُنْهزمة ، حتى اقتحمت من الخَندق هاربةً .

قال ابن إسحاق :

وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نَصَر الحِجارةَ من سَفاهةِ رأيِهِ ... وَنَصَرْتُ ربَّ محمدٍ بصَوابِى[3]
فصَددت حين تَرَكْته متجَدّلا ... كالجِذْع بين دَكادِكٍ ورَوابى[4]
وعَففت عن أثوابِهِ ولو أننى ... كنتُ المُقطَّر بَزّنى أثوابى[5]
لاتَحْسِبُنَّ الله خاذل دِينـــه ... ونَبيِّـــه يا مَعْشر الأحْزاب

قال ابن هشام :

وأكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعلى بن أبى طالب .

---

(١) حمى : اشتد غضبه .

(٢) ساق السهيلي هذه القصة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائى بزيادة عما هنا ، نكتفى بالإشارة إليها (راجع الروض ج ٢ ص ١٩١) .

(٣) الحجارة (هنا) : الأنصاب التى كانوا يعبدونها ويذبحون لهـا .

(٤) متجدلا : لاصقا بالأرض . والجذع : فرع النخلة . والدكادك : جمع دكداك ، وهو الرمل اللين. والروابى : جمع رابية ، وهى الـكدية المرتفعة .

(٥) المقطر : الذى ألقى على أحد قطريه ، أى جنبيه . والقطر . الجانب ؛ يقال : طعنه فقطره ، أى ألقاه على أحد جنبيه . وبزنى : سلبني وجردنى .

شعر حسان في فرار عكرمة

قال ابن إسحاق[1] :

وألقى عِكْرمة بن أبى جهل رُمْحَه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ؛ فقال حسان ابن ثابت فى ذلك :

فرَّ وألقَى لنا رُمْحَه لعلّك عِكْرِمَ لَم تَفعلِ
ووَلّيْتَ تَعْدُو كعَدْو الظليـــم[2] مااِنْ تَجُور[3] عن المَعْدِلِ
ولم تلق ظهرَك[4] مُسْتأنِسا كأن قَفاك قفا فُرْعُلِ

قال ابن هشام :

الفُرعل : صغير الضباع . وهذه الأبيات فى أبيات له .

شعار المسلمين يوم الخندق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة : حَم ، لايُنْصرون :

شأن سعد ابن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدّثنى أبو ليلى عبد الله بن سَهل بن عبد الرحمن ابن سهل[5] الأنصارى ، أخو بنى حارثة :

أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحْرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن مُعاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة ، وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب : فمرّ سعد وعليه درع له مُقلَّصة[6] ، قد خرجت منها ذراعه كلّها ، وفى يده حربته يرقد[7] بها ويقول :

لَبِّثْ قَليلاً يَشهدِ الهَيْجا حَمَل لاَ بأْس بالمَوت إذا حانَ الأَجَل[8]

[قال] فقالت له أمه : الحق ، أى ابنى ، فقد والله أخّرت ؛ قالت عائشة : فقلت

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام » .
(2) الظليم : ذكر النعام .
(3) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تحور » بالحاء المهملة .
(4) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ولم تلو » .
(5) هذه الكلمة ساقطة فى ا .
(6) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ، يقال : تقلص الشىء ، إذا ارتفع وانقبض .
(7) كذا فى ا . ويرقد : يسرع . وفى سائر الأصول « يرقل » .
(8) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « جمل : اسم رجل . « وهذا الرجز قديم تمثل به سعد » . وفى الروض : « حمل » بالحاء المهملة ، قال السهيلى : « هو بيت تمثل به ، يعنى به حمل ابن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب بن عليم بن جناب الكلبى » .

لها : يا أم سعد ، والله لودِدْت أن دِرْع سعد كانت أسبغ[1] مما هي ؛ قالت : وخِفْت عليه حيث أصاب السهمُ منه ؛ فرُمِي سعدُ بنُ معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل[2] ، رماه ، كما حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حِبّان[3] بن قيس ابن العَرِقة[4] ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، فلما أصابه ، قال : خُذْها منى وأنا ابن العرِقة ؛ فقال له سعد : عرّق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحبّ إلى أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة، ولا تُمِتنى حتى تَقَرّ عينى من بنى قُرَيظة .

شعر لأسامة يدل على أنه قاتل سعد

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول :

ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجُشَمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعراً[5] لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرمَ هلاّ لُمْتنى إذ تقول لى ... فداك بآطام المدينــــة خالدُ[6]
ألستُ الذى ألزمتُ سعداً مُرِشّةً[7] ... لها بين أثناء المَرافِق عاندُ[8]
قضى نَحْبه منها سعيد فأعْوَلت ... عليه مع الشُّمْط العَذارَى النَّوَاهِدُ[9]
وأنت الذى دافعت عنه وقد دَعا ... عُبيدة جمعاً منهمُ إذ يُكابد

---

(1) أسبغ : أكمل .
(2) الأكحل : عرق فى الذراع .
(3) قال السهيلى : «حبان : هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى» .
(4) العرقة : هى قلابة بنت سعد بن سعد بن سهم ، وتكنى أم فاطمة ، وسميت العرقة لطيب ريحها ، وهى جدة خديجة ، أم أمها هالة . (راجع الروض) .
(5) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال لعكرمة ... الخ » .
(6) الأطام : الحصون والقصور ؛ الواحد : أطم .
(7) كذا فى ا . ومرشة : يعنى رمية أصابته فأطارت رشاش الدم منه . وفى سائر الأصول : « مريشة » .
(8) العاند : العرق الذى لا ينقطع منه الدم .
(9) النحب : الأصل . وأعولت : بكت بصوت مرتفع . والشمط : جمع شمطاء ، وهى التى خالط شعرها الشيب . والعذارى : الأبكار . والنواهد : جمع ناهد ، وهى التى ظهر نهدها .

على حِينِ ما هُم جائرٌ عن طَرِيقه ... وآخر مَرْغُوبٌ عن القَصْدِ قاصِدِ (1)

[والله أعلم أي ذلك كان] (2)

قاتل سعد في رأى ابن هشام

قال ابن هشام :

ويقال : إن الذي رمى سعداً خَفَاجة بن عاصم بن حِبّان .

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عباد قال :

صفية وحسان وما ذكرته عن جبنه

كانت صفيّة بنت عبدالمطلب في فارِع ، حِصْن حسّان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصّبيان . قالت صفية : فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطِيفُ بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة ، وقطعت ما بينها و بين رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وليس بيننا و بينهم أحد يَدْفع عنا ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون في نحور عدوّهم ، لايَسْتطيعون أن يَنْصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهوديّ كما ترى يُطِيفُ بالحصن ، و إني والله ما آمنه أن يَدُل على عَوْرتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شُغِل عنّا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يَغْفِر الله لك يابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا ؛ قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت (3) ثم أخذت عَمودا ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه ، فضربتُه بالعَمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحِصْن ، فقلت : ياحسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يَمْنعني من سلبِهِ إلا أنه رَجل ؛ قال : مالي بسَلَبه من حاجة يابنة عبد المطلب (4) .

---

(1) المرعوب : الفـزع . قال أبو ذر : من رواه مرغوب ، بالغـين المعجمة ، فمعناه : رغب عن القصد ، أى تركه ، وهو على معنى النسب ، أى ذو رغبة » .

(2) زيادة عن ا .

(3) احتجزت : شددت وسطى . قال أبوذر : «ومن رواه : اعتجرت ، فمعناه : شددت معجرى » .

(4) قال السهيلي : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جبانا شديد الجبن . وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، وقال : لو صح هذا ==

شأن نعيم فى تخذيل المشركين عن المسلمين

قال ابن إسحاق :

وأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشّدة ، لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم .

[قال][1] : ثم إن نُعيم بن مَسْعود بن عامر بن أُنيف بن ثعلبة بن قُنْفد ابن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان ، أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمتُ ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمُرْنى بما شئْت ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ، فَخَذِّل عنا[2] إن استطعت ، فإن الحَرب خُدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُريظة ، وكان لهم نديمًا فى الجاهلية ، فقال : يابنى قُريظة ، قد عَرفتم ودّى إياكم ، وخاصَّة مابينى وبينكم ؛ قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتّهم ؛ فقال لهم : إن قريشاً وَغَطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لاتقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغَطفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهُم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهزة[3] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم وخلوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقَة لكم به إن خَلاَ بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهنًا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم

= لهجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ماتأول عليه . وممن أنكر أن يكون هذا صحيحا أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له » .

وعقب على هذا الحديث أبو ذر أيضا بما لا يخرج عما ذكره السهيلى .

وقال الزرقانى بعد ماساق رأى أبى عمر فى الدرر ، واستبعاده هذا على حسان : « وإنما كان أولى ، لأن ابن إسحاق لم يتفرد به ، بل جاء بسند متصل حسن كما علم ، فاعتضد حديثه ، وقد قال ابن السراج : سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة ، لأنه شاعره صلى الله عليه وسلم » .

(1) زيادة عن ا .

(2) خذل عنا : ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا .

(3) النهزة : انتهاز الشىء واختلاسه .

محمداً ، حتى تُناجزوه ؛ فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قُريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرَفتم ودّى لكم وفِراقى محمداً ، وإنه قد بَلغنى أمرٌ قد رأيت علىّ حقًّا أن أبلغكموه ، نُصْحاً لكم ، فاكتموا عَنى ؛ فقالوا : نفعل ؛ قال : تعلَّموا أن معشر يهود قد نَدِموا على ماصَنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد نَدِمنا على مافَعلنا ، فهل يُرضيك أن نأخذ لك من القَبيلتين ، من قُريش وغَطفان ، رجالا مِن أشْرافهم ، فنُعطيكهم ، فتضربَ أعناقهم ، ثم نكون معك على من بَقِى منهم حتى نَسْتأْصِلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُناً من رجالِكم فلا تَدْفعوا إليهم مِنْكم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غَطفان ، فقال : يامعشر غَطفان ، إنكم أَصْلِي وعَشيرتى ، وأحبّ الناس إلىّ ، ولا أُراكم تتّهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم ؛ قال : فاكتموا عنى ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك؟[1] ثم قال لهم مثلَ ماقال لقريش ، وحذّرهم ماحذرهم .

دبيب الفرقة بين المشركين

فلما كانت ليلة السَّبت من شوّال سنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله صلّى الله عليه وسلّم أن[2] أرسل أبو سفيان بن حَرْب ورءوس غَطفان إلى بنى قُريظة عِكرمةَ بن أبى جهل ، فى نَفر من قريش وغَطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدارِ مُقام ، قد هَلك الخفّ والحافر[3] ، فاغدُوا لِلقتال حتى نُناجز محمدا ، ونَفرغ مما بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو [يوم[4]]

---

(١) هذه العبارة « فما أمرك » ساقطة فى ا .

(٢) فى ا : « أنه » .

(٣) يريد « بالخف » : الإبل ، و « بالحافر » : الخيل .

(٤) زيادة عن ا .

لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدثَ فيه بعضُنا حدثاً ، فأصابه ما لم يخفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمدا حتى تُعطونا رُهُنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضَرّستكم[1] الحرب ، واشتدّ عليكم القتال أن تَنْشمروا[2] إلى بلادكم وتَتْركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرُّسُل بما قالت بنو قُريظة ، قالتْ قريش وغَطفان : والله إن الذى حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ ، فأرسِلوا إلى بنى قُريظة : إنا والله لا نَدفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تُريدون القتال فاخرُجوا فقَاتلوا ؛ فقالت بنو قُريظة ، حين انتهت الرسلُ إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نُعيم ابن مَسْعود لحَقّ ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غيرَ ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلّوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم ، فأرسِلوا إلى قريش وغَطفان : إنا والله لا نُقاتل معكم محمدا[3] حتى تُعْطونا رُهنا ؛ فأبوا عليهم ، وخذّل الله بينهم ، و بعث الله عليهم الرِّيح فى ليال شاتِية باردة شديدة البرد ، فَجعلتَ تَكْفأ[4] قدورَهم ، وتطرح أبنيتهم[5] .

أرسل الرسول حذيفة ليتعرف ما حل بالمشركين

[قال[6]] :

فلما انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم ، وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليَمان ، فبَعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق :

فحدّثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظى قال :

قال رجل من أهل الكُوفة لحُذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله صلّى الله وسلّم وصَحِبتموه ؟ قال : نعم ، يابن أخى ؛ قال : فكيف كنتم

(١) ضرستكم الحرب : نالت منكم ، كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه .
(٢) أن تنشمروا : أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .
(٣) هذه الكلمة « محمدا » ساقطة فى ا .
(٤) تكفأ قدورهم : تميلها وتقلبها .
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « آنيتهم » .
(٦) زيادة عن ا .

تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهَد ؛ قال . فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ، ولَحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخى ، والله لقد رأيتُنا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هُوِيًّا[1] من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع ـ يشرط له رسول الله صلّى الله عليه وسلم الرجعة ـ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام[2] رجُل من القوم، من شدّة الخوف، وشدّة الجوع ، وشدّة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بدّ من القيام حين دَعانى ؛ فقال : ياحذيفة ، اذهب فادخُل فى القوم، فانظرُ ماذا يصنعون[3] ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والرّيح وجُنود الله تفعل بهم ماتفعل ، لاتُقِرّ لهم قِدْرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان، فقال : يامعشر قريش ، لينظر أمرؤ مَنْ جَليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان[4] .

مناداة أبى سفيان فيهم بالرحيل

ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصْبَحتم بدار مُقام ، لقد هَلك الكُراع[5] والخفّ ، وأخْلفتنا بنو قريظة ، وبلَغنا عنهم الذى نَكره ، ولَقِينا من شدة الرّيح ماتَروْن ، ماتطمئنّ لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار، ولا يَسْتمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ؛ ثم قام إلى جَمله وهو مَعْقول، فجَلَس عليه ، ثم ضَربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ماأُطلق عِقاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلىّ «أن لاتُحدث شيئاً حتى تأتينى» ، ثم شئت ، لقتلتُه بسهم .

---

(١) هويا من الليل (بفتح الهاء وضمها) : قطعة منه .

(٢) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « قال » .

(٣) فى ا : « يفعلون » .

(٤) فى شرح المواهب : « فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى، فأخذت بيده ، فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبى سفيان ؛ ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى ، فقلت : من أنت؟ قال : عمرو بن العاص » .

(٥) الكراع : الخيل .

رجوع حذيفة إلى الرسول بتخاذل المشركين وانصرافهم

قال حذيفة : فرجعتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو قائم يصلّى فى مِرْط[١] لبعض نسائه، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجليه، وطَرح علىّ طَرَف المِرْط ، ثم ركع وسَجد ، و إنى لفيه ، فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعتْ غَطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

انصراف الرسول عن الخندق

قال ابن إسحاق :

ولما أصبح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة[٢] والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بنى قريظة

فى سنة خمس

أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بنى قريظة

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزُّهرى ، معتجراً[٣] بعمامة من إستبرق[٤] ، على بَغْلة عليها رِحالة[٥] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أَوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعت الملائكةُ السلاحَ بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القَوم ، إن الله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسيرِ إلى بنى قُريظة ، فإنى عامدٌ إليهم فمُزلزل بهم .

دعوة الرسول المسلمين للقتال

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذِّناً ، فأذن فى الناس : من كان

---

(١) المرط : الكساء .

(٢) كان دخول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الأربعاء ، يوم منصرفه من الخندق ، لسبع بقين من ذى القعدة . (راجع شرح المواهب) .

(٣) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أى لا يلقى شيئا تحت لحيته .

(٤) الإستبرق : ضرب من الديباج غليظ .

(٥) الرحالة : السرج .

سامعاً مُطيعاً فلايصلينّ العصرَ إلا ببنى قُريظة .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق :

تقدم على وتبليغه الرسول ماسمعه من سفهائهم

وقَدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبي طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناسُ . فسار علىّ بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لَقِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول‌الله ، لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم ، يارسول الله ؛ قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حُصونهم . قال : ياإخوان القِرَدة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نِقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً

سأل الرسول عمن مربهم فقيل دحية فعرف أنه جبريل

ومرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بنَفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن[1] قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مَرّ بكم أحد ؟ قالوا: يارسول الله، قد مَرّ بنا دِحْية بن خَليفة الكَلْبى ، على بَغْلة بَيضاء عليها رِحالة، عليها قَطِيفة ديباج . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذلك جِبْريل ، بُعث إلى بنى قريظة يُزَلزل بهم حُصونهم ، ويقذف الرعبَ فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلم بنى قريظة ، نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنّا[2] .

قال ابن هشام : بئر أنّى .

تلاحق المسلمين بالرسول

قال ابن إسحاق :

وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم[3] من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلّوا العَصر ، لقول رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : لايصلين أحدُ العصرَ إلا ببنى قريظة ،

(١) الصورين : موضع قرب المدينة . (عن معجم البلدان) .

(٢) أنا (كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة ؛ ويروى بموحدة بدل النون): من آبار بنى قريظة . (راجع الروض وشرح المواهب ومعجم البلدان) .

(٣) هذه الكلمة « منهم » ساقطة فى « ا » .

فشغلهم مالم يكن لهم منه بدٌّ فى حَرْبهم ، وأبوا أن يصلّوا، لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلّوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابَهم الله بذلك فى كتابه، ولا عنّفهم به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[1] . حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاقُ بن يسار ، عن مَعبد بن كعب بن مالك الأنصارى .

[قال][2] :

حصارهم ومقالة كعب بن أسد لهم

وحاصرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمساً وعشرين[3] ليلة ، حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ الله فى قلوبهم الرعبَ .

وقد كان حُيىّ بن أخطب دخل مع بنى قُريظة فى حِصْنهم ، حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان ، وفاءً لكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير مُنْصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب ابن أسد لهم : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثاً ، فخُذوا أيها شئتم ؛ قالوا : وما هى ؟ قال : نُتابع هذا الرجلَ ونصدّقه، فوالله لقد تبيّن لكم أنه لنبىّ مُرْسَل ، وأنه للّذى تَجِدونه فى كتابكم ، فَتَأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم[4] ؛ قالوا: لانفارقُ حكمَ التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فإذ أبيتم علىّ هذه، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلِتين السيوفَ ، لم نترك وراءنا ثَقَلا، حتى يَحْكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نَهلِك نهلِك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإنْ نَظهر فلعَمرى لنجدنّ[5] النساءَ والأبناء ؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم علىّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا[6] فيها ، فانزلوا لعلّنا نُصِيب من محمد وأصحابه غِرّة ؛ قالوا :

---

(١) يؤخذ من هذا أنه لايعاب من أخذ بظاهر حديث أو آية ولا من استنبط من النص معنى يخصصه ، كما يؤخذ منه أن كل مجتهد فى الفروع مصيب . (راجع الروض وشرح المواهب)

(٢) زيادة عن ا .

(٣) وقيل : خمس عشرة ليلة ، وقيل بضع عشرة . (راجع الطبقات وشرح المواهب) .

(٤) هذه الكلمة «ونسائكم» ساقطة فى ا .

(٥) فى ا : «لنتخذن» .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «أمنوا» .

نُفْسد سَبْتنا علينا ، ونُحدث فيه مالم يحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه مالَمْ يخْفَ عليك من المَسخ ! قال : مابات رجل منكم منذ ولَدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا .

أبو لبابة وتوبته .

[قال][1] :

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة[2] ابن عبد المُنذر، أخابني عمرو بن عوف ، وكانوا حُلفاء الأوس ، لِنَسْتَشيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم؛ فلما رأوه، قام إليه الرجال ، وجَهَش[3] إليه النساء والصبيان يَبْكون فى وجهه ، فرقّ لهم، وقالوا له : ياأبا لُبابة ! أترى أن ننزل على حُكم محمد[4] ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حَلقه ، إنه الذبح[5] . قال أبو لبابة : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ أنى قد خنتُ الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم . ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عَمَده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعتُ ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبدا ، ولا أُرى فى بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبدا .

مانزل فى خيانة أبى لبابة

قال ابن هشام :

وأنزل الله تعالى فى أبى لُبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة عن إسماعيل

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى المدنى ؛ واختلف فى اسمه ، فقيل : رفاعة ، وقيل : مبشر ، وقيل : بشير ، وهو أحد النقباء ، عاش إلى خلافة على ، (راجع الاستيعاب والروض وشرح المواهب) .

(٣) جهش : بكى .

(٤) قال الزرقانى : « وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة ، أنزلوا شأس بن قيس فكلمه صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على مانزل بنوا النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل ؛ فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه ؛ وعاد شأس إليهم بذلك » . (راجع شرح المواهب) .

(٥) كأن أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول لهم بحقن دمائهم ، وعرف أن الرسول سيذبحهم إن نزلوا على حكمه ، وبهذا أشار لبنى قريظة . (راجع شرح المواهب) .

ابن أبي خالد عن عبد الله بن أبي قتادة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

موقف الرسول من أبي لبابة وتوبة الله عليه

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه[1] لوجاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل مافعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يَتُوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط :

أنّ توبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من السَّحَر[2]، وهو فى بيتِ أم سَلَمة [فقالت أم سلمة[3]] : فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك . قالت : فقلت : ممّ تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنَّك ؛ قال : تِيب على أبي لبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أُبشّره يارسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحِجاب ، فقالت : ياأبا لبابة ؛ أَبْشِر فقد تاب الله عليك . قالت[4] : فثار الناس إليه ليُطلقوه ، فقال : لاوالله حتى يكون رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم هو الذى يطلقني بيده ، فلما مرّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه .

ما نزل فى التوبة على أبي لبابة

قال ابن هشام :

أقام أبو لُبابة مُرتبطًا بالجذع ستّ ليال، تأتيه امرأته فى كل وَقْت صَلاة، فتحلّه للصلاة، ثم يعود فيرْتبط بالجِذع ، فيما حدّثني بعضُ أهل العلم .

والآية[5] التى نزلت فى توْبته قولُ الله عز وجل: «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ

---

(١) فى ا : « أما إن لو كان ... الخ » .

(٢) هذه الكلمة « من السحر » ساقطة فى ا .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فى م ، ر : « قال » .

(٥) فى ا : «الآيات» .

خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

إسلام نفر من بنى هدل

قال ابن إسحاق :

ثم إن ثعلبة بنَ سَعْية ، وأُسيد بن سَعْية ، وأسد بن عُبيد ، وهم نفر من بنى هَدْل ، ليسوا من بنى قُريظة ولا النَّضير ، نَسَبُهُم فوق ذلك ، هم بنو عمّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

أمر عمرو ابن سعدى

وخرج فى تلك الليلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظى ، فمرّ بحَرَس رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى ــ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لاأغدر بمحمّد أبدا ــ فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه[1] : اللهم لا تحرِمْنى إقالة عَثَرات الكِرام ، ثم خلّى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى[2] باب مسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذُكر لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نَجّاه الله بوَفائه وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِق برُمَّةٍ[3] فيمن أُوثِقَ من بنى قُريظة ، حين نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فأصبحت رمّته مُلْقاة، ولايُدْرى أين ذهب ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان .

نزول بنى قريظة على حكم الرسول وتحكيم سعد

[قال][4] فلما أصبحوا نزلوا على حُكْم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتواثبتِ الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم[5] موالينا دون الخزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ماقد علمت ــ وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) فى م ، ر : « طرفه » وهو تحريف .
(٢) فى ا : « حتى بات فى مسجد ... الخ » .
(٣) الرمة : الحبل البالى .
(٤) زيادة عن ا .
(٥) فى م ، ر : « انهم كانوا » .

قبل بنى قريظة قد حاصَر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أبىّ بن سلول ، فوَهَبهم له — فلما كلمته الأوس ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ألا ترْضون يامعشر الأوس أن يَحْكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فذاكَ إلى سعد بن مُعاذ .

وكانَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد جعل سعد بنَ معاذ فى خَيْمة لامرأة من أَسْلَمَ[1] ، يقال لها رُفَيدة ، فى مسجده ، كانت تُداوى الجَرْحى ، وتَحْتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المُسلمين ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد قال لقومه حين أصابه السهمُ بالخندق : اجعلوه فى خَيْمة رُفَيدة حتى أَعُوده من قريب . فلما حكّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُرَيظة أتاه قومه فَحَملوه على حمار قد وطّئوا له بوسادة من أَدَم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : ياأبا عمرو ، أَحْسِنْ فى مواليك ، فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنما ولاّك ذلك لتُحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أَنَى لسَعد أن لاتأخذه فى الله لَوْمةُ لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمه إلى دار بنى عبد الأَشْهل ، فنَعَى لهم رجال بنى قُرَيظة ، قبل أن يَصل إليهم سعد ، عن كلِمته التى سمع منه . فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قوموا إلى سيّدكم — فأما المهاجرون من قُرَيش ، فيقولون : إنما أرادَ رسولُ الله عليه وسلم الأنصَار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد عمّ بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد ولاّك أمرَ مواليك لتَحْكم فيهم ؛ فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنّ الحُكْمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وَعَلى مَنْ هاهنا ؟ فى الناحية التى

---

(١) وقيل إنها أنصارية . (راجع الإصابة وشرح المواهب) .

فيها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ، وهو مُعرِض عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إجلالا له ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم : نعم ؛ قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ ، وتُقسّم الأموال ، وتُسْبَى الذّرارى والنساء .

رضاء الرسول بحكم سعد

قال ابن إسحاق :

فحدّثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن مُعاذ ، عن عَلْقمة بن وقّاص اللَّيْثى ، قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقعة[1] .

سبب نزول بنى قريظة على حكم سعد فى رأى ابن هشام

قال ابنُ هشام :

حدّثنى بعضُ من أثقُ به من أهل العلم :

أن علىّ بن أبى طالب صاح وهم مُحاصرو بنى قُريظة : يا كَتيبة الإيمان ، وتقدّم هو والزّبير بن العوّام ، وقال : والله لأذوقنّ ماذاق حَمْزة أو لأَفْتَحَنّ حِصْنَهم ؛ فقالوا : يامحمد ، ننزل على حكم سَعد بنِ مُعاذ .

مقتل بنى قريظة

قال ابن إسحاق :

ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة فى دار بنت الحارث[2] ، امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخَنْدق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضَرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخرج بهم إليه أرسالا ،[3] وفيهم عدوّ الله حُيَىّ

---

(١) الأرقعة : السموات ؛ الواحدة : رقيع .

(٢) قال السهيلى : « واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس . وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز » .

وقال الزرقانى : « هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد ، زوجة معاذ بن الحارث ابن رفاعة ، تكرر ذكرها فى السيرة . والواقدى يقول : رملة بنت الحدث (بفتح الدال المهملة) وليست هى كيسة بنت الحارث » .

(٣) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

ابن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ست مئة أوسبع مئة ، والمُكثِّر لهم يقول : كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرسالا : يا كعب ، ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفى كلّ موطن لا تعقِلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينْزِع ، وأنه من ذُهب به منكم لا يَرْجِع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مقتل ابن أخطب وشعر ابن جوال فيه

وأُتِى بحيىّ بن أخْطَبَ عدو الله ، وعليه حُلّة له فُقَّاحية[1] ــ قال ابن هشام : فقاحية : ضرب من الوشى ــ قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أنملة [أنملة][2] ، أنملة أنملة لئلا يُسْلبها ، مجموعة يداه إلى عُنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : أما والله مالمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يَخْذل الله يُخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأْس بأمر الله ، كِتاب وَقدر وَمَلْحمة كَتَبها[3] الله على بنى إسرائيل ، ثم جَلس فضُربتْ عنقه .

فقال جَبل بن جَوّال الثّعلبى[4] :

لَعَمرِكَ مالَام ابنُ أخْطب نَفَسه ... ولكنّه مَنْ يَخْذُل الله يُخْذَلِ

لَجَاهَد حتى أَبْلغ النفسَ عُذْرها ... وَقَلْقَل يَبْغِى العزَّ كلَّ مُقَلْقَل[5]

قتل من نسائهم امرأة واحدة

قال ابن إسحاق :

وقد حدّثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

---

(1) فقاحية : تضرب إلى الحمرة .

(2) زيادة عن ا.

(3) فى ا : « كتبت » .

(4) كان ابن جوال هذا من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له صحبة . (راجع الروض والاستيعاب) .

(5) قلقل : تحرك .

لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندى تحدَّث معى ، وتَضحك ظَهْرًا و بَطْنا ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقتل رجالها فى السُّوق ، إذ هَتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ؛ قالت : قلت لها : ويلك ! مالك ؟ قالت : أُقْتَل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدثٍ أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها ، فضربت عنقها[1] ؛ فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عَجَبا منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضَحكها ، وقد عرفَتْ أنها تُقتل .

قال ابن هشام :

وهى التى طرحت الرّحا على خلّاد بن سُويد ، فقتلته .

شأن الزبير ابن باطا

قال ابن إسحاق :

وقد كان ثابت بن قَيْس بن الشّمّاس ، كما ذَكر لى ابنُ شهاب الزُّهرى ، أتى الزَّبير[2] بن باطا القُرظى ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير قد مَنّ على ثابت بن قيس بن شمّاس فى الجاهلية[3] . ذكر لى بعضُ ولد الزَّبير أنه كان منّ عليه يوم بُعاث ، أخذه فجزّ ناصيتَه ، ثم خلّى سبيلَه — فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : ياأبا عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يَجْهل مثلى مثلَك ؛ قال : إنى قد أردتُ أن أَجْزيك بيدك عِنْدى ؛ قال : إن الكريم يَجْزى الكريم ؛ ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يارسول الله ، إنه قد كانت للزبير علىّ منّة ، وقد أحببت أن أَجْزيه بها ، فهبْ لى دَمه ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله

---

(١) قال أبو ذر : « هى امرأة الحسن القرظى » .

(٢) قال السهيلى : « هو الزبير ، بفتح الزاى وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح . واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ؛ فقيل : الزبير ، بفتح الزاى وكسر الباء ، كاسم جده ، وقيل الزبير » .

(٣) فى ا : « ذكر » .

صلّى الله عليه وسلّم قد وهب لى دمَك ، فهولك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : بأبى أنت وأمّى يا رسول الله، هَبْ(١) لى امرأتهوولَده ؛ قال: هُمْ لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله صلىالله عليه وسلم أهلَك وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهلُ بَيت بالحجاز لامَال لهم . فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، مالَه ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَالَك ، فهو لك ؛ قال : أىْ ثابت ، مافعل الذى كأن وجْهه مرآة صِينيّة يتراءى فيها عذَارَى الحىّ ، كعبُ ابن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادى حُيَىّ بن أخطب ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل مُقدِّمتنا إذا شددنا ، وحامِيتنا إذا فَررنا ، عَزّال بن سَمَوأل ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قُريظة و بنى عَمْرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتلوا ؟ قال : فإنى أسألك ياثابت بيدى عندك إلا ألْحَقْتَنِى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتْلَةَ دَلْو ناضح(٢) حتى ألقى الأحبة . فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالداً [فيها](٣) مخلّدًا .

قال ابن هشام : قبلة دلو(٤) ناضح. [و](٣) قال زهير بن أبى سُلمى فى « قبلة » :

---

(١) فى ا : « يارسول الله ، امرأته وولده » .

(٢) الناضح : الجمل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية . وأراد بقوله له : فتلة دلو ناضح : مقدار ماياخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض ، يفتلها أو يردها إلى موضعه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) قال أبو ذر : « ومن رواه : قبلة ، بالقاف والباء ، فهو بمقدار مايقبل الرجل الدلو ، ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة » .

وقابلٍ يتغنَّى كلمـا قَدَرتْ على العرَاقى يَداه قائمـا دَفقا[١]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول[٢] .

أمر عطيـة ورفاعة

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أمر بقَتْل كلّ من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدَّثنى شُعبة بن الحجّاج ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عطيّة القرظى ، قال :

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم قد أمر أن يُقتل من بنى قريظة كلُّ من أَنْبت منهم ، وكنت غلامًا ، فوجَدونى لم أُنبت ، فخلّوا سبيلى .

قال [ابن إسحاق] [٣] : وحدّثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة ، أخو بنى عدىّ بن النجار :

أن سَلْمى بنت قيس ، أم المُنذر ، أختَ سليط بن قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قد صلّت معه القبلتين ، وبايعته بيعةَ النساء ـ سألته رفاعةَ بن سَموأل القُرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذَ[٤] بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يانبىّ الله ، بأبى أنت وأمّى ، هبْ لى رِفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلّى ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها ، فاستَحْيته .

قسم فىء بنى قريظة

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قسّم أموال بنى قُريظة ونساءهم وأبناءهم

---

(١) القابل : الذى يقبل الدلو . ودفق الماء صبه ، والعراقى : جمع عرقوة ، وهى العود الذى يكون فى أدنى الدلو .

(٢) كذا وردت هذه العبارة التى تلى بيت زهير مروية عن ابن هشام فى أكثر الأصول ، وهى فى « ا » على الوجه الآتى : « قال ابن هشام : هو تفسير بيت زهير ، ويعنى قابل الذى يتلقى الدلو إذا خرج من البئر . والناضح : البعير الذى يستقى الماء لسقى النخل ، وهذا البيت فى قصيدة له » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) لاذ بها : التجأ إليها .

على المسلمين، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمان الخيل وسُهْمان الرجال ، وأخرج منها الخُمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سَهمان ولفارسه سهم ، وللراجل، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يومَ بنى قُريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول فَىْء وقعت فيه السُّهمان ، وأُخرج منها الخمس ، على سنَّتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنَّة فى المغازى .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعد بن زيد الأنصارىّ أخا بنى عبد الأشهل بسَبايا من سبايا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

شأن ريحانة

[قال][1] :

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنَافة ،[2] إحدى نساء بنى عمرو بن قُريظة[3] ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوفى عنها وهى فى مِلْكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَض عليها أن يتزوجها ، ويَضْرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يارسول الله ، بل تتركنى فى مِلْكك ، فهو أخفّ علىّ وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها . فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقعْ نعلين خَلْفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرنى بإسلام رَيْحانة ؛ فجاءه فقال : يارسول الله ، قد أسْلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

ما نزل فى الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق[4] :

وأنزل الله تعالى فى أمر الخَنْدق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القِصّة فى

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى أكثر الأصول وشرح المواهب مضبوطة بالعبارة . وفى ا : « جنافة » .

(٣) وقيل : كانت من بنى النضير متزوجة فى قريظة رجلا يقال له الحكم . (راجع شرح المواهب) .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .

سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكِفايته إيّاهم حينَ فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق : « يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » . والجنود قريش وغطفان وبنو قُريظة ، وكانت الجنود التى أرسلَ الله عليهم مع الريح الملائكةَ . يقول الله تعالى : « إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللهِ ٱلظُّنُونَا » . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُريظة ، والذين جاءوهم من أسفلَ منهم قريش وغطفان . يقول الله [تبارك و][1] تعالى : « هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا » لقول مُعَتِّب بن قُشير إذ يقول ما قال . « وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا » لقول أوس بن قيظى وَمَنْ كان على رأيه من قومه « وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا » أى المدينة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

الأقطار : الجوانب ؛ وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ؛ وواحدها : قتر .

قال الفرزدق :

كم من غِنًى فَتح الإلهُ لهم به ... والخيلُ مُقْعية على الأَقْطار[2]

ويُروى « على الأقتار » . وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) مقعية : أى ساقطة على أجنابها تروم القيام ، كما تقعى الكلاب على أذنابها وأفخاذها .

« ثم سئلوا الفتنة » أى الرجوع إلى الشرك « لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا » . فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يَفْشلوا يوم أُحُد مع بنى سَلمة حِينَ همَّتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : « قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ » أى أهل النفاق « وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا » أى إلا دفعاً وتعذيراً[1] « أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ » أى للضِّغن الذى فى أنفسهم « فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » أى إعظاماً له وفَرَقاً منه « فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ » أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبَة[2] ، فهم يهابون الموتَ هَيْبَةَ من لا يرجو ما بعده .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذَوْكم . تقول العرب : خطيب سَلَّاق ، وخطيب مِسْلَق ومِسْلاق . قال أعشى بنى قَيس بن ثعلبة :

فيهم المجدُ والسَّماحةُ والنَّجْـــدة فيهم والخاطب السَّلَّاقُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا » قريش وغَطفان « وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا » .

---

(١) التعذير : أن يفعل الرجل الشىء بغير نية ، وإنما يريد أن يقيم به العذر عند من يراه .

(٢) كذا فى « ا » . والحسبة (بالكسر) : الأجر . وفى سائر الأصول : « حسنة » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ » أى لئلا يَرْغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكانٍ هُو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعدهُمُ الله من البلاء يختبرهم[1] به، فقال: « وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ[2] قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً » أى صبراً على البلاء، وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وَعدهم ورسولُه[3] صلّى الله عليه وسلّم؛ ثم قال: « مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ » أى فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن[4] استشهد يوم بَدْر ويوم أحد.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام:

قضى نَحْبه: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرنى أبُو عبيدة، وجمعه: نحوب. قال ذو الرّمة:

عَشِيَّة فرّ الحارِثيُّون بَعْدَ ما ... قَضَى نَحْبه فى[5] مُلْتَقى الخَيل هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له. وهَوْبر: من بنى الحارث بن كعب، أراد: يزيدَ بن هَوْبر. والنحب (أيضا): النذر. قال جَرير بن الخَطَفَى:

بِطِخْفَةَ جَالَدْنا[6] الملوكَ وخَيْلُنا ... عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول: على نَذْر كانت نَذَرت أن تَقْتله فَقَتَلَتْهُ، وهذا البيت فى قصيدة له. و بسطام: بسطام بن قيس بن مسعود الشّيبانى، وهو ابن ذى الجَدّين. حدثنى

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: « ليختبر ».

(٢) هذه الجملة: « ولما رأى المؤمنون الأحزاب » من الآية ساقطة فى ا.

(٣) فى ا: « لما كان الله وعدهم الله ورسوله ».

(٤) فى ا: « لمن ».

(٥) هذه الكلمة: « فى » ساقطة فى ا. ولا يستقيم الوزن بدونها.

(٦) فى ا: « خالدنا ».

أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار . وطِخْفَة : موضع بطريق البصرة[1] .

والنحب (أيضا) : الخِطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نَحَبَتْ كَلْبٌ على النّاس أيّنا على النَّحْب أعْطَى للجَزِيل وأفضلُ

والنحب (أيضا) : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب (أيضا) : الحاجة والهمة ؛ تقول : مالى عندهم نَحْب . قال مالك بن نُوَيرة اليَرْبوعى :

ومالِىَ نحبٌ عِنْدَهم غَيْرَ أنّنى تَلَمّسْتُ ما تَبْغى من الشُّدُن الشُّجْرِ[2]

وقال نَهَار بن تَوْسِعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل :

قال ابن هشام : هؤلاء موالى بنى حنيفة[3] :

وَنَجَّى يوسفَ الثَّقَفِىَّ رَكْضٌ دِراكٌ بعد ماوَقَعَ اللِّواءُ[4]

ولو أدركْنَه لَقَضَيْنَ نَحْباً[5] به ولِكُلِّ مُخْطَأةٍ وِقاء

والنَّحب (أيضاً) : السير الخفيف المَرّ .

قال ابن إسحاق[6] :

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» أى ماوعدالله به من نصره، والشهادة على مامضى عليه أَصحابه . يقول الله تعالى : « وَمَابَدَّلُوا تَبْدِيلاً » أى ما شكّوا وماتردّدوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . « لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيماً . وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ » أى قريشاً وغطفان « لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ

(١) هذه العبارة : « بطريق البصرة » ساقطة فى ا .
(٢) فى م ، ر : « هو مولى أبى حنيفة الفقيه » .
(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٤) الشدن : إبل منسوبة إلى شدن ، موضع باليمن . والشجر : التى فى أعينها حمرة .
(٥) فى م ، ر : « ولو أدركته لقضيت » .
(٦) الركض : الجرى . ودراك : متتابع .

وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . وَأَنْزَلَ الذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » أى بنى قُريظة « مِنْ صَيَاصِيهِمْ » والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام :

قال سُحَيم عَبْد بنى الحَسْحاس ؛ وبنو الحسحاس من بنىأسد بن خُزَيمة :

وأَصْبحت الثّيرانُ صَرْعى وأَصْبحت نســـاء تَميم يَبْتَدِرْنَ الصَّياصِيا[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصّياصى (أيضا) : القرون . قال النابغة الجعدى :

وســـادَةَ رَهْطِيَ حـــتى بَقِيـــتُ فَرْداً كَصِيصَيَة الأَعْضَبِ[2]

يقول : أصاب الموت سادةَ رهطى[3] . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبودُواد الإيادىّ[4] :

فَذَعَرنا سُــــحْم الصَّياصى بأيدِيـــهنّ نَضْحٌ من الـكُحَيْل وقارُ[5]

وهذا البيت فى قصيدة له[3] . والصياصى (أيضا) : الشوك الذى للنّساجين ، فيما أخبرنى أبو عُبيدة . وأنشدنى لدُريد بن الصِّمة الجُشَمى ، جُشَم بن معاوية ابن بكر بن هوازن :

نظرتُ إليه وأَلرِّماح[6] تَنُوشُـــه كَوَقْع الصَّياصى فى النَّسيج المُمدَّدِ[7]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى (أيضا) : التى تكون فى أَرْجل الدِّيكة ناتئة كأنها القرون الصِّغار ، والصياصى (أيضا) : الأصول . أخبرنى أبو عُبيدة أن العَرب تقول : جَذّ الله صيصيته ، أى أصله .

---

(١) كذا فى ا . وفى م ، ر : « يلتقطن » . وزيد فيهما بعد هذا البيت : « ويروى يبتدرن » .

(٢) الأعضب : المكسور القرن .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٤) فى الأصول : « أبو داود » وهو تحريف .

(٥) ذعرنا ، من الذعر ، وهو الفزع . والسحم : السود . والصياصى : القرون . ويريد « بسحم الصياصى » . الوعول التى فى الجبال . ونضح : لطخ . والكحيل : القطران . والقار : الزفت أراد ما فى أيديها من السواد . فشبهه بالكحيل والقار .

(٦) فى ا : « والريح » وهو تحريف .

(٧) تنوشه : تتناوله .

قال ابن إسحاق :

« وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً » أى قتل الرجال وسبى الذَّرارى والنساء « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا » يعنى خَيْبر « وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً » .

قال ابن إسحاق :

وفاة سعد ابن معاذ وما ظهر مع ذلك

فلما انقضى شأن بنى قُريظة انفَجر بسعد بن معاذ جُرحه ، فمات منه شهيداً.

قال ابن إسحاق (١) :

حدّثنى معاذ بن رفاعة الزُّرَقى قال : حدثنى مَنْ شئت من رجال قومى :

أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين قُبض سعد ابن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميّت الذى فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتزّ له (٢) العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجرّ ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق (١) :

وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر عن عَمْرة بنت عبد الرحمن قالت :

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٢) قال السهيلى عند الكلام على اهتزاز العرش : « وقد تكلم الناس فى معناه وظنوا أنه مشكل . وقال بعضهم : الاهتزاز (هاهنا) : بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ؛ وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعادا منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة . ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، ويجوز عليه الحركة والهزة ، ولا يعدل عن ظاهر (اللفظ) ما وجد إليه سبيل . وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح . قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة . وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : أنه سرير سعد اهتز ، لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن . رواه أبو الزبير عن جابر ، يرفعه ، ورواه البخارى عن طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان ، كلاهما عن جابر . ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدرى وأسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى . والعجب لما روى عن مالك رحمه الله ، من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له . ولعل هذه الرواية لم تصح عند مالك ، والله أعلم » .

أقبلت عائشة قافلةً من مكة ، ومعها أُسيد بن حُضير ، فلقيه موتُ امرأة له ، فحَزِن عليها بعضَ الحُزن ، فقالت له عائشة[1] : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدّثني من لا أتهم عن الحسن البَصْرى قال :

كان سعد رجلا بادِنا ، فلما حمله الناس وجَدوا له خِفّة ، فقال رجالٌ من المنافقين[2] : والله إن كان لبادنًا ، وما حملنا من جنازة أخفَّ منه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد اُسْتبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش .

قال ابن إسحاق :

وحدّثنى مُعاذ بن رِفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله قال :

لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سَبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبّح الناس معه ، ثم كبّر فكبّر الناس معه ؛ فقالوا : يا رسول الله ، مم سبّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبرُه ، حتى فرّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للقبر لَضَمّةً لو كان أحد منها ناجيًا لكان سعدُ بن مُعاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمِعْنا به إلا لسَعْدِ أبى عَمْرو

وقالت أمُّ سعد ، حين احتُمل نعشه وهى تبكيه ـ قال ابن هشام ـ وهى

---

(١) فى م ، ر : « ياعائشة » وهو تحريف .

(٢) كذا فى ا والاستيعاب فى ترجمة سعد بن معاذ ، وفى سائر الأصول : « المسلمين » .

كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر[١] ، وهو خُدْرة[٢] بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج .

وَيْل أمِّ سـعدٍ سعداً[٣] صرامةً وحَـدًّا[٤]
وَسُـودداً ومجدا وفارساً مُعـدًّا
سُـدَّ به مَسَدًّا يَقُدُّ هاماً قـدًّا[٥]

يقول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كل نائحة تَكْذب ، إلا نائحة[٦] سعد بن معاذ .

شهداء يوم الخندق

قال ابن إسحاق :

ولم يُسْتشهد من المسلمين يوم الخَندق إلاستة نفر .

من بني عبد الأشهل

من بني عبد الأشهل : سعدُ بن مُعاذ ، وأنس بن أوْس بن عَتيك بن عمرو ، وعبدُ الله بن سهل ، ثلاثة نفر .

من بني جشم

ومن بني جُشَم بن الخزرج ، ثم من بني سَلمة : الطُّفَيل بن النعمان ، وثَعلبة ابن غَنمة ، رجلان .

من بني النجار

ومن بني النجّار ، ثم من بني دينار : كعبُ بن زيد ، أصابه سهم غَرْب ، فقتله .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سَهْمُ غَرْبٍ ، وسهمٌ غربٌ ، بإضافة وغير إضافة ، وهوالذى لايُعرف من أين جاء ولا من رَمى به[٧] .

قتلى المشركين

وقتل من المشركين ثلاثة نفر .

---

(١) فى الاستيعاب : « كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر » .
(٢) فى ا : « الأبجر وهو جدرة » وهو تصحيف .
(٣) كسرت اللام من « ويل » إتباعا لكسرة الميم من « أم » .
(٤) فى ا : « وجدا » .
(٥) هذا الشطر ساقط فى ا .
(٦) فى ا : « ناحية » وهو تحريف .
(٧) هذه العبارة : « قال ابن هشام ... رمى به » ساقطة فى ا .

من بني عبد الدار

من بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُنبِّه بن عثمان بن عُبَيد بن السبّاق ابن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أُمية بن منبّه بن عُبيد بن السبّاق .

عرض المشركين على الرسول شراء جسد نوفل

قال ابن إسحاق :

ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة : نوْفل بن عبد الله بن المُغيرة ؛ سألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أن يَبيعهم جَسَده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورَّط[1] فيه ، فقتل ، فَغلب المُسلمون على جَسَده . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لاحاجة لنا فى جَسده ولا بِثَمنه ، فخلّى بينهم و بينه .

قال ابن هشام : أعطَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزُّهرى .

من بنى عامر

قال ابن إسحاق :

ومن بنى عامر بن لُؤَى ، ثم من بنى مالك بن حِسْل : عمرو بن عَبْد وُدّ ، قتله علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدّثنى الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزّهرى أنه قال : قتل علىّ ابن أبى طالب يومئذ عَمْرو بن عبدوُدّ وابنَه حِسْل بن عمرو .

قال ابن هشام : و يقال عمرو بن عبدوُدّ ، و يقال : عمرو بن عَبْد .

شهداء المسلمين يوم بنى قريظة

قال ابن إسحاق :

واسْتشهد يوم بنى قُريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث بن الخَزرج : خلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحًى ، فشَدَخَتْه شَدْخا شديداً ، فزعموا أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إن له لأجرَ شَهيدين .

ومات أبوسنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم محاصر بنى قُريظة ، فَدُفِن فى مَقْبرة بنى قريظة التى يَدْفنون فيها اليوم ، و إليه دفنوا أمواتَهم فى الإسلام .

---

(1) تورط فيه : انتشب .

بشر الرسول المسلمين بغزو قريش

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق ؛ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيما بلغنى : لن تَغْزوكم قريش بعد عامِكم هذا ، ولكنكم تَغْزونهم . فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يَغْزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

ماقيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

شعر ضرار

وقال ضِرَار بن الخَطّاب بن مِرْداس ، أخو بنى مُحارب بن فِهْر ، فى يوم الخندق :

ومُشْفقة تَظُنّ بنا الظُّنونا … وقد قُدْنَا عَرَنْدَسَة طَحُونَا[(١)]
كأنّ زُهاءها أُحُـد إذا ما … بَدَتْ أركانُه للنَّاظِرينا[(٢)]
تَرَى الأبْدانَ فيها مُسْبغَاتٍ … على الأبطال واليَلَبَ الحَصِينا[(٣)]
وجُرْدًا كالقِداح مُسوّمات … نَؤُمّ بها الغُواة الخَاطِئينا[(٤)]
كأنهمُ إذا صالُوا وُصلْنا … بباب الخَنْدَقَين مُصافِحُونا[(٥)]
أناسٌ لا نَرَى فيهم رَشِيداً … وقد قالوا ألَسْنا رَاشِـدينا
فأحْجَرْناهم شهراً كَرِيتاً … وكنّا فوقَهم كالقاهرينا[(٦)]
نُراوِحُهمْ ونَغْدُو كلّ يوم … عليهمْ فى السِّلاح مُدَجَّجينا[(٧)]
بأيْدينا صَـوارِمُ مُرْهَفاتٌ … نَقُدّ بها المَفارق والشئونا[(٨)]
كأن وَميضَهنّ مُعَرَّيات … إذا لاحتْ بأيدِى مُصْلِتينا[(٩)]

---

(١) العرندسة : الشديدة القوة . يريد : كتيبة . والطحون : التى تطحن كل مامرت به .
(٢) زهاؤها : تقدير عددها .
(٣) الأبدان (هنا) : الدروع . ومسبغات : كاملة . والياب : الترسة أو الدرق .
(٤) الجرد : الخيل العتاق . والقداح : السهام . والمسومات : المرسلة ، ويقال : هى الغالية الأسوام . ونؤم : نقصد .
(٥) المصافحة : أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام .
(٦) أحجرناهم : حصرناهم . وشهرا كريتا : تاما كاملا .
(٧) المدجج (بفتح الجيم وكسرها) : الكامل السلاح .
(٨) الصوارم : السيوف . ومرهفات : قاطعة . وتقد : تقطع . والمفارق : جمع مفرق ، وهو حيث يتفرق الشعر فى أعلى الجبهة . ويريد « بالشئون » : مجمع العظام فى أعلى الرأس .
(٩) الوميض : اللمعان . والمصلت : الذى جرد سيفه من غمده .

وَمِيضُ عقيقةٍ لَمَعَت بليلٍ ترى فيها العَقائقَ مُسْتَبِينا[1]

فلولاَ خَنْدقٌ كانوا لديه لَدَمَّرْنا عليهم أَجْمعينا

ولكنْ حال دونَهمُ وكانُوا به من خَوْفِنا مُتعوِّذِينا

فإنْ نَرْحل فإنّا قد تَرَكْنا لدى أَبْياتِكم سعداً رَهِينا

إذا جنّ الظلامُ سمعتَ نَوْحَى على سَعْدٍ يُرجِّعْن الحَنِينا[2]

وسوفَ نَزُورُكم عمّا قريب كما زُرْناكُمُ مُتَوازِرِينا[3]

بجَمْعٍ من كِنانة غَيْر عُزْلٍ كأُسْدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرِينا[4]

شعر كعب في الرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة فقال:

وسائلةٍ تُسائل مالَقِينَا ولو شَهِدَتْ أَرَتْنا صابِرِينَا

صَبَرْنا لا نَرَى لله عِدْلاً على مانَابَنا مُتَوَكِّلِينا

وكان لنا النبيّ وزيرَ صِدْقٍ به نَعْلُو البَرِيّة أَجْمَعِينا

نُقاتل معشراً ظلموا وعَقّوا وكانُوا بالعَدواة مُرْصِدينا[5]

نُعاجِلهم إذا نَهضوا إلينا بضَرْب يُعْجِل المُتَسرِّعِينا

تَرانا في فَضَافِضَ سابغاتٍ كغُدْران المَلا مُتَسَرْبِلينا[6]

وفي أَيمانِنا بيضٌ خِفَافٌ بها نَشْفِي مِرَاح الشّاغِبِينا[7]

بباب الخَنْدَقين كأنّ أُسْدًا شَوابِكُهُنّ يَحْمِين العَرِينا[8]

---

(1) العقيقة: السحابة التي تشق عن البرق.

(2) النوحى: جماعة النساء اللاتي ينحن.

(3) متوازرين: متعاونين.

(4) العزل: الذين لاسلاح معهم؛ الواحد: أعزل. والغاب: جمع غابة، وهي والعرين: موضع الأسد.

(5) المرصد: المعد للأمر عدته.

(6) الفضافض: الدروع المتسعة. وسابغات: كاملة. والملا (مقصور): المتسع من الأرض. ومتسربلون: لابسون للدروع.

(7) المراح: النشاط.

(8) الشوابك: التي يتشبث بها فلا يفلت.

فَوارِسا إذا بَكَرُوا ورَاحُوا   على الْأَعْداءِ شُوساً مُعْلِمِينا[1]

لننْصر أحمدًا واللهَ حتَّى   نكونَ عِبادَ صِدْقٍ مُخْلِصينا

ويَعْلم أهلُ مكَّة حين سارُوا   وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحزِّبِينا

بأَنّ اللهَ لَيْس له شريكٌ   وأَنّ الله مَوْلَى المُؤْمنينا

فإما تَقْتُلوا سَعْداً سفاهاً   فإنّ لله خَيْر القَادرينا

سيُدْخله جِناناً طَيِّبَاتٍ   تكونُ مقامةً للصَّالحينا

كما قَدْ رَدَّكُمْ فَلاًّ شَرِيداً   بغَيْظِكم خَزَايا خائبينا[2]

خَزَايا لَمْ تَنَالُوا ثَمَّ خَيْرًا   وكِدْتُم أن تَكُونوا دامِرِينا[3]

برِيحٍ عاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ   فكُنْتُمْ تَحتها مُتَكَمِّهِينا[4]

شعر ابن الزبعرى

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى ، فى يوم الخندق :

حَىِّ الديارَ محا معارِفَ رَسْمِها   طُولُ البِلى وتراوُح الأحقابِ[5]

فكأنما كَتبَ اليهودُ رُسُومَها   إلاّ الكَنيف ومَعْقِدَ الأَطْنابِ[6]

قَفْرًا كأنك لم تَكُنْ تَلهو بها   فى نِعْمةٍ بأوانسٍ أَتْرابِ[7]

فاتْرُكْ تذكُّرَ ما مَضَى من عيشةٍ   ومَحَلَّةٍ خَلَقِ المَقامِ يَبابِ[8]

---

(١) الشوس : جمع أشوس ، وهو الذى ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه . والمعلم (بفتح اللام وكسرها) : الذى أعلم نفسه بعلامة الحرب ليشتهر بها .

(٢) الفل : القوم المنهزمون . والشريد : الطريد .

(٣) دامرين : هالكين .

(٤) العاصف : الريح الشديدة . والمتكمه : الأعمى الذى لا يبصر .

(٥) الأحقاب : الدهور ؛ الواحد : حقب .

(٦) الكنيف : الحظيرة والزرب الذى يصنع للإبل ، وسمى كنيفا ، لأنه يكنفها ، أى يسترها . والأطناب : الحبال التى تشد بها الأخبية وبيوت العرب . ويريد « بمعقدها » : الأوتاد التى تربط بها .

(٧) الأتراب : من على سن واحدة .

(٨) اليباب : القفر .

واذْكر بلاءَ معاشرٍ واشكُرْهم ... سارُوا بأجمعهم من الأنْصاب(١)

أنصاب مكةَ عامدين ليثْرِب ... فى ذِى غَياطِلَ جَحْفل جَبْجاب(٢)

يَدَع الحُزُونَ مناهِجاً معلومةً ... فى كل نَشْرٍ ظاهر وشِعاب(٣)

فيها الجيادُ شَوازِبٌ مَجْنوبةٌ ... قُبُّ البُطون لواحق الأقْراب(٤)

من كلّ سَلْهبةٍ وأجْرَد سلْهَب ... كالسِّيدِ بادرَ غَفْلة الرُّقاب(٥)

جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قاصِدٌ بلوائِه ... فيه وصَخرٌ قائدُ الأحزاب

قَرْمان كالبَدْرَين أَصبح فيهما ... غَيْث الفَقير ومَعْقِل الهُرّاب(٦)

حتّى إذا ورَدوا المدينة وارتَدَوْا ... للمَوْت كلّ مُجرَّب قَضّاب(٧)

شهراً وعشراً قاهرين محمداً ... وصِحابُه فى الحرْب خير صِحَاب

نادوا برحلتهم صَبِيحة قُلتُم ... كِدْنا نكون بها مع الخُيَّاب

لولا الخَنادِق غادروا من جَمْعهم ... قَتْلى لطيْرٍ سُغّب(٨) وذِئاب

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال : شعر حسان

---

(١) قال أبو ذر: «الأنصاب هنا : الحجارة التى يعلم بها الحرم . والأنصاب (أيضا) : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها» .

(٢) يريد « بذى غياطل » : جيشاً كثير الأصوات . والغياطل : جمع غيطلة ، وهى الصوت هنا . وجحفل : جيش. وجبجاب : كثير .

(٣) الحزون : جمع حزن ، وهو ماارتفع من الأرض . والمناهج : جمع منهج ، وهو الطريق البين . والنشر : المرتفع من الأرض ، ويقال فيه نشز أيضا . (وهى رواية) . والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض بين جبلين .

(٤) الشوازب : الضامرة . والمجنوبة : المقودة . وقب : ضامرة . ولواحق : ضامرة . (أيضا) . والأقرب : جمع قرب ، وهو الخاصرة وما يليها .

(٥) السلهبة : الطويلة . والسيد : الذئب .

(٦) قرمان: لخلان سيدان . ومعقل الهراب : ملجؤهم .

(٧) ارتدوا : تقلدوا . وكل مجرب : أى كل سيف قد جرب . والقضاب : القاطع .

(٨) كذا فى أكثر الأصول . وسغب : جائعة . وفى ا : «شعب» . وهو تصحيف .

هل رَسْمِ دارســةِ المقام يَبابِ[١]   مُتكلِّمٌ لمحاور[٢] بجـــواب

قَفْر عَفا رِهَمُ السحاب رُســومَه   وهُبوبُ كلِّ مُطلَّةٍ مِرْبابِ[٣]

ولقد رأيت بها الحلول يزينَهم   بيضُ الوُجوه ثواقب الأحْسَابِ[٤]

فَدع الدِّيار وذِكْرَ كلِّ خَريدة   بَيضاء آنسةِ الحديث كَعابِ[٥]

واشكُ الهُموم إلى الإله وما ترى   من معشر ظَلَموا الرَّسول غضاب

ساروا بأجمعهم إليـــه وألَّبُوا   أهلَ القُرى وبَوادِيَ الأعْراب[٦]

جَيْش عُيينةُ وابنُ حَرْب فيهمُ   مُتَخَمِّطُون بحلبة الأحــزاب[٧]

حتى إذا وردُوا المَدِينة وارتَجَوْا   قَتْلَى الرَّسول ومَغْنَمَ الأسلاب

وَغَدَوا علينا قادرين بأيْدِهم   رُدُّوا بغَيْظِهــمُ على الأَعْقَاب[٨]

بُهبُوب مُعْصِفةٍ تفرِّق جَمْعهم   وجُنُودِ رَبِّك ســيِّدِ الأَرْبَاب[٩]

فــكَفى الإله المُؤمنين قِتالَهُمْ   وأثابَهم فى الأجْر خيرَ ثَواب

مِن بعد ما قَنطوا ففرَّق جمْعهم   تَـنْزِيلُ نَصْر مليكنا الوهَّاب

وأَقرَّ عَيْن محمـــدٍ وصِحابهِ   وأذَلَّ كُلَّ مُـكَذِّب مُرْتاب

عاتِي الفؤادِ مَوَقَّعٍ ذى رِيبةٍ   فى الـكُفْر ليس بطاهرِ الأَثْواب[١٠]

---

(١) اليباب: القفر.

(٢) كذا فى ا. والمحاور: الذى يراجعك ويتكلم معك. وفى سائر الأصول: «لمحارب».

(٣) عفا: تغير ودرس. ورهم: جمع رهمة، وهى المطر. ومطلة: مشرقة. ومرباب: دائمة ثابتة.

(٤) الحلول: البيوت المجتمعة. وثواقب: مشرقة، ومنه قوله تعالى: «النجم الثاقب».

(٥) الخريدة: المرأة الناعمة. والـكعاب: التى نهد ثديها فى أول ماينهد.

(٦) ألبوا: جمعوا.

(٧) متخمطون: مختلطون. قال أبو ذر: «ويقال: المتخمط: الشديد الغضب المتكبر». والحلبة: جماعة الخيل التى تعد للسباق.

(٨) الأيد: القوة.

(٩) المعصفة: الريح الشديدة.

(١٠) عاتى الفؤاد: قاسيه. وموقع: ذوعيب، وأصله من التوقيع فى ظهر الدابة، وهو انسلاخ يكون فيه.

عَلِق الشَّـــقاء بقَلْبه ففُؤَادُه   فى الـكُفْر آخرُ هذه الأحقابِ

شعر كعب

وأجابه كعب بن مالك أيضا ، فقال :

أَبقَى لنا حَدَثُ الحرُوب بقيةً   من خَيْرِ نحْـلة رَبِّنَا الوهابِ(١)

بَيْضاء مُشْرِفة الذُّرى ومَعاطِناً   حُمَّ الجُذوع غزِيرَةَ الأَحْلابِ(٢)

كاللُّوب يُبْذَل جَمّها وحَفِيلُها   للجارِ وابنِ العَـــمِّ والمُنْتابِ(٣)

ونَزائِعاً مثل السِّراح نَمى بها   عَلفُ الشَّعير وجِزَّة المِقْضابِ(٤)

عَرِى الشَّوَى منها وأَرْدَفَ نَحْضَها   جُرْدُ المُتونِ وسائرُ الآرابِ(٥)

قُوداً تَراح إلى الصِّياح إذ غَدَت   فعل الضِّراء تَراح للكَلَّابِ(٦)

وتَحوط سائمَة الدِّيار وتارةً   تُرْدى العِدا وتَؤُوبُ بالأَسْلابِ(٧)

حُوشُ الوُحوش مُطارة عند الوَغَى   عُبْس اللِّقاء مُبينة الإنْجابِ(٨)

---

(١) النحلة : العطاء .

(٢) الذرى : الأعالى . ويعنى بها : الآطام . ويعنى « بالمعاطن » : منابت النخل عند الماء ، تشبيها لها بمعاطن الإبل ، وهى مباركها حول الماء . وحم : سود . ويريد « بالجذوع » : أعناقها . والأحلاب : مايحلب منها .

(٣) اللوب : جمع لوبة ، وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود . وجمها : مااجتمع من لبنها . والمنتاب : القاصد الزائر .

(٤) النزائع : الخيل العربية التى حملت من أرضها إلى أرض أخرى . والسراح : الذئاب ، الواحد : سرحان . وجزة المقضاب : أى مايجز لها من النبات فتطعمه ، والمقضاب : من القضب ، وهو القطع .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والشوى : القوائم . والنحض : اللحم . وجرد المتون : ملس الظهور . والأراب : جمع إربة ، وهى القطعة من اللحم . وفى ا «وسار فى الآراب » .

(٦) قود : طوال ، الواحد : أقود وقوداء . وتراح : تنشط . والضراء : الكلاب الضارية فى الصيد . والكلاب : الصائد صاحب الكلاب ؛ الواحد : كالب .

(٧) السائمة : الماشية المرسلة فى المرعى إبلا كانت أو غيرها . وتردى : تهلك . وتؤوب : ترجع .

(٨) الحوش : النافرة . والمطارة : المستخفة . والوغى : الحرب . والإنجاب : الكرم والعتق .

عُلفتِ على دَعةٍ فصارتْ بُدَّنا ... دُخْسَ البَضِيعِ خَفيفَةَ الْأقْصابِ[1]

يَغْدُونَ بالزَّغْفِ المُضاعفِ شَكّه ... وبمُتْرَصات فى الثِّقافِ صِيَابِ[2]

وصَوارم نَزَع الصَّياقِل غُلْبها ... وبكُلّ أَرْوعَ ماجِدِ الأَنْسابِ[3]

يَصِل اليمين بمارنٍ مُتقاربٍ ... وُكِلَت وقيعتُــه إلى خَبَّابِ[4]

وأغرّ أَزْرق فى القَناة كأنَّه ... فى طُخْيةِ الظَّلْماء ضوْء شِهابِ[5]

وكتيبةٍ يَنْفِي القِرانَ قَتيرُها ... وتَرُدّ حَـــدّ قَواحذ النُّشَّابِ[6]

جَأْوى مُلَمْلَمَة كأنّ رماحها[7] ... فى كل مَجْمَعة ضَرِيمَةُ غابِ[8]

يأوى إلى ظِلّ اللّــــواءِ كأنّهُ ... فى صَعْدَةِ الخَطِّىّ فَىْءُ عُقابِ[9]

أَعيَت أبا كَرِبٍ وأَعيَت تُبَّعًا ... وأَبَتْ بَسالتُها على الأَعْرابِ[10]

ومَواعظ من ربِّنا نُهدَى بها ... بِلسانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الأَثْوابِ[11]

عُرِضت علينا فاشتَهيْنَا ذِكْرَها ... من بعد ما عُرِضتْ على الأَحْزابِ

حِكَماً يراها المُجْرِمون بِزَعْمهم ... حَرَجا ويَفْهمها ذَوُو الأَلْبابِ[12]

---

(١) البدن : السمان . ودخس : كثيرة اللحم . والبضيع : اللحم . والأقصاب : المعى ، الواحد : قصب .

(٢) الزغف : الدروع اللينة : والمترصات . الشديدات وصياب : صائبة .

(٣) صوارم : سيوف قاطعة . وغلبها : خشونتها وماعليها من الصدأ . والأروع : الذى يروع بكماله وجماله . والماجد : الشريف .

(٤) المارن : الرمح اللين . ووقيعته : صنعته وتطريقه وتحديده . وخباب : اسم قين .

(٥) يعنى بالأغر الأزرق : سنانا . والطخية : شدة السواد .

(٦) القران : تقارن النبل واجتماعه . والقتير : مسامير حلق الدرع . ويريد الدروع . وقواحذ النشاب : النبال التى تصيب الأفخاذ .

(٧) جأوى (الأصل فيه المد وقصر للضرورة) : يخالط سوادها حمرة . وململمة : مجتمعة .

(٨) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والضريمة : اللهب المتوقد . وفى الأصول : «صريمة» بالصاد المهملة .

(٩) الصعدة : القناة المستوية . والخطى : الرماح . والفىء : الظل .

(١٠) أبو كرب وتبع : ملكان من ملوك اليمن . وبسالتها : شدتها .

(١١) الأزهر : الأبيض .

(١٢) حرجا : حراما . والألباب : العقول .

جاءت سَخينة كى تُغالب ربَّها   فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَـــلاَّب[1]

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به قال : حدثنى عبد الملك بن يَحيى بن عبّاد ابن عبد الله بن الزّبير، قال :

لمـا قال كعب بن مالك :

جاءت سَخينة كَىْ تُغالِب ربَّها   فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَـــلاَّب

قال له رسول الله صلّى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كَعْب على قولك هذا.

قال ابن إسحاق .

وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

من سَرَّه ضَرْبٌ يُمَعْمِـعُ بعضُه   بعضاً كَمَعْمَعَة الأَباء المُحْرَقِ[2]
فلْيأْتِ مَأْسدةً تُسَنّ سُيوفها[3]   بين المذاد[4] وبين جِزْعِ[5] الخَنْدق
دَرِبوا بِضَرْبِ المُعْلِمِين وأَسْلَموا   مُهُجَات أَنْفسِهِمْ لربّ المَشْرق[6]
فى عُصْـــبة نَصَرَ الإِله نَبِيَّه   بِهِم ِ وكانَ بعَبْدِه ذا مَرْفِق[7]

---

(١) سخينة : لقب قريش فى الجاهلية . وذكروا أن قصيا كان إذا ذبح ذبيحة أو نحر نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة — وهو لحم يطبخ ببر — فيطعمه الناس، فسميت قريش بها سخينة . وقيل : إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز، وهو الوبر والدم، وتأكل قريش الخزيرة، فنفست عليهم ذلك، فلقبوهم سخينة . (راجع الروض) .

(٢) المعمعة : صوت التهاب النار وصريفها . والأباء : القصب ؛ ويقال . الأغصان الملتفة .

(٣) المأسدة : موضع الأسود، ويعنى بها هنا موضع الحرب .

(٤) كذا فى ا . والمذاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق ؛ وقيل هو بين سلع وخندق المدينة . وفى سائر الأصول : « المزاد » وهو تحريف .

(٥) كذا فى ا . والجزع : الجانب . وفى سائر الاصول : « الجذع » وهو تحريف.

(٦) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها . والمهجات : الأنفس ؛ الواحدة : مهجة . ولرب المشرق : يريد لرب المشرق والمغرب، لحذفه للعلم به .

(٧) العصبة : الجماعة .

فى كلِّ سابغةٍ تَخُطُّ[1] فضولَهـا   كالنِّهْى هبَّتْ رِيحُه المُتَرَقْرِق[2]

بَيْضاء مُحْـكَمة كأنّ قَتيرها   حَدَق الجَنَادِب ذات شَكٍّ مُوثَق[3]

جَـــدْلاء يَحْفِزها نِجادُ مُهَنّد   صافِى الحَدِيدة صارم ذى رَوْنَق[4]

تِلْـكم مع التَّقْوى تـكون لِبَاسَنا   يوم الهِياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَق

نَصِل السُّيوف إذا قَصُرن بخَطْونا   قُدُما ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَق

فترى الجَمَاجِم ضاحياً هاماتُها   بَلْهَ الأ كُفَّ كأنّها لم تُخْلَق[5]

نَلْقَى العدوّ بِفَخْمَةٍ[6] مَلْمُومة   تَنْفى الجُموع كَقَصْد رأسِ المَشْرِق[7]

ونُعِــدّ للأَعداء كلَّ مُقَلّص   وَرْدٍ ومحجولِ القوائمِ أَبْلَق[8]

تَرْدِى بفُرْسانٍ كأنّ كُماتَهم   عنــد الهياج أُسود طَلٍّ مُلْثِق[9]

صُدُق يُعاطون الكُماةَ حُتُوفَهم   تحت العَمَاية بالوَشِيج المُزْهِق[10]

أمر الإلهُ برَبْطها لِعَدُوّه   فى الحَرْب إن الله خــيرُ مُوَفِّق

---

(١) فى ا : « يحط » بالحاء المهملة .

(٢) السابغة : الدروع الـكاملة . وتخط فضولهـا : ينجر على الأرض مافضل منها . والنهى : الغدير من المـاء . والمترقرق : الذى تصفقه الريح ، فيجىء ويذهب .

(٣) القتير : مسامير الدروع . والجنادب : ذكور الجراد . والشك : إحكام السرد .

(٤) الجدلاء : الدرع المحـكمة النسج . ويحفزها : يرفعها ويشمرها . والنجاد : حمائل السيف وصارم : قاطع . والرونق : اللمعان .

(٥) الجماجم : الرءوس . وضاحيا : بارزا للشمس . وبله : اسم فعل بمعنى اترك ودع ، ويصح نصب « الأكف » به ، أو جره على أنه مصدر مضاف له .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . ويريد «بالفخمة» : الـكتيبة . وفى سائر الأصول : « لحمة » بالحاء المهملة .

(٧) الململومة : المجتمعة ، والمشرق : جبل بين الصريف والعصيم من أرض ضبة. (راجع معجم البلدان) .

(٨) المقلص : الفرس الخفيف .

(٩) تردى : تسرع . والـكماة : الشجعان . والطل : الضعيف من المطر . والملثق : مايكون عن الطل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين .

(١٠) يريد بالعماية : سحابة الغبار وظلمتـــه . والوشيج : الرماح . والمزهق : المذهب للنفوس . وقد وردت هذه الـكلمة بالراء المهملة .

لتكون غيظاً للعدوّ وحُيَّطاً ... للدارِ إنْ دَلَفت خُيولُ النَّزَّق[1]
ويُعينِنا اللهُ العزيزُ بقوّة ... منه وصِدْقِ الصَّبرِ ساعةَ نَلْتقى
ونُطِيعُ أمرَ نَبِيّنا ونُجيبه ... وإذا دعا لِكَرِيهةٍ لم نُسْبَق
ومتى يُناد إلى الشَّدائدِ نَأْتِها ... ومتى نَرَ الْحوماتِ فيها نُعْنِق[2]
من يَتَّبِع قولَ النبيِّ فإنّه ... فينا مُطَاعُ الأمرِ حقّ مُصَدَّق
فبذاك يَنْصرنا ويُظْهِر عزَّنا ... ويُصيبنا من نَيْلِ ذاكَ بِمِرْفَق
إنّ الذين يُكَذِّبون محمداً ... كَفَروا وضَلّوا عن سبيلِ الْمُتَّقِي

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

* تلكم مع التقوى تكون لباسنا *

وبيته :

* من يتبع قول النبيّ *

أبو زيد . وأنشدنى :

* تَنفِي الجموعَ كرأس قُدْس المشرق *[3]

قال ابن إسحاق :

وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لقد علم الأحزابُ حين تَألّبوا ... علينا ورَامُوا دِيننا ما نُوادِعُ[4]
أضاميمُ من قَيْسِ بن عَيْلانَ أصْفَقت ... وخِنْدِف لم يَدْرُوا بما هو وَاقِع[5]
يَذُودوننا عن ديننا ونَذُودهم ... عن الكُفر والرَّحمن راءٍ وسامع[6]

---

(١) حيط : جمع حائط ، وهو اسم الفاعل من حاط يحوط . ودلفت : قربت . والنزق : الغاضبون السيئو الخلق ؛ الواحد : نازق .

(٢) الحومات : مواطن القتال ؛ الواحدة : حومة . ونعنق : نسرع .

(٣) أشار السهيلى إلى أن هذه الرواية أولى وقال : لأن قدس جبل معروف من ناحية المعرق .

(٤) تألبوا : تجمعوا . ونوادع : نصالح ونهادن .

(٥) أضاميم : جماعات انضم بعضها إلى بعض . ويروى : أصاميم . والأصاميم : الخالصون فى أنسابهم . وأصفقت : اجتمعت وتوافقت على الأمر .

(٦) يذودوننا : يدفعوننا ويمنعوننا .

إذا غايظُونا في مقام أعاننا ... على غَيْظِهم نَصرٌ من اللهِ واسعُ
وذلك حِفْظُ اللهِ فينا وفَضْلُه ... علينا ومن لم يَحْفظِ اللهُ ضائعُ
هَدانا لدين الحقّ واختاره لنا ... ولله فوق الصّانعين صَنائعُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له

قال ابن إسحاق:

وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

أَلاَ أَبْلغْ قُريشاً أنّ سَلْعاً ... وما بين العُرَيض إلى الصِّمادِ[1]
نَواضحُ في الحُروب مُدرَّباتٌ ... وخوصٌ ثُقِّبتْ من عَهْدِ عادِ[2]
رَوَاكِد يَزْخر المُرّار فيها ... فليستْ بالجِمام ولا الثِّمادِ[3]
كأنّ الغابَ والبَرْدِيّ فيها ... أَجَشّ إذا تَبَقَّع للحَصادِ[4]
ولم نَجعل تجارتَنا اشْتراء الـ ... حَميرِ لأرْض دَوْسٍ أو مُرادِ[5]
بِلادٌ لم تُثَر إلا لـكَيْما ... نُجالِد إنْ نَشِطتم للجِلادِ[6]
أَثَرْنا سِكّةَ الأنْباطِ فيها ... فلم تر مثْلها جَلَهاتِ وَادِ[7]

(١) سلع: جبل بسوق المدينة. والعريض: واد بالمدينة. قال أبوذر: «ويحتمل أن يكون تصغير عرض، واحد الأعراض، وهي أودية خارج المدينة فيها النخل والشجر». والصماد (بالفتح والكسر): جبل. قال أبوذر: «ويمكن أن يكون جمع صمد، وهو المرتفع من الأرض».

(٢) يعني بالنواضح: حدائق نخل تسقى بالنضح. والخوص: الآبار الضيقة. وثقبت: حفرت.

(٣) رواكد: ثابتة دائمة. ويزخر: يعلو ويرتفع. والمرار: نهر. قال أبو ذر «ومن رواه «المداد» يعني الماء الذي يمدها». والجمام جمع جمة، وهي البئر الكثيرة الماء. والثماد: الماء القليل. ورواية الشطر الأول من هذا البيت في ا: «رواكد تزجر المران الخ».

(٤) الغاب: الشجر الملتف. والبردي: نبات ينبت في البرك تصنع منه الحصر الغلاظ. وأجش: عالي الصوت. وتبقع: صارت فيه بقع صفر.

(٥) دوس ومراد: قبيلتان.

(٦) لم تثر: لم تحرث.

(٧) السكة: النخل المصطف؛ والأنباط: قوم من العجم. أي حرثناها وغرسناها كما تفعل الأنباط في أمصارها لا تخاف عليها كيد كائد. وجلهات الوادي: ما استقبلك منه إذا نظرت إليه من الجانب الآخر؛ الواحدة: جلهة. وقال السهيلي: «جلهات الوادي: ما كشفت عنه السيول فأبرزته، وهو من الجله، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس»

قصَرنا كل ذى حُضر وطُول ... على الغَايات مُقْتَدِرٍ جواد(1)
أجيبُـــونا إلى ما نَجْتَديكم ... من القول المُبيَّن والسَّــداد(2)
و إلا فاصـــبروا لجِلاَد يَوْمٍ ... لــكم منّا إلى شَـــطْرِ المَذاد(3)
نُصَبِّحكم بكلّ أخى حُروب ... وكل مُطهَّـــم(4) سَلس القِياد
وكلّ طِمِرَّة خَفِق حشاَها ... تَدِفّ دفِيفَ(5) صَفْراء الجَراد(6)
وكلّ مُقَلَّص الآراب نَهْـــدٍ ... تميمِ الخَلْق من أُخْرٍ وهَادى(7)
خُيول لا تُضاعُ إذا أُضيعتْ ... خيولُ الناس فى السَّنة الجَماد(8)
يُنازِعْن الأعِنَّة مُصْغِيات ... إذا نادى إلى الفزَع المُنادى(9)
إذا قالت لنا النُّذُر أستعدُّوا ... تَوَكّلنا على رَبّ العِبــاد
وقُلنا لن يُفرِّج مالَقينـــا ... سوى ضرْب القَوانِس والجِهاد(10)
فلم تَرَ عُصْـــبةً فيمن لَقِينا ... مِن الأقْوام من قارٍ وبَادى(11)
أشــــدّ بسالةً منّا إذا ما ... أَردناه وأَلْـــينَ فى الوِداد(12)

---

(1) الحضر : الجرى . ويريد «بذى الحضر» : الخيل . ويروى : «خطر» أى قدر .
(2) نجتديكم : نطلب . . .
(3) الشطر : الناحية والقصد . والمذاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق ؛ وقيل هو بين سلع وخندق المدينة .
(4) كذا فى أكثر الأصول . والمطهم : الفرس التام الخلق . وفى ا : « مطهر » .
(5) كذا فى أكثر الأصول ؛ ويقال : دف الطائر : إذا حرك جناحيه ليطير . وفى ا : « تذف ذفيف » . بالذال المعجمة .
(6) صفراء الجراد : الخيفانة منها ، وهى التى ألقت سرأها ، أى بيضها ، وهى أخف طيرانا .
(7) المقلص : المنشمر الشديد . والآراب : قطع اللحم ؛ الواحدة : أربة (بضم الهمزة) . والنهد : الغليظ . والهادى : العنق . يريد أنه تام الخلق من مقدمه ومؤخره .
(8) السنة الجماد : سنة القحط .
(9) مصغيات : مستمعات .
(10) القوانس : أعالى بيض الحديد .
(11) القارى : من كان من أهل القرى . والبادى : من كان من أهل البادية .
(12) البسالة : الشدة والشجاعة .

إذا ما نحن أشرَجْنا عليهـا[1] جِيادَ الجُدْلِ[2] فى الأُرَبِ الشِّدادِ[3]
قَذَفْنا فى السوابِـغِ كلَّ صَقْرٍ كريمٍ غيرِ مُعْتَلِثِ الزِّنادِ[4]
أشَمَّ[5] كأنه أسَـدٌ عَبُوسٌ غَداةَ بَدَا[6] ببَطْنِ الجِزْعِ غادِى[7]
يُغَشِّى هامةَ البَطَلِ المُذَكِّى صَبِيَّ السَّيْفِ مُسْتَرْخِى النِّجادِ[8]
لنُظْهِرَ دينَكَ اللهـمَّ إنّا بكَفِّكَ فاهدِنا سُـبُلَ الرَّشادِ

قال ابن هشام بيته :

* قَصَرنا كل ذى حُضْرٍ وطَوْلٍ *

والبيت الذي يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، و بيته :

* أشم كأنه أسـد عبوس *

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارىّ .

شعر مسافع فى بكاء عمرو

قال ابن إسحاق :

وقال مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، يبكى عمرو ابن عَبْد وُدّ ، ويذكر قَتْل علىّ بن أبى طالب إياه :

عمرُو بن عَبْدٍ كان أول فارس جزع المَذاد وكان فارسَ يَلْيل[9]

---

(1) أشرجنا : ربطنا .

(2) الجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع المحكمة النسج .

(3) كذا فى أكثر الأصول . والأرب : جمع أربة ، وهى العقدة الشديدة . ويروى : الأزب : بالزاء ، وهو الشديد الضيق . وفى ا : « الأدب » وهو تحريف .

(4) السوابغ : الدروع الكاملة . واعتلث الرجل زندا : أخذه من شجر لا يدرى أيورى أم لا . يصفه بحسن الاستعداد للحرب .

(5) الأشم : العزيز ، وأصله من الشمم ، وهو ارتفاع قصبة الأنف .

(6) كذا فى أكثر الأصول . وبدا : ظهر . وفى ا : « ندى » . وندى الصوت : ارتفع . يريد إذا ارتفع صوت غاد طالب للغوث . ويروى : « يرى » .

(7) الجزع : جانب الوادى وما انعطف منه .

(8) المذكى : الذى بلغ الغاية فى القوة . وصبى السيف : وسطه . والنجاد : حمائل السيف .

(9) جزع : قطع . والمذاد : موضع . (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٣ من هذا الجزء) ويليل : واد ببدر .

سَمْحُ الخلائِق ماجد ذو مِرَّةٍ ... يَبْغى القتال بِشِكةٍ لم يَنْكُلِ (١)
ولقد علِمتم حين ولّوا عَنكمُ ... أن ابْنَ عبدٍ فيهمُ لم يَعْجَل
حتى تَكنّفه الكُماةُ وكلُّهم ... يَبْغى مَقاتله وليس بمؤتلى (٢)
ولقد تكنّفت الأسِنَّة فارساً ... بجنوب سَلْع غيرَ نِكْس أَمْيل (٣)
تَسلُ النِزالَ علىٌّ فارسَ غالبٍ ... بجنوبِ سَلْعٍ ، لَيْته لم ينزل
فاذهبْ علىّ فما ظَفِرْت بمثْله ... فَخْراً ولا لاقيتَ مثلَ المُعْضِل (٤)
نَفْسِي الفداءُ لفارسٍ من غالبٍ ... لاقَى حِمَام المَوْت لم يَتحَلْحَل (٥)
أعنِي الذي جَزَع المَذاد بمُهْره ... طَلباً لثأرِ معاشر لم يَخْذُل

شعر مسافع في تأنيب الفرسان الذين كانوا مع عمرو

وقال مُسافع أيضاً يُؤَنّب فُرسانَ عمْرو الذين كانوا معه ، فأجلَوْا عنه وتركوه :

عمرو بن عبْد والجيادُ يقودُها ... خَيْلٌ تُقاد له وخيلٌ تُنْعَل (٦)
أَجْلَت فوارسُه وغادر رهطَه ... رُكْناً عظيماً كان فيها أَوّل (٧)
عَجَباً وإن أَعْجَبْ فقد أَبْصَرته ... مَهْما تسومُ علىّ عَمْراً يَنْزِل (٨)
لاتَبْعَدَنّ فقد أُصِبْتُ بقتْله ... ولَقِيتُ قبلَ الموت أمراً يَثْقُل
وهُبَيرة المَسْلوب ولّى مُدْبِراً ... عند القتال مَخافةً أن يُقْتَلوا
وضرار كان البأسُ منه مُحْضَراً ... ولّى كما ولّى اللّئيمُ الأعْزَل (٩)

---

(١) المرة . الشدة والقوة . والشكة : السلاح . ولم ينكل : لم يرجع من هيبة ولا خوف .
(٢) تكنفه : أحاط به : وليس بمؤتلى : ليس بمقصر .
(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . قال الأزهرى : موضع قرب المدينة (راجع معجم البلدان) . والنكس : الضعيف من الرجال . والأميل : الذى لارمح معه ؛ وقيل : الذى لاترس معه .
(٤) المعضل : الأمر الشديد .
(٥) لم يتحلحل : لم يبرح مكانه
(٦) تنعل : تلبس النعال من الحديد لتقوى.
(٧) أجلت : تفرقت وولت .
(٨) تسوم . تطلب وتكلف .
(٩) الأعزل : الذى لاسلاح معه .

قال ابن هشام :

وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها له . وقوله : « عمراً ينزل » عن غير ابن إسحاق .

شعر هبيرة فى بكاء عمرو والاعتذار من فراره

قال ابن إسحاق :

وقال هُبيرة بن أبى وَهْب يعتذر من فراره ، ويبكى عمراً ، ويذكر قتل علىّ إياه :

لَعَمْرِىَ ماولّيتُ ظَهْرِى محمداً وأصحابه جُبْناً ولا خِيفةَ القتْلِ
ولكنّنى قلّبت أَمْرِى فلم أَجِد لسَيْفِى غَناء إن ضربتُ ولا نَبْلى
وقَفْت فلمّا لم أَجِدْ لى مقدَّماً صَددتُ كضرغام هِزَبرٍ أبى شِبْل[1]
ثَنَى عِطْفه عن قِرْنه حين لم يَجِد مَكرًّا وَقِدْمًا كان ذلك من فِعْلى[2]
فلا تَبْعَدن يا عمرو حَيًّا وهالِكا وحُقّ لِحُسْن المَدْح مثلُك من مِثْلى
ولا تَبْعَدَن يا عَمْرو حَيًّا وهالِكاً فقد بِنْتَ محمود الثّناماجِد الأصْل[3]
فَمَنْ لِطَراد الخَيْلِ تُقْدَع بالقَنا وللفخْر يومًا عند قَرْقَرة البُزْل[4]
هُنالك لو كان ابنُ عبدٍ لَزَارَها وفرّجها حَقًّا فتًى غيرُ ما وَغْل[5]
فَعَنْك علىّ لا أرى مثلَ موقفٍ وَقَفْت على نَجْدِ المُقدَّم كالفَحْل[6]
فما ظَفِرتْ كفاكَ فخراً بمثله أَمِنْت به ماعِشْت من زَلّة النَّعْل

شعر آخر لهبيرة فى بكاء عمرو

وقال هُبيرة بن أبى وَهْب يبكى عمرو بن عَبْد ود ، ويذكر قَتْلَ علىّ إياه :

(١) الضرغام : الأسد . والهزبر : الشديد . والشبل : ولد الأسد .

(٢) العطف : الجانب . والقرن : الذى يقاومك فى شدة أو قتال .

(٣) الثنا : الذكر الطيب . ويروى : النَّثا .

(٤) تقدع : تكف . والقرقرة : من أصوات فحول الإبل . والبزل : الإبل القوية .
وضربه مثلا للمفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر .

(٥) الوغل : الفاسد من الرجال .

(٦) فعنك : اسم فعل بمعنى تباعد . والنجد : الشجاع .

لقد عَلِمت عُلْيا لؤىّ بن غالب ... لَفارسُها عَمْرو إذا ناب نائبُ
لَفارسها عَمْرو إذا ما يَسُــومه ... علىٌّ وإنّ الليث لابدّ طالِبُ[1]
عَشِــيّة يَدْعــوه علىٌّ وإنه ... لفارسُها إذ خام عنه الـكتائِبُ[2]
فيالهْف نفسى إنّ عمراً تركْتُه ... بيثْرِب لا زالت هُناكَ المصائِبُ

شعر حسان فى الفخر بقتل عمرو

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود :

بَقِيّتكم عَمْـــرو أبَحْناه بالقَنا ... بيثْرِبَ نَحْمِى والحُماة قَليـــل
ونحن قتَلْنا كم بكلّ مُهنّد ... ونحنُ وُلاة الحَرْب حين نَصُول
ونحن قَتلْنا كم ببدْر فأصْبحت ... مَعاشِرُكم فى الهـالـكين تَجُول

قال ابن هشام :

وبعضُ أهل العلم بالشّعر يُنكرها لحسان

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت أيضا فى شأن عَمْرو بن عبد ود :

أمسَى الفتى عمرو بن عَبْدٍ يَبْتغَى ... بجنوب يَثْرِبَ ثأرَه لم يُنْظَرِ[3]
فلقد وجدتَ سُيوفَنا مشهورةً ... ولقد وجدتَ جيادَنا لم تُقْصَرِ[4]
ولقد لقيتَ غداةَ بدر عُصْبةً ... ضرَبوك ضرْباً غيرَ ضرْبِ الحُسَّرِ[5]
أصبحت لا تُدْعى ليوم عَظِيمةٍ ... يا عَمْرو أو لجسيمِ أمرٍ مُنْكَرِ

قال ابن هشام :

وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان[6] .

قال ابن إسحاق :

---

(١) يسومه : يكلفه .
(٢) خام : جبن ورجع .
(٣) لم ينظر : لم يمهل ولم يؤخر .
(٤) لم تقصر : لم تكف .
(٥) الحسر ، جمع حاسر ، وهو الذى لادرع له ؛ ويروى . « الحشر » بالحاء والشين المعجمتين ، وهم الضعفاء من الناس ؛ كما يروى : « الخسر » بالخاء المعجمة والسين المهملة ، وهو جمع خاسر .
(٦) وقد بحثنا عنها فى ديوان حسان فلم نجدها .

وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا أبْلِغْ أبا هِدْم رسولاً ... مُغَلْغَلةً تخُبُّ بها المَطِىُّ[1]
أكنتُ وليَّكم فى كل كُرْهٍ ... وغيرى فى الرَّخاء هو الوَلِىّ
ومنكم شاهدٌ ولقد رآنى ... رُفِعْتُ له كما احتُمِل الصَّبِىّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الدِّيلى ، ويروى فيها آخرها :

كَبَبْتَ الخزرجىَّ على يَدَيْه ... وكان شفاءَ نفسى الخزرجىّ

وتُروى أيضاً لأبى أسامة الجُشمىّ .

شعر حسان فى يوم بنى قريظة وبكاء ابن معاذ

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قُريظة يَبْكى سعد بن معاذ ، ويذكر حُكمه فيهم :

لقد سَجَمت من دَمع عَيْنِىَ عَبرةٌ ... وحُقّ لعينِى أن تفيض على سَعْد[2]
قَتيل ثَوَى فى معركٍ فُجِعتْ به ... عيُونٌ ذوارِى الدَّمْع دائمةُ الوَجْد[3]
على مِلّةِ الرحمن وارثَ جَنّةٍ ... مع الشّهداء وَفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودّعْتنا وتركتنا ... وأَمْسَيْت فى غَبراء مُظلمة اللَّحْد[4]
فأنت الذى يا سعد أُبْت بمشْهد ... كَرِيم وأثْواب المكارم والحَمْد
بحُكْمك فى حَيَّى قُرَيظة بالذى ... قَضَى اللهُ فيهم ماقَضَيْت على عَمْد
فوافَق حُكمَ الله حُكمُك فيهمُ ... ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْتَ ما كان من عَهْد
فإن كان رَيْبُ الدّهْر أَمْضاك فى الأُلَى ... شَرَوْا هذه الدنيا بجنّاتها الخُلْد

(١) المغلغلة . الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . وتخب : تسرع .
(٢) سجمت : سالت .
(٣) ثوى : أقام . والمعرك : موضع القتال . وذوارى الدمع : تسكبه . والوجد : الحزن .
(٤) يريد « بالغبراء » : القبر . واللحد : مايشق للميت فى جانب القبر .

فنعم مَصِـــير الصادقين إذا دُعوا … إلى الله يوما للوَجاهَة والقَصْـــد

شعر حسان في بكاء ابن معاذ وغيره

وقال حسان بن ثابت أيضا ، يبكى سعد بن معاذ ، ورجالا من أصحاب رســـول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بمـا كان فيهم من الخير :

ألا يا لقومى هل لمـا حُمّ دافِع … وهل ما مَضَى من صالح العيش راجعُ[1]

تذكَّرت عَصْراً قد مضى فتهافتتْ … بناتُ الحَشَى وأنهلّ منّى المَدامع[2]

صَبابة[3] وَجْدٍ ذَكَّرَتْنى أحِبَّة[4] … وقَتلى مضَى[5] فيها طُفَيل[6] ورَافع

وسَعْدٌ فأَضْحوا فى الجِنانِ وأوْحَشَت … منازلهم فالأرض منهـــم بلاقع[7]

وفَوْا يوم بدرٍ للرسول وفوْقهم … ظِلالُ المَنايا والسيوف اللوَامع

دعا فأجابوه بحَقٍّ وكلُّهــــم … مُطيـــع له فى كلّ أمر وسامع

فمـا نَـكلوا[8] حتَّى تولَّوْا جماعةً … ولا يَقْطَــع الآجال إلا المصارع[9]

لأنهمُ يرجون منه شَـــفاعةً … إذا لم يكن إلا النبيون شافِع

فذلك ياخَـــيرَ العِباد بلاؤنا[10] … إجابتُنا لله والموت ناقِـــــع[11]

لنا القدم الأولى إليك وخَلْفُنا[12] … لأولنا فى مِــــلَّةِ[13] الله تابِعُ

ونَعْلم أنّ المُــــلْك لله وَحْدَه … وأن قَضَاءَ الله لابدّ واقِـــــع

شعر لحسان فى يوم بنى قريظة

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة[14] :

---

(١) حم : قدر (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٢) تهافتت : سقطت بسرعة . وبنات الحشى : القلب وما اتصل به . وانهل : سال وانصب .

(٣) الصبابة : رقة الشوق .

(٤) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « أخوة » .

(٥) فى الديوان : « مضوا » .

(٦) فى الديوان : « نقيع » . ولم يسبق له ذكر .

(٨) بلاقع : قفار خالية .

(٨) فى الديوان : « فما بدلوا حتى توافوا جماعة » .

(٩) نكلوا : رجعوا هائبين . والمصارع : أى مصارع القتلى .

(١٠) فى الديوان : « ومشهدنا فى الله » .

(١١) بلاؤنا : اختبارنا . وناقع : ثابت .

(١٢) القدم الأولى : أى السبق إلى الإسلام . وخلفنا : أى آخرنا .

(١٣) فى الديوان « فى طاعة » .

(١٤) هذه العبارة : « فى يوم بنى قريظة » ساقطة فى ا .

لقـــد لَقِيتْ قُرِيظَةُ ماسآها ... وما وَجَدتْ لِذُلٍّ مِنْ نَصِـــير[1]
أصابَهم بلاءٌ كان فيـــــه ... سوى ما قد أصاب بنى النَّضِير
غداةَ أتاهمُ يَهْوِى إليهـــم ... رســـولُ الله كالقَمر المنـــير
له خَيْـــــلٌ مُجنَّبة تَعادَى ... بفُرْسان عليها كالصـــقور[2]
تَرَكْناهم وما ظَفِروا بشَىءٍ ... دماؤُهمُ عليهمْ كالْغَـــدير[3]
فهم صَرْعى تَحُومُ[4] الطيرُ فيهم ... كذاكَ يُدانُ[5] ذو العَنَد الفَجُور[6]
فأَنْذِرْ مثلَها نُصْحًا قريشاً ... من الرحمن إن قَبِلت نَذِيرى[7]

وقال حسان بن ثابت فى بنى قُرَيظة :

لقـــد لَقِيتْ قُرَيظَةُ ماسآها ... وحـــلَّ بحِصْنها ذُلٌّ ذَلِيل
وَسَـــعْد كان أنذَرهم بنُصْح ... بأنّ إلهكم ربٌّ جَليــــــل
فما بَرِحوا بنَقْض العَهْد حتى ... فَلاَهم فى بلادهم الرَّسُـــول[8]
أحاطَ بحِصْنهم منّا صُـــفوف ... له من حَرِّ وَقْعَتِهم صَليل[9]

وقال حسان بن ثابت أيضاً فى يوم بنى قُرَيظة :

تَفَاقد مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيشاً ... وليس لهم ببَلْدتهم نَصـــير[10]
هم أُوتوا الــكِتاب فَضَـــيّعوه ... وهم عُمْى من التوراة بُور[11]

---

(١) ماسآها : يريد ماساءها ، فقلب . والعرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال ؛ يقولون : رأى وراء ، بمعنى واحد على جهة القلب .
(٢) الخيل المجنبة ؛ هى التى تقاد ولا تركب . وتعادى : تجرى وتسرع .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : العبير ، وهو الزعفران .
(٤) تحوم : تجتمع حولهم محلقة .
(٥) كذا فى أكثر الأصول . ويدان : يجزى . وفى ا : « يدين » .
(٦) كذا فى أكثر الأصول . والعند : الخروج عن الحق . وفى ا : « كذلك دين ذى العند الفخور » .
(٧) النذير : الإنذار .
(٨) فلاهم : قتلهم بالسيوف .
(٩) الصليل : الصوت .
(١٠) تفاقد : فقد بعضهم بعضا ، وهو دعاء عليهم . وفى ا : « تعاهد » .
(١١) بور : ضلال ، أو هلـكى .

كَفرتم بالقُرانِ وقد أتيْتم   بتَصْديق الذى قال النَّذِير

فهاَن على سَراة بنى لُؤَىّ   حَرِيقٌ بالبُوَيرة مُسْتَطِير(١)

شعر أبى سفيان فى الرد على حسان

فأجابه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك من صَنِيع   وحَرّق فى طرائقها السَّعِيرُ(٢)

ستَعْلم أيّنا منها بنُزْهٍ(٣)   وتعلم أىَّ أرضَيْنا تَضِــيرُ(٤)

فلو كان النَّخِيل بها رِكاباً   لقالوا لا مُقام لكم فسيروا

شعر ابن جوال فى الرد على حسان

وأجابه جَبَل بن جَوّال الثعلبى أيضا ، وبكى النَّضير وقُريظة ، فقال :

ألاَ ياسعدُ سَعْدَ بنى مُعاذ   لما لقِيتْ قُرَيظة والنَّضِيرُ

لَعَمْرُكَ إن سَعْد بنى مُعاذ   غداةَ تَحمّلوا لهو الصَّبُور

فأمّا الخَزْرجى أبو حُبَاب   فقال لقَيْنُقاع لاتَسيروا

وبُدِّلت المَوالِى من حُضَير   أُسَيْدًا والدَّوائرُ قدَ تَدُور(٥)

وأَقْفرتِ البُوَيْرَة من سَلاَم   وسَعْيَةوابنأَخْطبفهى بُور

وقد كانوا ببَلْدتهم ثِقالاً   كما ثَقُلت بمَيْطَانَ الصُّخُور(٦)

فإنْ يَهْلِكْ أبو حَكم سَلاَم   فلا رَثُّ السِّلاح ولا دَثُور(٧)

وكلّ الكاهنَيْنِ وكان فيهم   مع اللِّين الخضارمةُ الصُّقُور(٨)

وجَدْنا المَجْد قد ثَبتُوا عليه   بمَجْد لا تُغَيِّبه البُــدور(٩)

---

(١) سراة القوم : أخيارهم ؛ والبويرة : موضع بنى قريظة .

(٢) الطرائق : النواحى . والسعير : النار الملتهبة .

(٣) النزه : البعد .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وتضير : تضر . وفى ا « تصير » أى تشق وتقطع .

(٥) الموالى ، الحلفاء . وحضير وأسيد : قبيلتان .

(٦) ميطان : جبل من جبال المدينة مقابل الشوران ، به بئر ماء . (راجع معجم البلدان) .

(٧) الرث : الخلق . والدثور : الدارس المتغير .

(٨) الكاهنان : حيان . والخضارمة : الأجواد الكرماء ؛ الواحد : خضرم .

(٩) البدور : الشهور والدهور .

أقيمُوا يا سراةَ الأوْس فيها كأنَّكم من المَخزاة عُور[1]
تركتم قِدْركم لاشيءَ فيها وقدْر القوم حامية تفُور

مقتل سلام بن أبي الحقيق

استئذان الخزرج الرسول فى قتل ابن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق[2] :

ولما انقضى شأن الخندق ، وأمْر بنى قُريظة ، وكان سَلاّم بن أبى الحُقيق ، وهو أبو رافع ، فيمن حَزّب الأحزاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت الأوس قبل أُحُد قد قَتلت كعب بن الأشرف ، فى عَداوته لرسول الله صلّى الله عليه وسلم وتَحريضه عليه ، استأذنت الخزرجُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم فى قَتْل سلاّم بن أبى الحُقيق ، وهو بخيبر ، فأذِن لهم .

قال ابن إسحاق[2]: وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى عن عبد الله ابن كعب بن مالك ، قال :

وكان مما صنع الله به لرسوله صلّى الله عليه وسلم أن هذين الحيّين من الأنصار ، الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان[3] مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تَصاول الفَحْلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَناء[4] إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلاينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبداً ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف ؟ فذكروا

(١) عور : جمع أعور .
(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٣) يتصاولان : يتفاخران ، إذا فعل أحدهما شيئا فعل الآخر مثله .
(٤) غناء : منفعة .

ابن أبى الحُقَيق، وهو بخَيبر؛ فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله، فأذن لهم.

النفر الذين خرجوا لقتل ابن أبى الحقيق وقصتهم

فخرج إليه من الخزرج من بنى سَلمة خمسة نفر: عبد الله بن عَتيك، ومسعود ابن سِنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعى، وخزاعى بن أسود، حليف لهم من أسلَم. فخرجوا وأمَّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عَتيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة. فخرجوا، حتى إذا قدموا، خَيْبر، أتَوْا دار ابن أبى الحُقَيق ليْلا، فلم يدَعوا بيتاً فى الدار إلا أغْلقوه على أهْله. قال: وكان فى عِلّية له إليها عجلة[1] قال: فأسندوا[2] فيها، حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجتْ إليهم[3] امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نَلتمس المِيرة؛ قالت: ذاكم صاحبُكم، فأدخُلوا عليه. قال: فلما دخلنا عليه أغْلَقنا علينا وعليها الحُجرة تخوّفا أن تكون دونه مجاولة[4] تحول بيننا وبينه؛ قالت: فصاحت امرأته، فنوّهت بنا[5] وابتَدَرْناه، وهو على فِراشه بأسْيافنا، فوالله مايدلّنا عليه فى سَواد الليل[6] إلا بياضُه كأنه قُبطيَّة[7] ملقاة. قال: ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منّا يرفع عليها سيفَه، ثم يذكر نَهْىَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم فيكفّ يدَه، ولولا ذلك لفرغنا منها بلَيْل. قال: فلما ضربناه بأسْيافنا تحامَل عليه عبدُ الله ابن أنيس بسَيْفه فى بَطْنه حتى أنفذَه، وهو يقول: قَطْنى قَطْنى، أى حَسْبى حَسْبى. قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيِّئ البصر، قال: فوقع من الدَّرجة فوُثِئتْ[8] يده وَثْئا شديدا – ويقال: رِجله، فيما قال ابن هشام –

---

(1) العجلة: جذع النخلة ينقر فى موضع منه ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى العلالى والغرف.

(2) أسندوا فيها: علوا.

(3) فى م، ر: «إليها» وهو تحريف.

(4) المجاولة: حركة تكون بينهم وبينه.

(5) نوهت بنا: رفعت صوتها تشهر بنا. ويروى: فوهت.

(6) فى ا: «البيت».

(7) القبطية (بضم القاف وكسرها): ضرب من الثياب البيض تصنع بمصر.

(8) وثئت: أصاب عظمها شىء ليس بكسر؛ وقيل: هو أن يصاب اللحم دون العظم.

وحَملناه حتى نأتى به مَنْهراً[1] من عيونهم ، فندخل فيه . قال فأوْقدوا النّيران ، واشتدّوا فى كلّ وجه يَطْلبوننا ، قال : حتى إذَا يئسوا رَجعوا إلى صاحبهم ، فا كتَنفوه وهو يَقْضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدّو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطَلق حتى دَخل فى الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المِصْباح تنظر فى وجهه ، وتحدّثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيك ، ثم أكذبتُ نفسى وقلت : أنّى ابن عَتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ[2] وإلهِ يهود ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألَذّ إلى نفسى منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر ، فاحتملنا صاحبَنا فقَدِمْنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلّنا يدّعيه . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هاتُوا أسيافَكم ؛ قال : فجئْناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتَله ، أرى فيه أثر الطعام .

شعر حسان فى قتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق.

قال ابن إسحاق :

فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قَتْل كَعْب بن الأشرف ، وقتل سلاّم ابن أبى الحُقيق :

لله دَرّ عِصابةٍ لاقيتَهم ... يابنَ الحُقيق وأنْت يابن الأشْرفِ[3]
يَسْرون بالبيض الخِفاف إليكم ... مَرَحًا كأُسْدٍ فى عَرينٍ مُغْرِفِ[4]
حتى أتوْكم فى محلّ بلادِكم ... فسَقَوْكمُ حَتْفاً ببِيض ذُفُّفِ[5]

---

(1) المنهر : مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله .
(2) فاظ : مات .
(3) العصابة : الجماعة .
(4) البيض الرقاق : السيوف . ومرحا : نشاطا . والعرين : غابة الأسد . ومغرف : ملتف الأغصان .
(5) ذفف : سريعة القتل .

مُسْتَبْصِرِينَ[١] لنصْرِ دِينِ نَبِيِّهِم مُسْتَصغِرِينَ لِكُلِّ أمرٍ مُجْحِفِ[٢]

قال ابن هشام : قوله « ذُفُف » ، عن غير ابن إسحاق .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

ذهاب عمرو مع آخرين إلى النجاشي

قال ابن إسحاق : وحدّثني يزيد بن أبي حَبِيب ، عن راشد مولى حبيب ابن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي قال : حدّثني عمرو بن العاص مِنْ فِيه ، قال :

لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قُرَيش ، كانوا يَرَون رأيي ، ويَسْمعون منّي ، فقلت لهم : تعلمون[٣] والله أني أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علوًّا مُنْكرا ، وإني قد رأيت أمراً ، فما تَرَوْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنّجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنّا عند النّجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَيْ محمد ، وإن ظهر قومُنا فنحن مَنْ قد عرَفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ؛ قالوا : إن هذا الرأي[٤] ؛ قلت : فاجمعوا لنا ما نُهديه له ، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم[٥] . فجمعنا له أدَمًا كثيراً ، ثم خرجنا حتى قَدِمْنا عليه .

سؤاله النجاشي في قتل عمرو الضمري ورده عليه

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أمية الضَّمْري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جَعْفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضَّمْري ، لو قد دخلتُ على النجاشي

---

(١) كذا في ا وديوان حسان . وفي سائر الأصول : « مستنصرين » .

(٢) مجحف : يذهب بالأموال والأنفس .

(٣) في ا : « تعلموا » .

(٤) في ا : « لرأي » .

(٥) الأدم : الجلود .

وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأتْ قريش أنى قد أجْزأت عنها(١) حين قتلت رسولَ محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أَصْنع ، فقال : مرحبا بصديقى ، أهديتَ إلىّ من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدمًا كثيراً ؛ قال : ثم قرّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطِنيه لأقتله ، فإنه قد أصابَ من أشْرَافنا وخيارنا ؛ قال: فغضب ، ثم مدّ يده فضَرب بها أنفَه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلوانشقّت لى الأرضُ لدخلتُ فيها فَرَقاً منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظَننتُ أنك تكره هذا ماسألتكه ؛ قال : أتسألنى أن أُعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ، أطِعنى واتبعه ، فإنه والله لعلَى الحقّ ، وليَظْهَرَنّ على من خالَفه ، كما ظهر موسى على فِرْعون وجُنوده ؛ قال : قلت : أفتُبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبَسط يَده ، فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عمّا كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى .

اجتماع عمرو وخالد على الإسلام

ثم خرجتُ عامداً إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لأُسلم ، فلقيتُ خالدَ ابن الوليد ، وذلك قُبيل الفَتْح ، وهو مُقْبل من مكة ؛ فقلت : أين يا أبا سُليمان ؟ قال : والله لقد استقام المَنْسِم ،(٢) وإن الرجل لنبىّ ، أذهبُ والله فأُسْلم ، فحتىّ متى ! قال : قلت : والله ماجئتُ إلا لأُسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسولَ الله ، إنّى أبايعك على أن يُغْفرَ لى ماتقدّم من ذنبى ، ولا أذكر ماتأخر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم :

---

(١) أجزأت عنها : كفيتها .

(٢) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : «الميسم» . قال أبو ذر : «ومعناه : تبين الطريق ووضح . وأصل المنسم : خف البعير ؛ ومن رواه الميسم ، فهو الحديدة التى توسم بها الإبل وغيرها والمنسم (بالنون) هو الصواب» .

يا عمرو ، بايعْ ، فإنّ الإسلام يَجُبّ[1] ما كان قبلَه ، وإن الهِجْرة تَجُبّ ما كان قبلها ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام :

ويقال : فإن الإسلام يَحُتّ[2] ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحُت ما كان قبلها .

إسلام طلحة

قال ابن إسحاق وحدّثنى من لا أتهم :

أن عثمان بن طلحة بن أبى طَلْحة ، كان معهما ، أسلم حين أسْلما .

شعر للسهمى فى إسلام ابن طلحة وخالد

قال ابن إسحاق :

فقال ابن الزِّبعرى السَّهْمى :

أَنْشُد عُثمانَ بن طَلْحة حِلْفَنا[3] ومُلْقَى نِعال القَوْم عند المُقَبَّل[4]
وما عَقد الآباء من كلّ حِلْفة وما خالدٌ مِن مِثْلها بمُحَلَّل
أمِفتاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بيتك تَبْتغِي وما يُبْتغَى من مَجْد بيتٍ مُؤثَّل[5]
فلا تأمنَنَّ خالدًا بعد هَذِه وعثمان جاء بالدُّهَيْم المُعَضَّل[6]

وكان فَتح بنى قُريظة فى ذى القعدة وصَدْر ذى الحجة ، وولى تلك الحِجّة المشركون[7] .

---

(1) يجب : يقطع .
(2) يحت : يسقط .
(3) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خلفنا » .
(4) يريد « بالمقبل » : موضع تقبيل الحجر الأسود .
(5) المؤثل : القديم .
(6) الدهيم : من أسماء الداهية . والمعضل : الشديد .
(7) إلى هنا ينتهى الجزء الرابع عشر من أجزاء السيرة .

غزوة بنى لحيان

قال ابن إسحاق[١] :

خروج الرسول إلى بنى لحيان

ثم أقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ذا الحجّة والمحُرم وصفراً وشهرَىْ ربيع ، وخرج فى جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فَتْح قُريظة ، إلى بنى لِحْيانَ يَطلب بأَصحاب الرَّجيع : خُبيب بن عدىّ وأصحابه ، وأظهر أنّه يريد الشامَ ، ليُصيب من القوم غِرّة[٢] .

استعماله ابن أم مكتوم على المدينة

فخرج من المدينة صلّى الله عليه وسلّم ، واستَعْمل على المدينة ابنَ أم مَكْتوم ، فيما قال ابنُ هشام .

طريقه إليهم ثم رجوعه عنهم

قال ابن إسحاق :

فسلك على غُراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مَحِيص[٣] ، ثم على البَتْراء ، ثم صَفّق[٤] ذاتَ اليَسار ، فخرج على بين[٥] ، ثم على صُخَيرات اليَمام[٦] ، ثم استقام به الطريقُ على المحَجّة من طريق مكة ، فأغذّ[٧] السيرَ سريعاً حتى نزل على غُرَان ، وهى منازل بنى لِحْيانِ ، وغُرَان وادٍ بين أَمَج وعُسْفان ، إلى بلد يقال له : سايَة ، فوجدهم قد حَذِروا وتمنّعوا فى رءوس الجبال . فلما نزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وأَخْطأه مِنْ غِرّتهم ما أراد ، قال : لو أنا هَبَطنا عُسفان لرأى أهلُ مكة أنّا قد جئنا مكة ؛ فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى

---

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبي قال » .

(٢) الغرة : الغفلة .

(٣) كذا فى شرح المواهب ومعجم البلدان . وفى الأصول : « مخيض » وهو تصحيف .

(٤) صفق : عدل .

(٥) بين (بالكسر ، كما ضبطه ياقوت فى معجمه ، وبالفتح أو التحريك ، كما ضبطه الزرقانى نقلا عن غيره) : واد قرب المدينة .

(٦) صخيرات اليمام : منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر . وهو بين السيالة وقريش . وقد ذكر فى معجم البلدان «صخيرات الثمام ، بالثاء» وأشير فيه إلى هذه الرواية . وذكر الزرقانى بالثاء ولم يشر إلى الرواية الثانية» وفى رواية بشرح القاموس : « صحيرات» .

(٧) أغذ : أسرع .

نزل عُسْفان، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلغا كُراعَ الغَميم(١) ، ثم كرّ وراح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلاً(٢) .

مقالة الرسول في رجوعه

فكان جابر بن عبد الله يقول :

سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول حين وجّه راجعاً : آيبون تائبون إن شاء الله لربّنا حامدون ، أعوذ بالله مِنْ وَعثاء(٣) السفر ، وكآبة(٤) المنقَلب ، وسوء المنْظر فى الأهل والمال .

شعر كعب فى غزوة بنى لحيان

والحديث فى غَزْوة بنى لِحْيان عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله ابن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك فى غَزْوة بنى لِحْيان :

لَو أنّ بنى لِحْيانَ كانوا تناظَرُوا ... لَقُوا عُصَباً فى دارهم ذاتَ مَصْدَقِ(٥)
لقُوا سَرَعاناً يَمْلأ السَّرْب رَوْعُه ... أمامَ طَحُونٍ كالمجَرّةِ فَيْلَقِ(٦)
ولكنّهم كانُوا وِباراً تَتَبّعتْ ... شِعاب حِجازٍ غيرِ ذى مُتَنَفَّقِ(٧)

غزوة ذى قرد

غارة ابن حصن على لقاح الرسول

ثم قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، فلم يُقم بها إلا ليالى قلائلَ ،

(١) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . (عن معجم البلدان) .

(٢) وذكر ابن سعد أنه حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عسفان بعث أبا بكر مع عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم ، فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا كيدا . قال الزرقانى : « ويمكن الجمع بأنه بعثهما ثم بعث أبا بكر فى العشرة ، أو عكسه » .

(٣) وعثاء السفر : مشقته وشدته .

(٤) الكآبة : الحزن .

(٥) تناظروا : انتظروا . والعصب : الجماعات .

(٦) السرعان : أول القوم . والسرب (بفتح السين) : الطريق . والسرب (بكسر السين) : النفس ؛ وكلا المعنيين محتمل . والروع : الفزع . والطحون : الكتيبة تطحن كل ما تمر به . والمجرة : نجوم كثيرة يختلط ضوءها فى السماء ، والفيلق : الكتيبة الشديدة .

(٧) الوبار : جمع وبر ، وهى دويبة على قدر الهرة ، تشبه بها العرب الضعيف . والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض من الأرض . وحجاز : أرض مكة وما يليها . ويروى : « حجان » بالنون ، أى معوجه ؛ كما روى : « حجار » وهو جمع حجر . وغير ذى متنفق : أى ليس له باب يخرج منه . وأصله من النافقاء ، وهو أحد أبواب جحرة اليربوع .

حتى أغار عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر الفَزارى[1] ، فى خَيْل من غَطَفان ، على لقاحٍ[2] لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالغَابَة[3] ، وفيها رجلٌ من بنى غِفار[4] وامرأة له ، فقَتلوا الرجلَ ، واحتملوا المرأةَ فى اللّقَاح .

بلاء ابن الأكوع فى هذه الغزوة

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتَادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومَنْ لا أَتّهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، كلٌّ قد حَدّث فى غزوة ذى قَرَد[5] بعضَ الحديث[6] :

أنه كان أول من نَذِر[7] بِهم سَلَمة بن عمرو بن الأكْوع الأسلمى ، غدَا يريد الغابة متوشّحاً قَوْسه ونَبْله ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله ، معه فَرَس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيّة الوَداع نظرَ إلى بعض خُيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يَشْتدّ فى آثار القوم ، وكان مثل السبع ، حتى لَحِق بالقوم ، فجعل يَردُّهم بالنَّبل ، ويقول إذا رمى : خُذها وأنا ابن الأكْوع ، اليوم يوم الرُّضَّع[8] ، فإذا وُجّهت الخيلُ نحوه انطلق هارباً ، ثم عارضَهم ، فإذا أمكنه الرّمْى رمَى ، ثم قال : خُذْها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضّع قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكِعنا هو أوّل النهار .

صراخ الرسول وتسابق الفرسان إليه

قال : وبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم صِياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : الفزَع الفزَع ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الفُرسان : المِقْداد بن عمرو ، وهو الذى يقال له : المِقْداد بن الأسْود ، حليف بنى زُهرة ؛ ثم كان أولَ فارس وقَف على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعد المِقْداد من

(١) وقيل إن الذى أغار هو عبد الرحمن بن عيينة .

(٢) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

(٣) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة . (راجع معجم البلدان) .

(٤) هذا الرجل الغفارى هو ابن أبى ذر ، كما صرح بذلك ابن سعد . واسم امرأته ليلى .

(٥) ذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان ؛ وقيل على مسافة يوم منها .

(٦) بين رجال السير خلاف فى وقت هذه الغزوة عرض له الزرقانى فى شرح المواهب ، فى شىء من التفصيل .

(٧) نذر : علم .

(٨) الرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم : والمعنى : اليوم يوم هلاك اللئام .

الأنصار، عبّاد بن بشر بن وقش بن زُغْبة بن زَعُوراء، أحد بنى عَبْدِ الأشْهل؛ وسَعْد بن زَيد، أحد بنى كَعْب بن عبدالأَشْهل؛ وأُسَيْد بن ظُهَير، أخو بنى حارثة ابن الحارث، يُشك فيه؛ وعُكّاشة بن مِحْصَن، أخو بنى أسد بن خُزيمة؛ ومُحْرز بن نَضْلة،أخو بنى أسد بن خُزيمة،وأبوقَتادة الحارث بن رِبْعِيّ، أخو بنى سلمة؛ وأبو عَيّاش، وهو عُبيد بن زيد بن الصّامت، أخو بنى زُرَيق. فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمَّرَ عليهم سعدَ بن زَيْد، فيما بلَغنى، ثم قال: اخرُج فى طَلب القوم، حتى أَلْحقك فى الناس.

الرسول ونصيحته لأبى عياش بترك فرسه

وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق، لأبى عياش: يا أبا عيّاش، لو أَعْطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم؟ قال أبو عيّاش: فقلت: يارسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربتُ الفرس، فوالله ماجرَى بى خَمسين ذراعا حتى طَرحنى، فعَجِبت أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: لوأعطيتَه أفرسَ منك، وأنا أقول: أنا أفرس الناس.

فزعم رجالٌ من بنى زُرَيق أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أعطَى فرس أبى عيّاش مُعاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة، وكان ثامناً، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أُسيدَ بن ظُهير، أخا بنى حارثة، والله أعلم أى ذلك كان. ولم يكن سلمة يومئذ فارساً، قد كان أول من لَحِق بالقوم على رِجْليه. فخرج الفرسانُ فى طلب القوم حتى تلاحقوا.

سبق محرز إلى القوم ومقتله

قال ابن إسحاق: فحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة:

أنّ أول فارس لحق بالقوم مُحْرز بن نَضْلة، أخو بنى أسد بن خُزَيمة — وكان يُقال لمحرز: الأخْرَم[1]؛ ويقال له: قُمَير[2] — وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود ابن مَسْلمة فى الحائط، حين سَمِع صاهلة الخيل، وكان فرساً صَنيعاً[3] جامّا، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل، حين رأين الفرسَ يجول فى الحائط بجِذْع

---

(١) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب. وفى ا: «الأخزم».

(٢) فى الاستيعاب: «فهيرة».

(٣) الفرس الصنيع: الذى يخدمه أهله ويقومون عليه.

نخل هو مَرْبوط فيه : يا قُمَير ، هل لك فى أن تركب هذا الفَرَس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تَلْحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينَه إياه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بَذّ الخيل بجَمَامه ، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال : قِفُوا يامعشر بنى اللَّكيعة(١) حتى يلحق بكم مَنْ وَراءكم من أَدْباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرِيِّهِ(٢) من بنى عَبْد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره.

رأى ابن هشام فيمن قتل مع محرز

قال ابن هشام :

وقُتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز ، وقّاص بن مُجَزِّز(٣) المُدْلجى ، فيما ذَكر غير واحد من أهل العلم .

أسماء أفراس المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللِّمة .

قال ابن هشام :

وكان اسم فرس سَعْد بن زيد : لاحِق ؛ واسم فرس المِقْداد : بَعزَجة(٤) ؛ ويقال : سبحة(٥) ، واسم فرس عُكّاشة بن مِحْصن : ذو اللِّمة ؛ واسم فرس أبى قَتادة : حَزْوة(٦) ؛ وفرس عَبّاد بن بِشْر : لَمّاع ، وفرس أُسَيد بن ظُهير : مَسْنُون ؛ وفرس أبى عَيّاش : جُلْوة .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعضُ من لا أتّهم عن عبد الله بن كَعْب ابن مالك :

---

(١) اللَّكيعة : اللئيمة .

(٢) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريا أيضا .

(٣) كذا فى ا والاستيعاب والمشتبه والقاموس . وفى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى « محرز » وهو تصحيف .

(٤) قال السهيلى: «البعزجة» :شدة جرى فى مغالبة ، كأنه منحوت من « بعج » إذا شق، و « عز » أى غلب .

(٥) قال السهيلى : «وأما سبحة فمن سبح ، إذا علا علوا فى اتساع ؛ ومنه : سبحان الله».

(٦) كذا فى أكثر الأصول . قال السهيلى : « وحزوة : من حزوت الطير ، إذا زجرتها ؛ أو حزوت الشىء ، إذا أظهرته » . وفى ا : « حزورة » .

أنّ مُحْرِزاً إنما كان على فَرس لعُكّاشة بن مِحْصن، يقال له: الجَناح، فقُتل مُحْرِز واستُلبت الجَناح.

القتلى من المشركين

ولما تلاحقت الخيل قَتل أبو قتادة الحارث بن رِبْعى، أخو بنى سَلِمة، حبيبَ بن عُيينة بن حِصْن، وغشّاه بُرْده، ثم لحق بالناس.

وأقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى المسلمين.

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أمّ مَكْتوم.

قال ابن إسحاق:

فإذا حَبِيب مُسَجّى[1] ببرد أبى قَتادة، فاستَرْجع[2] الناسُ وقالوا: قُتل أبو قَتادة؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: ليس بأبى قَتادة، ولكنه قَتِيل لأبى قَتادة، وضَع عليه بُرْدَه، لتعرِفوا أنه صاحبه.

وأدرك عُكّاشة بنُ مِحْصن أَوْباراً[3] وابنه عَمْرو بن أَوْبار، وهما على بَعير واحد، فانتظَمهما بالرُّمْح، فقَتلهما جميعا، واستَنْقذوا بعضَ اللِّقاح، وسار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل بالجبل من ذى قَرَد، وتلاحق به الناس، فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم به، وأقام عليه يومًا وليلة؛ وقال له سلمة ابن الأَكْوع: يارسولَ الله، لو سرَّحْتنى فى مئة رجل لاستنقذتُ بقيّة السَّرْح، وأخذت بأَعْناق القوم؟ فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فيما بلغنى: إنّهم الآن ليُغْبَقُون[4] فى غَطَفان.

تقسيم الفيء بين المسلمين

فقَسم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم فى أصحابه فى كل مئة رجل جَزُورا، وأقاموا عليها، ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلاً حتى قَدِم المدينة.

امرأة الغفارى وما نذرت مع الرسول

وأقبلت امرأة الغِفارىّ[5] على ناقة[6] من إبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ، فلما فرغت، قالت: يارسول الله، إنى قد نذرت

(١) مسجى: مغطى.
(٢) استرجع الناس: قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٣) فى الطبقات: «أثار» بضم الهمزة.
(٤) يغبقون: يسقون اللبن بالعشى.
(٥) هى ليلى امرأة ابن أبى ذر، وقد تقدم ذكرها.
(٦) اسم هذه الناقة: العضباء. (راجع شرح المواهب).

لله أنْ أنحرها أنْ نجانى الله عليها ؛ قال : فتبسّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثم قال : بئس ماجَزَيتِها أن حملكِ اللهُ عليها ونجّاكِ بها ثم تنحرينها ! إنه لانَذْر فى مَعْصية الله ولافيما لاتَمْلكين ، إنما هى ناقة من إبلى، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفاريّ وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، عن أبى الزّبير المكىّ عن الحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ .

شعر حسان فى ذى قرد

وكان مما قيل من الشّعر فى يوم ذى قَرَد قولُ حسان بن ثابت :

لولاَ الذى لاقتْ ومَسّ نُسُورها ... بجَنوب سايَةَ أمسِ فى التَّقْوَادِ (1)
لَلَقِينكم يَحْمِلْنَ كلَّ مُدَجَّج ... حامِى الحَقِيقة ماجدِ الأجْداد (2)
ولَسرَّ أولادَ اللّقِيطة أَنَّنا ... سِلْمٌ غَداةَ فوارِس المِقْداد (3)
كُنّا ثمانيةً وكانوا جَحْفلاً ... لَجِباً فَشُكّوا بالرِّماح بَدَاد (4)
كُنّا من القَوْم الذين يَلُونَهم ... ويُقَدّمون عِنانَ كلّ جَواد
كلاّ وربِّ الرّاقصات إلى مِنًى ... يَقْطَعن عُرْض مَخارِم الأَطْوَاد (5)
حتى نُبيل (6) الخَيل فى عَرَصاتكم ... وَنئوب بالمَلَكاتِ والأَوْلاَدِ (7)

---

(1) أضمر ذكر الخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأن الكلام يدل عليها . والنسور : مايكون فى باطن حافر الدابة ، مثل الحصى والنوى . وساية : موضع ، وقد تقدم شرحه .

(2) المدجج (بفتح الجيم وكسرها) : الكامل السلاح . والماجد : الشريف .

(3) أولاد اللقيطة : الملتقطون الذين لايعرف آباؤهم . والسلم (بفتح السين وكسرها) : الصلح .

(4) الجحفل : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات ، ولا يكون إلا عن كثرة عدده ، وشكوا : طعنوا . وبداد : من التبدد ، وهو التفرق .

(5) الراقصات : الإبل ؛ والرقص : ضرب من مشيها . والأطواد : الجبال المرتفعة . والمخارم : الطرق بين الجبال .

(6) كذا فى أكثر الأصول . ونبيل : نجعلها تبول . وفى ا : « نثيل » .

(7) العرصات : جمع عرصة ، وهى وسط الدار . ونئوب : نرجع : والملكات : النساء يسبين فى الحرب .

رَهْــواً بكُل مُقَلَّصٍ وطِمِرَّةٍ ... فى كلِّ مُعْترك عَطَفْنَ ووادى(١)
أفنَى دوابرَها ولاحَ مُتُونَها ... يومٌ تُقــادُ به ويَومُ طِرَاد(٢)
فَكَذاكَ إنّ جِيادَنا مَلْبونةٌ ... والحربُ مُشْعَلة بريح غَواد(٣)
وسُيوفنا بيضُ الحَدائد تَجْتلى ... جُنَنَ الحَدِيد وَهامَةَ المُرْتاد(٤)
أخَــذَ الإلهُ عليهمُ لحَرامه ... ولعزّة الرحمٰن بالأَسْــداد(٥)
كانُوا بدارٍ ناعِمين فبُدِّلُوا ... أيامَ ذى قَرَد وُجُوهَ عِباد(٦)

غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استرضاءه

قال ابن هشام :

فلمّا قالها حسّان غَضِب عليه سعدُ بن زيد ، وحَلف أن لا يكلّمه أبداً ؛ قال : انطلَقَ إلى خَيْلى وفوارسى فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسّان وقال : والله ما ذاك أردتُ ، ولكن الرويّ وافق اسمَ المِقْداد ؛ وقال أبياتا يُرضى بها سعداً :

إذَا أردتُم الأشدّ الجَلْدا ... أو ذا غَناء فَعَليكم سَعْدا
* سَعْد بن زَيْد لا يُهَدّ هدّا *

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْنِ شيئا .

شعر آخر لحسان فى يوم ذى قرد

وقال حسّان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد :

أظَنَّ عُيَيْنــةُ إذ زَارها ... بأن سوفَ يَهْدِم فيها قُصورَا(٧)

---

(١) الرهو : المشى فى سكون . ومقلص : مشمر . وطمرة : فرس وثابة سريعة . والمعترك : موضع الحرب . ورواد ، قال أبو ذر : من رواه بفتح الراء فمعناه : سريعات ، من ردى الفرس يردى ، إذا أسرع ؛ ومن رواه بكسر الراء ، فهو من المشى الرويد ، وهو الذى فيه فتور .

(٢) دوابرها : أواخرها . ولاح : غير وأضعف . ومتونها : ظهورها ، والطراد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضا .

(٣) ملبونة : تسقى اللبن . ومشعلة : موقدة .

(٤) تجتلى : تقطع . والجنن : جمع جنة ، وهى السلاح . والمرتاد : الطالب للحرب .

(٥) الأسداد : جمع سد ، وهو مايسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه .

(٦) كذا فى ا . وعباد : أى عبيد . وفى سائر الأصول : « عناد » .

(٧) زارها ، أى المدينة .

فأَكْذَبْتَ ما كنتَ صَدَّقته   وقلتم سنَغْنَمُ أمراً كَبِيرا
فعِفْتَ المَدِينَةَ إذ زُرْتها   وآنَسْت للأُسْدِ فيها زَئيرا[1]
فوَلّوْا سراعا كشَدّ النَّعام   ولم يَكشفوا عن مُلِطٍّ حَصِيرا[2]
أميرٌ علينا رسولُ المليك   أحِبب بذاكَ إلينا أَمِيرا
رسولٌ نُصَدّق ما جاءه   ويتلُو كتابا مُضيئاً مُنِيرا

شعر كعب في يوم ذي قرد

وقال كعب بن مالك في يوم ذِي قَرَد للفوارس :

أيحسَبُ أولادُ اللَّقِيطةِ أنّنا   على الخَيْل لسنا مِثلهم في الفوارِس
وإنَّا أناسٌ لا نرى القَتْل سُبَّةً   ولا نَنْثَنِي عند الرِّماح المَداعس[3]
وإنا لَنَقْرِي الضيف من قَمَع الذُّرا   ونَضرب رَأْسَ الأبْلخ المُتَشاوس[4]
نَرُدُّ كُماة المُعْلَمِين إذا انتخوْا   بضرْب يُسَلِّي نَخْوة المُتقاعِس[5]
بكلّ فتًى حامى الحَقِيقة ماجدٍ   كريمٍ كسِرْحان الغَضاة مُخالس[6]
يَذُودون عن أَحْسابهم وتِلادِهِم   ببيضٍ تَقُدّ الهَامَ تحت القَوانِس[7]
فسائلْ بَنِي بَدْر إذا ما لقِيتَهم   بمَا فعل الإخْوانُ يومَ التَّمارُس[8]

---

(١) عفت : كرهت . وآنست : أحسست ووجدت .

(٢) الشد : الجرى . ولم يكشفوا عن ملط حصيرا ، أى لم يصيبوا بعيرا ، ولا كشفوا عنه حصيرا . ويعنى «بالحصير» : مايكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة . والملط : من قولهم لطت الناقة وألطت بذنبها : إذا أدخلته بين رجليها .

(٣) المداعس : المطاعن ؛ يقال : دعسه بالرمح ، إذا طعنه .

(٤) القمع : جمع قمعة ؛ وهى أعلى سنام البعير . والذرا : الأسنمة ، والأبلخ : المتكبر . والمتشاوس : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر .

(٥) انتخوا : تكبروا . والمتقاعس : الذى لا يلين ولا ينقاد .

(٦) السرحان : الذئب ، والغضاة : شجرة ، وجمعها : غضى ؛ ويقال إن أخبث الذئاب ذئاب الغضى ، وقد وردت هذه الكلمة فى ا : « العضاه » .

(٧) يذودون : يحمون ويدفعون . والتلاد : المال القديم . وتقد : تقطع . والقوانس : أعالى بيض الحديد ؛ الواحدة : قونسة .

(٨) التمارس : المضاربة فى الحرب والمقارعة .

إذا ماخرجتم فاصدقوا[1] من لَقِيتمُ ... ولا تَكْتمُوا أخبارَكم فى المجالِس

وقولُوا زَلَلْنا عن مَخالب خادر ... به وَحَرٌ فى الصدر مالم يُمارِس[2]

قال ابن هشام : أنشدنى بيته «وإنا لنقرى الضيف» أبو زيد .

شعر شداد لعيينة

قال ابن إسحاق :

وقال شدّاد بن عارض الجُشَمى ، فى يوم ذى قَرَد : لعُيينة بن حِصْن ، وكان عُيينة بن حِصْن يُكنى بأبى مالك :

فهلاّ كررتَ أبا مالك ... وخيلُك مُدْبِرة تُقْتَلُ

ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر ... وهَيْهات قد بَعُد المُقْفَلُ[3]

وطَمَنتَ[4] نفسَك ذا مَيْعة ... مِسَحّ الفَضاء إذا يُرْسَلُ[5]

إذا قبّضَتْه إليك الشّما ... لَ جاشَ كما اضطرَم المِرْجَلُ[6]

فلمّا عرَفْتم عِبادَ الإلـ ... ـه لم يَنْظر الآخرَ الأوّلُ[7]

عرَفتم فَوارِس قد عُوِّدُوا ... طِرَاد الكُماة إذا أسْهَلوا[8]

إذا طرَدُوا الخَيْلَ تَشْقَى بهم ... فِضَاحًا وإن يُطْرَدوا يَنْزِلوا[9]

فيعْتصموا فى سَواء المُقا ... م بالبِيض أخْلَصَها الصَّيْقَل[10]

---

(1) فى ا : «فاكتموا» .

(2) خادر ، أى أسد خادر ، وهو الذى يلزم أجمته . والوحر : الحقد .

(3) الإياب : الرجوع . وعسجر : موضع قرب مكة . والمقفل : الرجوع .

(4) فى ا : «وضمنت» .

(5) ذو ميعة : فرس ذو نشاط . والمسح : الكثير الجرى . والفضاء : المتسع من الأرض .

(6) جاش : تحرك وعلا . واضطرم : التهب ؛ ويروى : اضطرب .

(7) لم ينظر : لم ينتظر .

(8) الكماة : الشجعان . وأسهلوا : نزلوا السهل .

(9) الفضاح : الفاضحة .

(10) أخلصها الصيقل : أى أزال ماعليها من الصدأ .

غزوة بنى المصطلق[1]

وقتها

قال ابن إسحاق :

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بنى المُصْطلِق من خُزاعة ، فى شَعْبان سنة ستٍّ[2] .

استعمال أبى ذر على المدينة

قال ابن هشام :

واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغِفارىّ ؛ ويقال : نُميلة بن عبد الله الليثى .

سبب غزو الرسول لهم

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبدُ الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يَحْيَى بن حَبّان ، كل قد حدّثنى بعض حديث بنى المُصطلق ، قالوا :

بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ بنى المُصطلق يَجْمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضِرار ، أبو جُوَيْرِية بنت الحارثِ ، زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلما سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بهم خَرج إليهم ، حتى لَقِيهم على ماء لهم[3] يقال له : المُرَيسيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ، فتزاحف الناسُ واقتَتلوا ، فهزَم اللهُ بَنى المصطلق ، وقُتل من قتل منهم ، ونَفَّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبناءهم ونِساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه

موت ابن صبابة

وقد أُصِيب رجلٌ من المسلمين من بنى كَلْب بن عَوْف بنِ عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْطِ عُبادة ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأً .

---

(١) وتسمى أيضا : « المريسيع » .

(٢) فى وقت هذه الغزوة خلاف ذكره الزرقانى وعقب عليه بما يأتى : « وقال الحاكم فى الإكليل : قول عروة وغيره أنها كانت سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق ؛ قلت : ويؤيده ما ثبت فى حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة فى أصحاب الإفك ، فلو كانت المريسيع فى شعبان سنة ست مع كون الإفك منها ، لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا ، لأنه مات أيام قريظة ، وكانت فى سنة خمس على الصحيح ، وإن كانت كما قيل سنة أربع ، فهو أشد غلطا ، فظهر أن المريسيع كانت فى سنة خمس فى شعبان قبل الخندق ، لأنها كانت فى شوال سنة خمس أيضا ، فيكون سعد ابن معاذ موجودا فى المريسيع ورمى بها بعد ذلك بسهم فى الخندق ، ومات من جراحته فى قريظة .

(٣) فى ا : « من مياههم » .

جهجاه وسنان وما كان من ابن أبي

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء، وردت واردةُ الناس، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غفَار، يقال له: جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسَه، فازدحم جَهْجاه وسِنان بن وَبَر[1] الجُهني، حليف بني عَوْف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصَرخ الجُهني: يامعشر الأنصار، وصرخَ جَهْجاه: يامعشر المُهاجرين[2]؛ فغضب عبدُالله بن أُبيّ بن سَلول، وعِنْده رَهْط من قومه فيهم: زيد بن أرْقم، غلام حَدث! فقال: أَوَقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ماأعدّنا وجلابيبَ[3] قريش إلا كما قال الأول: سَمِّن كَلْبك يأكلك! أما والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجنّ الأعزّ منها الأذل. ثم أَقبل على مَنْ حضَره من قومه، فقال لهم: هذا مافعلتم بأنفسكم، أحْللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمْسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه، فأخبره الخبرَ، وعنده عمرُ بن الخطاب، فقال: مُرْ به عَبّاد بن بشر فَلْيقتله؛ فقال له رسولُالله صلّى الله عليه وسلّم، فكيفَ يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه! لا ولكن أْذن بالرّحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يرتحل فيها، فارتحل الناسُ.

اعتذار ابن أبي للرسول

وقد مشى عبد الله بن أُبيّ بن سَلول إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغّه ماسمع منه، فحلف بالله: ماقلت ماقال، ولا

---

(١) قال السهيلي: «وقال غيره: هو سنان بن تيم، من جهينة بن سود بن أسلم، حليف الأنصار».

(٢) قال السهيلي: «ولم يذكر ماقال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها، وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منها قال: دعوها فإنها منتنة؛ يعني أنها كلة خبيثة، لأنها من دعوى الجاهلية. وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبا واحدا، فإنما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين. فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية، فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال، أحدها أن يجلد من استجاب له خمسين سوطا، اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطا، حين سمع «يالعامر» فأقبل يشتد بعصبة. والثاني أن فيها الجلد دون العشر لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد. والقول الثالث: اجتهاد الإمام في ذلك على حسب مايراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر، إما بالوعيد، وإما بالسجن، وإما بالجلد».

(٣) جلابيب قريش: لقب من كان أسلم من المهاجرين، لقبهم بذلك المشركون. وأصل الجلابيب: الأزر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها، فلقبوهم بذلك.

تكلمت به . — وكان فى قومه شريفا عظيما — : فقال مَنْ حضر رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم من الأنصار من أصحابه : يارسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوْهم فى حديثه ، ولم يحفظ ماقال الرجل ، حَدَبا على ابن أُبَى بن سَلول، ودَفْعاً عنه .

الرسول وأسيد ومقالة ابن أبي

قال ابن إسحاق :

فلما استقل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضير ، فحيّاه بتحية النبوّة وسلّم عليه ، ثم قال : يانبيَّ الله ، والله لقد رُحتَ فى ساعة مُنكرة ، ما كنتَ تروح فى مثلها ؛ فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوما بلغَك ما قال صاحبُكم ؟ قال : وأىّ صاحبٍ يا رسولَ الله ؟ قال : عبد الله بن أُبىّ ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرجن الْأعزّ منها الأذلّ ، قال : فأنت يارسول الله والله تُخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يارسول الله، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنّ قومه ليَنْظمون له الخَرز ليتوّجوه ، فإنه ليَرى أنك قد استلبته مُلكا .

سير الرسول بالناس ليشغلهم عن الفتنة

ثم مشى[1] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى، وليلتَهم حتى أصبح ، وَصَدْر يَومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وَجَدوا مسّ الأرض فوقعوا نِيامًا ، وإنما فعل ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ليَشغل النّاس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبىّ .

تنبؤ الرسول بموت رفاعة

ثم رَاح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس ، وسلَك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النّقيع ؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هبّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تخافوها ، فإنما هبّت لموت عَظيم من عُظماء الكُفّار . فلمّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زَيد بن التّابوت ، أحد بنى قَيْنقاع ، وكان عظيماً من عُظماء يهود ، وكهفا للمنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

---

(١) فى ا : « متن » يعنى أنه سار بهم حتى أضعف إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ، إذا أتعبها حتى تضعف .

ونزلت السورةُ التى ذَكر الله فيها المنافقين فى ابن أُبىّ وَمَنْ كان على مثل أمره، فلما نزلتْ أخذَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأذن زَيْد بن أرْقم، ثم قال: هذا الذى أَوْفى لله بأذنه. و بلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبىّ الذى كان من أمر أبيه.

مانزل فى ابن أبى من القرآن

قال ابن إسحاق: فحدّثنى عاصمُ بن عُمر بن قتادة:

طلب ابن عبد الله ابن أبى أن يتولى هو قتل أبيه وعفو الرسول عنه

أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله، إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أبىّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لابدّ فاعلا فمُرْنى به، فأنا أحمِل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منّى، و إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله، فلا تدعُنى نفسى أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبَىّ يمشى فى الناس، فأقتله، فأقتلَ [رجلا[1]] مؤمناً بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: بل نَترفّق به، ونُحْسن صُحبته ما بقى معنا.

تولى قوم ابن أبى مجازاته

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه و يأخذونه و يُعنِّفُونه؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعُمر بن الخطّاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر؛ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لى اقْتُله، لأُرْعِدت له آنُفٌ، لو أمرتُها اليوم بقَتْلِه لقتلته؛ قال: قال عمر: قد والله علمتُ لَأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعْظم بركة من أمرى.

قال ابن إسحاق:

مقيس بن صبابة وحيلته فى الأخذ بثأر أخيه وشعره فى ذلك

وقَدِم مِقْيَس بن صُبابة من مكّة مسلما، فيما يُظْهِر، فقال: يارسول الله، جئتك مسلماً، وجئتك أطْلب دِيَة أخى، قُتل خطأً. فأمر له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بدية أخيه هِشام بن صُبابة؛ فأقام عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم

(1) زيادة عن ا.

غير كثير، ثم عدَا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدًّا؛ فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النفسَ أن قد مات بالقاع مُسْنَداً   تُضَرِّج ثَوْبَيْه دماء الأخادِع(١)
وكانت هُموم النَّفس من قبل قَتْله   تُلِمّ فَتَحْمِينى وِطَاء المَضَاجِع(٢)
حَللت به وِتْرِى وأدركتُ ثُؤْرَتى   وكنتُ إلى الأَوْثان أول راجع(٣)
ثَأرتُ به فهـــراً وحملت عَقْله   سراةَ بنى النَّجّار أربابَ فارِع(٤)

وقال مِقيَس بن صُبابة أيضا :

جَلَّلتُه(٥) ضَرْبةً باءت(٦) لها وشَلٌ   من ناقِع الجَوْف يَعْلوه ويَنْصَرِمُ(٧)
فقلتُ والموتُ تَغْشاه أَسِرّته   لاتأمَنَنَّ بَنى بَكْرٍ إذا ظَلموا(٨)

شعار المسلمين

قال ابن هشام :

وكان شعار المُسلمين يوم بنى المُصْطلق : يامنصور، أَمِتْ أَمِتْ .

قتلى بنى المصطلق

قال ابن إسحاق :

وأُصيب من بنى المُصْطلق يومئذ ناسٌ، وقَتل علىٌّ بن أبى طالب منهم رجلَين، مالكا وابنه، وقَتل عبدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرسانهم، يقال له : أحمر، أو أُحَيمر(٩) .

---

(١) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تلطخ . والأخادع : عروق القفا، وإنما هما أخدعان، فجمعهما مع مايليهما .

(٢) تلم : تساورنى وتحل بى . وتحمينى : تمنعنى . ووطاء المضاجع : ليناتها .

(٣) الوتر : طلب الثأر . والثؤرة : الثأر .

(٤) العقل : الدية . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : حصن لهم .

(٥) جللته ضربة : علوته بها .

(٦) كذا فى ا . وباءت : أخذت بالثأر؛ يقال : بؤت بفلان، إذا أخذت بثأره . وفى سائر الأصول : « بانت » .

(٧) وشل : قطر ويريد « بناقع الجوف » : الدم . وينصرم : ينقطع .

(٨) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة .

(٩) هذه العبارة من قوله « وقتل عبدُ الرحمن » إلى قوله « أو أحيمر » ساقطة فى ا .

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أصاب منهم سَبْياً كثيراً ، فشَا قَسْمُه فى المسلمين ، وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُويرية بنت الحارث ابن أبى ضِرار ، زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عُروة بن الزبير عن عائشة ، قالت :

لما قسّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سبايا بنى المصْطلِق ، وقعتْ جُويرية بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قيس بن الشّماس ، أو لابن عمّ له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوةً مُلاّحة(١) ، لايراها أحد إلا أَخذت بنَفْسه ، فأتت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم تَسْتعينه فى كِتابتها ؛ قالت عائشة : فوالله ماهو إلا أن رأيتُها على باب حُجرتى فكرِهتها ، وعرَفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيتُ ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يارسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، سيّد قومه، وقد أصابنى من البَلاء مالم يَخْف عليك، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشَّماس ، أو لابن عم له ، فكاتبتُه على نفسى ، فجِئْتك أَسْتعينك على كِتابتى ؛ قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يارسولالله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوّجك ؛ قالت : نعم، يارسول الله ؛ قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد تزوّج جُويرية ابْنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأرسلوا مابأيديهم ؛ قالت : فلقد أُعْتِق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من

(١) الملاحة : الشديدة الملاحة .

بنى المُصطلِق ، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ على قومها بركة منها[1] .

قال ابن هشام[2] :

ويقال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلِق ، ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها، فغيَّبهما فى شِعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يامحمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شِعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ! فأسلم الحارثُ ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعَتْ إليه ابنتُه جويرية، فأسلمت، وحسن إسلامها ؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مئة درهم .

الوليد بن عقبة وبنو المصطلق وما نزل فى ذلك من القرآن

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن رُومان .

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة ابن أبى مُعيط ، فلما سمعوا به رَكبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى

---

(1) قال السهيلى : « وأما نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ماعرف، فإنما كان ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ماملأ عينه منها ، لأنه لايكره النظر إلى الإماء . وجائز أن يكون نظر إليها لأنه أراد نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت : إنى قد وهبت نفسى لك يارسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوب، ثم أنكحها من غيره . وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : لو نظرت إليها، فإن ذلك أحرى أن يدوم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك » .

(2) هذا الحديث زيادة عن ا .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله، ومنعوه ماقِبَلهم من صَدَقتهم، فأكثر المسلمون فى ذكر غزْوهم، حتى همّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم بأن يغزْوهم ، فبيناهم على ذلك قَدِم وفدُهم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكْرِمه ، ونُؤدّى إليه ماقِبَلنا من الصدقة ، فانشمر[1] راجعاً ، فَبلغنا أنه زعم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ؛ فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَافَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ » إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من سفره ذلك ، كما حدّثنى من لاأتّهم عن الزُّهْرى عن عُرْوة عن عائشة رضى الله عنها، حتى إذا كان قريباً من المدينة، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ماقالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

[سنة ست[2]]

قال ابن إسحاق :

حدثنا الزهرى عن علقمة بن وقّاص، وعن سعيد بن جُبير، وعن عُروة بن الزبير، وعن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : كلٌّ قد حدّثنى بعض هذا الحديث ، و بعضُ القوم كان أوْعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدّثنى القوم .

شأن الرسول مع نسائه فى سفره

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى يَحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه

---

(١) انشمر : جد وأسرع .
(٢) زيادة عن ا .

عن عائشة ، وعبدُ الله بن أبى بكر عن عَمْرة بنت عبد الرحمن عن عائشة عن نفسها ، حين قال فيها أهْل الإفك ماقالوا ، فَكلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا ، يحدّث بعضهم مالم يحدّث صاحبه ، وكلٌّ كان عنها ثقة ، فكلّهم حدث عنها ما سمع ، قالت :

كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا أرادَ سفراً أقْرع بين نِسائه ، فأيتهنّ خَرَج سهمُها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بنى المُصْطلِق أقْرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سَهْمى عليهنّ معه ، فخرج بى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم.

سقوط عقد عائشة وتخلفها للبحث عنه

قالت : وكانالنساء إذ ذاك إنمـا يأكلن العُلَق [(1)] لم يَهِجْهنّ [(2)] اللحْم فيثْقلن ، وكنت إذا رُحِّل لى بعيرى جلستُ فى هَوْدجى ، ثم يأتِى القومُ الذين يُرَحِّلُون لى ويَحْملوننى ، فيأخذون بأسفل الهَوْدج ، فيرفعونه ، فيَضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلمـا فرَغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من سفره ذلك ، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذّن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناسُ ، وخرجتُ لبعض حاجتى ، وفى عُنقى عِقْد لى ، فيه جَزْع [(3)] ظَفَارِ ، فلمـا فرغت انسلّ من عُنقى ولا أدْرى ، فلمـا رجعتُ إلى الرّحل ذهبتُ ألتمسه فى عُنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرّحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدْته ، وجاء القوم خلافى ، الّذين كانوا يُرَحِّلون لى البعير ، وقد فَرَغوا من رحلته ، فأخذوا الهَودج ، وهم يظنون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ؛ فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب ، قد انطلق الناس .

---

(١) العلق بضم ففتح : جمع علقة ، وهى مافيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

(٢) التهبيج : كالورم فى الجسد .

(٣) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ، وينسب إليها الجزع الظفارى .

مرور ابن المعطل بها واحتماله إياها على بعيره

قالت : فتلففت بجلبابى، ثم اضطجعتُ فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إلى . قالت : فوالله إنى لمُضطجعة إذ مرّ بى صفوان بن المعطَّل السُّلَمى ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبعْض حاجته[١] ، فلم يبتْ مع الناس ، فرأى سوادى، فأقبل حتى وقف علىّ ، وقد كان يرانى قبل أن يُضْربَ علينا الحِجاب ، فلما رآنى ، قال : إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ظَعينة رسول الله صلّى الله عليه وسلم ! وأنا مُتلفّفة فى ثيابى ؛ قال : ما خلّفك ، يرحمك الله ؟ قالت : فما كلّمته ، ثم قرّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عَنّى . قالت : فركبتُ ، وأخذَ برأس البعير ، فانطلق سريعاً ، يطلب الناسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدْت حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارتَعج[٢] العسكر ، ووالله ما أعْلم بشىء من ذلك .

إعراض الرسول عنها

ثم قَدِمْنا المدينة ، فلم ألبث أن اشْتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإلى أبوىّ ، لايذكرون لى منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرتُ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعض لُطْفه بى ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمنى ، ولَطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكْواى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمّى تمرضنى ـ قال ابن هشام: وهى أم رومان ، واسمها زَيْنب بنت عبد دُهمان ، أحد بنى فراس بن غَنم بن مالك بن كنانة ـ قال : كيف تِيكم ، لا يزيد على ذلك .

انتقالها إلى بيت أبيها وعلمها بما قيل فيها

قال ابن إسحاق :

قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى ، فقلت : يارسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جَفائه لى : لو أذنتَ لى ، فانتقلت إلى أمّى ، فمرضتنى ؟ قال : لاعليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علْم لى بشىء مما كان ، حتى نَقِهت من وجعى بعد بضع

---

(١) كان صفوان على ساقة العسكر يلتقط مايسقط من متاع المسلمين، حتى يأتيهم به، ولذلك تخلف . (راجع الروض) .

(٢) ارتعج العسكر : تحرك واضطرب . وفى ر : « ارتج » أى اضطرب .

وعشرين ليلة ، وكنا قومًا عربًا ، لا نتخذ فى بُيوتنا هذه الكُنُف التى تتّخذها الأعاجم ، نَعافها ونكرهها ، إنما كنّا نذهب فى فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صَخْر بن عامر ابن كعب بن سَعد بن تيم ، خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ؛ قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطها[1] ؛ فقالت : تَعِس مِسْطح ! ومِسْطح لقب واسمه عوف ؛ قالت : قلت : بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدْراً ؛ قالت : أوما بلغـك الخبرُ يابنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت : أوَ قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله ، لقد كان . قالت : فوالله ماقدرت على أن أقْضى حاجتى ، ورجعت ؛ فوالله مازلت أبْـكى حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع[2] كَبدى ؛ قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناسُ بما تحدَّثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ! قالت : أى بنية ، خفِّضى[3] عليك الشأنَ ، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبّها لها ضرائر إلا كثّرن وكثّر الناس عليها .

خطبة الرسول فى الناس يذكر إيذاء قوم له فى عرضه

قالت : وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يَخْطبهم ولا أعلم بذلك ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يُؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحق ، والله ما علمتُ منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يَدْخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى .

أثر ابن أبى وحمنة فى إشاعة هذا الحديث

قالت: وكانَ كُبْرُ[4] ذلك عند عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحَمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زَينب بنت جحش كانت

---

(١) المرط : الكساء .
(٢) سيصدع : سيشق .
(٣) خفضى عليك : هونى عليك .
(٤) الكبر بالضم والكسر : الإثم ، ومعظم الشيء .

عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم تكن من نسائه أمرأة تُناصيني[1] في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها ، فلم تقل إلا خيراً ، وأما حَمْنة بنت جَحْش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّني لأختها ، فشَقيت بذلك .

ما كان بين المسلمين بعد خطبة الرسول

فلما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أُسَيد بن حُضير : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نَكْفِكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سعد ابن عُبادة ، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً ؛ فقال : كذبت لعمر الله ، لا نضرب أعناقَهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ماقلتَ هذا ! فقال أُسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنّك مُنافق تُجادل عن المُنافقين ؛ قالت ، وتساور[2] الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيّين من الأوس والخزرج شرّ . ونزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل عليّ .

استشارة الرسول لعلى وأسامة

[قالت[3]] فدعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارَهما ، فأما أسامة فأثنى عليّ خيراً وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا تعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ؛ وأما عليّ فإنه قال : يارسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تَستخلف ، وَسَل الجارية ، فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلم بُريرة ليَسألها ؛ قالت : فقام إليها علي بن أبي طالب ، فضَرَبها ضرباً شديداً ، ويقول : اصْدُقى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أَعِيب على عائشة

---

(١) كذا في الروض . قال السهيلي : « وقول عائشة : لم يكن امرأة تناصبني في المنزلة عنده غيرها ، هكذا في الأصل « تناصبني » ، والمعروف في الحديث : تناصيني ، من المناصاة وهي المساواة » .

(٢) وتساور الناس : قام بعضهم إلى بعض ، وفي بعض النسخ : « تثاوروا » .

(٣) زيادة عن ا .

شيئاً، إلا أنى كنت أعجن عجينى، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتى الشاة فتأكله.

نزول القرآن ببراءة عائشة

قالت: ثم دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندى أبواى، وعندى امرأة من الأنصار، وأنا أبكى، وهى تبكى معى، فجلس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: ياعائشة، إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس، فاتقى الله، وإن كنت قد قارفت سوءا[1] مما يقول الناس فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده؛ قالت: فوالله ماهو إلا أن قال لى ذلك، فقلص[2] دمعى، حتى ماأحس منه شيئاً، وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فلم يتكلّما! قالت: وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فىّ قرآناً يقرأ به فى المساجد، ويُصَلى به، ولكنّى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذّب به الله عنّى، لما يعلم من براءتى، أو يُخبر خبرا؛ فأما قرآن ينزل فىّ، فوالله لَنفسى كانت أحقرَ عندى من ذلك. قالت: فلما لم أرأبوى يتكلمان، قالت: قلت لهما: ألا تُجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فقالا: والله مانَدرى بماذا نُجيبه؛ قالت: ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام؛ قالت: فلما أن استعجما علىّ، استعبرتُ فبكيتُ؛ ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا. والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس، والله يعلم أنى منه بريئة، لأقولن مالم يكن، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدّقوننى. قالت: ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره؛ فقلت: ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف: « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ». قالت: فوالله ما برح رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مجلسه حتى تَغَشّاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجّى بثوبه

---

(١) قارفت سوءا: دخلت فيه.

(٢) قلص: ارتفع.

ووُضعت له وسادة من أَدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت ، فوَالله ما فَزِعت ولا باليتُ ، قد عرَفت أنى بَريئة ؛ وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمى ، وأما أَبَواى ، فوالذى نفسُ عائشة بيده ، ماسُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسُهما ، فَرَقا من أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس ؛ قالت : ثم سُرِّى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فَجَلس ، و إنه ليتحدّر منه مثل الجُمان[1] فى يوم شاتٍ ، فجعل يَمْسح العرَق عن جَبينه ، ويقولُ : أَبْشرى ياعائشة ، فقد أنزل الله بِرَاءتك ؛ قالت : قلت : بحمد الله ؛ ثم خرج إلى الناس ، فخَطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمِسْطح بن أُثاثة ، وحسّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت جحش ، وكانوا ممن أَفْصح بالفاحشة ، فضُربوا حدَّهم .

أبو أيوب وذكره طهر عائشة لزوجه

قال ابن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاق بن يَسار عن بعض رجال بنى النجّار :

أن أبا أيّوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيوب : ياأبا أيوب ، ألا تَسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت ياأم أيوب فاعِلة ؟ قالت : لاوالله ما كنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك .

مانزل من القرآن فى ذلك

قالت : فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ماقال من أهل الإفك ، فقال تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لَاتَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ، وَٱلَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » وذلك حسّان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ماقالوا .

١٥

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبد الله بن أبىّ وأصحابه .

---

(١) الجمان : حب من فضة يصنع فى مثل الدر .

قال ابن هشام : والذى تولّى كِبرَه عبد الله بن أبىّ ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : « لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا » أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ، ثم قال : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ » .

هم أبى بكر بعدم الإنفاق على مسطح ثم عدوله

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان يُنفق على مِسْطح لقرابته وحاجته : والله لا أُنفق على مِسْطح شيئاً أبدا ، ولا أنفعه بنَفْع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدْخَل علينا ؛ قالت : فأنزل الله فى ذلك « وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فى سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

تفسير ابن هشام بعض الغريب

قال ابن هشام :

يقال : كِبْره وكُبْره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبره بالكسر(١) .

قال ابن هشام :

ولا يأتل أولو الفضل منكم : ولا يألُ أولو الفضل منكم . قال امرؤ القيس ابن حُجْر الكِنْدى :

ألا رُبَّ خَصم فيكَ أَلْوَى رَدَدْتُه نصيح على تَعْذَاله غَيْرُ مؤتَلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ؛ ويقال : وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ : ولا يحلف أُولو الفضل ، وهو قول الحَسن بن أبى الحسن البصْرى ، فيما بلغنا عنه ، وفى كتاب الله تعالى « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ » وهو من الألية ، والأَلية : اليمين . قال حسان بن ثابت :

(١) هذه العبارة من قوله « قال ابن هشام » إلى قوله « بالكسر » ساقطة فى ا .

آليتُ مافى جميع الناس مُجتهداً مـنّى أَلِيَّةَ برٍّ غيرِ إفْنادِ[1]

وهذا البيت فى أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها ، فمعنى : أن يؤتوا فى هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عزّ وجل : « يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا » يريد : أن لا تضلوا ؛ « وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ » يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مفرّغ الحميرى :

لاذَعَرْتُ السَّوَامَ فى وَضَحِ الصُّبْـحِ مُغيراً ولا دُعيتُ يزيدا[2]

يومَ أُعْطِى مَخافَةَ المَوْتِ ضَيْماً وَالمَنَايا يَرْصُدْننى أن أَحيدا[3]

يريد : أن لا أحيد ؛ وهذان البيتان فى أبيات له .

قال ابن إسحاق :

قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنّى لأحبّ أن يَغْفِرَ الله لى ، فرَجَع إلى مِسْطح نَفَقته التى كان يُنفق عليه ، وقال : والله لاأنزِعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق :

هم ابن المعطل بقتل حسان

ثم إن صَفوان بن المُعَطَّل اعترض حسّان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه ، وبمن أَسْلم من العرب من مُضر ، فقال :

أَمْسَى الجَلَابيبُ قدعَزّوا وقد كثروا وابنُ الفُرَيْعة أَمْسَى بَيْضة البَلَدِ[4]

قد ثَكِلت أُمُّه مَن كنتَ صاحِبَه أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثُن الأسد[5]

---

(1) الإفناد : الكذب .

(2) ذعرت : أفزعت . والسوام : المال المرسل فى المرعى . والوضح : البياض .

(3) الضيم : الذل . وأحيد : أعدل .

(4) الجلابيب : الغرباء . وبيضة البلد : أى منفردا لايدانيه أحد ، قال أبو ذر : « وهو فى هذا الموضع مدح ، وقد يكون ذما ، وذلك إذا أريد أنه ذليل ليس معه غيره .

(5) ثكلته أمه : فقدته . والبرثن : الكف مع الأصابع ، ومخلب الأسد ، أو هو للسبع كالإصبع للإنسان .

ما القَتيلى الذى أغْـــدو فآخذه من ديةٍ فيـــه يُعطاها ولاَ قوَدِ[1]
ما البَحْر حين تَهب الرِّيح شامية فيَغْطَئِلُّ ويَرْمى العِـــبر بالزَّبَدِ[2]
يومًا بأغلَب منّى حِين تُبصِرنى مِلغَيْظ أَفْرِى كَفَرْى العارِض البَرِدِ[3]
أمّا قريشٌ فإنى لَنْ أُسالِمهم حتى يُنيبوا من الغيّات للرّشدِ[4]
ويَترُكوا اللاتَ والعُزّى بمَعْزِلة وَيَسْـــجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمد
وَيَشْهدوا أن ما قال الرســولُ لهم حقٌّ ويُوفُوا بعَهْدِ الله والوُكُدِ[5]

فاعترضه صَفْوان بن المُعطَّل ، فضَربه بالسيف ، ثم قال : كما حدّثنى يعقوب ابن عتبة :

تَلَقَّ[6] ذُباب السيْف عنّى فإننى غُلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى :

أن ثابت بن قيْس بن الشماس وَثَب على صَفْوان بن المُعطَّل ، حين ضَرب حسان، فجمع يَدَيه إلى عُنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج : فلقيه عبدالله بن رَواحة ، فقال : ماهذا ؟ قال : أما أَعْجَبُك ضرب حسان بالسيف! والله ما أُراه إلا قد قتله ؛ قال له عبد الله بن رواحة : هل عِلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لاوالله ؛ قال : لقداجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلْقه ، ثم أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطَّل ؛ فقال ابنُ المعطل : يارسول الله : آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب، فضربته ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : أحسن ياحسّان[7] ،

---

(١) القود : قتل النفس .
(٢) يغطئل : يجول ويتحرك . والعبر : جانب النهر أو البحر .
(٣) أفرى : أقطع . والعارض : السحاب . والبرد (بكسر الراء) : الذى فيه برد .
(٤) ينيبوا : يرجعوا . والغيات : جمع غية ، من الغى ، وهو خلاف الرشد .
(٥) يريد « بالوكد » : توكيد العهد .
(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تلحق » .
(٧) هذه العبارة ساقطة فى ا .

أتشوَّهتَ[1] على قومى أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال: أحسن ياحسان فى الذى أصابك ؛ قال : هى لك يارسول الله .

قال ابن هشام :

ويقال : أبعد أن هداكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى محمد بن إبراهيم .

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أعطاه عوضاً منها بيرحاء ، وهى قصر بنى حُديلة اليوم بالمدينة ، وكانت مالاً لأبى طَلْحة بن سَهْل ، تصدّق بها إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأعطاها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حَسّان فى ضَرْبته ، وأعطاه سِيرين ، أمة قِبْطية ، فولدت له عبدَ الرحمن بن حسّان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سُئِل عن ابن المُعطل ، فوَجدوه رجلاً حَصُورا ، ما يأتى النساء ، ثم قُتِل بعد ذلك شهيداً .

قال حسّان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ماتُزَنّ بِرِيبةٍ ... وتُصْبِح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ[2]
عَقيلة حىٍّ من لُؤَىّ بن غالبٍ ... كِرَام المَساعى مَجْدُهم غَيْر زَائِلِ[3]

---

(1) أتشوهت على قومه : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله .

(2) الحصان : العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها ، التى لاتتصرف كثيرا . وماتزن : أى ماتتهم . وغرثى : جائعة . والغوافل : جمع غافلة ، ويعنى بها الغافلة القلب عن الشر ، كما قال سبحانه « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات » جعلهن غافلات لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ، ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ مايكون من الوصف بالعفاف . ويريد بقوله « وتصبح غرثى من لحوم الغوافل » : أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم .

(3) العقيلة : الكريمة . والمساعى : جمع مسعاة ، وهو مايسعى فيه من طلب المجد والمكارم

مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ اللهُ خِيمَها ... وطَهَّرَها من كلِّ سُوء وباطِلِ (1)
فإن كُنْتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ ... فلاَ رفعتْ سَوْطِى إلىَّ أَنامِلِى (2)
وكيفَ ووُدِّى ماحَيِيتُ ونُصْرتى ... لآل رسولِ الله زَيْنِ المَحَافِلِ
له رَتَب عالٍ على الناسِ كُلِّهِمْ ... تَقَاصَرُ عنه سَوْرَةَ المُتطَاوِلِ (3)
فإنّ الذى قد قِيلَ لَيْسَ بلائِطٍ ... ولـكنّه قولُ أمرىء بى ماحِلِ (4)

قال ابن هشام :

بيته : « عقيلة حى » والذى بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبى زَيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة .

أن امرأة مدحت بنتَ حسّان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَان (5) رزَان ماتُزَنّ بِريبة ... وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ (6)

فقالت عائشة : لـكن أبوها (7) .

---

(1) الخيم : الطبع .

(2) الأنامل : الأصابع .

(3) الرتب : ما ارتفع من الأرض وعلا . ويريد به هنا الشرف والمجد . والسورة (بفتح السين) : الوثبة . (وبضم السين) : المنزلة .

(4) لائط : لاصق . والماحل : الماشي بالنميمة .

(5) حصان : من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها . قالت جارية من العرب لأمها :

يا أمتا أبصرنى راكب ... يسير فى مسحنفر لاحب
جعلت أحثى الترب فى وجهه ... حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها :

الحصن أدنى لو تآييته ... من حثيك الترب على الراكب

(6) الرزان : الثقيلة الحركة . وغرثى من لحوم الغوافل : أى خميصة البطن من لحوم الناس أى اغتيابهم . وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف . ويريد بالغوافل : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر .

(7) قال أبو ذر : « يروى أبوها وأباها . فمن قال « أبوها » فمعناه . لـكن أبوها لم يكن كذلك ؛ ومن قال « أباها » فإنه يعنى أن حسان أبى هذه الفضيلة » .

شعر فى هجاء حسان ومسطح

قال ابن إسحاق :

وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسّان وأصحابه فى فِرْيتهم على عائشة ـ

قال ابن هشام : فى ضرب حسّان وصاحبيه ـ :

لَقَدْ ذاق حَسّان الذى كان أهلَه ... وحَمْنةُ إذ قالوا هجيراً ومسْطَحُ(١)

تعاطَوْا برَجْم الغَيْب زوجَ نَبيّهم ... وسَخْطة ذى العَرْش الكَريم فأَتْرحوا(٢)

وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا ... مَخازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا

وصُبّت عليهم مُحْصَدات كأنها ... شآبيبُ قَطْر من ذُرَى المُزْنَ تَسْفَحُ(٣)

أمر الحديبية فى آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق :

خروج الرسول

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهرَ رمضان وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لايريد حربا .

نميلة على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله اللَّيثى .

قال ابن إسحاق :

---

(١) الهجير: الهجر وقول الفاحش القبيح .

(٢) الرجم : الظن . وأترحوا : أحزنوا ، من الترح ، وهو الحزن . ويروى «فأبرحوا» بالباء ، وهو من البرح ، أى المشقة والشدة .

(٣) محصدات : يعنى سياطا محكمة الفتل شديدات . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والذرى : الأعالى . والمزن : السحاب . وتسفح : تسيل .

استنفار الرسول الناس

واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومن لَحِق به من العرب، وساق معه الهَدْى، وأحرم بالعُمرة، ليأمن الناسُ من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظِّما له.

عدة الرجال

قال ابن إسحاق: حدّثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ عن عُروة بن الزُّبير عن مِسْوَر بن مَخْرمة ومَرْوان بن الحَكم أنهما حدّثاه، قالا:

خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحُدَيْبِية[1] يريد زيارةَ البيت، لا يريد قتالاً، وساقَ معه الهَدْىَ سَبْعين بَدَنةً، وكان الناس سبع مئة رجل، فكانت كلٌّ بدنة عن عَشرة نفر.

وكان جابر بن عبد الله، فيما بلغنى، يقولُ: كنّا أصحابَ الحُدَيبية أربعَ عشرةَ مئة.

قال الزهرى:

الرسول وبشر ابن سفيان

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بعُسْفان[2] لَقِيه بشر ابن سُفيان الكَعْبى — قال ابن هشام: ويقال بُسْر — فقال: يا رسول الله،

---

(١) الحديبية (بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء. وقد اختلف فيها، فمنهم من شدد ومنهم من خفف): قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها، بينها وبين مكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل. (عن معجم البلدان).

(٢) عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة؛ وقيل: هى بين المسجدين، وهى من مكة على مرحلتين؛ وقيل غير ذلك. (راجع معجم البلدان).

هذه قُرَيش قد سَمِعت بمَسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المَطافِيل(١) ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمُور ، وقد نَزلوا بذى طُوى(٢) ، يُعاهدون الله لاتَدْخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قدّموها إلى كُراع(٣) الغَمِيم ؛ قال : فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياوَيْحَ قريش ! لقد أَكَلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خَلَّوا بينى و بين سائر العرب ، فإن هم أصابُونى كان ذلك الذى أرادُوا ، و إن أظْهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافِرين ، و إن لم يَفعلوا قاتَلُوا وبهم قُوة ، فما تَظُنّ قريش ، فوالله لا أزال أُجاهد على الذى بَعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تَنفرد هذه السالفة(٤) ، ثم قال : مَنْ رجل يَخْرج بنا على طَرِيق غَير طَرِيقهم التى هُمْ بها ؟

تجنب الرسول لقاء قريش

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر .

أن رجلا من أسْلم قال : أنا يارسول الله ؛ قال : فسلَكَ بهم طريقاً وعراً أَجرَل(٥) بين شِعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المُسلمين وأَفْضوا إلى أرض سَهْلة عند مُنْقطع الوادى ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس: قُولوا نَستغفر اللهَ ونَتُوب إليه ؛ فقالوا ذلك ! فقال : والله إنها لَلْحِطّة(٦) التى عُرِضَتْ على بنى إسرائيل . فلم يقُولوها .

قال ابنُ شهاب :

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال ، اسلكوا ذات اليَمِين بين

---

(١) العوذ : جمع عائذ ، وهى من الإبل الحديثة النتاج ، والمطافيل : التى معها أولادها ، يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان ، وهو على الاستعارة .

(٢) ذو طوى (مثلث الطاء وينون) : موضع قرب مكة .

(٣) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . (عن معجم البلدان) .

(٤) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت .

(٥) الأجرل : الكثير الحجارة ؛ ويروى : أجرد ، أى ليس فيه نبات .

(٦) الحطة : يريد قول الله تعالى لبنى إسرائيل : « وقولوا حطة » ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

ظَهْرَى الحَمْض ، فى طريقٍ [تُخرجه[1]] على ثَنِيَّة المُرَار مَهْبط الحُديبية من أسفل مكة ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قُريش قَتَرَة[2] الجيش قد خالَفوا عن طَريقهم ، رَجعوا راكِضين إلى قُريش ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك فى ثَنية المُرار بَرَكت ناقته ، فقالت الناس : خَلأَتْ[3] الناقة ، قال : ماخلأَتْ وما هو لها بخُلق ، ولكنْ حَبسها حابسُ الفِيل عن مكة . لاتَدْعونى قريش اليومَ إلى خُطَّة يسألوننى فيها صِلةَ الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلُوا ؛ قيل له : يارسول الله : ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهما من كِنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فَنَزل به فى قَلِيب[4] من تلك القُلُب . فَغرزه فى جَوْفه ، فَجاش[5] بالرَّواء[6] حتى ضَرب الناس عنه بعَطَن[7] .

الذى نـزل بسهم الرسول فى طلب الماء

قال ابن إسحاق : فحدّثنى بعضُ أهل العلم عن رجال من أَسْلم .

أن الذى نزل فى القَلِيب بسَهْم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدب ابن عُمير بن يَعْمَر بن دارِم بن عَمْرو بن وائلة بن سَهْم بن مازن بن سلامان ابن أسلم بن أَفْصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعضُ أهل العلم :

أن البَراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بِسَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فالله أعلم أى ذلك كان .

---

(١) زيادة عن ا . وفى رواية « تخرجهم » .
(٢) قترة الجيش : غباره .
(٣) خلأت : بركت . قال أبو ذر : « الخلاء فى الإبل: بمنزلة الحران فى الدواب ، وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة .
(٤) القليب : البئر .
(٥) جاش : ارتفع .
(٦) الرواء (بفتح الراء) : الكثير .
(٧) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

شعر لناجية يثبت أنه حامل سهم الرسول

وقد أنْشدت أَسلم أبياتاً من شعر قالها ناجيةُ ، قد ظَنَنا أنه هو الذى نَزَل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارِيةً من الأنصار أقبلت بدَلْوِها ، وناجية فى القَلِيب يَمِيح[1] على الناس ، فقالت :

يأَيها المائح دَلْوِى دُونَكا إنّى رأيتُ الناسَ يحمَدونَكا

* يُثْنون خيراً ويُمجدونكا *

قال ابن هشام : ويُروى :

* إنى رأيت الناس يَمدحونكا *

قال ابن إسحاق :

فقال ناجية ، وهو فى القليب يَميح على الناس :

قد علمت جاريةٌ يَمانِيَهْ أنّى أنا المَائح واسمى ناجِيَهْ

وطَعْنةٍ ذات رَشَاس واهِيهْ طعنتُها عند صُدور العادِيهْ[2]

بديل ورجال خزاعة بين الرسول وقريش

فقال الزهرىّ فى حديثه :

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعىّ ، فى رجال من خُزاعة ، فكلّموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حربًا ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظِّما لحُرْمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبِشْر بن سُفْيان ، فرَجعوا إلى قُريش فقالوا : يامعشرقريش ، إنكم تَعْجلون على محمد ، إن محمداً لم يأتِ لقتالٍ وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجَبّهوهم[3] وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لايدخلها علينا عَنْوة أبدا ، ولا تحدّثُ بذلك عنّا العرب .

---

(١) يميح على الناس : يملأ الدلاء .

(٢) الواهية : المسترخية الواسعة الشق . والعادية : القوم الذين يعدون ، أى يسرعون العدو

(٣) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون .

قال الزهرى : وكانت خُزاعة عَيْبة نُصْح[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُسْلمها ومُشْركها ، لايخفون عنه شيئاً كان بمكة .

قال :

مكرز رسول قريش إلى الرسول

ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأَخْيَف ، أخا بنى عامر بن لؤىّ ، فلما رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُقبلا قال : هذا رجل غادر ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكلّمه ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبُدَيل وأصحابه ؛ فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم .

الحليس رسول من قريش إلى الرسول

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة أوابن زَبّان ، وكان يومئذ سَيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة ، فلما رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إن هذا من قوم يتألّهون[2] ، فابعثوا الهدْى فى وَجْهه حتى يراه ، فلما رأى الهَدْى يَسيل عليه من عُرْض[3] الوادى فى قلائده[4] ، وقد أكل أوْبارَه من طُول الحَبس عن مَحِلّه[5] ، رجع إلى قريش ، ولم يَصِل إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لاعِلْم لك .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر .

أن الحُلَيس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصَدّ عن بيت الله من جاء معظّماً له ! والذى نفس الحُلَيس بيده ، لَتُخَلُّنّ بين محمد و بين ماجاء له ، أولأنفرنّ بالأحابيش نفْرةَ رجل واحد . قال : فقالوا له : مَهْ ، كفّ عنّا ياحُلَيس حتى نأخذَ لأنفسنا مانرضى به .

---

(١) عيبة نصح الرسول ، أى خاصته وأصحاب سره . وليس فى ا كلة « نصح » .

(٢) يتألهون : يتعبدون ويعظمون أمر الإله .

(٣) عرض الوادى : جانبه .

(٤) القلائد : مايعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

(٥) محله : موضعه الذى ينحر فيه من الحرم .

عروة بن مسعود رسول من قريش إلى الرسول

قال الزهري في حديثه :

ثم بعثوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عُروة بن مَسْعود الثقفي ؛ فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت مايلْقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعْنيف وسُوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والدٌ[1] وأنى وَلد ـ وكان عروة لسُبَيعة بنت عبد شمس ـ وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعنى من قومى ، ثم جِئْتكم حتى آسَيْتكم[2] بنفسى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعتَ أوْشاب[3] الناس ، ثم جِئْتَ بهم إلى بَيْضَتك[4] لتَفُضَّها[5] بهم ، إنها قُريش قد خَرجت معها العُوذُ المطافِيل . قد لَبِسوا جُلود النّمور ، يُعاهدون الله لاَتَدْخلها عليهم عَنْوة أبدا . وأيْم الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عَنْك غَدًا . قال : وأبو بكر الصديق خَلْف رسول الله صلى الله عليه وسلّم قاعد ؛ فقال : امصُصْ بظْر اللات ، أنحن نَنْكشِف عنه ؟ قال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبى قُحافة ؛ قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندى لكافأتُك بها ، ولكن هذه بها ؛ قال : ثم جعلَ يَتناول لِحْية رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يكلّمه . قال : والمغيرة بنُ شُعْبة واقف على رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الحديد . قال : فجعلَ يقْرع يَده إذا تناول لِحْية رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، ويقول : اكفف يدَك عن وَجْه رسول الله صلّى الله عليه وسلم قبلَ أن لاتصلَ إليك ؛ قال : فيقولُ عروة : ويحك ! ما أفظّك

(١) والد : أى كل واحد منكم كالوالد : وقيل أى أنكم حى قد ولدنى ، لأنه كان لسبيعة بنت عبد شمس .

(٢) آسيتكم : عاونتكم .

(٣) الأوشاب : الأخلاط .

(٤) بيضة الرجل : أهله وقبيلته .

(٥) تفضها : تكسرها .

وأغلظك ! قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له عُروة : مَن هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المُغيرة بن شُعْبة ؛ قال : أى غُدَر ، وهل غَسَلْتَ سَوْءتك إلا بالأمس .

ـ قال ابن هشام :

أراد عروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامِه قتل ثلاثَة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيَّان من ثقيف : بنو مالك رهط المَقتولين ، والأحلاف رَهْط المُغيرة ، فَودَى عُرْوة المَقْتولين ثلاثَ عَشرة دِيَة ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى :

فكلّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بنَحْوٍ مما كلَّم به أصحابه ، وأَخْبره أنه لم يأتِ يُريد حَرْبا .

فقام من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد رأى مايصنع به أصحابُه ، لايتوضّأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولاَ يَبْصق بُصاقا إلا ابتدروه . ولا يَسْقط من شَعره شئ إلا أخذوه . فرجع إلى قريش ، فقال : يامعشر قُريش ، إنى قد جِئْت كِسْرى فى مُلكه ، وقيصر فى مُلكه . والنجاشىّ فى مُلكه ، و إنى والله مارأيت مَلِكا فى قوم قطّ مثلَ محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قومًا لايُسْلمونه لشىء أبدا ، فرَوا رأيَكم .

خراش رسول الرسول إلى قريش

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِراش بن أُميةِ الخُزاعى ، فَبعثه إلى قريش بمكة ، وحَمله على بعير له يقال له الثّعلب ، ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعَقروا به جمل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأرادوا قتْله ، فَمنَعتْه الأحابيش ، فخلَّوا سبيله ، حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم .

النفر القرشيون الذين أرسلتهم قريش للعدوان ثم عفا عنهم الرسول

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ من لا أتهم عن عِكْرمة مولى ابن عباس عن ابن عبّاس :

أنّ قريشًا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأَمروهم أن يُطِيفوا بعَسْكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخذوا أخذا ، فأُتِى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رمَوْا فى عسكر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بالحِجارة والنَّبل.

عثمان رسول محمد إلى قريش

ثم دعا عمرَ بن الخطّاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ ابن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغِلْظتى عليها ، ولكنى أدلُّك على رجلٍ أعَزّ بها منّى ، عثمان بن عفّان . فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفّان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قُريش ، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظِّما لحُرْمته .

إشاعة مقتل عثمان

قال ابن إسحاق :

فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلقِيه أبانُ بن سَعيد بن العاص حين دَخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قُريش ، فبلّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف؛ فقال : ما كنتُ لأفعل حتّى يطوف به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . واحتَبسته قريش عندها ، فبلغَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين أنّ عثمان ابن عفان قد قُتل .

بيعة الرضوان

مبايعة الرسول الناس على الحرب وتخلف الجد

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم قال ، حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل : لا نبْرح حتى نُناجز القوم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم الناسَ إلى البيعة ، فكانت بيْعة الرّضْوانِ تحت الشجرة ، فكان الناسُ يقولون : بايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المَوْت ، وكان جابرُ بن عبد الله يقول : إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لمْ يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ .

فبايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجَدّ بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته . قد ضَبأ[1] إليها ، يَسْتتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

أول من بايع

قال ابن هشام : فذكرَ وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن الشّعبيّ :

أن أوّلَ منْ بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الرّضوان أبو سِنان[2] الأسدى .

قال ابن هشام : وحدّثنى من أثق به عمن حدّثه بإسْناد له عن ابن أبى مُلَيْكة عن ابن أبى عمر :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بايع لعُثمان، فضَرب بإحدى يديه على الأخرى

---

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

(٢) اختلف فى اسم أبى سنان هذا ، فقيل : وهب بن عبدالله ، وقيل : عبد الله بن وهب . وقيل : عامر ؛ وقيل بل اسمه وهب بن محصن بن حرثان ، أخو عكاشة بن محصن ، وهذا الرأى الأخير أصح الآراء . وكانت وفاته فى سنة خمس من الهجرة وهو ابن أربعين سنة . (راجع الاستيعاب) .

أمر الهدنة

إرسال قريش سهيلا إلى الرسول للصلح

قال ابن إسحاق : قال الزهرى :

ثم بعثتْ قريش سُهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لُؤَىّ ، إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقالوا له : ائتِ محمداً فصالِحْه ، ولا يكن فى صُلْحه إلا أن يرجعَ عنا عامه هذا ، فوالله لاتحدّث العربُ عنّا أنه دَخَلها علينا عَنْوَةً أبدا . فأتاه سُهيل بن عمرو ؛ فلما رآهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تكلّم فأطال الكلامَ ، وتراجَعا ، ثم جرى بينهما الصلحُ .

عمر ينكر على الرسول الصلح

فلما التأم الأمر ولم يَبْقَ إلا الكتابُ ، وثَب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال: بلى ؛ قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نُعْطى الدّنيّةَ[1] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : ياعمر ، الزم غَرْزه[2] ، فإنى أشهد أنه رسولُ الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله ، ثم أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يارسول الله ، ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ؛ قال أولَسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فَعلام نُعْطى الدَّنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله، لن أُخالف أمرَه ، ولن يُضيّعنى ! قال : فكان عُمر يقول: مازِلت أتصدّق وأَصوم وأُصلّى وأُعْتِق، مِن الذى صنعتُ يومئذ ! مخافةَ كلامِى الذى تكلمتُ به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً .

على يكتب شروط الصلح

قال : ثم دعَا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتبْ : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ قال : فقال : سُهَيل :

---

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزه : أى الزم أمره . والغرز للرحل : بمنزلة الركاب للسرج .

لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ؛ ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهيلَ بن عمرو ؛ قال : فقال سُهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أُقاتلك ، ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ؛ قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سُهيلَ ابن عمرو ، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأْمن فيهن الناسُ ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة[1] ، وأنه لا إسلال ولا إغلال[2] ، وأنه من أحبّ أن يدخل فى عقْد محمد وعهْده دَخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقد قريش وَعهدهم دخل فيه .

دخول خزاعة فى عهد محمد وبنى بكر فى عهد قريش

فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا: نحن فى عَقْد قريش وعَهْدهم، وَأنّك ترجع عنا عامَك هذا، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرَجنا عنك فدَخلْتها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السُّيوف فى القُرُب ، لا تَدْخلها بغيرها .

ما أهم الناس من الصلح ومجىء أبى جندل

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو ، إذ جاء أبوجَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحابُ رسول الله صلّى عليه وسلّم خرجوا وهم لا يَشُكُّونَ فى الفتْح ، لِرُؤْيا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأَوْا ما رَأَوْا من الصُّلح والرُّجوع ، وما تحمل عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه ، دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سُهيل أبا جَنْدل قام إليه فضربَ وَجْهه ، وأخذ بتلبيبه ؛ ثم قال : يامحمد ، قد لَجّت[3] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صدقتَ ، فجعل

---

(١) أى صدور منطوية على ما فيها ، لا تبدى عداوة ، وضرب العيبة مثلا .
(٢) الإسلال : السرقة الخفية . والاغلال : الخيانة .
(٣) لجت القضية : تمت .

ينتره[1] بتلبيبه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جَنْدل يَصْرخ بأعلى صوته : يامعشرالمسلمين ، أأرُدّ إلى المشركين يَفْتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناسَ إلى مابهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا أبا جَنْدل ؛ اصبر واحتسِبْ ، فإن الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المُسْتضعفين فرجًا ومَخْرجا ، إنا قَد عَقدنا بيننا و بين القوم صُلْحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، و إنا لانَغْدِر بهم ؛ قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يَمْشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، و إنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُدْنى قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيفَ فيضرب به أباه ؛ قال : فضنّ الرجل بأبيه ، وَنفذت القضيَّة .

من شهدوا على الصلح

فلما فرغ [رسول الله صلى الله عليه وسلم] من الكتاب أَشْهَد على الصلْح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبدالرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَز بن حَفْص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلىّ بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتبَ الصحيفة .

نحر الرسول وحلق فاقتدى به الناس

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم مضطربا[2] فى الحِلّ ، وكان يُصلى فى الحرم فلما فرغ من الصلْح قام إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلَق رأسه ، وكان الذى حَلقه فيما بلغنى فى ذلك اليوم خِراش بن أُمية بن الفضل الخزاعىّ ، فلما رأى الناسُ أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد نَحر وَحَلق تواثبوا ينحَرون ويَحْلقون .

---

(١) ينتره : يجذبه جذبا شديدا .

(٢) مضطربا فى الحل : أى أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم ، وهذا لقرب الحديبية من الحرم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح عن مُجاهد عن ابن عبّاس ، قال :

دعوة الرسول للمحلقين ثم للمقصرين

حلق رجالٌ يوم الحُدَيبية، وقَصّر آخرون. فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَرحم الله المحلِّقين : قالوا : والمقصّرين يارسول الله ؟ قال : يرحم الله المُحلقين ؛ قالوا : والمقصّرين يارسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين ؛ قالوا : والمقصّرين يارسول الله ؟ قال . والمقصّرين ؛ فقالوا : يارسول الله : فلم ظاهرت[1] التّرحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكّوا .

أهدى الرسول جملا فيه برة من فضة

وقال عبد الله بن أبى نَجيح : حدّثنى مجاهد عن ابن عبّاس :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَهْدى عام الحُدَيبية فى هَدَاياه جملاً لأبى جَهْل ، فى رأسهِ بُرَةٌ[2] من فضّة ، يغيظ بذلك المشركين .

قال الزهرى فى حديثه :

نزول سورة الفتح

ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : « إِنَّا فَتَحْنَا لكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً » .

ذكر البيعة

ثم كانت القصّة فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيْعة ، فقال جل ثناؤه : « إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللهَ يَدُ ٱللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً » .

ذكر من تخلف

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب ، ثم قال حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه : « سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنا وَأَهْلُونَا » .

---

(١) ظاهرت الترحم : أى قويته بتكريرك إياه ؛ والمظاهرة : القوة والمعاونة .

(٢) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل ويرتاض ، فإن كانت من شعر فهى خزامة ، وإن كانت من خشب فهى خشاش .

ثم القصّة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : « سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ » ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الله بن أبى نجيح عَن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لاأتهم عن الزهرى أنّه قال : أولو البأس الشديد حنيفةُ مع الكذّاب .

ثم قال تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » .

ذكر كفه الرسول عن القتال

ثم ذكر محبسه وكفّهُ إياه عن القتال ، بعدَ الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفّهم عنه ، ثم قال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » . ثم قال تعالى : « هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكأنّ السُّموط عكَّفه السِّلـــكُ بِعِطْفَى جَيْداء أُمِّ غَزَالِ (١)

---

(١) السموط : جمع سمط ، وهو مايعلق من القلادة على الصدر . والسلك : الخيط الذى ينظم فيه . والجيداء : الطويلة الجيد .

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

« وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ » ، والمعرة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم [معرة] بغير علم فتخرجوا دِيَته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام :

بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد بن المغيرة وَسَلمة بن هشام وَعيّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جَندل بن سُهيل ، وأشباههم .

قال ابن إسحاق :

ثم قال تبارك وتعالى : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فى قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ » يعنى سهيل بن عمرو حين حَمِىَ أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : « فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِهِ وَعلى المُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَقْوَى ، وكانوا أحق بها وأهلها » ، أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : « لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَالَمْ تَعْلَمُوا » أى لرؤيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف ؛ يقول : محلقين رءوسكم ، ومقصرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى :

فما فُتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظَم منه ، إنما كان القتال حيث التَقى الناس ، فلما كانت الهُدنة ، ووُضعت الحرب ، وآمن الناس بعضُهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمُنازعة ، فلم يُكلّم أحد بالإسلام يَعْقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تَيْنك السنتين مثلَ مَنْ

كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام :

والدليل على قول الزُّهرىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحُدَيْبِيَة فى ألف وأربع مئة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجىء أبى بصير إلى المدينة وطلب قريش له

قال ابن إسحاق :

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بَصير عُتْبة[1] بن أَسِيد ابن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أَزْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة ، والأخنس بن شَريق ابن عمرو بن وهب الثقفى إلى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلاً من بنى عامر بن لُؤَىّ ، ومعه مولى لهم ، فقَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ما قد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا فى ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفِينَ فرجًا ومخرجا ، فانْطَلِقْ إلى قومك ؛ قال : يارسول الله ، أتردّنى إلى المشركين يَفْتِنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلِق ، فإنّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعفين فرجًا ومَخْرجا .

قتل أبى بصير للعامرى ومقالة الرسول فى ذلك

فانطلَق معهما ، حتى إذا كان بذِى الحُلَيفة[2] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بَصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظرْ ، إن شئت . قال : فاستلّه أبو بَصير ، ثم علاه به حتى قتله ،

---

(١) وقيل عبيد : (راجع الاستيعاب) .

(٢) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال . أوسبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة .

وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعًا ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبُكم صاحبى . فوالله مابَرِح حتى طلَع أبو بصير متوشّحاً بالسيف ، حتى وقف على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يارسول الله ، وَفَتْ ذِمّتك ، وأدّى الله عنك ، أسلَمتنى بيد القوم وقد امتنعتُ بدينى أن أُفتن فيه ، أو يُعْبَث[1] بى . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ويل أُمّه مِحَشّ[2] حرب لو كان معه رجال !

اجتماع المحتبسين إلى أبى بصير وإيذاؤهم قريشا وإيواء الرسول لهم

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ ، من ناحية ذى المَرْوة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المُسْلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأبى بصير «ويلُ امّه مِحَشّ حَرب لو كان معه رجال» فخرجوا إلى أبى بصير بالعِيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضَيّقوا على قريش ، لايظفرون بأحد منهم إلاقتلوه ، ولا تَمُرّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلاحاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير ثَقَفىّ .

أراد سهيل ودى أبى بصير وشعر موهب فى ذلك

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ سُهيلَ بن عمرو قتلُ أبى بَصير صاحبَهم العامرىّ ، أسند ظهرَه إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظَهْرى عن الكَعبة حتى يُودَى هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إنّ هذا لهو السَّفَه ، والله لا يُودَى (ثلاثا) ؛ فقال

---

(١) فى م ، ر : «يبعث» وهو تحريف .

(٢) محش حرب : موقد حرب ومهيجها ؛ يقال : حششت النار ، وأرثتها ، وأذكيتها ، وأثقبتها ، وسعرتها ، بمعنى واحد . وفى الصحيح : «ويل امه مسعر حرب» .

فى ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أُنَيس ، حليف بنى زُهرة :

ـ قال ابن هشام : أبو أنيس أشعرىّ ـ

أتانى عن سُهَيل ذَرْءُ قولٍ[1]   فأيْقظنى وما بى من رُقادِ
فإن تَكُنِ العِتابَ تُريد منّى   فعاتِبْنى فمابكَ من بِعادى
أتُوعدنى وعبدُ منافَ حَوْلى   بِمَخْزوم أَلْهفًا مَنْ تُعادى[2]
فإن تَغْمِز قَنَاتى لا تَجِدْنى   ضَعيفَ الُود فى الكُرَبِ الشِّداد
أُسامِى الأكْرَمين أبًا بِقَوْمى   إذا وَطِئَ الضعيفُ بهم أُرادى[3]
همُ مَنعوا الظَّواهِرَ غَيْرَ شَكٍّ   إلى حيثُ البَواطِنُ فالعَوادى[4]
بكل طِمِرّة وبكُل نَهْدٍ   سَوَاهِمَ قد طُوِين من الطِّراد[5]
لهم بالخَيْف قد عَلِمَتْ مَعَدّ   رِوَاق المَجْدِ رُفِّعَ بالعِماد[6]

شعر ابن الزبعرى فى الرد على موهب

فأجابه عبد الله بن الزِّبعرى ، فقال :

وأمسى مَوْهَبٌ كحِمار سَوْء   أجازَ ببَلدةٍ فيها يُنادِى
فإن العبدَ مثلكَ لايُناوى   سُهَيلاً ضَلّ سَعْيكَ من تُعادى[7]
فأَقْصِر يابنَ قَيْن السُّوء عَنْه   وعَدِّ عن المَقالة فى البلاد[8]
ولا تذكر عِتاب أَبِى يزيد   فَهيهات البحور من الثِّماد[9]

---

(١) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : « ذرو » . قال أبو ذر : « ذرء قول ، أى طرف قول ، وهو مهموز ، ويروى : ذرو قول ، بالواو ، والصواب الهمز » .

(٢) أتوعدنى : أتهددنى .

(٣) أسامى : أعالى . وأرادى : أرامى ؛ يقال : راديته ، إذا راميته .

(٤) الظواهر : ماعلا من مكة . والبواطن : ما انخفض منها . والعوادى : جوانب الأودية .

(٥) الطمرة : الفرس الوثابة السريعة . والنهد : الغليظ . وسواهم : عوابس متغيرة . وطوين : ضعفن وضمرن .

(٦) الخيف : موضع بمنى . والرواق : ضرب من الأخبية .

(٧) لايناوى : لايعادى ، وترك همزه لضرورة الشعر .

(٨) القين : الحداد .

(٩) الثماد : الماء القليل .

أمر المهاجرات بعد الهدنة

هجرة أم كلثوم إلى الرسول وإباؤه ردها

[قال ابن إسحاق][1] :

وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كُلْثُوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة ، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ، حتى قدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذى بينه وبين قريش فى الحُدَيبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

سؤال ابن أبى هنيدة لعروة عن آية المهاجرات ورده عليه

قال ابن إسحاق : فحدّثنى الزُّهرى عن عُرْوة بن الزُّبير ، قال :

دخلت عليه وهو يَكْتب كتابًا إلى ابن أبى هُنيدة ، صاحب الوليد ابن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ، ٱللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَاهُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ، وَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

ــ قال ابن هشام :

واحدة العِصم : عِصْمة ، وهى الحبل والسَّبب . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إِلَى المَرْء قيسٍ نُطيل السُّرى وَنأخذ من كُلِّ حَيٍّ عِصَم

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وَاسْئَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ، ذٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيم » .

عود إلى جواب عروة

قال : فكتب إليه عُروة بن الزُّبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشاً يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليّه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أَبَى اللهُ أن يُرْدَدْنَ

(١) زيادة عن ا .

إلى المُشْركين إذا هن امتحنّ بمِحْنة الإسلام ، فعَرفوا أنهن إنما جِئْن رغبة فى الإسلام ، وأمرَ بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن احتَبَسن عنهم ، إن هم ردّوا على المسلمين صداقَ من حُبِسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم النساء وردَّ الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدُقات نساء من حُبسوا منهن ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم النساء كما ردّ الرجالَ ، ولولا الهُدنة والعَهْد الذى كان بينه وبين قُريش يوم الحُديبية لأمسك النساء ، ولم يردُدْ لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد .

سؤال ابن إسحاق الزهرى عن آية المهاجرات

قال ابن إسحاق :

وسألت الزُّهْرى عن هذه الآية ، وقولِ الله عزّ وجل فيها :

« وَإِنْ فاتَـكُمْ شَىْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْـكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ » . فقال: يقول : إن فات أحداً منكم أهلُه إلى الكفّار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوهم من فَىْء إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ» إلى قول الله عزّ وجل : «وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْـكَوَافِرِ» كان ممن طلّق عمرُ بن الخطاب ،طلق امرأته قُريبة بنت أبى أمية بن المغيرة ، فتزوّجها بعده مُعاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت جَرْول أمّ عبيد الله بن عمر الخُزاعيّة ، فتزوجها أبو جَهْم ابن حُذَيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شِرْكهما .

بشرى فتح مكة وتعجل بعض المسلمين

قال ابن هشام : حدّثنا أبو عبيدة :

أنّ بعضَ مَنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يارسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم مِنْ عامِى هذا ؟ قالوا : لا ؛ قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام[1] .

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الخامس عشر من أجزاء السيرة .

ذكر المسير إلى خيبر

في المحرم سنة سبع

الخروج إلى خيبر

قال محمد بن إسحاق(١) :

ثم أقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة حين رجع من الحُدَيبية ، ذا الحِجة و بعضَ المحرم ، ووَلِي تلك الحِجّة المشركون ، ثم خرج فى بقيّة المحرّم إلى خيبر .

قال ابن هشام :

استعمال نميلة على المدينة

واستعمل على المدينة نُمَيـلَة بن عبد الله اللَّيْثى ، ودَفع الرايةَ إلى علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

ارتجاز ابن الأكوع ودعاء الرسول له واستشهاده

قال ابن إسحاق : فحدّثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِي عن أبى الهيثم ابن نصر بن دُهْر الأسلمى أن أباه حدّثه :

أنه سَمِع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر ابن الأكوع ، وهو عمّ سَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سِنان : انزل يابن الأكوع ، فَخُذ لنا من هَناتك(٢) ، قال : فنزلَ يرتجز برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

والله لولاَ اللهُ ما اهتدَيْنا ولا تَصـدَّقْنا ولا صَلَّينا
إنا إذا قومٌ بَغَوْا علينا وإن أرادُوا فِتْنة أَبَيْنا
فأنزِلَن سَكِينة علينا(٣) وثَبِّتِ الأقْدام إن لاقينا(٤)

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال » . وإذا عرفنا أن الجزء السادس عشر من أجزاء السيرة يبدأ بالكلام فى هـذه الغزوة لم تنكر على أكثر الأصول هذه الزيادة التى تستفتح بها كل جزء .

(٢) هناتك ، أى أخبارك وأمورك وأشعارك ؛ وهى جمع هنة ، ويكنى بها عن كل شىء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه فتكنى عنه . وأراد رسول الله صلى الله عليـه وسلم أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

(٣) السكينة : الوقار والتثبت .

(٤) ذكر الزرقانى هذا الرجز يختلف عما هنا فى ألفاظه ويزيد عليه .

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطّاب : وَجبت والله يارسول الله ، لَوْ أمْتَعْتنا به ! فقتل يومَ خيبر شهيدا ، وكان قَتْله ، فيما بلغنى ، أنّ سيفه رَجع عليه وهو يُقاتل، فَـكَلمه كَلْماً شديدا ، فمـات منه ؛ فكان المسلمون قد شكّوا فيه ، وقالوا : إنمـا قتله سلاحُه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ ابن عمرو بن الأكوع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنه لشهيدٌ ، وصلَّى عليه ، فصلَّى عليه المسلمون .

دعاء الرسول لما أشرف على خيبر

قال ابن إسحاق : حدّثنى من لا أتهم عن عَطَاء بن أبى مَرْوان الأسلمى ، عن أبيه ، عن أبى مُعَتِّب بن عمرو :

أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خَيْبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قِفُوا ، ثم قال : اللهم ربَّ السموات وما أَظْلَلْن ، وربَّ الأرَضين وما أَقْلَلْن ، وربَّ الشياطين وما أَضلَلْن ، وربَّ الرياح وما أَذْرين ، فإنا نسألك خيْرَ هذه القَرْية وخيرَ أهلها وخيرَ مافيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ مافيها ، أَقدِموا بسم الله . قال : وكان يقولُها عليه السلام لكل قَرْيةٍ دَخلها .

فرار أهل خيبر لما رأوا الرسول

قال ابن إسحاق ؛ وحدثنى من لاأتهم عن أنَس بن مالك قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزَا قومًا لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبح ، فإن سَمِع أذاناً أمسك ، و إن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا أصبح لم يَسْمع أذاناً ، فركب ورَكِبْنا معه ، فركبتُ خلف أبى طلحة ، و إن قدَمى لتمسّ قَدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبَلنا عُمّالَ خيبر غادِين ، قد خرجوا بمساحِيهم ومَكاتِلهم[1] ، فلما رأَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيشَ ، قالوا : محمد والخَمِيس[2] معه ! فأَدْبروا هُرَّاباً ،

---

(1) المساحى: جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد . والمكاتل: جمع مكتل، وهى قفة كبيرة.
(2) الخميس : الجيش .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خَرِبت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المُنذَرين .

قال ابن إسحاق : حدّثنا هارون عن حُميد عن أنس بمثله .

منازل الرسول في طريقه إلى خيبر

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خَيبر سلك عَلَى عِصْر[1] ، فبنى له فيها مَسجد ، ثم على الصَّهباء[2] ، ثم أقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم بجَيْشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ، فنزل بينهم و بين غَطَفان ، ليَحُول بينهم و بين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظاهِرين على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم .

غطفان ومحاولتهم معونة خيبر ثم اتخذا لهم

فبلغني أنّ غَطفان لمّا سَمِعت بِمَنْزِل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبرَ جمعوا له ، ثم خرجوا لِيُظَاهِروا[3] يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة[4] سمعوا خَلْفَهم فى أموالهم وأهْليهم حسًّا ، ظَنّوا أن القَوم قد خالفوا إليهم ، فَرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلّوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم و بين خيبر .

افتتاح رسول الله الحصون

وتدنّى[5] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الأموال يأخذها مالا مالا ، و يفتتحها حِصْنا حِصْنا ، فكان أول حُصونهم افتُتِح حِصْن ناعم ، وعنده قُتِل محمود ابنَ مسْلمة ، أُلْقِيت عليه منه رحًا فقتلته ، ثم القَموص ، حِصْن بنى أبى الحُقيق ، وأصاب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم منهم سَبايا ، منهنّ صَفية بنتُ حيىّ

---

(١) عصر (بالكسر ، ويروى بالتحريك ، والأول أشهر وأكثر) : جبل بين المدينة ووادى الفرع . (عن معجم البلدان) .

(٢) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر روحة . (راجع معجم البلدان) .

(٣) ليظاهروا : ليعاونوا .

(٤) منقلة : مرحلة .

(٥) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

ابنِ أخطب ، وكانت عندِ كنانة بن الرَّبيعِ بن أبى الحُقَيق ، وبِنْتَى عَمٍّ لها ؛ فاصطفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صِفيَّة لنفسه .

وكان دِحْية بن خَليفة الْكَلْبى قد سأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم صَفية ، فلما أصفاها لنفْسه أعطاه ابنَتىْ عمّها ، وفَشَت السبايا من خَيْبر فى المُسلمين .

نهى الرسول يوم خيبر عن أشياء

وأكل المُسْلمون لحُوم الحُمر الأهلية من حُمرها ، فقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فَنهى الناسِ عن أُمور سمّاها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزارى عن عبد الله ابن أبى سَليط عن أبيه قال :

أتانا نهىُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عن أكْل لحُوم الحُمر الإنسية ، والقُدور تَفُور بِها ، فكَفأْناها على وُجوهها .

قال ابن اسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح عن مَكْحول :

أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم نهاهم يومئذٍ عن أربع : عن إتيان الحبالى من السَّبَايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعَن بيْع المغانم حتى تُقْسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كِرْكِرة عن عَمْرو بن دِينار عن جابر ابن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خَيْبر :

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين نهى الناس عن أكل لحُوم الحمر، أذِن لهم فى أكل لحوم الخَيْل .

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن أبى مرزوق مولى تُجِيب عن حنش الصَّنعانى قال :

غزونا مع رُويفع بن ثابت الأنصارى المغرِب ، فافتتَح قرية من قرى المغرب يقال لها جِربة[1] ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إنى لاأقول فيكم

(١) جربة (بالكسر) : جزيرة بالمغرب من ناحية قابس . (عن معجم البلدان) .

إلا ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقوله فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لايحل لامرئ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقِيَ ماؤه زرعَ غيره ، يعني إتيانَ الحبالى من السبايا ، ولا يحل لامرئ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السَّبْي حتى يستبرئها ، ولايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَبيع مَغْنما حتى يقسم ، ولايحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابّة مِنْ فَىْء المسلمين حتى إذا أَعْجَفَها[1] ردّها فيه ، ولا يحلّ لامرئ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يَلْبس ثوبا من فَىْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدّثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط أنه حدث عن عُبادة بن الصّامت قال :

نهانا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم خَيبر عن أن نَبِيع أو نَبْتاع تِبْر الذهب بالذّهب العين ، و تِبْر الفضة بالوَرِق العين ، وقال : ابتاعوا تِبْر الذهب بالورق العين ، و تِبْر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق :

ثم جعلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَتَدَنَّى الحُصون والأموال .

شأن بني سهم الأسلميين

فحدّثني عبدُ الله بن أبي بَكْر أنه حدّثه بعضُ أَسْلم :

أن بني سَهْم من أَسْلم أتَوْا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : والله يارسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء ؛ فلم يَجِدوا عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم شيئاً يُعطيهم إياه ؛ فقال : اللهم إنك قد عرَفت حالهَم وأن ليْست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أَعْظم حُصونها عنهم غناء ، وأكثرها طَعاما وَوَدَكا ، فغدا الناسُ، ففتحَ الله عزّ وجل حِصْنَ الصَّعْب بن مُعاذ ، وما بخَيْبر حِصْن كان أكثر طَعاما ووَدَكا منه .

---

(١) أعجفها : هزلها وأضعفها .

قال ابن إسحاق :

مقتل مرحب اليهودى

ولما افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من حُصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ماحاز ، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطِيح والسُّلالِم ، وكان آخر حُصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بضعَ عشرة ليلة .

قال ابن هشام :

وكان شعارأصحاب الرسول صلّى الله عليه وسلّم يوم خيبر ، يامنصور،أمِت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبدُ الله بن سَهل بن عبد الرحمن بنَ سهل ، أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله قال :

خرج مَرْحب اليهوديّ من حِصْنهم ، قد جمع سلاَحه ، يرتجز وهو يقول :

قَدْ عَلِمت خيبرُ أَنِّى مَرْحَبُ ... شاكى السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ[(1)]
أَطْعَن أحياناً وحِيناً أَضْرِبُ ... إذا الليوثُ أقبلتْ تَحَرَّبُ[(2)]
* إن حِمَاىَ للحِمى لايُقربُ[(3)] *

وهو يقول : من يُبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد عَلِمت خَيْبر أنى كعبُ ... مُفرِّج الْغُمَّى جَرِىءٌ صُلْبُ[(4)]
إِذْ شبَّت الحربُ تَلَتها الحربُ ... مَعى حُسام كالعقيق عَضْبُ[(5)]
نطَؤُكم حتّى يَذِل الصَّعْبُ ... نُعْطِى الجَزاءَ أو يفىءَ النَّهبُ
* بكفِّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ *

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

---

(1) شاكى السلاح : حاد السلاح .
(2) تحرب : أى مغضبة .
(3) زادت (ا) بعد هذا الشطر :
يحجم عن صولتى المجرب
(4) الغمى : الكرب والشدة .
(5) شبت الحرب : أثيرت . والعقيق : شعاع البرق ، شبه السيف به .

قد عَلِمتْ خيـبر أنى كَعبُ   وأنَّنِي مَتَى تشَبُّ الحَرْبُ
ماضٍ على الهَول جرىءٌ صُلْب   معى حُسام كالعقيق عَضْبُ
بِكَفِّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ   ندكُّكم حتى يَذِل الصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومرحب من حِمْير .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن سَهْل عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال :

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : من لهذا ؟ قال محمد بن مَسْلمة : أناله يا رسول الله ، أنا والله المَوتور الثائر ، قتل أخى بالأمس ؛ فقال : فقم إليه ، اللهم أَعِنْهُ عليه . قال : فلما دنا أحدُهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمْرِيّة[1] من شجر العُشَر[2] فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، كلُما لاذبها منه اقتطع صاحبُه بسيفه مادونه منها ، حتى بَرَز كلّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجل القائم ، مافيها فَنَن، ثم حملَ مرْحبٌ على محمّد بن مسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدَّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمْسكته ، وضربه محمدُ بن مسلمة حتى قتله .

مقتل ياسر أخى مرحب

قال ابن إسحاق :

ثم خرج بعد مَرْحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ؟ فزعم هشام ابنُ عروة أن الزّبير بن العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفّية بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يارسول الله ! قال : بل ابنُك يقتله إن شاء الله . فخرج الزُّبير فالتقيا ، فقتله الزبير .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى هشام بنُ عروة :

أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عَضْبا ،

---

(١) عمرية : قديمة .
(٢) العشر : شجر أملس مستو ضعيف العود .

قال : والله ما كان صارما ، ولكنى أكرهتُه .

شأن على يوم خيبر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال :

بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعضِ حصون خَيْبر ، فقاتل ، فرَجع ولم يك فَتْح ، وقد جهد ؛ ثم بعث الغد عمرَ بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لأعطينّ الرّايةَ غداً رجلاً يحب الله ورسولَه ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسولالله صلى الله عليه وسلم عليّا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتَفل فى عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتَح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأْنِح[1] ، يُهروِل هرْولة ، و إنا لخَلفه نتبع أثره ، حتى ركَز رايته فى رضْم[2] من حجارة تحت الحِصْن ، فاطّلع إليه يهودى من رأس الحِصْن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى : عَلَوتم ، وما أُنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يَدَيه .

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن أبى رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال :

خرجنا مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم برايته ، فلما دَنا من الحِصْن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضَربه رجلٌ من يهود ، فطاح تُرْسه من يده ، فتناول علىٌّ عليه السلام بابًا كان عند

(١) يأنح : أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو . قال السهيلى : « هو من الأنيح وهو علو النفس » .
(٢) الرضم : الحجارة المجتمعة .

الحصْن فتَرّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتُنى فى نفَر سبعة معى ، أنا ثامنهم ، نَجْهد على أن نَقْلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

أمر أبى اليسر كعب بن عمرو

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بُرَيدة بن سفيان الأسلمى عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليَسر كعْب بن عمرو ، قال :

والله إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيبر ذات عشيّة ، إذ أقبلت غَنَمٌ لرجل من يَهود تريد حِصْنهم ، ونحن محاصروهم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : مَن رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يارسول الله ؛ قال: فافعل ؛ قال: فخرجت أشتدّ مثل الظليم (١)، فلما نظَر إليَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مولّيا قال : اللهم أَمْتعنا به ؛ قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلت أُولاها الحِصْن ، فأخذت شاتيْن من أُخْراها ، فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت بهما اشتدّ ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فذَبحوهما فأ كلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هلاكا ، فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمتِعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هُلْكا

أمر صفية أم المؤمنين

قال ابن إسحاق :

ولما افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم القَموص ، حصن بنى أبى الحُقيق، أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنة حُيَيِّ بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمرّ بهما بلال ، وهو الذى جاء ، بهما على قَتْلى من قَتْلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفيَّة صاحت ، وصكّت وجهها ، وحَثت التراب على رأسها ؛ فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أَعْزِبوا (٢) عنّى هذه الشيطانة ، وأمر بصفيَّة

(١) الظليم : ذكر النعام .
(٢) أعزبوا : أبعدوا .

فحِيزَت خلفه ، وألقى عليها رداءه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية مارأى : أنزعتْ منك الرحمة يابلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفيَّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكِنانة ابن الربيع بن أبى الحُقيق ، أن قمراً وَقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زَوْجها ؛ فقال : ماهذا إلا أنك تَمَنَّيْنَ ملك الحجاز محمداً ، فلطَم وجهها لطمةً خضَّر عينها منها . فأُتِى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم و بها أثر منه ، فسألها ماهو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

بقية أمر خيبر

عقوبة كنانة ابن الربيع

وأُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكِنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلّم : إنى رأيت كنانة يُطيف بهذه الخَرِبة كل غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكِنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفِرت ، فأخرج منها بعض كَنْزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأَبى أن يُؤَدّيه ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الزبيرَ بن العوام ، فقال : عذبه حتى تَسْتأصل ماعنده ، فكان الزبير يقدح بزَنْد فى صَدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى محمد بن مسْلمة ، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مَسْلمة .

مصالحة الرسول أهل خيبر

وحاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أهلَ خيبر فى حِصْنيهم الوَطِيح

والسُّلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يُسيِّرَهم[1] وأن يحقِن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلَّها : الشَّق ونَطَاة والكَتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذَيْنك الحِصْنين . فلما سَمِع بهم أهلُ فدَك قد صنعوا ماصنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسيِّرهم ، وأَنْ يَحْقِنَ دماءهم ، و يخلُّوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مَشَى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينهم فى ذلك مُحيِّصة بن مَسْعود ، أخو بنى حارثة . فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعاملهم فى الأموال على النِّصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ؛ فصالحَهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على النِّصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، فصالحه أهل فَدَك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فَيْئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لأنهم لم يَجْلِبوا عليها بخيل ولا ركاب .

أمر الشاة المسمومة

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أهدت له زينبُ بنة الحارث ، امرأة سلاّم بن مِشْكم ، شاةً مَصْلِيَّةً[2] ، وقد سألتْ أى عُضْو من الشاة أحبّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ فقيل لها : الذّراع ؛ فأكثرت فيها من السّم ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، تناول الذّراع فلاَكَ منها مُضْغة ، فلم يُسِغها ، ومعه بِشْر بن البراء ابن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم فَلَفَظها ، ثم قال : إن هذا العَظْم ليُخبرنى أنه مَسْموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ؛ فقال : ماحملك على ذلك ؟ قال : بلغتَ من قَوْمى ما لم يَخْفَ عليك ، فقلت : إن كان مَلِكا استرحتُ منه ، و إن كان نبيا فسيُخْبَر

(١) يسيرهم : ينفيهم .
(٢) مصلية : مشوية .

قال : فتجاوَز عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بِشْر من أَكْلَتِه التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى مَروان بن عثمان بن أبى سَعيد بن المُعَلَّى ، قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بِشْر بنت البَرَاء بن مَعْرور تَعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدتُ فيه[1] انقطاع أبهرى[2] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخَيْبر . قال : فإن كان المسلمون ليُرَوْن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوّة .

رجوع الرسول إلى المدينة

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَر أهلَه ليالى ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

مقتل غلام رفاعة الذى أهداه للرسول

قال ابن إسحاق : فحدّثنى ثور بن زيد عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطيع ، عن أبى هريرة قال :

فلما انصرفنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن خيبر إلى وادى القُرى نزلنا بها أَصِيلا مع مَغْرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له[3] ، أهداه له رِفاعة بن زيد الجذامىّ ، ثم الضَّبِينىّ[4] .

قالَ ابن هشام : جُذام ، أخو لخم .

قال : فو الله إنه ليضع رَحْل رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم إذ أتاه سَهْم

---

(1) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(2) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . وهما أبهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين . (راجع لسان العرب مادة بهر) .

(3) اسم هذا الغلام : مدعم . (راجع الاستيعاب) .

(4) كذا فى المشتبه والاستيعاب ، فى إحدى روايتيهما ؛ وفى الرواية الأخرى: «الضبيبى» وفى ا : «الضبي» . وفى سائر الأصول : « الضبي» . قال الذهبى : «وبمعجمة ثم موحدة [الضبينى نسبة إلى] ضبينة : بطن من جذام ، منهم رفاعة بن زيد الضبينى . وقال بعض المحدثين: الضبيبى ، من الضبيب بن جذام ، له صحبة » . وعرض له ابن عبد البر بما لايخرج عن هذا .

غَرْب[1]، فأصابه فقتله؛ فقلنا: هنيئا له الجنةُ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كلاّ، والذى نفس محمد بيده، إنّ شمْلته[2] الآن لتحترق عليه فى النار، كان غَلّها[3] من فىء المسلمين يوم خيبر. قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأتاه فقال: يارسول الله، أصبتُ شِراكَيْن لِنَعلين لى؛ قال: فقال: يُقَدّ[4] لك مثلهما من النار.

ابن مغفل وجراب شحم أصابه

قال ابن إسحاق: وحدّثنى من لا أتّهم عن عبد الله بن مُغَفَّل المُزَنى قال: أصبت من فَىْء خيبر جرابَ[5] شَحْم، فاحتملته على عاتقى إلى رَحْلى وأصحابى. قال: فلقينى صاحبُ المَغانم الذى جُعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلُمّ هذا نقسمه بين المسلمين؛ قال: قلت: لا والله لا أُعطيكه؛ قال: فجعل يُجابذنى الجراب. قال: فرآنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن نَصْنع ذلك. قال: فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكًا، ثم قال لصاحب المَغانم: لاأبا لك، خلّ بينه و بينه. قال: فأرسله، فانطلقتُ به إلى رَحْلى وأصحابى، فأكلْناه.

بناء الرسول بصفية وحراسة أبى أيوب للقبة

قال ابن إسحاق:

ولما أعْرس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بصَفِيّة، بخَيْبر أو ببعض الطريق، وكانت التى جَمَّلتها لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومَشَّطتها وأصلحت من أمرها[6] أمّ سُليم[7] بنت مِلْحان، أم أنس بن مالك. فبات بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى قُبَّة له، وبات أبوأيّوب خالد بن زيد، أخو بنى النجار، متوشّحا سيفه، يحرس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ويُطيف بالقُبة، حتى أصبح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلما رأى مَكانه قال: مالك يا أبا أيوب؟ قال: يارسول الله، خِفْت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزجها وقومها، وكانت

(١) سهم غرب: هو الذى لا يعلم من رماه.
(٢) قال أبو ذر: الشملة: كساء غليظ يلتحف به.
(٣) غلها: اختانها.
(٤) يقد: يقطع (بالبناء للمجهول فيهما).
(٥) الجراب: المذود.
(٦) فى ا «شأنها».
(٧) اختلف فى اسمها، فقيل سهلة، ورميلة، ورميثة، ومليكة، والغيصاء، والرميصاء. (راجع الاستيعاب).

حديثة عهد بكُفر ، خِفتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يَحْفظنى .

تطوع بلال للحراسة وغلبة النوم عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهرى عن سعيد بن المُسيِّب قال :

لمـا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلنا ننام ؟ قال بِلاَل : أنا يارسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول صلّى الله عليه وسلّم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلّى ، فصلّى ماشاء الله عز وجل أن يُصَلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفَجْرَ يَرْمُقه ، فَغَلَبَتْه عينه ، فنام ، فلم يُوقظهم إلاّمَسُّ الشمس ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أولَ أصحابه هَبَّ فقال : ماذا صنعتَ بنا يابلال ؟ قال : يارسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره[1] غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس ، فلما سلّم أقبل على الناس فقال : إذا نَسيتم الصلاة فصلّوها إذا ذَكَرْتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : « أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى » .

شعر ابن لقيم فى فتح خيبر

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى ابن لُقَيم العَبسىّ ، حين افتتح خَيْبر ، مابها من دَجاجة أو داجن[2] ، وكان فَتح خيبر فى صَفر ، فقال ابنُ لقيم العَبْسى[3] فى خيبر :

رُمِيتْ نَطاةُ من الرسول بفَيْلق شَهْباءَ ذاتِ مَناكب وَفقَارِ[4]
واستيقنت بالذُّلِّ لما شُيِّعَتْ ورجال أَسْلَمَ وسْطها وغِفارِ[5]

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) الداجن : كل ما ألف الناس فى بيوتهم ، كالشاة التى تعلف والحمام .

(٣) قال أبو ذر : « كان ابن لقيم العبسى يعرف بلقيم الدجاج » .

(٤) نطاة : حصن بخيبر ؛ وقيل عين بها . والفيلق : الكتيبة . والشهباء : الكثيرة السلاح . وذات مناكب وفقار : أى شديدة .

(٥) شيعت : فرقت . وأسلم وغفار : قبيلتان.

صَبَحَتْ بنى عَمْرو بن زُرْعة غُدوةً ... والشَّقُّ أَظْلَمَ أهلُه بنَهار[1]
جَرَتْ بأَبْطَحها[2] الذيولَ[3] فلم تدع ... إلا الدَّجاج تَصِيح فى الأسْحار[4]
ولكلِّ حِصْن شاغل من خَيْلهم ... من عَبْدِ أشهلَ أو بنى النجّار[5]
ومُهاجِرين قدَ اعْلَموا سِيماهُم ... فوقَ المَغافر لم يَنُوا لفِرار[6]
ولقد علمتُ ليَغْلِبنّ محمد ... وليَثْوِين بها إلى أَصْفار[7]
فَرّت[8] يهودُ يوم ذلك فى الوَغَى ... تحت العَجَاج غمائمَ[9] الأبصار

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

فرت : كشفت ، كما تُفر الدّابة بالكشف عن أسنانها ؛ يريد كشفت عن جُفون العُيون غمائمَ الأبصار ، يريد الأنصار[10] .

شهود النساء خيبر وحديث المرأة الغفارية

قال ابن إسحاق :

وشهد خيبر مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نِساء من نساء المسلمين ، فرَضَخ لهن[11] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الفيء ، ولم يضرب لهن بسَهْم .

---

(١) الشق (بالفتح وبالكسر) : من حصون خيبر . ويريد « بإظلام أهله » : ما أصابهم من شدة وسوء حال .

(٢) الأبطح : المكان السهل

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « الذيول » .

(٤) فى ا : « بالأشجار » .

(٥) عبد أشهل وبنو النجار : من الأنصار .

(٦) المغافر : ما يكون على الرأس وقاية لها فى الحرب ؛ الواحد : مغفر .

(٧) ليثوين : ليقيمن . وأصفار : جمع صفر ، وهو الشهر المعروف .

(٨) الوغى : الحرب . والعجاج : الغبار .

(٩) كذا فى أكثر الأصول . قال أبو ذر : « الغمائم ، بالغين المعجمة ، جفون العين . قال ابن سراج : ويصح أن تكون عمائم ، بالعين المهملة : جمع عمامة ، وتكون الأنصار بالنون» . وبهذه الرواية وردت فى ا . وقال السهيلى : « وهو بيت مشكل ، غير أن فى بعض النسخ ، وهى قليلة ، عن ابن هشام ، أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، إذا فتحت فاها ، وغمائم الأبصار ، هى مفعول فرت ، وهى جفون أعينهم . هذا قول . وقد يصح أن يكون فرت من الفرار ؛ وغمائم الأبصار ، من صفة العجاج ، وهو الغبار ، ونصبه على الحال من العجاج ، وإن كان لفظه لفظ المعرفة فهو نكرة ، لأنه لم يرد الغمائم حقيقة، وإنما أراد مثل الغمائم ، فهو مثل قول امرئ القيس : « بمنجرد قيد الأوابد هيكل » .

(١٠) كذا وردت هذه العبارة فى أكثر الأصول . وهى في ا كما يأتى : « قال ابن هشام فرت ، يريد كشفت الجفون عن العين ، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها » .

(١١) رضخ لهن : أعطاهن عطاء يسيرا ، لم يصل إلى نصيب السهم .

قال ابن إسحاق : حدّثنى سليمان بن سُحَيم عن أُميّة بن أبى الصلت عن امرأة من بنى غِفَار ، قد سمّاها لى ، قالت :

أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى نِسْوة من بنى غِفار ، فقلنا : يارسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فنُداوِى الجَرْحى ، ونُعين المسلمين بما استطعنا ؛ فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حَدَثة ، فأَرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على حَقيبةِ رَحْله . قالت : فوالله لنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الصُّبح وأَناخ ، ونزلت عن حَقيبة رَحْله ، وإذا بها دَمٌ منّى ، وكانت أولَ حَيْضة حِضْتها ، قالت : فتقبّضت إلى الناقة واستَحْييت ، فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مابى ورأى الدم قال : مالك ؟ لعلك نُفِست[1] ؛ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خُذى إناء من ماء فاطرحى فيه مِلْحاً ، ثم اغسلى به ماأصاب الحَقِيبة من الدم ، ثم عودى لمَرْكبك .

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيبر، رضَخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه القِلادة التى تَرَيْن فى عنقى فأعطانيها ، وعلّقها بيده فى عُنقى ، فوالله لاتُفارقنى أبداً .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدْفن معها . قالت : وكانت لا تطهّر من حيضة إلا جعلت فى طَهُورها مِلْحا ، وأوصت به أن يجعل فى غُسْلها حين ماتت .

شهداء خيبر من بنى أمية

قال ابن إسحاق :

وهذه تسمية من استُشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش ، ثم من بنى أُميّة ابن عبدشمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سَخْبرة[2] بن عمرو بن بكير[3] ابن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وثَقِف بن عمرو ، ورفاعة بن مَسْروح .

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبدالعزّى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهَبيب ، فيما

---

(١) نفست : حضت .

(٢) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : «صخبرة» .

(٣) كذا فى الاستيعاب . وفى الأصول : «لكيز» .

قال ابن هشام ، ابن أُهيب بن سُحَيم بن غِيَرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

من الأنصار ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور ، مات من الشاة التى سُم فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ وفُضيل بن النعمان . رجلان .

من زريق ومن بنى زُرَيق : مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلَدة بن عامر بن زريق .

من الأوس ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلمة بن خالد بن عدىّ ابن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

من بنى عمرو ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح[1] بن ثابت بن النعمان بن أمية[2] ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ؛ والحارث بن حاطب ؛ وعروة ابن مُرة بن سُراقة ؛ وأوس بن القائد ؛ وأنيف بن حبيب ؛ وثابت بن أَثْلة ؛ وَطلحة[3] .

من غفار ومن بنى غِفار : عُمارة بن عُقبة ، رمى بسهم .

من أسلم ومن أسلم : عامر بن الأكوع ؛ والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خيبر .

من بنى زهرة وممن استُشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزّهرى ، من بنى زهرة : مسعود ابن ربيعة ، حليف لهم من القارَة .

من الأنصار ومن الأنصار من بنى عمرو بن عوف : أوس بن قَتادة .

أمر الأسود الراعى فى حديث خيبر

إسلامه واستشهاده قال ابن إسحاق :

وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنى : أنه أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو مُحاصر لبعض حُصون خيبر ، ومعه غَنَم له ، كان فيها أَجِيراً لرجل

---

(١) فى الطبرى : «أبو ضياح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية بن البرك» .
(٢) اسمه النعمان ؛ وقيل عمير . (راجع الاستيعاب) .
(٣) هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة . (راجع شرح السيرة) .

من يهود ، فقال : يارسول الله : اعرض علىّ الإسلام ، فعَرَضه عليه ، فأسلم – وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يَحْقِر أحداً أن يَدْعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه – فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وُجوهها ، فإنها ستَرْجع إلى ربها – أو كما قال – فقام الأسود ، فأخذ حَفْنة من الحصى[1] ، فرمى بها فى وُجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبداً ، فخرجت مجتمعة كأنَّ سائقاً يسوقها ، حتى دخلت الحِصْن ، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلّى لله صلاةً قط ؛ فأُتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسُجّى بشَمْلَة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يارسول الله ، لِمَ أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زَوْجَتيه من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نَجيح أنه ذُكر له :

أن الشهيد إذا ما أصيب تدلّت [له][2] زَوْجتاه من الحُور العين ، عليه تَنفُضان التراب عن وجهه ، وتقولان : تَرّب الله وجهَ من ترّبك ، وقتل مَنْ قتلك .

أمر الحجاج بن علاط السلمى

حيلته فى جمع ماله من مكة

قال ابن إسحاق :

ولما فُتحت خيبر كلّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الحجّاجُ بن عِلاط السُّلمى ثم البَهْزى ، فقال : يارسول الله ، إن لى بمكة مالاً عند صاحبتى أمّ شَيْبة بنت أبى طلحة – وكانت عنده ، له منها مُعْرِض بن الحجّاج – ومالٌ متفرق فى تجّار أهل مكة ، فأْذن لى يارسول الله ؛ فأَذن له قال : إنه لابد لى يارسول الله من أن أقول ؛ قال : قل . قال الحجاج : فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت

(١) فى ا : « الحصباء » .
(٢) زيادة عن (ا) .

بثنيّة البيضاء[1] رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، و يسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، رِيفاً ومَنَعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ، و يسألون الرُّكبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن عِلاط ـ قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى ، عنده والله الخبر ـ أخْبرنا ياأبا محمد ، فإنه قد بلغنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود و ريف الحجاز ؛ قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسرّكم ؛ قال : فالتَبطوا[2] بجنبَىْ ناقتى يقولون : إيهِ ياحجاج ؛ قال : قلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطّ ، وقُتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأسر محمد أسرًا ، وقالوا : لا نقتله حتى نَبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظْهرهم بمَنْ كان أصاب من رِجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم ، فيُقتل بين أظْهُرِكم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكّة وعلى غُرمائى ، فإنى أريد أن أقْدم خيبر ، فأُصيب من فَلّ[3] محمد وأصحابه قبل أن يَسْبقنى التجّار إلى ماهنالك .

قال ابن هشام : و يقال : من فىء محمد .

العباس يستوثق من خبر الحجاج ويفاجىء قريشا

قال ابن إسحاق :

قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحثّ[4] جَمْع سمعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عِندها مال موضوع ، لعلّى ألحق بخيبر ، فأُصيبَ من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ؛ قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبَر ، وجاءه عنّى ، أقبل حتى وقف إلى جَنْبى وأنا فى خيمة من خِيام التجار ، فقال : ياحجّاج ، ماهذا الخبر[5] الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حِفْظ

(١) قال ياقوت : « والبيضاء : ثنية التنعيم بمكة ، لها ذكر فى كتاب السيرة » .
(٢) التبطوا بجنب ناقتى : مشوا إلى جنبيها ملازمين لها ، مطيفين بها ، كمشى العرجان ، لازدحامهم حولها .
(٣) الفل : القوم المنهزمون .
(٤) كأحث : كأسرع .
(٥) هذه الكلمة « الخبر » ساقطة فى ا .

لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : قلت: فاستأخر عنّى حتى ألقاك على خلاء ، فإني فى جَمْع مالى كما ترى ، فانصرفْ عنّى حتى أفرُغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروجَ ، لقيت العباسَ فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ماشئت ، قال : أفعل ؛ قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بِنْت مَلِكهم ، يعنى صفيَّة بنت حُيَىّ ، ولقد افتتَح خيبر ، وانتثل[1] مافيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال : ماتقول ياحجاج ؟ قال . قلت : إى والله ، فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لآخذ مالى ، فَرَقا من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرك ، فهو والله على ماتحبّ ،قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبس العباس حُلّةً له، وتخلّق[2] ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة ؛ قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبرَ وتُرِك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، فأصبحتْ له ولأصحابه ؛ قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مُسْلما ، فأخذ مالَه ، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه ؛ قالوا : ياللعباد الله! انفلت عدوالله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال ، ولم يَنْشَبوا[3] أن جاءهم الخبر بذلك .

شعر حسان فى يوم خيبر

قال ابن إسحاق :

وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسّان بن ثابت :

بئسما قاتلت خَيابر عمّا ... جَمَعوا من مَزارع ونخيل[4]
كرهوا الموت فاستُبيح حماهم ... وأقرّوا فِعْل اللئيم الذليل
أمن الموت يَهْربون فإن المـ ... ـوت موت الهُزال غير جميل

---

(١) انتثل : استخرج .
(٢) تخلق : تطيب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .
(٣) لم ينشبوا : لم يلبثوا غير قليل .
(٤) خيابر : جمع خيبر ، ويريد أهل خيبر .

شعر حسان في عذر أيمن لتخلفه عن خيبر

وقال حَسان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أَيْمَنَ بن أم أيمن بن عُبيد ، وكان قد تخلَّف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وهى أم أسامة بن زيد ، فكان أخا أُسامة لأمه :

على حِين أن قالَتْ لأيمنَ أُمُّهُ ... جَبُنْتَ ولم تَشهدْ فوارسَ خَيْبرِ
وأَيْمَنُ لم يجبُن ولـكن مُهْرَه ... أضرَّ به شُرْبُ المديدِ المخمَّرِ[١]
ولولا الذى قد كان من شَأْن مُهْرِه ... لقاتَلَ فيهم فارساً غير أَعْسَرِ[٢]
ولـكنّه قد صدّه فِعْــل مُهْرِه ... وما كان منه عندَه غير أَيْسَرِ[٣]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ، وأنشدنى :

ولـكنَّه قد صدَّهُ شأْنُ مهرِهِ ... وما كانَ لولا ذاكُمُ بمُقَصِّرِ

شعر ناجية في يوم خيبر

قال ابن إسحاق :

وقال ناجية بن جُنْدب الأسلمىّ :

يَالَعِبادِ اللهِ فيمَ يُرْغَبُ ... ماهُوَ إلاَّ مأْكلٌ ومَشربُ

* وَجَنَّـــةٌ فيها نعيمٌ مُعْجِبُ *

وقال ناجية بن جُندب الأَسْلمىّ أيضاً :

أَنا لِمَنْ أَنْـكَرَنى ابْنُ جُنْدَبِ ... يارُبَّ قِرْنٍ فِي مَكَرِّى أَنْـكَبِ[٤]

* طاحَ بمَغْدَى أَنْسُرٍ وثَعْلبِ[٥] *

---

(١) المديد (بدالين) ، قال أبو ذر « هو الدقيق يخلط مع الماء ، فتشربه الخيل والمخمر : الذى ترك حتى يختمر » . قال السهيلى : «ألفيت فى حاشية الشيخ عن ابن دريد : المريد ، براء ، والمريس أيضا ، وهو تمر ينقع ثم يمرس » .

(٢) الأعسر : الذى يعمل بالشمال ، ولا يعمل باليمين .

(٣) صده : منعه . والأيسر ، قال أبو ذر : هو «الفرس المصنوع المنظور إليه » ، أى الذى يعنى به صاحبه ، ويحسن القيام عليه .

(٤) القرن : الذى يقاوم فى قتال أو شدة . والمكر : الموضع الذى تكر فيــه الخيل فى الحروب . والأنكب : المائل إلى جهة .

(٥) طاح : ذهب وهلك . ومغدى : بالدال ، من الغدو ، أو بالذال ، المعجمة من الغذاء . وأنسر : جمع نسر ، وهو الطائر المعروف ؛ وكان من حقه أن يقول وثعالب ، فوضع الواحد موضع الجمع .

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله : « فى مكرى » و « طاح بمغدى » .

شعر كعب فى يوم خيبر

وقال كعب بن مالك فى يوم خيْبر ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

ونحن وَرَدنا خيبراً وفروضَــه … بكل فتًى عارِى الأشاجِـعِ مِذْوَدِ[1]

جَوادٍ لدى الغاياتِ لاواهنِ القُوَى … جَرِىءٍ على الأعداءِ فى كل مَشْهَدِ[2]

عظيمِ رَمادِ القِدْرِ فى كل شَتْوَةٍ … ضَرُوبٍ بنصــلِ المَشْرَفِىِّ المُهَنَّدِ[3]

يَرَى القَتْلَ مَدْحًا إن أصابَ شهادةً … مِنَ اللهِ يرجُوها وفَوزاً بأحمدِ

يَذُود ويحْمِى عن ذِمار محمّدٍ … ويدفَعُ عنــه باللسان وباليدِ[4]

وينصُره من كل أمرٍ يَرِيبــه … يجود بنفس دونَ نَفْس محمدِ

يصــدّق بالإنباء بالغيب مُخْلِصا … يريد بذاك الفوزَ والعزَّ فى غدِ

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

الشق ونطاة والكتيبة

قال ابن إسحاق :

وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشَّقِّ ونَطَاةَ والكَتِيبَة ، فكانت الشَّقُّ ونَطاةُ فى سُهْمانِ المسلمين ، وكانت الكتيبة خُمْسَ الله ، وسهم النبى صلّى الله عليه وسلّم ، وسهم ذوى القُرْبَى واليتامى والمساكين ، وطُعْمَ أزواج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وطُعْمَ رجالٍ مشوا بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) الفروض : المواضع التى يشرب منها من الأنهار . والأشاجع : عروق ظاهر الكف . ومذود : مانع .

(٢) الواهن : الضعيف .

(٣) المشرفى : السيف . والمهند : المصنوع فى الهند .

(٤) يذود : يمنع ويدفع . والذّمار : ماتجب حمايته .

و بين أهل فَدَك بالصلح ؛ منهم مُحَيِّصة بن مَسْعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وَسْقا[1] من شعير ، وثلاثين وَسْقا من تمر ، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيبية ، مَن شهد خيبر ، ومَن غاب عنها ، ولم يَغِب عنها إلا جابرُ ابن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقَسم له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كسَهْم مَنْ حضرها ، وكان واديها ، وادي السُّرَيْر ووادي خاص[2] ، وهما اللذان قُسمت عليهما خيبر ، وكانت نَطاةُ والشَّقُّ ثمانية عشر سهما ، نَطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشِّقُّ ثلاثةَ عَشَرَ سهما ، وقُسِمت الشق ونَطاةُ على ألف سهم ، وثمان مِئة سهم .

عدة من قسمت عليهم خيبر

وكانت عِدَّة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمان مِئة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مائتا فرس ، فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جُمِع إليه مِئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما جُمِع .

قال ابن هشام : وفى يوم خَيْبَرَ عَرَّب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم العربى من الخيل ، وهَجَّن الهَجين .

قسمة الأسهم على أربابها

قال ابن إسحاق :

فكان علىّ بن أبى طالب رَأْساً ، والزبير بن العوام ، وطلحةُ بنُ عبيد الله وعُمر بن الخطاب ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعاصم بن عَدِىّ ، أخو بنى العَجْلان ، وأُسَيْدُ بن حُضَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة وسهم بنى عُبيد[3] ، وسهم بنى حَرام من بنى سلمة ، وعُبَيْد السّهام .

قال ابن هشام : و إنما قيل له عُبَيْد السّهام لما اشترى من السهام يوم

(1) الوسق (بالفتح ويكسر) : ستون صاعا ، أو حمل بعير .
(2) كذا فى الأصول ومعجم البلدان ، وذهب السهيلى إلى أنه تحريف وصوابه « خلص » .
(3) فى م ، ر : « عبيدة » .

خيبر ، وهو عُبَيْدُ بن أَوْس ، أحدُ بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأَوْس .

قال ابن إسحاق :

وسهم ساعدة ، وسهم غِفار وأَسْلَم، وسهم النجَّار، وسهم حارثة ، وسهم أَوْس . فكان أول سهم خرج من خَيْبَرَ بنَطَاةَ سهم الزُّبير بن العوَّام ، وهو الخَوْع[1] ، وتابعه السُّرَيْر ؛ ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد ، ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف ابن الخزرج ومُزَينة وشُركائهم ، وفيه قُتِل محمود بن مَسلمة ؛ فهذه نَطَاة .

ثم هبطوا إلى الشَّقّ ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِىّ ، أخى بنى العَجْلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجّار ، ثم سهم علىّ ابن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طَلْحة بن عُبيد الله ، ثم سهم غِفار وأَسْلَم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهما سَلَمة بن عُبَيْد و بنى حَرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيد السِّهَام ، ثم سهم أَوْس ، وهو سهم[2] اللفيف ، جمعت إليه جُهَيْنة ومن حَضر خيبر من سائر العرب ؛ وكان حَذْوه[3] سهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدىّ .

ثم قسَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم الكَتِيبة ، وهى وادى خاص[4] ، بين قرابته و بين نسائه ، و بين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله صلّى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مئتى وَسْق ، ولعلى بن أبى طالب مئة وَسْق ، ولأسامة بن زيد مِئتى وَسْق ، وخمسين وسقاً من نوًى ، ولعائشة أم المؤمنين مئتى وَسق ، ولأبى بكر بن أبى قُحافَةَ مئة وَسْق ، ولعَقيل بن أبى طالب مِئة وَسْق

---

(١) الخوع : موضع قرب خيبر.
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ثم سهم ... الخ » .
(٣) حذوه : بازائه .
(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٤ .

وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وَسْقاً ، ولربيعة بن الحارث مئة وَسْق ، وللصَّلْت بن مَخْرَمة وابنيه مئة وَسق ؛ للصَّلت منها أربعون وَسْقا ، ولأبي نَبقة[1] خمسين وَسْقاً ، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وَسْقاً ، ولقيس بن مَخْرَمَة ثلاثين وَسْقا ، ولأبي القاسم بن مَخْرَمة أربعين وَسْقاً ، ولبنات عُبَيْدة بن الحارث وابنة الحُصَين بن الحارث مئة وَسْق ، ولبنى عُبيد[2] بن عبد يزيد ستين وَسْقا ، ولابن أوس بن مَخْرمة ثلاثين وَسقا ، ولمِسْطحِ بن أُثَاثة وابن إلياس خمسين وَسْقا ، ولأُم رُمَيْثَة أربعين وسقا ، ولنُعَيْم بن هِند ثلاثين وَسقا ، ولبُحَيْنة بنت الحارث ثلاثين وسقا ، ولعُجَيْر بن عَبدِ يزيدَ ثلاثين وسقا ، ولأم حَكيم[3] [بنت الزبير بن عبد المطلب[4]] ثلاثين وَسْقا ، ولجُمَانة بنت أبي طالب ثلاثين وَسْقا ، ولابن[5] الأَرْقم خمسين وَسْقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وَسْقا ، ولحَمْنَة بنت جَحْش ثلاثين وَسْقا ، ولأُم الزُّبَيْر أربعين وَسْقا ، ولضُباعة بنت الزُّبير أربعين وَسْقا ، ولابن أبي خُنَيْس ثلاثين وسقا ، ولأمّ طالب أربعين وَسْقا ، ولأبي بصْرة[6] عشرين وسقا ، ولنُمَيْلَةَ الكَلْبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وَهْب وابنتيه تسعين وَسْقا ، لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جَحْش ثلاثين وَسْقا ، ولمَلْكُو بن عَبْدَة ثلاثين وَسْقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعُ مئة وَسْق .

---

(١) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقيل غير ذلك . ومن ولده أبو الحسين المطلبي ، وكان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (راجع الروض) .

(٢) في م ، ر : « عبيدة » .

(٣) كذا في الروض . وفي الأصول : « أم الحكم » . قال السهيلي : « ... والمعروف فيها أنها أم حكيم ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث . وأما أم حكم فهي بنت أبي سفيان ،وهي من مسلمة الفتح ، ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إياها أراد، لكنها لم تشهد خيبر، ولا كانت أسلمت بعد » .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) في ا : « ولأم الأرقم » .

(٦) في م ، ر : « ولأبي نضرة » وهو تصحيف .

قال ابن هشام(١) : قمحٌ وشعير وتمر وَنَوًى وغير ذلك ، قسمه علىٰ قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد الرسول إلى نسائه بنصيبهن فى المغانم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر(١) :

قسم(٣) لهن مئة وَسق وثمانينَ وَسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمسةً وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسْقا ، وللمِقْداد ابن الأسود خمسةَ عَشَرَ وسْقا ، ولأم رُمَيْثَةَ(٤) خمسة أَوْسُق .

شهد عثمانُ ابن عَفَّان وعباسٌ وكتب .

ما أوصى به الرسول عند موته

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كَيْسانَ ، عن ابن شهابٍ الزُّهْرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال :

لم يُوصِ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عند موته إلاّ بثلاث(٥) ، أوصى للرّهاويين(٦) بجادِّ مِئة وَسْق من خيبرَ ، وللداريين(٧) بجادِّ(٨) مِئة وسق من

---

(١) هذه العبارة المروية عن ابن هشام ساقطة فى ا .

(٢) فى م ، ر : « فتح خيبر » .

(٣) زادت م ، ر قبل هذا هذه العبارة : « قسمه على قدر حاجاتهم ، فكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب خاصة ، فلذلك أعطاهم أكثر » . وهى تكرار لما سبق .

(٤) قال السهيلى : « ... ولا تعرف إلا بهذا الخبر وشهودها فتح خيبر » .

(٥) فى م ، ر : « بست » .

(٦) الرهاويون : نسبة إلى رهاوة (بالضم وبالفتح) : قبيلة باليمن . قال أبو ذر : « ويقال فيها رهاء ، وهو الأصح » .

(٧) الداريون : نسبة إلى الدار بن هانئ ، وسيأتى ذكرهم بعد قليل .

(٨) بجاد مئة وسق : أى مايجد منه مئة وسق ، أى يقطع .

خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجادّ مئة وَسْق من خيبر .

وأوصى بتَنْفيذ[١] بعث أسامة بن زيد بن حارثة ؛ وأن لاَّ يُتْركَ بجزيرة العرب دِينان .

أمر فدك فى خبر خيبر

مصالحة الرسول أهل فدك

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبرَ قذف الله الرُّعْب فى قلوب أهل فَدَك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصالحونه على النِّصف من فدك ، فقدمت عليه رُسُلُهُمْ بخيبر ، أو بالطائف[٢] ، أو بعد ماقَدِم المدينة ، فقبل ذلك منهم . فكانت فَدَك لرسول الله صلّى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يُوجَف[٣] عليها بخيلٍ ولا رِكاب .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

نسبهم

وهم بنو الدار بن هانئ بن حَبيب بن نُمارةَ بن لخم ، الذين ساروا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونُعَيْم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قَيْس ، وعرفة بن مالك ، سماه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن

(١) فى ا : « بتنفيل » .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بالطريق » .
(٣) لم يوجف : لم يجتمع .

ـ قال ابن هشام : ويقال : عَزّة بن مالك : وأخوه مُرّان[1] بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك .

قال ابن إسحاق :

وفاكه بن نُعْمان ، وجَبَلة بن مالك ، وأبو هِنْد بن بَرّ ، وأخوه الطيّب ابن بَرّ ، فسمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

خرص ابن رواحة ثم جبار على أهل خيبر

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رَوَاحَة خارصا[2] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ، فإذا قالوا : تعدّيت علينا ؛ قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم لنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السمٰواتُ والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رَواحة عاما واحداً ، ثم أصيب بمُؤْتَة يرحمه الله ، فكان جَبَّار بن صخر بن أمية بن خَنْساء ، أخو بنى سلمة ، هو الذى يَخْرُص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة .

مقتل ابن سهل ودية الرسول إلى أهله

فأقامت يهود على ذلك ، لايرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم ، حتى عَدَوْا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى الزّهرىّ عن سهل بن أبى حَثْمة ؛ وحدّثنى أيضا بُشَيْر بن يَسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حَثْمَة ، قال :

أُصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار[3] منها تمراً ، فوُجِد فى عَيْن قد كُسِرَتْ عُنُقُه ، ثم طرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيّبوه ، ثم قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم

(1) فى م ، ر : « مروان » .
(2) الخارص : الذى يحزر ما على النخل والكرم من ثمر ، وهو من الخرص أى الظن ، لأنه تقدير بظن .
(3) يمتار التمر : يجلبه .

إليه أخوه عبدُ الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمِّه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةُ ، ابنا مسعود ، وكان عبدالرحمن من أحدثهم سنا ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدَم فى القوم ، فلما تكلَّم قبل ابنى عمّه ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : الـكُبْرَ الْـكُبْرَ[1]

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كَبِّرْ - فيما ذكر مالك بن أنس - فَسكت ؛ فتكلّم حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةُ ، ثم تكلم هو بعدُ ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم قتلَ صاحبهم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أتُسَمُّون قاتلَـكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنُسْلِمَه إليكم ؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنّا لنحلِف على مالا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ماقتلوه ولايعلمون له قاتلا ثم يَبرءون من دمه ؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمانَ يهود ، مافيهم من الـكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده مئة ناقة .

قال سهل[3] :

فوالله ما أنسى بَكْرَةً منها حمراء ضربتنى وأنا أَحُوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ[4] ، عن عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِيّ ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم :

وايم الله ، ما كان سَهْل بأكثر علماً منه ، ولـكنّه كان أسنَّ منه ؛ إنه قال له : والله ماهكذا كان الشأن ! ولـكن سهلا أَوْهَمَ ، ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احلفوا على مالا علم لـكم به ، ولـكنه كتب إلى يهودِ خيبرَ حين كلمته الأنصار : إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبياتِـكم فَدُوه ، فـكتبوا إليه يحلفون بالله ماقتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا . فوداه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن شعيب مثل حديث عبدالرحمن بن بُجيد ، إلا أنه قال فى حديثه :

---

(1) الـكبر الـكبر ، أى قدموا الأكبر للـكلام ، إرشادا إلى الأدب فى تقديم الأسن . (راجع النهاية لابن الأثير) .

(2) وداه : أعطاه ديته .

(3) كذا فى الأصول وسهل بن أبى حثمة راو للخبر . وأما صاحب الدية فهو عبدالرحمن بن سهل .

(4) فى م ، ر : «التميمى» . وهو تحريف .

دُوهُ أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

إجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهريّ :

كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبَرَ نخلَهم ، حين أعطاهم النخل على خَرْجها ، أبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِضَ ، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرنى ابنُ شهاب :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم افتتح خيبرعَنْوَةً بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّوجلّ على رسولِالله صلّى الله عليه وسلّم ، خَمسها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقَسَمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمـارُها بيننا وبينكم ، وأُقِرُّكمْ ما أقَرَّكُمُ الله ؟ فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبعث عبد الله بن رَوَاحة ، فيقسم ثَمَرَها ، ويعدِل عليهم فى الخَرْص ، فلما توفَّى الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، أقرها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأيديهم ، على المُعاملة التى عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تُوفى ؛ ثم أقرّها عمر رضى الله عنه صَدْرا من إمارته . ثم بلغ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وَجَعه الذى قبضه الله فيه : لا يَجْتمعنّ بجزيرة العرب دينان ؛ ففحص عُمَرُ عن ذلك ، حتى بلغه الثَّبْتُ ، فأرسل إلى يهودَ ، فقال : إن الله عزّ وجلّ قد أَذن فى جَلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَجْتَمِعَنَّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتِنى به ، أُنفِذْه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليتجهز للجلاء ، فأَجْلَى عُمَرُ من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله ابن عمر ، قال :

خرجت أنا والزُّبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبَر نتعاهدها ، فلما قَدِمْنا تفرّقنا فى أموالنا ، قال : فعُدِىَ عَلَىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففُدِعَتْ يداىَ من مِرْفَقَىَّ ، فلما أصبحت استصرِخَ علىّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صَنَعَ هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ قال : فأصلحا من يدَىَّ ، ثم قَدِما بى على عمر رضى الله عنه ؛ فقال : هذا عمل يهودَ ، ثم قام فى الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم كان عامَل يهودَ خيبَرَ عَلَى أنانخرجُهم إذا شئْنا ، وقد عَدَوْا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم[1] على الأنصارىّ قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مُخرج يهودَ ، فأخرجهم .

قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مَكْنَف ، أخى بنى حارثة ، قال :

لما أخرج عمرُ يهودَ من خيبرَ ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جَبّار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سَلَمَة ، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسِبَهم — ويزيدَ بن ثابت ، وهما قَسَما خَيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السُّهْمان ، التى كانت عليها .

وكان ما قَسَم عمر بن الخطاب من وادى القُرَى ، لعثمانَ بن عَفّان خَطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَرٌ ، ولعمرَ بن أبى سَلَمَة خَطَرٌ ، ولعامر بن أبى ربيعة خَطَرٌ ، ولعمرو بن سُراقة خَطَرٌ ، ولأُشَيْم خَطَر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خَطَر ، ولمُعَيْقيب خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ ، ولعبد الله وعُبَيْد الله خَطَران ، ولابن عبد الله ابن جَحْش خَطَر ، ولابن البُكَيْر خَطَرٌ ، ولمُعْتمر خطَر[2] ، ولزيد بن ثابت خَطَر

(١) فى ا : « عدوتهم » .
(٢) فى ا : « ولابن البكير ولمعتمر خطر » .

وَلأُبَيّ بن كعب خطَر ، ولمُعاذ بن عَفْراءَ خَطَر ، ولأبى طلحة وحَسَن خطَر ، وللجبَّار ابن صَخْر خَطَر ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خَطَر ، ولمالك بن صَعْصَعة وجابر ابن عبد الله بن عَمْرو خَطَر ، ولابن حُضَيْر خَطَر ، ولابن سعد بن مُعاذ خَطَر ، ولسَلامة بن سَلامة خَطَر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خَطَر ، ولأبى عَبْس ابن جَبْر خَطَر ، ولمحمد بن مَسلمة خَطَر ، ولعُبادة بن طارق خَطَر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق :

ولجَبْر بن عَتيك نِصْفُ خَطَر ، ولابنى الحارث بن قيس نصف خَطَر ، ولابن حَزَمة والضحاك خَطَر ، فهذا مابلغنا من أمر خيبر ووادى القُرى ومَقاسمها .

قال ابن هشام : الخَطَر : النَّصيب . يقال : أَخْطَرَ لي فلان خَطَرًا .

انتهى الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

وأوله

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين إلى الحبشة

فهرس

الجزء الثالث

من

السيرة النبوية

لابن هشام

فهـــرس رجال السند

ا

ب

ث

ج

ح

فهـــرس الأعلام

أ

(١) جاء فى ص ٢٣٤ خطأ : أبو سعيد .

(١) كذا ورد اسمه كاملا فى ص ٦ من هذا الجزء ، ثم ذكر فى ص ٦٤ باسم أبى عزة عبدالله بن عمرو الجمحى ، وفى غيرهاتين الصفحتين باسم أبى عزة الجمحى .

ب

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

غ

ف

ق

ك

(١) ذكرت فى بعض الصفح باسم (كبيشة) وهو تحريف .

ل

م

ى

فهـــرس الشعراء

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

ف

ق

ك

فهـــرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

فهـــرس الأماكن

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ى

فهـــرس الأيام

فهـــرس القوافى

د

ر

س

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

و

ى

فهـــرس أنصاف الأبيات

فهـــرس الكتب

فهـــــرس الموضوعات

ذكر أسرى قريش يوم بدر

ما قيل من الشعر فى يوم بدر

غزوة السويق

أمر بنى قينقاع

مقتل كعب بن الأشرف

أمر محيصة وحويصة

غزوة أحد

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

أمر إجلاء بني النضير سنة أربع

غزوة ذات الرقاع في سنة أربع

غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع

غزوة دومة الجندل

غزوة بنى قريظة فى سنة خمس

ما قيل من الشعر فى أمر الخندق و بنى قريظة

مقتل سلام بن أبى الحقيق

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

غزوة بنى لحيان

غزوة ذى قرد

غزوة بنى المصطلق

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق سنة ست

أمر الحديبية فى آخر سنة ست

بيعة الرضوان

أمر الهدنة

جدول الخطأ والصواب فى الجزء الثالث

وقع فى أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القراء :

صفحة	سطر	خطـــــأ	صـــــواب
٤	١٠	عبد شمس بن أخى	عبد شمس ابن أخى
٥	٢٠	مخزم	مخزوم
٩	٥	تَجْزَجم	تَجَزْجَمَ
١٦	١٠	الماجد بن هشام	الماجد ابن هشام
٣٢	٢	رعموص	دُعْمُوص
١١١	١١	بن شهاب	ابن شهاب
١٥٤	هامش	الرد على على عمرو	الرد على عمرو
٢١٦	١	غَوْرَث	غَوْرَث
٢١٦	٢٢	المثلة	المثلثة
٢١٨	١٦	بالمدية	بالمدينة
٢٥٦	١٦	فحاءه	فجاءه
٢٩١	هامش	إسلام طلحة	إسلام ابن طلحة
٣٦٧	٩	عثمان ابن عفان	عثمان بن عفان

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

السيرة النبوية

لابن هشام

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
المدرس بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

ابراهيم الأبيارى
المدرس بالمدارس
الأميرية

عبد الحفيظ شلبى
المدرس بالمدارس
الأميرية

الجزء الرابع

مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٦٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

فرح الرسول بقدوم جعفر

قال ابن هشام :

وذكر سُفيان بن عُيَينة عن الأجْلح عن الشَّعْبى :

أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم فتح خَيْبر ، فقَبّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين عَيْنيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيّهما أنا أسَرُّ : بفتح خَيْبر أم بقدوم جعفر ؟

مهاجرة الحبشة الذين قدم بهم عمرو بن أمية

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعث فيهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى النجاشىّ عمرَو بنَ أُمية الضَّمْرى ، فحملهم فى سَفِينتين ، فقَدِم بهم عليه وهو بخَيبر بعد الحُدَيبية :

من بنى هاشم

مِن بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عَبْد المُطّلب ، معه امرأته أسْماء بنة عُمَيس الخَثْعمية ؛ وابنه عبد الله بن جَعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قُتل جعفر بمُؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، رجل .

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سَعيد بن العاص بن أُمية ابن عبد شَمْس ، معه امرأته أُمينة بنت خَلف بن أسْعد ــ قال ابن هشام :

ويقال: هُمينة بنت خلف ـ وابناه سعيد بن خالد، وأَمة بنت خالد، ولدتهما بأرض الحبشة. قُتل خالد بَمرْج الصُّفَّر[1] فى خلافة أبى بكر الصدّيق بأرض الشام؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صَفْوان ابن أُمية بن محرِّث الكِنانى، هلكت بأرض الحبشة. قُتل عمرو بأَجْنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه.

شعر سعيد ابن العاص لابنه عمرو

ولعمرو بن سَعيد يقول أبوه سَعيد بن العاص بن أمية أبو أُحَيحة:

ألا ليتَ شِعْرى عنك يا عمرو سائلاً ... إذا شَبَّ واشتدّت يَداه وسُلِّحَا[2]
أتترك أمرَ القوم فيه بَلابل ... تكشف غيظاً كان فى الصَّدر مُوجَحا[3]

شعر أبان ابن العاص لأخويه خالد وسعيد، ورد خالد

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سَعيد بن العاص، حين أسْلما، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيبة، من ناحية الطائف، هلك فى مال له بها:

ألا ليت مَيْتا بالظُّريبة شاهدُ ... لما يَفْتَرِى[4] فى الدين عمرو وخالدُ
أطاعا بنا أمرَ النِّساء فأَصْبَحا ... يُعينان من أعدائنا من نُكايد[5]

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخى ما أخى لاشاتمٌ أنا عِرْضَه ... ولا هو من سُوء المَقالة مُقْصِرُ
يقولُ إذا اشتدَّت[6] عليه أمورُه ... ألا لَيتَ مَيْتاً بالظرَيْبة يَنشَر
فدَعْ عنك ميتاً قد مَضَى لسبيلِه ... وأَقبِل عَلَى الأدنى الذى هو أفقر

ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المُسلمين، وكان إلى آل سعيد بن العاص؛ وأبو موسى الأَشْعرى عبد الله بن قيس، حليف آل عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

---

(1) مرج الصفر (بالضم وتشديد الفاء): موضع بدمشق. وفيه يقول خالد بن سعيد:
هل فارس كره النزال يعيرنى ... رمحا إذا نزلوا بمرج الصفر
(2) سلح: ألبس السلاح (بالبناء للمجهول فيهما).
(3) البلابل: التخليط والاضطراب. وموجحا: أى مستورا.
(4) الافتراء: الكذب. قال أبو ذر: «ومن رواه يقترى (بالقاف) فمعناه: يتتبع».
(5) فى معجم البلدان: «كل كايد».
(6) فى شرح السيرة لأبى ذر: «اشتتت» أى تفرقت.

من بنى أسد ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى: الأسود بن نوفل بن خُويلد، رجل.

من بنى عبد الدار ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : جَهْم بن قيس بن عبد شُرَحبيل، معه ابناه عمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أم حَرْملة بنت عَبْد الأسود، هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها، رجل.

من بنى زهرة ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عامر بن أبى وقّاص، وعُتبة بن مسْعود، حليف لهم من هُذيل، رجلان.

من بنى تيم ومن بنى تَيْم بن مُرّة بن كعب : الحارث بن خالد بن صَخْر، وقد كانت معه امرأته رَيطة بنت الحارث بن جُبيلة، هلكت بأرض الحبشة، رجل.

من بنى جمح ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن رَبيعة بن أُهْبان، رجل.

من بنى سهم ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب، مَحْمِيَّة بن الجَزْء،[1] حليف لهم من بنى زُبيد، كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، جعله على خُمُس المسلمين، رجل.

من بنى عدى ومن بنى عَدِىّ بن كعب بن لؤى : مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة، رجل.

من بنى عامر ومن بنى عامر بن لُؤىّ بن غالب : أبو حاطب بن عَمْرو بن عبد شمس؛ ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس، معه امرأته عَمْرة بنت السعْدِى ابن وَقْدان بن عَبْد شمس، رجلان.

من بنى الحارث ومن بنى الحارث بن فِهْر بن مالك : الحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط، رجل. وقد كان حُمِل معهم فى السَّفِينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

عدة من حملهم أمية فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أُميه الضَّمْرى فى السفينتين، فجميع من قَدِم فى السفينتين إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ستةَ عشر رجلا.

---

(١) يروى بتشديد الزاى غير مهموز، والصواب فيه الهمز. وكذا قيده الدارقطنى. (راجع شرح السيرة لأبى ذر).

سائر مهاجرة الحبشة

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ولم يقدَم إلا بعد بدر، ولم يَحْمل النجاشي في السفينتين إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن قدم بعد ذلك ومن هلك بأرض الحبشة، من مُهاجرة الحبشة:

من بني أمية

من بني أمية بن عبد شَمْس بن عبد مناف: عُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب الأسْدى، أسْد خزيمة، حليف بَنى أمية بن عبد شمس، معه امرأته أمّ حَبيبة بنت أبي سُفيان، وابنته حَبيبة بنت عبيد الله، وبها كانت تُكنى أم حَبيبة بنت أبي سفيان، وكان اسمها رَمْلة.

تنصر ابن جحش بالحبشة وخلف الرسول على امرأته

خرج مع المُسلمين مُهاجراً، فلما قَدِم أَرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام، ومات هُنالك نَصْرانياً، فخلَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على امرأته من بعده: أم حَبيبة بنت أبي سُفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عُروة قال:

خرج عُبيد الله بن جَحْش مع المُسلمين مُسْلما، فلما قدم أرضَ الحبشة تنصّر، قال: فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم قال: فقّحنا[1] وصأصأتم، أي قد أبْصَرْنا وأنتم تَلْتمسون البصر ولم تُبْصِروا بعد. وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عَينيه للنظر صَأصأ قبل ذلك، فضرب ذلك له ولهم مثلا. أي أنّا قد فتّحنا أَعْيُننا فأَبْصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتُبْصروا، وأنتم تلتمسون ذلك.

قال ابن إسحاق:

وقيس بن عبد الله، رجل من بني أسد بن خُزَيمة، وهو أبو أمية[2] بنت قَيْس التي كانت مع أم حَبيبة؛ وامرأته بركة بنت يَسار، مولاة أبي سُفيان بن حرب، كانتا ظِئْرَى[3] عُبيد الله بن جحش؛ وأمّ حَبيبة بنت أبي سُفيان، فخرجا بهما معهما حين هاجر إلى أرض الحبشة، رجلان[4].

(1) في ا: «فقحنا» ويقال: فقح الجرو: وذلك إذا فتح عينيه أول مايفتح وهو صغير.
(2) كذا في الأصول، ولم نعثر لها على ذكر في المراجع التي بين أيدينا.
(3) الظئر: المرأة التي ترضع ولد غيرها. ورواية هذه العبارة في الاستيعاب في ترجمة قيس هذا: «كانت ظئرا لعبيد الله بن جحش وأم حبيبة».
(4) في م، ر: «رجل» وهو تحريف.

من بنى أسد

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى : يزيد بن زَمَعَة بن الأسود ابن المُطّلب بن أسد ، قُتل يوم حُنين مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شهيدا ؛ وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عَبْد الدار بن قُصى : أبو الرُّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عَبْد مناف ابن عبد الدار ، رجلان .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهرة بن كِلاب بن مُرّة : المطّلب بن أزهر بن عبد عوف ابن عبد [بن[1]] الحارث بن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبيرة ابن سُعيد بن سَعْد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبدَ الله ابن المطلب ، فكان يقال : إن كان لأوّلَ رجل وَرِث أباه فى الإسلام ، رجل .

من بنى تيم

ومن بنى تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عُثمان بن عَمرو بن كعب بن سَعْد بن تيم ، قتل بالقادِسيّة مع سعد بن أبى وقّاص ، رجل .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب : هَبّار بن سفيان بن عبد الأسد ، قتل بأَجْنادِين من أرض الشام ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وأخوه عبد الله ابن سُفيان ، قتل عام اليَرْموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشك فيه أقتل ثَمّ أم لا ؛ وهشام[2] بن أبى[3] حذيفة بن المُغيرة ، ثلاثة نفر .

من بنى جمح

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : حاطب بن الحارث ابن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المُجَلَّل[4] . هلك حاطب هنالك مُسلما ، فقَدِمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السفينتين ؛ وأخوه حطّاب بن الحارث ، معه امرأته

---

(١) زيادة عن ا والاستيعاب .

(٢) قال ابن عبد البر بعد ماساق هذا الاسم نقلا عن ابن إسحاق : « إلا أن الواقدى كان يقول : هاشم بن أبى حذيفة ، ويقول « هشام » وهم ممن قاله . ولم يذكره موسى ابن عقبة ولا أبو معشر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة » .

(٣) فى ا : «ابن حذيفة» وهو تحريف . (راجع الاستيعاب) .

(٤) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « المحلل » بالحاء المهملة .

فُكَيهة بنت يسار، هلك هنالك مُسلما ، فقدمت امرأته فُكيهة فى إحدى السفينتين؛ وسُفيان بن مَعْمر بن حَبيب ، وابناه جُنادة وجابر ، وأمهما معه حَسنة[1] ، وأخوهما لأمهما شُرَحبيل بن حَسنة ؛ وهلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ستة نفر .

من بنى سهم

ومن بَنى سهْم بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث ابن قيس بن عدىّ[2] بن سعد بن سهم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقيس ابن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث ابن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، قتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ؛ وعبد الله بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد ابن سهم ، وهو رسولُ [رسول[3]] الله صلَّى الله عليه وسلم إلى كسرى ؛ والحارث بن الحارث بن قيس بن عدىّ ؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى ؛ وبِشر بن الحارث بن قيس بن عدى ؛ وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قتل بأَجْنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وسعيد بن الحارث بن قيس ، قتل عام اليَرْموك فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ؛ والسائب بن الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، وقتل يوم فِحْل[4] فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ويقال : قتل يوم خيْبر ، يُشك فيه ؛ وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة بن مِهْشم بن سعد بن سهم ، قتل بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرَفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، أحد عشر رجلا .

---

(١) نص هذه العبارة فى الاستيعاب نقلا عن ابن إسحاق : « ومعه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما » .

(٢) فى الأصول هنا وفيما سيأتى : « سعيد » وهو تحريف . قال السهيلى : « وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق « سعيد » ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم . وفى سهم سعيد آخر ، وهو ابن سعيد المذكور » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فحل (بكسر أوله وسكون ثانيه) : موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم ، وكان يوم فحل بعد فتح دمشق بعام واحد ، (راجع معجم البلدان) .

من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لؤى : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ابن عوف بن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ؛ وعدىّ ابنَ نضْلة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ، هلك بأرض الحبشة ، رجلان .

تولية عمر النعمان على ميسان ثم عزله

وقد كان مع عدىّ ابنه النعمان بن عدىّ ، فقدم النعمان مع من قَدِم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فاستعمله على مَيْسان ، من أرض البَصْرة ، فقال أبياتاً من شعر ، وهى :

ألا هل أتى الحَسْناء أنّ حَليلَها ... بمَيْسان يُسْقى فى زُجاجٍ وحَنْتَمِ[1]
إذا شئْتُ غَنَّتْنى دَهاقين[2] قَرْيةٍ ... ورَقَّاصَةٌ[3] تجذُو على كلّ مَنْسِمِ[4]
فإنْ كنت نَدْمانِى فبالأكْبر اسقِنى ... ولا تَسْقِنى بالأصغر المُتثلِّمِ
لعلّ أميرَ المؤمنين يسُوءه ... تنادُمنا فى الجَوْسَقِ المُتهدِّمِ[5]

فلما بلغت أبياتُه عمر قال : نعم والله ، إن ذلك ليسُوءنى ، فمن لقيه فليُخبره أنّى قد عَزلْته ، وعَزله . فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله ياأمير المؤمنين ، ماصنعت شيئاً مما بلغك أنى قلتُه قط ، ولكنى كنت امرأً شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ؛ فقال له عمر : وايم الله ، لاتعملُ لى على عمل مابقيتُ وقد قلتَ ماقلت[6] .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فِهْر : سَليط بن عمرو بن عبد شمس ابن عبدّود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهو كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذة بن على الحَنَفى باليمامة ، رجل .

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غَنْم بن زُهير

---

(١) الحليل : الزوج . والحنتم : جرار مدهنة بخضرة تضرب إلى الحمرة .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو العارف بأمور القرية ومنافعها ومضارها .

(٣) يروى : « وصناجة » . والصناجة : التى تضرب بالصنج ، وهو من آلات الغناء .

(٤) تجذو : تبرك على ركبتيها . ويريد بالمنسم : طرف قدميا . وأصل المنسم للبعير ، وهو طرف خفه ، فاستعاره هنا للإنسان . ورواية هذا الشطر الأخير فى معجم البلدان عند الكلام على « ميسان » :

وصناجة تجثو على حرف منسم

(٥) الجوسق : البنيان العالى ، ويقال هو الحصن . وهذه الأبيات كتبها النعمان إلى امرأته ، وكان قد أرادها على الخروج معه إلى ميسان فأبت عليه .

(٦) لم يول عمر من قومه بنى عدى ولاية قط غيره ، لما كان فى نفسه من صلاحه .

ابن أبى شدّاد ؛ وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أُمية بن ظَرِب بن الحارث ابن فهر ، وعِياض بن زُهير بن أبى شدّاد ، ثلاثة نفر .

فجميع من تخلّف عن بَدْر ، ولم يَقدم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ، ومن قدم بعدذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السَّفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

الهالكون منهم وهذه تسمية [جملة[1]] من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من عبد شمس من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب ، حليف بنى أمية ، مات بها نَصْرانيا .

من بنى أسد ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَى : عمرو بن أُمية بن الحارث ابن أسد .

من بنى جمح ومن بنى جُمح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حطّاب بن الحارث .

من بنى سهم ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث ابن قيس .

من بنى عدى ومن بنى عدىّ بن كعب بن لؤى : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان ابن عوف ، وعَدِىّ بن نضْلة ، سبعة نفر .

من الأبناء ومن أبنائهم ، من بنى تَيْم بن مُرّة : موسى بن الحارث بن خالد ابن صَخْر بن عامر ، رجل .

مهاجرات الحبشة وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم مِنْهن ومن هلك هنالك ، ستَّ عشرةَ امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خَرجن :

من قريش من قريش ، من بنى هاشم : رُقية بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلم .

من بنى أمية ومن بنى أمية ، أمّ حبيبة بنت أبى سُفيان ، معها ابنتُها حَبِيبة ، خرجت بها من مكّة ، وَرجعت بها معها .

من بنى مخزوم ومن بنى مخزوم : أم سَلمة بْنة أبى أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سَلمة ، ولدتها هنالك .

---

(١) زيادة عن ا .

من بنى تيم

ومن بنى تيم بن مُرّة : رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة ، هلكت بالطريق ، و بنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث، هلكن جميعاً وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرُها ، يقال لها فاطمة .

من بنى سهم

ومن بنى سهم بن عمرو : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة .

من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : سودة بنت زَمَعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سُهيل ابن عمرو ، وابنة المجلَّل[1] ، وعمرة بنت السَّعْدى بن وقدان ؛ وأم كُلثوم بنت سُهيل ابن عمرو .

من غرائب العرب

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيس بن النعمان الخَثْعمية ؛ وفاطمة بنت صَفْوان بن أمية بن مُحرِّث الكِنانية ، وفُكَيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسنة ، أم شُرحبيل بن حسنة .

أبناؤهم بالحبشة

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

من بنى هاشم

من بنى هاشم : عبدُ الله بنَ جعفر بن أبى طالب .

من عبد شمس

ومن بنى عبد شَمْس : محمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد بن سَعِيد ، وأخته أمة بنت خالد .

من بنى مخزوم

ومن بنى مخزوم : زينت بنت أبى سَلمة بن الأسد .

من بنى زهرة

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أَزْهر .

من بنى تيم

ومن بنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الذكور منهم

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جَعفر ، ومحمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد ابن خالد ، وعبد الله بن المطّلب ، وموسى بن الحارث .

الإناث منهم

ومن النساء خمس :

---

(١) فى ا : « المحلل » .

أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبي سَلَمة ، وعائشة وزينت وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

عمرة القضاء

فى ذى القعدة سنة سبع

خروج الرسول معتمرا فى ذى القعدة

قال ابن إسحاق :

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيْيْن ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام :

ابن الأضبط على المدينة

واستعمل على المدينة عُويف بن الأضبط الدِّيلى[1] .

سبب تسميتها بعمرة القصاص

ويقال لها عمرة القِصاص ، لأنهم صدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ستّ ، فاقتصّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع[2] .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : «وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ» .

خروج المسلمين الذين صدوا أولا معه

قال ابن إسحاق :

وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه فى عُمرته[3] تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قُريش بينها أن محمداً وأصحابَه فى عُسرة وجهد وشدّة .

سبب الهرولة بين الصفا والمروة

قال ابن إسحاق : فحدّثنى من لا أتهم عن ابن عبّاس قال :

صَفّوا له عند دار النّدوة لِيَنْظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله

---

(١) وعند الواقدى أن الذى استعمل على المدينة هو أبو رهم .

(٢) كما تسمى أيضا : عمرة القضية وعمرة الصلح . (راجع شرح المواهب) .

(٣) كانت عدة المسلمين ألفين سوى النساء والصبيان .

صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع[١] بردائه، وأخرج عَضُدَه اليمنى، ثم قال: رحم الله امرأً أراهم اليومَ من نفسه قوةً، ثم استلم الرُّكن، وخرج يُهَرْوِل[٢] ويهرول أصحابُه معه، حتى إذا واراهُ البيت منهم، واستلم الركنَ اليمانىّ، مشى حتى يستلم الركن الأَسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطوافٍ، ومشى سائرَها. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحَىّ من قريش للذى بلغه عنهم، حتى إذا حجّ حِجّة الوداع فلزمها، فمضت السّنة بها.

ارتجاز ابن رواحة وهو يقود ناقة الرسول

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بنُ أبى بكر:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بنُ رواحة آخذ بخطام[٣] ناقته يقول:

خَلُّوا بنى الكُفّار عن سبيلِهِ ... خلّوا فكلُّ الخير فى رسولِهِ
يارَبِّ إنى مؤمنٌ بقيلِه[٤] ... أعرف حقَّ الله فى قَبُوله
نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله[٥]
ضرْبًا يُزيل الهامَ عن مَقيله ... ويُذْهِل الخليل عن خليله

قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمّار بن ياسر فى غير هذا اليوم[٦]، والدليل على ذلك أن ابنَ رواحةَ إنما أراد المشركين، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل، وإنما يُقْتَل على التأويل[٧] من أقر بالتنزيل.

---

(١) اضطبع بردائه: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.
(٢) الهرولة: فوق المشى ودون الجرى.
(٣) الخطام: الذى تقاد به الناقة.
(٤) قيله: قوله.
(٥) أى نحن نقاتلكم على إنكار تأويله، كما قتلناكم على إنكار تنزيله.
(٦) أى يوم صفين، يوم قتل عمار بن ياسر.
(٧) كذا فى م، ر. وفى ا: «على التنزيل».

زواج الرسول بميمونة

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبانُ بن صالح وعبد الله بن أبى نَجيح ، عن عطاء ابن أبى رباح ومجاهدٍ أبى الحجاج ، عن ابن عباس :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونةَ بنتَ الحارث فى سفره ذلك وهو حَرَام ، وكان الذى زوّجه إياها العباسُ بنُ عبد المطلب .

قال ابن هشام :

وكانت جعلت أمرَها إلى أختها أمّ الفَضْل ، وكانت أمُّ الفضل تحت العباس ، فجعلت أمُّ الفضل أمرَها إلى العباس ، فزوجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة[1] ، وأصدَقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم

إرسال قريش حويطبا إلى الرسول يطلب منه الخروج من مكة

قال ابن إسحاق :

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ثلاثا ، فأتاه حُوَيْطِب بنُ عبد العزّى ابن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكّلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنّه قد انقضى أجلُك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى صلّى الله عليه وسلّم : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخلّف أبَا رافعٍ مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسَرِف[2] ، فبنى بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هنالك ، ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة فى ذى الحجة .

ما نزل من القرآن فى عمرة القضاء

قال ابن هشام :

فأنزل الله عزّ وجلّ عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : «لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَالَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً» . يعنى خيبر .

---

(١) هذه الكلمة : « بمكة » ساقطة فى ا .

(٢) سرف (ككتف) : موضع قرب التنعيم .

ذكر غزوة مؤتة[1]

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق :

فأقام بها بقية ذي الحجة ، وَوَلِيَ تلك الحجَّةَ المشركون ، والمحرم وصفرا وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثَه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

بعث الرسول إلى مؤتة واختياره الأمراء

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ابن الزبير قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعْثَه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيدَ بنَ حارثة وقال : إن أُصيب زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بنُ رواحة على الناس[2] .

بكاء ابن رواحة مخافة النار وشعره للرسول

فتجهّز الناسُ ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وسلّموا عليهم . فلما ودع عبدُ الله ابنُ رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكى ؛ فقالوا : مايُبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أمَا والله مابي حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا » فَلَسْتُ أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود ؛ فقال المسلمون : صَحِبَكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفرةً   وضربةً ذات فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدَا[3]

---

(1) مؤتة (مهموزة الواو . وحكى فيه غير الهمز) : قرية من أرض البلقاء من الشام . وتسمى أيضا غزوة جيش الأمراء ، وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها وما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار . (راجع السهيلي ، والنهاية ، وشرح أبي ذر ، وشرح المواهب) .

(2) وزاد الزرقاني : « فإن قتل فليتربص المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم » .

(3) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم . (عن أبي ذر) .

أو طعنةً بيدَىْ حَرّانَ مُجهِزةً بحَرْبة تُنْفِذ الأحشاءَ والـكَبِدا[١]
حتى يُقال إذا مرُّوا على جَدَثى أرشدَه[٢] الله من غازٍ وقد رَشَدَا[٣]

قال ابن إسحاق :

ثم إن القوم تهيّئوا للخروج ، فأتى عبدُ الله بن رواحة رسول الله صلّى الله عليه وسلم فودعه ، ثم قال :

فثبّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ تَثْبيتَ موسى ونصْرًا كالذى نُصروا[٤]
إنى تفرستُ فيكَ الخيرَ نافلةً اللهُ يعلم أنى ثابتُ البَصَرِ[٥]
أنت الرسولُ فمن يُحرَم نوافلَه والوجْهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ[٦]

قال ابن هشام :

أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنت الرســولُ فمن يحرم نوافلَه والوجْهَ منه فقد أزرى به القدرُ
فثبت الله ما آتاك من حَسَنٍ فى المرسلين ونصرا كالذى نُصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلةً فراسةً خالفتْ فيكَ الذى نظروا

يعنى المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القومُ ، وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى إذا ودَّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلَفَ السلامُ على أمرىءٍ ودّعته فى النَّخْلِ خيرَ مُشَيِّعٍ وخليلِ

تخوف الناس من لقاء هرقل وشعر ابن رواحة يشجعهم

ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان ، من أرض الشام ، فبلغ الناسُ أن هرقلَ قد نَزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مِئَةِ ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجُـذَام

---

(١) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تخترقها .
(٢) الجدث والجدف : القبر .
(٣) فى شرح المواهب : « يا أرشد الله » .
(٤) كذا فى م ، ر ، وفى ا : « نصرا » .
(٥) فى هذا البيت إقواء .
(٦) نافلة : هبة من الله وعطية منه . والنوافل : العطايا والمواهب . وأزرى به القدر ، أى قصر به . (عن أبى ذر) .

والقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مئة ألف منهم، عليهم رجل من بلِيّ ثم أحدُ إرَاشة، يقال له: مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعَان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنخبره بعدَدِ عدوّنا، فإما أن يُمدّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له. قال: فشجّع الناسَ عبدُ الله ابنُ رواحة، وقال: ياقوم، والله إن التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون الشهادة، ومانقاتل الناس بعدد ولاقوة ولا كثرة، مانقاتلهم إلابهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدَى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابنُ رواحة. فمضى الناس، فقال عبد الله بن رواحة في مَحْبِسهم ذلك:

تشجيع ابن رواحة الناس على القتال

جَلَبنا الخيلَ من أجَإٍ وفَرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُومُ (١)

حَذَوناها من الصَّوّان سِبْتاً ... أزلَّ كأن صَفْحتَه أدِيمُ (٢)

أقامت ليلتين على مَعَانٍ ... فأعْقبَ بعدَ فَتْرتِها جُمُومُ (٣)

فرُحْنا والجيادُ مُسَوَّماتٌ ... تنفَّسُ في مَناخرها السَّمُومُ (٤)

---

(١) أجأ: أحد جبلي طيء، والآخر سلمى. وفرع (بالفتح): اسم موضع من وراء الفرك. وقال ياقوت: «الفرع: أطول جبل بأجأ وأوسطه». وظاهر أن هذا هو المراد هنا. وتغر (بالغين المعجمة): تطعم شيئا بعد شيء. يقال غر الفرخ غرا وغرارا: زقه. والعكوم: جمع عكم (بالفتح) وهو الجنب.

(٢) قال أبوذر: «حذوناها: جعلنا لها حذاء، وهو النعل: والصوان: حجارة ملس؛ واحدتها: صوانة. والسبت: النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة. وأزل، أي أملس صفحته ظاهرة. والأديم: الجلد». وقال السهيلي: «أي حذوناها نعالا من حديد، جعله سبتا لها مجازا؛ وصوان: من الصون، يصون حوافرها، أو أخفافها، إن إراد الإبل، فقد كانوا يحذونها السريح، وهو جلد يصون أخفافها. وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان: يبيس الأرض، أي لاسبت لها إلا ذلك».

(٣) معان (بفتح الميم): موضع بالشام. والفترة: الضعف والسكون. والجموم: اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة.

(٤) مسومات: مرسلات. والسموم: الريح الحارة.

فلاَ وأبى مآبَ لنَأْتينهَا   وإن كانت بها عَربٌ ورُوم[1]

فعبَّأْنَا أعِنّتَها فجاءت   عَوابسَ والغُبَارُ لها بَرِيم[2]

بذى لَجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيه   إذا بَرزتْ قوانِسُها النُّجوم[3]

فراضِـــيةُ المعيشة طلَّقتْها   أسنَّتُها فتَنْكِحُ أو تَئِيم[4]

قال ابن هشام : « ويروى : جلبنا الخيل من آجام قُرح[5] » ، وقوله : « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناسُ ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال :

كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مُرْدِفِى على حَقيبة[6] رَحْله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذْ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أَدّيْتِنِى وحملتِ رَحْلى   مسيرةَ أربعٍ بعـد الحِساءِ[7]

فشأنُكِ أنعُمٌ وخلاكِ ذمٌّ   ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى[8]

---

(١) مآب : اسم مدينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء . قال السهيلى : « يجوز نصبه بفعل مقدر ، أو مرفوع على الابتداء » .

(٢) البريم فى الأصل : خيطان مختلطان أحمر وأبيض ، تشدهما المرأة على وسطها أو عضدها . وكل مافيه لونان مختلطان فهو بريم أيضا . يريد ماعلاها من الغبار ، فخالط لونه لونها . والدمع المختلط بالإثمد . وهذا أقرب لمعنى البيت : أى أن دموع الخيل اختلطت بالتراب فصارت كالبريم .

(٣) ذى لجب : أى جيش . واللجب : اختــلاط الأصوات وكثرتها : والبيض : ما يوضع على الرأس من الحديد . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

(٤) قال أبو ذر : « تئيم : تبقى دون زوج ، يقال : آمت المرأة إذا لم تتزوج » .

(٥) قرح (بالضم) : سوق وادى القرى ، وبهذه الرواية ورد هذا البيت فى ياقوت منسوبا إلى ابن رواحة .

(٦) (الحقيبة) فى الأصل : العجيزة ؛ ثم سمى مايحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيبة ، مجازا ، لأنه محمول على العجز . (المصباح) .

(٧) الحساء : جمع حسى ، وهو ماء يغور فى الرمل حتى يجد صخرا ، فإذا بحث عنه وجد . يريد مكانا فيه الحساء .

(٨) فشأنك أنعم : يريد أنه لا يكلفها سفرا بعد ذلك ، وإنما تنعم مطلقة ، لعزمه على الموت فى سبيل الله . ولا أرجع : قال أبو ذر : « هو مجزوم على الدعاء ، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله » .

وجاءَ المُسلمونَ وغادَرونى   بأَرْض الشام مُشْتهىَ الثَّوَاءِ[1]
وردّكِ كلُّ ذى نَسب قَرِيب   إلى الرحمن مُنْقطعَ الإخاء
هنالك لا أُبالى طَلْعَ بَعْلٍ   ولا نَخْــلٍ أسافلُها رِوَاء[2]

فلما سمعتُهنّ منه بكيت . قال : فخفَقَنى[3] بالدِّرة، وقال: ماعليك يالُـكَع[4] أن يرزقنى الله شهادةً وترجعَ بين شُعْبتى[5] الرَّحْل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ   تطاول الليــلُ هُدِيتَ فانزلِ[6]

لقاء الروم

قال ابن إسحاق :

فمضى الناسُ، حتى إذا كانوا بتُخوم[7] البلْقاء لقيتْهم جموعُ هِرقْل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشارف، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها، فتعبَّأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذرة، يقال له : قُطْبة بنُ قَتَادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عُبَاية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عُبادة بنُ مالك .

مقتل ابن حارثة

قال ابن إسحاق :

ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط[8] فى رماح القوم .

---

(١) الثواء : الإقامة فى المكان . وفعله : ثوى يثوى (من باب ضرب) .
(٢) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . ورواء (بكسر الهمزة) : صفة لنخل .
(٣) خفقنى بالدرة ، أى ضربنى بها . والدرة : السوط .
(٤) اللكع (كصرد) : اللئيم .
(٥) شعبتى الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر (عن أبى ذر) .
(٦) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير ، فقل لحمها . (عن أبى ذر) .
(٧) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض ، وهى جمع : تخم . (انظر اللسان) .
(٨) يقال شاط الرجل : إذا سال دمه فهلك . (عن أبى ذر) .

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له[1] شقراء، فعقرها[2]، ثم قاتل القوم حتى قُتل. فكان جعفرُ أولَ رجل من المسلمين عقرَ في الإسلام[3].

وحدّثني يحيي بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مُرَّة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤْتة، قال:

والله لكأنّي أنظر إلى جعفر حين اقتحَمَ عن فَرَس له شقراء ثم عقَرها، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حَبَّذا الجنّةُ واقترابُها ... طَيِّبةً وبارداً شرابُها

والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام: وحدَّثني من أثِق به من أهل العلم:

أن جعفرَ بنَ أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت، فأخذه بشماله فقُطِعت، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه[4] بنصفين.

إمارة ابن رواحة ومقتله

قال ابن إسحاق: وحدّثني يحيي بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبّاد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، قال:

---

(١) ألحمه القتال: نشب فيه فلم يجد مخلصا. واقتحم عن فرس له: رمى بنفسه عنها.

(٢) عقرها: ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف. وفي رواية لابن عقبة والواقدي وابن إسحاق أيضاً: «فعرقبها» أي قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم.

(٣) قال السهيلي: «لم يعب ذلك عليه أحد، فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين، فلم يدخل هذا في باب النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا، غير أن أبا داود قال: ليس هذا الحديث بالقوي، وقد جاء فيه نهي كثير عن الصحابة...

وقال الزرقاني مستدركا: «وكأنه يريد: ليس بصحيح، وإلا فهو حسن، كما جزم به الحافظ، وتبعه المصنف».

(٤) في رواية أبي ذر: «فقطه» وهي بمعنى قطعه.

فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية ، ثم تقدّم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمتُ يانفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... لَتنزِلِنَّ أو لَتُكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَبَ الناسُ وشدّوا الرَّنَّهْ ... مالى أراكِ تَكرهين الجَنَّهْ[1]
قد طال ما قد كنتِ مطمئنهْ ... هل أنتِ إلا نُطْفَة فى شَنَّهْ ! [2]

وقال أيضا :

يانفس إلا تُقْتَلِى تموتى ... هذا حِمَامُ الموت قد صَلِيتِ
وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ ... إن تفعلى فِعْلَهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعَرْق[3] من لحم فقال: شُدّ بهذا صلبَك، فإنك قد لقيتَ فى أيامك هذه مالقيت ، فأخذه من يده ثم انْتَهَس[4] منه نَهْسةً ، ثم سمع الحَطْمَة[5] فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

ابن الوليد وانصرافه بالناس

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقْرم[6] أخو بنى العَجْلان ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد[7] ؛ فلما أخذ الراية دافع القومَ، وحاشى[8] بهم ، ثم انحاز وانحِيز

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع شبه البكاء . (عن أبى ذر) .

(٢) النطفة : الماء القليل الصافى . والشنة : السقاء البالى ، أى فيوشك أن تهراق النطفة أو ينخرق السقاء ، ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده .

(٣) العرق : العظم الذى عليه بعض لحم . (عن أبى ذر) .

(٤) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرا . (عن أبى ذر) .

(٥) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

(٦) كذا فى المواهب اللدنية والاستيعاب . وهو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى ابن العجلان البلوى ثم الأنصارى . وكان مقتله سنة إحدى عشرة فى الردة وقيل سنة اثنتى عشرة . وفى سائر الأصول : « أرقم » وهو تحريف .

(٧) وروى الطبرانى عن أبى اليسر قال : أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب ابن رواحة فدفعها إلى خالد وقال : أنت أعلم بالقتال منى . (راجع شرح المواهب) .

(٨) كذا فى ا : وحاشى بهم (بالحاء المهملة) : انحاز بهم ، وهو من الحشى ، وهى الناحية . وفى م ، ر : « خاشى » (بالخاء المعجمة) . والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم .

عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين مع الروم

قال ابن اسحاق :

ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ؛ ثم أخذها جعفرٌ فقاتل بها حتى قتل شهيداً؛ قال: ثم صمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى تغيّرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض مايكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلىّ فى الجنّة ، فيما يَرَى النائمُ ، على سُرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا[1] عن سريرى صاحبَيْه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لى : مَضيا وتردّد عبد الله بعض التردّد ، ثم مضى .

حزن الرسول على جعفر ووصاته بآله

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أمّ عيسى الخُزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدّتها أسماء بنة عُميس، قالت :

لما أُصيب جعفر وأصحابه دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبَغْتُ أربعين مَنًا[2] ــ قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة ــ وعجنت عجينى، وغسلت بنىّ وَدهنتهم ونظّفتهم . قالت : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتينى بنى جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشمّمهم وذَرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله : بأبى أنت وأمى، مايُبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم، أُصيبوا هذا اليوم . قالت : فقُمت أصيح ، واجتمعتْ إلىّ النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لاتُغْفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

---

(١) ازورارا : ميلا وعوجا .

(٢) فى الأصول : « منتا » . والتصويب عن أبى ذر ؛ وهذا نص عبارته : « المنا (بالقصر) : الذى يوزن به . وهو الرطل . وتعنى أربعين رطلا من دباغ . ومن روى : « منيئة » فمعناه : الجلد مادام فى الدباغ . وبهذه الرواية الثانية روى الحديث صاحب اللسان (مادة منأ) .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت :

لما أتى نَعْىُ[1] جعفر عرَفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ، إن النساء عنَّيْننا وفتَنَّنا ؛ قال : فارجع إليهن فأسْكِتْهُن. قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك ـ قال : تقول وربما ضر التكلفُ أهلَه ـ قالت : قال : فاذهب فأسكِتْهن ، فإن أبَيْنَ فاحثُ فى أفواههن التراب[2] ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيعٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لايقدر على أن يَحْثِيَ فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق :

وقد كان قُطْبة بن قَتادة العُذْرىّ ، الذى كان على مَيْمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة[3] فقتله ، فقال قُطبة بن قتادة :

طعنتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإرا ش برُمْحٍ مضى فيه ثم انْحطَمْ[4]
ضربتُ على جِيده ضربةً فمال كما مال غصنُ السَّلَمْ[5]
وسُقْنا نساء بنى عمِّه غداةَ رقُوقَيْن سوْقَ النَّعَمْ[6]

قال ابن هشام : قوله «ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق. والبيت الثالث عن خَلَّاد[7] بن قُرة ؛ ويقال : مالك بن رافلة[8] :

---

(١) النعى (بسكون العين) : خبر الميت الذى يأتى . والنعى (بكسر العين وتشديد الياء): هو الشخص الذى يأتى بخبر موته .

(٢) يقال : حثا الرجل التراب يحثوه حثوا ويحثيه حثيا ، إذا قبضه بيده ثم رماه .

(٣) كذا فى ا : وفى م ، ر ، هنا وفيما يأتى : « رافلة » (بالراء المهملة) .

(٤) انحطم : انكسر .

(٥) السلم : شجر العضاه ؛ الواحدة : سلمة .

(٦) رقوقين : اسم موضع . ويروى : « رقوفين » (بالفاء فى الثانى) ، (عن أبى ذر) .

(٧) كذا فى م ، ر ، وفى ا : « خالد » .

(٨) كذا فى ا . وفى م ، ر : « راقلة » (بالقاف) .

كاهنة حدس وإنذارها قومها

قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حدس[1] حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قد قالت لقومها من حدس، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم ـ أنذركم قومًا خُزْرا[2]، ينظرون شَزْرا[3]، ويقودون الخيل تَتْرى[4]، ويُهَرِيقون دمًا عَكْرا[5]. فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين لخم؛ فلم تزل بعدُ أثرى[6] حدس. وكان الذين صَلُوا الحربَ يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدس، فلم يزالوا قليلا بعدُ. فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا.

رجوع الجيش وتلقي الرسول له وغضب المسلمين

قال ابن إسحاق:

فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال:

لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون. قال: ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطونى ابنَ جعفر. فأُتِي بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه. قال: وجعل الناس يحثُون على الجيش التراب، ويقولون يافُرّار، فررتم فى سبيل الله! قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفُرار، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير، عن بعض آل الحارث بن هشام: وهم أخواله، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين؟ قالت والله

(1) حدس: قبيلة من لخم، ولخم: قبيلة من اليمن. (عن أبى ذر).
(2) الخزر: جمع أخزر، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر. (عن أبى ذر).
(3) الشزر: نظر العداوة.
(4) تترى: متتابعة شيئا بعد شيء. قال تعالى: «ثم أرسلنا رسلنا تترى». ومن رواه: «تترا»، فهو مصدر، من قولك: تتر الشيء، إذا جذبه. (عن أبى ذر).
(5) العكر: المتعكر، يريد دما مختلطا.
(6) «أثرى»: أكثر مالا وعددا، من الثروة، وهى الكثرة.

مايستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يافرّار ، فررتم فى سبيل الله ! حتى قعد فى بيته فما يخرج .

شعر قيس فى الاعتذار عن تقهقر خالد

قال ابنُ إسحاق :

وقد قال : فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيسُ بن المُسَحَّر اليَعْمَرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لاتَنْفَكُّ نفسى تلومنى ... على مَوْقِفى والخيل قابعةٌ قُبْلُ[1]

وَقفت بها لامُسْتَجيرا[2] فنافذاً ... وَلا مانِعا مَنْ كان حُمَّ له القَتْل

على أننى آسيتُ نَفْسِىَ بخالدٍ ... ألاَخالدٌ فى القوم ليس له مِثْل[3]

وجاشت إلىَّ النفسُ من نحو جَعْفَر ... بمُؤْتَةَ إذ لايَنْفع النابلَ النَّبْل[4]

وضمَّ إلينا حَجْزَتَيْهم كليهما ... مُهاجِرةٌ لامشركون ولا عُزْل[5]

فبيَّن قيس ماااختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه :

أمَّر المسلمون عليهم خالدَ بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق :

شعر حسان فى بكاء قتلى مؤتة

وكان مما بُكِىَ به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولُ حسان بن ثابت :

---

(١) قال أبو ذر : « قائعة » من رواه بالهمز فمعناه واثبة ، يقال : قأع الفحلُ على الناقة : إذا وثب عليها . ومن رواه : « نائعة » بالنون، فمعناه رافعة رءوسها . ومن رواه : « قابعة » بالباء ، فمعناه منقبضة . وقبل : جمع أقبل وقبلاء ، وهو الذى يميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى » .

(٢) كذا فى (ا) . وفى م ، ر : « مستحيزا » ، ومعناه : منحازا إلى ناحية .

(٣) آسيت نفسى بخالد : اقتديت به ، من الأسوة ، وهى القدوة .

(٤) جاشت : ارتفعت . والنابل : صاحب النبل .

(٥) حجزتيهم : ناحيتيهم ؛ يقال : قعد حجزة ، أى ناحية . وعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لاسلاح له .

تأوّبنى ليلٌ بيثربَ أعسرُ ... وهَمٌّ إذا ما نوّم الناسُ مُسْهِرُ(1)
لذكرى حبيب هيّجتْ لِىَ(2) عَبرةً ... سَفُوحا وأسبابُ البكاءِ التذكّرُ(3)
بَلَى ، إن فِقدانَ(4) الحبيبِ بليّةٌ ... وكَمْ من كريمٍ يُبْتلَى ثم يَصْبِر
رأيتُ خيارَ المؤمنينَ تواردُوا ... شَعُوبَ وخَلْفا بعدهُمْ يتأخَّر(5)
فلا يُبْعِدنَّ اللهُ قتلى تتَابَعُوا ... بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسبابُ المنيةِ تَخْطِر(6)
غداةَ مضَوا بالمؤمنين يقودُهم ... إلى الموت ميمونُ النَّقيبة أزهَر(7)
أغرُّ كضوء البدر من آل هاشم ... أَبِيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامةَ مِجْسَر(8)
فطاعن حتى مال غير مُوَسَّد ... بمُعتركٍ(9) فيه قَنًا مُتَكسِّر(10)
فصار مع المستشهدين ثَوابُهُ ... جِنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخضَر
وكنا نرى فى جعفر من محمّد ... وفاءً وأمرا حازما حين يَأمُر
فما زال فى الإسلام من آل هاشم ... دعائمُ عزٍّ لا يَزُلْن ومَفْخَر
همُ جبَلُ الإسلامِ والناسُ حولهم(11) ... رِضامٌ إلى طَوْدٍ(12) يَرُوق و يقهر(13)

---

(1) تأوبنى : عاودنى ورجع إلىّ . وأعسر : عسير . ومسهر : مانع من النوم .
(2) فى ديوان حسان : «ثم» .
(3) سفوح : سائلة غزيرة .
(4) فى ديوان حسان : « بلاء وفقدان » .
(5) قال أبوذر : من رواه بضم الشين ، فهوجمع شعب ، وهى القبيلة ؛ وقيل : هو أكثر من القبيلة ؛ ومن رواه بفتح الشين ، فهو اسم للمنية ، من قولك : شعبت الشىء ، إذا فرقته ، ويجوز فيه الصرف وتركه . وخلفا : أى من يأتى بعد ورواية هذا الشطر الأخير فى ديوانه :

شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر

(6) تخطر : تختال وتهتز .
(7) ميمون النقيبة : مسعود الجد . ، وأزهر : أبيض .
(8) أبى : عزيز الجانب . وسيم : كلف وحمل (بالبناء للمجهول فيهما) . والمجسر : المقدام الجسور .
(9) المعترك : موضع الحرب .
(10) فى الديوان . « فيه القنا يتكسر » .
(11) فى الديوان : « حوله » .
(12) الرضام : جمع رضم ، وهى الحجارة يتراكم بعضها فوق بعض . والطود : الجبل .
(13) فى (ا) يقهر .

بهاليلُ منهم جعفر وابن أمه   عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ(١)
وحمزة والعبّاس منهم ومنهمُ   عَقِيلٌ وماءُ العود من حيثُ يُعْصَر
بهم تُفْرَجُ اللأْواءُ فى كل مَأْزِقٍ   عَماسٍ إذا ما ضاق بالناس مَصدَر(٢)
هُمُ أولياءُ الله أنزَل حُكْمَه   عليهم ، وفيهم ذا الكتاب المطهَّر

شعر كعب فى بكاء قتلى مؤتة

وقال كعب بن مالك :

نام العيونُ ودمعُ عينك يَهْمُلُ   سَحًّا كما وَكَفَ(٣) الطِّبَابُ المُخْضِلُ(٤)
فى ليــلة وردتْ علىَّ همومُها   طورا أَحِنُّ(٥) وتارة أَتملْمَلُ(٦)
واعتادنى حُزْنٌ فبِتُّ كأننى   ببنَاتِ نَعْشٍ والسِّماكِ موَكَّلُ(٧)
وكأنّما بين الجَوانح والحَشَى   مما تأَوَّبَنى شِهاب مُدْخَلُ(٨)
وجْدا على النَّفَر الذين تَتَابَعُوا   يوما بمؤتة أُسْــندوا لم يُنْقَلوا
صلّى الإلٰهُ عليهمُ من فِتيةٍ   وسَــقى عظامَهمُ الغمام المسبِلُ(٩)
صَــبَرُوا بمؤْتَةَ للإله نفوسَهُمْ   حذَرَ الرَّدى ومخافةً أن يَنْكُلُوا(١٠)
فمضوا أمام المسلمين كأنهمْ   فُنُقٌ عليهنّ الحديد المُرْفَلُ(١١)

---

(١) البهاليل : جمع ، البهلول : وهو السيد الوضىء الوجه .
(٢) اللأواء : الشدة . والعماس : المظلم . يريد ظلامه من كثرة النقع المثار وقت الحرب .
(٣) همل الدمع : سال ، وسحا : صبا . ووكف : قطر .
(٤) كذا فى أكثر الأصول وشرح أبى ذر والروض . والطباب : جمع طبابة ، وهى سير بين خرزتين فى المزادة ، فإذا كان غير محكم وكف منه الماء . وفى ا الضباب . والمخضل : السائل الندى .
(٥) كذا فى (ا) وأحن (بالحاء المهمله) : من الحنين ، وفى سائر الأصول : «أخن» (بالخاء المعجمة) . والخنين : صوت يخرج من الأنف عند البكاء .
(٦) أتململ : أتقلب متبرما بمضجعى .
(٧) يريد أنه بات يرعى النجوم طول ليله من طول السهاد .
(٨) المدخل : النافذ إلى الداخل .
(٩) المسبل : الممطر .
(١٠) صبروا نفوسهم : حبسوها على ما يريدون . وينكلوا : يرجعوا هائبين لعدوهم .
(١١) الفنق : الفحول من الإبل ، الواحد: فنيق ، المرفل : الذى تنجر أطرافه على الأرض ، يريد أن دروعهم سابغة .

إذْ يهتدون بجعفرٍ ولوائه ... قُدَّامَ أوَّلهم فنعم الأوَّل

حتى تفرَّجتِ الصفوفُ وجعفرٌ ... حيثُ التقى وعْثُ الصفوفِ مجدَّل (١)

فتغيَّرَ القمرُ المنيرُ لفقده ... والشمسُ قد كسفتْ وكادتْ تأفِل (٢)

قرْمٌ (٣) علا بنيانُه من هاشمٍ ... فرْعًا أشَمَّ وسؤددًا ما ينْقَل (٤)

قومٌ بهم عصَم الإله عبادَه ... وعليهمُ نزل الكتابُ المُنْزَل

فضَلوا المعاشرَ عِزَّةً وتكرُّما ... وتغمَّدتْ أحلامُهُمْ من يجْهَل (٥)

لا يُطْلِقون إلى السَّفاهِ حُباهُمُ ... ويُرى خَطيبُهُمُ بحقٍّ يَفْصِل (٦)

بيضُ الوجوهِ تُرى بُطونُ أكفِّهمْ ... تندَى إذا اعتذرَ الزمانُ المُمْحِل (٧)

وبهَدْيِهمْ رَضِي الإلهُ لخلقِه ... وبجدِّهمْ نُصِر النبيُّ المُرْسَل (٨)

شعر حسان في بكاء جعفر ابن أبي طالب

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه :

ولقدْ بكيتُ وعزَّ مُهْلَكُ جعْفرٍ ... حِبِّ النبيِّ على البريَّةِ كلِّها

ولقدْ جزِعتُ وقلتُ حين نُعيتَ لي ... مَنْ للجلادِ لدى العُقابِ وظلِّها (٩)

بالبيضِ حين تُسَلُّ من أغمادِها ... ضَرْبًا وإنهالِ الرماحِ وعلِّها (١٠)

---

(١) وعث الصفوف : التحامها حتى يصعب الخلاص من بينها ، تشبيها بالوعث ، وهو الرمل الذي تغيب فيه الأرجل ، ويصعب فيه السير . ومجدل : مطروح على الجدالة ، وهى الأرض .

(٢) تأفل : تغيب .

(٣) القرم السيد .

(٤) كذا في الأصول . وفى شرح أبي ذر : « ما ينفل : من رواه بالفاء فمعناه لا يجحد ، ومن رواه بالقاف فهو معلوم » .

(٥) تغمدت من يجهل : سترت جهل الجاهلين .

(٦) إطلاق الحبوة : كناية عن النهضة للنجدة . والحبوة (فى الأصل) : أن يشبك الإنسان أصابع يديه بعضها فى بعض . ويجعلها على ركبتيه إذا جلس . وقد يحتبى بحمائل السيف وغيرها .

(٧) المحل : وهو الشديد القحط .

(٨) كذا فى (ا) وفى سائر الأصول : « بحدهم » بالحاء المهملة . قال أبو ذر : « من رواه بالحاء المهملة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم ؛ ومن رواه « بجدهم » ، بالجيم المكسورة ، فهو معلوم » .

(٩) العقاب : اسم راية الرسول .

(١٠) الإنهال : الشرب الأول ، والعلل الشرب الثانى ، يريد الطعن بعد الطعن .

بعد ابن فاطمةَ المُباركِ جعْفرٍ   خَـــيْرِ البريّةِ كلِّها وأجلِّها[1]
رُزْءًا وأكرمِها جميعا مَحْتِدًا   وأعزِّها مُتظلَّماً وأذلِّها[2]
للحق حين ينوبُ غير تَنَحُّلٍ[3]   كَذِبًا، وأنْداها يداً[4]، وأقلِّها
فحشا، وأكثرِها إذا مايُجْتَدَى[5]   فَضْلا، وأبْذلها نَدًى، وأبلِّها[6]
بالعُرف غـــيرَ محمّدٍ لامثلُه   حىٌّ مِنَ أحياء البرية كلِّها[7]

شعر حسان فى بكاء ابن حارثة وابن رواحة

وقال حسّان بن ثابت فى يوم مُؤْتة يبكى زيدَ بن حارثة وعبد الله ابن رواحة :

عينِ جُودى بدَمْعك المَنْزورِ   واذكُرى فى الرَّخاء أهل القبورِ[8]
واذكرى مُؤْتةً وما كان فيها   يوم راحُوا فى وقْعة التَّغويرِ[9]
حين راحوا وغادروا ثَمَّ زيداً   نِعْم مأوى الضَّريكِ والمأسورِ[10]
حِبَّ خـــيرِ الأنام طُرًّا جميعاً   سيِّدَ الناس حُبُّـــه فى الصدور
ذاكُمُ أحمدُ الذى لاسِـــواهُ   ذاكَ حُزنى له معاً وسرورى
إن زيدا قد كان منا بأمر   ليس أمرَ المكذَّب المغرور[11]

(١) فاطمة : هى أم جعفر وعلى بن أبى طالب، وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى . (عن أبى ذر) .
(٢) المحتد : الأصل .
(٣) التنحل : الكذب .
(٤) فى ديوانه : « وأغمرها ندى » .
(٥) الاجتداء : طلب الجدوى، وهى العطية .
(٦) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « وأنداها يدا » .
(٧) رأينا هذا البيت فى ديوانه :
عَلْ خَيْرِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ لاَشِبْهُهُ   بَشَرٌ يُعَدّ مِنَ الْبَرِيَّةِ جُلِّهَا
(٨) المنزور : القليل، يريد أنه بكى حتى قل دمعه : فهو يأمر عينه أن تجود بذلك القليل على ماهو عليه .
(٩) التغوير : الإسراع إلى الفرار .
(١٠) الضريك : الفقير .
(١١) الخزرجى : هوعبدالله بن رواحة . والنزور: القليل العطاء . وهذا البيت غيرمذكور فى الديوان .

ثم جُودى الخزرجيَّ بِدَمْع سيِّدًا كان ثَمَّ غير نَزُور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فبحُزْن نَبِيت غير سُرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجَع من غزوة مؤتة :

كَفَى حزنا أنِّى رَجَعْتُ وَجعفر وزَيد وعبدُ الله فى رَمْس أقْبُرِ
قَضَوا نحبَهمْ لمـا مَضَوا لسَبِيلهم وخُلِّفْتُ للبلْوى مع المتغَبِّر(١)
ثلاثة رَهْط قُدِّمُوا فتقدموا إلى وِرد مَكْروه من الموت أحمر

شهداء مؤتة

وهذه تسمية من استُشهد يوم مُؤتة .

من بنى هاشم

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنـه ، وزيدُ بن حارثة رضى الله عنه .

من بنى عدى

ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

من بنى مالك

ومن بنى مالك بنِ حِسْل : وَهْب بن سعد بن أبى سَرْح .

من الأنصار

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ، وعبَّاد ابن قيس .

ومن بنى غَنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نَضْلة ابن عبد بن عوف بن غَنم .

ومن بنى مازن بن النّجار : سُراقة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء .

من ذكرهم ابن هاشم

قال ابن هشام : وممن استُشْهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

من بنى مازن بن النجار : أبو كُلَيب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف ابن مَبذول وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفْصى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عبّاد ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو(٢) .

---

(١) كذا فى الأصول . والمتغبر : الباقى . قال أبو ذر : ومن رواه « المتعذر » فهو معلوم
(٢) إلى هنا ينتهى الجزء السادس عشر من أجزاء السيرة .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

القتال بين بكر وخزاعة

قال ابن إسحاق :

ثم أقام رسـول الله صلى الله عليه وسلم بعد بَعْثه إلى مُؤْتة جمادى الآخرة ورجبا .

ثم إن بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة عَدَت على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوَتِير ، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخُزاعة أنّ رجلا من بني الحَضْرمي ، واسمه مالك بن عبَّاد ـ وَحِلْف الحَضْرمي يومئذ إلى الأسود ابن رَزْن[1] ـ خرج تاجرا ، فلما توسّط أرض خزاعة عَدَوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعَدَت خزاعةُ قبيل الإسلام على بني الأسود بن رَزن الدِّيلي ـ وهم مَنْخَرُ[2] بني كنانة وأشرافهم ـ سَلْمى وكُلثوم وذؤيب ـ فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم[3] .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من بني الديل قال :

كان بنو الأسود بن رزن يُوْدَوْن في الجاهلية ديتين ديتين، ونُودَى دِيةً دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق :

---

(١) رزن : يروى بكسر الراء وفتحها ، وإسكان الزاي وفتحها ؛ وقيده الدارقطني بفتح الراء وإسكان الزاء لا غير . (راجع شرح السيرة) .

(٢) كذا في ا . ويريد بالمنخر : المتقدمين ، لأن الأنف هو المقدم من الوجه . وفي سائر الأصول : « مفخر » بالفاء .

(٣) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم .

فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلحُ الحديبية بين رسول الله صلّى الله عليه وسلم و بين قريش ، كان فيما شرَطوا لرسول صلّى الله عليه وسلّم وشرَطَ لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم وغيرهم من علمائنا :

أنه من أحبَّ أن يدخل فى عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعهده[1] .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأْرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود ابن رَزْن ، فخرج نوفل بن معاوية الدّيلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابَعه[2] حتى بيَّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا[3] خُزَاعةَ إلى الحَرَم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يانَوْفل ، إنَّا قد دخلنا الحرم ، إلهكَ إلهكَ ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتَسْرِقون[4] فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؛ وقد أصابوا منهم ليلة بيّتوهم بالوتير رجلا يقال له مُنَبِّه ، وكان منبه رجلا مَفْئُودا[5] خرج هو ورجل من قومه ، يقال له تميم بن أسد ، فقال له مُنَبِّه : ياتميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إنى لميّت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبتَّ[6]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى (ا) .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بايعه » .

(٣) كذا فى ا . وحازوهم : ساقوهم . وفى سائر الأصول : « حاوزوهم » .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « لتسرفون » .

(٥) مفئودا : ضعيف الفؤاد .

(٦) انبت : انقطع .

فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا مُنَبِّها فقتلوه ، فلما دخلت خُزاعة مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تَميم بن أَسَد يعتذر من فراره عن مُنَبِّه :

شعر تميم في الاعتذار من فراره عن منبه

لَمّا رأيتُ بنى نُفَاثَةَ أقبَلُوا ... يَغشَوْن كلَّ وَتِيرَةٍ[1] وَحِجابِ[2]
صَخْرًا وَرَزْنًا لاعَرِيبَ سِوَاهُمُ ... يُزْجُون كلَّ مُقَلَّص خَنَّابِ[3]
وذكرتُ ذَحْلاً[4] عندنا مُتقادمًا ... فيما مَضَى مِن سالفِ الأحْقَابِ[5]
ونَشَيْتُ ريحَ الموتِ من تِلقائهم ... ورهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّابِ[6]
وعرفتُ أنْ مَنْ يَثْقَفُوهُ يَتْرُكوا ... لَحْما لِمُجْرِيَة وشِلْوَ غُرَابِ[7]
قَوَّمتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَها ... وطرحت بالمَتْن العَراء ثِيابى[8]
ونَجَوْتُ لاينجو نجائى أحْقَبٌ ... عِلْجٌ أَقَبُّ مشمَّرُ الأقْرَابِ[9]
تَلْحَى ولو شَهِدَتْ لكان نَكِيرُها ... بَوْلاً يَبُلُّ مَشافرَ القَبْقَابِ[10]
القومُ أعلم ما تركت مُنَبِّها ... عن طِيبِ نَفْسٍ فاسألى أصحابى

---

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح السيرة : « وثيرة » بالثاء المثلثة . قال أبو ذر : « من رواه بالثاء المثلثة فهى الأرض اللينة الرطبة . ومنه يقال : فراش وثير : إذا كان رطبا . ومن رواه بالتاء باثنتين ، يعنى الأرض الممتدة » .

(٢) الحجاب : ما اطمأن من الأرض وخفى .

(٣) لا عريب : أى لا أحد ، يقال : مابالدار عريب ولا كنيع ولا ذبيح ، فى أسماء غيرها ، وكلها بمعنى : مابها أحد . ويزجون : يسوقون . والمقلص : الفرس المشمر . والخناب : الفرس الواسع المنخرين . ويروى : خباب ، أى مسرع ، من الخبب ، وهو السرعة فى السير .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . والذحل : طلب الثأر . وفى ا : « دخلا » .

(٥) الأحقاب : السنون .

(٦) نشى : شم . والمهند القضاب : السيف القاطع .

(٧) المجرية : اللبؤة التى لها جراء ، أى أولاد . والشلو : بقية الجسد .

(٨) المتن : ماظهر من الأرض وارتفع . والعراء : الخالى لايخفى فيه شىء .

(٩) نجوت : أسرعت . وأحقب : أى حمار وحش أبيض المؤخر ، وهو موضع الحقيبة . وعلج : غليظ . وأقب : ضامر البطن . ومشمر الأقراب : منقبض الخواصر وما يليها . ويروى : « مقلص الأقراب » ، وهو بمعناه .

(١٠) تلحى : تلوم . والمشافر : النواحى والجوانب . والقبقاب : من أسماء الفرج .

قال ابن هشام :

وتروى لحبيب بن عبد الله [الأعلم[1]] الهذلى . وبيته : « وذكرت ذا حلا عندنا متقادما » عن أبى عُبيدة ، وقوله « خناب » و « علج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضا .

شعر الأخزر فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن إسحاق :

وقال الأخْزَر بن لُعْط الدِّيلى ، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة فى تلك الحرب :

أَلاَ هَلْ أَتى قُصْوَى الأحابِيشِ أَنَّنَا ... رَدَدْنَا بَنِى كَعْبٍ بأفْوَقَ نَاصِلِ[2]

حَبَسْنَاهُمُ فى دَارَةِ العبد رَافعٍ ... وعنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غيْرَ طَائِلِ[3]

بِدَارِ الذَّليلِ الآخِذِ الضَّيْمَ بَعْدَ مَا ... شَفَيْنا النفوسَ منهمُ بالمَنَاصِلِ[4]

حبسناهُمُ حتى إذا طَالَ يومُهم ... نفحْنَا لهُمْ مِن كلِّ شِعْبٍ بِوَابِلِ[5]

نُذَبِّحُهُمْ ذَبْحَ التُّيوس كأنَّنا ... أُسودٌ تَبارَى فيهمُ بالقَواصِلِ[6]

هُمُ ظلمونا واعتدَوْا فى مَسيرِهم ... وكانوا لَدَى الأنصاب أولَ قاتل

كأنَّهُمُ بالجِزْعِ[7] إذ يطردونَهم ... بفاثورَ[8] حُفَّانُ النَّعامِ الجَوافلِ[9]

---

(1) زيادة عن ا .

(2) قصوى : أبعد . والأحابيش : كل من حالف قريشا ، ودخل فى عهدها من القبائل . ويريد بقوله « بأفوق ناصل » : أنها ردت خائبة ، والأفوق (فى الأصل) : السهم الذى انكسر فوقه ، وهو طرفه الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله ، أى حديدته التى تكون فيه .

(3) الدارة : الدار .

(4) الضيم : الذل . والمناصل : جمع منصل ، وهو السيف .

(5) نفحنا : وسعنا . والشعب : المطمئن بين جبلين . والوابل : المطر الشديد ؛ وأراد به هنا دفعة الخيل .

(6) يريد « بالقواصل » : الأنياب .

(7) الجزع : ما انعطف من الوادى .

(8) كذا فى أكثر الأصول . وفاثور : موضع بنجد ، قال أبو ذر : « ظاهره أنه اسم موضع . ومن رواه : فقا ثور ، فثور : اسم جبل بمكة ، ومنعه هذا الشاعر الصرف ، لأنه قصد به قصد البقعة . وقفاه : وراؤه » . وفى ا : « فعاثور » .

(9) حفان النعام : صغارها . والجوافل : المولية المسرعة .

شعر بديل في الرد على الأخزر

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَناة بن سَلَمَة بن عمرو بن الأجبّ[1]، وكان يقال له: بُديل بن أم أصرم، فقال:

تَفَاقَدَ قومٌ يفخرون ولم نَدَعْ ... لهم سيِّدا يَنْدُوهُمُ غيرَ نافلِ[2]
أمِنْ خِيفَةِ القوم الأُلَى تَزْدَرِيهِمُ ... تُجيزُ الوَتِيرَ خائفا غيرَ آئِلِ[3]
وَفِي كلِّ يوم نحنُ نَحْبُو حِباءَنا ... لِعَقْلٍ ولا يُحْبَى لنا في المَعَاقِلِ[4]
ونَحن صبَحنا بالتَّلاعة دارَكُمْ ... بأسيافنا يَسْبِقْن لوم العواذلِ[5]
ونحنُ مَنَعْنا بين بَيْضٍ وعِتْوَدٍ ... إلى خَيْفِ رَضْوَى[6] من مَجَرِّ القَنَابِلِ[7]
ويومَ الغَمِيم قد تَكَفَّتَ ساعياً ... عُبَيْسٌ فجعْناهُ بجَلْدٍ حُلاحِلِ[8]
أَأَنْ أُجْمِرَت في بيتها أُمُّ بعضكم ... بجُعْمُوسِها تَنْزُونَ أَنْ لم نُقاتِلِ[9]
كَذَبْتُم وبيتِ الله ما إن قَتَلْتُمُ ... ولكنْ تَرَكْنا أمرَكم في بلابلِ[10]

قال ابن هشام: قوله «غير نافل» وقوله «إلى خَيْف رَضوى» عن غير ابن إسحاق.

---

(1) في ا: «الأحب، بالحاء المهملة». وفي الاستيعاب لابن عبد البر: «الأخنس». وقد ساق ابن عبد البر نسبه فقال: «هو أحد المنسوبين إلى أمهاتهم»، وهو بديل بن سلمة ابن خلف بن عمرو بن الأخنس بن مقياس بن حبتر بن عدى بن سلول بن كعب الخزاعى.

(2) يندوهم: يجمعهم في الندىّ، وهو المجلس.

(3) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة، وغير آئل: غير راجع.

(4) نحبو: نعطى. والعقل: الدية.

(5) التلاعة (بالفتح والتخفيف): ماء لبنى كنانة بالحجاز. ويسبقن لوم العواذل: يشير إلى المثل المعروف: «سبق السيف العذل».

(6) بيض (بالفتح): من منازل بنى كنانة بالحجاز: وعتود (بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الواو. وروى بفتح أوله): ماء لكنانة أيضاً. والخيف: ما انحدر من الجبل. ورضوى: جبل بالمدينة.

(7) كذا في ا. والقنابل: جمع قنبلة، وهى القطعة من الخيل.

(8) الغميم: موضع بين مكة والمدينة. وتكفت: حاد عن طريقه. وعبيس: رجل. والجلد: القوى. والحلاحل: السيد.

(9) الجعموس: العذرة. و«أجمرت ... الخ»: أى رمت به بسرعة، وهو كناية عن ضرب من الحدث يسمع وصفه؛ يريد الفزع وعدم الاطمئنان.

(10) البلابل: اختلاط الهم ووساوسه.

شعر حسان فى الحرب بين كنانة وخزاعة

قال ابن هشام :

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لَحَا اللهُ قومًا لم ندعْ من سَرَاتِهِم ... لهم أحَــدًا يَنْدُوهُمُ غيْرَ ناقِبِ (١)

أَخُصْيَىْ حِمارٍ ماتَ بالأمس نوفلاً ... متى كنتَ مِفْلاَحًا عدوّ الحقائِبِ (٢)

شعر عمرو الخزاعى للرسول يستنصره ورده عليه

قال ابن إسحاق :

فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَقَضوا ما كان بينهم و بين رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من العهد والميثاق ، بما استحلّوا من خُزاعة ، وكان فى عَقْده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخُزاعِىُّ ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قَدم على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكّة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهْرانى الناس ، فقال :

يارِبِّ إنّى ناشِــدٌ محمدَا ... حِلْفَ أبينا وأبيــه الأَتْلَدَا (٣)

قد كنتمُ وُلْدًا وكنَّا وَالدَا ... ثُمّتَ أسْلَمنا فلم نَنزِع يدَا (٤)

فانصُرهَدَاك الله نصراً أعتَدا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مدَدا (٥)

فيهم رسولُ الله قد تجرّدَا ... إن سِيم خَسْفا وجهُه تَرَبَّدَا (٦)

فى فَيْلَق كالبَحْر يَجْرِى مُزْبِدا ... إن قريشاً أخْلفوكَ المَوْعِدا (٧)

---

(١) سراة القوم : أشرافهم وخيارهم . ويندوهم : يجمعهم فى النادى ، وناقب : رجل . (عن أبى ذر واللسان) .

(٢) المفلاح : من الفلاح ، وهو بقاء الخير ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهو مايجعله الراكب وراءه إذا ركب . (عن أبى ذر) .

(٣) ناشد : طالب ومذكر . والأتلد : القديم .

(٤) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والولد (بالضم) : بمعنى الولد (بالتحريك) . وأسلمنا : من السلم . قال السهيلى : «لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : « ركعا وسجدا » فدل على أنه كان فيهم من صلى لله فقتل : (راجع الروض) .

(٥) أعتد : حاضر ، من الشىء العتيد ، وهو الحاضر ، والمدد : العون . ٥٢

(٦) تجرد : من رواه بالحاء المهملة ، فمعناه : غضب : ومن رواه بالجيم ، فمعناه : شمر وتهيأ للحرب . وسيم : طلب منه وكلف . والخسف : الذل ، وتربد : تغير إلى السواد .

(٧) الفيلق : العسكر الكثير .

وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ المُؤَكَّدَا ... وجَعَلوا لى فِى كَدَاء رُصَّدا[1]
وزَعموا أنْ لستُ أدعُو أحَدَا ... وهُمْ أذلّ وأقلّ عَدَدا
هُمْ بَيَّتونا بالوَتِير هُجَّدا ... وقَتَلونا رُكَّعا وسُجَّدا[2]

[يقول : قُتِلنا وقد أسْلمنا[3]]

قال ابن هشام : ويروى [أيضا[3]] :

فانصر هداك الله نصرا أيِّدا[4]

قال ابن هشام : ويروى أيضا :

[نحن ولدناك فكنت ولدا[3]]

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتَ ياعمرو بن سالم[5] . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنان[6] من السَّماء ، فقال : إن هذه السَّحابة لتستهلّ بنصر بنى كعب .

ذهاب ابن ورقاء إلى الرسول بالمدينة شاكيا وتعرف أبى سفيان أمره

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قَدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينَة ، فأَخْبروه بما أُصيب منهم ، وبمُظاهرة[7] قُريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشُد العَقْد ، وَيزيد فى المُدة . ومضى بُدَيل ابن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بِعُسفان[8] ، قد بعثته قُريش إلى

---

(1) كداء بوزن سحاب : موضع بأعلى مكة ، ورصد كركع جمع راصد ، وهو الطالب للشىء الذى يرقبه ، ويجوز أن يكون رصدا كسبب ، وهو بمعنى الأول .

(2) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة . والهجد : النيام ، وقد يكون «الهجد» أيضا : المستيقظين ، وهو من الأضداد . ورواية هذا الشعر فى الاستيعاب تخالف روايته هنا تقديما وتأخيراً وزيادة وحذفا .

(3) مابين القوسين ساقط فى ا .

(4) أيدا : قويا ، وهو من الأيد ، وهو القوة .

(5) فى الاستيعاب : « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لانصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب » .

(6) عنان : سحاب .

(7) المظاهرة : المعاونة .

(8) عسفان : على مرحلتين من مكة ، على طريق المدينة . (راجع معجم البلدان) .

رسول الله صلّى الله عليه وسلم ،ليشُد العقد ويَزيد فى المُدة ، وقد رَهِبوا الذى صنعوا . فلما لقى أبو سُفيان بُديْل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بُديل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : تَسَيرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ماجئت محمدا ؟ قال : لا ؛ فلما راح بُديل إلى مكة ، قال أبو سُفيان : لئن جاء بُديل المدينة لقد عَلف بها النوى ، فأتى مَبْرك راحلته ، فأخذ من بَعرها فَفَتّه ، فرأى فيه النّوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيل محمدا .

خروج أبى سفيان إلى المدينة للصلح وإخفاقه

ثم خرج أبو سُفيان حتى قدم على رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليَجْلس على فِراش رسولِ الله صلى الله عليه وسلم طَوتْه عنه ؛ فقال : يابُنَيّة ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفِراش أم رغبت به عنّى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنت رجل مُشرك نجس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : والله لقد أصابك يابُنَية بعدى شرّ . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكلّمه ، فلم يردّ عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلّمه أن يُكلّم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر ابن الخطاب فكلّمه ؛ فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسنُ بن علىّ ، غلام يَدِبّ بين يديها ، فقال : ياعلىّ ، إنك أمسّ القوم بى رحمًا ، وإنى قد جئت فى حاجة فلا أرجعنّ كما جئتُ خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ؛ فقال : ويحك يا أبا سُفيان ! والله لقد عزَم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نَستطيع أن نكلّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بُنَيَّك هذا فيُجيرَ بين الناس ، فيكون سيدَ العرب إلى آخر الدهر ؟

قالت : والله ما بلغ بُنَيَّ ذلك أن يُجير بين الناس ، وما يُجير أحدٌ على رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ؛ قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدّت عليَّ ، فانصحني ؛ قال : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيِّد بني كِنانة ، فقُم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أوترى ذلك مُغْنيا عني شيئا ؟ قال : لا والله ، ما أظنّه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إني قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قُريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمدا فكلّمته ، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئا ، ثم جئت ابن أبي قُحافة ، فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطّاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق :

ثم جئت عليًّا فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشار عليَّ بشيء صنعتُه ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ؛ قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يُغنِي عنك ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدت غيرَ ذلك .

تجهيز الرسول لفتح مكة

وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالجَهاز ، وأمر أهلَه أن يجهّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرّك بعض جَهاز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال : أى بُنَيّة : أأمركم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن تجهّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهزّ ؛ قال : فأين ترَيْنه يُريد ؟ قالت : [لا] والله ما أدرى . ثم إن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجِدّ والتهيّؤ ، وقال : اللهم خذ العُيون والأخبار عن قُريش حتى نَبغَتها[1]

(١) نبغتها : هو من البغتة ، وهو الفجأة ، يقال : بغته الأمر وفجأه : إذا جاءه ولم يعلم به .

شعر حسان فى تحريض الناس

فى بلادها . فتجهّز الناس ، فقال حسان بن ثابت يحرّض الناس ، ويذكر مصاب رجال خُزاعة :

عَنانِى ولم أشْهد ببَطْحاء مكّةٍ رِجالُ بنى كَعْب تُحَزّ رِقابُها[1]
بأيدِى رجالٍ لم يَسلُّوا سيوفَهم وقَتْلَى كثيرٌ لم تُجَنّ ثيابُها[2]
ألا ليتَ شِعْرى هل تنالنّ نُصْرتِى سُهيلَ بن عمرو وخزُها وعِقابُها[3]
وصَفْوانَ عَوْدٌ حَنّ من شُفْر استه[4] فهذا أوانُ الحَرْب شُدّ عِصَابُها
فلا تَأْمَنَنَّا يا بن أُمّ مُجالد إذا احتُلِبت صِرْفا وأعْصَل نابُها[5]
ولا تَجْزعوا منها فإن سيوفَنا لهَا وقعةٌ بالموت يُفْتَحُ بابُها

قال ابن هشام :

قول حسّان : « بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم » يعنى قريشاً ؛ « وابن أم مجالد » يعنى عِكرمة بن أبى جهل .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزبير وغيره من عُلمائنا ، قالوا :

كتاب حاطب إلى قريش وعلم الرسول بأمره

لمـا أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى مكة كتب حاطبُ ابن أبى بَلْتعة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأةً ، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزينة ، وزعم لى غيرُه أنها سارَة ، مولاةٌ لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لهـا

---

(١) عنانى : أهمنى . وفى الديوان : « غبنا فلم نشهد ببطحاء مكة رعاة .... الخ » .
(٢) لم تجن ثيابها : لم تستر . يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا . وموضع هـذا البيت متأخر فى الديوان .
(٣) كذا فى الديوان .
(٤) العود : المسن من الإبل .
(٤) كذا فى الديوان . وفى م : « شعر استه » .
(٥) الصرف : اللبن الخالص هنا . وأعصل : اعوج ، والعصل : اعوجاج الأسنان . ورواية الديوان للشطر الثانى : « إذا لقحت حرب وأعصل نابها » وابن أم مجالد : هو عكرمة ابن أبى جهل .

جُعلا على أن تبلّغه قريشاً ، فجعلته في رَأْسها ، ثم فَتلتْ عليه قُرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبرُ من السماء بما صَنع حاطب ، فبعث عليّ ابنَ أبي طالب والزبيرَ بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبي بَلْتعة بكتاب إلى قريش ، يحذّرهم ماقد أجمعنا له في أمرهم . فخرجا حتى أدركاها بالخليقة[1] ، خليقة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمسا في رَحْلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها عليّ بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كُذِب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا كُذِبنا ، ولتُخرجِن لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنّك . فلما رأت الجدّ منه ، قالت : أعرِض ؛ فأعرض ، فحلّت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم . فدعا رسول الله صلّى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال : ياحاطب ، ماحَملك على هذا ؟ فقال : يارسول الله ، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ماغيّرت ولا بدّلت ، ولكني كنت امرأً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهُرهم ولد وأهلٌ ، فصانَعْتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يارسول الله ، دَعْني فلأضرب عُنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : وما يُدْريك ياعمر ، لعل الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ماشئتم ، فقد غَفرت لكم . فأنزل الله تعالى في حاطب : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ » ، إلى قوله : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ » إلى آخر القصة .

---

(١) الخليقة : كذا وقع هنا بضم الخاء المعجمة فيهما . ورواه الخشنى : « بالخليقة » بفتح الخاء المعجمة فيهما . وفى كتاب ابن إسحاق : بذى الخليقة ، خليقة بنى أبى أحمد ، بضم الخاء المعجمة فيهما ، وبالفاء ، وهو اسم موضع . (عن أبى ذر) .

خروج الرسول في رمضان واستخلافه أبا رهم

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال :

ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم ، كُلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خَلف الغفاريّ ، وخرج لعشر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيد ، بين عُسْفان وأمَج أفطر .

نزولهم مر الظهران وتجسس قريش أخبار الرسول

قال ابن إسحاق :

ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران في عشرة آلاف من المُسلمين ، فسبّعت سُليم ، وبعضهم يقول ألّفت[1] سليم ، وألّفت مزينة . وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم المُهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظهران ، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قريش ، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدْرون ما هو فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سُفيان بن حَرْب ، وحكيم بن حِزام ، وبُديل ابن ورقاء ، يتحسّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

هجرة العباس

قال ابن هشام :

لقيه بالجُحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيما بمكة على سقايته ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزهري .

إسلام أبي سفيان ابن الحارث وعبد الله ابن أمية

قال ابن إسحاق :

وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة قد لقيا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أيضا بنيق العُقاب ، فيما بين مكة

---

(1) سبعت سليم : أي كانت سبع مئة . وألفت : أي كانت ألفا .

والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلّمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصِهْرك ؛ قال : لاحاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصِهْرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سُفيان بُنَىٌّ له . فقال : والله ليأذنَنّ لى أولآخذن بيدى بُنَىّ هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجُوعا ، فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم رقّ لهما ، ثم أذِن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما ، وأنشد أبوسفيان ابن الحارث قولَه فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مضَى منه ، فقال :

شعر أبي سفيان في الاعتذار عما كان فيه قبل إسلامه

لعمركَ إنى يومَ أحمِل رايةً ... لتَغْلِبَ خيلُ اللات خيلَ محمدِ[1]
لكالمُدلج الحيرانِ أظلَمَ ليلُه ... فهذا أوانى حين أُهْدَى وأهتدى[2]
هدانى هادٍ غيرُ نفسِى ونالنِى ... مع[3] الله من طرّدتُ كلَّ مُطرَّد
أصدّ وأنأى جاهداً عن محمد ... وأُدعى وإن لم أنتسب من محمّد[4]
هُمُ ماهُمُ من لم يقُلْ بهَواهمُ ... وإن كان ذا رأىٍ يُلَمْ ويُفَنَّد[5]
أريد لأُرضِيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القوم مالمْ أُهْدَ فى كل مَقْعد[6]
فقل لِثَقيف لا أُريد قِتالَها ... وقل لثقيفٍ تلك: غَيْرِىَ[7] أوعِدى[8]
فما كنت فى الجَيْش الذى نال عامراً ... وما كان عن جرّا لسانى ولا يدى[9]

---

(١) أحمل راية : يريد : أقود الناس للحرب . واللات : صنم من أصنام العرب . وخيل اللات : جيوش الكفر .

(٢) المدلج : الذى يسير بالليل .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ودلنى على الله » وقد آثرنا ما فى (ا) لإجماع الأصول عليها بعد .

(٤) أنأى : أبعد .

(٥) يفند : يلام ويكذب .

(٦) لائط : ملصق . يقال: لاط حبه بقلبى ، أى لصق به .

(٧) كذا فى ا ، وفى م ، ر « عيرى » .

(٨) أوعدى : هددى .

(٩) عن جرا : من جراء .

قبائلُ جاءت من بلاد بَعيدة نزائعُ جاءت من سَهام وسُرْدَد[1]

قال ابن هشام : ويروى « ودَلّنى على الحق من طردت كل مطرد » .

قال ابن إسحاق :

فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قولَه « ونالنى مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى صَدْره ، وقال : أنت طرّدتنى كل مطرد !

قصة إسلام أبى سفيان على يد العباس

فلما نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَرَّ الظَّهْران ، قال العباس ابن عبد المطلب : فقلت : واصباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاكُ قريش إلى آخر الدهر .

قال : فجلست على بغلة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم البيضاء ، فخرجتُ عليها . قال : حتى جئت الأراكَ ، فقلت : لعلىّ أجد بعضَ الحطّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيُخبرهم بمكان رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ليَخْرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يَدْخلها عليهم عنوة . قال : فوالله إنى لأسير عليها ، والتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سُفيان وبُديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سُفيان يقول : مارأيت كالليلة نيرانا قط ولاعسكرا ! قال : يقول بديل : هذه والله خزاعة حَمشتها[2] الحرب قال : يقول أبو سُفيان : خزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرفت صوته ؛ فقلت : ياأباحنظلة ، فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداكَ أبى وأمى ؛ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الناس ، واصباحَ قريش والله ! قال : فما الحيلة ؟ فداكَ أبى وأمى ؛ قال : قلت : والله لئن

---

(١) سهام (بوزن سحاب) ، وسردد (بوزن جؤذر) : موضعان من أرض عك . (انظر الروض) .

(٢) حمشتها الحرب : أحرقتها . ومن قال : حمستها (بالسين المهملة) فمعناه : اشتدت عليها ، وهو مأخوذ من الحماسة ، وهى الشدة والشجاعة .

ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى ، بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفى ورجَع صاحباه ؛ قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأناعليها ، قالوا : عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضْت البغلة ، فسبقتهُ بما تسبق الدابةُ البطيئة الرجلَ البطىء . قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمرُ ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عَقد ولا عهد ، فدَعْنى فلأضرب عنقه ؛ قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد أجرتُه ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لايُناجيه الليلَة دونى رجل ، فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال : مهلا ياعبّاس ، فوالله لإسلامُك يوم أسلمت كان أحبّ إلىّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ، ومابى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعبّاس إلى رَحْلك ، فإذا أصبحتَ فأتِنى به ؛ قال : فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأْنِ[1] لك أن تعلم أنه لاإله إلاالله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك !

---

(١) ألم يأن : ألم يحن ؛ يقال : آن الشىء يئين ، وأنى يأنى (كرمى يرمى) ، وأنى يأنى (من باب فرح) ، كله بمعنى .

والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ؛ قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرفَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعباس ، احبسه بمَضيق الوادى عند خَطْم الجبل[1] ، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال : فخرجتُ حتى حبستهُ بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحْبسه .

عرض جيوش الرسول أمام أبى سفيان

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : ياعباس ، مَن هذه ؟ فأقول : سُليم ، فيقول : مالى ولسُليم ، ثم تمر القبيلة فيقول : ياعباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمُزينة ، حتى نفذت القبائل ، ماتمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام :

وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حِلّزة اليشكرى :

ثم حُجْرا أعنى ابنَ أمّ قَطَامٍ   وله فارســــيَّة خضراء

---

(١) خطم الجبل الخطم : أنف الجبل . وهو شىء يخرج منه ، يضيق به الطريق . ووقع فى البخارى فيه رواية أخرى لبعض الرواة ، وهى : « عند حطم الخيل » (بالحاء المهملة) ، وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضا .

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

لما رأى بدراً تَسِيل جِلاهُهُ بكتيبة خضراء من بلْخَزْرَجِ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق :

فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لايرى منهم إلا الحَدَق من الحديد ، فقال : سبحان الله : ياعباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ؛ قال : مالاحد بهؤلاء قِبَلٌ ولاطاقة ؛ والله يا أبا الفضل ، لقدأصبح مُلك بن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت: يا أباسفيان، إنها النبوّة . قال : فنعم إذن .

رجوع أبى سفيان إلى أهل مكة يحذرهم

قال : قلت : النجاء[1] إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لاقِبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتُلوا الحَمِيتَ الدّسِم الأحْمَس[2] ، قُبِّحَ من طليعة[3] قوم ! قال : ويلكم لاتغرّنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ؛ قالوا : قاتلك الله ، وماتُغنى عنا دارُك ؛ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر .

وصول النبى إلى ذى طوى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشُقّة بُرْدٍ حِبَرة[4] حمراء ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) النجاء : السرعة . تقول : نجا ينجو نجاء : إذا أسرع .

(٢) الحميت : زق السمن ، والدسم : الكثير الودك ، والأحمس هنا : الشديد اللحم . والمعنى على تشبيه الرجل بالزق لعبالته وسمنه .

(٣) الطليعة : الذى يحرس القوم .

(٤) معتجر الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة ، والشقة : النصف . والحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

ليَضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرَّحْل .

إسلام أبي قحافة

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت :

لما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذى طُوًى قال أبو قُحافة لابنة من أصغر ولده : أى بنية ، اظْهَرِى بى على أبى قبيس[1] ؛ قالت : وقد كُفَّ بصره ؛ قالت : فأشرفت به عليه ، فقال: أى بنية ؛ ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ؛ قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلاً ومدبراً ، قال : أى بنية ، ذلك الوازع[2] ، يعنى الذى يأمر الخيل و يتقدّم إليها ؛ ثم قالت : قد والله انتشر السواد ؛ قالت : فقال ، قد والله إذن دُفِعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيلُ قبل أن يصلَ إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق[3] ، فتلقاها رجل ، فيقتطعه من عنقها ؛ قالت : فلما دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يارسول الله ، هو أحقّ أن يَمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ؛ قال . [قالت] : فأجلسه بين يديه ، ثم مَسح صدره ثم قال له . أسلم ، فأسلم ؛ قالت : فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسه ثَغامة[4] ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : غيروا هذا من شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يُجبه أحد ؛ قالت فقال : أى أُخَيَّة ، احتسبى طوقَك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

دخول جيوش المسلمين مكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح أن رسول الله صلى الله

---

(١) اظهرى بى : اصعدى وارتقى . وأبو قبيس : جبل بمكة .

(٢) الوازع : الذى يرتب الجيش ويسويه ويصفه ، فكأنه يكفه عن التفرق والانتشار .

(٣) الطوق هنا : القلادة . والورق : الفضة .

(٤) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو من نبات الجبال ، وأشد ما يكون بياضا إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

عليه وسلّم حين فرّق جيشه من ذى طُوًى ، أمَرَ الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ، وكان الزبير على المُجَنّبة اليسرى ، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء[1] .

تخوف المهاجرين على قريش من سعد وما أمر به الرسول

قال ابن إسحاق :

فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجه داخلاً قال :

اليومُ يوم المَلْحمة ، اليوم تُستَحَلّ الحُرمة ؛ فسمعها رجلٌ من المهاجرين — قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب — فقال : يا رسول الله : اسمعْ ما قال سعد ابن عُبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قريش صَوْلة ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لعلىّ بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه ، فكن أنت الذى تدخل بها .

طريق المسلمين فى دخول مكة

قال ابن إسحاق : وقد حدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح فى حديثه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط ، أسفلَ مكة ، فى بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنِّبة اليمنى ، وفيها أسلم وسُليم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عُبيدة بن الجراح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكة بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضُربت له هنالك قُبّته .

تعرض صفوان فى نفر معه للمسلمين

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح وعبد الله بن أبى بكر :

أن صَفْوان بن أمية وعِكرمة بن أبى جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخَندمة ليُقاتلوا ، وقد كان حِمَاس بن قيس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يُعِدّ

(١) كداء (كسماء) : جبل بأعلى مكة وهي الثنية التي عند المقبرة وتسمى تلك الناحية المعلاة . ودخل النبيّ صلى الله عليه وسلم مكة منها . و (كقرى) : جبل بأسفل مكة ، وخرج منه النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل غير ذلك . (راجع معجم البلدان والقاموس وشرحه) .

سلاحا قبل دُخول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويُصلح منه ؛ فقالت له امرأتُه : لماذا تُعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ؛ قالت : والله ما أراه[1] يقوم لمحمد وأصحابه شيء ؛ قال : والله إني لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم ، ثم قال :

إن يُقبِلوا اليوم فمالي عِلّه ... هذا سلاحٌ كامل وألّه[2]
وذو غِرارين سريع السَّلّه[3]

ثم شهد الخَندمة مع صَفوان وسُهيل وعِكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال ، فقتل كُرز بن جابر ، أحد بني محارب ابن فهر ، وخُنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني مُنقذ ، وكانا في خيل خالد بن الوليد ، فشذّا عنه ، فسلكا طريقا غير طريقه ، فقتلا جميعاً ، قُتل خُنيس ابن خالد قبل كُرز بن جابر ، فجعله كُرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قُتل ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ صَفْراء من بني فِهرْ ... نَقِيةُ الوَجْه نقية الصَّدرْ
لأضرِبنّ اليومَ عن أبي صَخرْ[4]

قال ابن هشام : وكان خُنيس يكنى أبا صخر ؛ قال ابن هشام : خنيس بن خالد ، من خزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن بكر قالا :

وأصيب من جُهينةَ سَلَمة بن المَيْلاء ، من خيل خالد بن الوليد ؛ وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِمَاسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي علىّ بابي ؛ قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

---

(١) كذا في ا . وفي بعض النسخ : ما أرى أنه .

(٢) الألّة : الحربة لها سنان طويل .

(٣) ذو غرارين : سيف ذو حدين .

(٤) يروى هذا الرجز بكسر الهاء في (فهر) والدال في (الصدر) والخاء في (صخر) على مذهب العرب في الوقف على ما أوسطه ساكن فإن منهم من ينقل حركة لام الكلمة إلى عينها في الوقف إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك في النصب (راجع الروض).

إنَّكِ لوشهدتِ يومَ الخَندَمَهْ إذ فر صفوان وفرّ عِكْرِمَهْ
وابو يزيدَ قائم كالمُوتَمَهْ واستقبلتهُمْ بالسُّيوف المُسْلِمَهْ[1]
يقطعنَ كل ساعد وجُمجُمَهْ ضَرْباً فلا يُسْمَع إلاّ غمغمه[2]
لهمْ نَهيتٌ خلْفَنا وهَمهَمَهْ لم تنطِقِى فى اللوم أدنى كلمه[3]

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالموتمه » ، وتروى للرعاش[4] الهُذَلى .

شعار المسلمين يوم الفتح وحنين والطائف

وكان شِعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحُنينٍ والطائف ، شعارُ المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله ، وشعار الأوس : يابنى عُبيدِ الله .

عهد الرسول إلى أمرائه وأمره بقتل نفر سماهم

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لايقاتلوا إلامن قاتلهم ، إلاأنه قد عَهِدفى نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر ابن لؤى .

---

(1) وابو يزيد : قلب الهمزة ألفا ساكنة تخفيفا فى ضرورة الشعر . والمراد بأبى يزيد : سهيل بن عمرو خطيب قريش . والموتمة والموتم بلا همز ، وتجمع على مياتم ، وهى المرأة مات زوجها وترك لها أيتاما . وقال ابن إسحاق فى غير هذه الرواية : « المؤتمة » الأسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ، لأنه تفسير راوى الحديث . وعلى قوله هذا يكون لفظ المؤتمة من قولهم : وتم ، وأتم : إذا ثبت ، لأن الأسطوانة تثبت ماعليها . ويقال فيها على هذا : مؤتمة بالهمز ، وتجمع على مآتم ، وموتمة بلا همز ، وتجمع على : مواتم . (انظر الروض الأنف) .

(2) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .

(3) النهيت : صوت الصدر ، وأكثر مايوصف به الأسد . والهمهمة : صوت فى الصدر أيضا .

(4) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « الرعاس » قال أبو ذر : « الرعاش : يروى ههنا بالسين والشين ، وصوابه بالشين المعجمة لاغير » .

سبب أمر الرسول بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه

وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش، ففرّ إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغَيَّبه حتى أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأنَّ الناس وأهل مكة، فاستأمن له؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا، ثم قال: نعم. فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه: لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلىّ يا رسول الله؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة.

قال ابن هشام: ثم أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر.

قال ابن إسحاق وعبد الله بن خَطَل، رجل من بنى تيم بن غالب:

إنما أمر بقتله أنه كان مسلما، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقا[1]، وبعث معه رجلا من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلما، فنزل منزلا، وأمر المولى أن يذبح له تَيْسا، فيصنع له طعاما، فنام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركا.

أسماء من أمر الرسول بقتلهم وسبب ذلك

وكانت له قَيْنتان: فَرْتَنَى وصاحبتها، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه.

والحويرث ابن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قصىّ، وكان ممن يؤذيه بمكة.

قال ابن هشام: وكان العبّاس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم، ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة، فنخَس بهما الحُوَيرث ابن نُقَيذ، فرمى بهما إلى الأرض.

قال ابن إسحاق ومِقْيس بن حُبابة[2]. وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش

---

(1) مصدقا، بتشديد الدال: جامعا للصدقات، وهى الزكاة.

(2) كذا فى القاموس وشرحه. وفى ا: «ضبابة»، وفى م، ر: «صبابة».

مشركا . وسارَة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب . وعِكرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عِكْرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمّنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن[1] ، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم .

وأما عبد الله بن خَطَل فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومى وأبو بَرْزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ؛ وأما مِقْيس بن حُبابة[2] فقتله نُمَيْلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيس فى قتله :

لعمرى لقد أخزى نُمَيْلَةُ رهطَه ... وفَجّع أضيافَ الشتاء بِمِقْيَسِ
فلله عيناَ من رأى مثلَ مِقْيَسٍ ... إذا النُّفَساء أصبحت لم تُخَرَّس[3]

وأما قينتا ابن خَطَل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استُؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سَارَة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بَقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نُقيذ فقتله على بن أبى طالب .

حديث الرجلين اللذين أمنتهما أم هانئ

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هِنْد عن أبى مُرّة ، مولى عَقيل ابن أبى طالب ، أن أم هانئ بنة أبى طالب قالت :

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلىَّ رجلان من أحْمائى، من بنى مخزوم ، وكانت عند هُبَيْرة بن أبى وَهْب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىُّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما بابَ بيتى ، ثم جئْت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفْنة إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه ، فتوشح به ، ثم صلى ثمانىَ ركَعات من الضُّحى، ثم انصرف إلىّ ، فقال : مرحبا وأهلا

(1) هذه الكلمة (إلى اليمن) ساقطة فى ا .
(2) راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٥٢) .
(3) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام خرس وخرسة (بضم الخاء) ، وإنما أرادت به زمن الشدة .

يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر عليّ ؛ فقال : قد أجرنا من أجرتِ ، وأمّنا من أمّنت ، فلا يقتلهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزُهيرُ بن أبي أميّة بن المُغيرة .

طواف الرسول بالبيت وكلمته فيه

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عُبيد الله بن عبدالله ابن أبي ثَوْر ، عن صَفِيّة بنت شَيْبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكةَ واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيتَ ، فطاف به سَبْعا على راحلته ، يستلم الركن بمِحْجَن[1] في يده ، فلما قضى طوافَه دعا عثمانَ بن طلحة ، فأخذ منه مِفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حَمَامة من عِيدَانٍ ، فكسَرَها بيده ، ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناسُ[2] في المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزَم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثُرة[3] أو دم أو مال يُدّعى فهو تحت قدَمَيّ هاتين إلاّ سَدَانةَ[4] البيت وسِقايةَ الحاج ، ألَاوقتيلُ الخطأ شبهِ العمْد بالسَّوْط والعصا ، ففيه الدِّيةُ مغلظة ، مِئة من الإبلِ ، أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

(١) المحجن : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبعير في يده .

(٢) استكف له الناس : استجمع ، من الكافة ، وهي الجماعة . وقد يجوز أن يكون « استكف » هنا بمعنى نظروا إليه ، وحدقوا أبصارهم فيه ، كالذي ينظر في الشمس ، من قولهم : استكففت الشيء : إذا وضعت كفك على حاجبيك ، ونظرت إليه وقد يجوز أن يكون «استكف» هنا أيضاً بمعنى استدار ، ومنه قول النابغة : «إذا استكف قليلا تربه انهدما» . (عن أبي ذر) . والذي في اللسان : « استكفوه : صاروا حواليه ؛ واستكف به الناس : إذا أحدقوا به » .

(٣) المأثرة : الخصلة المحمودة التي تتوارث ويتحدث بها الناس .

(٤) سدانة البيت : خدمته .

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ). الآية كلها . ثم قال : يامعشر قُرَيش ، ماتُرَوْن أنى فاعل فيكم ؟ قالوا: خيراً ، أخ كريم، وابن أخ كريم ، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

إقرار الرسول ابن طلحة على السدانة

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام إليه على ابن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحِجابة مع السقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان ابن طَلحة ؟ فدُعِى له ، فقال : هاكَ مِفتاحَك يا عثمان ، اليومُ يومُ برٍّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى: إنما أعطيكم ما تُرْزَءون لا ما تَرْزَءون[1] .

أمر الرسول بطمس ما بالبيت من صور

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ! جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام[2] ! ما شأن إبراهيم والأزلام ! « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » . ثم أمر بتلك الصور كلها فطُمِست[3] .

صلاة الرسول بالبيت وتوخى ابن عمر مكانه

قال ابن هشام وحدثنى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلّف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ؟ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه ، وجعلَ الباب قِبَل

---

(١) ماترزءون لا ماترزءون : قال أبو على : «إنما معناه : إنما أعطيتكم ماتمتنون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن ، وأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها ، يعنى كسوة البيت» .

(٢) الأزلام : واحدها زلم ، بضم الزاء وفتحها ، وهى السهام . ويستقسم بها : يضرب بها

(١) طمست : غيرت .

ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع ، ثم يصلّى ، يتوخّى[1] بذلك الموضع الذى قال له بلال .

سبب إسلام عتاب والحارث بن هشام

قال ابن هشام ، وحدثنى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أَسِيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ؛ فقال عتّاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيدا ألاّ يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لوأعلم أنه مُحِق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لوتكلّمت لأخبَرَتْ عنى هذه الحصَى . فخرج عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمتُ الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتّاب : نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أَخْبرك .

سبب تسمية الرسول لحراش بالقتال

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد ابن أبى سَندَر الأسلمى ، عن رجل من قومه ، قال :

كان معنا رجل يقال له أحْمر بأسا[2] ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غَطَّ[3] غطيطا مُنْكَرا لايخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات مُعْتَنِزاً[4] ، فإذا بُيِّت الحى[5] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شىء . فأقبل غَزِىٌّ[6] من هُذَيل يريدون حاضره ، حتى إذادنوا من الحاضر[7] ، قال ابنُ الأثوع الهذلى : لا تعجلوا علىّ حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سَبيل إليهم ، فإن له غطيطا لا يخفى ، قال فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صَدْره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصَرخوا يا أحمر ،

(١) يتوخى : يقصد .
(٢) علق أبو ذر على هذا الاسم بأنه جملة مركبة ، ولعله يريد أنه « احمر » بتشديد الراء ، فيكون منقولا من جملة فعلية مثل : « تأبط شرا » .
(٣) الغطيط : مايسمع من صوت الآدميين إذا ناموا .
(٤) معتنزا : أى ناحية من الحى . يقال : هذا بيت معتنز : إذا كان خارجا عن بيوت الحى .
(٥) بيت الحى : غزوا ليلا .
(٦) الغزى : جماعة القوم يغزون .
(٧) الحاضر : الذين ينزلون على الماء .

ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغدُ من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكه ، فرأته خُزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فَمَه[1] ؟ قال : إذْ أقبلَ خِراش ابن أمية مشتملا على السيف ، فقال : هكذا عن الرجُل[2] ، ووالله ما نَظن إلا أنه يريد أن يُفَرِج الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه ، فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحِشْوَته[3] تَسيل من بطنه ، وإن عينيه لَتُرَنِّقَانِ[4] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا مَعشرَ خُزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ[5] فوقع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا مَعشر خُزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأَدِيَنَّهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حَرْملة الأسْلمى ، عن سعيد ابن المسيِّب ، قال :

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِراش بن أُمية ، قال : إن خِراشا لقَتَّال ؛ يعيبه بذلك .

ما كان بين أبى شريح وابن سعيد حين ذكره بحرمة مكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المَقبُرِىُّ عن أبى شُرَيح الخُزاعى ، قال :

---

(١) فه : هى ما الاستفهامية ، حذفت ألفها واجتلبت هاء السكت فى الوقف . ومعناه : فما الذى تريدون أن تصنعوه ؟

(٢) قال أبو ذر : «هكذا : اسم سمى به الفعل ، ومعناه تنحوا عن الرجل . وعن : متعلقة بما فى هكذا من معنى الفعل » . ويفهم من قول خراش « هكذا » أشارته بيديه إلى الناس ليتنحوا عن ابن الأثوع ، وليس يريد أنه من أسماء الأفعال .

(٣) الحشوة (بالكسر) : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها .

(٤) لترنقان : يريد أنهما قريبان أن تنغلقا . يقال : رنقت الشمس ، إذا دنت للغروب ، ورنقه النعاس ، إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه . قال الشاعر :

وسنان أقصده النعاس فرنقت   فى عينه سنة وليس بنائم

(٥) انجعف : سقط سقوطا ثقيلا . يقال : انجعفت الثمرة ، إذا انقلعت أصولها فسقطت .

لما قدم عَمْرو بن الزبير[1] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزُّبير ، جئته ، فقلت له : ياهذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عَدَتْ خُزاعة على رجل من هُذَيْل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إن الله حَرَّم مكّة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يَحِل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسْفِك فيه دما ، ولا يَعْضِدَ[2] فيها شجرا ، لم تَحْلِل لأحد كان قبلى ، ولا تَحِلّ لأحد يكون بعدى ، ولم تُحلَلْ لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس ، فليبلغِّ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله [قد][3] قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يُحْلِلْها لكم ، يا معشر خُزاعة ، ارفعوا أيديَكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إنْ نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّهُ ، فمن قُتِل بعد مَقامى هذا فأهله بخير النَّظَرَين : إن شاءوا فدَم قاتله ؛ وإن شاءوا فعَقْلُهُ . ثم وَدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خُزاعة ؛ فقال عمرو لأبى شُرَيح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك ، إنها لا تمنع سافكَ دم ، ولاخالعَ طاعة ، ولامانع جزْية ؛ فقال أبوشُرَيح : إنى كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أمَرَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبَلِّغ شاهدُنا غائبَنا ، وقد أبلغتُكَ ، فأنت وشأنك .

أول قتيل وداه الرسول يوم الفتح

قال ابن هشام : و بلغنى أن أول قتيل وَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدِب بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوَداه بمئة ناقة .

---

(١) قال السهيلى : هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : وهو عمرو بن سعيد بن العاص ابن أمية ، وهو الأشدق . . . وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية . هذا ماذهب إليه السهيلى . وقد نقل ابن أبى الحديد عن المسعودى فى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ٤٩٥) ما يثبت أن قتالا كان بين عمرو بن الزبير وأخيه عبد الله . قال : « كان يزيد بن معاوية قد ولّى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة » فسرح منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله ابن الزبير ، عليه عمرو بن الزبير أخوه ، وكان منحرفا عن عبد الله ، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجرداً ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات » .

(٢) لايعضد : لايقطع .

(٣) زيادة عن ا .

تخوف الأنصار من بقاء الرسول فى مكة وطمأنة الرسول لهم

قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد :

أن النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو [الله](1) ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرَون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرَغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شىء يا رسول الله ؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مَعاذَ الله ! المَحْيا محيا كم ، والمَمات مماتكم .

سقوط أصنام الكعبة بإشارة من الرسول

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل الرواية فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرَّصاص ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسد الخزاعىّ فى ذلك :

وفى الأصنام مُعتَبَر وعِلْم ... لمن يَرْجو الثوابَ أو العقابا

كيف أسلم فضالة

قال ابن هشام ، وحدثنى :

أن فَضالة بن عُمَير بن المُلَوِّح الليثىّ أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عامَ الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أفَضالة قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ؛ قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شىء ، كنت أذكر الله ؛ قال : فضحك النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استَغْفِر الله ، ثم وضع يده على صدْره ، فسكن قلبه ؛ فكان فَضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما مِنْ خَلْقِ الله شىء أحبُّ إلى منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضالة يقول :

(1) هذه الكلمة ساقطة فى أ .

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا   يَأْبَى عليكِ اللهُ والإسلامُ
لَوْ ما رأيتِ محمداً وقَبِيلَه   بالفتح يومَ تَكسَّرُ الأصنامُ
لرأيتِ دينَ الله أضحى بيِّنا   والشركُ يغشَى وجهَه الإظلامُ

أمان الرسول لصفوان بن أمية

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر عن عروة بن الزبير قال :

خرج صفوان بن أمية يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَيْر بن وَهْب : يا نبيّ الله إن صفوان بن أمية سيّد قومه ، وقد خرج هارباً منك ، ليقذف نفسه فى البحر ، فأَمِّنْه ، صلّى اللهُ عليكَ ؛ قال : هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ، فأعطنى آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عِمامَته التى دخل فيها مكة ، فخرج بها عُمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : يا صفوان ، فِدَاكَ أبى وأمى ، أللهَ أللهَ فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ؛ قال : ويحك ! اغْرُبْ عنّى فلا تكلمْنى ؛ قال : أَى صفوان ، فَدَاكَ أبى وأمى ، أفضلُ الناس ، وأبرُّ الناس ، وأحلم الناس وخير الناس ، ابن عمك ، عزُّه عزُّك ، وشرفه شرفك ، ومُلْكه ملكك ؛ قال : إنى أخافه على نفسى ؛ قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أَمَّنْتَنى ؛ قال : صدق ؛ قال : فاجعلنى فيه بالخِيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعُمير : وَيْحَكَ ! اغْرُبْ عنى ، فلا تكلمْنى ، فإنك كذاب ، لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى :

أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد ـ وكانت فاختة عند صَفْوان بن أُمية ، وأمّ حكيم عند عِكْرِمة بن أبى جهل ـ أسلمَتا ؛ فأما أم حكيم فاستأْمَنَت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعِكْرمة ، فأمَّنَه ، فلحقتْ به

باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عِكْرمة وصفوان أقرّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول .

إسلام ابن الزبعرى وشعره في ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

قال رَمى حسانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تَعْدَمَنْ رجُلا أحَلَّك بُغْضُهُ ... نجرانَ فى عَيْشٍ أَحَذَّ لئيم[1]

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسولَ المليكِ إنّ لِسانى ... راتقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ[2]

إذْ أُبارِى الشيطان فى سَنَنِ الْغَىِّ ... ومَنْ مالَ ميلَه مَثْبور[3]

آمَنَ اللحْمُ والعظامُ لربِّى ... ثم قلبى الشهيدُ أنتَ النَّذير

إنَّنى عنك زاجرٌ ثَمَّ حَيًّا ... من لُؤَىٍّ وكلُّهُمْ مَغْرُور

قال ابن إسحاق :

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى أيضاً حين أسلم :

منع الرقادَ بلابلٌ وهمومُ ... والليلُ مُعْتَلِجُ الرِّواق بَهِيمُ[4]

مِمّا أتانى أن أحمدَ لامَنِى ... فيهِ فبتُّ كأنَّنى محموم

يا خيرَ مَنْ حملَتْ على أوْصالِها ... عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُوم[5]

---

(١) أحذ (بالحاء المهملة والذال المعجمة) : هو القليل المنقطع . ومن رواه : أجد ، (بالجيم والدال المهملة) : فمعناه منقطع أيضا . وقد يجوز أن يكون معناه : فى عيش لئيم جدا . (عن شرح أبى ذر) .

(٢) الراتق : الساد ، تقول : رتقت الشىء ، إذا سددته . قال الله تعالى : «كانتا رتقا ففتقناهما. وفتقت : يعنى فى الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق . ومن أجل ذلك قيل للتوبة نصوح ، من نصحت الثوب إذا خطته ، والنصاح : الخيط . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور .

(٣) أبارى : أجارى وأعارض . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور : هالك

(٤) البلابل : الوساوس المختلطة والأحزان . معتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . والبهيم : الذى لاضياء فيه .

(٥) عيرانة : ناقة تشبه العير فى شدته ونشاطه . والعير هنا : حمار الوحش . وسرح اليدين : خفيفة اليدين . وغشوم : لاترد عن وجهها . ويروى : (سعوم) وهى القوية على السير . ويروى أيضا (رسوم) ومعناه أنها ترسم الأرض وتؤثر فيها ، من شدة وطئها .

إنى لمعتذرٌ إليك مِنَ الّذى ... أسديتُ إذْ أنا فى الضلال أهِيم[1]
أيّامَ تأمُرُنِى بأغوى خُطّةٍ ... سَهْمٌ وتأمُرُنى بها مَخْزُوم
وأمُدُّ أسباب الرَّدَى ويقودُنى ... أمْرُ الغُواةِ وأمرهم مَشْئُوم[2]
فاليومَ آمنَ بالنبىّ محمــدٍ ... قلْبِى ومُخطِئُ هـذهِ مَحْروم
مَضَتِ العَداوةُ وانقضتْ أسْبابُها ... ودَعَتْ أواصرُ بيننا وحُلُوم[3]
فاغفر فِدًى لك والداى كلاهما ... زَلَلِى، فإنك راحم مرحوم
وعليك من عِلْمِ المليك علامة ... نور أغــرُّ وخاتم مختوم
أعطاكَ بعــد محبةٍ برهانَه ... شرَفًا وبُرْهان الإله عظيم
ولقد شَهِدت بأن دِينَكَ صادقٌ ... حقٌّ وأنك فى العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مُصْطَفًى ... مُسْتقبل فى الصالحين كريم[4]
قَرْم علا بُنْيانه من هاشم ... فَرْع تمكن فى الذُّرا وأُرُوم[5]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنْكرها له.

قال ابن إسحاق:

بقاء هبيرة على كفره وشعره فى إسلام زوجه أم هانئ

وأما هُبيرة بن أبى وَهْبٍ المخزومىُّ فأقام بها حتى مات كافرا، وكانت عنده أم هانئْ بنة أبى طالب، واسمها هِنْد، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانئْ:

أشاقتكَ هندٌ أم أتاك سؤالُها[6] ... كذاكَ النَّوى أسبابُها وانفتالُها[7]
وقد أرّقَتْ فى رأس حِصْن ممنَّع ... بنجرانَ يسرِى بعدَ لَيلٍ خيالُها[8]

---

(1) أسديت: صنعت وحكيت، يعنى ما قال من الشعر قبل إسلامه. وأهيم: أذهب على وجهى متحيرا.

(2) الردى: الهلاك.

(3) الأواصر: جمع آصرة، وهى قرابة الرحم بين الناس.

(4) مستقبل: منظور إليه ملحوظ.

(5) قرم: سيد. وأصله الفحل من الإبل. والذرا: الأعالى، جمع ذروة. والأروم: الأصول، جمع أرومة (بفتح أوله وضمه).

(6) كذا فى م، ر. وفى ا: «نآك». قال أبو ذر فى شرحه: «نآك: أى بعد عنك، والنأى: البعد».

(7) وانفتالها: أى تقلبها من حال إلى حال. ويروى: «وانتقالها».

(8) أرقت: أزالت النوم. ونجران: بلد من اليمن.

وعاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تَلُومُنِي ... وتَعْذِلُنى بالليـــلِ ضَلَّ ضلالُها[1]
وتَزْعُمُ أنى إن أطَعْتُ عَشيرتى ... سأُرْدَى وهل يُرْدِينِ إلا زيالُها[2]
فإنى لِمَنْ قوم إذا جدَّ جِدُّهم ... على أىِّ حالٍ أصبح اليوم حالُها
وإنى لحامٍ من وراء عشيرتى ... إذا كان من تحت العوالى مجالُها[3]
وصارت بأيديها السيوف كأنها ... مخاريقُ وِلْدانٍ ومنها ظِلالُها[4]
وإنى لأَقلَى الحاسدينَ وفعلَهُمْ ... على الله رزقى نفسُها وعيالُها[5]
وإن كلام المرء فى غير كُنهِهِ ... لكالنَّبْل تهوى ليس فيها نِصالُها[6]
فإنْ كنتِ قد تابعت دِينَ محمدٍ ... وعَطَّفَتِ الأرحامَ منك حبالُها
فكونى على أعلى سَحيقٍ بهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ غَـــبراءَ يَبْسٍ بِلالُها[7]

قال ابن إسحاق: ويروى: «وقطعت الأرحامَ منك حبالُها».

عدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق:

وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرةَ آلاف. من بنى سُلَيم سبع مئة. ويقول بعضهم: ألف؛ ومن بنى غِفار أربع مئة، ومن أَسْلَمَ أربع مئة؛ ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قُرَيش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تَميم وقيس وأسد.

شعر حسان فى فتح مكة

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى[8]:

---

(1) هبت: استيقظت. وضل ضلالها: دعاء عليها بالضلال.
(2) سأردى: سأهلك. وزيالها: ذهابها.
(3) العوالى: أعالى الرماح.
(4) المخاريق: جمع مخراق، وهى مناديل تلف ويمسكها الصبيان بأيديهم، يضرب بها بعضهم بعضا، شبه السيوف بها.
(5) قلاه: (كرماه ورضيه، قلى وقلاء ومقلية): أبغضه وكرهه غاية الكراهة، فتركه. ونفسها وعيالها: يريد نفسه وعياله.
(6) كنهه: حقيقته. والنصال: حديد السهام.
(7) السحيق: البعيد. والهضبة: الكدية العالية. والململمة: المستديرة. والغبراء التى علاها الغبار. ويبس: يابسة.
(8) وردت هذه القصيدة فى ديوان حسان المطبوع بأوربا بزيادة بعض الأبيات واختلاف فى ترتيب بعض.

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ ... إلى عَذْراءَ منزلُها خَلاَءُ[1]

دِيارٌ من بني الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الروامسُ والسَّماءُ[2]

وكانتْ لا يزالُ بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ[3]

فدَعْ هذا، ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُني إذا ذهبَ العِشاءُ[4]

لِشَعْثاءَ التي قد تَيَّمَتْهُ ... فليسَ لقلبه منها شِفاءُ[5]

كأن خبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ[6]

إذا ما الأَشْرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فهنَّ لطيِّبِ الراحِ الفِداءُ[7]

نولِّيها الملامةَ إنْ أَلَمْنَا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحَاءُ[8]

ونشربُها فتتركُنا ملوكًا ... وأُسْدًا ما يُنَهْنِهُنا اللقاءُ[9]

عَدِمْنا خيلَنا إنْ لم تَرَوْها ... تُثيرُ النقعَ موعدُها كَدَاءُ[10]

---

(١) عفت: تغيرت ودرست. ذات الأصابع والجواء: موضعان بالشام، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني، وكان حسان كثيرا مايرد على ملوك غسان بالشام يمدحهم، فلذلك يذكر هذه المنازل. وعذراء: قرية على بريد من دمشق.

(٢) بنو الحسحاس: حي من بني أسد. وأصل الحسحاس الرجل الجواد، ولعله مراد هنا. والروامس: الرياح التي ترمس الآثار أي تغطيها. والسماء: المطر. (عن السهيلي).

(٣) النعم: المال الراعي، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل، والشاة من الغنم، يقع على الذكر والأنثى، والجمع شاء وشياه.

(٤) الطيف: خيال المحبوبة يلم في النوم. ويؤرقني: يسهرني. يريد أن الطيف إذا زال عنه وجد له لوعة تؤرقه.

(٥) شعثاء: اسم امرأة، قيل هي بنت سلام بن مشكم اليهودي، كما في السهيلي، وقيل هي امرأة من خزاعة، كما في نوادر ابن الأعرابي، وقيل غير ذلك.

(٦) الخبيئة: الخمر المخبوءة المصونة المضنون بها. وبيت رأس: موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة. وبعد هذا البيت في الديوان المطبوع بأوربا:

على أنيابها أو طعم غض ... من التفاح هصره اجتناء

وعلق عليه السهيلي فقال: البيت موضوع، لا يشبه شعر حسان ولا لفظه.

(٧) الأشربات: جمع الأشربة، والأشربة: جمع شراب. يريد أن الأشربة غير راح بيت رأس لا تدانيها في اللذة.

(٨) نوليها الملامة: نصرف اللوم إليها. إن ألمنا: إن فعلنا ما نستحق عليه اللوم. يقال: ألام الرجل فهو مليم. والمغث: الضرب باليد. واللحاء: السباب.

(٩) ينهنهنا: يزجرنا ويردنا.

(١٠) النقع: الغبار. وكداء (بوزن سحاب): ثنية بأعلى مكة (راجع الحاشية الأولى ص ٤٩).

ينازعن الأعنَّـةَ مُصْغِياتٍ ... على أكتافها الأَسَـلُ الظِّماءُ[١]

تظلُّ جِيادنا مُتَمَطِّراتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّسَاءُ[٢]

فإمَّا تُعْرِضُوا عنَّا اعْتَمَرْنا ... وكان الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ[٣]

وإلا فاصـبِرُوا لِجلادِ يَوْمٍ ... يُعِينُ اللهُ فيـه من يشاءُ[٤]

وجـبريلٌ رسولُ اللهِ فينا ... ورُوحُ القُدُسِ ليس له كِفاءُ[٥]

وقال الله قد أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البَلاءُ[٦]

شَهِدتُ به فَقُومُوا[٧] صَدِّقوهُ ... فقلتم لانقوم ولا نَشاء

وقَالَ اللهُ قد سيَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ[٨]

لنا في كل يوم من مَعَـدٍّ ... سِـباب أو قِتال أو هِجاء

فنُحْـكِمُ بالقوافي من هَجانا ... ونَضْرِب حين تختلِط الدماءُ[٩]

---

(١) الأعنة : جمع عنان وهو اللجام . والمصغيات : الموائل المنحرفات للطعن . والأسل : الرماح . والظماء : العطاش . ويروى : (يبارين الأسنة) بدل : (ينازعن الأعنة) ، و (مصعدات) بدل مصغيات .

(٢) المتمطرات : قيل معناه المصوبات بالمطر . ويقال : المتمطرات : التي يسبق بعضها بعضا . ويلطمهن : تضرب النساء وجوههن لتردهن . والخمر : جمع خمار ، وهو ماتغطى به المرأة رأسها ووجهها . أى أن النساء كن يضربن وجوه الخيل بخمرهن يوم الفتح . قال السهيلي : وقال ابن دريد في الجمهرة : كان الخليل رحمه الله يروى بيت حسان : (يطلمهن بالخمر) وينكر : (يلطمهن) ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما عليهن من غبار أو نحو ذلك .

(٣) اعتمرنا : أدينا مناسك العمرة ، وهى زيارة بيت الله الحرام .

(٤) الجلاد : القتال بالسيوف . ويروى : (يعز الله) بدل (يعين الله) .

(٥) كفاء : مثل .

(٦) البلاء : الاختبار .

(٧) رواية الديوان : (وقومى) .

(٨) عرضتها اللقاء : عادتها أن تتعرض للقاء ، فهى قوية عليه .

(٩) نحكمه : نمنعه ونكفه ، ومنه سمى القاضى حاكما ، لأنه يمنع الناس من الظلم .

أَلا أبلغْ أَبا سُفيانَ[1] عَنِّى ... مُغَلْغَلَةً[2] فقد بَرِحَ الخَفَاء

بأنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً ... وعبد الدَّارِ سَادَتُها الإِمَاء[3]

هَجَوْتَ محمدا وأجبتُ عنهُ ... وعنـدَ اللهِ فى ذاكَ الجزاء

أتهجوه ولستَ له بكفء ... فشرُّكما لخيركما الفِداء

هجوتَ مباركا بَرًّا حَنيفاً ... أمينَ اللهِ شيمتُه الوفاء[4]

أَمَن يهجو رسولَ اللهِ منكمْ ... ويمدحه وينصرهُ سَواء ؟

فإن أبى ووالده وعِرضى ... لعرض محمدٍ منكم وقاء

لسانى صارم لاعيبَ فيه ... وبحرى لا تكدره الدِّلاء

قال ابن هشام : قالها حسان يوم الفتح . ويروى «لسانى صارم لاعتب فيه» .

وبلغنى عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يَلْطِمْن الخيلَ بالخُمُر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

شعر أنس ابن زنيم فى الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم

قال ابن إسحاق :

وقال أنس بن زُنَيْم الدِّيلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عَمرو بن سالم الخزاعى :

أَأَنت الذى تُهْدى مَعَدٌّ بأمرِهِ ... بَلِ اللهُ يَهْدِيهمْ وقالَ لَكَ اشْهَدِ

ومَاحملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلِها ... أَبرَّ وأوفَى ذمةً من محمد

أَحَثَّ على خيرٍ وأسبغَ نائلا ... إذا راحَ كالسيفِ الصقيلِ المهنَّد

---

(1) أبو سفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبى ، وكان هجا النبى قبل أن يسلم .

(2) مغلغلة : رسالة ترسل من بلد إلى بلد . ورواية هذا البيت فى الديوان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى ... فأنت مجوف نخب هواء

والمجوف : الخالى الجوف ، يريد به الجبان . وكذلك النخب والهواء .

(3) يريد أن سيوف الأنصار جعلت أبا سفيان كالعبد الذليل يوم فتح مكة ، وأن سادة بنى عبد الدار صاروا كالإماء فى المذلة والهوان .

(4) الحنيف : المسلم ، وسمى حنيفا لأنه مال عن الباطل إلى الحق . وشيمته : طبيعته .

وأكْسَى لِبُرْدِ الخَالِ قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجرِّدِ[1]
تعــلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ مُدْرِكِى ... وأنَّ وَعيداً مِنكَ كالأخذِ باليدِ[2]
تَعَــلَّمْ رسولَ اللهِ أنكَ قادر ... على كل صِرْمٍ مُتْهِمِين ومُنجد[3]
تَعَــلَّمْ بأن الركبَ ركْبُ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكاذبونَ المُخْلِفُو كلِّ مَوْعِدِ
وَنبَّوْا رسولَ اللهِ أنِّى هجوتُه ... فلا حملَتْ سوطِى إلىَّ إذَنْ يَدِى
سِوى أنى قد قلتُ ويلُ امِّ فِتْيَةٍ ... أُصِيبُوا بنحْسٍ لا بطلْقٍ وأسْعُدِ[4]
أصابَهُمُ مَنْ لَمْ يكُنْ لدِمائِهِمْ ... كِفاءً فعزتْ عَـبْرَتِى وتَبَـلُّدِى[5]
فَإنكَ قدْ أخفرتَ إنْ كنتَ ساعياً ... بعبد بن عبــد الله وابنة مَهْوَدِ[6]
ذُؤَيب وكُلثوم وسَلْمى تتابعوا ... جميعاً فإلاَّ تدمَع العــينِ أَكْمَدِ[7]
وسَلْمى وسَلْمى ليس حَىٌّ كمثله ... وإخوتِهِ وهل ملوكٌ كأَعْبُدِ ؟
فإنى لا دِيناً فَتَقْتُ ولا دَمًا ... هَرَقْتُ تبينْ عالِمَ الحق واقْصِدِ

شعر بديل في الرد على ابن زنيم

فأجابه بُدَيْل بن عبد مناف بن أم أصْرَم ، فقال :

بكى أَنَسٌ رَزْناً فأعولَهُ البُكا ... فَأَلاَّ عَدِيًّا إذْ تُطَلُّ وتُبْعَدُ[8]
بكيتَ أبا عَبْسٍ لقُرْب دمائها ... فتُعذِرَ إذْ لا يُوقدُ الحربَ مُوقد

(١) الخال : ضرب من برود اليمن ، وهو من رفيع الثياب . والسابق (هنا) : الفرس . والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فيسبقها .

(٢) تعلم : اعلم . والوعيد : التهديد .

(٣) صرم: بيوت مجتمعة . ومتهمين : ساكنين فى التهام ، وهى المنخفض من الأرض . والمنجد : من يسكن النجد ، وهو المرتفع .

(٤) الطلق : الأيام السعيدة ، ويقال : يوم طلق إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شىء يؤذى ، وكذلك ليلة طلق وطلقة (بسكون اللام فيهما) .

(٥) تبلدى : تحيرى . ويروى : تجلدى ، أى تصبرى .

(٦) أخفرت : نقضت العهد .

(٧) أكمد : من الكمد ، وهو الحزن .

(٨) العويل : رفع الصوت بالبكاء . وتطل : يبطل دمها ولا يؤخذ بثأرها .

أصابهمُ يومَ الخنادِمِ فتيةٌ كِرامٌ فسَلْ، منهم نُفيلٌ ومَعْبَدُ(١)
هنالك إن تسفحْ(٢) دموعُك لا تُلَمْ عليهم وإن لم تدمعِ العينُ فا كِدُوا(٣)

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

شعر بجير فى يوم الفتح

قال ابن إسحاق: وقال بُجيرُ بن زُهيرِ بن أبي سُلْمى فى يوم الفتح:

نَفَى أهلَ الحَبَلَّقِ كلَّ فَجٍّ مزينةُ غُدْوةً وبنو خُفافِ(٤)
ضربناهمْ بمكة يومَ فتحِ النَّبيِّ الخَيْرِ بالبِيض الخِفافِ(٥)
صَبَحْناهم بسبعٍ من سُلَيْمٍ وألفٍ من بنى عُثْمانَ وافِ(٦)
نَطَا أكتافَهُمْ ضرباً وطَعناً(٧) ورَشْقاً بالمرَيَّشَةِ اللِّطافِ(٨)
تَرَى بين الصفوف لها حفيفا كما انصاع الفُواقُ من الرِّصافِ(٩)
فَرُحْنا والجيادُ تجول فيهمْ بأرماحٍ مُقوَّمَةِ الثِّقافِ
فأُبْنا غانمين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخِلافِ
وأعطينا رسولَ اللهِ منَّا مَواثِقنا على حُسْنِ التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهمُّوا غداةَ الرَّوْعِ منا بانصرافِ

---

(١) يوم الخنادم: أراد يوم الخندمة، فجمعها مع ما حولها، وهى جبل بمكة.
(٢) تسفح: تسيل.
(٣) فى ا: فاكمد (بكسر الدال) على أنه أمر للواحد، وبهذه الرواية يكون فى البيت إقواء.
(٤) قال السهيلى: «الحبلق» أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس. والحبلق: الغنم الصغار. ولعله أراد بقوله: «أهل الحبلق» أصحاب الغنم. وبنو خفاف: بطن من سليم.
(٥) الخير: أى ذو الخير، ويجوز أن يريد الخيِّر، بتشديد الياء، فخفف، كما يقال هين وهيْن (بالتشديد والتخفيف).
(٦) بسبع: أى بسبع مئة. وبنو عثمان: هم مزينة.
(٧) كذا فى م، ر. وفى ا: «أكنافهم» بالنون. والأكناف: الجوانب.
(٨) نطا: أراد نطأ، فخفف الهمزة. والرشق: الرمى السريع، والمريشة: يعنى السهام ذوات الريش.
(٩) الحفيف: الصوت. وانصاع: انشق. والفواق هنا: الفوق، وهو طرف السهم الذى يلى الوتر. والرصاف: جمع رصفة، وهى عصبة تلوى على فوق السهم.

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السُّلمى فى فتح مكة :

شعر ابن مرداس فى فتح مكة

مِنّا بمكة يومَ فتحِ محمدٍ ... ألفٌ تسيلُ به البطاحُ مُسَوَّمُ (١)

نصرُوا الرسولَ وشاهدوا أيامَه ... وشِعارُهُمْ يومَ اللقاءِ مُقَدَّمُ (٢)

فى مَنْزِلٍ ثبتت به أقدامُهُمْ ... ضَنْكٍ كأن الهامَ فيه الحَنْتَمُ (٣)

جَرَّت سنابكَها بنجدٍ قبلَها ... حتى استقاد لها الحجازُ الأدهمُ

اللهُ مكّنَه له وأذلّه ... حكمُ السيوفِ لنا وجَدٌّ مِزْحَمُ (٤)

عَوْدُ الرياسةِ شامخٌ عِرنينُهُ ... متطلعٌ ثُغَرَ المكارمِ خِضْرِمُ (٥)

إسلام عباس بن مرداس

سبب إسلام ابن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مِرْداس ، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مِرْداس وَثَنٌ يعبده ، وهو حجر كان يقال له ضَمارِ (٦) ، فلما حضر مِرْداس قال لعباس : أى بنى ، أَعْبُدْ ضَمارِ فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس يوما عند ضَمار إذ سمع من جوف ضَمارِ مناديا يقول :

قُلْ للقبائل من سُلَيْمٍ كُلِّها ... أودى ضَمارِ وعاشَ أهلُ المَسْجِدِ (٧)

إنَّ الذى وَرِثَ النبوةَ والهُدَى ... بعد ابن مريمَ من قريشٍ مُهْتَدِى

أَودَى ضَمارِ وكان يُعْبَدُ مرةً ... قبلَ الكتابِ إلى النبى محمّدِ

فحَرّق عباس ضَمارِ ، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم .

---

(١) البطاح : جمع بطحاء ، وهى الأرض السهلة المتسعة . ومسوم : أى مرسل ، أو هو المعلم بعلامة .

(٢) شعارهم : علامتهم فى الحرب .

(٣) ضنك : ضيق . والهام : الرءوس : والحنتم . الحنظل .

(٤) مزحم : كثير المزاحمة ، يريد أن جدهم غالب .

(٥) العود (هنا) : الرجل المسن . وشامخ : مرتفع . والعرنين : طرف الأنف . والخضرم : الجواد الكثير العطاء .

(٦) ضمار : هو بالبناء على الكسر كحذام ورقاش .

(٧) أودى : هلك . والمسجد (هنا) : مسجد مكة ، أو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم

شعر جعدة في يوم الفتح

قال ابن هشام : وقال جَعدة بن عبد الله الخُزاعيُّ يوم فتح مكة :

أكعبَ بن عمرو دعوةً غير باطل ... لِحَــيْنٍ له يوم الحديد مُتَاحِ [1]
أُتِيحَتْ له من أرضه وسمائه ... لتقتله لَيْلاً بغـــير سلاح
ونحن الأُلَى سَدَّتْ غزالَ خيولُنا ... ولِفْتاً ســدناه وفَجَّ طِلاح [2]
خَطَرنا وراءَ المسلمين بجَحْفَل ... ذَوِى عَضُــد من خيلنا ورِماح [3]

وهذه الأبيات في أبيات له.

شعر بجيد في يوم الفتح

وقال بُجَيْد [4] بن عِمْران الخُزاعىّ :

وقد أنشأ اللهُ السحاب بنصرنا ... رُكامَ سَحابِ الهَيْدَبِ المتراكِبِ [5]
وهِجْرتنا في أرضــنا عندنا بِها ... كتابٌ أتى من خير مُمْلٍ وكاتب
ومِنْ أجْلِنا حَلَّتْ بمكة حُرْمة ... لِندرِكَ ثأرا بالسيوفِ القواضب [6]

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة [7] من كنانة ومسير علىّ لتلافى خطأ خالد

وصاة الرسول له وما كان منه

قال ابن إسحاق :

وقد بَعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما حول مكةَ السَّرايا ، تدعو

---

(١) الحين : الهلاك . ومتاح : مقدر .

(٢) الألى : الذين . وغزال : اسم موضع (يصرف ولايصرف) . ولفت : موضع أيضا . وفج طلاح : موضع . ويحتمل أن يكون طلاح جمع طلح ، الذى هو الشجر ، وأضيف الفج إليه .

(٣) خطرنا : اهتززنا . ويروى حظرنا « بالحاء المهملة والظاء المعجمة » ومعناه : منعنا . والجحفل : الجيش الكثير .

(٤) كذا في (ا) وفي م ، ر : «نجيد» بالنون في أوله . وبالنون قيده الدارقطني . (عن أبي ذر) .

(٥) المتراكب : الذى يركب بعضه بعضا . والهيدب : المتدانى من الأرض . وفي م و ر : «الهيدم » بالميم في آخره .

(٦) القواضب : القواطع .

(٧) تعرف هذه السرية بغزوة الغميصاء ، وهو اسم ماء لبنى جذيمة .

إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالدُ ابن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفلِ تهامة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطِئ بنى جَذِيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مِرْداس السُّلَمى فى ذلك :

فإن تَكُ قد أمَّرت فى القوم خالِدًا وقَدَّمته فإنه قد تقدَّما
بجند هداهُ الله أنتَ أميرُه نُصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حَكيم بن حَكيم بن عباد بن حُنيف ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سُلَيْم بن منصور ، ومُدْلِج بن مُرَّة ، فوطِئوا بنى جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جَذِيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يابنى جذيمة ! إنه خالد والله ! مابعد وضع السلاح إلا الإسار ، ومابعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تَسْفِك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح[1] ، ووُضِعَتِ الحَرْب ، وأمِن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد ابن على ، قال :

(1) هذه الجملة : « ووضعو السلاح » ساقطة فى ا .

فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد .

غضب الرسول مما فعل خالد وإرساله عليا

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : رأيتُ كأنى لَقِمْتُ لقمةً من حَيْس[1] فالتذذتُ طَعْمَهَا ، فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها ، فأدخل علىٌّ يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله ، هذه سَرِيَّة من سراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ، ويكون فى بعضها اعتراض ، فتبعث عليا فيسهِّله .

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنْكَرَ عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة[2] ، فنَهَمَهُ[3] خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب[4] ، فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ؛ فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يارسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالِم ، مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا على ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية

---

(١) الحيس : أن يخلط السمن والتمر والأقط فيؤكل . والأقط : شىء يعقد من اللبن ويجفف .

(٢) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .

(٣) نهمه : زجره .

(٤) مضطرب : ليس مستوى الخلق .

تحت قدميك . فخرج عليّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فودَي لهمُ الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه لَيدى لهم مِيلَغَةَ الكلب[1] ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وَدَاه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فَرَغ منهم : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أُعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مما لا يَعلم ولا تعلمون ؛ ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليُرى ما تحت مَنْكِبيه ، يقول : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات .

معذرة خالد في قتال القوم

قال ابن إسحاق :

وقد قال بعض من يعذر خالدا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبدُ الله بن حُذافة السَّهْمِيّ ، وقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنيّ : لما أتاهم خالد قالوا : صَبَأْنا صَبَأْنا[2] .

ما كان بين خالد وبين عبد الرحمن وزجر الرسول لخالد

قال ابن إسحاق :

وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح[3] ورأى ما يصنع خالد ببنى جَذِيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام .

---

(1) الميلغة : شيء يحفر من خشب ، ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم ، وعند أهل البادية .

(2) صبأنا : يعنون دخلنا فى دين محمد ، وكانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم الصابئ ، لأنه خرج من دينهم . يقال : صبأ الرجل، إذا خرج من دين إلى دين ، ومنه الصابئون ، لأنه دينهم بين اليهودية والنصرانية ، فيما ذكر بعض أهل التفسير .

(3) كذا فى ا . وفى م و ر : « سلاحه » .

فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكِه بن المُغيرة ، حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غَدوَةَ رجل من أصحابى ولا روحته .

ما كان بين قريش وبنى جذيمة من استعداد للحرب ثم صلح

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد عوف ابن عبد الحارث بن زُهرة ، وعَفَّانُ بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجارا إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جَذِيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جَذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه[١] ، وقاتلوه ، فقُتِل عوفُ بن عبد عوف ، والفاكه بن المغيرة ، ونجا عفّان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمّت قريش بغزو بنى جَذِيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن مَلَإٍ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نَعْقِل لكم ما كان لكم قِبَلَنا من دم أو مال ، فقَبِلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

شعر سلمى فيما بين جذيمة وقريش

وقال قائل من بنى جَذِيمة ، و بعضهم يقول امرأة يقال لها سَلْمَى :

ولو لا مقالُ القومِ للقوم أسلِمُوا ... للاقت سُلَيمٌ يوم ذلك ناطحا
لماصَعَهُمْ بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ[٢] ... ومُرَّةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا[٣]

---

(١) كذا فى م ، ر . وفى ا : « ليأخذه » .

(٢) المباصعة والمصاع : المضاربة بالسيوف . والبرك : الإبل الباركة .

(٣) كذا فى م ، ر . وضابحا ، أى صائحا . وأصل « الضبح » نفس الخيل والإبل إذا أعيت . وفى (ا) صابحا .

فَكَائِنْ تَرَى يومَ الغُمَيصاء من فتًى ... أصيب ولم يُجْرح وقد كان جارحا[1]

أَلَظَّتْ بخُطَّابِ الأيامَى وطَلَّقت ... غداتئذٍ منهن من كان ناكحا[2]

قال ابن هشام: قوله: «بُسْر»، «وألظت بخُطَّاب» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق:

شعر ابن مرداس فى الرد على سلمى

فأجابه عباس بن مِرْداس، ويقال بل الجَحَّاف بن حَكِيم السُّلمى:

دعى عنك تَقْوال الضلالِ كَفى بنا ... لكبش الوغى فى اليوم والأمس ناطحا[3]

فخالد أولى بالتعذّر منكمُ ... غداة علا نَهْجا من الأمر واضحا

مُعانًا بأمر اللهِ يُزْجِى إليكمُ ... سَوانحَ لا تكبُو له وبوارِحا[4]

نَعَوْا مالكا بالسهل لَمّا هبطْنه ... عوابسَ فى كابى الغُبار كوالحا[5]

فإن نَكُ أثكلناكِ سَلْمى فمالكٌ ... تركتُم عليه نائحاتٍ ونائحا[6]

شعر الجحاف فى الرد على سلمى

وقال الجَحَّاف بنُ حَكِيم السُّلمى.

شَهِدْنَ مَعَ النبىّ مُسَوَّماتٍ ... حُنَيْنا وهْىَ دامِيةُ الكِلام[7]

وغزوةَ خالد شهدت وجَرّت ... سنابكَهُنّ[8] بالبلدِ الحَرَام[9]

نعرِّض للطِّعان إذا الْتَقَيْنا ... وجُوها لا تُعَرَّضُ لِلطَّام

---

(1) الغميصاء: موضع.

(2) ألظت: لزمت وألحت. والأيامى: جمع أيم، وهى التى لا زوج لها.

(3) الكبش: الرجل السيد.

(4) قال أبو عمرو الشيبانى: «ما جاء عن يمينك إلى يسارك، وولاك جانبه الأيسر، وهو إنسيه، فهو سانح. وما جاء عن يسارك إلى يمينك وولاك جانبه الأيمن، وهو وحشيه، فهو بارح. قال: والسانح أحسن حالا عندهم فى التيمن من البارح». لا تكبو أى لا تسقط.

(5) كابى الغبار: مرتفعه. والكوالح: العوابس، التى انقبضت شفاهها، فظهرت أسنانها.

(6) أثكلناك: أفقدناك.

(7) مسومات: يعنى الخيل مسومات، أى مرسلات أو معلمات. والكلام: الجراح، جمع كلم.

(8) سنابكهن: مقدم أطراف حوافرهن.

(9) كذا فى م، ر. وفى ا: «التهام»، يعنى مكة.

وَلستُ بخالِعٍ عنّى ثيابِى ... إذَا هَزَّ الكُماة ولا أُرَاقِى

ولكنى يَجُولُ المُهْرُ تحتى ... إلى العَلَوات بالعَضْب الحُسام[1]

حديث ابن أبي حدرد الفتى الجذمى يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوبُ بن عُتبةَ بن المُغيرة بن الأخنَس ، عن الزُّهرى ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمىّ قال :

كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جَذيمة ، وهو فى سنّى ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عُنقه برُمَّة[2] ، ونِسوة مجتمعات غيرَ بعيد منه : يافتى ؛ فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمّة ، فقائدى إلى هؤلاء النسوة ، حتى أقضِى إليهن حاجة ، ثم تردّنى بعد ، فتصنعوا بى مابدا لكم ؟ قال . قلت : والله ليَسيرٌ ما طلبت . فأخذت برُمّته فقُدته بها ، حتى وقف عليهن ؛ فقال : اسْلَمى حُبَيْش[3] ، على نَفَدٍ مِنَ العيش[4] :

أَرَيْتُكِ إذْ طالبْتُكمْ فوجدْتُكمْ ... بحَلْيَةَ أو ألفيتُكمْ بالخَوانِقِ[5]

أَلَمْ يكُ أهْلاً أن يُنوَّلَ عاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والوَدَائِقِ[6]

فلاذنبَ لى قد قلت إذ أهلُنا معا ... أَثيبى بوُد قبل إحدى الصَّفائِقِ[7]

أثيبى بوُد قبلَ أن تَشْحَطَ النَّوَى ... وينأى الأميرُ بالحبيبِ المفارِقِ[8]

فإنّىَ لاضيعتُ سِرَّ أمانةٍ ... ولاراق عينى عنكِ بعدَك رائقُ[9]

سوى أن مانال العشيرة شاغلٌ ... عن الوُدّ إلا أن يكونَ التوامُقُ[10]

---

(١) هذا البيت والذى قبله ساقطان فى م ، ر .

(٢) الرمة : الحبل البالى .

(٣) حبيش : مرخم من حبيشة .

(٤) كذا فى ا وفى م ، ر : «على نفد العيش» . يريد على تمامه ، من قولك نفد الشىء إذا تم وفنى .

(٥) حلية والخوانق : موضعان .

(٦) الإدلاج : السير بالليل . والودائق : جمع وديقة ، وهى شدة الحر فى الظهيرة .

(٧) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ؛ الواحدة : صفيقة .

(٨) تشحط : تبعد . والنوى : البعد .

(٩) ولا راق : ما أعجب .

(١٠) التوامق : الحب ، وفى هذا البيت والذى قبله إقواء .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخِرَيْن منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، عن الزّهريّ ، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسْلمى .

[قال][1] قالت : وأنت فحُيِّيت سبعاً وعشراً ، وِتْرًا وثمانياً تَتْرَى[2] .

قال : ثم انصرفتُ به . فضربت عُنُقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فِراس بن أبى سُنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا :

فقامت إليه حين ضُربتْ عُنُقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده[3] .

شعر رجل من بني جذيمة في يوم الفتح

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جَذِيمة :

جَزى اللهُ عنا مُدْلجاً حيث أصبحتْ ... جزاءة بُؤْسَى حيثُ سارتْ وحلّتِ
أقاموا على أَقضاضنا يَقسِمونها ... وقد نَهَلَتْ فينا الرماح وعَلّتِ[4]
فوالله لولا دين آل محمـد ... لقد هربت منهم خيول فشلّتِ[5]
وما ضرهم أن لا يُعينوا كتيبة ... كرِجْل جَرادٍ أرسلت فاشْمَعَلّتِ[6]
فإما ينيبوا أو يثوبوا لأمرهم ... فلا نحن نجزيهم بما قد أضلتِ[7]

شعر وهب في الرد عليه

فأجابه وهب ، رجل من بنى ليث ، فقال :

دَعَوْنا إلى الإسلام والحقِّ عامراً ... فما ذنبنا فى عامرٍ إذ تَوَلّتِ
وما ذَنبنا فى عامرٍ لا أبا لَهُمْ ... لِأَنْ سَفِهَت أحلامُهم ثم ضَلَّتِ

وقال رجل من بنى جَذِيمة :

---

(1) زيادة يقتضيها السياق .
(2) تترى : متتابعة ، وأصله وترى ، أبدلت التاء من الواو .
(3) كذا فى م ، ر . وفى ا : « ماتت عليه » .
(4) الأقضاض : جمع قض ، وأراد به هنا الأموال المجتمعة . يقال : جاء القوم قضهم بقضيضهم : إذا جاءوا بأجمعهم . ونهلت ، من النهل ، وهو الشرب الأول . وعلت ، من العلل ، وهو الشرب الثانى .
(5) شلت : أى طردت .
(6) رجل جراد : جماعة منه . واشمعلت : تفرقت .
(7) يثوبوا : يرجعوا .

ليهنئ بنى كعب مُقَدَّمَ خالد   وأصحابِه إذ صَبَّحتنا الـكتائبُ[1]
فلاتِرةٌ يسعى بها ابن خُوَيْلد   وقد كنتَ مكفيا لَوَ أنك غائبُ[2]
فلا قومُنا يَنْهَوْن عنا غُواتَهُمْ   ولاالداءُ من يوم الغُميصاءِ ذاهبُ[3]

شـعر غلام جذمى هارب أمام خالد

وقال غلام من بنى جَذِيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهوهارب بهن من جيش خالد :

رَخِّينَ أَذيالَ المُروط وأرْبَعْنْ   مَشْىَ حَيِيَّاتٍ كأَنْ لم يُفزَعْنْ[4]
إن تُمْنَـعِ اليومَ نِساءٌ تُمْنَعْنْ

ارتجاز غلمة من بنى خزيمة حين سمعوا بخالد

وقال غِلْمة من بنى جَذِيمة ، يقال لهم بنو مُساحِق، يرتجزون حين سمعوا بخالد، فقال أحدهم :

قد عَلِمَتْ صفراءُ بيضاءُ الإِطِلْ   يَحُوزُهَا ذُو ثَلَّةٍ وذُو إِبِلْ[5]
لَأُغْنِيَنَّ اليومَ ما أَغْنَى رَجُلْ

وقال الآخر :

قد علمتْ صفراءُ تُلهِى العِرْسا   لا تَملأُ الحيزومَ مِنْهَا نَهْسَا[6]
لَأَضْرِبَنَّ اليومَ ضَرْبًا وَعْسَاَ   ضَرْبَ المُحِلِّين مَخَاضا قُعْسَا[7]

---

(١) مقدم ، بتشديد الدال ، أى قدوم .
(٢) الترة : العداوة وطلب الثأر .
(٣) غواتهم : سفهاءهم .
(٤) المروط . جمع مرط ، وهو كساء من خز أو غيره . واربعن ، قال : ربعت عليه إذا أقمت عليه .
(٥) الإِطل : الخاصرة . والثلة ، بفتح الثاء : القطيع من الغنم .
(٦) الحيزوم : أسفل عظام الصدر ، وهو مايقع عليه الحزام . والنهس : أكل اللحم بمقدم الأسنان . يريد أنها قليلة الأكل .
(٧) وعسا : سريعاً . والمحلون : الذين خرجوا من الحرم إلى الحل . والمخاض : الإبل الحوامل . والقعس : التى تتأخر وتأبى أن تمشى .

وقال الآخر :

أَقْسَمْتُ ما إن خادِرٌ ذُو لِبدَهْ شَثْنُ البَنانِ فى غَدَاةٍ بَرْدَهْ[1]
جَهْمُ المُحَيَّا[2] ذو سِبال[3] وَرْدَهْ يُرْزِمُ بين أيكةٍ وجَحْدَهْ[4]
ضارٍ بتَأْكال الرجالِ وحْدَهْ بأصــــدقَ الغداةَ منى نَجْدَهْ[5]

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

خالد وهدمه للعزى

ثم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بنخْلَةَ[6] ، وكانت بيتاً يعظّمه هذا الحىّ من قريش وكنانة ومُضَر كلها ، وكانت سَدَنَتُها وحُجَّابها بنى شيبان من بنى سُلَيْم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمِىّ بمسير خالد إليها علّق عليها سيفه ، وأسْنَدَ فى الجبل[7] الذى هى فيه وهو يقول :

أَيَا عُزَّ شُدِّى شدّةً لاشَوَى لهـا[8] على خالدٍ أَلْقِى القناعَ وشَمِّرِى
يا عُزَّ إنْ لم تقتــلى المرءَ خالدا فبُوئى بإثمٍ عاجــلٍ أو تَنَصَّرِى[9]

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) الخادر : الأسد الداخل فى الخدر ، والخدر : الأجمة ، وهى موضع الأسد . واللبدة : الشعر الذى فوق كتفيه . وشثن : غليظ . والبنان : الأصابع . وبرده : أى باردة .

(٢) جهم : عابس . والمحيا : الوجه .

(٣) كذا فى م ، ر . والسبال : الشعر الذى حول فمه . وفى (ا) الشبال . وهو جمع شبل .

(٤) يرزم : يصوت . والأيكة : الشجرة الكثيرة الأغصان . والجحدة : القليلة الورق والأغصان .

(٥) ضار : متعود . والتأكال : الأكل . والنجدة : الشجاعة .

(٦) نخلة : اسم موضع .

(٧) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .

(٨) كذا فى ا . ومعنى لاشوى لهـا : أنها لاتبقى على شىء . وفى إ « لاثوى لها » .

(٩) بوئى : ارجعى ، وفى البيت خرم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مسعود ، قال :

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمْس عشرة ليلة يقصُر الصلاة .

قال ابن إسحاق :

وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح

اجتماع هوازن

قال ابن إسحاق :

ولما سمعتْ هوازنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة[1] ، جمعها مالك بن عوف النَّصْري ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هِلال ، وهم قليل ، ولم يشهدْها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيْد بن الصِّمة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجَرِّبا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، [و[2]] فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث ابن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطَاس[3] اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصِّمة فى شجار[4] له

---

(١) كذا فى م ، ر . وفى ا « من فتح مكة » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) أوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين ، وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق النبي إليها . (راجع معجم ياقوت والسهيلى) .

(٤) الشجار : شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى . (عن أبى ذر) .

يُقادبه ، فلما نزل قال : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأَوْطَاس ، قال : نِعمَ مَجالُ الخيل ! لا حَزْنٌ ضِرْسٌ[1] ، ولا سَهْلٌ دَهْسٌ[2] ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهَاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء[3] ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهُمْ ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل هذا مالك ، ودُعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحميرِ ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سُقْت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولِمَ ذاكَ ؟ قال أردت أن أجعل خلْفَ كلِّ رجل منهم أهلَه ومالَه ، ليقاتل عنهم ، قال : فَأَنْقَضَ به[4] ، ثم قال : راعِيَ ضأن[5] والله ! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، ثم قال: ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدْها منهم أحد ، قال : غاب الحَدُّ[6] والجِد ، ولو كان يومَ عَلاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلابَ ، وَلَوَدِدْتُ أنَّكُمْ فعلتم ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ، فمن شَهِدَها منكم ؟ قالوا : عمرُو ابن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجَذَعان[7] من عامر ، لا ينفعان ولا يضران ؛ يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ بيضة هوازن[8] إلى نحور الخيل شيئاً ، ارْفَعْهُم إلى مُتَمَنَّع بلادهم وعُلْيا قومهم ، ثم الْقَ الصُّبَّاء[9] على

(١) الحزن : المرتفع من الأرض . والضرس : الذى فيه حجارة محددة .
(٢) الدهس : اللين الكثير التراب .
(٣) يعار الشاء : صوتها .
(٤) أنقض به ، أى زجره . من الإنقاض ، وهو أن تلصق لسانك بالحنك الأعلى ، ثم تصوت فى حافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه . أو هو التصويت بالوسطى والإبهام كأنك تدفع بهما شيئاً ، وذلك حين تنكر على غيرك قولا أو عملا .
(٥) قوله «راعى ضأن» : يجهله بذلك ، كما قال الشاعر :

أصبحت هزءا لراعى الضأن أعجبه ... ماذا يريبك منى راعى الضان ؟

(٦) غاب الحد : يريد الشجاعة والحدة .
(٧) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان فى الحرب ، بمنزلة الجذع فى سنه .
(٨) بيضة هوازن : جماعتهم .
(٩) الصباء : جمع صابئ ، وهم المسلمون عندهم ، كانوا يسمونهم بهذا لأنهم صبئوا من دينهم ، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام .

مُتُونُ الخيلِ ، فإن كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك أَلْفَاك ذلك قد أحرزْت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ عَقْلك . والله لتطيعُنَّنِي يامعشر هَوازِن أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يَخْرج من ظهرى . وكَرِه أن يكون لدُرَيدِ بن الصِّمة فيها ذِكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دُريد بن الصِّمة : هذا يوم لم أشهدْه ولم يفُتْنى :

يالَيتنى فيها جَذَعْ ... أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[1]
أَقودُ وَطْفاءَ الزَّمَعْ ... كأنَّها شاةٌ صَدَعْ[2]

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« ياليتنى فيها جذعْ »

الملائكة وعيون مالك ابن عوف

قال ابن إسحاق :

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسِروا جُفُون سيوفكم ، ثم شُدّوا شَدَّة رجل واحد .

قال : وحدثنى أميةُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدِّث :

أنَّ مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله ، فأتوْه وقد تفرقت أوصالُهم ، فقال : ويلَكُمْ ! ما شأنُكُمْ ؟ فقالوا : رأينا رجالا بِيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابَنا ماترى ، فوالله ماردَّه ذلك عن وجههأنْ مَضَى على مايريد .

بعث ابن أبى حدرد عينا على هوازن

قال ابن إسحاق :

ولما سمع بهم نبى الله صلّى الله عليه وسلّم بعث إليهم عبدَ الله ابنَ أبى حَدْرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمَهم ، ثم يأتيَه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الجذع : الشاب . والخبب والوضع : ضربان من السير .

(٢) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة . يريد فرسا صفتها هكذا ، وهو محمود فى وصف الخيل . والشاة هنا : الوعل . وصدع : أى وعل بين الوعلين ، ليس بالعظيم ولا بالحقير .

فأخبره الخبر ، (فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر ، فقال عمر : كذب ابن أبي حدرد . فقال ابن أبي حدرد : إن كذّبتني فربما كذّبْتَ بالحق ياعمر ، فقد كذّبْتَ من هو خير مني . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع مايقول ابن أبي حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنتَ ضالا فهداك الله ياعمر)[1] .

سأل الرسول صفوان أدراعه وسلاحه فقبل

فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذُكِر له أن عند صفوانَ بن أمية[2] أدراعاً له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مُشْرِكٌ ، فقال : يا أبا أمية ، أعِرْنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً ، فقال صفوان : أغصْبا يامحمد ؟ قال . بل عاريّةٌ ومضمونة حتى نؤديها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله[3] أن يكفيَهم حملها ، ففعل .

خروج الرسول بجيشه إلى هوازن

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً ، واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَتّابَ بن أَسِيد بن أبي العِيص ابن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هَوازن .

قصيدة عباس ابن مرداس

فقال عباس ابن مرداس السُّلَمِيّ :

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهِمُ ... وَسْطَ البيوت ولَوْنُ الغُول ألوانُ[4]
يا لَهْفَ أمٍّ كلابٍ إذ تُبَيِّتُهم ... خيلُ ابن هَوْذَة لاتُنْهَى و إنْسَانُ[5]
لا تَلْفِظُوها وشُدُّوا عقْد ذِمتكم ... أن ابنَ عمِّكُمُ سعدٌ ودُهْمانُ[6]

---

(١) مابين القوسين أغفلته نسخة ا . وهو مذكور فى شرح الزرقانى على المواهب من رواية الواقدى .

(٢) وهو يومئذ فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيار فيها . (راجع شرح المواهب) .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر : « طلب منه أن يكفيهم . . . الخ » .

(٤) رعل : قبيلة من سليم . والغول : الداهية .

(٥) إنسان : قبيلة من قيس ، ثم من بنى نصر . قاله البرقى . وقيل هم من بنى جشم بن بكر (انظر السهيلى) . وقال أبو ذر : إنسان هنا اسم قبيل فى هوازن .

(٦) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر ، من هوازن .

لن تَرْجعوها[1] وإن كانت مُجَلِّلةً[2] ... مادام فى النَّعَم المأخوذ ألبانُ
شَنْعاء جُلِّل مِنْ سَوآتها حَضَنٌ ... وسَال ذو شَوْغَرٍ منها وسُلْوانُ[3]
ليست بأطيبَ مما يَشْتَوِى حَذَفٌ ... إذْ قال : كلُّ شواء العَيرِ جُوْفَانُ[4]
وفى هوازنَ قومٌ غيرَ أن بِهِمْ ... داءُ اليمانِى فإن لم يغدِرُوا خانُوا
فيهم أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عهدُهُمُ ... ولو نَهَكْنَاهُمُ بالطعنِ قد لانُوا[5]

⁂

أبلغْ هوازنَ أعلاها وأسفلَها ... مِنّى رسالةَ نُصْحٍ فيه تِبيانُ
أَنِّى أظنُّ رسولَ الله صابِحَكُمْ ... جَيشاً لَهُ فى فضاء الأرض أركانُ
فيهم أخوكم سُلَيْم غيرَ تاركِكُمْ ... والمسلِمُون عبادُ الله غَسّانُ
وفى عِضَادته اليُمنى بنو أسَدٍ ... والأجربان بنو عَبْس وذُبْيانُ[6]
تكاد تَرْجُفُ منه الأرض رَهْبتَه ... وفى مُقَدَّمِه أوسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قَبيلا مُزَيْنَة .

قال ابن هشام : من قوله : «أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها» إلى آخرها ، فى هذا اليوم ، وما قبل ذلك فى غيرهذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .

أمر ذات أنواط

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزّهرى عن سنان بن أبى سنان الدُّؤَلى ، عن أبى واقد الليثى أنَّ الحارث بن مالك قال :

خرجنامع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حُنَيْن ، قال : وكانت لكفار قريش ومَنْ سواهم من العرب شجرة عظيمة

---

(١) كذا فى م . ر وفى ا « لا ترجعوها » .
(٢) مجللة : مغطية .
(٣) حضن : جبل بنجد . وذو شوغر ، وسلوان : واديان .
(٤) حذف هنا : اسم رجل ، وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة . ويروى أيضا جدف بالجيم والدال المهملة ، وهى رواية الخشنى . والعير : حمار الوحش . والجوفان : غرموله . يريد أن كل مايشوى من العير فهو كالغرمول لايستساغ .
(٥) نهكناهم : أى أنلناهم وبالغنا فى ضربهم .
(٦) سما الأجربين تشبيها لهما بالأجرب الذى يفر الناس منه .

خضراء ، يقال لها ذاتُ أَنْواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلِّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوما . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جَنَبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ». إنها السُّنَن ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .

لقاء هوازن وثبات الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله قال :

لما استقبلْنا وادىَ حُنين انحدرنا فى واد من أَوْدية تِهامة أجوف[1] حَطُوط[2] ، إنما ننحدر فيه انحدارا ، قال : وفى عَمَاية الصُّبْح[3] ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى ، فكمَنُوا لنا فى شِعابه وأحنائه[4] ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائبُ قد شدُّوا علينا شَدّة رجل واحد ، وانْشَمر الناس[5] راجعين ، لا يَلْوى أحدٌ على أحد

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هَلُمُّوا إلىّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شىء[6] ، حَمَلَت الإبل بعضُها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهلِ بيته .

أسماء من ثبت مع الرسول

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علىُّ بن أبى طالب ، والعباسُ بن عبد المطلب ، وأبو سفيانَ بن الحارث ، وابنُه ، والفضلُ بن العباس ، وربيعةُ

(١) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . وأجوف : متسع . وحطوط : منحدر .
(٢) كذا فى ا . وفى م ، ر : «أجوف ذى حطوط» .
(٣) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .
(٤) الشعاب هنا : الطرق الخفية . وأحناؤه : جوانبه ورواية الزرقانى : «وأجنابه» .
(٥) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا .
(٦) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب : «فلأى شىء» . يريد : فلشىء عظيم .

ابن الحارث ، وأسامةُ بن زيد ، وأيمَنُ بن أم أيمن بن عُبيد ، قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبى سفيان المغيرة . وبعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَم بن العباس ، ولا يعد ابنَ أبى سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله . قال :

ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازنَ ، وهوازن خلفه ، إذا أَدْرَكَ طَعَن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتّبَعوه .

شماتة أبى سفيان وغيره بالمسلمين

قال ابن إسحاق :

فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن[1] ، فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعَهُ فى كنانته[2] . وصرخ جَبَلة بن الحنبل ـ قال ابن هشام : كَلَدَة بن الحنبل ـ وهو مع أخيه صفوانَ بن أمية مشركٌ فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألاَ بطل السِّحْرُ اليومَ . فقال له صفوان : اسكتْ فَضَّ الله فاكَ[3] ، فوالله لَان يَرُبَّنى[4] رجلٌ من قُرَيْش أحبُّ إلىّ من أن يَرُبَّنى رجل من هَوازن .

شعر حسان فى هجاء كلدة

[5]قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كَلَدَة :

رأيتُ سوادا من بَعيد فراعنى ... أبو حَنْبَلٍ ينزو على أمّ حَنْبَلِ
كأن الذى ينزو به فوق بَطْنها ... ذراعُ قَلُوصٍ من نِتاج ابن عِزْهِلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية . وكان أخا كَلَدَة لأمه .

---

(١) الضغن : العداوة .
(٢) الضمير راجع إلى أبى سفيان . والأزلام : السهام التى يستقسمون بها .
(٣) فض الله فاه : أى أسقط أسنانه .
(٤) يربنى : يكون ربا لى ، أى مالكا علىّ .
(٥) من هنا إلى قوله : « وكان أخا كلدة لأمه » ساقط فى ا .

عجز شيبة عن قتل الرسول وقدم به

قال ابن إسحاق :

وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليومَ أدركُ ثأرى [من محمد][1] ، وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ، اليوم أَقْتلُ محمدا . قال : فأَدَرْتُ برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تَغَشَّى فؤادِى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى .

قال ابن إسحاق :

وحدثنى بعض أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فَصَل من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نُغْلَبَ اليوم من قِلَّة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها .

رجوع الناس بنداء العباس والانتصار بعد الهزيمة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهْرى ، عن كَثِيرِ بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال :

إنى لَمَع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بحَكَمَةِ بغلتِهِ البيضاء قد شَجَرْتُها بها[2] ، قال : وكنتُ امرأ جسيما شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلْوُون على شىء ، فقال يا عباس ، اصْرُخ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السَّمُرَة ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ . قال : فيذهب الرجل لِيثْنِىَ بعيرَه ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وتُرسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلّى سبيله ، فيؤمّ الصوت حتى ينتهىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مِئة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أولَ ما كانت : يالَلأَنصار . ثم خلَصَت أخيرا : يالَلْخزرج . وكانوا صُبُراً عند الحرب ، فأشرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه ، فنظر إلى مُجتَلَد القوم[3] وهم يَجْتَلِدون ، فقال : الآنَ حَمِىَ الوَطِيس[4] .

بلاء على وأنصارى فى هذه الحرب

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال :

(1) زيادة عن ا .
(2) شجرتها بها : أى وضعتها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين .
(3) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيوف ، وهو حيث تكون المعركة .
(4) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٠ من هذا الجزء .

بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع ما يصنع ، إذ هوى له[1] علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَىِ الجمل ، فوقع على عجزه[2] ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطَنَّ قَدَمَهُ[3] بنصف ساقه ، فانجعف[4] عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله مارجَعَتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتَّفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان ممن صَـبَرَ يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر بغلته[5] ، فقال : من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك[6] يارسول الله .

شأن أم سليم

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سُلَيْم[7] ابنة مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة[8] وهى حازمة وسطها بِبُرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشيت أن يَعُزَّها[9] الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خِزامته[10] مع الخِطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سُلَيم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ،

---

(1) يقال : هوى له وأهوى إليه : إذا مال إليه
(2) عجزه : مؤخره .
(3) أطن قدمه : أطارها ، وسمع لضربه طنين ، أى دوىّ .
(4) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .
(5) الثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .
(6) قوله : أنا ابن أمك : إنما هو ابن عمك ، لكنه أراد أن يتقرب إليه ، لأن الأم التى هى الجدة قد تجمعهما فى النسب .
(7) فى اسمها خلاف ، قيل هى (مليكة بنت ملحان) وقيل (رميلة) ، ويقال (سهيلة) . وتعرف بالغميصاء والرميصاء ، لرمص كان فى عينيها .
(8) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .
(9) يعزها : يغلبها .
(10) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير .

فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : أَو يكفى الله يا أمّ سليم[١]؟ قال : ومعها خِنْجَر[٢] ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بَعَجْته[٣] به . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يارسول الله ما تقول أم سُلَيم الرُّمَيْصَاء .

شعر مالك ابن عوف فى هزيمة الناس

قال ابن إسحاق :

وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حين وَجَّه إلى حُنين ، قد ضم بنى سُلَيم الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أَقْدِمْ مُحاجُ إنَّهُ يومٌ نُكُرْ ... مِثْلِى عَلَى مِثْلكَ يَحْمِى ويَكُرّْ[٤]
إذَا أُضيعَ الصَّفُّ يَوْمًا والدُّبُرْ ... ثم احْزَأَلَّتْ زُمَرٌ بعـــد زُمَرْ[٥]
كتائبٌ يكِلُّ فيهنّ البَصَرْ ... قد أَطْعُن الطعنة تَقْذِى بالسُّبُرْ[٦]
حين يُذَمُّ المستكينُ المنجَحِرْ ... وأَطعنُ النجلاءَ تَعْوِى وَتَهِرْ[٧]

---

(١) وفى رواية : إن الله قد كفى وأحسن . ويؤخذ من رد النبى على أم سليم أن فرار المسلمين يوم حنين لم يكن من الكبائر ، ولم يجمع العلماء على أن الفرار معدود فى الكبائر إلا فى يوم بدر ، قال تعالى : (ومن يولهم يومئذ دبره) فيومئذ إشارة إلى يوم بدر ، أما الفارون يوم أحد فقد نزل فيهم : (ولقدعفا الله عنهم) . وأما الفارون فى يوم حنين فقد نزل فيهم أيضا : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله : (غفور رحيم) .

(٢) الخنجر — بفتح الخاء وكسرها — السكين .

(٣) بعجته : يقال : بعج بطنه ، إذا شقه .

(٤) محاج : اسم فرس مالك بن عوف .

(٥) احزألت : ارتفعت . وزمر : جماعات .

(٦) يكل فيهن البصر : يعيا عن إدراك نهايتها لكثرة عددها . والسبر : جمع سبار ، وهو الفتيل يسبر به الجرح . وتقذى يقال : قذت العين تقذى (من باب رمى) قذيا وقذيانا : قذفت بالغمص والرمص . ومعنى تقذى بالسبر : تقذف بها لكثرة مايندفق منها من دم ونحوه .

(٧) المستكين : الذليل الخانع . والمنجحر : المتستر فى جحره ، والمراد من اعتصم بمكان . والنجلاء : الطعنة المتسعة . وتعوى وتهر : أى التى يسمع لخروج الدم منها صوت كالعواء والهرير .

لها من الجوفِ رَشاشٌ مُنْهَمِرْ تَفْهَقُ تاراتٍ وحينا تنفَجِرْ(1)
وثعلبُ العاملِ فيها منكَسِرْ يا زَيْدُ يا بن هَمْهَمٍ أينَ تفرّْ(2)
قد نَفِدَ الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ قد علِمَ البيضُ الطويلاتُ الخُمُرْ(3)
أَنِّيَ في أمثالها غيرُ غَمِرْ(4) إذْ تُخْرَجُ الحاصنُ من تحتِ السُّتُرْ(5)

وقال مالك بن عوف أيضاً .

أَقْدِمْ مُحاجُ إنها الأساوِرَهْ ولا تَغُرَّنَّكَ رِجْلٌ نادِرهْ(6)

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف في غير هذا اليوم(7) .

شأن أبي قتادة وسلبه

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن أبي قتادة الأنصاري . قال : وحَدَّثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غِفار أبي محمد ، عن أبي قتادة ، قالا(8) : قال أبو قتادة :

رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده ، فقطعتُها ، واعتنقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم — ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام(9) — وكاد يقتلني ، فلولا أن الدم نزفه(10) لقتلني ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضني

(1) الرشاش : مايخرج من الدم متفرقا . ومنهمر : منصب . وتفهق : تنفتح . وتنفجر : يسيل منها الدم .

(2) الثعلب : مادخل من عصا الرمح في السنان . والعامل أعلى الرمح .

(3) نفد الضرس : يريد أنه كبرت سنه حتى ذهبت أسنانه ، وهو محتنك مجرب . والخمر : جمع خمار ، وهو ثوب تغطى به المرأة رأسها .

(4) الغمر : بفتح فكسر : أو بفتحتين (وفيه لغات أخرى) الذى لم يجرب الأمور .

(5) كذا في ا . والحاصن : العفيفة الممتنعة . وفي م ، ر : «الحاضن» (بالضاد المعجمة) وهي التي تحضن ولدها .

(6) الأساورة : جمع إسوار (بضم الهمزة وكسرها) وهو قائد الفرس ، وقيل هو الجيد الرمى بالسهام ، وقيل هو الجيد الثبات على ظهر الفرس . ونادرة : أي قد انقطعت وبعدت .

(7) في غير هذا اليوم : يعني أنهما قيلا في يوم القادسية لا في حنين .

(8) كذا في ا .

(9) كذا في م ، ر . وفي ا : «حتى وجدت ريح الموت، ويروى ريح الدم، فيما قال ابن هشام» .

(10) نزفه الدم : سال منه حتى أضعفه ، فأشرف على الموت .

عنه القتال[1] ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها[2] وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سَلَبُه . فقلت يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب ، فأجْهضني عنه القتال ، فما أدرى مَن استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأرْضِه عنى مِنْ سَلَبه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تَعْمِد إلى أسَدٍ من أُسُد الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سَلَبه ! اردد عليه سلب قتيله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صدق ، اردد عليه سَلَبه . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفا[3] ، فإنه لأول مال اعْتَقَدْتُه[4] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يومَ حُنَين وحدَه عشرين رجلا .

نصرة الملائكة

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار ، [أنه حدث][5] عن جبير بن مُطْعِم ، قال :

لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البِجَاد[6] الأَسْوَد ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث[7] قد ملأ الوادى ، لم أشكَّ أنها الملائكة ، ثم لم يكن[8] إلا هزيمة القوم .

---

(1) أجهضنى عنه القتال : شغلنى وضيق علىّ وغلبنى .

(2) أوزار الحرب ، أثقالها وآلاتها ، وهى استعارة .

(3) المخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر ، فأما مافوق ذلك فهو بستان أو حديقة. (انظر السهيلى) .

(4) اعتقدته : يقال : اعتقدت مالى : أى اتخذت منه عقدة ، كما تقول : نبذة أو قطعة والأصل فيه من العقد ، وأن من ملك شيئا عقد عليه .

(5) زيادة عن ا .

(6) البجاد : الكساء .

(7) مبثوث : متفرق ، يعنى رآه ينزل من السماء .

(8) كذا فى م ، ر . وفى ا « ولم يكن» .

هزيمة المشركين

قال ابن إسحاق :

ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن رسولَه صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خَيلُ اللهِ خَيْلَ اللاّتِ   واللهُ أحقُّ بالثَّباتِ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبْتِ خَيْلَ اللهِ خيلَ اللاَّتِ   وخَيْلُهُ أحَق بالثَّباتِ

قال ابن إسحاق :

فلما انهزمت هوازن استحَرَّ[1] القتل من ثقيف فى بنى مالك ، فقُتِل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار[2] ، فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال :

لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُه قال : أبعده اللهُ ! فإنه كان يُبغِضُ قريشا .

الغلام النصرانى الأغرل وما كاد يلحق ثقيفا بسببه

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس :

أنه قُتل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانىّ أَغْرَلُ[3] ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلُب قتلى ثقيف إذ كشف العبدَ يسلبُه ، فوجده أغْرَلَ . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب . يعلم الله أنَّ ثقيفا غُرْل . قال المغيرة بن شُعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلتُ : لا تقل ذاك ، فَداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال : ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختَّنين كما ترى !

فرار قارب وقومه وشعر ابن مرداس فى هجائهم

قال ابن إسحاق :

وكانت راية الأحلاف مع قارِب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو و بنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقْتَل من الأحلاف

(1) استحر : اشتد .
(2) ذو الخمار : عوف بن الربيع .
(3) الأغرل : هو الذى ليس بمختتن . والغرلة : هى الجلدة التى يقطعها الخاتن .

غيرُ رجلين : رجلٍ من بنى غِيَرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كُبَّة[1] ، يقال له الجُلاح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلاح : قُتِل اليوم سيدُ شباب ثقيف ، إلَّا ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هُنيدة الحارث بن أُوَيس .

قصيدة أخرى لابن مرداس

فقال عباس بن مرداس السُّلَمى يذكر قارب ابن الأسود وفِرارَه من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبْسَه قومَه للموت :

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّى ... وسَوْفَ إِخَالُ يأتيه الخَبِيرُ[2]
وعُرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِى جَوَابًا ... وَقَوْلاً غَيْرَ قولِكُمَا يسيرُ
بأَنَّ مُحَمَّداً عبدٌ رسول ... لرب لايضِلُّ ولاَ يَجُورُ
وجدناه نَبيا مثلَ مُوسَى ... فكل فَتًى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ[3]
وبِئْسَ الأمرُ أمرُ بنى قَسِيٍّ ... بوَجٍّ إِذْ تُقُسِّمَتِ الْأُمُورُ[4]
أَضاعُوا أمرَهم ولكل قومٍ ... أَمِيرٌ والدوائرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْدَ غاباتٍ إِلَيْهِمْ ... جنودُ اللهِ ضاحيةً تَسِيرُ[5]
نؤُمّ الجمعَ جمعَ بنى قَسِيٍّ ... على حَنَقٍ نكاد له نطيرُ[6]
وأُقْسِمُ لوهُمُ مكثوا لِسرْنا ... إِلَيْهِمْ بالجنود ولم يَغُورُوا[7]
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّى ... أَبَحْنَاهَا وأُسْلِمَتِ النُّصُورُ[8]

---

(1) كذا فى م ، ر وفى ا « كنة » بالنون . قال أبو ذر : « . . . . ورواه الخشنى بالباء بواحدة من أسفل ، وهو الصواب » .

(2) الفعل المستقبل هو يأتيه ، وإن كان الحرف « سوف » داخلا على إخال فى اللفظ ، فإن مايدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثانى . وهو كقول زهير :

« وما أدرى وسوف إخال أدرى »

(3) يخايره : يقول له : أنا خير منك . ومَخير : هو اسم مفعول أى مغلوب فى الخير .

(4) قسى : اسم ثقيف . ووجّ : اسم واد بالطائف قبل حنين .

(5) ضاحية : بارزة لاتختفى .

(6) نؤم : نقصد . والحنق الغضب .

(7) لم يغوروا : لم يذهبوا .

(8) لية « بكسر اللام » : اسم موضع قريب من الطائف . والنصور : من هوازن ، وهم رهط مالك بن عوف النصرى (انظر السهيلى) .

ويومٌ كان قبلُ لَدَى حُنَيْنٍ ... فأقلع والدماءُ به تَمُورُ[1]

مِنَ الأيام لم تَسْــمع كيوم ... ولم يَشْــمَعْ به قوم ذُ كُور

قَتَلْنَا فى الغُبار بنى حُطَيْطٍ ... على راياتها والخيــل زُورُ[2]

ولم يك ذو الخِمار رئيسَ قَوْمٍ ... لهــم عقل يعاقب أو نَكِيرُ

أقام بهم على سَنَنِ المنــايا ... وقد بانتْ لمُبْصِرِها الأُمُورُ[3]

فأَفْلَتَ مَنْ نجا منهمْ جَرِيضاً ... وقُتِّلَ منهــمُ بَشَرٌ كثيرُ[4]

ولا يُغْنِى الأمورَ أخو التوانى ... ولا الغَلِق الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ[5]

أحانَهُمُ وحَانَ وَمَلَّكُوهُ ... أُمورَهُمُ وأَفْلَتَتِ الصُّــقُورُ[6]

بنو عوف تَمِيح بهــمْ جيادٌ ... أُهِينَ لهـا الفَصافِص والشَّعِيرُ[7]

فلولا قاربٌ وبنو أبيــه ... تُقُسِّمَتِ المزارع والقُصُــورُ

ولـكنَّ الرياســة عَمَّموها ... على يُمْنٍ أشار به المُشِــيرُ[8]

أطاعوا قارِبا ولهم جــدود ... وأحـــلام إلى عِزٍّ تصيرُ

فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسْلاَمِ يُلْفَوْا ... أُنُوفَ النَّاسِ ما سَمر السَّــمِيرُ[9]

وإن لم يُسْلِمُوا فهم أَذَانٌ ... بحرب الله ليس لهــم نَصيرُ

---

(١) تمور : تسيل .

(٢) بنو حطيط : يروى هنا بالحاء والخاء ، وبالمهملة رواه الخشنى . وزور : مائلة .

(٣) سنن المنايا : طريقها .

(٤) الجريض : المختنق بريقه .

(٥) الغلق : الكثير الحرج ، كأنه تنغلق عليه أموره . والصرير ة « بتشديد الياء » تصغير الصرورة ، وهو الذى لا يأتى النساء . والحصور هنا : بمعنى ماقبله ، ويجوز أن يكون معناه : الهيوب المحجم عن الشىء .

(٦) أحانهم : أهلكهم . وحان : هلك .

(٧) تميح : تمشى مشيا حسنا . والفصافص : جمع فصفصة ، وهى البقلة التى تأكلها الدواب .

(٨) عمموها : أسندت إليهم وقدموا لها .

(٩) أنوف الناس : أشرافهم والمقدمون فيهم . والسمير : جماعة السمار ، وهم الذين يجتمعون للحديث بالليل .

كما حَكَّتْ بنى سَعْدٍ وحَرْبٌ ... برهط بنى غَزِيَّةَ عَنْقفيرُ[1]

كَأَنَّ بنى مُعاويةَ بنِ بَكْرٍ ... إلى الإسلام ضائنــــة تَخُورُ[2]

فقلنا أسْــــلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ ... وقَدْ برأَتْ من الإِحَنِ[3] الصُّدُورُ

كَأَنَّ القومَ إذ جاءوا إِلَينا ... من البغضاء بعد السِّلم عُورُ

قال ابن هشام : غَيلان : غَيلان بن سَلَمَة الثقفى ، وعُروة : عُروة بن مسعود الثَّقَفى .

مقتل دريد بن الصمة

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون أَتَوُا الطائف ومعهم مالك ابن عوف ، وعسكر بعضهم بأَوْطَاس ، وتوجه بعضهم نحو نَخْلَة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَة من ثقيف ، وتبعت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعةُ بن رُفَيْع بن أُهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّال بن عوف ابن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغُنَّة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لَذْعَة فيما قال ابن هشام — دُرَيْدَ بن الصِّمة ، فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شِجَار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيد بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا رَبيعة بن رُفَيْع السُّلَمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْنِ شيئاً ، فقال : بئس ما سَلَّحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخّر الرحل ، وكان الرحل فى الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإنى كذلك كنت أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمّك

---

(1) العنقفير : الداهية .

(2) تخور : تصيح .

(3) كذا فى م ، ر . والإحن : جمع إحنة ، وهى العداوة . وفى ا : «الترة» ، وهى بمعنى الإحنة .

فأخبرها أنك قتلت دُرَيْدَ بن الصِّمة ، فرُبَّ والله يوم قد منعتُ فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربته فوقع تكشَّف ، فإذا عِجانه[1] وبطون فَخِذيه مثل القِرْطاس ، من ركوب الخيل أعراء[2] ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثا .

فقالت عَمْرَةُ بنت دُرَيْد فى قتل رَبيعةَ دُريدا :

لعمْرُكَ ما خشيتُ على دُرَيْدٍ ... ببطن سُمَيْرَةٍ[3] جيش العَنَاق[4]
جَزَى عنه الإلهُ بنى سُلَيْمٍ ... وعقَّتْهُمْ بما فعلوا عَقَاقِ[5]
وأسْقانا إذا قُدْنا إليهم ... دماء خِيارهم عند التلاقى
فرُبَّ عظيمة دافعتَ عنهمْ ... وقد بلغت نفوسُهُمُ التَّراقى
ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهُمْ ... وأخرَى قَدْ فككتَ مِنَ الوَثاق
ورُبَّ مُنَوِّهٍ بِكَ من سُلَيمٍ ... أجَبْتَ وقد دعاك بلا رَماق[6]
فكان جزاؤنا منهم عُقُوقاً ... وهَمًّا مَاعَ منه مُخُّ ساقى[7]
عفت آثار خيلك بعد أيْنٍ ... بذِى بَقَرٍ إلَى فيْفِ النُّهَاقِ[8]

وقالت عَمْرة بنت دُرَيد أيضاً :

---

(١) عجانه : مابين فرجيه .

(٢) أعراء : جمع عرى (بوزن قفل) وهو الفرس الذى لاسرج له .

(٣) سميرة : واد قرب حنين قتل فيه دريد بن الصمة .

(٤) العناق : الخيبة أو الداهية ، وكلاهما مناسب للمقام ، لأنها إذا قصدت « جيش الخيبة » فهو على معنى الهجاء للجيش ، وإذا قصدت « جيش الداهية » فهو على معنى مدح دريد بشجاعته التى يقهر بها مثل هذا الجيش .

(٥) عقاق : على وزن فعال بكسر اللام ، من العقوق .

(٦) المنوه : الذى يناديك بأشهر أسمائك نداء ظاهرا . والرماق ، بفتح الراء وكسرها : بقية الحياة .

(٧) ماع : ذاب ، وكل سائل مائع (عن أبى ذر) .

(٨) عفت : درست وتغيرت . وذو بقر : موضع ، ويروى بالنون والفاء . والفيف : القفر . والنهاق هنا : موضع . وقال ابن سراج : أين وذو نفر : موضعان .

قالوا قَتلنا دُرَيْدا قاتُ قد صدقوا فظلّ دمعي على السِّربالِ يَنْحدرُ[1]
لَوْلا الذى قَهَرَ الأقوامَ كُلَّهمُ رأت سُلَيْم وكَعْب كيف تأْتَمِر
إذنْ لصبَّحهم غِبًّا وظاهرةً حيث استقرتْ نواهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ[2]

قال ابن هِشام :

ويقال : اسم الذى قتل دُرَيْدا عبد الله بن قُنَيْع بن أُهْبَان بن ثَعْلبة ابن رَبيعة .

مقتل أبي عامر الأشعرى

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجَّه قِبَلَ أَوْطاسٍ أباعامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ، فناوشوه القتال[3] ، فَرُمِىَ أبو عامر بسهم فقُتِل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأَشْعرىّ ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم . فيزعمون أن سَلَمة بن دُرَيْد هو الذى رَمَى أبا عامر الأشعرىّ بسهم ، فأصاب رُكبته ، فقتله ، فقال :

إن تَسْألوا عنّى فإنى سَلَمَهْ ابنُ سَمادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ[4]
أَضربُ بالسيف رءوس المسْلِمَهْ

وسمادير : أمه .

دعاء الرسول لبني رئاب

واستحر القتل من بنى نَصْر فى بنى رِئَاب ، فزعموا أن عبدالله بن قيس ــ وهو الذى يُقال له ابن العَوْراء ، وهو أحد بنى وَهْب بن رِئاب ــ قال : يا رسولَ الله ، هلكتْ بنو رئاب . فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجْبُرْ مصيبتَهم .

وصية مالك ابن عوف لقومه ولقاء الزبير لهم

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنيّة[5]

---

(١) السربال : القميص .
(٢) أصل الغب : أن ترد الإبل الماء يوما وتدعه يوما . والظاهرة : أن ترده كل يوم ؛ فضربه هاهنا مثلا . والجحفل : الجيش الكثير . وذفر (بالدال والذال معا) : كريه الرائحة من سهك السلاح ، وصدأ الحديد .
(٣) يقال : تناوش القوم فى القتال ، إذا تناول بعضهم بعضا بالرماح ، ولم يتدانوا كل التدانى .
(٤) توسمه : استدل عليه ونظر فيه .
(٥) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين .

من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حتى تَمْضِيَ ضُعفاؤُكم ، وتَلْحقَ أُخراكم . فوقف هناك حتى مضَى مَنْ كان لَحِق بهم من مُنْهزمة الناس ؛ فقال مالكُ بن عَوْف في ذلك :

ولولا كَرَّتان على مُحَاجٍ　　لضاق على العَضاريط الطريقُ(1)
ولو لا كَرُّ دُهْمانَ بن نَصْر　　لدَى النَّخَلاتِ مُنْدَفَع الشَّديقِ(2)
لآبتْ جَعْفرٌ وبنو هِلاَل　　خَزَايا مُحْقِبين على شُقوق(3)

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عَوْف في غير هذا اليوم . ومما يدلك على ذلك قولُ دُرَيد بن الصمة في صَدْر هذا الحديث : مافعلت كعْب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يَشْهدها منهم أحد . وجعفرٌ ابن كلاب . وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات : لآبت جَعْفَرٌ وبنو هلال .

قال ابن هشام :

وبلغني أن خيلا طلعت ومالكٌ وأصحابه على الثَّنِيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى قوما واضعي رماحِهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُهم(4) ؛ فقال : هؤلاء بنو سُلَيْم ، ولا بأْسَ عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى قوما عارضي(5) رِماحِهم ، أَغْفالا(6) على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأَوْس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوْا إلى أصل الثَّنِيَّة سلكوا طريق بني سُلَيْم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى فارسا

---

(1) محاج : اسم فرسه . والعضاريط : جمع عضروط (كعصفور) وهو الخادم على طعام بطنه ، والأجير . ويجمع أيضا على عضارط وعضارطة .

(2) الشديق : واد بأرض الطائف ، مخلاف من مخاليفها ؛ ويروى بالذال المعجمة .

(3) محقبين : مردفين لمن انهزم منهم . قال أبو ذر : «ومن رواه محقين ، فهو من الحق . يقال : أحقت خيل الرجل : إذا لم تنجب . ومن رواه : مجابين ، فمعناه مجتمعون » . وعلى شقوق : أي على مشقة .

(4) البواد : جمع البادّ ، وهو باطن الفخذ .

(5) عارضي رماحهم : أي واضعيها بالعرض .

(6) أغفالا : جمع غفل ، وهو الذي لا علامة له . يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به .

طويل البادّ ، واضعا رمحه على عاتقه[1] ، عاصبا رأسه بملاءة[2] حمراء ؛ فقال : هذا الزبير بن العوّام ، وأحلف باللّات ليخالطنّكم ، فاثبُتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنيّة أبصر القوم ، فصَمَدهم[3] ، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم[4] عنها .

شعر سلمة في فراره

قال ابن إسحاق :

وقال سَلَمة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنى ما كنتِ غيرَ مُصابَةٍ ... ولقد عرفْتِ غَداةَ نَعْف الأَظْرُبِ[5]
أَنِّى مَنَعتُكِ والرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ ... ومَشَيْتُ خلفَكِ مثلَ مشى الأنكَبِ[6]
إذفرّ كلُّ مُهَذَّبٍ ذى لِمَّةٍ ... عَنْ أُمِّه وخليـــله لم يُعْقِبِ[7]

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه :

بقية حديث مقتل أبي عامر

أن أبا عامرٍ الأشعرى لقى يوم أوطاس عشرةَ إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدُهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ، ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر ؛ وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ، ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لا تشهد علىّ ، فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال: هذا شَرِيدُ أبى عامر . ورمى أبا عامر أَخَوَانِ : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشَمَ بن

(١) العاتق : ما بين المنكب والعنق .
(٢) الملاءة : الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة .
(٣) صمد : قصد .
(٤) أزاحهم عنها : أزالهم عنها ونحاهم .
(٥) النعف : أسفل الجبل . والأظرب : موضع . ويحتمل أن يكون جمع ظرب ، وهو الجبل الصغير .
(٦) الأنكب : المائل إلى جهة .
(٧) المهذب : الخالص من العيوب ، والمهذب (أيضا) : المسرع ، من التهذيب فى السير ، وهو الإسراع . وخليله : صاحبه . ولم يعقب : لم يرجع .

معاوية ، فأصاب أحدُهما قلبَه ، والآخر رُكبته ، فقتلاه . وولِيَ الناسَ أبو موسى الأشعرى ، فحمل عليهما فقتلهما ؛ فقال رجل من بنى جُشَمَ بن معاويةَ يرثيهما :

إنَّ الرَّزِيَّةَ قَتْلُ العَلاءِ ... وَأَوْفَى جميعا ولم يُسْنَدَا[1]
هما القاتلانِ أبا عامرٍ ... وقد كان ذَاهَبَّة[2] أَرْبَدَا[3]
هُما تركاه لدى مَعْرَكٍ ... كأن على عِطْفه مُجْسَدَا[4]
فلم تَرَ فى الناسِ مِثْلَيْهِما ... أَقَلَّ عِثارا وأَرْمى يَدَا

نهى الرسول عن قتل الضعفاء

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُونَ[5] عليها ؛ فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أَدْرِكْ خالداً ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تَقْتُل وَليداً أو امرأة أو عَسيفاً[6] .

شأن بجاد والشيماء

قال ابن إسحاق وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قَدَرتم على بِجادٍ ، رجل من بنى سعد بن بكر ، فلا يُفْلِتَنَّكُمْ ، وكان قد أحدث حَدَثا فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْماء ، بنت الحارث بن عبد العُزَّى ، أختَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعَنُفُوا عليها فى السِّيَاق ؛ فقالت للمسلمين : تعلَّمُوا والله أنى لأخت صاحبكم من الرّضاعة ؛ فلم يصدِّقوها حتى أَتَوْا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لم يسندا : أى لم يدركا وبهما رمق ، فيسندا إلى ماءمسكهما .
(٢) كذا فى ا . وذاهبة : يعنى سيفا ذاهبة ؛ وهبة السيف : اهتزازه . وفى م ، ر «داهية» .
(٣) الأربد : الذى فيه ربد ، أى طرائق من جوهر .
(٤) المعرك : موضع الحرب . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران .
(٥) متقصفون : مزدحمون . ويروى : منقصفون (بالنون) وهو بمعناه .
(٦) العسيف : الأجير ، والعبد المستعان به .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عُبيد السَّعدى ، قال :

فلما انتُهِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إنى أُختك من الرضاعة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عَضَّة عَضِضْتنيها فى ظهرى وأنا مُتورِّ كَتُك[1] ؛ قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيَّرها ، وقال : إن أحْببتِ فعِنْدِى مُحَبَّةً مُكْرَمَة ، وإن أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَك[2] وترجعى إلى قومك فعلتُ ؛ فقالت : بل تمتِّعُنى وتردُّنى إلى قومى . فمتَّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوَّجَتْ أحَدَهُما الأُخْرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حُنين : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ » إلى قوله : « وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ » .

تسمية من استشهد يوم حنين

قال ابن إسحاق :

وهذه تسمية من استُشْهِدَ يوم حُنَيْن من المسلمين .

من قريش ثم من بنى هاشم : أَيْمَن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جَمَح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : سُرَاقَةُ بن الحارث بن عدىّ ، من بنى العَجْلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

جمع سبايا حنين

ثم جُمِعَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَايا حُنَيْن وأموالُها ، وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفارىّ ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسَّبايا والأموال إلى الجِعْرَانة ، فَحُبِسَتْ بها .

شعر بجير يوم حنين

وقال بُجير بن زُهير بن أبى سُلْمَى فى يوم حُنين :

---

(١) متوركتك : حاملتك على وركى .

(٢) أمتعك : أى أعطيك ما يكون به الإمتاع ، أى الانتفاع .

لولاَ الإلهُ وعبدُه وَلّيتُمُ ... حين استخفَّ الرعبُ كُلَّ جَبانِ[1]
بالجِزع يومَ حَبَا لنَا أَقْرانُنا ... وسَوابِحٌ يَكْبُون للأَذْقان[2]
مِنْ بين ساعٍ ثوبُه فى كَفِّه ... ومقطَّرٍ بسنابكٍ ولبَانِ[3]
واللهُ أَكرَمَنا وأظهرَ دِيننا ... وأعَزَّنا بعبادة الرحمٰن
والله أهلكَهُمْ وفرَّق جمعهَمْ ... وأذلَّهمْ بعبادة الشَّيطان

قال ابن هشام : ويَرْوِى فيها بعضُ الرُّواة :

إذ قام عمُّ نبيِّكم ووليُّه ... يدعون : يالَكَتِيبةِ الإيمان
أينَ الذينَ همُ أجابوا ربَّهُمْ ... يوْمَ العُرَيض وبيعة الرِّضْوان[4]

قال ابن إسحاق :

شعر لعباس بن مرداس فى يوم حنين

وقال عباس بن مِرداس فى يوم حنين :

إنى والسوابحِ يومَ جَمْعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتابِ
لقد أحببتُ مالَقِيتْ ثقِيفٌ ... بجَنْب الشِّعْب أمس من العذاب
هُمُ رأسُ العدو مِنَ أهْلِ نَجْدٍ ... فقتلهُمُ أَلَذُّ مِنَ الشَّراب
هزمنا الجمعَ جمعَ بنى قَسِيٍّ ... وحكّتْ بَرْكَها ببنى رِئَاب[5]
وَصِرْمًا من هِلال غادرتهمْ ... بِأَوْطاس تُعَفِّر بالتراب[6]
ولو لاقَيْنَ جمعَ بَنِى كلابٍ ... لَقَامَ نساؤهم والنَّقْع كابِى
ركَضْنَا الخيلَ فيهم بين بُسٍّ ... إلى الأَوْرال تَنْحِطُ بالنِّهاب[7]
بذى لَجَبٍ رسولُ الله فيهم ... كتيبَتُه تَعَرَّض للضِّراب[8]

(١) ويروى : « حنان » والجنان : القلب .
(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى . وحبا : اعترض . والسوابح : خيل كأنها تسبح فى جريها ، أى تعوم . ويكبون : يسقطن .
(٣) مقطر : مرمى على قطره ، وهو جنبه . والسنابك : جمع سنبك ، وهو طرف مقدم الحافر . واللبان (بفتح اللام) : الصدر .
(٤) العريض : واد بالمدينة .
(٥) جمع : هى مزدلفة ، وهى المشعر الحرام أيضا . والبرك : الصدر ، ويريد بحك الحرب بركها : شدة وطأتها .
(٦) الصرم : جماعة بيوت انقطعت عن الحى الكبير . وأوطاس : موضع .
(٧) بس : موضع فى أرض بنى جشم . والأورال : أجبل ثلاثة سود ، حذاءهن ماءة لبنى عبدالله بن دارم . وتنحط : تخرج أنفاسها عالية . والنهاب : جمع نهب ، وهو ما ينتهب ويغنم .
(٨) بذى لجب : بجيش كثير الأصوات .

قال ابن هشام :

قوله « تُعَفَّرُ بالتراب » : عن غير ابن إسحاق .

شعر ابن عفيف فى الرد على ابن مرداس

فأجابه عطية بن عُفَيِّف[1] النَّصْرىّ ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخرةٌ رفاعةُ فى حُنَيْنٍ   وعباسُ بن رَاضِعةِ اللِّجابِ[2]
فإنَّكَ والْفِجَارَ كذاتِ مِرْطٍ   لِرَبَّتِها وترفُلُ فى الإهابِ[3]

قال ابن إسحاق :

قال عطية بن عُفَيِّف هذين البيتين لمَّا أكثرَ عباسٌ على هَوَازِن فى يوم حنين . ورفاعة من جُهينة .

قال ابن إسحاق :

شعر آخر لعباس بن مرداس

وقال عباس بن مِرداس أيضا :

يا خاتِمَ النُّبَآءِ إنكَ مُرْسَلٌ   بالحقِّ كلُّ هُدى السبيل هُداكَا
إنَّ الإله بنى عليك محبَّةً   فى خَلْقِه ومُحَمَّدًا سَمَّاكَا
ثُمّ الذينَ وَفَوْا بما عاهدتَهم   جندٌ بَعَثْتَ عليهمُ الضَّحَّاكَا
رجُلاً به ذَرَبُ السِّلاحِ كأنه   لما تَكَنَّفَه العدُوُّ يَرَاكَا[4]
يغشى ذوى النَّسَبِ القَرِيبِ وإنما   يبغى رِضَا الرحمنِ ثم رِضَاكَا
أُنْبيكَ أنى قد رأيتُ مَكَرَّه   تحتَ العَجَاجَةِ يدْمَغُ الإشراكَا[5]
طَوْراً يُعانِقُ باليدين وتارةً   يَفْرِى الجماجمَ صارماً بتَّاكَا[6]
يغشَى به هامَ الكماة ولو ترى   منه الذى عاينتُ كان شفَاكَا[7]
وبنو سُلَيم مُعْنِقُونَ أمامه   ضرْبًا وطَعْناً فى العدوِّ دِرَاكَا[8]

---

(١) روى بفتح العين وبضمها مع تخفيف الياء ، وبالضم مع التشديد قيده الدارقطنى .

(٢) اللجاب : جمع لجبة ، وهى الشاة القليلة اللبن . وقيل : هى العنز خاصة .

(٣) الفجار : المفاخرة . والمرط : كساء غير مخيط من خز أو صوف أو كتان . وترفل : تمشى متبخترة ، والإهاب : الجلد ؛ ويريد به الثوب .

(٤) ذرب السلاح : حدته ومضاؤه ؛ ومنه يقال : فلان ذرب اللسان ، إذا كان حاد اللسان .

(٥) العجاجة : الغبار المنتشر . ويدمغ يقهر ويذل ؛ وهو من الضرب على الدماغ .

(٦) يفرى : يقطع . ويروى « يقرى » بالقاف ؛ أى يقدم الجماجم قرى لسيفه . وبتاك : قاطع .

(٧) هذا البيت ساقط فى ا . والهام : الرءوس . والكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع المستتر فى سلاحه .

(٨) معنقون : مسرعون . يقال : أعنق يعنق : إذا أسرع . ودراك : متتابع .

يَمشون تحت لوائه وكأنهم   أُسْدُ العَرِين أَرَدْن ثَمّ عِرا كا[1]
ما يرتجُون من القَرِيبِ قَرابة   إلا لطاعة ربّهــم وهَوَا كا
هذى مشاهدُنا التى كانَتْ لَنا   معــــــــروفةً ووليُّنا مولا كا

وقال عباس بن مرداس أيضا :

إمّا تَرَىْ يا أُمَّ فرْوةَ خَيلَنا   منْهـــا مُعطلةٌ تُقاد وظُلّع[2]
أوْهَى مقارعــةُ الأعادِى دمَّها   فيها نوافذُ من جِراحٍ تَنبَع[3]
فلربَّ قائـــلةٍ كفاها وَقْعُنا   أزْمَ الحروبِ فسرْبُها لا يُفزَع[4]
لا وَفْدَ كالوفْدِ الأُلَى عقَدُوا لنا   سبَبًا بحبْلِ محمدٍ لا يُقْطـــع
وفد أبو قطَنٍ حُزابةُ منهمُ   وأبو الغيوث وواسِــعٌ والمقْنع
والقائد المِئَةَ التى وفَّى بهـــا   تسْعَ المئين فتَمّ[5] ألفٌ أقْرَع[6]
جمَعتْ بنو عوف ورهط مُخاشِن   ستًّا وأحْلب[7] من خُفَافٍ أربع[8]
فهناك إذ نُصِرَ النّــبِىّ بألْفنا   عقدَ النّــبِىّ لنا لواءً يَلْمَع
فُزْنا برايتِه وأوْرَث عــقدُه   مجْدَ الحياة وسُودَدًا لا يُنزَع
وغداة نحن مع النــبىّ جناحُه   ببطاحِ مكّة والقَنا يتَهزَّع[9]
كانت إجابتُنا لداعى ربِّنا   بالحق منّــا حاسرٌ ومُقنَّع[10]

---

(١) العرين : موضع الأسد . والعراك : المدافعة فى الحرب .

(٢) كذا فى م ، ر . والظلع: العرج . وفى ا : «ضلع» بالضاد ، والظلع والضلع بمعنى .

(٣) أو هى : أضعف . ودمها (بالدال) : تسويتها بالعلف والصنعة لها حتى استوى لحمها ، يقال : دممت الأرض، إذا سويتها . وروى «رمها» (بالراء) ، والمعنى على الروايتين واحد . وتنبع : تسيل بالدم .

(٤) أزم الحروب : شدتها . وسربها : أى نفسها ؛ وقيل أهلها .

(٥) كذا فى م ، ر . وفى ا « قثم » بالثاء المثلثة .

(٦) ألف أقرع : أى تام لا ينقص منه شىء .

(٧) كذا فى م ، ر . و « أحلب » بالحاء المهملة : جمع . وفى ا : « أجلب » بالجيم ، وهى بمعناها ، إلا أن الإجلاب جمع مع حركة وصوت .

(٨) خفاف (بضم الخاء) : اسم رجل تنسب إليه القبيلة .

(٩) يتهزع : معناه يضطرب ويتحرك . وروى بالراء ، ومعناه : يسرع إلى الطعن ، من قولك : أهرعت ، إذا أسرعت .

(١٠) الحاسر : الذى لا درع عليه . والمقنع : الذى على رأسه مغفر .

فى كُلِّ سابغةٍ تخَيَّرَ سَرْدَها ... داودُ إذا نَسَجَ الحديدَ وتُبَّعُ[١]
ولَنا على بئْرَىْ حُنَيْن موْكِبٌ ... دَمَغَ النِّفَاقَ وهضبَةٌ ما تُقْلَعُ[٢]
نُصِرَ النبى بنا وكنا معشراً ... فى كل نائبـــةٍ نَضُرُّ ونَنفع
ذُدْنا[٣] غداتَئذٍ هوازنَ بالقَنا ... والخيلُ يغمرُها عَجاجٌ يَسْطع[٤]
إذْ خاف حَدَّهم النبىُّ وأَسْندوا ... جمعاً تَكاد الشمسُ منه تَخشع[٥]
تُدْعَى بنو جُشَمٍ وتُدْعَى وَسْطَه ... أفناءُ نَصْرٍ والأسِنَّةُ شُرَّعُ[٦]
حتى إذا قال الرســـولُ محمدٌ ... أبنى سُلَيْم قد وَفَيْتُمْ فارفعوا[٧]
رُحْنا ولوْلاَ نحْنُ أَجْحَفَ بأسُهم ... بالمؤمنين وأحرَزُوا مَا جَمَّعوا[٨]

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

عفا مِجْدَلٌ من أهـــله فَمُتالِعُ ... فَمِطْلاَ أَرِيكٍ قَدْ خَلاَ فالْمَصَانِعُ[٩]
ديارٌ لنا يا جُمْل إذْ جُلُّ عيشِنا ... رخىٌّ وصرف الدارِ للحَىِّ جامع[١٠]
حُبَيِّبَةٌ أَلْوَتْ بها غُرْبَة النَّوَى ... لِبَيْنٍ فهل ماض من العيش راجع[١١]

---

(١) السابغة : الدرع الكاملة . وسردها : نسجها . وتبع : ملك من ملوك اليمن .

(٢) دمغ النفاق : أصابه فى دماغه ، وهى استعارة هنا . والهضبة : الرابية ، يصف جيشه بالثبات والقوة فلا يزحزح عن مكانه .

(٣) كذا فى ا . وذدنا : دافعنا . وفى م ، ر : «زرنا» .

(٤) العجاج : الغبار : ويسطع : يعلو ويتفرق .

(٥) تخشع : ينقص ضياؤها .

(٦) الأفناء (بالفاء) : جماعة مجتمعة من قبائل شتى . وشرع : مائلة إلى الطعن .

(٧) ارفعوا : أى كفوا أيديكم عن القتل ؛ ويروى : اربعوا (بالباء) وهو بمعناه .

(٨) أجحف : نقص وأضر . وأحرزوا ماجمعوا : احتووه .

(٩) عفا : درس وتغير . ومجدل : موضع ، وأصل المجدل : القصر ، ويقال : الحصن . ومتالع : جبل بنجد . والمطلاء (بكسر الميم ، يمد ويقصر) : أرض سهلة لينة تنبت العضاه . (راجع اللسان مادة : طلى) . وأريك : موضع . والمصانع : مواضع تصنع للماء مثل الصهاريج .

(١٠) جمل : اسم امرأة . وجل العيش : أكثره . وعيش رخى : ناعم . وصرف الدار : الخطب النازل بها .

(١١) كذا فى م ، ر . وهو تصغير حبيبة ، ، وفى ا : « حبيبة » وهو تصغير ترخيم مع النسب إلى بنى حبيب . وألوت بها : غيرتها . والنوى : البعد والفراق .

فإن تبتغى الـكُفَّارَ غيرَ ملومَة ... فإنى وزيرٌ للنَّبىّ وتابع

دعانا إليهم خيرُ وفْد عَلِمتُهم ... خُزَيْمَــــةُ والمَرّار منهُم وواسع

فجئنا بألفٍ من سُلَيْم عليهمُ ... لَبُوسٌ لهم من نسْج داوُدَ رائع[(١)]

نبايعُهُ بالأخْشَبَينِ وإنَّمَا ... يدَ الله بَيْنَ الأَخْشَــبَينِ نُبَايع[(٢)]

فجُسْنَا مع المهدىِّ مَـكَّةَ عَنْوَةً ... بأسْــيافنا والنَّقعُ كابٍ وسَاطع[(٣)]

عَلانِيَةً والخيـلُ يَغْشَى مُتونَهَا ... حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجَوْف ناقع[(٤)]

ويومَ حُنَيْن حين سارت هوازنٌ ... إلينا وضاقتْ بالنُّفُوس الأَضَالع

صَـبَرْنا مع الضَّحَّاك لايستفزّنا ... قِرَاعُ الأعادِى منهمُ والوقائع[(٥)]

أمامَ رســول الله يخفِقُ فوقنا ... لواءٌ كخُذْرُوف السَّحابة لامع[(٦)]

عشيةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ مُعْتَصٍ ... بسيف رسول الله والموتُ كانع[(٧)]

نَذود أخانا عن أخينا ولو نَرَى ... مَصَالاً لـكُنا الأقْرَبِينَ نتابع[(٨)]

ولـكنَّ دينَ الله دينُ محمد ... رضينا به فيــه الهدى والشرائع

أقام به بعــــد الضلالة أمرنَا ... وليس لأمْرٍ حَمَّـــــه الله دافع[(٩)]

---

(١) رائع . معجب .

(٢) الأخشبان : جبلان بمكة .

(٣) جسنا : وطئنا . والمهدى : النبى صـلى الله عليه وسلم . وعنوة : قهرا . والنقع : الغبار . وكاب : مرتفع ، وساطع : متفرق .

(٤) متونها : ظهورها . والحميم (هنا) : العرق . وآن : حار . وناقع : كثير .

(٥) لايستفزنا : لايستخفنا .

(٦) خذروف السحابة : طرفها . وأراد به هنا سرعة تحرك هذا اللواء واضطرابه .

(٧) معتص : ضارب . يقال : اعتصوا بالسيوف : إذا ضاربوا بها . وكانع : دان ؛ يقال : كنع منه الموت ، إذا دنا .

(٨) نذود : ندفع . وأخانا عن أخينا : يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس . كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ؛ فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا هوازن ، ونذودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى فى حكم الدين مصالا وتطاولا على الناس ، لـكنا مع الأقربين هوازن .

(٩) حمه الله : قدره .

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

تَقَطَّعَ باقى وصْــلِ أمِّ مُؤَمَّلٍ ... بعاقبــة واستبدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا[1]
وقد حَلَفَتْ بالله لا تقطعُ القُوَى ... فما صَدَقَتْ فيه ولا بَرَّت الحَلْفا[2]
خُفافِيَّةٌ بطْنُ العَقيق مَصِيفُها ... وتحتلُّ فى البادِين وَجْرَةَ فالعُرْفا[3]
فإن تَتْبَعِ الــكفارَ أمُّ مؤمَّلٍ ... فقد زوّدَتْ قلبى على نأيها شَغْفا[4]
وسوف يُنبِّيها الخبــيرُ بأننا ... أبَيْنا ولم نطلُبْ سِوَى رَبِّنا حِلْفا[5]
وأنّا مَعَ الهادى النــبىِّ محمّدٍ ... وفَينا ولم يستوفها مَعْشَرٌ ألْفَا
بفتيانِ صِــدْق من سُلَيْم أعزَّةٍ ... أطاعوا فما يعصُونَ من أمْرِه حَرْفا
خُفافٌ وذَكْوانٌ وعوْفٌ تخَالهم ... مَصَاعِبَ زافَتْ فى طَرُوقَتِها كُلْفا[6]
كأنّ النَّسيجَ الشُّهْبَ والبيضَ مُلْبَسٌ ... أُسُوداً تلاقَتْ فى مراصدها غُضْفا[7]
بنا عَزَّ دِينُ الله غــيرَ تَنَحُّلٍ ... وزِدْنَا عَلَى الحَىِّ الذى مَعَه ضِعْفا[8]
بمكَّةَ إذ جِئْنَا كأنّ لواءنا ... عُقَابٌ أرَادَتْ بعد تَحْليقِها خَطْفا

---

(١) النية : ماينويه الإنسان من وجه ويقصده . وخلفا (بضم الخاء) : من خلف الوعد ، ومن رواه (بفتح الخاء) ، فهو من المحالفة . وقال السهيلى : «النية من النوى ، وهو البعد . وخلفا : يجوز أن يكون مفعولا من أجله ، أى فعلت ذلك من أجل الخلف . ويجوز أن يكون مصدراً مؤكدا للاستبدال ، لأن استبدالها خلف منها لما وعدته به . ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده » .

(٢) القوى هنا : قوى الحبل ، والحبل (هنا) : هو العهد . والحلف : اليمين والقسم .

(٣) خفافية : نسبة إلى بنى خفاف ، حى من سليم . والعقيق : واد بالحجاز . ووجرة والعرف : موضعان .

(٤) كذا فى م ، ر . والشغف (بالغين المعجمة) : أن يبلغ الحب شغاف القلب ، وهو حجابه . وفى ا : « شعفا » بالعين المهملة ، ومعناه : أن يحرق الحب القلب مع لذة يجدها المحب .

(٥) الحلف : المحالفة ، وهو أن يحالف القبيل على أن يكونوا يدا واحدة فى جميع أمورهم .

(٦) مصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وزافت : مشت . والطروقة : النوق التى يطرقها الفحل . وكلف : سود ؛ الواحد : أكلف .

(٧) النسيج : الدروع . والشهب : جمع شهباء ، وهى التى يخالط بياضها حمرة . ومراصدها : حيث يرصد بعضها بعضا ، وغضف : مسترخية الآذان .

(٨) غير تنحل : غير كذب .

عَلى شُخَّصِ الأبصارِ تحسبُ بيْنَها ... إذا هِيَ جالت فى مَرَاوِدِها عَزْفا[1]
غداةَ وَطِئْنا المشركين ولم نَجِدْ ... لأمر رسولِ اللهِ عَدْلا ولا صَرْفا[2]
بمعـــتركٍ لا يَسْمَعَ القومِ وسْطَه ... لَنا زَجْمَةً إلا التَّذامُرَ والنَّقْفا[3]
بِبِيضٍ نُطيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّها ... وَنَقْطِفُ أعْناقَ الكُماة بها قَطْفا[4]
فكائن ترَكْنا من قَتِيل مُلَحَّبٍ ... وأرْمَـــلَةٍ تَدْعو على بَعْلِها لَهْفا[5]
رِضَا اللهِ نَنْوِى لا رضا الناس نبتغى ... ولِلهِ ما يَبْـــدُو جميعاً ومَا يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضا:

ما بَالُ عينِكَ فيها عائرٌ سَهِرٌ ... مِثْلُ الحَمَاطةِ أغْضَى فوقَها الشُّفُرُ[6]
عَيْنٌ تأوَّبها من شجْوِها أرقٌ ... فالمـاءُ يَغْمُرُها طوْرًا ويَنْحدِرُ[7]
كأنه نَظْمُ دُرٍّ عنـــد ناظمةٍ ... تَقطَّعَ السِّلْكُ منـــه فهو مُنْتَثِرُ[8]
يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ ترجو مودَّتَه ... ومَنْ أتَى دُونَهُ الصَّمَّانُ فالحَفَرُ[9]

---

(1) شخص: جمع شاخص، وهو الذى يفتح عينه ولا يطرف. والمراود: جمع مرود، وهو الوتد. قال السهيلى: «ويجوز أن يكون جمع مراد، وهو حيث ترود الخيل، أى تذهب وتجىء»، والعزف: الصوت والحركة.

(2) العدل: الفدية. والصرف: التوبة.

(3) المعترك: موضع الحرب. وزجمة: أى صوت. والتذامر: أن يحض بعضهم بعضا على القتال. والنقف: كسر الرءوس، ومنه ناقف الحنظلة، وهو كاسرها ومستخرج مافيها.

(4) الهام: الرءوس، الواحدة: هامة. ونقطف: نقطع.

(5) ملحب: مقطع اللحم.

(6) العائر: كل ما أعل العين من رمد أو قذى يتنخس فى العين كأنه يعورها. وسهر: من السهر، وهو امتناع النوم. وجعله سهرا، وإنما السهر الرجل، لأنه لم يفتر عنه، فكأنه سهر ولم ينم. والحماطة (فى الأصل): تبن الذرة إذا ذريت، وله أكال فى الجلد؛ ويريد به مايقع منه فى العين فتقذى به. وأغضى فوقها: أغمض جفنه عليها. والشفر (أصله بسكون الفاء، وحركت بالضم إتباعا): أصل منبت الشعر فى الجفن.

(7) تأوبها: جاءها مع الليل. والشجو: الحزن. والماء: الدمع. ويغمرها: يغطيها.

(8) السلك: الخيط الذى ينظم فيه. ومنتثر: متفرق.

(9) الصمان والحفر: موضعان.

دعْ ماتقدم من عهد الشباب فَقَدْ ... وَلَّى الشبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ (١)
واذْكُرْ بَلاءَ سُلَيْمٍ فى مواطنها ... وفى سُلَيْمٍ لأهــلِ الفَخْرِ مُفْتَخَر
قَوْمٌ همُ نصَرُوا الرحمن واتَّبعوا ... دِينَ الرَّسُولِ وأمرُ الناسِ مُشْتَجِرُ (٢)
لايَغْرِسون فَسِيلَ النَّخلِ وَسْطَهم ... ولاتخاوَرُ فى مَشْـــتَاهُم البَقَرُ (٣)
إلا ســـوابحَ كالعِقْبان مُقْرَبةً ... فى دارَةٍ حَوْلَها الأَخْطارُ والعَكَرُ (٤)
تُدْعَى خُفافٌ وعَوْفٌ فى جوانبها ... وحيُّ ذَكوانَ لامِيلٌ ولاضُجُرُ (٥)
الضاربون جنود الشِّرك ضاحِيةً ... ببطن مكَّة والأرواحُ تَبْتَدِرُ (٦)
حتى دَفَعْنا وقتـــلاهمْ كأنَّهُمُ ... نَخْلٌ بظاهِرة البطحاء مُنْقَعِرُ (٧)
ونحنُ يومَ حُنينٍ كانَ مشهدُنا ... للدِّينِ عِزًّا وعنـــدَ الله مُدَّخَر
إذ نركبُ الموتَ مخضرًّا بطائنُهُ ... والخيْلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِرُ (٨)
تحت اللواء مع الضحاك يقدُمنا ... كما مَشَى اللَّيثُ فى غاباتِه الخَدِرُ (٩)
فى مأزِقٍ من مَجَرِّ الحرْبِ كَلْكَلُها ... تكادُ تأفُلُ منه الشَّمْسُ والقمرُ (١٠)
وقد صـــبَرْنا بأوطاسٍ أَسِنَّتَنا ... للهِ نَنْصُرُ مَنْ شئنا ونَنْتَصِرُ

---

(١) الزعر : قلة الشعر .

(٢) مشتجر : مختلف ، من الاشتجار : وهو الاختلاف وتداخل الحجج بعضها فى بعض .

(٣) الفسيل : صغار النخل . وتخاور : من الخوار ، وهو أصوات البقر . يريد أنهم ليسوا أهل زرع وتربية نعم ، وإنما هم أهل حرب وانتقال .

(٤) السوابح (هنا) : الخيل التى كأنها تسبح فى جريها . والعقبان : جمع عقاب . ومقربة (كما فى م ، ر) : قريبة من البيوت ، لركوبها إذا حدث ما يدعو إلى النجدة ونحوها : وفى ا : « مقرنة » . والدارة : كل ما أحاط بشىء . والأخطار : الجماعات من الإبل . والعكر : الإبل الكثيرة .

(٥) خفاف ، وعوف ، وذكوان : قبائل . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسلاح له . والضجر (بضم الضاد والجيم) : جمع ضجور ، من الضجر ، وهو الحرج وسوء الاحتمال .

(٦) ضاحية : منكشفة بارزة فى أشعة الشمس .

(٧) منقعر : منقلع من أصله .

(٨) ساطع : غبار متفرق . وكدر : متغير إلى السواد .

(٩) الخدر : الداخل فى خدره . والخدر (هنا) : غابة الأسد .

(١٠) مأزق : مكان ضيق فى الحرب . والكلكل : الصدر . وتأفل : تغيب .

حتّى تأوّبَ أقوامٌ منازلهم ... لولا المليكُ ولولا نحنُ ماصَــدَروا[1]
فما تَرى مَعْشَراً قَلُّوا ولا كَثُروا ... إلّا وقدَ اصْبَحَ مِنَّا فيهـــمُ أثَرَ

وقال عباس بن مِرْداس أيضا :

يَأيها الرجل الذى تَهْوِى به ... وجْناء مُجْمَرَةُ المَناسم عِرْمِس[2]
إمَّا أتيْتَ على النبيِّ فقلْ له ... حقًّا عليك إذَا اطْمأنَّ المجلس
ياخيرَمن ركِبَ المطِيَّ ومَنْ مَشَى ... فوق التراب إذا تُعَدُّ الأنفُس
إنّا وَفَيْنا بالذى عاهــدْتَنا ... والخيلُ تُقْدَعُ بالـكُماة وتُضْرَس[3]
إذ سالَ من أفناء بُهْثَةَ كُلِّها ... جمعٌ تَظَلّ به المخارِم تَرْجُس[4]
حتى صَبَحْنا أهلَ مكة فَيْلَقًا ... شَهْباءَ يقدُمُها الهُمَامُ الأشوَس[5]
من كلِّ أغْلَبَ من سُلَيمٍ فوقَهُ ... بيضاءُ مُحكَمَةُ الدِّخَال وقَوْنَس[6]
يُروِى القناة إذا تجاسَر فى الوَغَى ... وتخاله أسَــــداً إذا ما يَعْبِس
يغْشَى الـكَتيبةَ مُعْلِمـا وبكَفّه ... عَضْبٌ يَقُدُّ به ولَدْنٌ مِدْعَس[7]
وعلى حُنَيْنٍ قد وَفَى من جمْعِنا ... ألفٌ أُمِدَّ به الرسولُ عرَنْدَس[8]
كانُوا أمامَ المؤمنين دَرِيئَةً ... والشمسُ يومئذ عليهم أشْمُس[9]

---

(١) تأوب : رجع .

(٢) تهوى به : تسرع . والوجناء : الناقة الضخمة ، أو هى الغليظة الوجنات البارزتها ، وذلك يدل على غئور عينيها . وهم يصفون الإبل بغئور العينين عند طول السفار . والمجمرة : المجتمعة المنضمة ، وذلك أقوى لها . والمناسم : جمع منسم وهو مقدم طرف خف البعير . وعرمس : شديدة ؛ وأصل العرمس : الصخرة الصلدة ، وتشبه بها الناقة الجلدة القوية .

(٣) تقدع : تكف . وتضرس : تجرح .

(٤) سال : ارتفع . وبهثة : حى من سليم . والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز وتتحرك .

(٥) صبحنا أهل مكة فيلقا : أتيناهم بفيلق عند الصبح . وشهباء : لها بريق من كثرة السلاح . والهمام : السيد . والأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر .

(٦) الأغلب : الشديد الغليظ . ومحكمة الدخال : يريد قوة نسج الدرع . والقونس : أعلى بيضة الحديد .

(٧) عضب : سيف قاطع . ولدن : لين ، يقصد به الرمح . ومدعس : طعان .

(٨) عرندس : شديد

(٩) دريئة : مدافعة . وأشمس : جمع شمس . يريد لمعان الشمس فى كل درع وسيف وبيضة وسنان ، فكأنها شموس .

نَمْضِى ويحْرُسُنَا الإله بحفظه   واللهُ ليْسَ بضائع من يحرُسُ
ولقد حُبِسْـنا بالمناقب مَحْبِسا   رضىَ الإلهُ به فنِعْم المحبِس[1]
وغداةَ أوْطاسٍ شدَدْنا شَدَّةً   كفتَ العدُوّ وقيل منْها يا:احْبِسوا
تَدْعُو هوازنُ بالإخاوة بيننا   ثَدْىٌ تَمُدّ به هوازنُ أيْبَس
حتى تَرَكْنَا جمْعَهم وكأنه   عَيْرٌ تعاقَبُه السِّبَاعُ مُفرَّس[2]

قال ابن هشام :

أنشدنى خلفٌ الأحمر قوله : « وقيل منها يا احْبِسوا » .

قال ابن إسحاق :

وقال عباس بن مرداس أيضا :

نَصَرْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له   بألفِ كَمِىٍّ لا تُعَدُّ حواسرُه[3]
حمَلْنا له فى عاملِ الرّمْح رايةً   يذودُها فى حَوْمة المَوْت ناصرُه[4]
ونحن خَضبْناهاَ دَمًا فهْو لَوْنُها   غداةَ حنين يومَ صفوانُ شاجِرُه[5]
وكنا على الإسلام ميمَنَةً له   وكان لنا عَقْدُ اللِّواءِ وشاهره
وكنّا له دونَ الجنودِ بطانةً   يشـاوِرُنا فى أمره ونُشاوره
دعانا فسمَّانا الشِّـعارَ مُقَدَّمًا   وكنّا له عَوْنا على من يُنا كِره[6]
جزَى الله خيراً من نبىٍّ محمداً   وأيَّده بالنّصْر والله ناصره

قال ابن هشام :

أنشدنى من قوله : « وكنا على الإسلام » إلى آخرها ، بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذى أوله : « حملنا له فى عاملِ الرمْح راية » . وأنشدنى بعد قوله : « وكان لنا عَقْد اللواء وشاهره » : « ونحن خضبناه دما فهو لونه » .

(١) المناقب : اسم طريق الطائف من مكة .
(٢) العير : حمار الوحش . ومفرس : معقور ، افترسته السباع .
(٣) حواسره : جموعه الذين لادروع عليهم ؛ يقال : رجل حاسر ، إذا لم يكن عليه درع .
(٤) عامل الرمح : مايلى السنان ، وهو دون الثعلب .
(٥) شاجره : أى مخالطه بالرمح ؛ يقال : شجرته بالرمح ، إذا طعنته به ، وشجرت الرماح : إذا دخل بعضها على بعض .
(٦) الشعار : ماولى جسد الإنسان من الثياب ، فاستعاره هنا لبطانته وخاصته .

قال ابن إسحاق :

وقال عباس بن مرداس أيضا :

من مُبْلِـغ الأقوام أنّ محمدا   رسولَ الإله راشــدٌ حيث يَمّمَا[1]
دعا ربَّه واستنصر اللهَ وَحْدَه   فأصــبح قد وَفَّى إليه وأنْعَمَا
سَرَيْنا وواعدنا قُدَيْداً محمدا   يؤُمّ بنا أمراً مِنَ اللهِ مُحْكَمَا
تمـارَوْا بنا فى الفَجْرِ حتّى تَبَيّنوا   مع الفجْر فِتيانا وغَاباً مُقَوَّما[2]
على الخَيْلِ مشدُوداعلينا دُرُوعُنا   ورَجْلا كدُفّاعِ الأَتِىِّ عرمرما[3]
فإنّ سَراةَ الحَىِّ إنْ كنتَ سائلا   سُلَيْمٌ وفيهمْ منهمُ من تَسلَّما[4]
وجندٌ من الأنصار لا يَخْذُلُونه   أطاعوا فمـا يَعْصونَه ما تَـكَلَّمَا
فإن تك قد أُمّرْتَ فى القومِ خالدا   وقدّمْتَه فإنه قدْ تقــــــدّما
بجُنْد هــداهُ اللهُ أنتَ أميرُه   تُصيبُ به فى الحق من كان أظلَمَا
حلفتُ يمينًــا برّةً لِمُحمَّد   فأكْمَلْتُها ألفاً من الخيل مُلْجما
وقال نبىُّ المؤمنين تقـــــدَّموا   وحُبَّ إلينا أن نَـكون المقدّما
وبتنا بنهْى المستدير ولم يَكُنْ   بنا الخوْفُ إلا رَغْبَةً وتَحَزُّما
أطعْنَاكَ حتى أسْلَمَ الناسُ كلُّهم   وحتى صَبحْنا الجمعَ أهلَ يلَمْلَـما[5]
يَضِلّ الحِصانُ الأبلقُ الوَرْدُ وسْطه   ولا يَطمَئِنّ الشيخُ حتى يُسَوِّما[6]

---

(١) فى هذا البيت خرم .

(٢) تماروا بنا : شكوا فينا . والغاب (هنا) : الرماح .

(٣) رجلا : مشاة . والأتى : السيل يأتى من بلد إلى بلد ودفاعه : ما يدفعه أمامه . والعرمرم : الكثير الشديد .

(٤) تسلم : انتسب إلى سليم ، كما تقول : تقيس الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس .

(٥) يلملم ، أو ألملم : ميقات الحاج القادم من جهة اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة .

(٦) الأبلق : الذى فيه بياض مع سواد . والورد : المشرب حمرة . واجتماع هذه الألوان فى الحصان مما يزيده ظهورا ، وهو مع ذلك يغيب فى غمرة هذا الموضع وزحمته . ويسوم : يعلم نفسه أو حصانه بعلامة يعرف بها .

سَمَوْنا لهم وِرْد القَطا زَفَّهُ ضُحًى   وكلٌّ تراهُ عن أخيه قَدَ أُحْجِما[1]
لَدُنْ غُدْوَةً حتى تَرَكْنا عشيَّة   حُنَيناً وقد سالَتْ دَوافعُه دما[2]
إذا شئْتَ مِن كلٍّ رأيتَ طِمِرَّة   وفارِسَها يهوِى ورُمْحاً مُحطَّما[3]
وقد أحْرَزَت منَّا هوازنُ سَرْبَها   وحُبَّ إليها أن نَخيبَ ونُحْرَما[4]

قال ابن إسحاق :

شعر ضمضم في يوم حنين

وقال ضَمْضَم بن الحارث بن جُشَمَ بن عَبْد بن حَبيب بن مالك بن عوف ابن يَقَظة بن عُصَيَّة السُّلَمِيّ في يوم حنين ، وكانت ثقيف أصابت كنانة ابن الحكم بن خالد بن الشَّرِيد ، فقَتل به مِحْجَنا وابن عمّ له ، وهما من ثقيف :

نحن جَلَبْنا الخيلَ من غير مَجْلَب   إلى جُرَشٍ[5] من أهل زَيّان[6] والفَم[7]
نُقتِّل أشبال الأسود ونبتغي   طواغِيَ كانَتْ قبلنا لم تُهَدَّم[8]
فإن تَفْخَروا بابن الشَّريد فإنني   تركْتُ بوجٍّ مأْتما بعدَ مأْتم[9]
أبأْتُهُما بابن الشَّرِيد وغَرَّه   جِوارُكُمُ وكان غيرَ مُذَمَّم[10]

---

(١) سمونا لهم : نهضنا لقتالهم . والقطا : طائر معروف ، وزفه الضحى : أسرع به الضحى وساقه سوقا شديدا . وأحجم عن أخيه : شغل عنه .

(٢) دوافعه : مجاري السيول فيه .

(٣) طمرة : فرس سريعة وثابة . ومحطم : مكسر .

(٤) السرب (بفتح السين) : المال الراعي .

(٥) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

(٦) كذا في ا . وهو اسم جبل . وفي م ، ر : « ريان » بالراء المهملة .

(٧) الفم : موضع .

(٨) طواغي : جمع طاغية ، وأراد بهما هاهنا البيوت التي كانوا يتعبدون فيها في الجاهلية ويعظمونها سوى البيت الحرام .

(٩) وج : موضع بالطائف . والمأتم : جماعة النساء يجتمعن في الخير والشر ، وأراد به هنا اجتماعهن في الحزن .

(١٠) أبأتهما بابن الشريد : جعلتهما بواء ، أو سواء به ، أي قتلتهما به .

تُصيب رجالاً من ثقيف رماحُنا … وأسيافُنا يَكْلِمْنَهُمْ كلَّ مَكْلَمِ (١)

وقال ضَمْضَم بن الحارث أيضا :

أبْلغْ لديكَ ذَوِى الحلائل آيةً … لا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِمَارِ (٢)

بعد التى قالت لجارة بيتها … قد كنتُ لو لَبِثَ الغَزِىُّ بِدارِ (٣)

لما رَأتْ رجلا تسفَّع لونَه … وَغْرُ المَصِيفَةِ والعِظام عوارِى (٤)

مُشُطَ العِظام تراه آخِرَ لَيْلِه … مُتَسَرْبِلا فى دِرْعِه لِغَوارِ (٥)

إذ لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدَةٍ … جرداءَ تُلْحِقُ بالنِّجاد إزارِى (٦)

يوما على أَثَرِ النِّهابِ وتارَةً … كُتِبَتْ مُجاهِدَةً مع الأَنْصَارِ (٧)

وزُهاء كلِّ خميلة أَزهَقتُها … مَهَلاً تَمَهُّلُه وكلِّ خَبارِ (٨)

كيما أُغَيِّر ما بها من حاجة … وتُودَّ أنى لا أؤوب فَجَارِ (٩)

شعر أبى خراش فى رثاء ابن العجوة

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، قال :

أُسِرَ زُهير بن العَجْوَةِ الهُذَلِىُّ يوم حُنين ، فكُتِفَ ، فرآه جميل (١٠) بن مَعْمَر الجُمَحِىُّ ، فقال له : أأنت الماشى لنا بالمغايِظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خِراش (١١) الهذلى يَرْثيه ، وكان ابن عمه :

---

(١) يكلمنهم : يجرحنهم .

(٢) الحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة . وآية : علامة .

(٣) الغزىّ : جماعة القوم الذين يغزون .

(٤) تسفع لونه : أى غيره إلى السفعة ، وهى سواد بحمرة . والوغر : شدة الحر . والمصيفة : الأرض اشتد حرها .

(٥) مشط العظام : قليل اللحم الذى على العظام . ولغوار : أى للإغارة .

(٦) الرحالة : هنا : السرج . ونهدة : غليظة ، يعنى فرسا . وجرداء : قصيرة الشعر . والنجاد : حمائل السيف .

(٧) النهاب : جمع نهب ، وهو مايغنم وينهب .

(٨) خميلة : رملة طيبة ينبت فيها شجر . يريد أرضا مزروعة لينة . والخبار : أرض لينة التراب .

(٩) لا أؤوب : لا أرجع . وفجار : بمعنى الفاجرة ، وهو معدول عنه ، وأكثر ما يستعمل فى النداء .

(١٠) هو غير جميل بن معمر العذرى ، صاحب بثينة ، الشاعر المعروف .

(١١) اسمه خويلد بن مرة ، وكان شاعرا إسلاميا . مت فى خلافة عمر من حية نهشته .

تَجّفَ[1] أضيافى جميلُ بن مَعْمَرٍ   بذى فَجَرٍ تأوى إليه الأرامل[2]،
طَويلِ نِجَادِ[3] السّيفِ[4] ليس بجَيْدرٍ[5]   إذا اهتزّ واسترْخَتْ عليه الحمائل[6]
تكادُ يَدَاه تُسْلِمانِ إزارَه[7]   من الجُود لما أذْلَقَتْه[8] الشمائل[9]
إلى بيته يأوى الضَّريكُ[10] إذا شَتَا   ومُسْتَنْبِحٌ[11] بَالِى الدَّرِيسَيْنِ عائل[12]
تروّح مقْرُوراً[13] وهبّتْ عشيّةً[14]   لها حــــدَبٌ تحتثُّه فيُوَائل[15]

---

(١) كذا فى الأصول . وتجف (بالتضعيف) : أضعف وهزل . وفى ديوان أشعار الهذليين (المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٦ أدب ش) : « فجع » .

(٢) الفجر (بتحريك الجيم) : الجود والكرم . والأرامل : المحتاجون ؛ الواحد : أرمل وأرملة .

(٣) النجاد : حمائل السيف .

(٤) فى ديوان الهذليين : « البز » وهو السلاح . ويريد به هنا السيف خاصة .

(٥) كذا فى الديوان والجيدر : القصير . وفى م ، ر : « بحيدر » بالحاء المهملة . وفى ا : « بخيذر » ، (بخاء وذال معجمتين) ، وهما تصحيف .

(٦) الحمائل : جمع حمالة ، وهى علاقة السيف ؛ ويكنى بطولها عن طول القامة .

(٧) فى الديوان : « رداءه » .

(٨) كذا فى الأصول . والشمائل : رياح الشمال الباردة ، ومعها القحط . وأذلقته : جهدته وأحنته . يصفه بالجود مع الجدب وذلك حين تهيج الشمال شتاء . وفى الديوان : « لما استقبلته الشمائل » . وهى بمعناها . وموضع هذا البيت فى الديوان بعد بيته : « تروح مقرورا » .

(٩) قال السهيلى : « يريد أنه من سخائه يريد أن يتجرد من إزاره لسائله ، فيسلمه إليه . وألفيت بخط أبى الوليد الوقشى : « الجود (هاهنا) ، وعلى هذه الرواية ، وبهذه الرتبة : السخاء . وكذلك فسره الأصمعى والطوسى . وأما على ما وقع فى شعر الهذلى ، وفسره فى الغريب المصنف ، فهو الجوع » . ولم نجد هذه الرواية فى ديوان الهذليين الذى أشرنا إليه .

(١٠) كذا فى الأصول . والضريك : الفقير . وفى الديوان : « الغريب » .

(١١) كذا فى الأصول . والمستنبح : الطارق ليلا ، يقع فى حيرة فينبح ، فتنبحه الكلاب ، فيقصد موضعها . وفى الديوان : « ومهتلك » وهو بمعنى المستنبح .

(١٢) الدريسان : الثوبان الخلقان ؛ يريد رداءه وإزاره . والعائل : الفقير .

(١٣) المقرور : الذى أصابه القر ، وهو البرد .

(١٤) فى الديوان : « وراحت عشية » .

(١٥) الحدب : تراكب الريح فى هبوبها كما يتراكب الماء فى جريه ، وذلك إذا اشتدت . قال السهيلى : « والخدب (بالخاء المعجمة) أشبه بمعنى البيت ، لأنهم يقولون ريح خدباء ، كأن بها خدبا ، وهو الهوج » . وتحتثه : تسوقه سوقا سريعا . ويروى : « تجتثه » بالجيم ، أى تقتلعه من الأرض . ويوائل : يطلب موئلا ، وهو الملجأ .

فما بالُ أهلِ الدَّارِ لم يَتصدَّعوا[١]   وقد بانَ منها اللَّوذعيُّ الحُلاحِل[٢]
فأُقسِمُ لو لاقيتَه غيرَ مُوثَقٍ   لآبكَ بالنَّعْفِ الضِّباعُ الجيائل[٣]
وإنك لو واجهْتَه إذْ[٤] لَقيتَه   فنازلتَه أو كنتَ ممَّن ينازل
لظلَّ جميلٌ[٥] أفحشَ القومِ صِرْعةً[٦]   ولكنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ للمرءِ شاغل[٧]
فليسَ كعهْدِ الدار يا أُمَّ ثابتٍ[٨]   ولكنْ أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِل[٩]
وعاد الفتى كالشيْخِ ليس بفاعلٍ[١٠]   سوى الحَقِّ شيئاً واستراحَ العواذِل[١١]
وأصبح إخوانُ الصَّفاءِ كأنَّما   أهالَ عليهِمْ جانبَ التُّرْبِ هائل[١٢]
فلا تحسَبي أنِّي نسيتُ لياليًا   بمكَّةَ إذ لمْ نَعْدُ عمَّا نحاول[١٣]
إذِ الناسُ ناسٌ والبلادُ بغِرَّةٍ[١٤]   وإذْ نحن لا تُثْنى علينا المداخل[١٥]

---

(١) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا. وفي الديوان: «لم يتحملوا». والتحمل: الرحيل.

(٢) اللوذعي: الحديد اللين اللسان. والحلاحل: السيد.

(٣) كذا في الأصول. وآبك: رجع إليك وزارك. والنعف: أسفل الجبل. والضباع جمع ضبع، وهي من السباع. والجيائل: من أسماء الضباع؛ الواحد: جيئل. ورواية هذا البيت في الديوان:

فوالله لو لاقيته غير موثق   لآبك بالجزع الضباع النواهل

والجزع: منعطف الوادي. والنواهل: المشتهيات للأكل كما تشتهي الإبل الماء.

(٤) كذا في الديوان. وفي الأصول: «أو».

(٥) في الديوان: «أسوة».

(٦) كذا في الأصول. والصرعة (بكسر الصاد المهملة): هيئة الصرع. وفي الديوان: «تلة»، وهي أيضا اسم للهيئة من تله يتله، إذا صرعه.

(٧) قرن الظهر: هو الذي يأتيه من وراء ظهره من حيث لا يراه. قال السهيلي: «قرن (بالقاف) جمعه أقران، ويروى: (ولكن أقران الظهور مقاتل). ومقاتل: جمع مقتل (بكسر الميم، مثل محرب، من الحرب)، أي من كان قرن ظهر فإنه قاتل وغالب».

(٨) في الديوان: «يا أم مالك».

(٩) يريد أن الإسلام أحاط برقابنا، فلا نستطيع أن نعمل شيئا.

(١٠) في الديوان: «كالكهل ليس بقائل». يقول: رجع الفتى عما كان عليه من فتوته وصار كأنه كهل.

(١١) العواذل: اللوائم من النساء. واستراح العواذل، لأنهن لا يجدن مما يعذلن فيه سوى العدل، أي سوى الحق.

(١٢) أهال: صب.

(١٣) لم نعد: لم يمنعنا شيء. ورواية هذا البيت في الديوان.

ولم أنس أياما لنا ولياليا   بحلية إذ نلقى بها من نحاول

(١٤) كذا في ا. والغرة: الغفلة. وفي سائر الأصول: «بعزة».

(١٥) لا تثنى: لا تعطف (بالبناء للمجهول فيهما). ويروى: «لا تبنى». ولم يرد هذا البيت في ديوان أشعار الهذليين.

شعر ابن عوف في الاعتذار من فراره

قال ابن إسحاق :

وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

مَنَعَ الرُّقادَ فما أُغمِّضُ ساعةً ... نَعَمٌ بأجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ (1)
سائِلْ هوازِنَ هل أضُرُّ عدوَّها ... وأُعِينَ غارمَها إذا ما يَغْرَمُ
وكتيبةٍ لبَّسْتُها بكتيبة ... فِئَتَين منها حاسرٌ ومُلأَّمُ (2)
ومُقَدَّمٍ تعيا النفوسُ لِضيقه ... قدَّمتُه وشُهودُ قومِي أعلَمُ (3)
فوردْتُه وتركتُ إخواناً له ... يَرِدُون غَمْرتَه وغمرتُه الدَّمُ (4)
فإذا انجلتْ غمراتُه أورثْنَنِي ... مجْدَ الحياة ومجْدَ غُنْمٍ يُقْسَمُ
كلَّفتمونى ذنبَ آلِ محمد ... واللهُ أعلَمُ مَنْ أعقُّ وأظلَمُ
وخذلتمونى إذ أقاتلُ واحداً ... وخذلتمونى إذ تقاتل خَثْعَمُ
وإذا بنيتُ المجْدَ يهدم بعضُكم ... لا يستوى بانٍ وآخرُ يهدمُ
وأقبَّ مِخْماصِ الشِّتاءِ مسارعٍ ... في المجْدِ يَنْمِى للعُلاَ مُتَكَرِّمُ (5)
أكرهتُ فيه أَلَّةً يَزَنِيَّةً ... سَحْماءَ يقدُمُها سِنانٌ سَلْجَمُ (6)
وتركتُ حَنَّتَه تردُّ وَلِيَّه ... وتقولُ ليْس عَلَى فُلانَةَ مَقْدَمُ (7)
ونصبْتُ نَفْسِى للرِّماحِ مُدَجَّجا ... مثلَ الدَّرِيئة تُسْتَحَلُ وتُشْرَمُ (8)

---

(1) النعم : الإبل . أو كل ماشية أكثرها الإبل . وأجزاع الطريق : جمع جزع ، وهو ما انعطف منه . ومخضرم : صفة للنعم ، وهو الذى قطع من أذنه ، ليكون ذلك علامة له .

(2) الكتيبة : الجيش المجتمع . والحاسر : الذى لا درع عليه . والملأم : الذى لبس اللامة ، وهى الدرع .

(3) مقدم : يعنى موضعا لا يتقدم فيه إلا الشجعان .

(4) الغمرة : الشدة ، والماء الكثير يغمر .

(5) الأقب : الضامر الخصر . والمخماص : الضامر البطن .

(6) الألة : الحربة . واليزنية ، المنسوبة إلى ذى يزن ، وهو ملك من ملوك حمير . وسحماء : سوداء العصا . وسنان سلجم : أى طويل .

(7) حنته : يعنى زوجته ، سميت بذلك لأنها تحن إليه ويحن إليها .

(8) المدجج : الكامل السلاح . والدرية : الحلقة التى تنصب فيتعلم عليها الطعن ، أصله : دريئة ، سهلت الهمزة ، ثم أدغمت الياء فى الياء . وتستحل : من الحل ، ويروى : تستخل (بالخاء المعجمة) ، وهو من الخلال ، وهو أظهر فى المعنى . وتشرم : تقطع . (راجع السهيلى) .

شعر لهوازنى يذكر إسلام قومه

قال ابن إسحاق :

وقال قائل فى هوازن أيضا ، يذكر مسيرَهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذْكُرْ مسيرَهمُ للناس إذ جَمَعُوا ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ
ومالكٌ مالكٌ ما فوقَه أحــدٌ ... يومَ حُنَيْنٍ عليــه التاجُ يأتَلِقُ[1]
حتى لقُوا الباسَ حينَ الباسُ يقدُمُهم ... عليهمُ البَيْضُ والأبْدان والدَّرَقُ[2]
فضارَبُوا الناسَ حتى لم يرَوْا أحداً ... حوْلَ النَّبِي وحَتَّى جَنَّــهُ الغَسَقُ[3]
ثُمّتَ نُزِّل جبريلٌ بنصرهمُ ... مِنَ السماءِ فَمهزوم ومُعْتَنَقُ[4]
منّا ولو غــيرُ جبريل يقاتلنا ... لمَنَّعَتْنا إذَنْ أسيافُنا العُتُقُ[5]
وفاتنا[6] عُمَرُ الفاروق إذ هُزِمُوا ... بطعنةٍ بلَّ منها سَرْجَه العَلَقُ[7]

شعر جشمية فى رثاء أخويها

وقالت امرأة من بنى جُشَم ترثى أخوين لهـا أُصيبا يوم حنين :

أعيْنَيَّ جُــودا على مالكٍ ... مَعاً والعــــلاءِ ولا تَجْمُدَا[8]
هما القــــاتلان أبا عامرٍ ... وقد كان ذَا هَبَّـــةٍ أربدا
هما تركاهُ لدى مُجْسَــــد ... ينوءُ نزيفا وما وُسِّـــــدا[9]

شعر أبى ثواب فى هجاء قريش

وقال أبو ثواب زيدُ بن صُحَار ، أحد بنى سعد بن بكر :

أَلاَ هَلَ أتاكَ أنْ غَلبَتْ قريشٌ ... هَوازنَ والخطوب لهـا شُرُوطُ

---

(١) يأتلق : يلمع .
(٢) البأس : الشدة والشجاعة . والبيض : جمع بيضة ، وهى المغفر ، والأبدان (هنا) : جمع بدن ، وهى الدرع . والدرق : جمع درقة ، وهى الترس من جلد بلا خشب ولا عقب .
(٣) جنه : ستره . والغسق : الظلمة، يعنى ظلمة الغبار .
(٤) معتنق : أسير .
(٥) العتق (بوزن عنق) : جمع عتيق ، وهو النفيس .
(٦) كذا فى م ، ر . وفى ا : « وفاتنى » .
(٧) العلق (بالتحريك) : الدم .
(٨) لاتجمدا : لاتبخلا بالدموع .
(٩) المجسد : الذى صبغ بالجساد ، وهو الزعفران ، والمراد أن دمه صبغ ثوبه بمثل لون =

وكنَّا يا قريش إذا غَضِبْنا يجىء من الغِضاب دمٌ عَبيط[١]
وكنّا يا قريش إذا غَضِبْنا كأنَّ أنوفَنا فيها سَعوط[٢]
فأصبَحْنا تُسَوِّقُنا قُرَيشٌ سِياق العِيرِ يحْدُوها النَّبيط[٣]
فلا أنا إن سُئلتُ الخَسفَ آبٍ ولا أنَا أنْ ألينَ لهُمْ نَشيط[٤]
سَيُنْقلُ لحمُها فى كلِّ فَجٍّ وتكتَب فى مسامعها القُطوط[٥]

ويروى «الخطوط» وهذا البيت فى رواية ابن سعد[٦].

قال ابن هشام : ويقال أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدنى خلف الأحمر قوله: «يجىء من الغضاب دمعبيطُ»،وآخِرَها بيتاً عن غيرابن اسحاق.

شعر ابن وهب فى الرد على أبى ثواب

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم، ثم من بنى أسيِّد، فقال :

بشرط الله نضرب من لَقِينا كأفضل ما رأيتَ من الشروط
وكنا يا هوازنُ حينَ نلْقَى نَبُلّ الهامَ من عَلَق عَبِيط[٧]

= الزعفران . وينوء : ينهض متثاقلا لإعيائه والنزيف : الذى سال دمه حتى ضعف . وقد سبقت هذه الأبيات ، بشىء من الخلاف فى صفحة (١٠٠) من هذا الجزء . منسوبة إلى رجل من جشم لا امرأة .

(١) الدم العبيط : الطرى .

(٢) السعوط (بفتح السين) : الدواء يوضع فى الأنف فيهيجه . يريد : تحمى أنوفنا .

(٣) النبيط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ، ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم . (عن المصباح) .

(٤) الخسف : الذل . وآب : اسم فاعل ، من أبى الخسف ، إذا امتنع من قبوله .

(٥) القطوط : جمع قط ، وهو الصك ، أو الكتاب الذى تحصى فيه الأعمال . وهذا البيت ساقط من (ا) .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ا .

(٧) الهام : الرءوس . والعلق : الدم . والعبيط : الطرىّ .

بجمعكمُ وجمع بنى قَسِيّ ... نَحُكُّ البَرْكَ كالوَرَقِ الخَبِيطِ(١)
أصَبْنَا من سراتِكُمُ ومِلْنا ... بِقتل فى المُبَايِنِ والخَلِيطِ(٢)
به المُلْتاثُ مفترشٌ يَدَيْهِ ... يَمُجُّ المَوْتَ كالبَكْرِ النَّحِيطِ(٣)
فإن تك قيسُ عَيْلاَنٍ غِضابًا ... فلا يَنْفَكُّ يُرْغِمُهُم سَعُوطِى

شعر خديج فى يوم حنين

وقال خَدِيج بن العوجاء النَّصْرى :

لمَّا دنونا من حنينَ ومائِه ... رأينا سواداً منكرَ اللّون أَخْصَفَا(٤)
بمَلْمومةٍ شهباءَ لو قَذَفُوا بها ... شَماريخَ(٥) من عُزْوَى(٦) إذن عادَ صَفْصَفَا(٧)
ولو أنَّ قومى طاوعَتْنى سَرَاتُهم ... إذَنْ مالقينا العَارِضَ المُتَكَشِّفَا(٨)
إذن ما لقينا جُنْدَ آلِ محمّدٍ ... ثمانينَ ألفاً واسْتَمَدُّوا بِخندِفا(٩)

---

(١) بنو قسىّ : يعنى ثقيفا أهل الطائف . والبرك : كلكل البعير وصدره الذى يدوك به الشىء تحته ؛ يقال : حكه ، ودكه ، وداكه ببركه ، وهذا على تشبيه شدة الحرب بحك البعير صدره بما تحته . والورق الخبيط : الذى يضرب بالعصا ليسقط ، فتأكله الماشية .

(٢) سراتكم : أشرافكم ، وأصل السراة أوسط القوم نسبا . والمباين : المفارق ، وهو المنهزم . والخليط : الذى لايزال فى المعركة يخالط الأقران .

(٣) الملتاث (هنا) : اسم رجل . والبكر : الفتى من الإبل . والنحيط : الذى يردد النفس فى صدره حتى يسمع له دوىّ .

(٤) سوادا : يعنى أشخاصا على البعد . والأخصف : الذى فيه ألوان .

(٥) ملمومة : أى كتيبة مجتمعة ، وشهباء : عظيمه كثيرة السلاح . والشماريخ : أعالى الجبال ؛ واحدها : شمراخ .

(٦) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « وعروى (هنا) اسم رجل ، يروى بالدال والراء » .

(٧) الصفصف : المستوى من الأرض .

(٨) العارض (هنا) : السحاب . والتكشف : الظاهر .

(٩) خندف : قبيلة .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

في سـنة ثمان

فلول ثقيف

ولما قَدِم فَلُّ[١] ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها، وصَنعوا الصنائع للقتال.

المتخلفون عن حنين والطائف

ولم يشهد حُنَيْنا ولا حِصارَ الطائف عُروةُ بن مسعود، ولا غَيْلان بن سَلَمة، كانا بجُرَش[٢] يتعلمان صنعة الدَّبّابات[٣] والمَجانيق[٤] والضُّبُور[٥].

مسير الرسول إلى الطائف وشعر كعب

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين؛ فقال كعب بن مالك، حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيرَ إلى الطائف:

قَضَيْنا من تِهامة كلَّ رَيْبٍ ... وخَيْبَرَ ثم أَجْمَمْنا السُّيوفا[٦]
نخَيِّرُها ولو نطقتْ لقالت ... قواطِعُهُنَّ: دَوْساً أو ثقيفا[٧]
فَلستُ لحاضِنٍ إنْ لم تَرَوْها ... بساحـــــة داركم منّا أُلوفا[٨]
ونَنْتَزِعُ العُروش ببطن وَجٍّ ... وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلُوفا[٩]

---

(١) الفل: الجماعة المنهزمون من الجيش.

(٢) جرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة.

(٣) قال السهيلي: «الدبابة: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها». وقال أبو ذر: «الدبابات: آلات تصنع من خشب، وتغشى بجلود، ويدخل فيها الرجال، ويتصلون بحائط الحصن».

(٤) المجانيق: جمع منجنيق (بفتح الميم وكسرها)، وهى من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها.

(٥) الضبور: مثل رءوس الأسفاط، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف. وفى كتاب العين: الضبور: جلود يغشى بها خشب، يتقى بها فى الحرب. (عن السهيلي). وفى اللسان: الضبر: جلد يغشى خشبا، فيها رجال تقرب إلى الحصون لقتال أهلها. والجمع ضبور، قال: وهى الدبابات التى تقرب للحصون، لتنقب من تحتها.

(٦) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز. والريب: الشك. وأجممنا: أى أرحنا.

(٧) نخيرها: نعطيها الخيرة، ولو نطقت لاختارت أن نحارب دوسا أو ثقيفا.

(٨) الحاضن: المرأة التى تحضن ولدها؛ كذا قال أبو ذر. ولعله: لحاصن، وهى المرأة العفيفة، كأنه يقول: «لست لرشدة إن لم تروها ... الخ» وهو تهديد لهم. وساحة الدار: وسطها، أو فناؤها.

(٩) العروش (هنا): سقوف البيوت. ووج: موضع بالطائف. وخلوف: يريد: دورا تغيب عنها أهلها.

وَيَأْتيكم لنا سَرَعانُ خيلٍ ... يُغادر خلفَه جمعاً كثيفا(1)
إذا نزلوا بساحتكمْ سمعتُمْ ... لها ممَّا أناخ بها رَجيفا(2)
بأيديهم قواضب مُرْهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المُصْطَلين بها الحُتُوفا(3)
كأمثال العقائق أخلَصَتْها ... قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتيفا(4)
تخال جَدِيَّة الأبطال فيها ... غداةَ الزحْف جاديًّا مَدُوفا(5)
أَجِدَّهُمُ أليسَ لهمْ نَصِيحٌ ... منَ الأقوام كان بنا عَريفا(6)
يُخَبِّرُهُمْ بأنا قد جَمَعنا ... عِتاقَ الخيلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفا(7)
وأنَا قد أتيناهُم بزحفٍ ... يُحيط بسورِ حِصْنِهم صُفُوفا(8)
رئيسهم النبيُّ وكان صُلْبا ... نَقِيَّ القلب مُصْطَبِراً عَزُوفا(9)
رشيدَ الأمرِ ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ ... وحِلْمٍ لم يكن نَزِقًا خفيفا(10)
نُطيعُ نبيَّنا ونطيعُ رَبًّا ... هو الرحمٰنُ كان بنا رَءُوفا

---

(1) السرعان : المتقدمون . والكثيف : الملتف . ويروى : « كشيفا » بالشين بدل الثاء ، أى ظاهرا .

(2) «رجيفا» يروى بالراء ، يعنى به الصوت الشديد مع اضطراب ، مأخوذ من الرجفة . ويروى : « وجيفا » بالواو بدل الراء ، فمعناه سريع يسمع صوت سرعته .

(3) القواضب : السيوف القواطع، جمع قاضب . والمرهفات : القاطعة (أيضا). والمصطلون: المباشرون لها من أعدائهم . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت .

(4) العقائق : جمع عقيقة ، وهى شعاع البرق (هنا) . وكتيف : جمع كتيفة ، وهى صفائح الحديد التى تضرب للأبواب وغيرها . قال السهيلى : «هى صفيحة صغيرة ، وأصل الكتيف : الضيق من كل شىء» .

(5) الجدية : الطريقة من الدم . والزحف : دنو المتحاربين بعضهم من بعض . والجادى : الزعفران . ومدوف : (اسم مفعول من دافه يدوفه) ومعناه مخلوط بغيره .

(6) أجدهم ، أى أجدا منهم ؟ وهو منصوب على المصدر . وعريفا (هنا) : عارفا .

(7) عتاق : جمع عتيق ، والنجب : جمع النجيب ، والطروف: جمع طرف (بكسر الطاء) ، وكلها بمعنى الكريمة الأصل من الخيل .

(8) زحف : أى جيش .

(9) كذا فى الأصول : والعزوف : المنصرف عن الشىء زهدا فيه مع إعجابه به ، وفى شرح السيرة لأبى ذر : « عروفا » . والعروف : الصابر .

(10) النزق : الكثير الطيش والخفة .

فإن تُلقوا إلينا السَّلْمَ نقبل ... ونجعلْكم لنا عَضُدًا وَرِيفا[1]
وإن تأبَوْا نُجاهدْكم ونصبرْ ... ولا يكُ أمرُنا رَعِشًا ضعيفا[2]
نجالدِ ما بقينا أو تُنيبوا ... إلى الإسلام إذْعانًا مُضيفا[3]
نجاهد لا نُبالى مَنْ لَقِينا ... أأهلكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفا[4]
وكم من مَعْشَرٍ أَلَبُوا علينا ... صَميمَ الجِذْمِ منهم والحَلِيفا[5]
أتوْنَا لايرَوْنَ لهم كِفاءً ... فجدَّعْنا المسامِعَ والأُنوفا[6]
بكل مهنّدٍ لَيْنٍ صقيل ... نسوقُهُمُ بها سَوْقًا عَنِيفا[7]
لأمرِ اللهِ والإسلام حتى ... يقومَ الدين معتدلا حَنيفا
وتُنْسَى اللاتُ والعُزَّى ووَدٌّ ... ونَسْلُبُها القلائدَ والشُّنُوفا[8]
فأمسَوْا قد أقرُّوا واطْمأنُّوا ... ومن لا يمتنعْ يقبل[9] خُسُوفا[10]

شعر كنانة فى الرد على كعب

فأجابه كِنانة بن عبد يَاليلَ بن عَمْرو بن عُمير، فقال :

من كانَ يَبْغِينا يُريد قِتالَنا ... فإنّا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيمُها[11]
وجدنا بها الآباءَ من قبل ماترى ... وكانت لنا أطْواؤُها وكُرُومها[12]

---

(١) الريف : المواضع المخصبة التى على المياه . يريد نتخذكم أعوانا على الحرب ونستمد من ريفكم العيش .

(٢) رعشا : متقلبا غير ثابت .

(٣) نجالد : نحارب بالسيوف . والإذعان : الخضوع والانقياد . ومضيفا : ملجئا .

(٤) التلاد : المال القديم ، والطريف : المال المستحدث .

(٥) ألبوا علينا : جمعوا علينا . والصميم : الخالص . والجذم : الأصل .

(٦) جدعنا : قطعنا ، وأكثر مايستعمل فى قطع الأنوف .

(٧) لين : مخفف من لين (بتشديد الياء) كما يقال : هين وهين ، وميت وميت . والعنيف : الذى ليس فيه رفق .

(٨) الشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الذى يكون فى أعلى الأذن .

(٩) كذا فى م ، ر . وفى ا : « يقتل » .

(١٠) الخسوف : الذل .

(١١) معلم : مشهورة . ولا نريمها : لانبرح منها ولا نزول . وفى البيت خرم .

(١٢) الأطواء جمع طوىّ ، وهى البئر ؛ جمعت على غير قياس : ويروى « أطوادها » (بالدال) ، يعنى بها الجبال .

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فَأَخْبَرَها ذو رأيِها وحَليمُها[1]
وقَدْ عَلِمَتْ إنْ قالتِ الحَقَّ أننا ... إذا ما أبتْ صُعْرُ الخُدود نُقيمُها[2]
نُقَوِّمُها حَــتَّى يَلِينَ شَرِيسُها ... ويُعْرَف لِلْحَقِّ المُبين ظَلُومها[3]
علينا دِلاصٌ من تُراثِ مُحَرِّق ... كلَوْن السماء زَيَّنتْها نُجومها[4]
نُرَفِّعُها عنّا بِبِيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدتْ فى غَمْرة لا نَشِيمُها[5]

شعر شداد فى المسير إلى الطائف

قال ابن اسحاق :

وقال شَدَّادُ بن عارض الجُشَمىُّ فى مَسِير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لا تَنصُرُوا اللاتَ إنّ اللهَ مُهلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَنْ هُوَ ليس يَنْتَصِرُ
إن التى حُرِّقتْ بالسُّدِّ فاشتعلتْ ... ولم يُقاتَلْ لَدَى أَحْجارها هَدَرُ[6]
إن الرسول متى يَنزلَ بلادَكُمُ ... يَظْعَنْ وليس بها من أهلها بَشَرُ[7]

الطريق إلى الطائف

قال ابن إسحاق :

فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَةَ اليَمانِيَةَ ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاءِ مِنْ لِيَّة[8] ، فابتنى بها مسجداً ، فصلّى فيه .

---

(1) وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر : قال هذا جوابا للأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر . ولم يرد أن الأنصار جربتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة ، لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة .

وقال البكرى : إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صعصعة ، وكانوا مجاورين لثقيف ، وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ، ويكون لهم النصف فى الزرع والثمر . ثم إن ثقيفا منعتهم ذلك ، وتحصنوا بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم ، فحاربتهم بنو عمرو ابن عامر ، فلم يظفروا منهم بشىء ، وجلوا عن تلك البلاد (راجع السهيلى) .

(2) صعر الخدود : هى المائلة إلى جهة تكبرا وعجبا .

(3) شريسها : شديدها .

(4) دلاص : دروع لينة . ومحرق (هنا) هو عمرو بن عامر ، وهو أول من حرق العرب بالنار . (عن السهيلى) .

(5) لانشيمها : أى لانغمدها . يقال : شمت السيف ، إذا أغمدته ، وشمته ، إذا سللته ، فهو من الأضداد .

(6) هدر : أى باطل لايؤخذ بثأره .

(7) يظعن : يرحل .

(8) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولية : مواضع بالطائف .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب :

أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرّغاء ، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقيد به فى الإسلام ، رَجُلٌ من بنى لَيْث قتَلَ رجلا من هُذَيل ، فقتله به ؛ وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بِلِيَّةَ ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم ، ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجّه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسمُ هذه الطريق ؟ فقيل له الضَّيْقَة ، فقال : بل هى اليُسْرَى ، ثم خرج منها على نَخْب ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ، وإما أن نُخْرِبَ عليك حائطك ؛ فأبى أنْ يخرج ، فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بإخرابه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقُتِل به ناسٌ من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النَّبْل تنالُهُمْ ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أُغلقوه دونهم؛ فلما أُصِيب أولئك النفر من أصحابِهِ بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيلة .

قال ابن إسحاق :

ومعه امرأتان من نسائه ، إحداها أُمُّ سَلَمَة بنة أبي أُمَيَّة ، فضرب لهما قُبَّتَين ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقامَ ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن مُعَتِّب بن مالك مسجدا ، وكانت فى ذلك المسجد سارية ، فيما يَزْعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سُمِع لها[1] نَقِيض[2] ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديدا ، وترامَوْا بالنَّبْل .

---

(١) كذا فى م ، ر . وفى ا : « عليها » .

(٢) النقيض : الصوت .

الرسول أول من رمى بالمنجنيق

قال ابن هشام :

ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَنْجنيق . حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رَمَى فى الإسلام بالمَنْجنيق ، رمى أهلَ الطائف .

يوم الشدخة

قال ابن إسحاق :

حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابَةٍ ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخْرِقوه ، فأَرْسَلَتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

المفاوضة مع ثقيف

وتقدم أبو سفيانَ بن حَرْب والمُغيرة بن شُعْبة إلى الطائف ، فنادَيا ثقيفا : أَنْ أَمِّنونا حتى نكلِّمَكم ، فأمنوهما ، فدَعَوَا نساءً من نساء قريش وبنى كِنانة ليخرجْن إليهما ، وهما يخافان عليهن السِّباءَ ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود ، له منها داود بن عُروة .

قال ابن هشام :

ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مُرَّة بن عُرْوة ابن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مُرَّة .

قال ابن إسحاق :

والفِرَاسِيَّةُ بنت سُوَيْد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارِب ، والفُقَيْمِيَّةُ أميمةُ بنت الناسئ أميَّةَ بن قَلْع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سُفيان ويا مغيرة ، ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له ، إن مالَ بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم بينه وبين الطائف ، نازلا بوادٍ يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبْعَدُ رِشاءً ، ولا أشدُّ مُؤْنَةً ، ولا أبْعَدُ عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن قطعه لم يُعْمَرَ أبدا ، فكلِّماه فليأخذْه لنفسه ، أو ليدَعْه لله والرَّحِم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجْهَل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

رؤيا الرسول وتفسير أبي بكر لها

وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إني رأيت أني أُهدِيَتْ لي قَعْبَةٌ[1] مملوءةٌ زُبْداً ، فنقرها ديك ، فهَرَاق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أنْ تُدْرِكَ منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين وسبب ذلك

ثم إن خُويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية، وهي امرأة عثمان، قالت : يارسول الله ، أعطني إنْ فتح الله عليك الطائفَ حُلِيَّ باديةَ بنتِ غَيْلانَ ابن مظعون ، بن سَلَمة ، أوحُلِيَّ الفارعةِ بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف فذُكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف ياخُويلة ؟ فخرجت خُويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال [يارسول الله[2]] : ماحديث حَدَّثَتْنيهِ خُويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أَوَمَا أُذِنَ لك فيهم يارسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذِّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأَذَّن عُمَرُ بالرحيل .

عيينة وما كان يخفي من نيته

فلما استقلَّ الناسُ نادى سعيد بن عُبَيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : أَلاَ إنَّ الحيَّ مقيم . قال: يقول عيينة بن حِصْن : أجل ، والله مَجَدَةً كِرَاما ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعُيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إني والله ماجئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أَتَّطِئُها ، لعلها تلد لي رجلا ، فإن ثقيفا قوم مَنَاكِير[3] .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامته ممن كان محاصَراً بالطائف عَبيدٌ ، فأَسْلَمُوا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عتقاء ثقيف

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّم ، عن رجال

---

(١) القعبة : القدح .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) مناكير : ذوي دهاء وفطنة .

من ثقيف ، قالوا :

لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العَبيدِ ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا ، أولئك عُتَقاء الله ؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث ابن كَلَدَةَ .

قال ابن هشام : وقد سَمَّى ابن إسحاقَ من نزل من أولئك العَبيد .

قال ابن إسحاق :

إطلاق أبىّ ابن مالك من يد مروان وشعر الضحاك فى ذلك

وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمَرْوَانَ بن قَيْس الدَّوْسِى ، وكان قد أسلم ، وظاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى عليه وسلم قال لمروان ابن قيْس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيْس تلقاه ، فلقى أُبَىَّ بن مالك القُشَيْرِىّ ، فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضَّحاك بن سُفْيَانَ الكِلاَبى ، فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه و بين أبى بن مالك :

أتنسَى بلائى يا أُبَىُّ بْنَ مالك ... غداة الرسولُ مُعرِضٌ عنك أشوسُ[(١)]
يقودك مَرْوان بن قيس بحبله ... ذليلا كما قِيد الذلول المُخَيَّس[(٢)]
فعادتْ عليكَ من ثَقيفٍ عِصابَةٌ ... متى يأتهم مُسْتَقْبِسُ الشَّرِّ يُقْبِسُوا[(٣)]
فكانُوا هُمُ المولى فعادت حلومُهُمْ ... عليك وقد كادَتْ بك النفس تيأس[(٤)]

قال ابنِ هشام : «يُقْبِسُوا» عن غير ابن إسحاق .

شهداء المسلمين يوم الطائف

قال ابن إسحاق :

وهذه تسمية من استُشْهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائِف.

---

(١) البلاء (هنا) : النعمة . والأشوس : الذى يعرض بنظره إلى جهة أخرى .
(٢) الذلول : المرتاض . والمخيس : المذلل .
(٣) مستقبس الشر : طالبه .
(٤) الحلوم : العقول .

من قريش

من قريش، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيدِ بن العاص بن أُمية، وعُرْفُطَة بن جَنّاب ، حليفٌ لهم ، من الأَسْد بن الغَوْث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق :

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رُمِى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، مِنْ رَمْية رُمِيَها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدىّ ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيحة بن عبد الله .

من الانصار

واستُشْهد من الأنصار :

من بنى سَلِمَة : ثابت بن الجَذَع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سَهْل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية .

فجميع من استُشْهد بالطائف من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

شعر بجير فى حنين والطائف

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلَّم عن الطائف بعد القِتال والحِصار ، قال بُجَير بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى يذكر حُنَيْناً والطائف :

كانت عُلالَةَ يومَ بطنِ حُنَـيْنٍ ... وغداةَ أوطاسٍ ويوم الأَبْرَقِ[1]

---

(1) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . وهى من العلل ، وهو الضرب بعد الضرب ، وأراد به هنا التكرار . وحذف التنوين من «علالة» ضرورة . وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة . قال السهيلى : وإن كانت الرواية بخفض «يوم» فهو أولى من الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن ألفيته فى النسخة المقيدة . وحنين : رواه أبو ذر مصغرا ، =

جَمَعَتْ بِإغواءِ هَوَازِنُ جَمْعَها فتــــبدَّدُوا كالطائرِ المتمزِّقِ[1]
لم يَمْنَعُوا منا مَقاما واحــــدا إلا جِــدَارَهُمُ و بطنَ الخَنْدق
ولقد تَعَرَّضْـــنا لكيما يَخْرُجُوا فتحصَّـــنوا منا بباب مُغْلَق
ترتدُّ حَسْرانا إلى رَجْرَاجَـــةٍ شَهْبَاءَ تَلْمَعُ بالمنايا فَيْلَق[2]
مَلْمومةٍ خَضْرَاءَ لو قَذَفوا بها حَضَـــنًا لظلَّ كأنه لم يُخْلَق[3]
مَشْىَ الضِّرَاءِ على الهَرَاسِ كأنَّنا قُدْرٌ تَفرَّقُ فى القياد وتلتقى[4]
فى كل سابغة إذا ما استَحْصَنت كالنِّهْىِ هَبَّتْ ريحُهُ المترقرق[5]
جُدُلٌ تَمَسُّ فُضولُهُنَّ نِعالَنا مِن نَسْجِ داودٍ وآلِ مُحَرِّق[6]

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

و إنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

دعاء الرسول لهوازن

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا[7] حتّى نزل الجِعْرَانة فِيمَنْ معه من الناس ، ومعه من هوازنَ سَبْيٌ كثير ،

= ليستقيم الوزن ، ورواه السهيلى على الأصل . وقال : إن فيه إقواء ، وهو أن ينقص حرفا من آخر القسم الأول من الكامل ، وكان الأصمعى يسميه المقعد . وأوطاس : واد فى ديار بنى هوازن ، كانت فيه وقعة حنين . والأبرق : موضع ، وأصله الجبل الذى فيه ألوان من الحجارة والرمل .

(١) بإغواء : هو من الغى الذى هو خلاف الرشد .

(٢) حسرى : جمع حسير ، وهو المعيي الكليل . ويجوز أن يكون جمع حاسر ، وهو الذى لادرع عليه . والرجراجة : الكتيبة الضخمة ، التي يموج بعضها في بعض ، وهى من الرجرجة ، أى شدة الحركة والاضطراب . والفيلق : الجيش الكثير الشديد ، من الفاق ، وهى الداهية .

(٣) ململومة : مجتمعة . وخضراء : يعنى من لون السلاح . وحضن (بالحاء والضاد) : اسم جبل بأعلى نجد .

(٤) الضراء (هنا) : الكلاب ، أو الأسود الضارية . والهراس : نبات له شوك . وقدر (بضم القاف وسكون الدال) الخيل تجعل أرجلها فى مواضع أيديها إذا مشت ؛ الواحد : أقدر . ويروى : «فدر» بضم الفاء والدال ، وهى الوعول المسنه ؛ واحدها : فادر .

(٥) السابغة : الدرع الكاملة . والنهى : الغدير من الماء . والمترقرق : المتحرك .

(٦) جدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع الجيدة النسج . وآل محرق : يعنى آل عمرو بن هند ملك الحيرة .

(٧) دحنا (بالفتح ، ويروى مقصوراً وممدودا) : من مخاليف الطائف .

وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَن عن ثقيف : يا رسول الله ، ادعُ عَلَيْهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفا وأْتِ بهم .

منّ الرسول على هوازن

ثم أتاه وَفْد هوازنَ بالجِعْرَانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْي هوازنَ ستة آلاف من الذراريّ والنساء ، ومن الإبل والشاء مالا يُدْرَى ماعِدَّتُه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو :

أن وفْد هوازنَ أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أَصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يخْف عليك ، فامْنُنْ علينا ، مَنَّ الله عليك قال : وقام رجل من هوازنَ ، ثم أحدُ بنى سعد بن بكر ، يقال له زُهير ، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يارسول الله ، إنما فى الحظائر[1] عماتك وخالاتك وحواضنك[2] اللاتى كن يكفُلْنك ، ولو أَنَّا مَلَحْنا[3] للحارث بن أبى شِمْر ، أو للنعمان بن المنذِر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته[4] علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويروى ولو أنا مَالَحْنا الحارث بن أبى شِمْر ، أو النعمان ابن المنذِر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله ابن عمرو ، قال :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أمْوالكم ؟ فقالوا : يارسول الله ، خَيَّرْتَنا بين أموالنا وأحْسَابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا ،

---

(١) الحظائر : جمع حظيرة ، وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها ، وكان السبي فى حظائر مثلها .

(٢) حواضنك : يعنى اللاتى أرضعن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد كانت حاضنته من بنى سعد بن بكر ، من هوازن ، وكانت ظئرا له .

(٣) ملحنا : أرضعنا . والملح: الرضاع . والحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام من العرب ، والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب .

(٤) عائدته : فضله .

فهو أحب إلينا ؛ فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صَلَّيت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلَّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطَّلِب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عُيَيْنة بن حِصْن : أما أنا وبنو فَزَارة فلا . وقال عباس ابن مِرْداس : أما أنا وبنو سُلَيم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مِرْداس لبنى سليم : وَهَّنْتُمونى[1] .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا من تمسَّك منكم بحقه من هذا السَّبْى ، فله بكل إنسان ستُّ فرائض ، من أول سَبْى أصيبُه ، فرُدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وَجْزَة يزيد بن عُبيد السعدىّ :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطَى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يقال لها رَيْطة بنت هِلال بن حَيَّان بن عُمَيْرة بن هِلال بن ناصرة ابن قُصَيَّة[2] بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطَى عثمان بن عَفَّان جارية ، يقال لها زينب بنت حَيَّان بن عمرو بن حَيَّان ، وأعطَى عمرَ بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عُمَرَ ابنه .

---

(١) وهنتمونى : أضعفتمونى :

(٢) قصية : يروى بفتح القاف وضمها ؛ ورواه ابن دريد بفاء مضمومة . (راجع شرح أبى ذر) .

قال ابن إسحاق: فحدثنى نافع مولى عبدالله بن عُمَر، عن عبدالله بن عُمَرَ، قال: بعثتُ بها إلى أخوالى من بنى جُمَحَ، ليُصْلِحوا لى منها، ويهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فَرَغْتُ، فإذا الناس يَشْتَدُّون؛ فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: رَدّ علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نساءنا وأبناءنا؛ فقلت: تلكم صاحبتُكمُ فى بنى جُمَح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها.

قال ابن إسحاق:

وأما عُيَيْنة بن حِصْن فأخذ عجوزا من عجائز هوازِنَ، وقال حين أخذها: أرى عجوزا إنى لأحسِب لها فى الحى نسَبا، وعسى أن يعظُم فِداؤها. فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّبايا بست فرائض، أبى أن يَرُدَّها، فقال له زهير أبو صُرَد: خذها عنك، فوالله ما فُوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد(1)، ولا دَرُّها بماكد(2). فردها بست فرائض حينَ قال له زُهير ما قال؛ فزعموا أن عُيَيْنَةَ لقِيَ الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أخذتها بيضاءَ غَريرة(3)، ولا نَصَفا وَثيرةً(4).

إسلام مالك بن عوف النصرى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروا مالكا أنه إن أتانى مُسلما رددت عليه أهلَه وماله، وأعطيته مئة من الإبل؛ فأُتِيَ مالكٌ بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يَعلمُوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال، فيحبسوه، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له، وأمر بفرس له، فأُتِيَ به إلى الطائف، فخرج ليلا، فجلس على فرسه،

---

(1) بواجد: أى بحزين؛ يريد أن زوجها لا يحزن عليها، لأنها عجوز.

(2) الدر: اللبن. والماكد: الغزير.

(3) الغريرة: المتوسطة من النساء فى السن.

(4) الوثيرة من النساء: السمينة اللينة.

فركضه ، حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكة ، فرد عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مِئة من الإبل ، وأسلم فحسنُ إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثـله ... فى الناس كُلِّهم بمثـــل محمدِ
أوفَى وأعطَى للجزيلِ إذا اجْتُدِى ... ومتَى تشأْ يخـــبركَ عما فى غد
وإذا الـكتيبةُ عرَّدَت أنيابُها ... بالسَّمْهَرِىِّ وضرب كُلِّ مهنَّد[1]
فـكأنه ليثٌ على أَشْــــبالِهِ ... وسْط الهَباءَةِ خادرٌ فى مَرْصَد[2]

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسْلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثُمـالَةُ ، وسَلِمةُ[3] ، وفَهْم، فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لايخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضيّق عليهم ؛ فقال أبو مِحْجَن[4] بن حَبيب بن عمرو بن عُمير الثَّقفى :

هابتِ الأعداء جانِبَنَا ... ثُمَّ تغـــزونا بنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بِهِـــمِ ... ناقضاً للعهْدِ والحُرُمَهْ
وَأَتَوْنا فى مَنازِلنـــا ... ولقَدْ كنا أُولِى نَقِمَهْ

قسم الفىء

قال ابن إسحاق :

ولمـا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب ، واتبعه الناس يقولون : يارسول الله ، اِقسم علينا فَيْئَنا من الإبل والغنم ، حتى أَلْجئُوهُ إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ؛ فقال : أَدُّوا علىّ ردائى أيُّها الناس ،

---

(١) عردت أنيابها : قويت واشتدت . والسمهرىّ : الرمح . والمهند : السيف .

(٢) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . والخادر : الأسد فى عرينه ، وهو حينئذ أشد ما يكون بأسا لخوفه على أشباله ؛ يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ؛ يصفه باليقظة .

(٣) قال السهيلى : « هكذا تقيد فى النسخة (بكسر اللام) ؛ والمعروف فى قبائل قيس سلمه (بالفتح) . إلا أن يكونوا من الأزد ، فإن ثمـالة المذكورين معهم حى من الأزد ، وفهم من دوس ، وهم من الأزد أيضا » .

(٤) أبو محجن : اسمه مالك بن حبيب .

فوالله أنْ لو كان لكم بعدد شجر تِهامَةَ نَعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جَباناً ولا كَذّابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَةً من سَنامه ، فجعلها بين أُصْبُعَيْه ، ثم رفعها ، ثم قال . أيها الناس ، والله مالي من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس ، والخُمُس مردود عليكم . فأدُّوا الخِياط والمِخْيَط[1] ، فإن الغُلُول[2] يكون على أهله عارا ونارا وشَنَارا[3] يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّةٍ من خُيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكُبَّة أعْمَلُ بها بَرْذَعَةَ بَعيرٍ لي دَبِرٍ ؛ فقال : أما نصيبي منها فلك ! قال : أَمَّا إذ بَلَغَتْ هذا فلا حاجة لي بها . ثم طَرَحَهاَ من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أَسْلَمَ عن أبيه :

أن عَقِيل بن أبي طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبة بن ربيعة ، وسيفه متلطِّخ دما ، فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دُونكِ هذهِ الإبرةَ تَخيطِينَ بها ثيابَك ، فدفعها إليها ، فسمعَ مُنادِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليردَّه ، حتى الخِياط والمِخْيَط . فرجع عَقيل ، فقال : ما أرى إبرتَكِ إلا قد ذهبت . فأخذها ، فألقاها في الغنائم .

عطاء المؤلفة قلوبهم

قال ابن إسحاق :

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلَّفَةَ قلوبُهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألَّفُ بهم قومَهم ، فأعطى أبا سُفيانَ بن حرْب مِئة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مِئة بعير ، وأعطى حَكيمَ بن حِزام مئة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة ، أخا بني عبد الدار ، مئة بعير .

قال ابن هشام : نُصَير[4] بن الحارث بن كَلَدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضا .

(١) الخياط (هنا) : الخيط ؛ والمخيط : الإبرة .
(٢) الغلول : الخيانة .
(٣) الشنار : أقبح العار .
(٤) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « نضير » بالضاد المعجمة .

قال ابن إسحاق :

وأعطى الحارثَ بن هشام مئة بعير، وأعطى سُهَيْلَ بن عمر مئة بعير، وأعطى حُويطِبَ بن عبد العُزّى بن أبى قيس مئة بعير، وأعطى العَلاء بن جارية الثقفى، حَليف بنى زُهْرة مئة بعير، وأعطى عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر مئة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمىّ مئة بعير. وأعطى مالك بن عوف النَّصْرىّ مئة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مئة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المئة رجالا من قريش، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهرىّ، وعُمَير بن وهب الجُمَحِىّ، وهشام بن عَمْرو أخو بنى عامر بن لُؤَى، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المئة، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثَة ابن عامر بن مخزوم خمسينَ من الإبل، وأعطى السَّهْمِى خمسين من الإبل.

قال ابن هشام : واسمه عدىّ بن قيس.

شعر ابن مرداس يستقل ما أخذ وإرضاء الرسول له

قال ابن إسحاق :

وأعطى عبّاسَ بن مِرْداس أباعرَ فَسَخِطها، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عباس بن مِرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانتْ نِهـــابا تَلافَيْتُها ... بِكَرّى على المُهْرِ فى الأَجْرَع (١)
وإيقاظِىَ القَـــومَ أَنْ يرقُدُوا ... إذا هَجَعَ النَّاسُ لم أَهْجَـــع (٢)
فَأَصْبح نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـــدِ بَيْنَ عُـــيَيْنَةَ والأَقْرَع (٣)
وقَدْ كنتُ فى الحرب ذَاتُدْرَإٍ ... فَلَمْ أُعْـــطَ شيئًا ولم أُمْنَع (٤)
إلاَّ أَفَائِلَ أُعْطِيـــتُها ... عـــديدَ قوائِمِها الأَرْبَع (٥)

(١) نهابا : جمع نهب، وهو ماينهب ويغنم ؛ يريد الماشية والإبل. والأجرع : المكان السهل.

(٢) هجع : نام.

(٣) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس.

(٤) ذا تدرأ : ذا دفع عن قومى.

(٥) الأفائل : الصغار من الإبل، الواحد أفيل.

وما كان حِصْنٌ ولا حابسٌ يفوقان شَيْخِيَ فى المَجْمَعِ[1]

وما كنتُ دون امرئ منهما ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

قال ابن هشام : أنشدنى يونُسُ النحْوىّ :

فما كان حِصْن ولا حابس يفوقان مِرْداسَ فى المَجْمَعِ

قال ابن إسحاق :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانَه ، فأعطوْه حتى رَضِى . فكان ذلك قطعَ لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم :

أن عباس بن مرداس أتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل :

« فأصبح نَهْبى ونهبُ العُبَيْد بين الأقْرع وعُيَيْنَةَ » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيينة والأقرع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ » .

توزيع غنائم حنين على المبايعين

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عباس ، قال :

بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حنين .

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطليق ابن سفيان بن أمية ، وخالد بن أَسِيد بن أبى العِيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلحة بن عبد العُزَّى ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بَعْكك بن الحارث بن عُمَيْلة

(١) شيخى : يعنى أباه مرداسا . ويروى : « شيخىّ » بتشديد الياء ، يريد أباه وجده . ويروى : « يفوقان مرداس » واستشهدوا به على ترك صرف ماينصرف لضرورة الشعر .

ابن السبّاق بن عبدالدار، وعِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار.

ومن بنى مخزوم بن يقظة: زهير بن أبى أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام ابن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان ابن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والسائب بن أبى السائب بن عائذ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بنى عدىّ بن كعب: مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جهم ابن حذيفة بن غانم.

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو: صفوانُ بن أمية بن خلف، وأُحَيحة بن أمية ابن خلف، وعمير بن وهب بن خلف.

ومن بنى سَهْم: عدى بن قيس بن حُذافة.

ومن بنى عامر بن لؤى: حُوَيْطِبُ بن عبد العُزّى بن أبى قيس بن عبدوُدّ، وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب.

ومن أفناء القبائل:

من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة: نوفل بن معاوية بن عروة بن صَخْر ابن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفاثَةَ بن عدىّ بن الدِّيل.

ومن بنى قيس، ثم من بنى عامر بن صعصعة، ثم من بنى كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة: علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

ومن بنى عامر بن ربيعة: خالد بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وحرملة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو.

ومن بنى نصر بن معاوية: مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع.

ومن بنى سُلَيْم بن منصور: عباس بن مِرْداس بن أبى عامر، أخو بنى الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيْم.

ومن بنى غطفان، ثم من بنى فَزَارة: عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر.

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة: الأقرعُ بن حابس بن عِقَال، من بنى مُجاشع بن دارم.

سئل الرسول عن عدم إعطائه جعيلا فأجاب

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ :

أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عُيينة بن حِصْن والأقرعَ بن حابس مِئَةً مِئَة ، وتركت جُعَيْل بن سُراقة الضَّمْرى[1] ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سُراقة خير من طِلاع الأرض[2]، كُلهم مثل عُيَيْنة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألَّفتهما ليُسْلما ، ووَكَلْتُ جُعَيْلَ بنَ سُراقةَ إلى إسلامه .

اعتراض ذى الخويصرة التميمى

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عُبيدة بن محمد بن عَمَّار بن ياسِرٍ ، عن مِقْسَم أبى القاسم ، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال :

خرجت أنا وتَلِيد بن كلاب الليثىّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلِّقا نعلَه بيده ، فقلنا له : هل حَضَرْتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمىّ يومَ حُنَيْن ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ ماصنعتَ فى هذا اليوم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ؛ قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، ألا أقتلُه ؟ فقال : لا ، دَعْه ، فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين[3] حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهْمُ من الرَّمِيَّة[4] ، يُنْظَر فى النَّصْل[5] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القِدْح[6] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفُوقِ[7] ، فلا يوجد شىء ، سَبَق الفَرْثَ[8] والدَّمَ .

---

(1) قال السهيلى : « نسب ابن إسحاق جعيلا إلى ضمرة ، وهو معدود فى غفار لأن غفارا هم بنو مليل بن ضمرة » .

(2) طلاع الأرض : ما يملأها حتى يطلع عنها ويسيل .

(3) يتعمقون فى الدين : يتتبعون أقصاه .

(4) الرمية : الشىء الذى يرمى .

(5) النصل : حديد السهم .

(6) القدح : السهم .

(7) الفوق : طرف السهم الذى يباشر الوتر .

(8) الفرث : مايوجد فى الكرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن على بن الحُسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عُبيدة ، وسماه ذا الخُوَيْصِرَة .

شعر حسان فى حرمان الأنصار

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام :

ولما أعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطَى فى قريش وقبائلِ العرب ، ولم يعطِ الأنصارَ شَيْئاً ، قال حسَّان بن ثابت يعاتبه فى ذلك :

زادت همومٌ[1] فماء العين منحدِرُ ... سَــحًّا إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ[2]

وَجْداً بشَمَّاءَ إذ شَمَّاء بَهْكَنَةٌ ... هَيْفاءُ[3] لا دَنَسٌ[4] فيها ولا خَوَرُ[5]

دَعْ عنك شَمَّاءَ إذ كانت مودّتُها ... نَزْراً وشرّ وِصالِ الواصلِ النَّزِرُ[6]

وَأْتِ الرسول فقل يا خير مؤتَمَنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّدَ[7] البَشَرُ

علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْى نازحةٌ ... قُدَّامَ[8] قومٍ هُمُ آوَوْا وهُمْ نَصَرُوا

سَمَّاهُمُ اللهُ أنصاراً بنَصْرِهِمِ ... دِينَ الهُدَى وعَوانُ الحرب تَسْتَعِرُ[9]

وسارعوا فى سبيل الله واعترفُوا ... للنائبات وما خَامُوا وما ضَجِروا[10]

---

(1) كذا فى ديوان حسان طبع أوربة . وفى ا : « زاد الهموم » . وجاءت محرفة فى سائر الأصول .

(2) السح : الصب . وحفلته : جمعته . ودرر : دارة سائلة .

(3) الوجد : الحزن ، وشماء : امرأة . وبهكنة : كثيرة اللحم . وهيفاء : ضامرة الخصر .

(4) كذا فى ا والديوان . وفى سائر الأصول : «ذنن» بالذال المعجمة . قال أبو ذر : « من رواه بالدال المهملة ، فمعناه تطامن بالصدر وغئور ؛ ومن رواه بالذال المعجمة ، فمعناه القذر ، ومنه الذنين ؛ وهو ما يسيل من الأنف» .

(5) الخور : الضعف .

(6) نزرا : قليلا . والنزر : المقل ، وهو على تقدير مضاف .

(7) فى الديوان : « عدل » .

(8) فى الديوان : « أمام » .

(9) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . وتستعر : تشتعل وتشتد .

(10) اعترفوا : صبروا . خاموا : جبنوا . وما ضجروا : ما أصابهم حرج ولا ضيق .

والناس ألْبٌ[1] علينا فيك ليس لنا[2] ... إلا السيوفَ وأطراف القَنا وَزَرُ[3]

نُجالِدُ الناسَ لا نُبْقِي على أحَدٍ ... ولا نُضَيِّعُ ماتُوحِي به السُّوَرُ[4]

ولا تَهِرّ جُنَاةُ الحرْب نادِينَـا ... ونحنُ حين تَلَظَّى نارُها سُعُرُ[5]

كما[6] رددنا ببدر دون ما طَلَبُوا ... أهلَ النِّفاق وفينا يُنْزَلُ الظَّفَرُ

ونحن جُنْدُك يوم النَّعْف من أُحُد ... إذْ حزَّبتْ[7] بَطَرًا أحْزَابَهَا[8] مُضَرُ

فمـا وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا ... مِنَّا عِثارا وكل الناس قد عَثَرُوا[9]

وجد الأنصار لحرمانهم فاسترضاهم الرسول

قال ابن هشام : حدثنى زياد بن عبد الله ، قال حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبِيد ، عن أبى سعيد الخُدْرِيّ ، قال :

لمـا أعْطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعْطَى من تلك العطايا ، فى قريش وفى قبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وجَد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة[10] حتى قال قائلهم : لَقِى واللهِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه ، فدخل عليه سعد بن عُبادة ، فقال : يا رسول الله ،

---

(1) ألب : مجتمعون .

(2) فى الديوان : « ثم ليس لنا » .

(3) الوزر : الملجأ .

(4) هذا البيت ساقط من الديوان .

(5) لاتهر : لا تكره . وجناة الحرب : الذين يخوضون غمارها . ونادينا : مجلسنا . وسعر : نوقد الحرب ونشعلها . ورواية صدر هـذا البيت فى الديوان : « ولا يهر جناب الحرب مجلسنا » .

(6) فى الديوان : « وكم » .

(7) النعف : أسفل الجبل . وحزبت : جمعت .

(8) فى الديوان : « أشياعها » .

(9) ونينا : ضعفنا وفترنا . وخمنا : جبنا .

(10) القالة : الـكلام الردىء .

إن هذا الحى من الأنصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبتَ ، قَسَمْت فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحىّ من الأنصار منها شىء . قال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا امرؤ من قومى . قال: فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة[1]. قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول اللهُ صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يامعشر الأنصار : ما قالَةٌ بلغتنى عنكم ، وجِدَةٌ[2] وَجَدْتموها عَلَىَّ فى أنفسكم ؟ ألم آتِكم ضُلَّالاً فهداكم الله ، وعالةً[3] فأغناكم الله ، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أَمَنُّ[4] وأَفْضَل. ثم قال : ألا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المَنُّ والفَضْلُ. قال صلى الله عليه وسلم . أما والله لو شئتم لقلتم ، فلَصَدَقْتُمْ ولَصُدِّقْتُمْ : أَتَيْتَنا مُكَذَّبا فصدَّقْناك ، ومخذولا[5] فنَصَرْناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك[6] . أوجَدْتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لُعَاعَةٍ[7] من الدُّنيا تألَّفْتُ بها قَوْما ليُسْلِموا ، ووكلتكم إلى إسلامِكُمْ ، أَلاَ ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا[8]

(١) الحظيرة : شبه الزريبة التى تصنع للإبل والماشية لتمنعها، وتكف عنها العوادى .
(٢) كذا فى الأصول . قال أبوذر: «الموجدة : العتاب ؛ ويروى جدة، وأكثر ما تكون الجدة فى المال» .
(٣) عالة : جمع عائل ، وهو الفقير .
(٤) أمنّ : من المنة ، وهى النعمة .
(٥) المخذول : المتروك .
(٦) آسيناك : أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .
(٧) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .
(٨) الشعب : الطريق بين جبلين .

وسَلَكت الأنصارُ شِعْبا ، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار . اللَّهُمَّ ارحَم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناءَ أبناءِ الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أَخْضَلُوا لِحاهُمْ[1] ، وقالوا : رضينا برسول الله قَسْماً وحظا . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

اعتمار الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة

قال ابن إسحاق :

ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة معتمرا ، وأمر ببقايا الفيء فحُبِس بمَجَنَّة ، بناحية مَرِّ الظَّهْران ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمْرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عَتَّاب بن أَسِيدٍ على مكة[2] ، وخَلَّف معه مُعاذَ بن جَبَل ، يفقّه الناس في الدين ، و يعلمهم القرآن ، واتُّبِع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ببقايا الفيء .

قال ابن هشام : و بلغني عن زيد بن أسْلم أنه قال :

لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عَتَّابَ بن أسيد على مَكَّة رزقه كلَّ يوم درهما ، فقام فخطب الناسَ ، فقال : أيها الناس ، أجاعَ اللهُ كَبِدَ من جاع على درهم ، فقد رزقني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد

وقت العمرة

قال ابن إسحاق :

وكانت عُمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القَعْدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقية ذي القعدة أو في ذي الحِجَّة

---

(١) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع .

(٢) وكان عمر عتاب إذ ذاك نحو عشرين سنة . (راجع شرح المواهب) .

قال ابن هشام :

وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق :

وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحُج عليه ، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عَتَّابُ بن أَسِيد ، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شِرْكهم وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القَعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

تخوف بجير على أخيه كعب ونصيحته له

ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرَفِه عن الطائف كتب بُجَير بنُ زُهير بن أبى سُلمَى إلى أخيه كعب بن زُهير يُخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رِجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابنُ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَة بن أبى وَهْب ، قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نَجائك[1] من الأرض ؛ وكان كعب بن زهير قد قال :

أَلَا أبلغا عَنِّى بُجَيْرًا رِسالةً فهَلْ لكَ فيما قلتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكا ؟[2]

فَبَيِّن لنا إنْ كنت لستَ بفاعلٍ عَلَى أى شىء غـيرِ ذلك دَلَّكا[3]

---

(١) إلى نجائك ، أى إلى محل ينجيك منه .

(٢) أبلغا : خطاب لاثنين ، والمراد الواحد ، أو خطاب لواحد مؤكد بنون توكيد خفيفة ، قلبت ألفا فى الوصل على نية الوقف .

(٣) فبين لنا : أى اذكر لنا مرادك من بقائك على دينك .

عَلَى خُلُقٍ لَمْ أُلْفِ يَوْمًا أَبًا لَهُ   عَلَيْهِ وَمَا تُلْفِي عَلَيْهِ أَبًا لَكَا
فَإِنْ أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ   ولا قائلٍ إمّا عَثَرْتَ : لَعًا لَكَا[1]
سَقَاكَ بها المأمونُ كأْساً رَوِيَّةً   فأنهلَكَ المأمونُ مِنْها وَعَلَّكَا[2]

قال ابن هشام : ويروى «المأمورُ» . وقوله «فبين لنا» : عن غير ابن إسحاق .

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عنى بُجَيْرًا رسالة   فهل لك فيما قلتُ بالخَيْفِ هل لَكَا[3]
شَرِبت مع المأمون كأساً رَوِيَّةً   فأنهلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكَا
وخالفْتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبعتَهُ   على أى شىء وَيْبَ غيرِك دَلَّكَا[4]
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أبًا[5]   عليه ولم تُدْرِكْ عليه أَخًا لَكَا
فإنْ أنتَ لم تفعل فلستُ بآسفٍ   ولا قائلٍ إمَّا عَثَرْتَ : لَعًا لَكَا

قال : وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتتْ بُجيرا كَرِه أن يكتمَها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع «سقاك بها المأمون» : صدق وإنه لكَذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : «على خلق لم تُلْفِ أما ولا أبا عليه» قال : أجل ، لم يُلْف عليه أباه ولا أمّه[6] .

ثم قال بُجَير لكعب :

مَنْ مُبلِغٌ كعباً فهلْ لكَ فى التى   تلوم عليها باطلا وهْىَ أحْزَمُ

---

(١) لعا لك : كلمة تقال للعاثر ، وهى دعاء له بالإقالة من عثرته .

(٢) روية (فعيلة بمعنى مفعلة ، بضم الميم وكسر العين) أى مروية . والنهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى . والمأمون : يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت قريش تسميه به وبالأمين قبل النبوة . قال الزرقانى : «وفى رواية غير ابن إسحاق «المحمود» وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم»

(٣) الخيف : أسفل الجبل ، ويريد به خيف منى .

(٤) ويب غيرك : أى هلكت هلاك غيرك . وهو بالنصب على إضمار الفعل .

(٥) قال السهيلى : «إنما قال ذلك لأن أمهما واحدة ، وهى كبشة بنت عمار السحيمية ، فيما ذكر عن ابن الكلبى» .

(٦) زاد الزرقانى نقلا عن ابن الأنبارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله .

إلى الله (لا العُزّى ولا اللاتِ) وحْدَه فتنجو إذا كان النَّجاء وتَسلَمُ
لَدى يومٍ لا ينجُو وليس بمُفْلِتٍ من الناس إلا طاهرُ القَلْب مُسْلِمِ
فدينُ زهير وهو لا شيءَ دينُه ودين أبي سُلْمَى علىَّ مُحرَّم

قال ابن إسحاق :

و إنما يقول كعب : «المأمون» ، و يقال : «المأمور» فى قول ابن هشام ، لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ كعبا الكتابُ ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف[1] به مَنْ كان فى حاضره[2] من عَدُوِّه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بُدًّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفَه و إرجاف الوُشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذُكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلّى الصبح ، فصلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسولُ الله ، فقم إليه فاستأْمِنْه . فذُكر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأْمِنَ منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يارسول الله كعب ابن زهير

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، دعنى وعدوَّ الله

---

(١) أرجف به : خاض فى أمره بما يسوءه ويفزعه .

(٢) حاضره : حيه .

أضربْ عنقه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائبا نازعا [عما كان عليه(١)]. قال: فغضب كعبٌ على هذا الحى من الأنصار ، لِمَا صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ(٢)
وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذْ رحلوا(٣) ... إلا أَغَنُّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُول(٤)
هيفاء مُقبِـــلةً عَجْزاء مُدْبِرةً ... لايُشْتَكى قِصَرٌ منها ولا طُول(٥)
تَجْلُو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنْهَلٌ بالرّاحِ مَعْـــلُول(٦)

---

(١) زيادة عن م ، ر .

(٢) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل (كما فى الزرقانى):هى امرأته وبنت عمه ، خصها بالذكر لطول غيبته عنها ، لهروبه من النبي صلى الله عليه وسلم . ومتبول: أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر ، ويروى : « لم يجز » ، و« لم يشف » . ومكبول : مقيد .
يريد الشاعر أن محبوبته فارقته ، فصار قلبه فى غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لايجد من قيده فكاكا ، ولا يستطيع من سجنه خلاصا . ورواية عجز هذا البيت فى ا : « متيم عندها لم يجز مكبول ».

(٣) فى ا : « إذ برزت » .

(٤) الأغن (هنا) : الظبي الصغير الذى فى صوته غنة ، وهى صوت يخرج من الخياشيم ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول : من الكحل (بتحريك الحاء المهملة) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبي الموصوف بغنة الصوت ، وغض الطرف ، والكحل ، وهى من صفات الجمال .

(٥) هيفاء : صفة مشبهة من الهيف (بالتحريك) وهو ضمور البطن ، ودقة الخاصرة ، ومقبلة : حال . وعجزاء : صفة أيضا ، أى كبيرة العجز ، وهو الردف . ولا يشتكى قصر : أى لايشتكى الرائى عند رؤيتها قصرا فيها . يريد أن هذه المحبوبة يحسن منظرها فى كل حال ، فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر . وهذا البيت ساقط فى (ا) .

(٦) تجلو : تصقل وتكشف . والعوارض : جمع عارض أو عارضة ، وهى الأسنان كلها ، أو الضواحك خاصة ، أو هى من الأنياب . والظلم (بفتح الظاء وسكون اللام) : ماء الأسنان وبريقها ، أو هو رقتها وبياضها . والمنهل (بزنه اسم المفعول) : المسقى ، من أنهله ، إذا سقاه النهل (بفتحتين) وهو الشرب الأول . وبالراح : متعلق بمنهل . والراح : الخمر . ومعلول : من العلل (بالفتح) ، وهو الشرب الثانى . يريد أن سعاد إذا ابتسمت كشفت عن أسنان ذات ماء وبريق ، أو ذات بياض ورقة ؛ وكأن ثغرها لطيب رائحته قد سقى الراح مرة بعد مرة .

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من مَاءِ مَحْنيةٍ ... صَافٍ بأبطحَ أضْحَى وهْوَ مَشْمُولُ (١)

تَنْفِي الرياحُ القَذَى عنهُ وأفرَطَهُ ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يَعاليل (٢)

فيا لَها خُلَّةً لو أنها صَدَقَتْ ... بوعدها أولوَ أن النُّصحَ مَقبول (٣)

لكنها خُلَّةٌ قد سِيط من دمها ... فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإخلافٌ وتبديل (٤)

فما تدوم (٥) على حال تكون بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُول (٦)

وما (٧) تُمَسِّك (٨) بالعهد الذى زعمت ... إلا كما يُمْسِك الماءَ الغرابيل

(١) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها ، وهو مجاز ، لأن الأصل : فى الشج الكسر. وذو شبم : ماء شديد البرد . والمحنية (بفتح فسكون فكسر) : منعطف الوادى ، وخصه لأن ماءه أصفى وأبرد . والأبطح : المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى ، وماء الأباطح عندهم معروف بصفائه . وأضحى : أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد حر الشمس . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد ، وهى أشد تبريداً للماء من غيرها .

(٢) القذى : مايقع فى الماء من تبن أو عود أو غيره مما يشوبه ويكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب : المطر . والغادية : السحابة تمطر غدوة ، ويروى « سارية » وهى السحابة تأتى ليلا . واليعاليل : الحباب الذى يعلو وجه الماء . وقيل المراد بالبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر ، ثم يسيل إلى الأباطح . يريد أن الرياح تزيل القذى عن ذلك الماء الذى مزج به الراح ، حتى لم يبق فيه ما يكدره ، وأن ذلك الأبطح ملأته الفقاقيع البيض ، التى نشأت من مطر السحابة الغادية .

(٣) الخلة (بالضم): الصديقة ، يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد وغيره . يريد أنها صديقة كريمة ، ولو أنها صدقت فى الوعد، وقبلت النصح، لكانت على أتم الخلال ، وأكمل الأحوال. ورواية هذا البيت فى ا :

« ويلمها . . . . بوعدها ولوان . . . . . . »

(٤) سيط : أى خلط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة فى البيت . ويروى : شيط (بالشين المعجمة) وهو بمعناه . والفجع : الإصابة بالمكروه كالهجر ونحوه . والولع والولعان : الكذب . والإخلاف : خلف الوعد. يريد أن محبوبته متصفة بهذه الأخلاق ، حتى صارت كأنها مختلطة بدمها .

(٥) فى ا : « فما تقوم » .

(٦) الغول : ساحرة الجن، فى زعمهم . يزعمون أن الغول ترى فى الفلاة بألوان شتى ، فتأخذ جانبا عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك . يريد أن هذه المحبوبة لاتدوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى، وترى فى صور مختلفة ، كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

(٧) فى ا : « ولا » .

(٨) تمسك ، يروى بفتح التاء ، على أنه مضارع حذفت إحدى تائيه ؛ أو بضم التاء وفتح الميم وكسر السين المشددة . « ولا تمسك » . يشبه تمسكها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء ، مبالغة فى النقض والنكث وعدم الوفاء بالعهد ، لأن الماء بمجرد وضعه فى الغربال يسقط منه .

فلا يغرَّنْكَ ما مَنَّت وما وَعَدَت إنّ الامانيَّ والأحلامَ تضـليلُ (١)
كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لهـا مثلا وما مواعيدُها إلا الأباطيــــلُ (٢)
أرجو وآمُل أن تدنو مودَّتُها وما إخالُ لدينا منـــكِ تَنْويلُ (٣)
أمْسَتْ سُعاد بأرض لايُبلِّغها إلا العتاقُ النَّجيباتُ المَراسيلُ (٤)
ولن يُبلِّغها إلاّ عُـــذَافِرةٌ لهـا على الأَيْنِ إرقالٌ وتَبْغيلُ (٥)
من كل نَضَّاخة الذِّفْرى إذا عَرِقت عُرْضَتُها طامس الأعلام مجهولُ (٦)
ترمى النِّجادَ بعَيْنَىْ مُفردٍ لَهَقٍ إذا توقَّدَتِ الحِزَّانُ والميـــلُ (٧)

---

(١) مامنت : مامنتك إياه ، وحملتك على تمنيه ، أو ما كذبت عليك فيه . يقول : لاتغتر بما حملتك على تمنيه منها ، أو بما كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتك به من ترك الهجر ، فإن الأمانى التى يتمناها الإنسان ، والأحلام التى يراها فى منامه سبب فى الضلال ، وضياع الزمان .

وهذا البيت متأخر فى (ا) عن البيتين التاليين له .

(٢) كانت : صارت . وعرقوب (بضم العين وإسكان الراء وضم القاف) : رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل فى الخلف . والأباطيل : جمع باطل، على غيرقياس .

(٣) التنويل : العطاء ، والمراد به (هنا) : الوصل . يريد أنى مع اتصافها بالجفاء وإخلاف الوعد ، وعدم الوفاء بالعهد ، لا أقطع الرجاء من مودتها ، ولا أيأس من وصلها ، بل أرجو وآمل أن تقرب مودتها ، وإن كان فى ذلك بعد . ورواية هذا البيت فى ا :

أرجو وآمل أن يعجلن فى أبد وما إخال لهن الدهر تعجيل

(٤) العتاق : الكرام ؛ الواحد : عتيق . والنجيبات : جمع نجيبة ، وهى القوية الخفيفة . ويروى : « النجيات » أى السريعات . والمراسيل : جمع مرسال (بالكسر) وهى السريعة . يريد أن محبوبته صارت بأرض بعيدة، لايوصله إليها إلا الإبل الكرام الأصول، القوية السريعة.

(٥) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة . والأين : الإعياء والتعب . والإرقال : والتبغيل : ضربان من السير السريع. يقول : لايبلغ تلك الأرض إلا ناقة صلبة عظيمة قوية على السير . ورواية الشطر الثانى فى (ا) : « فيها على الأين . . . . » .

(٦) النضاخة: الكثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة التى خلف أذن الناقة ، وهى أول مايعرق منها . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها . يريد أن هذه الناقة كثيرة العرق ، وذلك لا يكون إلا مع اشتداد فى السير ، وجهد نفسها فيه ، وأنها عارفة للطريق الدارس الأعلام ، المجهول المسالك ، لكثرة أسفارها وسلوكها المفازات .

ويروى الشطر الثانى من هذا البيت : « ولاحها طامس . . . . » . ولاحها : غيرها .

(٧) النجود : آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون . والمفرد : الثور الوحشى الذى تفرد فى مكان، وشبه عينيها بعينيه لأنه ألف البرارى وخبرها ، ولكونه من أحد الوحوش نظرا . واللهق (بفتح الهاء وكسرها) :الأبيض. والحزان (بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاى) : الأمكنة=

ضخمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مقيَّدُها ... في خَلْقِها عن بنات الفحل تَفضيل (١)
غَلْباءُ وَجْناءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَة ... في دَفِّها سَعَةٌ قُدَّامُها مِيل (٢)
وجِلْدُها من أُطُومٍ ما يُؤَيِّسه ... طِلْحٌ بضاحِيَةِ المَتْنَيْنِ مَهْزُول (٣)
حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنَةٍ ... وعمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْليل (٤)
يَمْشي القُرادُ عليها ثم يُزْلِقُهُ ... مِنْها لَبانٌ وأَقْرابٌ زَهاليل (٥)

= الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء ، وهي جمع حزيز . والميل (بالكسر) : جمع (ميلاء) بالفتح ، وهي العقدة الضخمة من الرمل .

يريد أن هذه الناقة في غاية من حدة البصر ، فتبصر ماغاب من آثار الطريق عن العيون بعينيها الشبيهتين بعيني الثور الوحشي الأبيض وقت اشتداد الحر ، في الأمكنة الغليظة الصلبة ، والرمال المنعقدة الضخمة .

ورواية هذ البيت في ا : «ترمي النجاد . . . الخ» .

(١) المقلد : موضع القلادة في العنق . وفعم : ممتلئ . ويروى : «عبل» وهو بمعناه . والمقيد : موضع القيد ، يريد قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة للفحل المعدّ للضراب . يصف الناقة بضخامة العنق ، وذلك مؤذن بضخامة جميع هامتها ، وبعظم القوائم ، وذلك دليل على قوتها في السير ، وطاقتها على ثقل الحمل ، وبتفضيلها على غيرها في عظم الخلقة ، وحسن التكوين .

(٢) غلباء : غليظة العنق . ووجناء : عظيمة الوجنتين ، أو هي من الوجين ، وهو ماصلب من الأرض . وعلكوم : شديدة . ومذكرة : عظيمة الخلقة تشبه الذكران من الأباعر . وفي دفها سعة : أي هي واسعة الجنبين ، وهو كناية عن عظم الخلقة . وقدامها ميل : كناية عن طول عنقها ، أو سعة خطوها .

(٣) الأطوم (بفتح الهمزة): سلحفاة بحرية غليظة الجلد ، وقيل هي الزرافة . ويؤيسه : يذلله ولايؤثر فيه . والطلح (بالكسر) : القراد ، دويبة معروفة يلزق بالدابة . والضاحية من كل شيء : ناحيته البارزة للشمس : والمتنان : مايكتنف صلبها عن يمين وشمال، من عصب ولحم . وإنما خص ضاحية المتنين ، لأن القراد في الشمس تقوى همته، وتكثر حركته . وبشتد امتصاصه للدم. ومهزول : صفة لطلح ، أي قراد مهزول من الجوع . يريد أن جلد هذه الناقة في غاية النعومة والملاسة ، فلايؤثر فيه القراد المهزول من الجوع فيما برز للشمس من ناحيتي صلبها عن يمين وشمال .

(٤) الحرف (في الأصل) : القطعة الخارجة من الجبل ، شبه الناقة بها في القوة والصلابة . والحرف (أيضا) : الناقة الضامرة . وأخوها أبوها . . . الخ : يريد أنها مداخلة النسب في الكرم ، لم يدخل في نسبها غير أقاربها . والمهجنة : الكريمة الأبوين من الإبل ، والقوداء: الطويلة الظهر والعنق . وهي من صفات الإبل التي تمدح بها . والشمليل : الخفيفة السريعة .

(٥) يزلقه : من الانزلاق ، أي يسقطه . ومنها : أي عنها . واللبان (بالفتح) : الصدر ؛ وقيل : وسطه . والأقراب (بالفتح الخواصر ، والمراد بالجمع هنا المثنى . والزهاليل : الملس ، جمع زهلول . يريد أن هذه الناقة لملاستها لايثبت القراد عليها .

عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ (١)

كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا ... مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ (٢)

تَمُرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ ... فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الأَحَالِيلُ (٣)

قَنْوَاءُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا ... عِتْقٌ مُبِينٌ وَفِي الخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ (٤)

تَخْذِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لَاحِقَةٌ ... ذَوَابِلٍ مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ (٥)

---

(١) العيرانة : الناقة المشبهة عير الوحش فى سرعته ونشاطه وصلابته، وهذا مما يستحسن فى أوصاف الإبل . والنحض : اللحم . وعن : بمعنى من . وعرض (ضمتين أو بضم فسكون): جانب . والمراد هنا العموم . يريد أنها رميت باللحم من كل جانب من جوانبها . والمرفق : يريد المرفقين . والزور : الصدر ، وقيل : وسطه . وبنات الزور : مايتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها . يريد أن مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالى الصدر من الأضلاع وغيرها، فتكون مصونة عن الضغط، لبعد مرفقها عن أضلاعها ، فلا يصطك بها لخفتها ونشاطها.

(٢) الخطم : الأنف وما حوله . واللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره . والبرطيل (بالكسر) : حجر مستطيل . يريد أن وجهها من خطمها ومن اللحيين يشبه الحجر المستطيل . وفى رواية « كأنما قاب . . . . الخ » : والقاب المقدار. والمراد : المسافة من وجهها إلى عينيها ، كأنما قدر وجهها المنتهى إلى عينيها من خطمها قدر برطيل فى الاستطالة .

(٣) عسيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص ، فان نبت عليه سمى سعفا . وذا خصل : يريد ذيلا له لفائف من الشعر . وفى غارز : أى على ضرع . ولم تخونه : لم تنقصه . والأحاليل : مخارج اللبن ، جمع إحليل (بالكسر) . يريد أن هذه الناقة تمر ذنبا مثل جريدة النخل فى الغلظ والطول ، كثير الشعر ، على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن ، لكونها لاتحلب ، فيكون ذلك أقوى لها على السير .

(٤) القنواء : المحدودبة الأنف . ويروى : « وجناء » . وقد عد الشاعر هذا من صفات المدح مع أن المنقول عن العرب أن القنا عيب فى الإبل والخيل . والحرتان : الأذنان . والعتق (بالكسر) : الكرم . والمبين : الظاهر . وتسهيل : سهولة ولين ، لا خشونة ولا حزونة . يريد أن هذه الناقة محدودبة الأنف ، يظهر للعارف بالإبل الكرام كرم ظاهر فى أذنيها ، لحسنهما وطولهما ؛ ونجابة فى خديها : سهولة وليونة . وقد ورد هذا البيت فى (ا) متقدما على البيتين السابقين له .

(٥) تخدى : تسرع . ويروى « تخذى » بمعجمتين ، أى تسترخى ؛ وهذا أبلغ فى المدح ، لأنها مع استرخائها فى السير تلحق النوق السوابق ، فكيف لو أسرعت . وفى ا : « تهوى » وهى بمعنى الأولى . واليسرات : القوائم الخفاف . وهى لاحقة : أى والحال أنها لاحقة بالنوق السابقة عليها ، أو بالديار البعيدة عنها . وفى ا : « وهى لاهية » أى غافلة عن السير ، وهى تسرع فيه من غير اكتراث ومبالاة ، كأن ذلك سجية لها . وقد فسر ابن هشام « اللاحقة » بالضامرة ، فيكون مرجع الضمير « هى » لليسرات . والذوابل : جمع ذابل ، وهو الرمح الصلب اليابس شبه قوائمها بها فى الصلابة والشدة . ومسهن : أى مس تلك اليسرات للأرض أووقعهن عليها . وتحليل : أى قليل لم يبالغ فيه ، يريد أن هذه الناقة سريعة فى السير بقوائمها، سريعة الرفع عن الأرض ، كأنها لاتمسها إلا تحلة القسم ، فهى فى غاية الإسراع فى سيرها .

شُمْرِ العُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الحصى زِيَمًا ⁂ لم يَقِهِنَّ رُءوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ (١)
كَأَنَّ أوبَ ذراعيها وقد عَرِقَتْ ⁂ وقد تلفَّع بالقُورِ العَسَاقيلُ (٢)
يومًا يظل به الحِرْباء مُصْطَخِدًا ⁂ كأنَّ ضاحِيَه بالشَّمْسِ مَمْلُولُ (٣)
وقال للقَوْمِ حادِيهِم وقد جعلت ⁂ وُرْقُ الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصا قِيلوا (٤)
شَدَّ النَّهارِ ذراعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ⁂ قامت فجاوَبها نُكْدٌ مَثَاكِيلُ (٥)

---

(١) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر ؛ وقيل : اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن ، يشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته . وزيما : متفرقا. والأكم : هي الأراضي المرتفعة . والتنعيل : شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة . يريد أن أعصاب قوائم هذه الناقة شديدة كالرماح السمر ، ولشدة وطئها الأرض تحمل الحصى متفرقا ، ولصلابة خفافها لاتحتاج إلى تنعيل يقيها الحجارة التي تكون في رءوس الأكم ، فلا تحفى ولا ترق قدمها .

(٢) الأوب (بالفتح) : سرعة التقلب والرجوع . وعرقت : أي وقت عرقها لا لتعب ولا لإعياء ، لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة ، بل لشدة الحر . وتلفع : اشتمل والتحف . والقور (بضم القاف) . جمع قارة ، وهي الجبل الصغير . والعساقيل : السراب . يصف سرعة ذراعي ناقته في وقت الهاجرة وانتشار السراب فوق صغار الجبال . وسيأتي ذكر المشبه به في البيت الثالث بعد هذا ، وهو خبر كأن . وهذا البيت متأخر عن البيتين التابعين له في ا .

(٣) الحرباء (بالكسر) : ضرب من العظاء ، يستقبل الشمس حيثما دارت ، ويتلون بألوان الأمكنة التي يحل فيها . ومصطخدا : محترقا بحر الشمس ، ويروى : « مصطخما » ، أي منتصبا قائما ، كما يروى « مرتبئا » أي مرتفعا . وضاحيه : مابرز للشمس منه. ومملول : موضوع في الملة ، وهي الرماد الحار . يريد أن الجبال الصغار تلفعت بالسراب في يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس ، كأن البارز للشمس في أوب ذلك اليوم من ذلك الحيوان خبز معمول بالملة.

(٤) الحادي : السائق للإبل . والورق : جمع أورق أوورقاء،وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد ؛ وقيل : الورقة : لون يشبه لون الرماد . والجنادب : جمع جندب (بضم الدال وتفتح) : ضرب من الجراد . وقيل : الجراد الصغير ؛ وإنما يكون هذا الصنف في القفار الموحشة القوية الحرارة ، البعيدة من الماء . ويركضن الحصى : يحركنه بأرجلهن لقصد النزول ، بسبب الإعياء عن الطيران ، من شدة الحر . وقيلوا : أمر من قال يقيل قيلولة ، وهي الاستراحة في وقت شدة الحر . والمراد أن هذا اليوم أشد حرا حتى إن الحادي الذي من شأنه أن ينشط الإبل قال للقوم : قيلوا واستريحوا .

(٥) شد النهار : وقت ارتفاعه ، وهو مبالغة في شدة الحر . والعيطل : الطويلة . والنصف : المتوسطة في السن ، وذلك حين استكمال قوتها، وبلوغ أشدها ، فتكون أسرع في الحركة ، وأمكن في القوة . والنكد : جمع نكداء ، وهي التي لايعيش لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكال بالكسر ، وهي الكثيرة الثكل .في هذا البيت والبيت السابق الذي أوله « كأن » يشبه سرعة حركة يدي هذه الناقة بسرعة حركة يدي المرأة الطويلة المتوسطة في السن : في اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها ، يجاوبها نسوة لايعيش أولادهن ، فيشتد فعلها ، ويقوى ترجيع يديها عند النياحة ، لرؤية حزن غيرها ، وشدة لطمهن .

نَوَّاحة رِخْوَة الضَّبْعين ليس لها   لَمَّا نَعَى بِكْرها الناعون مَعْقُول (١)
تَفْرِى اللَّبَانَ بكَفَّيْها ومِدْرَعُها   مُشَقَّق عن تَرَاقيها رَعابيل (٢)
تَسْعى الغُوَاة جَنَابَيْها وقولُهُم   إنك يا بْنَ أبى سُلْمى لَمَقْتُول (٣)
وقال كل صَدِيق كُنْتُ آمُلُه   لاأُلْهِيَنَّكَ إنى عنك مَشْغُول (٤)
فقُلت خَلُّوا سبيلى لا أبالَكُمُ   فكُلُّ ماقَدَّر الرحمنُ مَفْعُول (٥)
كل ابنِ أُنثى وإن طالت سلامته   يوماً على آلة حَدْباء مَحْمُول (٦)

ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى (ا) .

أَوْبُ يَدَىْ فَاقِدٍ شَمْطَاءَ مُعْوِلَةٍ

والفاقد : التى فقدت ولدها . والشمطاء : التى خالطها الشيب . والمعولة : الرافعة صوتها بالبكاء .

(١) النواحة : الكثيرة النوح على ميتها . ورخوة الضبعين : مسترخية العضدين . والبكر بالكسر : أول الأولاد . والناعون : المخبرون بالموت ، النادبون له . والمعقول (هنا) : العقل ، وهو من المصادر التى جاءت على « مفعول » كمعسور وميسور ومفتون . يريد أن هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها ، مسترخية العضدين ، فيداها سريعتان فى الحركة ، ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل ، فهى لاتحس بالإعياء والتعب ، شأن هذه الناقة لاتحس باعياء ولا تعب فى سيرها .

(٢) تفرى : تقطع . واللبان : الصدر . والمدرع : القميص . ورعابيل : قطع متفرقة ، وهو جمع رعبول . يريد أن هذه المرأة تقطع مدرعها بأناملها لذهاب عقلها ، فقميصها مشقوق عن عظام صدرها قطعا كثيرة . يشبه الناقة بهذه المرأة فى أن كلا منهما مسلوب الإدراك ، فلا يحس بما يلاقى من مشقة وشدة .

(٣) الغواة : المفسدون ، جمع غاو . جنابيها : حواليها ، تثنية جناب (بفتح الجيم) . ومقتول : أى متوعد بالقتل ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد أهدر دمه . ورواية هذا البيت فى ا :

تمشى الغواة بجنبيها وقولهم . . . . الخ .

(٤) آمله : أؤمل خيره وأترجى إعانته لى فى الملمات . وألهينك : أشغلك . و (لا) فيها : نافية ، والتوكيد قليل مع النفى . والمعنى : لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف والفزع ، بأن أسهله عليك وأسليك ، فاعمل لنفسك ، فإنى لا أغنى عنك شيئا . وقد يكون الكلام مثبتا ، واللام فيه للقسم ، أى والله لأجعلنك مشغولا عنى ، فلا تطلب منى نصرة أو معونة . ويروى هذا البيت :

« وقال كل خليل . . . . الخ »

(٥) خلوا سبيلى : اتركوه . وقوله : لا أبا لكم : ذم لهم ، لكونهم لم يغنوا عنه شيئا ، أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء .

(٦) الآلة الحدباء : النعش الذى يحمل عليه الميت . يقول : كل إنسان صائر إلى الموت طالت سلامته أو قصرت ، فلا يشمت بى أحد إذا هلكت .

نُبِّئْتُ أن رسـولَ الله أَوعَدَني والعَفْو عند رسولِ اللهَ مأْمُول[١]
مَهْلا هداك الذى أعطاك نافِلَةَ الـــقرآن فيها مواعيظٌ وَتفْصِيل[٢]
لا تأخذَنِّى بأَقْوال الوُشاة ولَمْ أُذْنِب ولو كَثُرت فى الأقاويل[٣]
لقَد أقُوم مقاماً لو يقُوم به أرَى وأسمعُ مالو يَسْمعُ الفِيل[٤]
لظلّ يَرْعَدُ إلا أَنْ يكون له من الرّسول بإذن الله تنْوِيل[٥]
حتى وضعتُ يمينى ما أُنازِعه فى كفِّ ذى نَقِمات قِيلُه القِيل[٦]
فَلَهْوَ أخوفُ عندى إذ أُكلِّمه وقيل إنك منْسوب وَمسْئُول[٧]

---

(١) نبئت : أخبرت. ويروى : «أنبئت» . وأوعدنى : تهددنى بالقتل . ومأمول : مرجو ومطموع فيه .

(٢) هداك : زادك هدى ، أو هداك الله للصفح والعفو عنى، فيكون على هذا داعيا لنفسه. والنافلة : الزيادة ، وسمى القرآن نافلة لأنه عطية زائدة على النبوة .

(٣) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف فى القول ،فلا، وإن كانت ناهية بحسب وضعها، لكن المراد منها التضرع والتذلل . والمعنى : لاتستبح دمى بسبب أقوال الوشاة الساعين بينى وبينك بالإفساد والكذب والبهتان .

(٤) لقد أقوم : معناه : والله لقد أقوم مقاما ، فهو جواب قسم محذوف . ويروى : « إنى أقوم مقاما » والأولى أبلغ للقسم . والمقام (هنا) مجلس النبي . والمراد بالقيام فيه حضوره ، والمعنى على المضى ، أى لقد حضرت مجلسا .

(٥) يرعد : تأخذه الرعدة ، ويصح بناؤه للمفعول . والتنويل : التأمين . والمعنى : لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع ، وإنما خصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل ، والفيل أعظم الدواب جثة وشأنا . إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تأمين يسكن به روعه ، وتثبت به نفسه . ورواية هذا البيت فى ا :

لظل ترعـد من وجد بوادره إن لم يكن من رسول الله تنويل

والوجد : شدة الحزن . والبوادر : اللحم الذى بين العنق والكتف .

زادت (ا) بعد هذا البيت :

مازِلتُ أَقْتَطِـعُ الْبَيْدَاء مُدَّرِعًا جُنْحَ الظَّلَامِ وثوبُ الليل مَسْبُول

(٦) حتى وضعت : أى فوضعت . وخص اليمين لأن الأشياء الشريفة تفعل باليمين . ولا أنازعه : أى حال كونى طائعا له ، راضيا بحكمه فى ، غير منازع له ولا مخالف . والنقمات (بفتح فكسر) جمع نقمة ، والمراد بصاحب النقمات : النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان ينتقم من الكفار ، فكان شديد السطوة والإغلاظ فيهم . وقيله : قوله . والمراد أن قوله معتد به لكونه نافذا ماضيا . يشير بالبيت إلى حاله مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو فى المسجد ، ووضع يده فى يده يستأمنه .

(٧) أخوف : أشد إخافة وإرهابا . ومنسوب : أى إلى أمور صدرت منك ، كقولك لأخيك بجير: «سقاك بها المأمون» ...الخ . ومسئول : أى عن سببها ، أومسئول=

مِن ضَيْغَمٍ بِضَراءِ الأَرضِ مُخْدَرُهُ ... فى بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ (١)

يَغْدُو فيُلْحِمِ ضِرْغامين عيشُهما ... لحمٌ من الناسِ مَعفُور خَراديلُ (٢)

إذا يُساوِرُ قِرناً لايَحِلّ له ... أن يترك القِرنَ إلا وهو مَفْلُولُ (٣)

منه تَظَلّ سِباعُ الجو نافرةً ... وَلاَ تَمَشَّى بواديه الأَراجِيلُ (٤)

ولا يزال بواديه أخو ثِقَةٍ ... مُضَرَّجُ البَزِّ والدُّرسانِ مَأْكولُ (٥)

إنَّ الرسولَ لنُور يُسْتَضاء به ... مُهَنَّد من سُيُوفِ الله مَسْلولُ (٦)

= عن نسبك ، فكأنه يقول : من قبيلتك التى تجيرك منى ؟ ومن قومك الذين يعصمونك منى؟ فقد تبرءوا منك ، وتخلوا عنك . ويروى : « لذاك أهيب » و « فذاك أهيب » و « لكان أهيب » و « فلهو أخوف » . ويروى : « أرهب » مكان : « أهيب » .

(١) ضيغم : أسد . وضراء الأرض : الأرض التى فيها شجر . والمخدر : غابة الأسد . وعثر (بفتح العين وتشديد المثلثة) : اسم مكان مشهور بكثرة السباع . والغيل : الشجر الكثير الملتف. وغيل دونه غيل : أى أجمة تقربها أجمة أخرى ، فتكون أسدها أشد توحشا ، وأقوى ضراوة . يريد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهيب من أسود عثر فى آجامها. وفى رواية «من خادر » . والخادر : الأسد الداخل فى خدره ، وهو حينئذ يكون أشد قوة وبأسا .

(٢) يغدو : يخرج فى أول النهار يتطلب صيدا لشبليه . وفى رواية : « يغذو » بالذال ، أى يطعم . ويلحم : يطعمهما اللحم . والضرغام : الأسد ويريد بالضرغامين شبليه . ومعفور: ملقى فى العفر ، وهو التراب . ووصفه بذلك لكثرته وعدم اكتراثه به لشبعه . وخراديل : قطع صغار . يصف هذا الأسد بكثرة الافتراس ، وعظم الاصطياد .

(٣) يساور : يواثب . والقرن (بكسر القاف) : المقاوم فى الشجاعة . وفى ذكر القرن إشارة إلى أن هذا الأسد لايساور ضعيفا ولاجبانا ، وإنما يساور مقاومه فى الشجاعة ، ومساويه فى القوة . والمفلول : المكسور المهزوم .

(٤) الجو : اسم موضع ، أوهو ما اتسع من الأودية ، أومابين السماء والأرض . ونافرة : بعيدة ، ويروى : «ضامزة» والضامز : الذى يمسك جرته بفيه ولا يجتر . ويروى : « ضامرة » أى جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد . والأراجيل : الجماعات من الرجال ، وهو جمع أرجال ، وأرجال : جمع رجل ، ورجل : اسم جمع لراجل ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى خافته السباع والناس .

(٥) أخو ثقة : الشجاع الواثق بشجاعته . ومضرج : مخضب بالدماء . ويروى : « مطروح » ، أى مطروح . والبز : السلاح . والدرسان (بضم الدال) : أخلاق الثياب . الواحد دريس . ومأكول : أى طعام لذلك الأسد . يريد أنه لايمر بوادى هذا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التى مزقها ، فلا يولع إلا بالشجعان ، ولا يلتفت لغيرهم .

(٦) يستضاء به : يهتدى به إلى الحق . ويروى : «لسيف» فى مكان «لنور» . وقد كانت عادة العرب إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم أن يشهروا السيف الصقيل ، فيبرق ، فيظهر لمعانه من بعد ، فيأتون إليه ، مهتدين بنوره ، مؤتمين بهديه : شبه =

فى عُصْبة من قُرَيش قال قائلهم ببَطْن مكةَ لما أسْلَمُوا زُولُوا[1]

زالوا فمازال أنْـكاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللِّقاء ولا مِيلٌ مَعازِيل[2]

شُمُّ العَرانين أبْطال لَبُوسُهم من نَسْج داوُد فى الهَيْجا سَرَابيل[3]

بيضٌ سَوابغ قد شُـكَّتْ لها حَلَق كأنها حَلَق القَفْعاء مَجْدُول[4]

ليسُوا مَفاريحَ إن نالت رماحُهُم قومًا وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا[5]

يَمْشُون مَشْىَ الجمال الزُّهْر يَعْصِمهم ضَرْبٌ إذا عَرَّد السودُ التَّنَابيلُ[6]

لا يقَع الطَّعْنُ إلا فى نُحورهُم وما لهم عن حِياض الموت تَهليل[7]

= الرسول بذلك . والمهند : السيف المطبوع فى الهند ، وسيوف الهند قديما أحسن السيوف . ومن سيوف الله : أى من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام . والمسلول: المخرج من غمده.

(١) العصبة : الجماعة . ويروى : « فى فتية » جمع فتى ، وهو السخى الكريم . وزولوا : فعل أمر من زال التامة ، أى تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٢) الأنكاس : جمع نكس (بالكسر) وهو الرجل الضعيف . والكشف (بضم فسكون وحرك للشعر) : جمع أكشف، وهو الذى لاترس معه ،أوهم الشجعان الذين لاينكشفون فى الحرب ، أى لا ينهزمون . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسيف له ، أو هو الذى لايحسن الركوب ، فيميل عن السرج . والمعازيل : الذين لاسلاح معهم ، واحدهم معزال (بكسر الميم) .

(٣) شم : جمع أشم ، وهو الذى فى قصبة أنفه علو ، مع استواء أعلاه . والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف . وصفهم بهذا الوصف إما على الحقيقة لأن ارتفاع الأنف من الصفات المحمودة فى خلق الإنسان ؛ وإما على المجاز ، يريد ارتفاع أقدارهم ، وعلو شأنهم . واللبوس : ما يلبس من السلاح . ونسج داود : أى منسوجه ، وهو الدروع . والهيجا (بالقصر هنا) : الحرب . والسرابيل : جمع سربال ، وهو القميص أو الدرع . ووصفها بأنها من نسج داود دليل على مناعتها .

(٤) بيض : مجلوة صافيـة مصقولة ، لأن الحديد إذا استعمل لم يركبه الصدأ . والسوابغ : الطوال السوابل ، ويلزم من طول الدروع قوة لابسها ، إذ حملها مع طولها يدل على القوة والشدة . وشكت : أدخل بعضها فى بعض ، ويروى : « سكت » بمعنى ضيقت . والقفعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض ، تشبه به حلق الدروع . ومجدول : محكم الصنعة .

(٥) مفاريح : كثيرو الفرح . ونالوا : أصابوا . ومجازيع : كثيرو الجزع . ويروى : « لايفرحون » ... الخ .

(٦) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة ، وعظم الخلق ، والرفق فى المشى ، وبياض البشرة ، وذلك دليل على الوقار والسؤدد . ويعصمهم : يمنعهم . وعرد : فر وأعرض عن قرنه وهرب عنه . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو القصير .

(٧) وقوع الطعن فى نحورهم : دليل على أنهم لاينهزمون حتى يقع الطعن فى ظهورهم . =

قال ابن هشام : قال كعب : هـذه القصيدة بعد قدومه على رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم المدينة . وبيته: «حَرْفٌ أخوها أبوها» وبيتُه : «يمشى القُرَاد» وبيته: « عيْرَانةٌ قُذِفَتْ » وبيته : « تَمُرُّ مثلَ عَسِيبِ النَّخْل » وبيته «تَفْرِى اللَّبَانَ » وبيته: « إذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا » وبيته : « ولا يَزال بواديه » : عن غير ابن اسحاق .

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عُمَر بن قَتَادة :

فلما قالَ كعبٌ : « إذا عرّد السودُ التنابيل » وإنما يريدُنا معْشَر الأنصارِ، لِمَا كانَ صاحبنا صنَع به ماصنع[1] ، وخصَّ المهاجرِينَ من قريش من أصحاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِمِدحته، غضِبَت عليه الأنصارُ ؛ فقال بعد أن أسْلم يَمْدَحُ الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضِعَهُم من اليَمَن :

مَنْ سَرَّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزَلْ ... فى مِقْنَبٍ من صالحى الإنصارِ[2]
ورِثُوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ ... إن الخيار هُمُ بنو الأخيار
المُكْرِهين السَّمْهرىَّ بأذرعٍ ... كَسَوالِفِ الهِندىِّ غير قصار[3]
والناظرين بأعيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجَمْر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسَهم لنبيهم ... للموت يوم تعانُقٍ وكِرَار
والقَائدين[4] الناسَ عن أدْيانِهِمْ ... بالمشرَفىِّ وبالقنا الخطَّار[5]

= وحياض الموت : موارد الحتف ، يريد بها ساحات القتال . وتهليل : تأخر . ويروى : « فالهم عن حياص الموت » بالصاد المهملة ، جمع حوص بمعنى مضايقه وشدائده .

(١) هذه الكلمة : « ماصنع » ساقطة فى ا .

(٢) المنقب : الجماعة من الخيل . يريد به القوم على ظهور جيادهم .

(٣) السمهرى : الرمح . وسوالف الهندى : يريد حواشى السيوف ؛ وقد يراد به الرماح أيضا ، لأنها قد تنسب إلى الهند .

(٤) كذا فى م ، ر . وقد شرحها أبوذر على أنها « والذائدين » بمعنى المانعين والدافعين .

(٥) المشرفى : السيف . والقنا : الرماح ، جمع قناة . والخطار : المهتز . وهـذا البيت ساقط من ا .

يتطهَّرون يرونه نُسُكاً لهُمْ ... بدماء من عَلِقوا من الكُفَّار
دَرِبوا كما دَرِبَتْ ببطْن خَفيَّة ... غُلْبُ الرقاب من الأسود ضَوَارِى[1]
وإذا حَلَلْتَ لِيَمْنعوكَ إليهِمُ ... أصبَحْتَ عندَ مَعاقِل الأَعْفار[2]
ضرَبوا عليًّا يوم بدْرٍ ضربةً ... دانَتْ لوقعتِها جميعُ نِزَارِ[3]
لو يعلَمُ الأقوامُ علْمِىَ كلَّه ... فيهِمْ لصدَّقنى الذين أُمَارِى[4]
قومٌ إذا خوَتِ النّجومُ فإنهم ... للطارقين النّازلين مَقَارِي[5]
فى الغُرِّ من غسانَ من جُرْثومةٍ ... أعيَتْ محافِرُها على المِنقار[6]

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه سلم قال له حين أنشده « بانت سعاد فقلبى اليوم متبول » : لَوْلا ذكرت الأنصار بخير، فإنهم لذلك أهل، فقال كعب هذه الأبيات، وهى فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لى عن على بن زيد بن جُدْعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانَتْ سعادُ فقلبِى اليومَ مَتْبولُ[7] »

---

(١) دربوا : تعودوا . وخفية : اسم مأسدة . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق . وضوارى : متعودات الصيد والافتراس .

(٢) المعاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الممتنع . والأعفار : جمع عفر، وهو ولد الوعل ، ويضرب المثل بامتناع أولاد الوعول فى قلل الجبال .

(٣) عليا : يريد على بن مسعود بن مازن الغسانى ، وإليه تنسب بنو كنانة ، لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .

(٤) أمارى : أجادل .

(٥) خوت النجوم : أى سقطت ولم تمطر فى نوئها . والطارقون : الذين يأتون بالليل . والمقارى : جمع مقراة ، وهى الجفنة التى يصنع فيها الطعام للاضياف . يريد أنهم إذا انحبس المطر ، واشتد الزمان ، وعم القحط ، يكونون أصحاب قصاع لقرى الأضياف الذين يطرقونهم، وينزلون بهم .

(٦) هذا البيت ساقط من (ا) .

(٧) إلى هنا ينتهى الجزء السابع عشر من أجزاء السيرة .

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

أمر الرسول الناس بالتهيؤ لتبوك

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد ابن إسحاق المطلبى ، قال :

ثمّ أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحِجَّة إلى رجب، ثم أمر الناسَ بالتهيُّؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزُّهْرى ويزيد بن رُومانَ وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عُمرَ بن قتادة وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ حدث فى غزوة تبوكَ مابلغه عنها ، وبعضُ القوم يحدِّث مالا يحدِّث بعض :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيُّؤ لغزو الروم ، وذلك فى زَمان من عُسْرة الناس ، وشِدة من الحَرّ ، وجدْبٍ من البلاد ؛ وحين طابت الثمار ، والناس يُحبُّون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويَكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يخرج فى غزوة إلاَّ كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يَصْمِدُ له[1] ، إلا ما كان من غزوة تَبُوكَ ، فإنه بيَّنها للناس، لبعد الشُّقة[2] ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يَصْمِد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَته ، فأمر الناس بالجِهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم .

تخلف الجد وما نزل فيه

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجَدّ بن قيس أحد بنى سَلِمَة : ياجَدّ ، هل لك العام فى جِلاد بنى الأصفر[3]؟ فقال : يارسولَ الله ، أَوَ تأذنُ لى ولا تَفْتِنِّى؟ فوالله لقد عَرَف قومى أنه ما من رجل بأشد عُجْباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساءَ بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله

---

(١) يصمد : يقصد .

(٢) الشقة : بعد المسير .

(٣) بنى الأصفر : يريد الروم .

صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنتُ لك. ففي الجَدّ بن قيس نزلت هذه الآية: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ). أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ.

ما نزل في القوم المثبطين

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لاَتَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: (وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

تحريق بيت سويلم وشعر الضحاك في ذلك

قال ابن هشام: وحدثني الثقة عمن حدثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه عن جده، قال:

بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنّ ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيْلِم اليهودي، وكان بيته عند جاسومَ[1]، يُثَبِّطون الناسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تَبُوكَ، فبعث إليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم طلحةَ بنَ عُبيد الله في نفر من أصحابه، وأمَرَهُ أن يُحرِّق عليهم بيت سُوَيلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضحاكُ بنُ خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه، فأفلتوا.

فقال الضحاك في ذلك:

كادتْ وَبَيْتِ الله نارُ محمدٍ يَشِيطُ بها الضَّحَّاكُ وابنُ أُبَيْرِق[2]

وظَلْتُ وقد طَبَّقتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ أنوءُ على رِجْلي كَسيرا ومِرْفَقي[3]

سلامٌ عليكم لا أعودُ لمثلها أخاف ومن تَشْمل به النارُ يُحْرَق

---

(١) جاسوم: اسم موضع.
(٢) يشيط: يحترق.
(٣) طبقت: علوت. والكبس (بكسر الكاف): البيت الصغير.

قال ابن إسحاق :

حث الرسول على النفقة وشأن عثمان فى ذلك

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدّ فى سفره ، وأمَرَ الناس بالجهاز والانْكِماش، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُمْلاَن[1] فى سبيل الله، فحَمَل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا[2] ، وأنفقَ عثمان بن عفّان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحدٌ مثْلَها .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به :

أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العُسْرَة فى غزوة تَبُوكَ ألف دينار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارْضَ عن عثمان فإنِّى عنه راض .

شأن البكائين

قال ابن إسحاق :

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهم البكاءون، وهم سبعةُ نفَر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالمُ بن عمير ، وعُلْبَة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبدُ الرحمن بن كعب ، أخو بنى مَازن بن النَّجار ، وعمرو بن حُمام بن الجَموح ، أخو بنى سَلِمة ، وعبدُ الله ابن المغفّل المُزَنىّ ــ و بعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى ــ وهرَمىُّ بن عبد الله ، أخو بنى واقِف ، وعِرْباضُ بن ساريةَ الفَزَارىّ . فاستحملوا[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهلَ حاجة ، فقال : لاأجد ما أحمِلُكم عليه، فتولوا وأعينهم تَفيض من الدَّمع حَزَنا ألا يجدوا مايُنفقون[4] .

قال ابن إسحاق :

فبلغنى أنَّ ابنَ يامِينَ بن عُمَيْر[5] بن كعب النضْرىّ لَقِىَ أباليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبدالله بن مُغَفَّل وهما يبكيان ، فقال : مايُبْكيكما ؟ قالا: جئنا رسولَ الله

---

(١) الحملان : مصدر حمل يحمل ، وقد يراد به : ما يحمل عليه من الدواب . (انظر اللسان) .

(٢) احتسبوا : أخرجوا ذلك حسبة ، أى جعلوا أجر مابذلوا عند الله .

(٣) استحملوه : طلبوا منه مايحملهم عليه .

(٤) فى تسمية بعض البكائين خلاف فليراجع فى شرح الزرقانى على المواهب الدنية .

(٥) فى الزرقانى على المواهب اللدنية : « لقى يامين بن عمرو » .

صلى الله عليه وسلم ليحملنا، فلم نجد عنده مايحملنا عليه ، وليس عندنا مانتقوّى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحًا[1] له ، فارتحلاه ، وزوّدهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شأن المعذرين

قال ابن إسحاق :

وجاءه المعذِّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليــه ، فلم يعذِرهم الله تعالى . وقد ذُكِر لى أنهم نفر من بنى غِفار .

تخلف نفر عن غير شك

ثم استتَبّ[2] برسول الله صلّى الله عليه وسلم سفره، وأجمعَ السيرَ. وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأَتْ بهم النيةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه عن غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعْبُ بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سَلِمة ، ومُرَارَة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلالُ بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوْف . وكانوا نفر صِدق، لايتهمون فى إسلامهم.

خروج الرسول واستعماله على المدينة

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكرَه على ثَنِيّة الوداع[3] .

قال ابن هشام :

واستعْمَل على المدينة محمــدَ بن مَسْلَمَةَ الأنصارىَ .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدىّ[4] عن أبيه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مَخْرَجه إلى تَبوكَ ، سِباعَ بن عُرْفُطَة .

قال ابن إسحاق :

تخلف المنافقين

وضرب عبدُ الله بن أبىّ معه على حِدَة عسكرَه أسفل منه، نحو ذُباب[5] ، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين . فلما سار رسول الله صلّى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبىّ ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب.

---

(1) الناضح : الجمل الذى يستقى عليه الماء .

(2) استتب : تتابع واستمر .

(3) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .

(4) فى ا : «الأندراوردى» وهى رواية فيه ، والمشهور ماأثبتناه . (راجع شرح أبى ذر) .

(5) ذباب : (بالكسر والضم) : جبل المدينة .

شأن على ابن أبى طالب

وخلَّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب، رضوان الله عليه، على أهْلِه، وأمَرَه بالإقامة فيهم، فأرجَف به المنافقون، وقالوا: ماخلّفه إلا استثقالا له، وتخفُّفا منه. فلما قال ذلك المنافقون أخذ علىّ بن أبى طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرْف[1]، فقال: يا نبى الله، زعَمَ المنافقون أنكَ إنّما خلَّفْتنى أنك استَثْقَلْتنى وتخفَّفت منى؛ فقال: كذبوا، ولكنّنى خلَّفْتُك لما تركتُ ورائى، فارجع فاخلُفْنِى فى أهلى وأهلِك، أفلا ترضى ياعلىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبى بعدى، فرجع علىّ إلى المدينة؛ ومَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمدُ بن طلحة بن يَزِيد بن رُكانة، عن إبراهيم ابن سعد بن أبى وقّاص، عن أبيه سعد:

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة.

شأن أبى خيثمة

قال ابن إسحاق:

ثم رجع علىّ إلى المدينة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره، ثم إن أبا خَيْثمةَ رجع بعد أن سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيّامًا إلى أهله فى يوم حار، فوجَد امرأتين له فى عريشين[2] لَهُما فى حائطه[3]، قد رشت كلٌّ واحدة منهما عريشها، و برّدت له فيه ماءً، وهيأت له فيه طعاما. فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيْه وما صنعتا له، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحّ[4] والرِّيح والحر، وأبو خيثمة فى ظلٍّ بارد، وطعام مهيأ، وامرأةٍ حسناء، فى ماله مقيم، ماهذا بالنَّصَف! ثم قال: والله لا أدخُلُ عريش واحدة منكُما حتى ألحَق برسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) الجرف: (بالضم ثم السكون): موضع على ثلاثة أميال من المدينة.
(٢) العريش: شبيه بالخيمة، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت.
(٣) الحائط. البستان.
(٤) الضح: (بالكسر): الشمس.

فهَيِّئا لى زاداً ، ففعلتا . ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجُمحىّ فى الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوَا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً، فلا عليك أن تَخَلَّفَ عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقْبل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا : يارسول الله، هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوْلَى لكَ[1] يا أبا خيثمة . ثم أخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا، ودعا له بخير .

قال ابن هشام :

وقال أبو خيثمة فى ذلك شعرا[2] ، واسمه مالك بن قيس :

لمَّا رأيتُ الناسَ فى الدين نافقُوا ... أتيتُ التى كانَتْ أعفَّ وأكْرَمَا
وبايعتُ باليُمْنَى يدى لمُحَمَّد ... فلم أكتسِبْ إثماً ولم أغْشَ مَحْرما
تركتُ خضيبا فى العَريش وصِرمَة ... صَفايا كِراما بُسْرُها قد تحمَّما[3]
وكنتُ إذا شكّ المنافقُ أسمَحَتْ ... إلى الدينِ نفسى شطرَه حيثُ يَمَّمَا[4]

النبي والمسلمون بالحجر

قال ابن إسحاق :

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحِجْر نزلها ، واستقَى الناسُ من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتشربوا من

---

(١) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد . وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون : دنوت من الهلكة .

(٢) هذه الكلمة : « شعرا » ساقطة فى ا .

(٣) الخضيب : المخضوبة . والصرمة : جماعة النخل . وصفايا : كثيرة الحمل ؛ وأصله فى الإبل ، يقال : ناقة صفى ، إذا كانت غزيرة الدر ، وجمعها صفايا . والبسر : التمر قبل أن يطيب . وتحمما : أى أخذ فى الإرطاب فاسود .

(٤) أسمحت : انقادت . وشطره : نحوه وقصده .

مائها شيئاً، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فَاَعْلِفُوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرُجنَّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنَّ رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مَذْهَبه ؛ وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيء . فأُخْبِر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنْهَكُم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبُه ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لِلَّذِى أصيب على مذهبه فشفى ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيءٍ، فإن طيِّئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدى ؛ وقد حدثنى عبدُ الله بنُ أبى بكر أنْ قد سمَّى له العباسُ الرجلين ، ولكنه استوْدَعه إياهُما ، فأبى عبد الله أن يسمِّيَهُما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال :

لما مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر سجَّى ثوبَه على وجهه[1] ، واستحَثَّ[2] راحلته، ثم قال : لاتدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون، خوفا أن يُصيبكم مثلُ ماأصابهم .

قال ابن إسحاق :

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتَهم من الماء .

---

(١) سجى ثوبه على وجهه : غطاه به .
(٢) استحث راحلته : استعجلها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بنى عبد الأشهل، قال : قلت لمحمود :

هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال: نعم والله ، إنْ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يَلبَسُ بعضُهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود: لقد أخبرنى رجالٌ من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس[1] بالحجر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابةَ ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا أقبلنا عليه نقول : ويْحَك، هل بعد هذا شيء ! قال : سحابةٌ مارَّة .

ناقة للرسول ضلت وحديث ابن اللصيت

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلتْ ناقتُه ، فخرج أصحابُه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه، يقال له عُمارة بن حزم، وكان عَقَبِيا بَدْرِيًّا، وهو عم بنى عمرو بن حزم، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللُّصَيت القَيْنُقَاعى، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال ابن لُصيب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رجال من بنى عبد الأشهل قالوا[2] :

فقال زيد بن اللصيت ، وهو فى رحل عُمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبىّ ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لايدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال: هذا محمدٌ يخبركم أنه نبى ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله، وقد دلنى الله عليها، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعب كذا

(١) فى ا : « من أمر الماء » . وفى الزرقانى : «من أمر الحجر» نقلا عن ابن إسحاق .
(٢) هذا السند كله ساقط من ا .

وكذا، قد حبستها شجرةٌ بزمامها، فانطلِقوا حتى تأتونى بها، فذهبوا، فجاءوا بها. فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعَجَبٌ من شىء حَدَّثَنَاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آنفا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، لِلّذِى قال زيدُ ابن لُصَيْت؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عُمارة ولم يحضُر رسول الله صلى الله عليه وسلم: زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى. فأقبل عُمارة على زيد يَجَا فى عُنقه[1] ويقول: إلىَّ عباد الله، إنّ فى رحلى لداهيةً وما أشعر، اُخرُجْ أىْ عدوَّ الله من رحلى، فلا تَصْحَبْنى.

شأن أبى ذر

قال ابن إسحاق:

فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك؛ وقال بعض الناس لم يزل مُتَّهَما بِشَرٍّ حتى هلك.

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجُل، فيقولون: يارسول الله، تخلَّف فلان، فيقول: دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتى قيل: يارسول الله، قد تخلَّف أبو ذَرٍّ، وأبطأ به بعيره؛ فقال: دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقُه الله بكم، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه؛ وتلوَّم[2] أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً. ونزل رسول الله فى بعض منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يارسول الله، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كُنْ أبا ذرٍّ[3]. فلما تأمَّله القومُ قالوا: يارسول الله، هو والله أبو ذر؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رحم الله أباذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

---

(١) يجأ فى عنقه: يطعنه فى عنقه.

(٢) تلوم: تمكث وتمهل.

(٣) كن أبا ذر: لفظه لفظ الأمر، ومعناه الدعاء، أى أرجو الله أن تكون أبا ذر.

وقال ابن إسحاق : فحدثنى بُرَيْدَة بن سفيانَ الأسلمى ، عن محمد بن كعب القُرظى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال :

لما نفى عثمانُ أبا ذر إلى الرَّبَذَة[1] ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأتُه وغلامه ، فأوصاهما أنِ اغسِلانى وكفّنانى ، ثم ضَعانى على قارعة الطريق ، فأوّل رَكْب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفْنِه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبدُ الله بن مسعود فى رَهْطٍ من أهل العراق عُمّار ، فلم يَرُعْهم إلا بالجِنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تَطؤها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبدالله ابن مسعود يبكى ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَثُ وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فوارَوهُ ، ثم حدثهم عبد الله ابن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تبوك .

تخذيل المنافقين المسلمين وما نزل فيهم

قال ابن إسحاق :

وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بنى عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبنى سَلِمة ، يقال له : مُخَشِّن بن حُمَيِّر – قال ابن هشام : ويقال مَخْشِىّ – يُشيرون إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسِبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضِهم بعضا ! والله لكأنّا بكم غدا مُقرّنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مُخشِّن بن حُمَيِّر : والله لوددْتُ أنى أقاضَى على أن يُضرب كلّ [رجل][2] منا مئة جلدة ، وأنّا نَنْفَلِتُ أن يَنْزِل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغنى – لعَمّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقُوا[3] ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا .

---

(1) الربذة : موضع قرب المدينة .

(2) زيادة عن ا .

(3) كذا فى م ، ر . واحترقوا : هلكوا ، وذلك الذى كانوا يخوضون فيه . وفى ا « اخترقوا » ٥٢

فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم؛ فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحقَبها[1]: يارسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب؛ فأنزل الله عز وجل: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ». وقال مُخَشِّن ابن حُمَيِّر: يارسول الله، قعدبى اسمى واسم أبى؛ وكان الذى عُفِىَ عنه فى هذه الآية مخشّن بن حُمَيِّر، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يُعْلَمَ بمكانه، فقُتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر.

الصلح بين الرسول ويحنة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوكَ، أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤْبة، صاحب أَيْلة، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه الجِزْية، وأتاه أهل جَرباء وأَذْرُح، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا، فهو عندهم.

كتاب الرسول ليحنة

فكتب ليُحَنَّةَ بن رؤبة.

بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ومحمدٍ النبى رسول الله ليُحَنَّةَ ابن رُؤبة وأهل أيلة، سُفُنِهِمْ وسيَّارتهم فى البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبى، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمَن أحدث منهم حَدَثا، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمْنَعوا ماء يَرِدونه، ولا طريقا يُرِيدونه، من بر أو بحر.

حديث أسر أكيدر ثم مصالحته

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد، فبعثه إلى أُكَيْدِر دُومة، وهو أُكَيْدر بن عبد الملك، رجل من كِنْدة كان ملكا عليها، وكان نصرانيا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد: إنك ستجده يَصيد

(1) الحقب (بوزن سبب): حبل يشد على بطن البعير، سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل.

البَقَر. فخرج خالد ، حتى إذا كان من حِصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مُقْمِرة صائفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحُكّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قَطّ ؟ قال : لا ، والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأُسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسّان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قَباء من دِيباجٍ مُخَوَّصٍ بالذّهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قَباء أُكَيْدِر حين قُدِم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لَمَناديل سَعْد بن مُعاذٍ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق :

ثم إن خالداً قدم بأُكَيْدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجِزية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيئ : يقال له بُجَيرُ بن بُجَرَةَ ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البقَر، وما صنعت البُقَر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تباركَ سائقُ البقراتِ إنّى ... رأيتُ الله يَهْدِى كل هادى
فمن يكُ حائداً عن ذى تَبوكٍ ... فإنّا قَدْ أُمِرْنا بالجهاد

الرجوع إلى المدينة

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتَبوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

حديث وادى المشقق وماؤه

وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل[1] ، ما يُرْوِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة، بواد يقال له وادى المُشَقَّق؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سَبقنا إلى ذلك الوادى[2] فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيَه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم يرفيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا المـاء ، فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه ! ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحتَ الوَشَل ، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يَصُبّ ، ثم نَضَحه به ، ومَسَحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمـا شاء اللهُ أن يدعو به ، فانخرق من المـاء ـ كما يقول من سمعه ـ ماإنّ له حِسًّا كحِسّ الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أومن بقى منكم لتسمعُنّ بهذا الوادى وهو أخصب مابين يديه وما خلفه .

وفاة ذى البجادين وقيام الرسول على دفنه

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيّ أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال :

قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتَّبعتُها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجَادين المزنىّ قد مات ، وإذا هم قدحفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أَدْنِيا إلىّ أخاكما ، فدَلَّياه إليه ، فلما هيأه لشِقّه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارضَ عنه . قال : يقولُ عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنتَ صاحب الحُفْرة .

---

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه المـاء قليلا قليلا ؛ وهو أيضا القليل من المـاء .
(٢) فى ا : « ذلك المـاء » .

سبب تسميته ذا البجادين

قال ابن هشام :

وإنما سُمِّى ذا البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه فى بِجاد ليس عليه غيره ، والبِجاد الكساء الغليظ الجافى ، فهَرَب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه ، شق بِجاده باثنين ، فاتَّزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له ، ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضا : المِسْح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كأن أباناً فى عَرانينِ[1] وَدْقه ... كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

سؤال الرسول لأبى رهم عمن تخلف

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أُكَيمةَ الليثى ، عن ابن أخى أبى رُهْمٍ الغِفارىّ ، أنه سمع أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بن الحُصَيْن ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول :

غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تَبُوكَ ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألقى الله علينا النُّعاس[2] ، فطَفِقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيُفْزِعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغَرْزِ[3] ، فطفقت أَحُوزُ[4] راحلتى عنه ، حتى غَلَبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمتْ راحلتى راحلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلُه فى الغَرْز ، فما استيقظت إلا بقوله : حَسِّ[5] ، فقلتُ : يارسول الله ، استغْفِر لى . فقال : سر ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلّف من

(١) فى ا : « أفانين » .
(٢) فى ا : « وألقى على النعاس » .
(٣) الغرز للرحل : بمنزلة الركاب للسرج .
(٤) أحوز : أبعد .
(٥) حسّ : كلمة معناها : أتألم ، يقولها الإنسان إذا أصيب بشىء . قال الأصمعى : هو بمعنى أوّه .

بنى غِفَار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : مافعل النَّفَر الحُمْر الطِّوال الثِّطاط[1] . فحدَّثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجِعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ماأعرف هؤلاء منا[2] . قال: بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشَبَكَة شَدَخ[3] ؛ فتذكَّرتُهم فى بنى غِفَار ، ولم أذكُرْهُم حتى ذكرتُ أنهم رهْطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يارسولَ الله ، أولئك رهْطٌ من أسلم،حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تخلَّف أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً فى سبيل الله ، إن أعزَّ أهلى علىَّ أن يتخلَّف عنى المهاجرون من قريش والأنصارُ وغفارٌ وأسْلَمُ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

دعوتهم الرسول للصلاة فيه

قال ابن إسحاق :

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى[4] أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّز إلى تبوك ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلَّة والحاجة والليلة المَطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نُحب أن تأتينا، فتصلِّى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جَناح سَفر ، وحال شُغل ، أوكما قال صلَّى الله عليه وسلم، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

---

(١) الثطاط : جمع ثط ، وهو صغير نبات شعر اللحية .

(٢) فى ا : « هؤلاء منى » .

(٣) كذا فى الأصول ومعجم البلدان . وشبكة شدخ : ماء لأسلم من بنى غفار . وفى اللسان والنهاية لابن الأثير (مادة شبك) : « بشبكة جرح » . وفيهما أنها موضع بالحجاز ، فى ديار غفار .

(٤) قال أبو ذر : « كذا وقع فى الأصل بفتح الهمزة ، والخشنى يرويه بضم الهمزة حيث وقع » .

أمر الرسول اثنين بهدمه

فلما نزل بذى أوان أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم ابن عدىّ ، أخا بنى العَجْلان ، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعَيْن حتى أتَيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك ابن الدُّخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعفا من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إلى آخر القصة .

أسماء بناته

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذَام بن خالد ، من بنى عبيد بن زَيْد ، أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشّقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أُميَّة بن زيد ، ومعتِّب بن قُشَير ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حَبيبة ابن الأزعر ، من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعبَّاد بن حُنَيف ، أخو سهل بن حُنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجمِّع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبْتَل بن الحارث ، من بنى ضُبيعة ، وبَحْزَج ، من بنى ضُبيعة ، وبجاد[1] ابن عثمان ، من بنى ضُبيعة ، ووديعة ابن ثابت ، وهو من بنى أمية [بن زيد[2]] رهط أبى لُبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول فيما بين المدينة إلى تبوك

وكانت مساجد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومةً مسماة : مسجدٌ بتبوك ، ومسجد بثنية مداران ، ومسجد بذات الزِّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الْخِطمِىّ ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشِّق ، شِق تارا ، ومسجد بذى الجِيفَة ، ومسجد بَصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصّعيد ، ومسجد بالوادى ،

(١) قال أبو ذر : روى هنا بالباء والنون ، وبجاد (بالباء) قيده الدارقطنى .
(٢) زيادة عن ا .

اليوم ، ووادى القُرى ، ومسجد بالرُّقْعة من الشُّقة ، شِقة بنى عُذرة ، ومسجد بذى المَرْوة ، ومسجد بالفَيْفاء ، ومسجد بذى خُشُب

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

نهى الرسول عن كلام الثلاثة المخلفين

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلّف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لأصحابه : لاتكلمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلّف عنه من المنافقين، فجعلوا يَحْلفون له و يعتذرون، فصفح عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَعْذِرهم الله ولا رسولُه . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

حديث كعب عن تخلفه

قال ابن إسحاق : فذكر الزُّهرى محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبدالرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال :

ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قطُّ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحدا تخلّف عنها ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عِير قُريش ، حتى جمع الله بينه و بين عدوّه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواثَقْنا على الإسلام ، وما أُحب أنّ لى بها مشهدَ بدر ، و إن كانت غزوةُ بدر هى أذْكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلّفت عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك أنى لم أكن قطُّ أقوَى ولا أيسر

منّى حين تخلّفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قطّ حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يُريد غزوةً يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلّى للناس أمرَهم، ليتأهبوا لذلك أُهبته ، وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لايجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لايجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فَقَلَّ رجل يريد أن يتغيّب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبَّت الظلال ، فالناس إليها صُعْر[1] ؛ فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمّر بالناس الجدُّ ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديًا ، والمسلمون معه ، ولم أقضِ من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم الحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقضِ شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقضِ شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتَفَرَّطَ[2] الغزو ، فهممتُ أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلتُ ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعدَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفتُ فيهم ، يَحزُنُنى أنى لاأرى إلا رجلاً مغموصاً[3] عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغَ تبوك ، فقال وهو جالس

---

(١) صعر : جمع أصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى : (ولا تصعر خدك للناس) أى لاتعرض عنهم ، ولا تمل وجهك إلى جهة أخرى .
(٢) تفرط الغزو : أى فات وسبق .
(٣) مغموصا عليه : مطعونا عليه .

فى القوم بتبوك : مافعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سَلِمة : يارسول الله، حبسه بُرْداهُ، والنظر فى عِطْفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يارسول الله ماعَلِمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد توجّه قافلاً من تبوك ، حضَرنى بَثِّى[1] ، فجعلت أتذكَّر الكَذِب وأقول : بماذا أخرج من سَخْطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا ، وأستعين على ذلك كلَّ ذى رأى من أهلى ؛ فلما قِيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ[2] قادماً زاح[3] عنى الباطلُ ، وعرفت أنى لاأنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون، فجعلوا يحلفون له و يعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتَهم وأَيمانَهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلّمت عليه ، فتبسّم تبسم المُغضَب، ثم قال لى : تعاله، فجئت أمشى، حتى جلست بين يديه، فقال لى : ماخلّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لوجلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جَدلا ، ولكن والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديثا كذِباً لترضين عنى ، ولَيُوشكن الله أن يُسْخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثاً صِدقا تَجد علىّ فيه ، إنى لأرجو عُقْباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منّى حين تخلّفت عنك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا هذا فقد صدقت فيه ، فقُمْ حتى يَقْضى الله فيك . فقُمت ، وثار معى رجالٌ من

(١) بثى : حزنى .
(٢) أظل : أشرف وقرب .
(٣) زاح عنى : ذهب وزال .

بنى سَلِمة ، فاتّبعونى ، فقالوا لى : والله ما علمناك كنتَ أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلّفون ، قد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك . فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرْجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُكذِّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة ابن الرّبيع العَمْرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن [أبى[1]] أُمية الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين[2] ، فيهما أُسوة ، فصمَتّ حين ذكروهما لى ، ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلّف عنه ، فاجتنبَنا الناسُ ، وتغيّروا لنا ، حتى تنكرتْ لى نفسى والأرضُ ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بُيوتهما ، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدَهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرّك شفَتيه بردّ السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلّى قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوَه أعْرض عنّى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المُسلمين ، مشَيتُ حتى تسوّرت[3] جدار حائط أبى قَتادة ، وهو ابن عمّى ، وأحبُّ الناس إلىّ ، فسلّمت عليه ، فوالله ماردَّ علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدتُ فناشدته ، فسكت عنى ، فعُدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسوّرت الحائط ، ثم غدوت إلى

---

(1) زيادة عن ا .
(2) فى الزرقانى بعد صالحين : « قد شهدا بدرا ، لى فيهما أسوة » .
(3) تسورت : علوت .

السوق ، فبينا أنا أمشى بالسوق إذا نبطىٌ[1] يسأل عنّى من نبَط الشام ، ممن قدِم بالطعام[2] يبيعه بالمدينة ، يقول ، من يدلّ على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلىّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتاباً من ملك غسّان ، وكتب كتابًا فى سَرَقة[3] من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أنّ صاحبك قدجفاك ، ولم يجعلك الله بدارهوَان ولا مَضْيعة ، فالحقْ بنا نُواسِك »[4] . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فىّ رجلٌ من أهل الشرك . قال : فعَمَدت بها إلى تنّور ، فسَجَرْته[5] بها . فأقمنا على ذلك ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا رسولُ رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقرَبها ، وأرسل إلى صاحبىّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يَقْضى الله فى هذا الأمر ماهو قاض . قال : وجاءت امرأةُ هلال بن أُمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخٌ كبير ضائع لاخادم له ، أفتكره أن أخدمَه ؟ قال : لا ، ولكن لا يَقْرَبنك ؛ قالت : والله يارسول الله مابه من حَرَكة إلىّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومِه هذا ، ولقد تخوّفت على بصره . قال : فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنتَ رسولَ الله لِامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمُه ؛ قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ، ما أدرى مايقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابٌّ. قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صلّيت الصبح ، صبح

(١) النبطى : واحد النبط ، وهم قوم من الأعاجم .
(٢) الطعام (هنا) : القمح .
(٣) السرقة : الشقة من الحرير .
(٤) قال ابن الأثير فى النهاية : « المواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق . وأصلها الهمز ، فقلبت واوا ، تخفيفا .
(٥) سجرته : ألهبته .

خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منّا ، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها ، إذ سمعتُ صوت صارخ أَوْفَى على ظهر سَلْع ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرَج .

توبة الله عليهم

قال : وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس بتَوْبة الله علينا حين صلَّى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبىّ مبشّرون ، وركض رجل إلىّ فرساً ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرَع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوتَه يبشرنى نزعت ثوبىّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقّانى الناس يبشّروننى بالتَّوْبة ، يقولون : لِيَهْنِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناسُ ، فقام إلىّ طلحة بن عُبيد الله ، فحيّانى وهنّأنى ، ووالله ماقام إلىّ رجل من المهاجرين غيرُه . قال : فكان كعب بن مالك لاينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ، ووجهه يبْرُقُ من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أمّك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى إلى الله عزّ وجل أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله و إلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إنى مُمْسك سَهْمى الذى بخيبر : وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، و إن من توبتى إلى الله أن لا أحدّث إلا صدقا ما حييت[1] ، والله

(١) فى ا : « مابقيت » .

ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله فى صِدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضلَ مما أبلانى اللهُ ، والله ما تعمَّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى : « لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » إلى قوله « وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله علىّ نعمةً قطّ بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظمَ فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلِك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرّ ماقال لأحد ، قال : (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

قال : وكنا خُلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين حلفوا له نعذرهم ، واستغفرلهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا) .

وليس الذى ذكرالله من تَخْليفنا لتخلّفنا عن الغزوة ، ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلَف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

سلام عروة بن مسعود ورجوعه إلى قومه

قال ابن إسحاق :

وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبوكَ في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدّث قومه : إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ فيهم نَخوةَ الامتناع الذي كان منهم ؛ فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم

دعاؤه للإسلام ومقتله

قال ابن إسحاق :

وكان فيهم كذلك محبّبا مطاعا ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عِلِّيَة[1] له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهم فقتله ، فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم ، يقال له أوس بن عَوْف ، أخو بَنى سالم بن مالك ، وتزعمُ الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتّاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعُروة : ماترى في دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثلَه فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه .

(١) العلية (بكسر العين وضمها) : الغرفة .

ائتمار ثقيف على إرسال نفر للرسول

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عُروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس :

أن عَمْرو بن أمية ، أخا بني علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليلَ بن عمرو ، الذي بينهما سيئ[1] ، وكان عمرو بن أُمية من أدهى العرب ، فَمَشى إلى عبد ياليلَ ابن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : اُخرج إلى ؛ قال : فقال عبدُ ياليل للرسول : ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وهاهوذا واقفا في دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظنُّه ، لَعَمْرو كان أمنع في نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحّب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرة ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضُهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب[2] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطِع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليلَ بن عمرو بن عُمير ، وكان سِنّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما صُنع بعُروة . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجالا ، فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحبيل بن غَيلان بن سَلِمة بن معتِّب ، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بِشر بن عبد دُهمان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني سالم بن عوف ونُمَير بن خَرَشَة بن ربيعة أخا بني الحارث.

---

(١) كذا في الأصول . وفي الزرقاني على المواهب اللدنية : « لشيء كان بينهما » .

(٢) السرب : المال الراعي ، وهو (أيضا) : الطريق ، والنفس .

فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو ناب[1] القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ماصُنع بعُروة بن مسعود ، لكي يشغل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه.

قدومهم المدينة وسؤالهم الرسول أشياء أباها عليهم

فلما دنَوا من المدينة ونزلوا قناة ، ألْفَوا بها المُغيرة بن شُعْبة ، يرعَى فى نَوْبَته رِكابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيتها نُوَبا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثَّقَفِيين ، وضبر[2] يشتد، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصدّيق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام ، بأن يَشْرُط لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُروطا ، ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لاتسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أحدّثه ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فرَوح الظَّهر معهم ، وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قُبّة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم . وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لايهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم

---

(١) ناب القوم : سيدهم والمدفع عنهم .

(٢) ضبر : وثب .

فما برحوا يسألونه سنة سنة ، و يأبى عليهم ، حتى سألوا شهرا واحدا بعد مَقْدمهم ، فأبى عليهم أن يدَعها شيئاً مسمى ، و إنما يريدون بذلك فيما يُظهِرون أن يَتَسلَّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريّهم ، ويَكْرهون أن يُرَوِّعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان ابن حَرب والُمغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لاخير فى دين لاصلاة فيه ؛ فقالوا : يامحمد ، فسنؤتيكها ، و إن كانت دناءة .

تأمير عثمان بن أبى العاص عليهم

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابَهم ، أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقّه فى الإسلام ، وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إنى قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام، وتعلم القرآن .

بلال ووفد ثقيف فى رمضان

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان ابن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال :

كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مابقى من رمضان ، بِفطرنا[1] وسَحُورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسَّحور ، و إنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحّر، لتأخير السُّحور : و يأتينا بفطرنا ، و إنا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد . فيقول : ماجئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يَضع يده فى الجَفْنة ، فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفَطُورنا وسَحورنا .

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر : « بفطورنا » . وهى رواية ابن هشام بعد .

عهد الرسول لابن أبي العاص حين أمره على ثقيف

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هِند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله ابن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال :

كان من آخر ما عهد إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى على ثقيف أن قال : ياعثمان ، تجاوز فى الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبيرَ ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

هدم الطاغية

قال ابن إسحاق :

فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة ، فى هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذ قدموا الطائف أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدِّم أباسفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهَدْم ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يَضْربها بالمِعول ، وقام قومه دونه ، بنو مُعتِّب ، خشية أن يُرمى أو يصاب كما أُصيب عُروة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّرا[1] يَبْكين عليها ويقلن :

لَتُبْكَيَنَّ دُفَّاع أَسْلمها الرُّضَّـاع[2]
لم يُحْسِنوا المِصَاع[3]

قال ابن هشام : «لَتُبكَيَنّ» عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

ويقول أبو سفيان والمغيرة يَضْربها بالفأس : واهالك ! آهالك[4] ! فلما هدمها المغيرة وأخذ مالَها وحُليَّها أرسل إلى أبى سفيان وحُليُّها مجموع ، ومالها من الذهب والجَزْع .

إسلام أبي مليح وقارب

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارِب بن الأسود قدِما على رَسولِ الله

(١) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٢) سميت «دفاع» لأنها كانت تدفع عنهم ، وتنفع وتضر على زعمهم . والرضاع : اللئام .
(٣) المصاع : المضاربة بالسيوف .
(٤) واهالك : كلمة تقال فى معنى الأسف والتحزن .

صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف، حين قُتل عروة، يريدان فراق ثقيف، وأن لايجامعاهم على شيء أبداً، فأسلما؛ فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تولَّيا مَنْ شئتما؛ فقالا: نتولى الله ورسوله؛ فقال رسولُ الله صَلى اللهُ عليه وسلم: وخالَكما أبا سفيان بن حرب؛ فقالا: وخالَنا أبا سفيان بن حرب.

سؤالهما الرسول قضاء دين من أموال الطاغية

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية، سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو مُليح بن عروة أن يَقضى عن أبيه عُروة ديناً كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: نعم، فقال له قاربُ بن الأسود، وعن الأسود يا رسول الله فاقضِه، وعروة والأسود أخوان لأب وأم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الأسود مات مشركا. فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسولَ الله، لكن تَصِل مسلماً ذا قرابة، يعنى نفسه، إنما الدَّين على، وإنما أنا الذى أطلب به، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يَقْضى دينَ عُروة والأسود من مال الطاغية؛ فلما جمع المُغيرة مالَها قال لأبى سفيان: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عُروة والأسود دينَهما، فقضى عنهما.

كتاب الرسول لثقيف

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبى، رسول الله، إلى المؤمنين: إن عِضاه[1] وَجٍّ وصيدَه لايُعضد[2]، من وُجد يفعل شيئاً من ذلك فإنهُ يجلد وتُنزع ثيابه، فان تعدى ذلك فإنه يُؤخذ فيبلغ به النبى محمد، وأن هذا أمر النبى محمد رسول الله.

وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلايتعدّه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) العضاه: شجر له شوك، وهو أنواع؛ واحدته عضة. ووج: موضع بالطائف.
(٢) لايعضد: لايقطع.

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه ، وذكر براءة والقصص فى تفسيرها

تأمير أبى بكر على الحج

قال ابن إسحاق :

ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيّة شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحجّ من سنة تسع ، ليُقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجِّهم. فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

نزول براءة فى نقض ما بين الرسول والمشركين

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه و بينهم : أن لا يُصَد عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهدا عامّا بينه و بين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلّى الله عليه وسلم و بين قبائل من العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَستَخْفون بغير ما يُظهرون ، منهم مَنْ سُمّى لنا، ومنهم مَن لم يُسَمّ لنا ، فقال عز وجل : (بَرَاءةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِين) أى لأهل العهد العام من أهل الشرك (فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِى ٱلْكَافِرِينَ ، وَأَذَانٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللهَ بَرِىءٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) أى بعد هذه الحِجّة (فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ

يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم (اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) .

ثم قال : (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ) الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام ، أن لا يُخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام (عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهى الدِّيل[1] من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) .

ثم قال تعالى : (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الإل : الحِلْف . قال أوس بن حَجَر ، أحد بنى أُسيِّد بن عمرو بن تميم :

لولا بنو مالك والإلّ مَرْقبةٌ ... ومالكٌ فيهمُ الآلاء والشَّرفُ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه آلال ، قال الشاعر :

فلا إلٌّ من الآلال بَيْنى ... وبينكمُ فلا تَأْلُنَّ جُهْدا

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بنو الديل » .

(٢) الآلاء : النعم .

والذمة : العهد ، قال الأجـدع بن مالك الهمْدانى ، وهو أبو مَسروق ابن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذمةٌ أن تجاوِزُوا من الأرض معروفاً إلينا ومُنْكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له . وجَمْعها ذِمم .

(يُرْضُونَكُمْ بِأفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ . اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) أى قد اعتدوا عليكم (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فى الدِّينِ ، وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) .

اختصاص الرسول عليا بتأدية براءة عنه

قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال :

لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليُقيم للناس الحج ، قيل له : يارسول الله ، لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدّى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، فخرج علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم العَضْباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذّن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ،

ولا يحج بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ؛ وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم[1] ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عُريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق :

فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

ما نزل فى الأمر بجهاد المشركين

قال ابن إسحاق .

ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، وَمَنْ كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوَ فيها عاد منهم ، فيقتل[2] بعدائه ، فقال : (أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ) أى من بعد ذلك (عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : وليجة: دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِج ، أى

---

(١) فى ا : « وبلادهم » .

(٢) فى ا : « فيقبل بعدائه » .

دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل : (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمِّ الْخِيَاطِ) أي يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسِرُّون إليه غير مايظهرون ، نحو مايصنع المنافقون ، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا (وَإِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِم قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جُعلت وليجةً ساقُوا إليك الحَتْفَ غَيْرَ مَشُوبِ[1]

ما نزل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت

قال ابن إسحاق :

ثم ذكر قول قريش : إنا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاج ، وعمّار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ؛ فقال : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) أي إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يَعْمُرُ مساجد الله ، أي من عمرها بحقها (مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ) أي[2] فأولئك عُمَّارها (فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وعسى من الله : حق.

ثم قال تعالى : (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ) .

ما نزل فى الأمر بقتال المشركين

ثم القصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ، وتولّيهم عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نَصْره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) وذلك أن الناس قالوا : لتَنْقطعن عنا الأسواق ، فلتهلِكنّ التجارة ، وليذهبن ما كنّا نصيب فيها من المرافق فقال الله عز وجل (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) أي من وجه غير ذلك (إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) أي فى

---

(١) غير مشوب : غير مخلوط .
(٢) فى ا : « ألا فأولئك » .

هذا عوض مما تخوّفتم من قَطع الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع[1] عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل في أهل الكتابين

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشرّ والفرية عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: (إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

ما نزل في النسيء

ثم ذكر النسيء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسيء ما كان يُحل مما حرّم الله تعالى من الشهور ، ويُحرّم مما أحل الله منها ، فقال : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) أي لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما ، أي كما فعل أهلُ الشرك (إِنَّمَا النَّسِيءُ) الذي كانوا يصنعون (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) .

ما نزل في تبوك

ثم ذكر تبوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاقَ من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نَعى[2] عليهم من إحداثهم في الإسلام ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ) ، ثم القصةَ إلى قوله تعالى : (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) إلى قوله تعالى: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ

---

(١) في م ، ر : « مما » .

(٢) نعى عليهم : عابهم وعتب عليهم .

فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) .

ما نزل فى أهل النفاق

ثم قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق: (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أى إنهم يستطيعون (عَفَا اللهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) ؟ إلى قوله : (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ، يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ، قال الأجدع بن مالك الهَمْدانِى :

يَصْطادكَ الوحَدَ المُدِلَّ بشأوه ... بِشَرِيج بَيْن الشَّدِّ والإيضاع[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

عود إلى ما نزل فى أهل النفاق

قال ابن إسحاق :

وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبدالله بن أُبَىّ ابن سَلول ، والجَدّ بن قيس ؛ وكانوا أشرافاً فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبة لهم، وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه، لشرفهم فيهم . فقال تعالى: (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أى من قبل أن يستأذنوك ، (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى ليُخَذِّلوا عنك أصحابك ، و يردوا عليك أمرك (حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ـ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا)، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمّى لنا ، الجَدّ بن قيس ، أخو بنى سَلِمَةَ ، حين دعاه

(١) الوحد : (بفتح الحاء وكسرها) : المفرد ، يريد فرسا . قال أبو ذر : « والجيد رواية من روى (الوحد المدل) بالنصب ، ويعنى به الثور الوحشى ؛ ويضمر فى قوله (يصطاد) ضميرا يرجع إلى فرس متقدم الذكر » . وشأوه : سبقه . والشريج : النوع . يقال : هما شريجان ، أى نوعان مختلفان . والشد (هنا) : الجرى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ما نزل فى ذكر أصحاب الصدقات

ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها فقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

ما نزل فيمن آذوا الرسول

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو ابن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أُذُن ، مَن حدّثه شيئاً صدّقه . يقول الله تعالى : (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ) ، أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) ثم قال: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) إلى قوله تعالى: (إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً) وكان الذى قال هذه المقالة وَديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عُفِىَ عنه ، فيما بلغنى : مُخَشِّنُ بن حُمَيِّر الأشجعى ، حليف بنى سَلِمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصةَ من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا

وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) إلى قوله: (مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ). وكان الذى قال تلك المقالة الجُلاَس بن سُوَيد بن صامت ، فرفعها عليه رجلٌ كان فى حَجْرِه ، يقال لهُ عمير بن سعد ، فأنكرها ، وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حالُه وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وكان الذى عاهد الله منهم ثَعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب ابن قُشَير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَيَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وكان المطَّوِّعون من المؤمنين فى الصدقات عبدَ الرحمن بن عوف ، وعاصمَ بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَغَّب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبدَ الرحمن بن عوف ، فتصدَّق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم ابن عدى ، فتصدَّق بمئة وَسْق من تمر . فلمزوهما وقالوا : ماهذا إلارياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أُنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله غَنِيٌّ عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأمر بالسَّير إلى تبوك ، على شدة الحر وجدب البلاد ، فقال تعالى : (وَقَالُوا لاَتَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً) إلى قوله : (وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ) .

ما نزل بسبب صلاة النبى على ابن أبىّ

قال ابن إسحاق : وحَدثنى الزهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال :

سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله بن أُبَىّ دُعِىَ رسولُ الله

صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، قام إليه ، فلما وقف عليه يُريد الصلاة ، تحوّلتُ حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أتصلى على عدوّ الله عبد الله ابن أُبَيّ بن سَلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدِّد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال : ياعمر ، أخِّر عنى ، إنى قد خُيِّرت فاخترت ، قد قيل لى : (ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ) فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له ، لزِدت قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فُرِغ منه . قال : فعجِبت لى ولجُرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل فى المستأذنين

قال ابن إسحاق :

ثم قال تعالى : (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِٱللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُولُوا ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ) وكان ابن أُبَيّ من أولئك ، فنعَى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : (لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا . ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . وَجَاءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ) إلى آخر القصة .

وكان المعذرون ، فيما بلغنى ، نفرا من بنى غِفار منهم خُفافُ بن أيماء ابن رَحَضة ، ثم كانت القصة لأهل العُذر ، حتى انتهى إلى قوله : (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) ، وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). والخوالف: النساء. ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال: (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) ، إلى قوله تعالى : (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

مانزل فيمن نافق من الأعراب

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ) أى من صدقة أو نفقة في سبيل الله (مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ) .

ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ، ثم قال تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أى لجُّوا فيه ، وأبَوْا غيره (سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ) ، والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى غمّهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يُردّون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

ثم قال تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) إلى آخر القصة . ثم قال تعالى : (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى

أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً) إلى آخر القصة . ثم قال تعالى : (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) . ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة . .

وكانت براءةُ تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم و بعدَه المبعثِرة ، لما كشفت من سرائر الناس . وكانت تَبُوكُ آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسان بن ثابت يُعدّد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه .

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألستُ خيرَ معدٍّ كلِّها نفراً ... ومعشراً إن هم عُمُّوا و إن حُصِلوا[1]
قَوْمٌ همُ شَهِدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألَوا وما خَذَلوا[2]
وبايعُوه فلم ينكُث به أحدٌ ... منهم ولم يَكُ فى إيمانهم دَخَلُ[3]
ويومَ صَبَّحهم فى الشِّعب من أُحُد ... ضَرْبٌ رَصِين كحَرِّ النار مُشْتعل[4]
ويوم ذى قَرَد يوم استثار بهم ... على الجِياد فما خامُوا وما نَكَلوا[5]

---

(١) حصلوا : جمعوا ؛ وأراد : « حصلوا » بالتشديد ، فخفف . قال أبو ذر : « ومن قال : (عموا وإن حصلوا) بالفتح ، فقد نسب الفعل إليهم ؛ يريد : وإن عموا أنفسهم وحصلوها » .

(٢) ما ألوا : ما قصروا . ويروى : « ما آلوا » بالمد ، أى ما أبطئوا ؛ كما يروى : « ما ألَّوا » بتشديد اللام ، أى ما قصروا (أيضاً) ، إلا أنه شدد المبالغة .

(٣) دخل : فساد .

(٤) رصين : ثابت محكم .

(٥) خاموا ونكلوا : جبنوا عن هيبة وفزع .

وذا العُشَــيرة جاسُوها بخَيْلِهِمُ   مع الرسول عليها البِيضُ والأَسَل[1]
وَيومَ وَدّانَ أَجْـلَوا أهلَه رَقَصًا   بالخيلِ حتى نهانا الحَزْنُ والجَبل[2]
وليــــلةً طلبُوا فيها عدوَّهم   لله والله يَجْزيهم بمـا عمـــلوا
وغزوةً يومَ نَجْد ثمّ كان لهـم   مع الرسول بها الأَسْلاب والنَّفَل
وليــــلةً بحُنين جالدُوا معه   فيها يَعلُّهم بالحَرْب إذ نَهَـــلوا[3]
وغزوةَ القاع فرّقنا العــدوَّ به   كما تُفرِّق دون المَشْرب الرَّسَل[4]
ويومَ بُويعَ كانوا أهــلَ بَيْعته   على الجِلاد فآسَــوْه وما عدَلوا
وغزوَةَ الفَتح كانوا فى سَريّته   مُرابطين فما طاشوا وما عجِلوا
ويومَ خَيْــبر كانوا فى كَتِيبته   يَمْشون كلُّهمُ مُسْتبسِل بَطَل[5]
بالبِيض تَرْعَش فى الأَيمان عارِيةً   تَعْوَجّ فى الضرب أحياناً وتعتدل
ويومَ سار رسول الله محتسباً   إلى تبـــوكَ وهم راياتُه الأُول
وساسةُ الحَرب إن حربٌ بدت لهمُ   حتى بدا لهـــم الإقبال والقَفَل[6]
أولئـك القوم أنصارُ النبيّ وهمْ   قَوْمى أصير إليهم حين أتّصــل[7]
ماتوا كرامًا ولم تُنْكَث عهودهم   وقتلُهم فى سبيل الله إذ قُتِـــلوا

قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت أيضا :

---

(١) جاسوها : وطئوها . ويروى : « داسوها » . والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .

(٢) الرقص (بسكون القاف وفتحها) : ضرب من المشى ، وهو الخبب . والحزن : ما ارتفع من الأرض .

(٣) يعلهم : أى يكررها عليهم . من العلل ، وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول .

(٤) الرسل : الإبل .

(٥) مستبسل : موطن نفسه على الموت .

(٦) القفل : الرجوع .

(٧) حين أتصل : حين أنتسب .

كُنَّا ملوكَ الناسِ قبل محمدٍ ... فلما أتَى الإسلامُ كان لنا الفَضْلُ

وأ كْرَمنا اللهُ الذى ليس غيرَه ... إلهٌ بأيامٍ مضتْ مالها شَكْلُ(1)

بنَصْر الإله والرسول(2) ودِينه ... وألبَسَناه اسماً مضى ماله مِثْلُ(3)

أولئك قومى خيرُ قوم بأَسْرهم ... فما عُدّ من خير فقَوْمى له أهل

يَرُبّون بالمعروف معروفَ من مضى ... وليس عليهم دونَ معْروفهم قُفْلُ(4)

إذا اختَبطوا لم يُفحِشوا فى نديّهم ... وليس على سُؤّالهم عندهم بُخْل(5)

وإن حاربوا أو سالموا لم يُشَبَّهوا ... فحَرْبهم حَتْف وسِلْمهمْ سَهْل(6)

وجارُهم مُوفٍ بعليــــاء بيتُه ... له ماثَوى فينا الكرامةُ والبَذْل(7)

وحاملُهم مُــــوفٍ بكل حَمالة ... تحمّل لا غُرْم عليها ولا خَذْل(8)

وقائلُهم بالحقّ إن قال قائلٌ ... وحِلْمهمُ عَوْد وحُكْمهمُ عَدْل(9)

ومنّا أمين المُسْلمين حياتَه ... ومن غسّلته من جَنابته الرُّسْل(1)

قال ابن هشام : وقوله : « وألبسناهُ اسماً » عن غير ابن إسحاق :

---

(1) شكل : مثل .

(2) فى الديوان : « والنبى » .

(3) فى الديوان : « وأ كرمنا باسم مضى . . . الخ » .

(4) يربون : يصلحون . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « وليس على معروفهم أبداً قفل »

(5) اختبطوا : قصدوا فى مجلسهم ؛ والمختبط : الطالب للمعروف . ويروى : «اختطبوا» من الخطبة : ونديهم : مجلسهم .

(6) جاء هذا البيت فى الديوان قبل آخر بيت فى القصيدة .

(7) العلياء : الموضع المرتفع . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « وجارهم فيهم . . . الخ » وترتيب هذا البيت فى الديوان بعد البيت الذى يليه .

(8) الحمالة : مايتحمله الإنسان من غرم فى دية .

(9) عود : قديم متكرر . ورواية هذه البيت فى الديوان :

وقائلهم بالحــق أول قائل ... فحكمهم عدل ، وقولهم فصل

(1) أمير المسلمين : يعنى سعد بن معاذ. ومن غسلته : يعنى « حنظلة » الذى غسلته الملائكة حين استشهد يوم أحد . والرسل (هنا) : الملائكة .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضاً :

قَوْمى أولئك إن تســألِى ... كرامٌ إذا الضيفُ يوما أَلَمّ[(١)]
عِظام القُــدور لأيسارِهم ... يَكُبُّونَ فيها المُسِنَّ السَّــنِم[(٢)]
يُؤَاســون جارَهم فى الغِنى ... وَيحْمون مــولاهُم إن ظُلِم
فكانوا ملوكاً بأرضــيهمُ ... يُنادون عضْــباً بأمرٍ غُشُم[(٣)]
مُلوكاً على الناس ، لم يُملَكوا ... من الدهر يومًا كَحِلِّ القَسَم[(٤)]
فأنبُوا بعادٍ وأشــياعِها ... ثمــودَ وبعضِ بقايا إرَم[(٥)]
بيــثْربَ قد شَيَّدُوا فى النَّخيل ... حُصــوناً وَدُجِّن فيها النَّعَم[(٦)]
نَواضــحَ قد عَلَّمتها اليهو ... دُ (عَلْ) إليــك وقولا هَلُمّ[(٧)]
وفيما اشــتَهوْا من عَصير القطا ... ف والعيشِ رخواً على غيْرِ هَمّ[(٨)]
فسِرْنا إليهــم بأثقالنــا ... على كلِّ فَحْــل هِجان قَطِم[(٩)]
جَنَبْنا بهــنَّ جيادَ الخُيو ... ل قد جَــلّلوها جِلال الأَدَم[(١٠)]
فلمــا أناخُوا بجَنْبَىْ صِرار ... وَشدُّوا السُّرُوج بَلَىِّ الحُزُم

(١) ألم . نزل . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « أولئك قومى فإن تسألى ». وفى ا : « إن تسألوا » .

(٢) الأيسار : جمع يسر ، وهو الذى يدخل فى الميسر . والمسن : الكبير . والسنم : العظيم السنام .

(٣) غشم : من الغشم ، وهو أسوأ الظلم . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « يبادون غضباً . . . » الخ .

(٤) يريد بحل القسم فترة قصيرة .

(٥) فأنبوا : فأنبئوا ، خفف الهمزة . وإرم : هى عاد الأولى .

(٦) دجن فيها النعم : اتخذت فى البيوت . والداجن : كل ما ألف الناس كالحمام والدجاج ونحو ذلك . والنعم : الإبل والبقر والغنم .

(٧) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء . وعل (بفتح العين وسكون اللام) : زجر تزجر به الإبل . وهلم : أقبل .

(٨) القطاف : اسم لما يقطف من العنب وغيره . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « وعيش رضى على غيرهم » .

(٩) الهجان : الأبيض . وقطم : هائج يشتهى الضراب .

(١٠) جنبنا : قدنا . وجللوها : غطوها . والأدم : الجلد . ورواية هذا البيت فى الديوان :

جياد الخيول بأجنابهم ... وقد جللوها ثخان الأدم

فما راعهم غيرُ معْجِ الخُيو   ل والزَّحْفُ من خلفهم قد دَهِم[1]
فطارُوا سِراعا وقد أُفْزِعوا   وجِئْنا إليهم كأُسْدِ الأُجُم
على كل سَلْهبة فى الصِّيا   ن لا يَشْتكين نُحولَ السَّأَم[2]
وكل كُمَيْتٍ مُطار الفؤاد   أمينِ الفُصوصِ كمثل الزُّلَم[3]
عليها فوارسُ قد عُوِّدوا   قِراعَ الكُماة وضَرْبَ البُهَم[4]
مُلوكٌ إذا غَشَمُوا فى البلا   د لا يَنْكُلون ولكن قُدُم[5]
فأُبنا بساداتِهم والنساء   وأولادُهم فيهمُ تُقْتَسَم[6]
ورِثنا مساكنَهم بعدَهم   وكنا ملوكاً بها لم نَرِم[7]
فلما أتانا الرسولُ الرَّشيد   بالحقّ والنور بعد الظُّلَم
قُلنا صدقتَ رسولَ المليك   هلُمَّ إلينا وفينا أَقِمْ
فنشهدَ أنك عبدُ الإلـه   أُرسِلت نوراً بدين قِيَم[8]
فأنا وأولادُنا جُنَّةٌ   نَقِيك وفى مالنا فاحْتَكِم
فنحن أولئك[9] إن كذبوك   فنادِ نداءً ولا تَحْتَشِم

---

(١) معج الخيول : سرعتها . ودهم : جاء غفلة على غير استعداد .
(٢) السلهبة : الفرس الطويلة . والصيان : مايصان به من الجلال . والسأم : الملل .
(٣) مطار الفؤاد : ذكى الفؤاد ، والفصوص : مفاصل العظام، وأمين الفصوص: قويها . والزلم : القدح .
(٤) الكماة الشجعان : جمع كمى ، وهو المتستر فى سلاحه . والبهم : جمع بهمة ، وهو البطل الشجاع .
(٥) غشموا : اشتد ظلمهم . ولا ينكلون : لايرجعون هائبين : ورواية هذا البيت فى الديوان :

ليوث إذا غضبوا فى الحروب . . . . الخ

(٦) أبنا : رجعنا . ورواية هذا البيت فى الديوان :

فأبنا بسادتهم والنسا ء قسرا وأموالهم تقتسم

(٧) لم نرم : لم نتحول .
(٨) بدين قيم : لاعوج فيه .
(٩) تقدير المعنى نحن أولئك الذين نصدقك وننصرك . وفى الديوان : « ولائك » .

وناد بما كنتَ أخفيتَه   نداءً جِهاراً ولا تكتتِم
فسار[1] الغُواةُ بأسيافهم   إليه يظنون أن يُخْتَرَم[2]
فقُمنا إليهم بأسيافنا   نُجالدُ عنه بُغاةَ الأُمَم
بكل صقيل له مَيْعةٌ   رقيقِ الذُّباب عَضوضٍ خَذِم[3]
إذا ما يصادفُ صُمَّ العظا   مِ لم ينْبُ عنها ولم ينثَلِم[4]
فذلك ما ورَّثَتْنا القُرو   مُ مجْداً تليداً وعِزًّا أشَمّ[5]
إذا مرَّ نسْلٌ كفَى نَسلَه   وغادرَ نَسْلا إذا ما انفصم[6]
فما إنْ من الناس إلاّ لنا   عليه وإن خاس فضلُ النِّعم[7]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته:

فكانوا ملوكا بأرْضِيهم   يُنادون غُضْباً بأمر غُشُم

وأنشدنى:

بيثربَ قد شَيَّدوا فى النَّخيل   حصوناً ودُجِّن فيها النَّعم

وبيته «وكل كُميت مطار الفؤاد» : عنه[8]

---

(١) فى الديوان: «فطار».
(٢) يخترم: يهلك.
(٣) له ميعه: أى له صقال يشبه الماء فى صفائه. والذباب: حد طرف السيف. وخذم: قاطع. وفى الديوان «غموس خذم».
(٤) لم ينب: لم يكل.
(٥) القروم: السادة. وفى الديوان: «القرون». والتليد: القديم. والأشم: المرتفع.
(٦) انفصم: انقطع وانقرض. ورواية هذا البيت فى الديوان:

إذا مر قرن كفى نسله   وخلف قرنا إذا ما انفصم

(٧) خاس: غدر.
(٨) إلى هنا ينتهى الجزء الثامن عشر من أجزاء السيرة.

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق :

لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تَبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفودُ العرب من كل وجه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عُبيدة : أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

انقياد العرب وإسلامهم

قال ابن إسحاق :

وإنما كانت العرب تَرَبّص بالإسلام أمرَ هذا الحىّ من قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقةَ لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل ، أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفُود العرب ، فقدم عليه عُطارد ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمىّ ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع ابن حابس التميمى ، والزِّبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم والحَبْحاب بن يزيد[1] .

شىء عن الحتات

قال ابن هشام : الحُتَات ، وهو الذى آخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بينه و بين مُعاوية بن أبى سفيان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين ، بين أبى بكر وعمر ، و بين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، و بين طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوام ، و بين أبى ذَرّ الغفارى والمِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، و بين معاوية بن أبى سفيانَ والحُتات بن يزيد المجاشعى ، فمات الحُتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

أبوك وعمّى يا معاوىَ أورثا تُراثا فيَحْتاز التُّراثَ أقاربُهْ
فما بال ميراثِ الحُتات أكلتَه وميراثِ حرب جامدٌ لك ذائبه

وهذان البيتان فى أبيات له .

سائر رجال الوفد

قال ابن إسحاق :

وفى وفد بنى تميم نُعيم بن يَزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة

---

(١) كذا فى الإصابة ، وفيما سيأتى فى جميع الأصول . وفى م ، ر : « زيد » . وفى ا « وعمرو بن الأهتم الحباب » كأنهما شخص واحد .

ابن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك[(١)] والحُتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزِّبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى مِنْقر ابن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس ابن عاصم ، أحد بنى مِنْقر بن عُبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق :

ومعهم عُيينة بن حِصنِ بن حذيفة بن بدرٍ الفَزاريُّ ، وقد كان الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنينا والطائف.

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد

فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفدُ بنى تميم المسجدَ نادَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُراته : أن اخرج إلينا يامحمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صِياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نُفاخِرك ، فأْذن لشاعرنا وخَطِيبنا ؛ قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن[(٢)] ، وهو أهلُه ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالاً عِظَاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عُدَّة ، فمَنْ مِثلنا فى الناس ؟ ألسنا برُءوس الناس وأُولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدّد مِثْل ماعدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وأنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرنا . ثم جلس .

كلمة ثابت فى الرد على عطارد

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيْس بن الشّماس ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

---

(١) فى م ، ر : « أحد بنى مالك بن دارم بن مالك » .

(٢) هذه الكلمة : « المن » ساقطة فى ا .

الحمد لله الذى السمواتُ والأرض خلقه ، قضى فيهن أمرَه ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قطُّ إلا من فضله ، ثم كان من قُدرتِه أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابَه وأئتمَنه على خلقه ، فكان خِيرة الله من العلمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمانِ به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رَحِمه ، أكرمُ الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فِعالا . ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منعَ منّا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولى هذا واستغفرالله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

شعر الزبرقان فى الفخر بقومه

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكِرام فلا حَىٌّ يُعادِلنا ... مِنّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ(١)

وكم قَسَرْنا من الأحياء كلِّهِمِ ... عند النِّهاب وفضلُ العزِّ يُتَّبَع

ونحنُ يُطعِمُ عند القَحْط مُطْعِمنا ... من الشِّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَع(٢)

بما تَرَى الناسَ تأتينا سراتُهم ... من كل أرضٍ هُوِيًّا ثم نَصْطَنِعُ(٣)

فَنَنْحر الكُوم عُبْطا فى أَرُومتنا ... للنازلين إذا ما أُنْزِلوا شَبِعوا(٤)

فلا ترانا إلى حىّ نُفاخرهم ... إلا استفادوا فكانوا الرأسَ يُقْتَطع

فمن يُفاخرنا فى ذاك نَعرفه ... فيَرْجِعُ القومُ والأخبار تُسْتَمع

إنا أبينا ولا يأبى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخْر نرتفع

---

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة (بكسر الباء) .
(٢) القزع (بالتحريك) : السحاب الرقيق . يريد إذا لم تمطرهم السماء ، فأجدبت أرضهم .
(٣) هويا : سراعا .
(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى العظيمة السنام من النوق . وعبطا : أى عن غير علة . وفى أرومتنا : أى هذا الكرم متأصل فينا .

قال ابن هشام : ويروى :

منا الملوك وفينا تُقسم الرِّبَع[1]

ويروى :

مِنْ كُلِّ أرْضٍ هَوَاناً ثُمَّ نُتَّبَعُ

رواه لي بعض بني تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبرقان .

شعر حسان في الرد على الزبرقان

قال ابن إسحاق :

وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال حسان : جاءني رسولُه ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنَعْنَا رسول الله إذ حلّ وسْطَنا ... على أنْفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ
منعناه لما حلّ بين بيُوتنا ... بأسْيافنا من كل باغٍ وظالمِ
ببيتٍ حَريدٍ عِزّه وثَراؤه ... بجابية الجَوْلان وسْطَ الأعاجمِ[2]
هل المجدَ إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ الملوك واحتمال العَظائمِ[3]

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ماقال ، عرضت في قوله، وقلت على نحو ماقال . قال: فلما فرغ الزِّبرقان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجلَ فيما قال . فقام حسان ، فقال :

---

(١) وفينا تقسم الربع : أي أننا رؤساء وسادة ، وذلك لأن الرئيس كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية .

(٢) البيت الحريد : الفريد الذي لايختلط بغيره لعزته . وجابية الجولان : بلد بالشام . يريد أن النبي نزل وسط حى من الأنصار ذوى منعة ، وجاههم قديم ، متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام . وسيعود الشاعر إلى هذا المعنى في البيت الذي بعد هذا .

(٣) السؤدد العود : المجد القديم الذي يتكرر على الزمان . وهذه الأبيات من قصيدة لحسان عدة أبياتها أربعة عشر .

إن الذوائب من فِهْرٍ وإخوتهم　　قد بيّنوا سُنَّةً للناس تُتّبع[1]
يَرْضَى بهم كلُّ من كانت سريرتُه　　تقْوى الإله وكلَّ الخير يَصْطَنع[2]
قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ　　أو حاولوا النَّفْعَ فى أشياعهم نَفعوا
سَجِيّة تلك مِنْهم غيرُ مُحْدَثة　　إن الخلائق فاعلم شرُّها البِدَع[3]
إنّ كان فى النَّاس سبّاقون بعدَهم　　فكل سَبْق لأدنى سبقهم تَبع
لا يَرْقع الناس ما أَوْهَتْ أكفُّهُمُ　　عند الدِّفاع ولا يُوهون ما رَقعوا[4]
إن سابقوا الناس يومًا فاز سَبْقُهُمُ　　أو وَازنوا أهل مجدٍ بالندى مَتَعوا[5]
أعِفّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْىِ عِفّتهم　　لا يَطْبَعون ولا يُرْدِيهم طَمَع[6]
لا يَبْخلون على جارٍ بفَضْلهم　　ولا يَمسُّهُمُ من مَطْمَعٍ طَبع[7]
إذا نَصَبْنا لحَىٍّ لم نَدِبَّ لهمْ　　كما يدبُّ إلى الوَحْشِيّة الذَّرَعُ[8]
نَسْمُو إذا الحربُ نالتنا مَخالبها　　إذا الزَّعانفُ من أَظْفارها خَشَعوا[9]
لا يَفْخرون إذا نالوا عدوَّهم　　وإن أُصيبوا فلا خُور ولا هُلُعُ[10]
كأنهم فى الوَغَى والموتُ مكتنعٌ　　أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فى أرْساغها فَدَع[11]
خُذْ مِنْهُمُ ما أَتَى عَفْواً إذا غَضِبوا　　ولا يكن همُّك الأمرَ الذى مَنعوا[12]

---

(١) الذوائب : السادة ، وأصله من ذوائب المرأة ، وهى غدائرها التى تعلو الرأس .
(٢) رواية الشطر الثانى فى الديوان : « تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا » وسيرويه ابن هشام بهذه الرواية بعد قليل .
(٣) السجية الطبيعة .
(٤) ما أوهت : ماهدمت .
(٥) متعوا : زادوا ، يقال : متع النهار ، إذا ارتفعت شمسه .
(٦) لايطبعون : لايتدنسون .
(٧) الطبع الدنس .
(٨) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية .
(٩) نسمو : ننهض . والزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .
(١٠) الخور : الضعفاء ؛ والهلع (كـكتب) الجازعون ، الواحد : هلوع .
(١١) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رسغ ، وهو موضع القيد من الرحل . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .
(١٢) عفوا : من غير مشقة .

فإنَّ فى حَرْبِهم فاترك عداوتَهم ... شَرًّا يُخَاضُ عليه السَّمُّ والسَّلَعُ(١)

أَكْرِم بقومٍ رسولُ الله شيعتُهم ... إذا تفاوتت الأَهواءُ والشِّيَعُ

أَهدَى لهم مِدْحتى قلبٌ يُؤازره ... فيما أُحِبّ لسانٌ حائك صَنَعُ(٢)

فإنهم أفضلُ الأحياءِ كلِّهمِ ... إن جدَّ بالناس جِدُّ القول أو شَمَعوا(٣)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد :

يَرضى بها كل من كانت سريرتُه ... تقوى الإله وبالأمر الذى شَرَعوا

شعر آخر للزبرقان

وقال ابن هشام : حدثنى بعضُ أهل العلم بالشعر من بنى تميم : أنّ الزبرقان ابن بدر لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال :

أَتيناك كيما يعلَمَ الناسُ فضلَنا ... إذا احتفلُوا(٤) عند احتضار المواسِم(٥)

بأنا فروعُ الناس فى كلّ موطنٍ ... وأنْ ليس فى أرض الحجاز كدارم(٦)

وأَنَّا نَذُود المُعْلِمِينَ إذا انتخَوْا ... ونضرب رأس الأَصْيَدِ المتفاقِم(٧)

وأَنَّ لنا المِرْباعَ فى كل غارة ... نُغِيرُ بنجد أو بأرض الأعاجِمِ(٨)

فقام حسانُ بن ثابت فأجابه ، فقال :

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان

هَلِ المَجْدُ إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدَى ... وجاهُ المُلوكِ واحتمالُ العظائِم

نَصَرْنا وآوينا النبىّ محمداً ... على أنْف راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ

---

(١) السلع : نبات مسموم .

(٢) صنع : يحسن القول ويجيده .

(٣) شمعوا : هزلوا . وأصل الشمع : الطرب واللهو ، ومنه جارية شموع ، إذا كانت كثيرة الطرب .

(٤) فى ا : « اختلفوا » .

(٥) المواسم : جمع موسم ، وهو الموضع الذى يجتمع فيه الناس مرة فى السنة ، كاجتماعهم فى الحج ، واجتماعهم بعكاظ وذى المجاز وأشباههما .

(٦) دارم من بنى تميم .

(٧) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها ، ويروى : « العالين » . وانتخوا ، من النخوة ، وهى التكبر والإعجاب . والأصيد : المتكبر الذى لا يلوى عنقه يمينا ولا شمالا . والمتفاقم : المتعاظم ، من تفاقم الأمر : إذا عظم واشتد .

(٨) المرباع (بكسر الميم) : أخذ الربع من الغنيمة ، يريد أنهم رؤساء . والنجد : ما ارتفع من الأرض ، ويريد بنجد : بلاد العرب .

بحيٍّ حَرِيدٍ أصـــلهُ وثَرَاؤه ... بجابية الجَوْلانِ وَسْط الأعاجِمِ
نَصَرناه لما حلَّ وسْـط ديارِنا ... بأســـيافنا من كل باغٍ وظالمِ
جعلْنا بنينا دُونَه وبناتِنـــا ... وطِبْنا له نَفْسًـــا بفَيء المغانمِ
ونحن ضربنا الناسَ حتى تتابعوا ... على دينه بالمرهَفَاتِ الصَّـوارمِ[١]
ونحن وَلَدْنا من قُريش عظيمَها ... ولدنا نبيَّ الخيرِ مِنْ آلِ هاشِمِ[٢]
بنى دارمٍ لاتفخَرُوا إنَّ فَخْرَكُمْ ... يَعُود وَبالًا عند ذكرِ المكارمِ[٣]
هَبِلْتُمْ علينا تفخَرونَ وأنتُمُ ... لنا خَوَلٌ ما بين ظِئْرٍ وخادمِ ؟[٤]
فإن كنتُمُ جئتُمْ لحَقْنِ دِمائكُمْ ... وأموالكم أن تُقْسَمُوا فى المقاسِمِ
فلا تجعلوا لله نِدًّا وأَسْـــلِموا ... ولا تَلْبَسُوا زِيًّا كزِىِّ الأعاجِمِ[٥]

إســـلامهم وتجـــويز الرسول إياهم

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأَبِى ، إن هذا الرجل لَمُؤَتًّى له[٦] ، لخَطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولَشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أحلى[٧] من أصواتنا . فلما فرغ القوم أَسْلموا ، وجَوَّزَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جَوائزهم .

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس لتحقيره إياه

وكان عمرو بن الأهتم قد خَلَّفه القوم فى ظهرهم[٨] ، وكان أصغرَهم سِنًّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يارسول الله ، إنه قد كان

---

(١) المرهفات الصوارم : السيوف القاطعة .

(٢) يشير بهذا البيت إلى أن أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كانت جارية من الأنصار .

(٣) الوبال : الثقل .

(٤) هبلتم : فقدتم وثكلتم . والظئر : التى ترضع ولد غيرها ، وقد تأخذ على ذلك أجرا ؛ وأصله الناقة تعطف على ولد غيرها .

(٥) الند : المثل والشبه .

(٦) لمؤتى له : لموفق له .

(٧) فى ا : « أعلى » .

(٨) فى ظهرهم : فى إبلهم .

رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَثَ ، وأَزْرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك ، يهجوه :

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمُنِى ... عندَ الرسول فلَمْ تَصْدُقْ ولَمْ تُصِبِ[(1)]
سُدْنا كُمُ سُودَداً رَهْواً وسُودَدُ كُمْ ... بادٍ نَواجِــــذُهُ مُقْعٍ عَلَى الذَّنَبِ[(2)]

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ) .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

بعض رجال الوفد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى عامر ، فيهم عامر ابن الطُّفَيْل ، وأربد بن قيس بن جَزْء[(3)] بن خالد بن جعفر ، وَجَبَّار بن سَلْمَى ابن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينَهم .

تدبير عامر للغدر بالرسول

فقدم عامرُ بن الطفيل عدوُّ الله ، على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهىَ حتى تتْبع العربُ عَقِبى ، أفأنَا أَتْبعُ عَقِبَ هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قَدِمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك

---

(١) الهلباء : يريد بها دبره ، من الهلب ، وهو الخشن من الشعر .

(٢) الرهو : المتسع . والنواجذ : الأسنان . ومقع على الذنب : جالس على إليتيه ، ضام ساقيه ، يمر ذنبه خلفه .

(٣) كذا فى الأصول . وقال أبوذر : «وأربد بن قيس بن جزى ، كذا وقع هنا فى الأصل ، وذكره أبو عبيد عن ابن الكلبى فقال : ابن جزء » .

وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه[1] بالسيف، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل: يا محمد ، خَالِني[2] . قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده. قال : يا محمد خالِني . وجعل يكلّمه و ينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أَرْبد لايُحِيرُ شيئاً ،قال: فلما رأى عامرمايصنع أربد ؛ قال: يامحمد خالِني، قال : لا،حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أَمَا والله لأَمْلَأَنَّها عليك خَيْلا ورجالا ، فلما ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفنى عامرَ بن الطُّفَيْل . فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : و يلك يا أربد ! أينَ ما كنتُ أمرتُك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وأيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً قال : لا أبا لك ! لا تَعْجَلْ علىّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخَلْتَ بينى و بين الرجل ، حتى ما أرى غيرَك ، أفأضرِبك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عُنُقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل يقول : يا بنى عامر ، أَغُدّةً[3] كغُدّة البكر[4] فى بيت امرأة من بنى سَلُول !

قال ابن هشام : و يقال أَغُدَّةً كغدة الإبل ، وموتا فى بيت سُلولية !

قال ابن إسحاق :

موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفى عامر

ثم خرج أصحابه حين وَارَوْه ، حين قَدِموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا

(١) اعله بالسيف : اقتله به .

(٢) خالنى (بتخفيف اللام) : تفرد لى خاليا حتى أتحدث معك . و (بتشديد اللام) : اتخذنى خليلا وصاحبا ؛ من المخالة ، وهى الصداقة .

(٣) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان .

(٤) البكر : الفتى من الإبل. وإنما تأسف عامر أن لم يمت مقتولا ، كما يتأسف الشجعان، وتأسف أيضا على موته فى بيت امرأة من سلول ، لأن بنى سلول قبيل موصوف عندهم باللؤم ، وليس ذلك للؤم أصولهم ، لأن مكانهم من قومهم مشهور، وإنما هو شىء غلب عليهم كما غلب على محارب وباهلة .

أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أَرْبد ؟ قال : لا شيء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددْتُ أنه عندى الآنَ ، فأرميه بالنَّبل حتى أَقْتُلَهُ ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه[1] ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأَحْرَقَتْهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأُمّه .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قال :

وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد : (اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) إلى قوله (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

قال : المُعَقِّبَاتُ هى من أمر الله يحفظون محمدا . ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاء ، إلى قوله شَدِيدُ الْمِحَالِ) .

شعر لبيد فى بكاء أربد

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

ما إن تُعَدِّى المَنونُ مِنْ أَحَدٍ ... لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا ولَدِ[2]
أَخْشَى على أرْبَدَ الحُتوفَ ولا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَد
فَعَينُ هَلاَّ بَكَيتِ أَرْبَدَ إذْ ... قُمْنَا وَقَامَ النِّسَاء فى كَبَد[3]
إنْ يَشْغَبُوا لاَ يُبَالِ شَغْبَهُمْ ... أوْ يَقْصِدُوا فى الحُكُومِ يَقْتَصِد
حُلْوٌ أريبٌ وفى حَلاَوَتِهِ ... مُرٌّ لَطِيفُ الأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ[4]
وَعَيْنُ هَلاَّ بَكيتِ أَرْبَدَ إذْ ... أَلْوَتْ رِيَاحُ الشِّتَاءِ بالعَضَدِ[5]
وأَصبَحَتْ لاَقِحًا مُصَرَّمَةً ... حَتَّى تَجَلَّتْ غَوابِرُ المُدَدِ[6]

(١) فى ا : « يبيعه »
(٢) تعدى : تترك .
(٣) كبد : حزن ومشقة .
(٤) الأريب : العاقل الداهى .
(٥) العضد : الشجر ذهبت الريح بأوراقه . يريد عند الجدب وذبول الأشجار .
(٦) المصرمة : التى لا لبن لها . والغوابر : البقايا . وفى ا : « حين تجلت » .

أشجعُ من ليثِ غابةٍ لَحِمٍ ذو نَهْمَةٍ فى العُـلاَ ومُنْتَقَدِ[1]
لاتبلغُ العـينُ كُلَّ نَهْمَتِهاَ ليـلةَ تُمْسى الجيادُ كالقِدَدِ[2]
الباعثُ النَّوْحَ فى مَآتِمِـهِ مِثلَ الظِّباءِ الأَبْكارِ بالجَرَدِ[3]
فَجَّعَنِى البَرْقُ والصَّوَاعِقُ بالْـفارسِ يوم الـكَرِيهَةِ النَّجُدِ[4]
والحارِبِ الجابرِ الحَرِيبَ إذَا جاءَ نَـكِيباً وإنْ يَعُدْ يَعُدِ[5]
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤالِ كما يُنْبِتُ غيثُ الرَّبيعِ ذو الرَّصَدِ[6]
كل بنى حُرَّةٍ مَصِـيرُهُمُ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ العَدَدِ[7]
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أُمِرُوا يومًا فهم للهـلاكِ والنَّفَدِ[8]

قال ابن هشام : بيته : « والحارب الجابر الحريب » عن أبى عُبيدة ، وبيته « يعفو على الجهد » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً يبكى أَرْبد :

أَلاَ ذَهَبَ المُحافِظُ والمُحَامِى ومانِعُ ضَيْمِها يومَ الخِصَامِ[9]
وأَيْقَنْتُ التَّفَرُّقَ يومَ قالُوا تُقُسِّم مالُ أَرْبَدَ بِالسِّهامِ

---

(1) اللحم : الكثير أكل اللحم . وذو نهمة : طموح إلى بلوغ الغايات . ويروى : « ذو نهية » أى عقل . ومنتقد : أى بصر بالأمور .

(2) القدد : جمع قدة ، وهى السير يقطع من الجلد ، يشبه الخيل بالسير فى النحول والضعف .

(3) النوح : جماعة النساء اللائى ينحن . والمآتم : جماعات النساء يجتمعن فى المناحات . والجرد : الأرض التى لانبات فيها .

(4) النجد (بفتح النون المشددة ، وضم الجيم) : الشجاع .

(5) الحارب : السالب . والحريب : المسلوب . والنكيب : المنكوب المصاب .

(6) يعفو على الجهد : يكثر عطاؤه ويزيد عند الجهد والمشقة ، والرصد (محركة) : كلا قليل .

(8) قل (كقفل) : قليل .

(8) إن يغبطوا إن تستحسن أحوالهم . ويهبطوا : تغير أحوالهم الأعراض . وأمروا : كثروا . والنفد : انقطاع الشىء وذهابه .

(9) الضيم : الذل .

نُطِيرُ عَدَائِدَ الأشْراكِ شَفْعًا ... وَوِتْرًا والزَّعامة للغُلَامِ (١)
فَوَدِّع بالسلام أبا حُرَيْزٍ ... وقلّ وَدَاعُ أَرْبَدَ بالسَّلَامِ
وكنتَ إمامَنا ولنا نِظامًا ... وكان الجَزْعُ يُحْفَظُ بالنِّظَامِ (٢)
وأَرْبدُ فارس الهَيْجا إذا ما ... تَقَعَّرتِ المشاجِرُ بالفِئامِ (٣)
إذا بَكَرَ النِّساء مُرَدَّفاتٍ ... حَوَاسِرَ لا يُجِئْنَ على الْخِدامِ (٤)
فَوَاءلَ يَوْمَ ذٰلِكَ مَن أتاه ... كما وَأَلَ المُحِلُّ إلى الحَرَامِ (٥)
ويَحْمَدُ قِدْرَ أَرْبَدَ مَنْ عَرَاهَا ... إذا ما ذُمَّ أربابُ اللِّحَامِ (٦)
وجارتُهُ إذا حَلَّتْ لَدَيْهِ ... لها نَفَلٌ وَحَظٌّ مِنْ سَنَامِ (٧)
فإنْ تَقْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ ... وإنْ تَظْعَنْ فَمُحْسنَةُ الْكَلَامِ (٨)
وهَلْ حُدِّثْتَ عَنْ أَخَوَيْنِ دَاما ... على الْأَيَّامِ إلا ابْنَى شَمَامِ (٩)
وإلاَّ الفَرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ ... خَوالِدَ ما تُحَدَّثُ بانْهِدَامِ (١٠)

قال ابن هشام: وهى فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق:

وقال لبيد أيضا يبكى أربد:

---

(١) العدائد: الأنصباء. والأشراك: الشركاء. والزعامة: الرياسة، وقيل: أفضل مال الموروث.

(٢) الجزع: الخرز اليمانى.

(٣) المشاجر: ضرب من الهوادج. والفئام: مايبسط فى الهودج ويوطأ به.

(٤) حواسر: كاشفات عن وجوههن. ويروى: «جوائر» أى صائحات، من جأر، إذا رفع صوته بالصياح. ولا يجئن: أى لايغطين. ويروى: «لايجبن»: أى لايسترن، كما يروى: «لايجن» أى لايستر (بالبناء للمجهول فيهما). والخدام: جمع خدمة، وهى الساق.

(٥) واءل: ألجأ إلى موئل.

(٦) اللحام: جمع لحم.

(٧) النفل: العطية.

(٨) حصان: عفيفة لم يتعرض لها. وتظعن: ترحل.

(٩) ابنا شمام: جبلان.

(١٠) الفرقدان وآل نعش (بنات نعش): من النجوم.

انْعَ الكريمَ للكريمِ أَرْبَدَا   انْعَ الرئيسَ واللَّطيفَ كَبِدَا[1]
يُحْذِى وَيُعْطِى مالَهُ لِيُحْمَدَا   أُدْمًا يُشَبَّهْنَ صُوَارًا أُبَّدَا[2]
السَّابِلَ[3] الفَضْلِ إذا ماعُدِّدَا   ويَمْلأُ الجَفْنَةَ مَلْئًا مَدَدَا
رِفْهًا إذا يأتى ضَرِيكٌ وَرَدَا   مِثْلُ الذى فى الغِيلِ يَقْرُو جُمُدًا[4]
يَزْدَادُ قُرْبًا مِنْهُمُ أَنْ يُوعَدَا   أَوْرَثْتَنَا تُرَاثَ غَيْرِ أَنْكَدَا[5]
غِبًّا ومالاً طَارِفًا وَوَلَدَا   شَرْخًا صُقُورا يافعا وأَمْرَدَا[6]

وقال لبيد أيضا :

لَنْ تُفْنِيَا خَيْرَاتِ أَرْ   بَدَ فابْكِيا حَتَّى يَعُودَا
قُولاَ هُوَ البطلُ المُحا   مِى حينَ يُكْسَوْنَ الحديدا[7]
ويَصُدُّ عنا الظالميـ   ـنَ إذا لَقِينا القومَ صِيدا[8]
فاعتاقَه ربُّ البريّـ   ـةِ إذ رأى أن لا خُلودا[9]
فَثَوى ولم يُوجَعْ ولم   يُوصَبْ وكان هو الفقيدا[10]

وقال لبيد أيضاً :

---

(١) انع : أعلم بموته .

(٢) يحذى : يعطى ، من الحذاء ، وهى العطية . ويروى : « يجدى » وهو بمعناه . والأدم (بسكون الدال) الإبل البيض : والصوار (بضم الصاد وكسرها) : القطيع من بقر الوحش . وأبدا : جمع آبد ، وهو المستوحش النافر .

(٣) فى م ، ں : « السائل » .

(٤) رفها : أى يفعل ذلك دائما كل يوم . والضريك : الفقير . والغيل : أجة الأسد ويريد بالذى فى الغيل: الأسد . ويقرو : يتتبع . قال أبو ذر : « وجمد اسم جبل ؛ ومن رواه (جهدا) فهو من الجهد ، وهى الطاقة» .

(٥) يوعد : يهدد . والتراث : الميراث . وغير أنكد : أى تراث رجل غير معسر .

(٦) غبا : بعد موتك . والطارف : المال المستحدث. وشرخا : شبابا . وصقورا : كالصقور واليافع : الذى قارب الحلم . والأمرد : الذى لم تنبت لحيته .

(٧) يريد بالحديد : الدروع . ويكسون الحديد ، أى حين يلبسون الدروع للحرب .

(٨) الصيد : جمع أصيد ، هو المائل بعنقه كبرا .

(٩) اعتاقه : منعه من بلوغ أمله . ويروى «فاعتافه» :أى قصده . ورواية هذا البيت فى ا:
« فاعتاقه ريب . . . . الخ »

(١٠) لم يوصب : لم يصبه وصب ، وهو الألم .

يُذَكِّرنى بأربدَ كلُّ خصمٍ ألدَّ تخالُ خُطَّتَــه ضِرَارا[1]
إذا اقتصدُوا فمقتصــد كريمٌ وإن جارُوا ســواءَ الحق جارا[2]
ويَهْدِى القـــومَ مطَّلِعاً إذا ما دليــــلُ القوم بالمَوْماة حارا[3]

قال ابن هشام : آخرُها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا :

أصبحتُ أمشى بعد سلمى بن مالكٍ وبعد أبى قَيْس وعُرْوة كالأجَبْ[4]
إذا ما رأى ظِلَّ الغُراب أضجَّه حِذاراً عَلَى باقِى السَّناسن والعَصَبْ[5]

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق :

وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم رجلاً منهم، يقال له ضِمام بن ثعلبة .

سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفِع عن كُرَيب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال :

بعثت بنو سعد بن بكر ضِمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم عليه، وأناخ بعيرَه على باب المسجد، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ؛ وكان ضِمام رجلاً جَلْداً أشعرَ ذا غَديرتين[6]

(١) ألد : شديد الخصومة . والضرار : الضر .
(٢) اقتصدوا : عدلوا .
(٣) الموماة : الفلاة . يصف أخاه بالبصر بالأمور .
(٤) الأجب : البعير المقطوع السنام .
(٥) أضجه ، من الضجيج وهو الصياح . والسناسن : عظام الظهر ، وهى فقاره .
(٦) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابنُ عبدالمطلب ؟ قال : فقال رسول‌الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب. قال : أمحمد ؟ قال : نعم ؛ قال : يا بن عبد المطلب ، إنى سائلك ومُغلِّظ عليك فى المسئلة ، فلا تَجِدَنْ(١) فى نفسك ، قال : لا أجد فى نفسى ، فَسَلْ عما بدا لك. قال : أنشُدك الله إلهك و إله من كان قبلك ، و إله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللَّهُمَّ نعم ؛ قال : فأَنشُدك الله إلهك و إله من كان قبلك ، و إله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نُشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يَعْبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأَنشُدك الله إلهك و إله من كان قبلك ، و إله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلِّى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، يَنْشُدُه عند كل فريضة منها كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب مانهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً .

دعوته قومه للإسلام

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو العَقِيصتين(٢) دخل الجنة .قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست(٣) اللاتُ والعزّى ! قالوا : مه يا ضِمام ! اتق البَرَص ، اتق الجُذام ، اتق الجُنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً

(١) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « فلا تحدث بها على » .
(٢) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر .
(٣) كذا فى شرح المواهب . وفى الأصول « باست » .

عبده ورسوله ، وقد جِئْتكم من عنده بما أمركم به ، ومانهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره[1] رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عبّاس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حَنَش أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المُعَلّى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا.

ضمان الرسول دينه وإسلامه

قال ابن إسحاق : حدّثنى من لا أتهم عن الحسن[2] قال :

لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّمه ، فعرض عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت علىّ دين ، وإنى تارك دِيْنى لدينك ، أفتضمن لى دَينى ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك اللهِ إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُمْلانَ ، فقال[3] : والله ما عندى ما أحملكم عليه . قال : يارسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوالّ من ضوال الناس : أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرَق النار .

---

(١) الحاضر : الحى .
(٢) فى م ، ر : « الحسين » .
(٣) الحملان : مايركبون عليه من دواب .

موقفه من قومه في الردة

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْباً[1] على دينه ، حتى هلك وقد أدرك الرِّدة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرور[2] بن المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلم ، فتشهّد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأُكفِّر من لم يشهد .

قال ابن هشام : ويروى : وأَكفي من لم يشهد .

قال ابن إسحاق :

إسلام ابن ساوى

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ العَلاء بن الحَضْرميّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَىٰ العَبْدى ، فأسلم فحسُن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البَحْرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البَحْرين .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حَنيفة ، فيهم مُسيلِمة ابن حَبِيب الحنفىّ الكذاب.

قال ابن هشام : مُسَيلِمة بن ثُمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

ما كان من الرسول لمسيلمة

قال ابن إسحاق :

فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار ، فحدّثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثّياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ،

---

(١) فى ا : « صليبا » .
(٢) الغرور : اسمه المنذر ، سمى كذلك لأنه غر قومه يوم حرب الردة (السهيلى) .

معه عَسِيب[1] من سَعَف النخل ، فى رأسه خُوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يَسْترونه بالثياب ، كلّمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتنى هذا العسيبَ ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق :

وقد حدّثنى شيخٌ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلّفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّا قد خلّفنا صاحباً لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أمَا إنه ليس بشرّكم مكانا ؛ أى لحِفظه ضَيْعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ارتداده وتنبؤه

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبأ وتَكَذَّب لهم ، وقال : إنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشرّكم مكانا ؛ ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أُشركت فى الأمر معه ؛ ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع[2] ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[3] للقرآن : «لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاق[4] وحَشَى» . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ، فأصفقَتْ[5] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أىُّ ذلك كان .

---

(1) العسيب : جريدة النخل .
(2) فى ا : « السجعات » .
(3) مضاهاة : مشابهة .
(4) الصفاق مارق من البطن .
(5) أصفقوا على ذلك : أجمعوا عليه .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيئ

إسلامه وموته

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيئ ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلَّموه وعرض عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدّثنى من لا أتهم من رجال طيئ : ماذكر لى رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءنى ، إلا رأيته دون مايُقال فيـــه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه . ثم سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ الخير ، وقطع له فَيْدًا[1] وأَرَضِينَ معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ينجُ زيد من حُمَّى المدينة فإنه قال : قد سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أم مَلْدم ، فلم يثبته — فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَردة أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموتِ قال :

أمرتحلٌ قومى المشارقَ غُدوةً وأُترَكُ فى بيتٍ بفَردةَ منجدِ[2]
ألا ربّ يوم لو مَرِضتُ لعادنى عوائدُ من لم يَبْرَ منهنّ يَجْهَدِ[3]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتُبه ، التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرّقتها بالنار .

---

(١) فيد : اسم مكان .
(٢) منجد : أى بنجد .
(٣) يبرى (بالبناء المجهول) أى يبريه السفر ويضعفه .

أمر عدى بن حاتم

هربه إلى الشام فرارا من الرسول

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : مامن رجل من العرب كان أشد كراهيةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأً شريفا ، وكنت نَصْرانيا ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرْباع[1] ، فكنتُ فى نفسى على دِين ، وكنت ملكا فى قومى ، لما كان يُصنع بى . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىّ ، وكان راعيا لإبلى : لا أبالك ، أَعدِدْ لى من إبلى أجمالا ذُلُلا[2] سِمانا ، فاحتبسْها قريبا منى ، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطئَ هذه البلاد فآذِنّى ؛ ففعل ؛ ثم إنه أتانى ذات غداة، فقال : ياعدىّ ، ما كنتَ صانعا إذا غشيتْك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرِّب إلىّ أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحقُ بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكتُ الجَوْشية[3] ، ويقال: الحَوشية فيما قال ابن هشام — وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر[4] ، فلما قدمت الشامَ أقمتُ بها .

أسر الرسول ابنة حاتم ثم إطلاقها

وتُخالفنى خيل لرسول الله صلَّى الله عليه وسلّم ، فتُصيب ابنةَ حاتم ، فيمن أصابت ، فقُدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيِّئ ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : فجُعِلتْ بنت حاتم فى حظيرة[5] بباب المسجد ، كانت السبايا يُحبَسْن فيها ، فمرّ بها رسولُ الله

(١) أسير بالمرباع : أى آخذ الربع من الغنائم ، لأنى سيدهم .

(٢) ذلل : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

(٣) الجوشية : جبل للضباب قرب ضرية ، من أرض نجد .

(٤) بنت حاتم هذه: هى سفانة كما رجحه السهيلى، إذ لا يعرف له بنت غيرها . والحاضر : الحىّ .

(٥) الحظيرة : شبيهة بالزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها .

صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد[1] ، فامْنُنْ عليَّ مَنّ الله عليك . قال : ومَنْ وافدك ؟ قالت : عَدِيّ بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مرّ بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بى وقد يئست منه ، فأشار إليّ رجل من خلفه أنْ قومى فكلّميه ؛ قالت : فقمت إليه . فقلت: يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ منّ الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ ، فلا تعجَلى بخروج حتى تجدى مِنْ قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذِنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : عليّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِيّ أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتِيَ أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قَدِم رَهْط من قومى ، لى فيهم ثِقة وَبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحَمَلنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام .

أشارة ابنة حاتم على عدى بالإسلام

قال عدى : فوالله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظَعينة[2] تَصُوب[3] إليّ تَؤُمُّنا ، قال : فقلت ابنة حاتم . قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت عَلَيّ انْسَحَلَتْ[4] تقول : القاطع الظالم ، احتملتَ بأهلك وولدك وتركت بقية والدِك عورَتك ! قال : قلت : أىْ أُخَيَّة ، لاتقولى إلاخيرا ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامتْ عندى ، فقلت لها ، وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرَين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلْحق

(١) الوافد : الزائر .
(٢) الظعينة : المرأة فى هودجها ، وقد تسمى ظعينة وإن لم تكن فيه .
(٣) تصوب إلىّ : تقصد وتؤم .
(٤) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدة .

به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تذلّ في عز اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

قدوم عدى على الرسول وإسلامه

قال : فخرجت حتى أَقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو في مسجده، فسلّمت عليه ، فقال: مَنِ الرجل ؟ فقلت : عديّ بن حاتم؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه ، إذ لَقِيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تُكلّمه في حاجتها ؛ قال : قلت في نفسي : والله ماهذا بملك ؛ قال : ثم مضى بي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بي بيته ، تناول وِسادة من أَدَم مَحشوّة لِيفا ، فقذفها إلىّ ؛ فقال : اجلسْ على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، فجلست عليها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض؛ قال : قلت في نفسي ، والله ما هذا بأمر ملك ؛ ثم قال : إيهِ يا عديُّ بنَ حاتم ، ألم تك رَكُوسيًّا(1) ؟ قال : قلت . بلى . [قال(2)] أولم تكن تسيرُ في قومك بالمِرْباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يَحِل لك في دينك ؛ قال : قلت : أجَل والله ، وقال : وعرفت أنه نبي مُرْسَل ، يعلم مايُجْهَل ؛ ثم قال : لعلك ياعدى إنما يمنعك من دُخولٍ في هذا الدين ما تَرى من حاجتهم ، فوالله لَيُوشِكَنَّ المالُ أن يَفيض فيهم حتى لايُوجَد من يأخذه ؛ ولعلّك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ماترى من كَثْرة عدوّهم وقلة عددهم ، فوالله ليُوشِكَنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها [حتى(2)] تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وايْمُ الله لَيُوشِكن أن تسمع بالقُصورِ البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وقوع ما وعد به الرسول عديا

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونَنّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية

(1) الركوسى : من الركوسية ، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .
(2) زيادة عن ا .

على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت ، وايْمُ الله لتكونن الثالثة ، لَيَفِيضَنّ المـالُ حتى لا يُوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق :

وقَدِم فروة بن مُسَيك المُرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مفارقا لملوك كِندة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يوم الردم بين مراد وهمدان

وقد كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة ، أُصابت فيها هَمْدان من مرادَ ماأرادوا ، حتى أَثْخنوهم[1] فى يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قادهَمْدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد هَمْدان فى ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهَمْدانى .

شعر فروة فى يوم الردم

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فَروة بن مُسيك :

مَرَرْنَ على لُفَاتَ وهن خُوصٌ ... يُنَازِعن الأَعِنّةَ ينتحينا[2]
فإن نَغْلِب فغلاَّبون قِدْما ... و إن نُغْلَب فغيرُ مُغلَّبينا
وما إن طِبُّنا جُبْن ولكن ... مَنَايَانا وطُعْمةُ آخرينا[3]
كذاك الدهر دولتُه سِجَال ... تَكُرّ صروفُه حِينا فحِينا[4]
فبينْا ما نُسرّ بهِ ونَرْضى ... ولو لُبِست غَضارته سِنِينا[5]

---

(١) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

(٢) لفات (ضم أوله ، كما فى معجم البلدان) : من ديار مراد . وفى معجم ما استعجم للبكرى : « مررن على لفات وهى خوص » بالكسر ، على أنه جمع « لفت » بفتح أوله أو كسره : موضع بين مكة والمدينة . وخوص : غائرات العيون، وينتحين : يعترضن ويتعمدن .

(٣) طبنا : قال فى لسان العرب : «يجوز أن يكون معناه : مادهرنا وشأننا وعادتنا ، وأن يكون معناه شهوتنا . ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم فغلبتنا ، فغير مغلبين ، والمغلب : الذى يغلب مراراً ، أى لم نغلب إلا مرة واحدة » . ورواية اللسان « ودولة آخرينا » . والدولة (بفتح الدال وضمها) : العقبة فى المال والحرب سواء .

(٤) سجال : تارة للإنسان ، وتارة عليه . وهو من المساجلة على البئر ، يستقى هذا مرة ، وذلك مرة

(٥) غضارة الشىء : طراوته ونعمته .

إذِ انقلبت به كَرّاتُ دهرٍ فألفيتَ الألى غُبِطوا طَحِينا[1]
فمن يُغْبَط بَرَيْبِ الدهرِ منْهم يَجِدْ ريبَ الزمان له خَئُونا
فلو خَـلَدَ الملوكُ إذنْ خَلَدنا ولو بقى الـكرامُ إذنْ بقِينا
فأفنى ذلكم سَرَوَاتِ قَوْمى كما أفنى القـرونَ الأولينا[2]

قال ابن هشام: أول بيت منها، وقوله: «فإن نغلب» عن غير ابن إسحق.

قدوم فروة على الرسول وإسلامه

قال ابن إسحاق:

ولما توجه فَروة بن مُسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كِندة قال:

لما رأيتُ ملوكَ كِندة أعرضَتْ كالرَّجل خانَ الرجلَ عرقُ نَسائها[3]
قَرَّبتُ راحلتى أؤُمّ محمداً أرجو فواضلَها وحُسْن ثَرائها

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة: «أرجو فواضله وحسن ثنائها».

قال ابن إسحق:

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغنى: يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم؟ قال: يارسول الله، مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ماأصاب قومى يوم الردم لايسوءه ذلك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: أَمَا إن ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلا خيرا.

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وزُبيد ومَذْحِج كلها، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) غبطوا: استحسنت حالهم.
(2) سروات القوم: أشرافهم.
(3) النسا: عرق مستبطن فى الفخذ، وهو مقصور، ومد (هنا) للشعر.

قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد

وقدم على رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن مَعديكربَ فى أناس من بنى زُبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بنَ مَكشوح المُرادىّ ، حين انتهى إليهم أمرُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيًا كما يقول، فإنه لن يخفى عليك،و إذا لقيناه اتبعناه ، و إن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك، وسفَّه رأيه، فركب عمرو بن مَعْديكربَ حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدَّقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بنَ مكشوح أوعد عَمْراً، وتحطّم[1] عليه ، وقال : خالفنى وترك رأيى ؛ فقال عمرو بن معديكربَ فى ذلك :

أَمَرْتكَ يوم ذى صَنْعا ء أمراً باديًا رَشَدُهْ[2]
أمرتك باتّقاء الله والمعروف تَتَّعدُهْ
خرجت من المُنَى مثلَ الحُمَيِّر غَرّه وَتدُهْ
تمنّانى على فرس عليه جالساً أسدُهْ
علىّ مُفاضةٌ كالنِّهْى أخلص ماءه جَددُهْ[3]
تردّ الرمح مُنْثنِىَ[4] السنان عوائراً قِصَدُهْ[5]
فلو لاقيتَنى لَلَقيت ليثاً فوقه لِبَدُهْ[6]

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) ذوصنعاء : موضع .

(٣) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .

(٤) فى ا : « مثنى » .

(٥) عوائر : متطايرة . والقصد جمع قصدة ، وهى ما تكسر من الرمح .

(٦) اللبد : جمع لبدة ، وهى ما على كتفى الأسد ورأسه من الشعر .

تُلاقِي شَنبثًا شَثْن الْبَرَاثِن نَاشِزاً كَتَدُهْ[1]
يُسامى القِرْن إن قِرْنٌ تَيَمّمه فَيَعْتَضِدُهْ[2]
فيأخذه فيَرْفعهُ فَيَخْفِضُهُ فيقتصده[3]
فَيَدْمَغُهُ فيَحْطِمهُ فَيَخْضِمه فيَزْدرِدُهْ[4]
ظَلُوم الشِّرك فيما أحرزتْ أنيابُه وَيَدُه

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة :

أمرتك يوم ذى صنعا ء أمراً بيّنا رَشَدُه
أمرتك باتقاء اللهِ تأتيه وتَتَّعِدُه
فكنت كذى الْحُمَيِّر غرّهُ مما به وتِدُه

ولم يَعرف سائرها .

ارتداده وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق :

فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زُبيد ، وعليهم فروة بن مُسيك . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو بن معديكربَ ، وقال حين ارتد :

وجدْنا مُلْك فَروة شرَّ مُلْك حِماراً سافَ مُنْخُرُهُ بثَفْرِ[5]
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمير ترى الحُوَلاءَ من خَبَثٍ وغَدْرِ[6]

قال ابن هشام : قوله « بثفر » عن أبى عُبيدة .

---

(١) الشنبث : الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله . والشثن : الغليظ الأصابع . والبرائن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشز : مرتفع . والكتد ما بين الكتفين .

(٢) يعتضده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .

(٣) يقتصده : يقتله .

(٤) يدمغه : يصيب دماغه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله وفى ا : « يخضمه » وهى بمعناها . ويزدرده : يبتلعه .

(٥) ساف : شم . والثفر فى البهائم : بمنزلة الرحم من الإنسان .

(٦) الحولاء (بضم الحاء وكسرها وفتح الواو) : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر . شبه المهجو بما فيه من خبث وغدر بهذه الحولاء دناءة وقذارة .

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة

قدومهم وإسلامهم

قال ابن إسحاق :

وقدم على رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ بن قيس ، فى وفد كِندة ، فحدثنى الزّهرىّ بن شِهاب أنه قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكبًا من كِندة ، فدخلوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم مسجده ، وقد رَجّلوا[1] جُمَمَهُم[2] وتَكَحَّلُوا ، عليهم جُبَب الحِبَرَة، وقد كفّفوها[3] بالحَرير، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تُسْلِمُوا ؟ قالوا : بَلَى ؛ قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقّوه منها، فألقَوْه .

انتساب الوفد إلى آكل المرار

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله : نحن بنو آكل المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ؛ قال فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعَة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين ، وكانا إذا شاعا فى بعض العرب،فسئلا ممن هما . قالا : نحن بنو آكل المُرار ، يتعززان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنوالنضْر بن كنانة ، لانَقْفو[4] أمّنا ، ولاننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لاأسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

نسب الأشعث إلى آكل المرار

قال ابن هشام :

الأشعث بن قيس من ولد آكل المُرار من قبل النساء ، وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن مُعاوية بن ثور

---

(١) رجلوا : سرحوا ومشطوا .

(٢) الجمم : جمع جمة ، وهى مجتمع شعر الناصية الذى يصل إلى المنكبين .

(٣) جعلوا لها سجفا من الحرير .

(٤) لا نقفو أمنا : لا نتبع نسب أمنا . وقد كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور ، وهى أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هى جدة كلاب، أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هندا هذه ، وذكر أنها ولدت كلابا (عن السهيلى) .

ابن مُرَتِّع بن معاوية بن كندى ؛ ويقال كندة ، وإنما سمى آكلَ المرار ، لأن عمرو بن الهَبولة الغسّانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أُمُّ أُناس بنت عوف بن محلّم الشيبانى ، امرأة الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيره : لكأنى برجل أدْلَمَ[1] أسود ، كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرار[2] قد أخذ برقبتك ، تعنى الحارث ، فسمى آكل المُرار ، والمُرار : شجر . ثم تبعه الحارث فى بنى بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكرىُّ لعمرو بن المنذر ، وهو عمرو ابن هند اللخمىّ :

وَأَقَدْناكَ ربّ غسّان بالمُنـــــذرِ كَرْها إذْ لاتُكال الدِّماءُ

لأن الحارث الأعرج الغسّانى قتل المنذرُ أباه ، وهذا البيت فى قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القَطْع . ويقال: بل آكل المُرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ؛ وإنما سمى آكل المُرار ، لأنه أكل هو وأصحابه فى تلك الغزوة شجراً يقال له المرار .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدى

قال ابن إسحاق : إسلامه

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَدُ بن عبد الله الأزدىّ ، فأسلم ، وحسن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على

---

(١) الأدلم : المسترخى الشفتين .

(٢) المرار (بضم الميم) : نبت إذا أكلته الإبل تقبضت مشافرها ، لمرارته .

من أسلم من قومه ، وأمروه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرش

فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجُرَش[1] ، وهى يومئذ مدينة مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوت[2] إليهم خَثْعَم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكر ، ظن أهل جُرَشَ أنه إنما ولّى عنهم منهزمًا ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا ،

إخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ، فبيناهما عند رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأى بلاد الله شَكْر ؟ فقام إليه الجُرشيان فقالا : يارسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشْر ؛ وكذلك يسميه أهلُ جَرش ، فقال : إنه ليس بكَشْر ، ولكنه شَكْر ؛ قالا : فما شأنه يارسول الله ؟ قال : إن بُدْنَ الله لتُنْحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما ، ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن لينَعَى لكما قومكما[3] ، فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعَيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد ابن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

إسلام أهل جرش

وخرج وفدُ جُرَشَ حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحَمى لهم حِمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة والمثيرة ، بقرة الحَرْث ، فمن رعاه من الناس فماله سُحْت . فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد :

---

(١) جرش (بوزن عمر) : مخلاف من مخاليف اليمن (كورة) .

(٢) ضوت إليهم : لجأت إليهم .

(٣) أى يخبركما بقتلهم .

وكانت خَثْعَم تُصِيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُون[1] فى الشهر الحرام :

ياغزوةً ماغزونا غيرَ خائبــةٍ ... فيها البغالُ وفيها الخَيْل والحُمُرُ

حتى أتينا حُمَــيْرا فى مصانعها ... وجَمْعُ خثعم قد شاعت لها النُّذُرُ[2]

إذا وضعتُ غليلا كنت أحمله ... فما أُبالى أدانُوا بعدُ أم كفروا[3]

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدوم رسول ملوك حمير

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْيَر ، مَقْدَمَهُ من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيم بن عبد كُلال ، والنعمانُ قَيلُ[4] ذِى رُعين ومَعافرَ وهَمْدان ؛ وبعث إليه زُرْعةُ ذو يَزَنٍ مالكَ بن مرة الرَّهاوى بإسلامهم ، ومُفارقتهم الشركَ وأهله .

فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

كتاب الرسول إليهم

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبى إلى الحارث بن عبد كُلال وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى النعمان ، قَيلِ ذى رُعين ومَعافرَ وهَمْدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولُكم مُنْقَلَبَنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتم به ، وخبّر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمُس الله ، وسَهمَ

---

(١) يعدون : يعتدون .

(٢) حمير : تصغير ترخيم لحمير . وفى الزرقانى : «أتينا جريشا» . والمصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . وشاعت : ذاعت وانتشرت . وفى ا : « ساغت » أى سهلت .

(٣) الغليل حرارة الجوف ، من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا للدين .

(٤) القيل : واحد الأقيال ، وهم الملوك الذين دون الملك الأكبر .

الرسول وصَفيه[1] ، وما كُتب على المؤمنين من الصدقة من العَقار[2] ، عشر ماسَقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغَرْب[3] نصف العشر ، وأن فى الإبل الأربعين ابنةَلَبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفى كل خمس من الإبل شاة ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبِيع ، جَذَع أوجذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وأنها فريضةالله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهوخير له ، ومن أدّى ذلك ، وأشهد على إسلامه ، وظاهر[4] المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، و إنه من أسلم من يَهُودىّ أونصرانىّ ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ، ومن كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لايُرَد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حالم ذكرأوأنثى ، حر أو عبد ، دينارٌ واف ، من قيمة المعافر[5] أو عِوَضُه ثيابا ، فمن أدَّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوّ لله ولرسوله .

أما بعد فإن رسول الله محمدا النبى أرسل إلى زُرعة ذى يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلِى فأُوصيكم بهم خيرا : معاذُ بن جَبَــل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعُقبة بن نمر ، ومالك بن مُرّة ، وأصحابهم ، وأنِ اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجِزْية من مخاليفكم ، وأبْلغوها رُسلى ، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل ، فلا يَنقلِبَنَّ إلاّ راضِيا . أما بعد فإن محمدا يشهد أن لاإله إلاالله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك ابن مُرّة الرّهاوى قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أول حمير ، وقتلتَ المشركين ، فأَبْشر بخير ، وآمرك بحمير خيرا ، ولاتخونوا ولاتخاذلوا ، فإنّ رسولَ الله هو ولىُّ[6]

---

(١) الصفىّ : مايصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تقسم المغانم .
(٢) العقار : الأرض .
(٣) الغرب : الدلو .
(٤) ظاهر : عاون وقوى .
(٥) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .
(٦) فى ا : « مولى » .

غنيّكم وفقيركم ، وأن الصدقة لاتحل لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاةٌ يُزَكَّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكا قد بلّغ الخبَر ، وحفِظ الغَيب ، وآمركم به خيرا ، وأنّى قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأُولى دينهم وأُولى علمهم، وآمركَ بهم خيرا ، فإنهم[1] منظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن

بعث الرسول معاذا على اليمن وشيء من أمره بها

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بَعَث مُعاذا ، أوصاه وعَهِد إليه ، ثم قال له : يَسِّر ولا تعسر ، وبَشِّر ولا تنفِّر ، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب، يَسْئلونك مامِفْتاح الجنة ؛ فقل شهادة أن لاإلٰه إلا الله وحده لاشريك له ؛ قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ماحقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويْحَك ! إن المرأة لاتقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليـــه فوجدتِه تَنْثعب[2] مَنْخِراه قَيْحا ودما ، فمَصِصْت ذلك حتى تُذْهبيه ما أدّيت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

إســـلامه

قال ابن إسحاق :

وبعث فروةُ بن عمرو بن النافرة الجُذامى ، ثم النُّفَاثى ، إلى رسول الله

(1) فى ا : فإنه » .
(2) تنثعب منخراه : تسيل .

صلى الله عليه وسلم رسولاً بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على مَن يَليهم من العرب ، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره في محبسه

فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في مَحْبِسه ذلك :

طرقتْ سُلَيمى مَوهِناً أصحابِي … والرومُ بين البابِ والقِرْوَانِ[1]
صدَّ الخيالُ وساءه ماقد رَأَى … وهممتُ أنْ أُغفِي وقد أبكانى[2]
لا تَكحُلِنَّ العينَ بعدِىَ إثمداً … سَلْمى ولا تَدِنَّ للإتْيان[3]
ولقد علمتَ أبا كُبيشة أننى … وسْطَ الأعزة لايُحَصُ لسانى[4]
فلئن هلكتُ لتفقِدُنَّ أخاكم … ولئن بَقِيتُ لتَعْرِفُن مكانى
ولقد جمعت أجلَّ ماجمع الفتى … من جَوْدَة وشجاعة وبَيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عَفْراء[5] بِفِلَسْطِين ، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حَلِيلَها … على ماء عَفْرا فوق إحدى الرَّواحل[6]
على ناقة لم يَضْرِب الفحلُ أمَّها … مُشَذَّبة أطرافُها بالمنَاجل[7]

مقتله

فزعم الزهريُّ بن شهاب :

أنهم لما قدَّموه ليقتلوه ، قال :

بَلِّغ سَراةَ المُسلمين بأننى … سَلْمٌ لربّى أعظُمى ومَقامى

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

---

(١) الموهن : بعد ساعة من الليل . والقروان : جمع قرو (بالكسر) وهو حويض من خشب تسق فيه الدواب ، وتلغ فيه الكلاب .

(٢) أغفى : أنام نوما خفيفا .

(٣) الإثمد : ضرب من الكحل .

(٤) لايحص : لايقطع .

(٥) في شرح المواهب للزرقانى: « عفراء » بفتح العين وسكون الفاء وألف مدها همزة ، فيكون ممدودا وقصره فى الشعر ضرورة . وفى الأصول : « عفرا » بالقصر .

(٦) الحليل : الزوج . والرواحل فى الأصل : الإبل . ويريد بإحدى الرواحل : الخشبة التى صلبوه عليها . وسيعود إلى ذكر هذا فى البيت الآتى .

(٧) المشذبة : التى أزيلت أغصانها .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد

لما سار إليهم

دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم

قال ابن إسحاق :

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجران[1] ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم . فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم ، فبعث الرُّكبان يَضْرِبون فى كل وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنةَ نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

كتاب خالد إلى الرسول يسأله رأيه فى البقاء أو المجىء

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم : لمحمد النبيِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم[2] ، وقبلت منهم ، وعلّمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنة نبيّه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام ، كما أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكبانا قالوا : يا بنى الحارث ، أَسلِموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهُرِهم ، آمُرهم بما أمرهم الله به

---

(١) نجران : بلد بين اليمن وهجر .

(٢) هذه العبارة : « أقمت فيهم » ساقطة فى : ا .

وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

كتاب لرسول إلى خالد يأمره بالمجىء

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك جاءنى مع رسولك تُخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقْبِلْ وليُقبلْ معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بنى الحارث ابن كعب ، منهم قيس بن الحُصَين[(١)] ذى الغُصة ، ويزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المحجّل ، وعبد الله بن قُراد الزِّيادى ؛ وشدّاد بن عبد الله القَنانى ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابى[(٢)] .

حديث وفدهم مع الرسول

فلما قدموا على رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله . هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه وقالوا : نشهد أنك رسولُ الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجِعْه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ،

---

(١) سمى ذا الغصة ، لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص .

(٢) ضِباب (بكسر الضاد) فى بنى الحارث بن كعب ، وفى قريش ، وفى بنى عامر ابن صعصعة . و (بالفتح) فى نسب النابغة الذبيانى . و (بالضم) فى بنى بكر (انظر السهيلى).

يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أَمَا والله ما حَمِدناك ولا حمدنا خالداً ؛ قال : فمن حَمِدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نَفْترِق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ؛ قال : صدقتم . وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم فى بقيَّة من شوال ، أو فى صدر ذى القِعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومِهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوُفِّىَ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهده إليهم

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن ولّى وفدُهم عمرَو بن حزم ، ليفقّههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا عَهِد إليه فيه عهدَه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبيّ رسول الله لعمرو بن حَزْم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتَقْوى الله فى أمره كلّه ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ، وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعَلِّم الناس القرآن ، ويفقّههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن إنسان إلاّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلينَ للناسِ فى الحق ، ويشتدّ عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونَهى عنه ، فقال : « ألاَ لعنةُ الله عَلَى الظَّالِمِين » ، ويبشّر الناس بالجنّة وبعَملها ، ويُنْذِر

الناس النارَ وعملَها ، ويستألِف الناس حتى يُفقَّهُوا فى الدين ، ويعلِّم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته ، وما أمرالله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العُمرة ؛ وينْهى الناس أن يصلّى أحدٌ فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبًا يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبىَ أحد فى ثوب واحد يُفضى بفَرْجه إلى السماء ، وينهى أن يعقِص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحدَه لاشريك له ، فمن لم يَدْع إلى الله، ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقْطَفُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود(1) والخشوع ، ويُغَلِّس بالصبح ، ويهجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مُدْبِرة ، والمغْرب حين يقبل الليل ، لايؤخر حتى تبدُوَ النجوم فى السماء ، والعِشاء أول الليل ؛ وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نُودِىَ لها ، والغَسْلِ عند الرَّواح إليها ؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله ؛ وما كُتب على المؤمنين فى الصدقَة من العَقار عُشرُ ما سَقَت العين وسقت السماء ، وعلى ماسَقَى الغَرْبُ نصف العُشر ؛ وفى كل عَشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أوجَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ؛ وأنه من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلامًا خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ماعليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ،

---

(1) هذه الكلمة « السجود » ساقطة فى ا .

حُر أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عِوَضُه ثيابا .

فمن أدَّى ذلك فإن له ذمةَ الله وذمةَ رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ؛ صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله و بركاته.

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه

وقَدِم على رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى هُدنة الحُدَيْبِية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجُذامىّ ثم الضُّبَيْبِىّ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه سلم غلاما، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه . وفى كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله و إلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حِزْب الله وحِزْب رسوله ، ومن أدْبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحَرَّة : حَرَّة الرَّجْلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

قال ابن هشام :

أسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يدى الرسول

وَقدم وفد هَمْدانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدى، عن أبى(1) إسحاق السَّبيعى ، قال :

---

(٢) فى ا : « ابن إسحاق السبيعى » . وهو تحريف .

قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نَمَط ، وأبو ثور . وهو ذو المِشْعار ، ومالك بن أَيْفع ، وضِمَام بن مالك السَّلْمانِي ، وعَمِيرة ابن مالك الخارفيّ ، فلقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من تبوك ، وعليهم مُقَطَّعَات الحِبَرَات[1] ، والعمائم العدنية ، برحال المَيْس[2] على المَهْرِيَّة[3] والأَرْحَبيَّة[4] ، ومالك بن نَمَط ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

همْدان خـــيرُ سُوقةٍ وأَقْيالْ ليس لها فى العالَمِين أمثالْ[5]
محلّها الهَضْب ومنها الأبطال لها إطَابات بهـــا وآ كال[6]

ويقول الآخر :

إليـــك جاوَزن سوادَ الرِّيفِ فى هَبوات الصَّـــيف والخَرِيفِ[7]
* مُخطَّماتٍ بحبال اللِّيفِ[8] *

فقام مالك بن نَمَط بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نَصِيَّة[9] من هَمْدانَ ، من كل حاضر وباد ، أتَوْك على قُلُص نَوَاج[10] ، متصلة بحبائل الإسلام ، لاتأخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مِخْلاف[11] خارف ويام وشاكر[12] أهل السود والقود[13] ،

---

(1) مقطعات : ثياب مخيطة . والحبرات : برود يمنية .
(2) الميس : خشب تصنع منه الرحال التى تكون على ظهور الإبل .
(3) المهرية : الإبل النجيبة ، تنسب إلى مهرة ، قبيلة باليمن .
(4) الأرحبية : إبل تنسب إلى أرحب . وهم قبيلة من همدان ، أو فحل ، أو مكان تنسب إليه النجائب .
(5) السوقة : من دون الملوك من الناس . والأقيال . الملوك دون الملك الأكبر ، واحدهم : قيل .
(6) الهضب : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة : هضبة . يصف علو منزلتها . والإطابات : الأموال الطيبة . والآكال : ما يأخذه الملك من رعيته وظيفة له عليهم .
(7) السواد (هنا) : القرى الكثيرة الشجر والنخل . والريف : الأرض التى تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة . والهبوات : جمع هبوة ، وهى الغبرة .
(8) مخطمات : جعل لها خطم ، وهى الحبال التى تشد فى رءوس الإبل على آنافها .
(9) النصية : خيار القوم .
(10) القلص (ككتب) : الإبل الفتية ؛ الواحد : قلوص (كرسول) . ونواج : مسرعة .
(11) المخلاف : المدينة ، بلغة اليمن .
(12) خارف ، ويام ، وشاكر : قبائل من اليمن .
(13) السود : الإبل . والقود : الخيل .

أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الآلهاتِ[1] الأنصاب[2] ، عهدهم لا يُنقَض ما أقامت لَعْلَع[3] ، وماجرى اليعفور[4] بِصَلَع[5] .

كتاب الرسول بالنهى

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جَناب الهَضْب وحِقَاف[6] الرمل ، مع وافدها ذى المِشْعار مالك بن نَمَط ، ومن أسلم من قومه ، على أنَّ لهم فِراعها[7] ووِهاطَها[8] ، ما أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاة ، يأكلون عِلافَها[9] ويَرْعون عافِيَها[10] ، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله ، وشاهِدُهم المُهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نَمَط :

ذكرت رسولَ الله فى فَحْمةِ الدُّجى ... ونحنُ بأعلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ[11]
وهُن بنا خُوصٌ طلائحُ تَغْتلى ... بُرُكبانِها فى لاحِبٍ مُتمدِّدِ[12]
على كل فَتْلاءِ الذراعين جَسْرَةٍ ... تمرّ بنا مرّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ[13]
حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... صوادرَ بالركبان من هَضْبِ قَرْدَدِ[14]

---

(١) الألهات : جمع إلهة .

(٢) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها وفى ا : « الإلهات والأنصاب » .

(٣) لعلع : جبل .

(٤) اليعفور : ولد الظبية .

(٥) كذا فى م ، ر . وصلع : اسم موضع . وفى ا : « بضلع » أى بقوة .

(٦) الحقاف : جمع حقف ، وهو الرمل المستدير .

(٧) الفراع : أعالى الأرض .

(٨) الوهاط : المنخفض المطمئن من الأرض .

(٩) العلاف : ثمر الطلح .

(١٠) عافيها : نباتها الكثير ؛ يقال : عفا النبت وغيره إذا كثر .

(١١) الفحمة : السواد . والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة . ورحرحان وصلدد : موضعان.

(١٢) الخوص : الغائرة العيون ، الواحدة : خوصاء . وطلائح : معيية . وتغتلى (بالغين المعجمة) : تشتد فى سيرها . واللاحب : الطريق البين .

(١٣) الجسرة : الناقة القوية على السير . والهجف : الذكر الضخم من النعام . والخفيدد ، بمعنى الهجف .

(١٤) الراقصات : الإبل . والرقص والرقصان : ضرب من السير فيه حركة . وصوادر : رواجع . والقردد : ماارتفع من الأرض .

بأنّ رسولَ الله فينا مُصَــــدَّق رسولٌ أتى من عندذى العَرْش مُهْتدِى
فما حملتْ من ناقةٍ فوق رَحْلِها أشـــــــدَّ على أعدائه من محمّد
وأعطى إذا ما طالبُ العُرْف جاءه وأمْضَى بحــــــدّ المَشْرفىّ المهنّد

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق :

وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان ، مُسَيلِمة ابن حَبيب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العَنْسى بصَنعاء .

رؤيا الرسول فيهما

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنْبَره ، وهو يقول : أيُّها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أُنسيتها ، ورأيت فى ذراعىَّ سوارين من ذهب ، فكرِهتهما ، فنفختُهما فطارا ، فأوَّلْتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين

قال ابن إسحاق: وحدّثنى من لا أتهم عن أبى هُريرة أنه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدّعى النبوة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

الأمراء وأسماء العمال وما تولوه

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلامُ من البُلْدان ؛ فبعث المهاجرَ بن أبى أميَّة بن المغيرة إلى

صَنعاء ، فخرج عليه العَنْسىّ وهو بها ، وبعث زياد بن لَبيد ، أخا بنى بَيَاضَــة الأنصارى ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها ، وبعث عدى بن حاتم على طَيِّئ وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ؛ وبعث مالك بن نُويرة ـ قال ابن هشام : اليربوعى ـ على صدقات بنى حنظلة ، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيسَ بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمىّ على البحرين ، وبعث علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْران ، ليجمع صدقتَهم ويَقْدَم عليه بجِزْيَتِهِمْ .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مسيلمة بنُ حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ؛ سلام عليك ؛ أما بعد فإنى قد أُشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصفَ الأرض ، ولقُريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يَعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نُعيم ، قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرُّسُل لا تُقتل لضربت أعناقكما ، ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مُسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عَشْر .

حجة الوداع

تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة

قال ابن إسحاق :

فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القِعدة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دُجانة الساعدى ، ويقال : سِباع ابن عُرْفُطَة الغِفارى .

ما أمر به الرسول عائشة فى حيضها

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت :

لايذكر ولا يذكر الناس إلا الحَجّ[1] ، حتى إذا كان بسَرِف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهَدْى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلوا بعمرة ، إلا من ساق الهدى ؛ قالت : وحِضْت ذلك اليوم ، فدخل علىّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك ياعائشة ؟ لعلك نُفِسْت ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى هذا فى هذا السفر ؛ فقال : لا تقولن ذلك ، فإنك تَقْضِين كل مايقضى الحاج إلا أنك لا تطُوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كلّ من كان لاهدى معه ، وحل نساؤه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير ، فطُرِح فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى

(١) هذا الكلام موصول بقولها السابق : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة » .

إذا كانت ليلة الحَصْبة، بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبدالرحمن ابن أبى بكر، فأعمرنى من التَّنعيم، مكان عُمرتى التى فاتتنى.

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله ابن عمر عن حَفْصة بنة عمر، قالت:

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يُحللن بعُمرة، قُلْن: فما يمنعك يارسول الله إن تُحل معنا؟ فقال: إنى أهديتُ ولبَّدْت[1]، فلا أُحِلّ حتى أنحر هَدْيى.

موافاة علىّ فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج

ما أمر به الرسول عليا من أمور الحج

قال ابن إسحاق: وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً رضى الله عنه إلى نجران، فلقيه بمكّة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها، فوجدها قد حلّت وتهيّأت، فقال: مالك يا بنت رسول الله، قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نَحِلّ بعمرة فحللنا. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخَبر عن سَفره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، انطلق فطُف بالبيت، وحِلّ كما حَل أصحابك؟ قال: يا رسول الله، إنى أهللتُ كما أهللتَ؛ فقال: ارجع فاحلِلْ كما حلّ أصحابُك؛ قال: يا رسول الله، إنى قلت حين أحرمتُ: اللهم إنى أُهِلّ بما أَهَلّ به نبيُّك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال: فهل معك من هَدْى؟ قال: لا. فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما.

---

(1) لبدت: أى وضعت فى شعرى شيئا من صمغ عند الاحرام لئلا يشعث ويقمل، وإنما يلبد من يطول مكثه فى الاحرام. (عن النهاية لابن الأثير).

شكا عليا جنده إلى الرسول لانتزاعه عنهم حللا من بز اليمن

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة قال :

لما أقبل علىّ رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف على جُنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمَد ذلك الرجل فكسا كلَّ رجل من القوم حُلّة من البَزِّ الذى كان مع على رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلل ؛ قال : ويلك ! ماهذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ؛ قال : ويلك ! انزِع قبل أن تنتهَى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحُلل من الناس ، فردّها فى البزّ ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عَمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سَعيد الخُدْرِىّ ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال .

اشتكى الناس عليّا رضوانُ الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لا تشكوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق :

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجّه ، فأرى الناسَ مناسِكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجِّهم ، وخطب الناس خطبته التى بيّن فيها ما بيّن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرِى لعلى لا ألْقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ؛ أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقَوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلْقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدِّها

إلى من ائتمنه عليها ، وإن كلّ ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربَا عبّاس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دمُ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مُسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هُذَيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تَحقِرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسىء زيادة فى الكُفْر يُضَلُّ بهِ الَّذِين كفَرُوا يُحِلُّونهُ عامًا وَيُحَرِّمُونهُ عامًا ، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ اللهُ ، فيُحِلُّوا ما حرَّم اللهُ ، ويحرِّموا ما أحلَّ اللهُ ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق اللهُ السموٰاتِ والأرضَ ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متوالية، ورجب[1] مضر ، الذى بين جُمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكُمْ أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيِّنة ، فإن فعلن فإن اللهَ قد أذن لكم أن تهجروهن فى المَضاجع وتَضْربوهن ضربا غيرُ مُبَرِّح[2] ، فإن انتهين فلهن رزقُهن وكُسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عَوَانٍ[3] لايمْلكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجَهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قَوْلى ، فإنى قد بلّغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتابَ الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَّمُنّ أن كل مسلم أخ

---

(١) ورجب مضر : إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان ، وتسميه رجبا ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لارجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

(٢) غير مبرح : غير شديد .

(٣) عوان : جمع عانية ، وهى الأسيرة .

للمسلم ، وأن المُسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه عن طِيب نفس منه ، فلا تظلِمُن أنفسكم ؛ اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

اسم الصارخ بكلام الرسول وما كان يردده

قال ابن إسحاق: وحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بعرفة ، ربيعةَ بنَ أمية بن خلف . قال : يقول له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ؛ فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرونَ أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ؛ قال : فيقولون البلد الحرام ؛ قال ؛ فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ؛ قال : ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوا ربكم كحُرمة يومكم هذا .

رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول فى حجة الوداع

قال ابن إسحاق : حدّثنى ليثُ بن أبى سُليم عن شَهْر بن حوْشب الأشعرى عن عمرو بن خارجة قال :

بعثنى عَتَّاب بن أُسَيد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرَفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لُغامها[1] ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول:

(١) اللغام : الرغوة التى تخرج على فم البعير .

أيها الناس، إن الله قد أدّى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لاتجوز وصيّة لوارث، والولد للفراش ، وللعاهر الحَجَر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه أوتولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلا .

بعض تعليم الرسول فى الحج

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى نجيح :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة قال : هذا الموقف ، للجَبل الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح[1] صبيحة المزدلفة : هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بِمنًى قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجَّ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلَمهم مافرَض الله عليهم من حجّهم: من الموقف، ورَمْى الجمار، وطواف بالبيت، وما أُحلّ لهم من حجّهم، وما حُرّم عليهم، فكانت حِجةَ البلاغ ،وحجة الوداع ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله وسلم لم يحجّ بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق :

ثم قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرّم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثه مولاه ، وأمرَه أن يُوطئ الخَيل تخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب[2] مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

---

(١) قزح (بضم ففتح) جبل بالمزدلفة .
(٢) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من جمع .

خروج رسل رسول الله إلى الملوك

تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين حين اختلفوا على عيسى

قال ابن هشام :

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدّثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال :

بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرَج على أصحابه ذات يوم بعدعُمرته التى صُدّ عنها يوم الحُديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكافّة ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مَبْعثاً قريبا فَرَضى وسَلِم ، وأما من بعثه مَبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها .

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دِحْية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ، ملك الروم ؛ و بعث عبد الله بن حُذافة السَّهمى إلى كِسرى ، ملك فارس ؛ و بعث عمرو بن أُمية الضَّمْرى إلى النجاشى ، ملك الحبشة ؛ و بعث حاطَب ابن أبى بَلْتعة إلى المُقوقِس ، ملك الإسكندرية ؛ و بعث عمرو بن العاص السَّهمى إلى جَيفرٍ وعِياذ ابنى الجُلُندى الأزْديين ، ملكى عُمان ؛ وَبعث سَليط بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، إلى ثُمامة بن أُثال ، وهَوْذة بن على الحنفِيين ، ملكى اليمامة ؛ و بعث العَلاء بن الحَضْرمى إلى المُنذر بن ساوَى العَبْدى ، ملك البحرين ؛ و بعث شجاعَ بن وهب الأسدى إلى الحارث ابن أبى شِمْر الغسانى ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاعَ بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغسّانى ، وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث بن عبد كُلال الحميرى ، ملك اليمن.

قال ابن هشام : أنا نسبت سَلِيطا وثُمامة وهَوْذَة والمنذر.

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى :

أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد ابن شهاب الزهرى فعرفه ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم: إن الله بعثنى رحمةً وكافّة، فأدّوا عنى يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرَّب به فأحبّ وسلم ، وأما من بعد به فكرِه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجّه إليهم .

أسماء رسل عيسى

قال ابن إسحاق :

وكان مَنْ بَعَثَ عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم فى الأرض : بُطْرُسَ الحوارىّ ، ومعه بُولُس ، وكان بُولُسُ من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين إلى رُومية ؛ وأَنْدَرَائِس وَمَنْتا إلى الأرض التى يأكل أهلُها الناس ؛ وتُوماسَ إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ؛ وفِيلِبُسَ إلى قَرْطاجَنَّة، وهى إفريقية ؛ ويُحَنَّسَ ، إلى أَفْسوس ، قرية الفِتْية ، أصحاب الكهف؛ وَيعقُوبُسَ إلى أُورَاشَلِم، وهى إيلياء ، قرية بيت المقدس، وابن ثَلْمَاءَ[1] إلى الأعرابية ، وهى أرض الحجاز ؛ وسِيمُنَ إلى أرض البَرْبر ، ويَهُوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جُعل مكان يُودِسَ[2] .

---

(١) فى م ، ر : « ثلمالى » .

(٢) إلى هنا انتهى الجزء التاسع عشر من أجزاء السيرة .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبى :

وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة وَدَّانَ ، وهى غَزْوة الأبواء ، ثم غزوة بُواط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشَيْرة ، من بطن يَنْبُع ، ثم غزوه بدر الأولى ، يطلب كُرْزَ ابن جابر ، ثم غزوة بدر ، الكبرى التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سُلَيْم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزووة غَطَفَانَ ، وهى غزة ذى أَمِر ، ثم غزوة بَحْران ، معدِن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُدٍ ، ثم غزوة حَمْراءِ الأَسَد ، ثم غزوة بنى النَّضِير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخِرة ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظة ، ثم غزوة بنى لِحْيان ، من هُذَيْل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصْطَلِق من خُزَاعة ، ثم غزوة الحُدَيْبية ، لايريد قتالا ، فصدّه المشركون ، ثم غزوة خَيبر ، ثم عُمْرَةُ القضاء ، ثم غزوة الفَتْح ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تَبُوكَ . قاتل منها فى تسع غزَوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمُصْطَلِق ، وخَيْبَر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه ثمانيا وثلاثين، من بين بَعْثٍ وسَرِيَّة: غزوةُ عُبَيْدة بن الحارث أسفل من ثنية المَرَة[1]، ثم غزوة حَمْزة ابن عبد المطلب ساحل البحر، من ناحية العِيص؛ وبعض الناس يقدم غَزْوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدَة؛ وغزوةُ سعد بن أبي وقَّاصٍ الخَرّارَ، وغزوة عبد الله بن جَحْشٍ نَخْلَة، وغزوة زيد بن حارثة القَرْدة، وغزوة محمد بن مَسْلَمَة كَعْبَ بن الأشرف، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيّ الرَّجِيع، وغزوة المُنْذِر ابن عمرو بئرَ مَعُونة، وغزوة أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ ذا القَصَّة، من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخَطَّاب تُرْبَةَ من أرض بني عامر، وغزوة علي بن أبي طالب اليَمَنَ، وغزوة غالبِ بنِ عبد الله الكَلْبِيّ، كَلْبِ لَيْث، الكَدِيد، فأصاب بني المُلَوَّح.

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوح

شأن ابن البرصاء

وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس، حدثني عن مُسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الجُهَنِيّ، عن المنذر[2]، عن جُنْدَب بن مَكِيث الجُهَنِيّ، قال:

---

(1) في م، ر: «ثنية ذي المروة». وهو تحريف.
(2) في ا: «الجهني عن جندب».

بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الْكلبِيّ ، كَلْب بن عوف ابن لَيْث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يَشُنّ الغارةَ على بنى الْمُلَوَّح ، وهم بالكَدِيد، فخرجنا، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحارث بن مالك، وهوابن البَرْصاء الليثى ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يَضِيرك رِباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رِباطا ، ثم خَلَّفْنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له :إن عازَّك[1] فاحتزَّ رأســه .

بلاء ابن مكيث فى هذه الغزوة

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس ، فكنا فى ناحية الوادى ، و بعثنى أصحابى رَبيئة[2] لهم ، فخرجت حتى آتِىَ تَلاًّ مشرفا على الحاضر[3] ، فأسندت[4] فيه ، فعلوتُ على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إنى لمنبطح على التلّ، إذ خرج رجل منهم من خِبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التل سواداً ما رأيته فى أول يومى، فانظرى إلى أَوْعيتك هل تَفْقدين منها شيئا، لا تكون الكلاب جرَّت بعضها ؛ قال : فنظرتْ ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ؛ قال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولتْه ، قال : فأرسل سهما ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزِعُه ، فأضعه ، وثَبَتُّ مَكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه فى مَنْكِبى ، فأنزِعُه فأضعه ، وثَبَتُّ مكانى ، فقال ، لامرأته : لو كان ربيئة[5] لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سَهْمَاى ، لا أبالك ، إذا أصبحتِ فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يَمْضُغُهُما عَلَىَّ الكلاب . قال : ثم دخل .

نجاء المسلمين بالنعم

قال : وأَمْهَلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السحر، شَنَنَّا[6]

---

(١) عازك : غالبك .

(٢) الربيئة : الطليعة .

(٣) الحاضر : الجماعة النازلون على الماء .

(٤) أسندت : ارتقيت .

(٥) يروى : « زائلة » أى لو كان ممن يزول .

(٦) شننا عليهم الغارة : فرقنا عليهم الخيل المغيرة .

عليهم الغارةَ ، قال : فقتلنا ، واسْتقنا النَّعَم ، وخرج صَرِيخ[1] القوم ، فجاءنا دَهْم[2] لاقِبَل لنا به ، ومضينا بالنَّعَم ، ومَرَرْنا بابن البَرْصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا و بينهم إلا وادى قُدَيد ، فأرسل الله الوادىَ بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ، ولا مطر، فجاء بشىء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا ، و إنَّا لنسوقُ نَعَمَهُمْ ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز[3] إلينا ، ونحن نَحْدُوها[4] سِراعا ، حتى فُتْناهم ، فلم يقدِرُوا على طلبنا .

شعار المسلمين فى هذه الغزوة

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى رجل من أَسْلَم ، عن رجل منهم :

أن شِعار[5] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلةَ : أَمِتْ أمِت . فقال راجِزٌ من المسلمين وهو يَحْدُوها :

أبى أبو القاسم أَنْ تَعزَّبى[6] فى خَضِلٍ نباتُه مُغْلوِلبِ[7]
صُفْرٍ أعالِيهِ كَلَوْن المُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذّهب » .

تم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعُوث[8] .

تعريف بعدة غزوات

قال ابن إسحاق :

وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله بن سعد من أهل

---

(١) صريخ القوم : مستغيثهم .
(٢) الدهم : الجماعة الكثيرة .
(٣) فى ا : « يجوز » .
(٤) نحدوها : نسوقها .
(٥) الشعار : العلامة التى كان يعرف بها بعضهم بعضا فى الحرب .
(٦) كذا فى الأصول ، وتعزبت الإبل : غابت فى المرعى ولم ترجع . ويروى تعربى (بالراء المهملة) أى تردى (بالبناء للمجهول) يقال : عربت عليه القول : إذا رددته عليه .
(٧) الخضل . النبات الأخضر المبتل . والمغلولب الكثير الذى يغلب على الماشية حين ترعاه .
(٨) هذه العبارة ، من قوله « تم خبر » إلى قوله « والبعوث » : ساقطة من ا .

فَدَكَ ؛ وغزوة أبى العَوْجاء السُّلَمِيّ أرض بنى سُلَيم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عُكَّاشة بن مِحْصَن الغَمرة ؛ وغزوة أبى سَلَمَة بن عبد الأسد قَطَنا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قُتِل بها مسعود بن عُرْوة ؛ وغزوة محمد بن مَسْلَمَة ، أخى بنى حارثة ، القُرَطَاءَ من هَوَازن ؛ وغزوة بَشِير بن سَعْدٍ بنى مُرَّة بفَدَكَ ؛ وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجَمومَ من أرض بنى سُلَيْم ، وغَزوة زيد بن حارثة جُذَام ، من أرض خُشَيْن .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِسْمَى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

سببها

قال ابن إسحاق :

وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام ، كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُذَامىّ ، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دِحْيَةُ بن خَليفة الكَلْبىُّ من عند قَيْصَرَ صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنَار ، أغار على دِحْية بن خَليفة الهُنيدُ بن عُوص ، وابنه عُوْص بن الهُنيد الضُّلَعِيَّان . والضُّلَيعُ : بطن من جُذَام ، فأصابا كل شىء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضُّبَيْب ، رهطِ رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضُّبيب النُّعمان بن أبى جِعال ، حتى لقُوهم ، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضِّفارىّ ثم الضُّلَعِيّ ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ، ورمى

النُّعمان بن أبى جِعَالٍ بسهم ، فأصاب رُكْبته ؛ فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لُبْنَى، وكانت له أم تدعى لُبْنَى، وقد كان حسّان بن مِلَّة الضُّبَيْبِىّ قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أُمَّ الكِتاب .

قال ابن هشام : ويقال ، قُرَّةُ بن أَشْقَرَ الضَّفارىّ ، وحَيَّان بن مِلَّة .

تمكن المسلمين من الكفار

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذام ، قال :

فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه ، فردوه على دِحْية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنيد وابنه ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوةَ زيدٍ جُذَامَ ، و بعث معه جيشا ، وقد وَجَّهتْ غطفانُ من جُذَامَ ووائلٌ ومن كان من سَلاَمَانَ وسعد بن هُذَيْم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحَرَّة : حَرَّةَ الرَّجْلاء ، ورِفاعة بن زيد بكُراع رَبَّة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بنى الضُّبَيْب ، وسائر بنى الضُّبَيْب بوادى مِدَان ، من ناحية الحَرَّة ، مما[1] يسيل مُشَرِّقًا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقِص من قِبَلِ الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلين من بنى الأحنف .

قال ابن هشام : من بنى الأخْنف[2] .

شأن حسان وأنيف ابنى ملة

قال ابن إسحاق فى حديثه :

ورجلا من بنى الخَصيب . فلما سَمِعَتْ بذلك بنو الضُّبيب والجيش بفَيْفاء مِدَانٍ ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حَسَّان بن مَلَّة ، على فرس لسُويد ابن زيد ، يقال لها العَجَاجة ، وأُنيف بن مَلَّة على فَرَسٍ لِمَلَّة يقال لها : رِغَال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا

---

(١) فى م ، ر : « من ماء » .

(٢) فى م ، ر هنا : « الأخيف » . وفيما يأتى : « الأحنف » .

من الجيش ، قال أبو زيدُ وحسّان لأنيف بن مَلَّة : كُفَّ عَنّا وانصرِفْ ، فإنا نَخْشَى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يَبْعُدَا منه حتى جعلت فَرَسُه تبحث بيديها وتَوَثَّب ، فقال : لأنا أضَنُّ بالرجلين منكِ بالفرَسَيْن ، فأَرْخَى لهـا ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذ فَعَلْتَ مافعلتَ فـكُفَّ عنا لسانَك ، ولا تشأَمْنا اليومَ ، فتواصَـــوْا أن لايتكلم منهم إلا حَسَّان بن مِلّة ، وكانت بينهم كلِمَة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بُورِى أو ثُورِى ، فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم ، فقال لهم حسان : إنا قوم مُسْلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فَرَس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف: بُورِى ، فقال حسان مَهْلًا ، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حَسَّان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد ، فاقرءوا أُمّ الـكتاب ، فقرأها حَسَّان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجَيْش أن الله قد حَرَّم علينا ثُغْرَةَ[1] القوم التى جاءوا منها إلا من خَتَرَ[2] .

قال ابن إسحاق :

قدومهم على الرســول وشـعر أبى جعال

وإذا أخت حَسَّان بن ملّة ، وهى امرأة أبى وَبْر بن عَدِىّ بن أميَّة بن الضُّبَيْب فى الأُسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخَذَتْ بِحَقْوَيْهِ[3] فقالت أم الفِزْر الضُّلَعِية : أَتَنْطَلِقُونَ ببناتكم وتَذَرُونَ أُمَّهاتِكُمْ ؟ فقال أحد بنى الخَصيب : إنها بنو الضُّبَيْب وسِحْرُ أَلْسِنَتِهِمْ سائرَ اليوم ، فَسَمِعَهَا بعض الجيش ، فأخبر بها زيد ابن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، فَفُـكَّت يداها من حَقْويه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكُنَّ حُـكْمَه ، فرجعوا ، ونَهَى الجيشَ أن يَهْبِطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسَوا فى أَهْلِيهم ، واستعتَموا ذَودا[4] لسُويد

(١) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها .
(٢) ختر : نقض العهد .
(٣) بحقويه : بخصريه .
(٤) الذود : مابين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعتموا ذودا : انتظروه إلى عتمة من الليل .

ابن زيد ، فلما شربوا عَتَمَتَهم[1] ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ ، أبو زيد بن عمرو ، وأبو شمَّاس بن عمرو ، وسويد ابن زيد ، وبَعْجَةُ بن زيد ، وبَرْذَع بن زيد ؛ وثعلبة بن زيد[2] ، ومُخَرِّبة ابن عَدِىّ ، وأُنَيْفُ بن ملَّة ، وحسّان بن ملّة ، حتى صَبَّحُوا رِفاعة بن زيد بكُراعِ رَبَّة ، بظهرالحَرّة ، على بئرهنالك من حَرَّة لَيْلى ؛ فقال له حسان بن ملّة : إنك لجالس تحلُب المِعْزَى ونساء جُذَام أُسَارَى قد غرّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ، فجعل يشُدّ عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أَنْتَ حَيٌّ أَوْ تُنادِى حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضَفارة أخى الخَصِيبىّ المقتول ، مبكرين من ظهر الحَرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لاتُنيخوا إبلكم ، فَتَقَطَّعَ أيديهنّ ، فنزلوا عنهنّ وهن قيام ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألاح[3] إليهم بيده : أن تعالَوا من وراء الناس ، فلما استفتح رِفاعة بن زيد المَنْطِق ، قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قوم سَحَرَة ، فردَّدَها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يَحْذُنا[4] فى يومه هذا إلاَّ خيرا . ثم دفع رِفاعة بن زيد كتابَه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديمًا كتابُه ، حديثًا غَدْرُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، وأعلِنْ ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى؟ (ثلاث مرات[5]). فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلم ، لانحرِّم عليك حَلالا ، ولا نُحلِّل لك حَرَاما . فقال

---

(١) عتمتهم : لبنهم الذى انتظروه إلى ذلك الوقت .

(٢) فى م ، ر : « عمرو » .

(٣) ألاح : أشار .

(٤) كذا فى الأصول ، ولم يحذنا : لم يعطنا . وتروى : « لم يجدنا » : لم ينفعنا .

(٥) فى ا : « مرار » .

أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يارسول الله من كان حيًا، ومن قُتِلَ فهو تحت قَدَمِي هذه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق أبو زيد، اركب معهم يا على، فقال له على رضى الله عنه: إن زيدا لن يُطيعنى يا رسول الله، قال: فخذ سيفى هذا، فأعطاه سيفه، فقال علىّ: ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو، يقال له مِكْحال، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وَبْر، يقال لها الشَّمِر، فأنزلوه عنها، فقال: يا على، ما شأنى؟ فقال: مالهم، عرَفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقُوا الجَيْش بفَيفاء الفحلتين، فأخذوا ما فى أيديهم، حتى كانوا ينزعون لُبَيد المرأة من تحت الرحل، فقال أبو جِعال حين فرغوا من شأنهم:

وعاذلةٍ ولم تعــذُل بطِبٍّ ... ولولا نحنُ حُشَّ بها السَّـعيرُ[(١)]
تُدَافِع فى الأُسارَى بابنَتَيْها ... ولا يُرْجَى لها عِتْق يَســير
ولو وُكِلَتْ إلى عُوصٍ وأوسٍ ... لحارَ بها عن العِتْقِ الأُمُور[(٢)]
ولو شَهِدَتْ رَكَائِبَنَا بِمِصْرٍ ... تُحاذِرُ أن يُعَلَّ بها المَســير[(٣)]
وَرَدْنا ماءَ يَثْرِبَ عن حِفاظٍ ... لرَبْعٍ إنه قَرَبٌ ضَرِير[(٤)]
بكلِّ مُجَرَّبٍ كالسِّـيد نَهْدٍ ... على أقتاد ناجية صَــبُور[(٥)]
فِدًى لأبى سُلَيْمَى كُلُّ جَيْش ... بيَثْرِبَ إذ تناطحت النُّحُور[(٦)]
غداةَ تَرَى المُجَرَّب مستكِينا ... خــلافَ القومِ هامتُه تَدور

---

(١) بطب برفق. وحش: أوقد.
(٢) حار: رجع.
(٣) يعل: يكرر.
(٤) الحفظ: الغضب. والربع: أن ترد الإبل الماء لأربعة أيام. والقرب: السير فى طلب الماء. وضرير: مضر.
(٥) السيد: الذئب. والنهد: الغليظ. والأقتاد: أدوات الرحل. والناجية: السريعة. وصبور: صابرة. وتروى: «ضبور». والضبور: الموثقة الخلق.
(٦) النحور: الصدور.

قال ابن هشام : قوله : « ولا يُرْجَى لها عِتْقٌ يَسِيرُ » . وقوله : « عن العِتْقُ الأمورُ » عن غير ابن إسحاق .

تمت الغَزاة ، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبعوث .

قال ابن إسحاق :

وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرَفَ من ناحية نَخْل ، من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بني فزارة ومصاب أم قرفة

بعض من أصيب بها

وغزوةُ زيد بن حارثة أيضا وادى القُرى، لقِيَ به بنى فَزَارة، فَأُصِيبَ بها ناس من أصحابه ، وارْتُثَّ[1] زيد من بين القتلى ، وفيها أُصيب وَرد بن عَمْرو بن مَداش ، وكان أحدَ بنى سعد بن هُذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم .

قال ابن إسحاق :

معاودة زيد لهم

فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لايمس رأسَه غِسل من جَنابة حتى يغزوَ بنى فَزارة ؛ فلما استبلَّ من جِراحته بعثه رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القُرى ، وأصاب فيهم ، وقَتَل قيسُ بن المسحَّر اليَعْمَرى مَسْعدةَ بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وأُسِرَتْ أم قِرْفَة فاطمةُ بنت رَبيعة ابن بدر، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر، و بنت لها ، وعبد الله[2] ابن مسعدة ، فأمر زيدُ بن حارثة قيسَ بن المسحَّر أن يَقْتُل أم قِرْفة ، فقتلها قتلا عنيفا ؛ ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة ، و بابن مسعدة .

شأن أم قرفة

وكانت بنت أم قرفة لسَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

(١) ارتث : (بالبناء للمجهول) حمل من المعركة رثيثا ، أى جريحا وبه رمق .
(٢) فى م : « عبيد الله » .

وكانت فى بيت شَرَف من قومها ؛ كانت العرب تقول : (لو كنتَ أعز من أم قِرفة مازدت) . فسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَةُ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

شعر ابن المسحر فى قتل مسعدة

فقال قيس بن المسحَّر فى قتل مسعدة :

سَعَيْتُ بِوَرْدٍ مثلَ سَعْىِ ابنِ أُمِّهِ ... وَإِنِّى بِوَرْدٍ فى الحياةِ لَثَائِرُ[1]
كَرَرْتُ عَلَيْهِ المُهْرَ لَمَّا رأَيْتُهُ ... عَلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغَاوِرِ[2]
فركَّبْتُ فيهِ قَعْضَبِيًّا كَأَنَّهُ[3] ... شِهابٌ بِمَعْرَاةٍ[4] يُذَكَّى لِنَاظِرِ[5]

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خيبَرَ مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليُسير ابن رِزام .

قال ابن هشام : ويقال ابن رازم[6] .

مقتل اليسير

وكان من حديث اليُسير بن رِزام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَواحة فى نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أُنَيْس ، حليف بنى سَلِمة ، فلما قدِموا عليه كلّموه ، وقرَّبُوا له ، وقالوا له : إنك إن قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أُنَيْسٍ على بعيره ، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر ، على ستة أميال ،

---

(١) ثائر : آخذ بثأره . وفى هذا الشعر إقواء .
(٢) المغاور : الكثير الإغارة .
(٣) قعضبيا : سنانا منسوبا إلى قعضب ، رجل كان يصنع الأسنة .
(٤) كذا فى ر ، م . والمعراة : للموضع الذى لا يستره شىء . وفى ا : « بعزاء » .
(٥) ويذكى : يشعل .
(٦) وردت هذه العبارة فى ا بعد « ابن رزام » التى فى السطر التالى .

ندم اليُسير بن رِزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطَن له عبدالله ابن أُنَيْس ، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليُسير بمِخْرش[1] فى يده من شوحَط[2] ، فَأَمَّه[3] ، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه ؛ فلما قدم عبد الله بن أُنَيْس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل[4] على شَجَّتِه ، فلم تَقِحْ ولم تُؤْذِه .

غزوة ابن عتيك خيبر

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحُقَيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى

مقتل ابن نبيح

وغزوة عبد الله بن أُنَيْس خالد بن سفيان بن نُبَيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلةَ أو بعُرَنة ، يجمع لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر ، قال : قال عبد الله ابن أُنَيْس :

دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغنى أنّ ابن سفيان ابن نُبَيح الهُذَلِىَّ يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة أو بعُرَنة ، فأْته فاقتله . قلت : يارسول الله ، انْعَتْهُ لِى حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية مابينك و بينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْرِيرَة[5] .

---

(1) كذا فى ا . وفى م ، ر : « بمخراش » . والمخرش والمخراش : المحجن ، وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه .
(2) الشوحط : شجر من النبع .
(3) أمه : جرحه فى رأسه .
(4) تفل : بصق بصاقا خفيفا .
(5) قشعريرة : رعدة .

قال : فخرجت مُتوَشِّحاً سَيْفِي ، حتى دُفِعْت إليه وهو فى ظُعُنٍ(١) يرتادلهن منزلا(٢) ، وحيث كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ماقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشَعْرِيرَة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكونَ بينى و بينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصلّيت وأنا أمشى نحوه ، أُومئ برأسي ، فلما انتهيت إليه قال : مَنِ الرَّجُـــل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك و بجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أَجَلْ ، إنى لفى ذلك(٣) . قال فمَشَيْت معه شيئا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه مُنْكَبَّات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يارسول الله . قال : صدقت

إهـــداء الرسول عصا لابن أنيس

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عَصًا ، فقال : أَمْسِك هذه العصا عندك يا عبدَ الله بن أُنَيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتَسْأَلَهُ لِمَ ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله ، لم أعطيتنى هذه العَصَا ؟ قال : آيَةٌ بينى و بينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخصِّرُون(٤) يومئذ ، قال : فقرَنَها عبد الله بن أُنَيْس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمَّتْ فى كفنه ، ثم دُفِنا جميعا .

شعر ابن أنيس فى قتله ابن نبيح

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنيس فى ذلك :

تَرَكْتُ ابنَ ثورٍ كالحُوَارِ وَحَوْلَهُ ... نوائحُ تَفْرِى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ(٥)
تَنَاوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ ... بأبيضَ مِنْ ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ(٦)

---

(١) الظعن (كـكتب) : النساء فى الهودج . جمع ظعينة .
(٢) يرتاد لهن منزلا : يطلب لهن موضعا .
(٣) فى ا : « أنا فى ذلك » .
(٤) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، وهى العصى ، واحدتها مخصرة .
(٥) الحوار : ولد الناقة إذا كان صغيراً . وتفرى : تقطع .
(٦) الأبيض : السيف . والمهند : المنسوب إلى الهند .

عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهُ ... شِهابُ غَضًى من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ(١)
أَقُولُ له والسيفُ يَعْجُم رَأْسَهُ ... أَنَا ابْنُ أُنَيْسٍ فارسًا غيرَ قُعْدُدِ(٢)
أنا ابن الذى لم يُنْزِلِ الدهرَ قِدْرَه ... رحيبُ فناءِ الدارِ غيرُ مُزَنَّدِ(٣)
وقلتُ له خُذْها بضربة ماجدٍ ... حَنيفٍ على دينِ النبى محمدِ(٤)
وكنتُ إذا هَمَّ النبىُّ بكافرٍ ... سبقتُ إليه باللسانِ وباليد

تمت الغزاة وعُدنا إلى خبر البعوث(٥) .

غزوات أخر

قال ابن إسحاق :

وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عُمير الغِفارى ذاتَ أطلاح ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا. وغزوة عُيينة بن حِصْن بن حذيفةَ ابن بدرٍ بنى العَنْبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم

وعد الرسول عائشة باعطائها سبياً منهم لتعتقه

وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغارعليهم ، فأصاب منهم أُناسا ، وسَبَى منهم أُناسا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إن عَلَىَّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل . قال : هذا سَبْىُ بنى العَنبر يَقْدَم الآن ، فنعطيك منهم إنسانا فتعتُقينه .

---

(١) عجوم : عضوض . يقال : عجمه ، إذا عضه . والهام : الرءوس . والشهاب : القطعة من النار . والغضى : شجر يشتد التهاب النار فيه .
(٢) القعدد : اللئيم .
(٣) رحيب : متسع . والمزند : الضيق البخيل .
(٤) الماجد : الشريف : والحنيف (هنا) : الذى مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام.
(٥) هذه العبارة ساقطة فى ا .

بعض من سبي ومن قتل وشعر سلمى في ذلك

قال ابن إسحاق :

فلما قُدِمَ بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بني تميم ، حتى قدموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، منهم رَبيعة بن رُفيع ، وَسَبْرة بن عمرو ، والقَعقاع بن معبد ، ووَرْدَان بن مُحْرِز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِراس بن حابس ؛ فكلّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضا ، وأَفْدى بعضا ، وكان ممن قُتل يومئذ من بني العَنبر : عبدُ الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشدّاد ابن فِراس ، وحنظلةُ بن دارم ، وكان ممن سُبِيَ من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أَرِيّ ، ونَجْوة بنت نَهد ، وجُمَيْعة بنت قيس ، وعَمْرة بنت مَطَر . فقالت في ذلك اليوم سَلْمَى بنت عَتَّاب :

لَعَمْرِي لقد لاقت عديُّ بنُ جندَب ... من الشر مَهواةً شديدا كَئودها[1]
تَكنّفها الأعداء من كل جانبٍ ... وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودها[2]

شعر الفرزدق في ذلك

قال ابن هشام : وقال الفرزدق في ذلك :

وعندَ رسولِ اللهِ قام ابنُ حابسٍ ... بخُطَّةِ سَوَّارٍ إلَى المجْدِ حازمِ[3]
له أطْلَقَ الأَسْرَى الّتي في حِبَالِهِ ... مُغَلَّلَةً أعناقُها في الشَّكَائِمِ
كَفَى أمهاتِ الخالفينَ[4] عليهمُ ... غِلاءَ المُفادِي أو سِهامَ المَقاسِمِ

وهذه الأبياتُ في قصيدة له . وعديُّ بن جُنْدَب من بني العَنْبر ، والعنبر ابن عمرو بن تميم .

---

(١) المهواة : موضع منخفض بين جبلين . والكئود : عقبة صعبة .
(٢) الجدود : جمع جدّ (بالفتح) وهو السعد والبخت .
(٣) الخطة : الخصلة . والسوار : الذي يرتقي ويثب .
(٤) قال أبو ذر: «الخالفين : يريد الذين تخلفوا في أهلهم» . وفي ا ، م ، ر : «الخائفين» .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة

مقتل مرداس

قال ابن إسحاق :

وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ـ كَلب ليث ـ أرضَ بنى مرة ، فأصاب بها مرداسَ بن نَهِيك ، حليفاً لهم من الحُرقة ، من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرَقة ، فيما حدثنى أبو عُبيدة(١) .

قال ابن إسحاق :

وكان من حديثه عن أسامة بن زيد قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شَهرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله . قال : فلم نَنْزِع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرَه ؛ فقال : يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعوّذا بها من القتل . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها علىّ حتى لوددت أنّ ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله، إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

---

(١) كذا فى ا . وسياق هذه العبارة فى م ، ر مضطرب . فقد جاء فيهما : « من الحرقة قال ابن هشام : الحرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، فيما حدثنى أبو عبيدة » .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

إرسال عمرو ثم إمداده

وغزوة عمرو بن العاص ذاتَ السلاسل من أرض بنى عُذْرة . وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العربَ إلى الشام . وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأةً من بلىّ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يَسْتألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يقال له السَّلْسل ، وبذلك سمّيت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ، فلما كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدّه ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبيدة بن الجَرّاح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لاتختلفا ؛ فخرج أبو عُبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئتَ مددًا لى ؛ قال أبوعُبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبوعبيدة رجلا لينا سهلا، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ؛ فقال له أبو عبيدة : ياعمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى: لاتختلفا ، وإنك إن عصيتَنى أطعتُك ؛ قال : فإنى الأميرعليك ، وأنت مددٌ لى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

وصية أبى بكر رافع ابن أبى رافع

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدّث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأً نصرانيا ، وسميت سَرْجِس ، فكنت أدَلّ الناس وأهداهم بهذا الرّمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أُغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرملَ غلبتُ عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمرّ بذلك الماء الذى خَبأت فى بيضِ النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ؛ قال : فقلت : والله لأختارنّ لنفسى صاحبا ؛ قال : فصحبت أبا بكر ،

قال : فكنت معه فى رَحْله ، قال : وكانت عليه عباءة له فَدَكية[1] ، فكان إذا نزلنا بَسطها ، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكّها عليه[2] بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال : قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلّمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : آمرك أن توحّد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمّر على رجلين من المسلمين أبدا . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ؛ وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ؛ وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ؛ وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ؛ وأما الحج فإن أستطع أحجّ إن شاء الله تعالى ؛ وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ؛ وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لا يَشْرُفُون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلمَ تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجْهَدَ لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عُوّاذَ الله وجيرانه ، وفى ذمته ، فإياك لاتَخفِر الله[3] فى جيرانه ، فيتبعَك الله فى خُفرته ، فإن أحدكم يُخْفَر فى جاره ؛ فيظل ناتئا عضله[4] ، غَضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ؛ فالله أشد غضبا لجاره . قال : ففارقته على ذلك .

---

(١) العباءة : الكساء الغليظ ، ويقال فيها عباية بالياء . والفدكية : المنسوبة إلى فدك ، وهى بلدة بخيبر .

(٢) شكها عليه : أنفذها بالخلال الذى كان يخللها به .

(٣) لاتخفر الله : لاتنقض عهده .

(٤) الناتئ : المرتفع المتنفخ . والعضل : جمع عضلة ، وهى القطعة من اللحم الشديدة .

قال: فلما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُمِّرَ أبو بكر على الناس، قال: قدمت عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك؛ قال: فقلت له: فما حملك على أن تَلِي أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدًّا، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفُرقة.

تقسيم عوف الأشجعى الجزور بين قوم

قال ابن إسحاق: أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حُدِّث عن عوف ابن مالك الأشجعى، قال:

كنت فى الغَزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السّلاسل، قال: فصَحِبت أبا بكر وعمر، فمررتُ بقوم على جَزُور لهم قد نحروها، وهم لا يقدرون على أن يُعَضُّوها[1]، قال: وكنت امْرَأً لَبِقا[2] جازرا، قال: فقلت: أتعطوننى منها عَشيرا[3] على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشَّفرتين، فجزّأتها مكانى، وأخذت منها جزءا، فحملته إلى أصحابى، فاطّبخناه فأكلناه. فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما: أنَّى لك هذا اللحم ياعوف؟ قال: فأخبرتهما خبره؛ فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيّآن ما فى بطونهما من ذلك؛ قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجئته وهو يصلّى فى بيته؛ قال: فقلت: السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته؛ قال: أعوفُ بن مالك؟ قال: قلت: نعم، بأبى أنت وأمى؛ قال: أصاحب الجَزور؟ ولم يَزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئا[4].

---

(١) يعضوها: يقسموها.

(٢) اللبق: الحاذق الرفيق فى العمل.

(٣) العشير: النصيب، لأن الجزور كانت تقسم على عشرة أجزاء، فكل جزء منها عشير. (عن أبى ذر).

(٤) زادت ا: «ولم يزدنى على السلام».

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم ، وقتل عامر ابن الأضبط الأشجعى

وغزوة ابن أبى حدرد وأصحابه بطن إضم ، وكانت قبل الفتح

مقتل ابن الأضبط وما نزل فيه

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن القَعْقَاع بن عبد الله ابن أبى حَدْرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال :

بَعَثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى إِضَم فى نفر من المسلمين، فيهم أبو قَتَادة الحارث بن رِبْعِىّ ، ومحلِّم بن جَثَّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعى، على قَعود[1] له، ومعه مُتَيِّع[2] له، ووَطْب[3] من لبن . قال : فلما مرّ بنا سلّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جَثَّامة، فقتله لشىء كان بينه و بينه، وأخذ بعيرَه، وأخذ مُتَيِّعَه. قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر، نزل فينا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ولاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا) إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : (وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً) لهذا الحديث .

ابن حابس وابن حصن يختصمان فى دم ابن الأضبط إلى الرسول

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن ضُمَيْرة[4] بن سعد السُّلمىّ يحدّث عن عروة بن الزبير عن أبيه عن جده ، وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

---

(١) القعود : البعير يقتعده الراعى فى كل حاجة .

(٢) المتيع : تصغير متاع .

(٣) الوطب : وعاء اللبن .

(٤) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا فى الأصل بالميم ، ويروى أيضا : « ضبيرة » بالباء . والصواب : « ضميرة » بالميم . وكذلك ذكره البخارى» .

صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة، فجلس تحتها ، وهو بحُنين ؛ فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيينة بن حِصْن بن حُذيفة ابن بدر ، يختصمان في عامر بن الأضبط الأشجعي : عُيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غَطَفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلِّم بن جَثّامة ، لمكانه من خِنْدف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيينة بن حِصْن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرْقة[1] مثل ما أذاق نسائي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه، إذ قام رجلٌ من بني ليث ، يقال له : مُكَيْتِر ، قصير مَجْموع ــ قال ابن هشام : مُكيتل ــ فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها في غُرَّة الإسلام[2] إلا كغَنَم وردت فرُميت أولاها ، فنفرت أُخراها ، اسْنُن[3] اليوم ، وغَيِّر[4] غدا. قال : فرفع رسولُ الله صَلى الله عليه وسلم يَده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقام رجل آدم ضَرْب[5] طويل ، عليه حُلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ، حتى جلس بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلِّم ابن جَثّامة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلِّم بن جثامة ، ثلاثا . قال : فقام وهو يتلقى دَمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ،

---

(١) في ا : « من الحر » .

(٢) غرة الإسلام : أوله .

(٣) اسنن اليوم : احكم لنا اليوم بالدم في أمرنا هذا ، واحكم غدا بالدية لمن شئت .

(٤) وغير : من الغيرة ، وهي الدية (هنا) وذلك أن قتله عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خطأ لا عمدا . ويروى : «غبر» بالباء الموحدة ، أي أبق حكومة الدية إلى وقت آخر . (عن أبي ذر) .

(٥) ضرب : خفيف اللحم .

وأما ماظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

موت محلم وما حدث له

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أَمَّنْتَه بالله ثم قتلتَه ! ثم قال له المقالة التى قال ؛ قال . فوالله مامكث محلم بن جَثَّامة إلاسبعا حتى مات ، فلفظته[1] ، والذى نفس الحسن بيده ، الأرضُ ، ثم عادوا له ، فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته ، فلما غُلِب قومُه عمدوا إلى صُدَّين[2] ، فسطَحوه بينهما، ثم رَضَمُوا[3] عليه الحجارة حتى وارَوْه . قال : فبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم شأنُه ، فقال : والله إن الأرض لتطَّابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يَعِظكم فى حُرْم مابينكم بما أراكم منه .

دية ابن الأضبط

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضْر أنه حُدِّث :

أن عُيينة بن حِصْن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يامعشر قيس ، مَنَعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قَتيلا يَسْتصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعَنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلعَنَكم الله بلعنته ، أو أن يغضَب عليكم فيغضَبَ الله عليكم بغَضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتُسْلِمُنَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلَيَصْنَعَنَّ فيه ما أراد ، أو لآتينَّ بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلُّهم: لَقُتِل صاحبكم كافرا ، ماصلّى قط . فلأُطُلَّنَّ[4] دمه . فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محلِّم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم ابن جَثَّامة بن قيس الليثى .

وقال ابن إسحاق : ملجَّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

---

(١) لفظته الأرض : ألقته على وجهها .

(٢) الصد (بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال) : الجبل .

(٣) رضموا عليه الحجارة : جعلوا بعضها فوق بعض .

(٤) فلأطلن دمه : بلا يؤخذ بثأره .

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمي

سببها

قال ابن إسحاق :

وغزوة ابن أبي حدرد الأسلمىّ الغابَة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم ، عن ابن حدرد ، قال : تزوجتُ امرأةً من قومى ، وأصدقتها مئتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نِكاحي ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مئتى درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم ، والله ماعندى ماأُعينك به . قال : فلبثتُ أياما ، وأقبل رجل من بنى جُشَم بن معاوية ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن[1] عظيم من بنى جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشَمَ وشرف . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفا عجفاء[2] ، فحُمل عليها أحدُنا ، فوالله ماقامت به ضعفاً حتى دَعَمها[3] الرجالُ من خلفها بأيديهم ، حتى استقلّت[4] وما كادت ، ثم قال : تبلغوا عليها واعْتقِبُوها[5] .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حدرد من فىء استعان به على الرواج

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عُشَيْشِيَةً[6] مع غروب الشمس . قال : كَمَنْتُ فى ناحية ، وأمرت صاحبَىّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتمانى

---

(١) البطن : أصغر من القبيلة .

(٢) الشارف : الناقة المسنة . والعجفاء المهزولة .

(٣) دعمها الرجال : قووها بأيديهم .

(٤) استقلت : نهضت .

(٥) اعتقبوها : اركبوها معاقبة ، أى واحداً بعد الآخر .

(٦) عشيشية : تصغير عشية على غير قياس .

قد كبّرت وشددتُ في ناحية العسكر فكبّرا وشدّا معي . قال : فوالله إنّا لكذلك ننتظر غِرّةَ[1] القوم ، أو أن نُصيب منهم شيئا . قال : وقد غشينا الليل حتى ذهبت فَحْمةُ[2] العِشاء ، وقد كان لهم راع قد سرّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعةُ بن قيس ، فأخذ سَيفه ، فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لأَتّبعنّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ؛ فقال له نفر ممن معه : والله لا تذهبْ ، نحن نَكْفيك ؛ قال : والله لا يذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لا يتبعني أحد منكم . قال : وخرج حتى يمرّ بي . قال : فلما أمكنني نفحته[3] بسهمي ، فوضعته في فؤاده . قال : فوالله ما تكلّم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت في ناحية العسكر ، وكبّرت ، وشدّ صاحباي وكبّرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك، عندك[4] ، بكل ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خفّ معهم من أموالهم . قال : واستقْنا إبلاً عظيمة ، وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه أحمله معي . قال : فأعانني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صَداقي ، فجمعتُ إليّ أهلي .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شيء من وعظ الرسول لقومه

قال ابن إسحاق :

وحدثني من لا أتّهم عن عَطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل

---

(١) الغرة : الغفلة .

(٢) فحمة العشاء : أول ظلام الليل .

(٣) نفحته بسهمي : رميته به .

(٤) عندك عندك : كلمتان بمعنى الإغراء .

البَصرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العِمامة من خلف الرجل إذا اعتمّ ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعاذ بن جبل ، وحُذيفة ابن اليمان ، وأبو سعيد الخُدْرى ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتًى من الأنصار ، فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يارسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ؛ قال : فأى المؤمنين أكْيس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم استعدادا له ، قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ؛ ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يامعشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزلن بكم ، وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قطُّ حتى يُعْلِنوا بها[1] إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مَضَوا ؛ ولم يَنقُصُوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنينَ[2] وشدة المُؤْنة وجَوْر السلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء ، فلولا البهائم ما مُطِروا ؛ وما نقضوا عهدَ الله وعهدَ رسولِه إلا سُلِّط عليهم عدوّ من غيرهم ، فأخذ بعضَ ما كان فى أيديهم ؛ وما لم يَحْكُم أئمتهم بكتاب الله وتجبّروا[3] فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسَهم بينهم » .

تأمير ابن عوف واعتمامه

ثم أمَرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس[4] سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عمّمه بها ، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحوا من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتمّ ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء

---

(١) يعلنوا بها : يجاهروا بها .

(٢) بالسنين : الجدب .

(٣) كذا فى م ، ر . وتجبروا : تعاظموا عن أن يحكموا بما أنزل الله . وفى ا : «وتخيروا» .

(٤) الكرابيس : جمع كرباس ، وهو القطن .

فدفعه إليه ، فحمِد الله تعالى، وصلّى على نفسه ، ثم قال: خذه يابن عوف ، اغزُوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتِلوا من كفر بالله ، لا تَغُلُّوا(١) ، ولاتغدِروا ، ولا تُمثِّلوا، ولا تَقْتلوا وَليدا . فهذا عهدُ الله وسيرة نبّيه فيكم . فأخذ عبدالرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومة الجندل .

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نفاد والطعام وخبر دابة البحر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه عن جدّه عُبادة بن الصامت ، قال :

بعث رسولُ الله صَلى الله عليه وسلم سَرِيَّة إلى سِيف البحر(٢) ، عليهم أبو عُبيدة بن الجرّاح ، وزوّدهم جرابًا من تمر، فجعل يقُوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عددا . قال : ثم نَفِد التمر، حتى كان يعطى كلّ رجل منهم كل يوم تمرة . قال : فقسَمها يوما بيننا . قال : فنقصت تمرةٌ عن رجل ، فوجدنا فقدَها ذلك اليوم. قال : فلما جَهَدنا الجُوع أخرج الله لنا دابةً من البحر، فأصَبْنا من لحمها ووَدَكها(٣) ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ،حتى سِمنّا وابتللنا(٤)، وأخذ أميرنا ضِلَعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسَه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صَنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رَزَقَكُمُوهُ الله .

---

(١) لاتغلوا : لاتخونوا فى المغانم .

(٢) سيف البحر : جانبه وساحله .

(٣) الودك : الشحم .

(٤) ابتللنا : أفقنا من ألم الجوع الذى كان بنا ، من قولك : بل فلان من مرضه ، وأبل ، واستبل، إذا أخذ فى الراحة .

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه

قال ابن هشام :

ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه[1] بعثُ عمرو بن أمية الضَّمْرى ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدّثنى من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خُبَيْب بن عدىّ وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبّار بن صخر الأنصارىّ ، فخرجا حتى قدما مكة ، وحَبسا جمليهما بِشِعْب[2] من شِعاب يَأْجَج[3] ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جَبَّار لعمرو : لو أنا طُفنا بالبيت وصلّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشَّوا جلسوا بأفنيتهم ؛ فقال: كلا ، إن شاء الله ؛ فقال عمرو : فطُفنا بالبيت ، وصلّينا، ثم خرجنا نُريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل من أهل مكة فعَرفنى ، فقال : عمرو بن أمية : والله إنْ قَدِمها إلا لشرّ ؛ فقلت لصاحبى : النَّجاء ، فخرجنا نشتدّ ، حتى أصعدنا فى جبل، وخرجوا فى طَلبنا ، حتى إذا عَلَوْنا الجبل يَئِسوا منا ، فرجعنا ، فدَخلنا كَهْفا فى الجبل ، فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرَضمناها[4] دوننا ، فلما أصبحنا غَدا رجل من قريش يقود فرسا له ، ويُخلِي عليها[5] ، فغَشِينَا ونحن فى الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأُخِذْنا فقُتلنا.

(١) ذكر السهيلى هنا حديثاً يخطىء فيه ابن هشام فيما ادعاه على ابن اسحاق من إغفاله بعض البعوث ، قال : « هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق ، عن جعفر بن عمرو بن أمية ابن عمرو بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء ، عن ابن اسحاق» (انظر الروض الأنف ج ٢ ص ٢٦٣) .

(٢) الشعب (بتشديد الشين المكسورة) : الطريق الخفى بين جبلين .

(٣) يأجج: اسم موضع بمكة، ذكره القاموس فى أجج ويجج، وضبطه كيسمع وينصر ويضرب.

(٤) رضمناها دوننا : جعلنا بعض الحجارة فوق بعض لتكون حاجزا بيننا وبين من يطلبنا .

(٥) يخلى عليها : يجمع لها الخلى ، وهو الربيع ، ويسمى خلى ، لأنه يختلى ، أى يقطع .

قتله أبا سفيان وهربه

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأَخْرج إليه ، فأضرب به على ثَدْيه ضربة ، وصاحَ صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجِـعُ فأدخلُ مكانى ، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رمَق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فمـات مكانه ، ولم يدلُل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لمـا أمسينا : النَّجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نُريد المدينة ، فمررنا بالحَرس وهم يحرسون جِيفة خُبَيب بن عدىّ ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بِمِشْية عمرو ابن أمية ، لولا أنّه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ؛ قال : فلما حاذى الخَشبة شدّ عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدًّا ، وخرجوا وراءه ،حتى أتى جُرْفا بمَهْبِط مَسِيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجُرْف ، فغَيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النجاءَ النجاءَ ، حتى تأْتىَ بعيرَكَ فتقعدَ عليه ، فإنى سأشْغَل[1] عنك القومَ ، وكان الأنصارىّ لارُجْلة له[2] .

قتله بكريا فى غار

قال : ومضيتُ حتي أخرج على ضَجْنان[3] ، ثم أَوَيْت إلى جَبل ، فأدخل كهفا ، فبينا أنا فيه إذ دخل علىّ شيخ من بنى الدِّيل أعور ، فى غُنَيمة له ؛ فقال مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بَكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر، فقلت : مَرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولستُ بمُسلِم ما دمتُ حيّا ولا دانٍ لدين المُسْلِمينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذتُ قوسى ، فجعلت سِيَتها[4] فى عينِه الصَّحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النَّجاء ، حتى جئت العَرْج[5] ، ثم سلكت رَكُوبَة[6] ، حتى إذا هبطت النَّقِيع[7] إذا

(١) فى ا : « شاغل » .
(٢) لارجلة له : ليس له قوة بالمشى على رجليه ؛ يقال . فلان ذو رجله ، إذا كان يقوى على المشى .
(٣) ضجنان (كسكران) : اسم جبل قرب مكة .
(٤) سية القوس : طرفها .
(٥) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالحجاز . (انظر القاموس) .
(٦) ركوبة ، قال فى القاموس : ثنية بين الحرمين .
(٧) النقيع : موضع ببلاد مزينة عن ليلتين من المدينة .

رَجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عَيْنًا إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان ، فقلت استأْسِرا ، فأبيا ، فأرمِي أحدهما بسهم فأقتلُه ، واستأْسَرَ الآخرُ ، فأوثقه رِباطا ، وقَدِمت به المدينَة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

بعثه هو وضميرة وقصة السبي

قال ابن هشام[١] :

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن[٢] حسن ، عن أمه فاطمة بنْة الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضُمَيرة مولى على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبْيا من أهل مِيناء ، وهي السواحل ، وفيها جُمّاع[٣] من الناس ، فبيعوا ، ففُرِّق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال : مالهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فُرِّق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك

سبب نفاق أبي عفك

قال ابن إسحاق :

وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبي[٤] عَفَك ، أحد بني عمرو بن عوف ثم من

---

(١) هذه العبارة ساقطة في ا .

(٢) في ا : « عبد الله بن حسين بن حسن » وهو تحريف .

(٣) الجماع : من الأضداد ، يكون تارة المجتمعين ، وتارة المفترقين ، وأراد به هنا جماعات من الناس مختلطين .

(٤) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « غزوة سالم بن عمير أبا عفك » .

بنى عُبيدة ، وكان قد نجم[1] نفاقُه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارثَ بن سُوَيد بن صامت ، فقال :

لقد عِشْتُ دهرا وما إن أرى ... من النـــاس داراً ولا مجْمَعا
أبرَّ عهـــــوداً وأوفى لِمن ... يُعاقـــد فيهم إذا ما دَعا
منَ أولاد قَيْلة فى جَمْعهم ... يَهُدُّ الجبال ولم يَخْضَـــعا[2]
فصـــدّعهم راكبٌ جاءهم ... حلال حرام لِشَـــتّى معا[3]
فلو أنّ بالعِزّ صَـــدّقْتمُ ... أوِ المُلْك تابعتمُ تُبَّـــعَا[4]

قتل ابن عمير له وشعر المزيرية

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عُمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ؟ فقالت أمامةُ المُزَيرية فى ذلك :

تُكذِّب دين الله والمرءَ أحمدَا ... لعمرُ الذى أمْناك أن بِئْس ما يُمنى[5]
حَباك حَنيف آخرَ الليل طَعنةً ... أبا عَفَكٍ خُذها على كِبَرِ السّن[6]

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان

نفاقها وشعرها فى ذلك

وغزوة عُمير بن عدى الخَطْمىّ عصماءَ بنتَ مروان ، وهى من بنى أمية ابن زيد ، فلما قُتل أبو عفك نافقت ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفُضَيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن زيد ، فقالت تعيب الإسلام وأهلَه :

---

(١) نجم : ظهر .
(٢) قيلة : اسم امرأة تنسب إليها الأوس والخزرج أنصار النبي . ولم يخضعا : أراد يخضعن بالنون الخفيفة ، فلما وقف عليها أبدل منها ألفا .
(٣) صدعهم : فرقهم .
(٤) تبع : أحد ملوك اليمن .
(٥) أمناك : أنساك .
(٦) حنيف : مسلم .

باسْتِ بنى مالكٍ والنَّبِيت ... وعوفٍ وباسْتِ بنى الخَزْرجِ
أطعتم أتاوِىَّ من غيركم ... فلا من مُراد ولا مَذحِجِ[1]
تُرَجُّونه بعد قتل الرُّءوس ... كما يُرْتجى مَرَق المُنضَجِ[2]
ألا أنِفٌ يَبْتغى غِرّةً ... فيقطعَ من أمل المُرْتجِى[3]

شعر حسان في الرد عليها

قال: فأجابها حسان بن ثابت، فقال:

بنو وائلٍ وبنو واقفٍ ... وخَطْمةُ دون بنى الخَزْرجِ
متى ما دعتْ سَفَهاً وَيْحَها ... بعَوْلَتِها والمَنايا تجى[4]
فهزّت فتًى ماجدا عرقُه ... كريم المَداخل والمَخْرجِ
فضَرَّجها من نجيع الدِّما ... ءِ بعد الهدوّ فلم يَحْرَجِ[5]

خروج الخطمى لقتلها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك، ألا آخِذٌ[6] لى من ابنة مروان؟ فسمِعَ ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمَيرُ بن عدىّ الخَطْمىّ، وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرَى عليها فى بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنى قد قتلتها. فقال نصرتَ الله ورسوله يا عُمير؛ فقال: هل علىّ شىء من شأنها يا رسول الله؟ فقال لا يَنْتطح فيها عَنْزان[7].

شأن بنى خطمه

فرجع عُمَيْر إلى قومه، وبنو خَطْمة يومئذ كثيرٌ موْجهم[8] فى شأن بنت مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عُمَيْر بن عدىّ من

---

(١) الأتاوى: الغريب. ومراد ومذحج: قبيلتان من اليمن.
(٢) الرءوس: أشراف القوم.
(٣) الأنف: الذى يترفع عن الشىء. والغرة: الغفلة.
(٤) العولة: ارتفاع الصوت بالبكاء. وتجى: مسهل من تجىء.
(٥) ضرجها: لطخها بالدم. والنجيع: الشديد الحمرة. والهدو: أى بعد ساعة من الليل. ولم يحرج: لم يأثم.
(٦) فى ا: «أحد».
(٧) لاينتطح فيها عنزان: أى أن شأنها هين، لايكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف.
(٨) موجهم: اختلاط كلامهم.

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا بنى خَطْمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعاً ثم لا تُنْظِرون . فذلك اليومُ أولُ ما عزّ الإسلام فى دار بنِى خَطْمة ، وكان يستخفى بإسلامه فيهم من أســلم ، وكان أولَ من أسلم من بنى خطمة عُمير بن عدى ، وهو الذى يُدعى القارئ ، وعبد الله بن أوس ، وخُزيمة ابن ثابت ، وأسلم ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أسر ثمـامة بن أثال الحنفى وإسلامه

والسرية التى أسرت ثمـامة بن أثال الحنفى

إســلامه

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرى عن أبى هُريرة أنه قال :

خرجت خيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، فأخذتْ رجلا من بنى حَنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؛ هذا ثمـامة بن أثال الحَنَفِىّ ، أحسنوا إساره . ورجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلِقْحَته[1] أن يُغْدَى عليه بها و يُرَاح ، فجعل لا يقع من ثمـامة موقعا ، و يأتيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أسلم يا ثمـامة ، فيقول : إيهاً[2] يا محمد ، إن تقتل تقتل ذادم ، و إن تُرِدِ الفداء فسل ما شئت ، فمـكث ما شاء الله أن يمكث ؛ ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما : أطلقوا ثمـامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البَقِيع ، فتطهّر فأحسن طُهُوره ، ثم أقبل فبايع النبىّ صلى الله

---

(١) اللقحة : واحدة اللقاح من الإبل ، وهى الناقة التى لهـا لبن .

(٢) إيها : حسبك .

عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه به من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللقحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيرا ، فعجب المسلمون من ذلك ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه ذلك : مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أولَ النهار فى مِعَى كافرٍ وأكل آخر النهار فى مِعَى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى مِعًى واحد .

خروجه إلى مكة وقصته مع قريش

قال ابن هشام :

فبلغنى أنه خرج مُعتمِرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لَبّى ، فكان أول من دخل مكة يُلَبّى ، فأخذته قريش ، فقالوا: لقد اجترأت علينا ، فلما قدّموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه ، فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطَعامكم ، فخلّوه ، فقال الحنفى فى ذلك :

ومنا الذى لبّى بمكة مُعلِناً برَغْم أبى سفيان فى الأشهر الحُرُمْ

وحُدثْت أنه قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغَض الوجُوه إلى ، ولقد أصبَح وهو أحبُّ الوجوه إلىّ . وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة قالوا : أصَبَوْت يا ثُمَامُ ؟ فقال لا ، ولكنّى اتّبعت خير الدين ، دينَ محمد ، ولاوالله لاتصل إليكم حبة من اليمامة حتي يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحمِلوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامَنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع[1] ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلّى بينهم وبين الحَمْل .

---

(١) العبارة : « وقد قتلت الأباء بالسيف ، والأبناء بالجوع » ساقطة من ا

سرية علقمة بن مجزز

سبب إرسال علقمة

وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلقمة بن مُجزِّز .

لما قُتل وقَّاص بن مجزّز المُدْلِجِيّ يوم ذي قَرَد ، سأل عَلْقمةُ بن مُجزِّز رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم ، ليدركَ ثأره فيهم .

دعابة ابن حذافة مع جيشه

فذكر عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن عَلقَمة ، عن عمر بن الحكم ابن ثَوْبان ، عن أبي سعيد الخُدرى ، قال :

بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلْقمة بن مُجزز - قال أبو سعيد الخُدرى: وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا أو كنّا ببعض الطريق ، أذِن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبدَ الله بن حُذافة السَّهمى ، وكان من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دُعابة[1] ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارًا ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز[2] ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قَدِموا[3] عليه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمَعْصية منهم فلا تُطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن عَلقَمة بن مُجَزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا .

---

(١) الدعابة : المزاح .
(٢) يحتجز : يشد ثوبه على خصره بمنزلة الحزام .
(٣) فى ا : « قدمنا » .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا

حدثنى بعضُ أهل العــلم ، عمّن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان ابن عبد الرحمن ، قال :

شأن يسار

أصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى غزوة محارب و بنى ثعلبة ، عبداً يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لِقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء[1] ،فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كُبّة[2] من بجيله ، فاستوبئوا[3] ،وطَحِلوا[4] ،فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لوخرجتم إلى اللِّقاح فشرِبتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم

فلما صحّوا وانطوت بطونهم[5] ،عَدَوا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسار ، فذبحوه وغرزوا الشوكَ فى عينيه ، واستاقوا اللِّقاح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُرْز بن جابر ، فلَحِقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرجِعه من غزوة ذى قَرَد ، فقطع أيديَهم وأرجلَهم ، وسَمَل أعينهم[6] .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن

وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه اليمن ، غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب إلى اليمن ، و بعث

---

(١) كذا فى ا . والجماء : موضع . وفى سائر الأصول : « الحمى » .

(٢) كبة : قبيلة من بجيلة .

(٣) فاستوبئوا : من الوباء ، وهو كثرة الأمراض وعمومها .

(٤) طحلوا : أصابهم وجع الطحال وعظمه .

(٥) انطوت بطونهم : صارت فيها طرائق الشحم وعكنه .

(٦) سمل أعينهم : فقأها .

خالد بن الوليد فى جُند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير علىّ بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعْث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا ، فينبغى أن تكون العِدَّة فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعوث

قال ابن إسحاق :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يُوطِئ الخيل تُخوم البَلْقاء والداروم ، من أرض فِلَسطين ، فتجهّز الناسُ، وأوعَب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بدء الشكوى

قال ابن إسحاق :

فبينا الناس على ذلك ابتُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقِين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتُدِئ به من ذلك ، فيما ذُكر لى ، أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدِئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن عمر عن عُبيد بن جُبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهِبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : ياأبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلِقْ معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : السلام عليكم ياأهل المقابر ، ليهنِئْ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلتِ الفتن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرُها أولَها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل علىَّ ، فقال : يا أبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، فخيِرت بين ذلك و بين لقاء ربى والجنة . قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا مويهِبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبــدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عُتبة ، عن محمد بن مُسلم الزهرى، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، قالت :

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صُداعا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وارأساه ، فقال : بل أنا والله ياعائشة وارأساه . قالت : ثم قال: وما ضرّكِ لومُتِّ قبلى ، فقمتُ عليك وكفنتك ، وصلّيت عليك ودفنتك ؟ قالت: قلت: والله لكأنى بك، لوقد فعلتَ ذلك، لقد رجعتَ إلى بيتى، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم، وتتامّ به وجعُه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعزّ به[1] ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهن فى أن يُمرّض فى بيتى ، فأَذِنَّ له .

---

(١) استعزبه : اشتد عليه وجعه وغلبه على نفسه .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

أسماؤهن

قال ابن هشام:

وكن تسعًا: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حَبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سَلَمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وسودة بنت زَمْعَة ابن قيس، وزينب بنت جَحْش بن رِئاب، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن، وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حُيَيّ بن أخطب، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم.

زواجه بخديجة

وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عَشْرَة: خديجة بنت خُوَيْلِد، وهي أول من تزوج، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد، ويقال أخوها عمرو بن خويلد، وأصدَقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرة، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك، أحد بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة، وكانت قبل أبي هالة عند عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله وجارية.

قال ابن هشام: جارية من الجواري، تزوّجها صَيْفيّ بن أبي رفاعة[1].

زواجه بعائشة

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها، زوّجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم.

زواجه بسودة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي،

(١) العبارة من قوله: «قال ابن هشام» إلى آخرها: ساقطة في ا.

زوجه إياها سَليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم .

قال ابن هشام :

ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سَلِيطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل .

زواجه بزينب بنت جحش

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية ، زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) .

زواجه بأم سلمة

وتزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فِراشا حشوه لِيف ، وقدحا ، وصَحْفة ، و مِجَشّة[1] ؛ وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

زواجه بحفصة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذافة السَّهمى .

زواجه بأم حبيبة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حَبيبة ، واسمها رَملة بنت أبى سفيان

---

(١) المجشة : الرحى ؛ يقال : جششت الطعام فى الرحى ، إذا طحنته طحنا غليظاً ، ومنه الجشيش والجشيشة .

ابن حربَ ، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشيّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى.

زواجه بجويرية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جُويريةَ بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السّهم لثابت بن قيس ابن الشَّماس الأنصاريّ ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَستَعينه فى كتابتها، فقال لها: هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكّائى ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام :

ويقال : لَمَّـا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى الُمصطلق ، ومعه جُويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلّى الله عليه وسلم المدينة فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضِرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها لِلفداء ، فرغب فى بعيرين منها، فغيبهما فى شِعْب من شعاب العقيق، ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا محمد ، أصَبْتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين البعيران اللذان غيَّبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما اطّلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعت إليه ابنته جُوَيرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مئة

درهم، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عمّ لها، يقال له عبد الله.

قال ابن هشام: ويقال اشتراها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ثابت ابن قيس، فأعتقها وتزوّجها، وأصدقها أربع مئة درهم.

زواجه بصفية

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيَّة بنت حُيي بن أخطب، سباها من خيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة، ما فيها شحم ولا لحم، كان سَوِيقا وتمرا، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق.

زواجه بميمونة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَحِير ابن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوجه إياها العباسُ بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العُزَّى بن أبي قيس بن عبدودّ ابن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤى؛ ويقال إنها التي وهبت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وسلم، وذلك أن خِطْبة النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: « وَٱمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ».

ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، ويقال أم شريك، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن مَعِيص ابن عامر بن لؤىّ، ويقال بل هى امرأة من بنى سامة بن لُؤَىّ، فأرجأها[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم.

زواجه زينب بنت خزيمة

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم، زوجه إياها قَبِيصة بن عمرو الهلالى،

---

(١) أرجأها: أخر أمرها.

وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند عبيدة ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو ابن الحارث ، وهو ابن عمّها .

عدتهن وشأن الرسول معهن

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثِنتان : خديجة بنت خُوَيلد ، وزينب بنت خُزيمة ، وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضا[1] ، فمتَّعها[2] وردَّها إلى أهلها ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ، فردها إلى أهلها ، ويقال إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم دعاها فقالت : إنا قوم نُؤْتَى ولا نأتى ؛ فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن

القرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ست :

خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى ؛ وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب ابن نُفَيل بن عبد العزَّى بن عبد الله بن قُرط بن رِياح بن رِزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ؛ وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سَلَمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن

(١) البياض : البرص . تكنى عنه العرب بالبياض ، لكراهيتها إياه .

(٢) متعها : وصلها بشىء تنتفع به .

لؤى ؛ وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حِسل بن عامر بن لؤى .

تسمية العربيات وغيرهن

والعربيات وغيرهن سبع :

زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرة بن كَبِير بن غَنم ابن دُوْدان بن أسد بن خُزيمة ؛ وميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَجِير بن هُزَم ابن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عَيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ؛ وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخُزاعية، ثم المُصطلقية؛ وأسماء بنت النعمان الكندية ؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية[1] .

غير العربيات

ومن غير العربيات :

صفية بنت حُيي بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

مجيئه إلى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبى صلّى الله عليه وسلّم، قالت: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتى .

قال عُبيد الله فحدّثت هذا الحديث عبدَ الله بن العباس ، فقال :

هل تدرى من الرجل الآخر؟ قال . قلت : لا ؟ قال : على بن أبى طالب .

---

(١) ذكر السهيلى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم غير من ذكرهن ابن إسحاق : شراف بنت خليفة ، أخت دحية بن خليفة الكلبى، والعالية بنت ظبيان، ووسنى بنت الصلت، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت ، وأسماء بنت النعمان بن الجون الكندية .

شدة المرض وصب الماء عليه

ثم غُمِرَ[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال هَرِيقُوا على سبع قِرَب من آبار شتّى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه فى مِخْضَب[2] لحفصة بنت عمر ، ثم صَبَبنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حسبكم حسبكم .

كلة للنبى واختصاصه أبابكر بالذكر

قال ابن إسحاق: وقال الزّهرى: حدثنى أيوب بن بشير :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنهُ صلى على أصحاب أُحُد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال: إن عبدا من عباد الله خيَّرَه الله بين الدنيا و بين ماعنده، فاختار ماعند الله . قال : ففهمها أبو بكر، وعَرَف أن نفسه يريد ، فَبكى وقال : بل نحن نَفْديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رِسْلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة[3] فى المسجد ، فسدُّوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصُّحبة عندى يداً منه .

قال ابن هشام : ويروى إلا باب أبى بكر .

قال ابن اسحاق: وحدثنى عبدالرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبى سعيد ابن المعلّى :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذا من العِباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة

وقال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ،

(١) غمر : أصابته غمرة المرض ، وهى شدته .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

(٣) اللافظة فى المسجد : النافذة إليه .

وهو فى وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامةَ : أمَّرَ غلاما حَدَثًا على جِلَّة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفِذوا بعث أُسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانكمش[1] الناس فى جهازهم، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أُسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْفَ ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامّ إليه الناس ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظُروا ما الله قاضٍ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصية الرسول بالأنصار

وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلّى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يامعشر المهاجرين ، استوصُوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عَيبتى[2] التى أويت إليها ، فأحسنوا إلى مُحْسِنهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُهُ ، حتى غُمِر .

شأن اللدود

قال عبدالله: فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سَلَمَةَ ، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عُمَيْس، وعنده العباس عمّه، فأجمعوا أن يَلُدُّوه[3] ، وقال العباس: لَأَلُدَّنَّه. قال: فلدّوه، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: مَن صنع هذا بى ؟ قالوا : يا رسول الله : عمّك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو

---

(١) انكمش الناس : أسرعوا .

(٢) عيبتى : موضع تقى وسرى . والعيبة فى الأصل : مايجعل فيه الثياب .

(٣) أن يلدوه : أى يجعلوا الدواء فى شق فمه.

هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به ، لا يَبْقَ في البيت أحد إلاَّ لُدَّ إلا عَمّى ، فلقد لُدَّت ميمونةَ وإنها لصائمة ، لِقَسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صَنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالإشارة

قال ابن إسحاق : وحدّثني سعيد بن عُبيد بن السبّاق، عن محمد بن أُسامة، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال :

لما ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلّم ، فجعل يَرْفع يده إلى السماء ثم يَضعها عليّ ، فأعرف أنه يدعو لي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدّثني عُبيد بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول :

إن الله لم يقبض نبيا حتى يُخيِّرهُ . قالت : فلما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان آخر كلمة سمعتُها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى[1] من الجنة، قالت : فقلت إذا والله لا يختارُنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخيَّر .

صلاة أبي بكر بالناس

قال الزُّهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت :

لما استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس. قالت : قلت : يانبي الله ؛ إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعُدت بمثل قولي ، فقال :

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا) .

إنكن صواحبُ يوسف ، فمرُوه فليصلِّ بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحبّ أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس ، لايُحبون رجُلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شهاب : حدّثنى عبد الملك بن أبى بكر ابن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله ابن زمعة بن الأسود ابن المُطلب بن أسد ، قال :

لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا مَنْ يصلى بالناس . قال فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائباً ؛ فقلت : قم ياعمر فصلِّ بالناس . قال : فقام ، فلما كبّر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوتَه ، وكان عمر رجلا مِجْهَرا[1] ، قال: فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبُعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلّى بالناس . قال: قال عبد الله بن زمعة : قال لِى عمر : ويحك ، ما ذا صنعت بى يا بن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتَنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس . قال: قلتُ : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزّهرى : حدّثنى أنسُ بن مالك :

أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) مجهر : عالى الصوت .

خرج إلى الناس، وهم يصلون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه، فرحا به، وتفرّجوا، فأشار إليهم أن اثبتُوا على صلاتكم؛ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم، وما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هَيئة منه تلك الساعة، قال: ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَفْرق[1] من وجعه، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح[2].

قال ابن إسحاق: وحدّثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال، حين سمع تكبير عمر فى الصلاة: أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون. فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر، ولكنّهُ قال عند وفاته: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى. فعَرَف الناسُ أنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا، وكان عمر غيرَ مُتَّهم على أبى بكر.

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُليكة، قال:

لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرّج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنكص عن مُصَلاّه، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظَهره، وقال: صلِّ بالناس، وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه، فصلَّى قاعدا عن يمين أبى بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلَّمهم رافعاصوته،

---

(١) أفرق: برئ.

(٢) السنح (بوزن قفل): موضع كان فيه مال لأبى بكر، وكان ينزله بأهله.

حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، و إنى والله ما تمسَّكون علىَّ بشيء ، إنى لم أُحِلَّ إلا ما أحل القرآن ، ولم أُحرِّم إلا ماحرَّم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبىَّ الله ، إنى أراك قد أصبحْت بنعمة من الله وفضل كما نُحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم . ثم دَخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنح .

شأن العباس وعلى

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدّثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال :

خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئًا ، قال : فأخذ العبّاس بيده ، ثم قال : ياعلىّ ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، و إن كان فى غيرنا أمَرْناه فأوصى بنا الناس. قال : فقال له علىّ : إنى والله لاأفعل، والله لئِن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فَتُوُفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدَّ الضُّحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة، قال : قالت :

رجع إلىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع فى حجرى ، فدخل علىَّ رجل من آل أبى بكر، وفى يده سِواك أخضر. قالت: فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظرًا عرفت أنه يُريده ، قالت :

فقلت : يارسول‌الله ، أتحب أن أعطيَك هذا السِّواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستنَّ به كأشد ما رأيته يستنّ بسِواك قطّ ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله صلى‌الله عليه وسلم يَثْقل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه فإذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ؛ قالت : فقلت : خُيِّرت فاخترت والذى بعثك بالحق . قالت : وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال :

سمعت عائشة تقول : مات رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم بين سَحْرى ونحرى[1] وفى دَوْلتى ، لم أظلم فيه أحدا ، فمِنْ سَفهى وحَداثة سِنّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو فى حِجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألْتَدم[2] مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيّب عن أبى هريرة ، قال : لما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عُمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد تُوفِّى ؛ وإن رسولَ الله صلى‌الله عليه وسلم والله مامات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعَنّ رسولُ الله صلى‌الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليَقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسولَ الله صلى‌الله عليه وسلم مات .

موقف أبى بكر بعد وفاة الرسول

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبرَ ، وعمر يكلّم

---

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم . والنحر : أعلى الصدر .

(٢) ألتدم : أضرب صدرى .

الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسجًّى[1] في ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرة[2] ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذُقْتها ، ثم لَن تُصيبك بعدها موتة أبدا . قال : ثم ردّ البُرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلّم الناس ، فقال : على رِسْلك يا عمر ، أَنصِت ، فأبى إلا أن يتكلّم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل عَلَى الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم ؛ قال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقِرت[3] حتى وقعت إلى الأرض ماتحمِلُني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

أمر سقيفة بني ساعدة

تفرق الكلمة

قال ابن إسحاق :

ولما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحيُّ من الأنصار إلى

---

(١) مسجى : مغطى .
(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .
(٣) عقرت : دهشت . يقال : عقر الرجل إذا تحير ودهش .

ســــعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل علىّ بن أبى طالب والزُّبير ابن العوام وطلحة بن عُبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آتٍ إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هـذا الحىّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفرغ من أمره ، قد أَغلَق دُونه الباب أهلُه . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبى بكر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر حدثنى عن ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال: أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حِجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنًى أنتظره ، وكنت أُقرئه القرآن ، قال ابنُ عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف :

لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول: والله لو قدمات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، والله ما كانت بَيعة أبى بكر إلا فَلْتة فتمّت . قال : فغضب عمر، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيَّة فى الناس، فمحذِّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رِعاع الناس وغَوغاءهم[1] ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطِير بها أولئك عنك كل مَطير ، ولا يَعوها ولا يَضعوها على مواضعها ، فأَمهل حتى تقدَم المدينة ،

---

(١) الغوغاء : سفلة الناس ، وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفلة الناس به ، لكثرتهم .

فإنها دار السنّة ، وتخلَّص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ماقلت بالمدينة متمكّنا ، فيعى أهلُ الفقه مقالتك ، ويضعوها عَلَى مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مَقام أقومه بالمدينة .

خطبة عمر عند بيعة أبي بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرَّواح حين زالت[1] الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالساً إلى رُكن المِنبر ، فجلست حذوه ، تمس رُكبتى ركبته ، فلم أنشَب أن خرج عمرُ بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد : لَيقولنّ العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؛ قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبلَه ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون قام ، فأثنى على الله بما هوله أهل ثم قال :

أما بعد ، فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيَها فلا يحِلُّ لأحد أن يكذب على ؛ إن الله بعث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب فكان مما أُنزَل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعُلِّمناها ووعيناها ، ورَجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وَرَجَمْنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نَجِد الرجم فى كتاب الله ، فيضِلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أُحْصَن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحَبَل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : (لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فإنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أن ترغبوا عن آبائكم). ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُطرونى كما أُطرِىَ عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله» ؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلاناً قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، فلا يغرّنّ امرأ أن يقول إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك

(١) فى ا « زاغت » .

إلا أن الله قد وقَى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بَيْعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرَّةً[1] أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين تَوَفَّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالَفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سَقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا علىّ ابن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ماتمالأ عليه القوم ، وقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لاتقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزَمَّل[2] فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجِع . فلما جلسنا تشهّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفّت[3] دافّة من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زَوّرت[4] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحَدّ[5] ، فقال أبو بكر : على رِسْلك ياعمر ، فكرهت أن أُغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله

---

(١) التغرة : من التغرير ، والكلام على حذف مضاف ، تقديره : خوف تغرة أن يقتلا . والمعنى : أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استبد رجلان دون الجماعة ، فبايع أحدهما الآخر ، فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة . فإن عقد لأحد بيعة ، فلا يكون المعقود له واحداً منهما ، وليكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الإمام منها ، لأنه لو عقد لواحد منهما ، وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة ، التى أحفظت الجماعة ، من التهاون بهم ، والاستغناء عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا . (انظر لسان العرب مادة غرر) .

(٢) مزمل : ملتف فى كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد .

(٤) زورت مقالة : أصلحتها وحسنتها .

(٥) الحد : أى أنه كان فى خلق عمر حدة ، كان يسترها عن أبى بكر .

ماترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ماذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحىّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا[1] ودارا[2] ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عُبيدة ابن الجراح ، وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئا مما قال غيرها ، كان والله أن أقدّم فتُضرب عنق ، لا يُقرّبُنى ذلك إلى إثم ، أحبّ إلى من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر .

قال : فقال قائل من الأنصار : أنا جُذيلها المُحَكَّك[3] وعُذَيْقُها[4] المُرَجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش قال : فكثر اللَّغط[5] ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوّفت الاختلاف، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا[6] على سعد بن عُبادة، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قال : فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر فى طريقهما إلى السقيفة

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عُروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لَقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة ، والآخر معن ابن عدى ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَن الذين قال الله عز وجل لهم : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نِعْم المرء منهم عُويم بن ساعدة؛ وأما مَعْن بن عدىّ ، فبلغنا أن الناس بكَوْا على

(١) أوسط العرب نسبا : أشرفهم : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٢) ودارا : أى بلدا ، وهى مكة ، لأنها أشرف البقاع .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون فى وسط مبرك الإبل ، تحتك به ، وتستريح إليه ، فتضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه ، وتوجد الراحة عنده .

(٤) العذيق : تصغير عذق ، وهى النخلة بنفسها . والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ، ولعزه على أهله ، فضرب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه قومه . واسم الدعامة التى تدعم بها النخلة الرجبة ، ومنه اشتقاق شهر رجب ، لأنه يعظم فى الجاهلية والإسلام .

(٥) اللغط : اختلاف الأصوات ، ودخول بعضها على بعض .

(٦) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجـــل ، وقالوا : والله لَوَدِدْنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتَتن بعده . قال معن بن عدىّ : لـكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدّقته حيا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مُسيلمة الـكذاب .

خطبة عمـر قبل أبى بكر عنـد البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرىّ ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لمـا بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتُها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولـكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيُدَبِّر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا ؛ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هَدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لمـا كان هـداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر

فتكلم أبو بكر ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وُلِّيت عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقوّمونى ؛ الصدق أمانة ، والـكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أُرِيح عليه حقه إن شاء الله ، والقوىّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منــه إن شاء الله ، لا يدَعُ قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قطّ إلا عمَّهُمُ الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حسين بن عبـــد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامِد إلى حاجة له ، وفي يده الدِّرة، ومامعه غيري ، قال : وهو يحدث نفسَه ، و يضرب وحشيَّ[1] قدمه بدِرَّته ، قال: إذ التفت إليّ ، فقال : يابن عباس ، هل تدرى ما كان حملني على مقالتي التي قلتُ حين تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين، أنت أعلم ؛ قال : فإنه والله ،إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : (وَ كَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيَبْقى في أُمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملني على أن قلت ماقلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسل الرسول

قال ابن إسحاق :

فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر وحُسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا :

أن على بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثَم بن العباس،وأسامة بن زيد، وشُقْرانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم،هم الذى ولُوا غَسْله ، وأن أوس بن خَوْلِيّ ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلى ابن أبي طالب : أنشُدُكَ الله يا على وحظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غَسْل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده على بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد

---

(١) الوحشى من أعضاء الإنسان: ما كان إلى خارج . والإنسى : ما أقبل على جسده منها.

وشُقران مولاه، هما اللذان يصبّان الماء عليه ، وعليّ يُغسّله ، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصُه يدلكه به من ورائه ، لايُفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيّا وميتا ! ولم يُر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يُرَى من الميت .

كيف غسل الرسول

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عَبّاد بن عبدالله بن الزبير ،عن أبيه عبّاد، عن عائشة ، قالت :

لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ماندرى ، أنجرّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقَى الله عليهم النوم ، حتي مامنهم رجل إلا ذقنُه فى صدره ، ثم كلّمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبيّ وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغسّلوه وعليه قميصُه ، يصبّون الماء فوق القميص ، ويَدْلُكُونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول

قال ابن إسحاق :

فلما فُرِغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحارِيّين[1] و بُرْد حِبَرة، أُدْرِج فيه إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن محمد بن على ابن الحسين عن أبيه، عن جده على بن الحسين والزهرى ، عن على بن الحسين .

حفر القبر

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس، قال :

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة ابن الجَراح يَضْرَح[2] كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، فكان يَلْحد ، فدعا العبّاس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب ،

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار، وهى مدينة من اليمن كما فى لسان العرب أوهى فى بلاد بنى تميم من اليمامة أو ما يليها (عن معجم ما استعجم للبكرى) .

(٢) يضرح : يشق الأرض للقبر .

إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة . اللهم خِرْ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أباطلحة ، فجاء به ، فلَحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

دفن الرسول والصلاة عليه

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع على سريره فى بيته، وقد كان المُسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائلٌ : ندفنه فى مسجده، وقال قائلٌ : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماقُبِض نبىّ إلا دفن حيث يُقبضُ، فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تُوفى عليه، فحَفِر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلّون عليه أَرْسالا[1] ، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان . ولم يُؤَم الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

دفن الرسول

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء . قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ابن أسعد[2] بن زُرارة ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفن الرسول

قال محمد بن إسحاق: وقد حدثتنى فاطمة هذا الحديث . قال محمد بن إسحاق: وكان الذين نزلوا فى قبر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وشُقران مولى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « أسعد » .

وقد قال أوس بن خَوْلِيّ لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفرته و بنى عليه قد أخذ قطيفة ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها و يفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لايلبسها أحد بعدك أبدا .

قال فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهدا بالرسول

وقد كان المغيرة بن شُعْبة يدَّعى أنه أحدثُ الناس عهداً برسول الله صلّى الله عليه وسلم ، يقول : أخذت خاتِمَى ، فألقيته فى القبر ، وقلت إن خاتمى سقط منى ، و إنما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى أبى إسحاق بن يسار، عن مِقسم أبى القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال .

اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكِب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئناك نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا أجل، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ؛ قال : أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن عباس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت :

خميصة الرسول

كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمِيصة[1] سوداء حين اشتد به

(١) خميصة سوداء : هى ثوب خز أو صوف معلم .

وجهه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشِفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ! يَحْذَرُ من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق وحدثنى صالح بن كيسان عن الزهرىّ ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت :

كان آخر ما عهد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

قال ابن إسحاق :

افتتان المسلمين بعد موت الرسول

ولما تُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول : لما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت(1) اليهودية والنصرانية ، ونَجَم(2) النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطِيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبوعبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : همّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتَّاب بن(3) أَسِيد ، فتوارى ، فقام سُهيل بن عمرو فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضَرَبْنا عُنقه ، فتراجع الناس وكَفُّوا عماهمّوا به ، وظهر عتاب بن أَسِيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمّه .

---

(1) اشرأبت : تطلعت .

(2) نجم : ظهر .

(3) كان عتاب بن أسيد والى مكة حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أمره عليها .

شعر حسان بن ثابت فى مرثيته الرسول

وقال حسّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

بطَيْبَة رَسْمٌ للرّسول ومَعْهَدُ ... مُنير وقد تَعْفو الرُّسوم وتَهْمَدُ(١)
ولاتمتحِى الآياتُ من دار حُرْمةٍ ... بها مِنْبر الهادِى الذى كان يَصْعد(٢)
وواضِــحُ آثارٍ وباقِى مَعالِمٍ ... ورَبْعٌ له فيــه مُصَلًّى ومَسجد(٣)
بها حُجُرات كان ينزلُ وَسْطَها ... مِن الله نورٌ يُسْتضاء ويُوقَد(٤)
معارف لم تُطْمَس عَلَى العَهْدِ آيها ... أتاها البِلَى فالآى منها تَجدّد(٥)
عرفت بها رَسْمَ الرّسول وعهدَه ... وقبرًا بها واراه فى التّرب مُلْحِد(٦)
ظللت بها أبكى الرسولَ فأَسْعدَت ... عيونٌ ومِثْلاها من الجفن تُسْعد(٧)
يُذَكِّرن آلاَء الرسولِ وما أَرى ... لهـا مُحْصِيا نفسى فنفسى تبلّد(٨)
مُفَجَّعَةٌ قد شَفَّها فقدُ أحمد ... فظلّت لآلاء الرسـول تُعدِّد(٩)
وما بلغت من كلِّ أَمْرٍ عَشيرَه ... ولـكنْ لنفسى بَعْدُ ما قد تَوَجَّد(١٠)
أطالتْ وقوفًا تَذْرِف العَين جُهدَها ... على طَلَل القبرِ الذى فيه أحمد(١١)
فبُورِكت ياقبرَ الرّسول و بُورِكتْ ... بِلادٌ ثَوى فيها الرّشيد المُسدَّد

(١) طيبة : اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . والرسم : مابقى من آثار الدار . وتعفو : تدرس وتتغير . وتهمد : تبلى .
(٢) تمتحى : تزول . والآيات : العلامات .
(٣) المعالم : جمع معلم ، وهو مايعرف به الشيء .
(٤) الحجرات : جمع حجرة ، يعنى مساكنه صلى الله عليه وسلم .
(٥) لم تطمس : لم تغير .
(٦) الملحد : الذى يضع الميت فى لحده .
(٧) تسعد : تعين .
(٨) الآلاء : النعم ، جمع ألى وإلى (بفتح الهمزة وكسرها وتحريك اللام) .
(٩) شفها : أضعفها .
(١٠) العشير : العشر . وتوجد ، من الوجد ، وهو الحزن .
(١١) تذرف العين : تسيل بالدمع . والطلل : ما شخص من الآثار .

وبُورِكَ لحدٌ منك ضُمِّنَ طيِّبًا ... عليـه بناءٌ من صَفيحٍ مُنضَّدُ(1)
تَهِيلُ عليه التربَ أيدٍ وأعينٌ ... عليه وقد غارت بذلك أسْعُد(2)
لقد غيَّبوا حِلْمًا وعِلْمًا ورحمة ... عشيّة عَلَّوْهُ الثرى لا يُوسَّد
وراحوا بحُزن ليس فيهم نبيّهم ... وقد وهَنت منهم ظُهور وأعضُد
يُبَكُّون من تبكي السمواتُ يومه ... ومن قد بَكَته الأرضُ فالناس أكْمَد(3)
وهل عَدَلت يومًا رزيّةُ هالك ... رزيّةَ يومٍ مات فيه محمد؟
تَقطّع فيه منزلُ الوَحْي عنهمُ ... وقد كان ذا نُورٍ يغور ويُنجد(4)
يدلّ على الرحمن من يَقتدِي به ... ويُنقِذ من هول الخَزايا ويُرشد
إمام لهم يَهديهمُ الحقَّ جاهداً ... معلّم صدْق إن يُطيعوه يُسْعَدوا
عَفُوٌّ عن(5) الزلات يَقبل عُذْرَهم ... وإن يُحسنوا فالله بالخير أجْوَد
وإن نابَ أمرٌ لم يقومُوا بحَمْله ... فمِنْ عِنْدِه تيسير ما يتشدّد
فبيناهمُ في نعمة الله بينَهم(6) ... دَليـلٌ به نَهْجُ الطريقة يُقْصَد(7)
عزيز عليه أن يَجُوروا عن الهُدَى ... حريصٌ على أن يَسْتقيموا ويَهْتدوا
عَطوف عليهم لا يُثَنِّي جناحَه ... إلى كَنَف يَحْنو عليهم ويَمْهَد(8)
فبيناهُمُ في ذلك النُّور إذ غدا ... إلى نُورِهم سَهم من الموت مُقْصِد(9)
فأصبح محمودًا إلى الله راجعًا ... يُبَكِّيه حق المرسلات ويُحْمَد(10)

---

(1) الصفيح: الحجارة العريضة. والمنضد: الذي جعل بعضه على بعض.

(2) تهيل: تصب.

(3) أكمد: أحزن.

(4) يغور: يبلغ الغور، وهو المنخفض من الأرض. وينجد: يبلغ النجد، وهو المرتفع من الأرض.

(5) في ا: «من».

(6) في ا: «وسطهم».

(7) النهج: الطريق البين.

(8) الكنف: الجانب والناحية.

(9) مقصد: مصيب، يقال: أقصد السهم، إذا أصاب.

(10) المرسلات (هنا): الملائكة. ويروى: «جن المرسلات» يريد الملائكة المستورين عن أعين الآدميين.

وأمستْ بلادُ الحُرْمِ وحشاً بقاعُها ... لِغَيْبة ما كانت من الوَحْى تَعْهَد(1)
قِفارًا سوى معمورَة اللحدِ ضافَها ... فَقيدٌ يُبكِّيـه بَلاطٌ وغَرْقَد(2)
ومسجده فالمُوحشاتُ لفقده ... خلاءٌ له فيـه مَقام ومَقعد
وبالجَمْرَة الكُبرى له ثَمَّ أوْحشتْ ... ديارٌ وعَرْصات ورَبْع ومولد(3)
فبكِّى رسولَ الله يا عينُ عبرةً ... ولا أعرفنْك الدهر دَمعُك يجْمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التى ... على الناس منها سابغٌ يتَغَمَّد(4)
فُجودى عليه بالدّموع وأعوِلى ... لفقد الذى لامثلُه الدهرَ يُوجَد(5)
وما فقد الماضُون مثلَ محمد ... ولا مثلُه حتى القيامة يُفْقَد
أعفَّ وأوفَى ذمة بعد ذمةٍ ... وأقربَ منه نائلاً لا يُنَكَّد(6)
وأبذلَ منـه للطَّريف وتالِد ... إذا ضن معْطاء بما كان يتْلَد(7)
وأكرمَ صِيتاً فى البُيوت إذا انتمى ... وأكرَم جَدًّا أبطحيا يُسَوَّد(8)
وأمنعَ ذِروات وأثبت فى العُلا ... دعائم عز شاهقات تُشَيَّد(9)
وأثبتَ فرعًا فى الفُروع وَمَنبتاً ... وعُودًا غذاه المُزْن فالعُودُ أغيد(10)
ربَّاه وليداً فاستتم تمامُه ... على أكرم الخيرات ربٌّ ممجّد
تناهتْ وَصاةُ المسلمين بكفِّه ... فلا العلم محبوس ولا الرأى يُفْنَد(11)

---

(1) بلاد الحرم (بضم الحاء وكسرها) : يعنى مكة وما اتصل بها من الحرم.
(2) ضافها : نزل بها. وبلاط : مستو من الأرض. والغرقد : شجر.
(3) عرصات : ساحات، سكنت الراء ضرورة.
(4) سابغ كثير تام. ويغمد : يستر.
(5) أعولى : ارفعى صوتك بالبكاء.
(6) لاينكد : لايكدر بالمن الذى يفسد النائل.
(7) الطريف : المال المستحدث. والتالد : المال القديم الموروث. وضن : بخل. ويتلد: يكتسب قديما.
(8) الصيت : الذكر الحسن. والأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة، وهو موضع سهل متسع.
(9) الذروات : الأعالى. وشاهقات : مرتفعات. وفى ا : «شامخات».
(10) المزن : السحاب. وأغيد : ناعم متثن.
(11) يفند: يعاب.

أقول ولا يُلْقَى[1] لقولِيَ عائب   من الناس إلا عازب العقل مُبْعد[2]
وليس هوايَ نازعًا عن ثنائه   لعلّي به فى جَنّة الخُلدِ أخلد
مع المُصطفى أرجو بذاك جِواره   وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهَد

*

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بال عينــك لا تنام كأنما   كُحِلَتْ مآقيها بكُحْل الأرْمَدِ[3]
جَزَعا على المَهْدىّ أصبح ثاوياً   ياخيرَ من وطِيء الحَصى لاتَبْعَد
وَجْهى يقيك التُّربَ لَهفِى لَيتنى   غُيِّبْت قبلك فى بَقِيع الغرقد[4]
بأبى وأمى مَنْ شَهِدتُ وفاتَه   فى يوم الاثنين النبىُّ المهتدى
فظَلِلْت بعد وفاته متبلِّدًا   متلدِّدا ياليتنى لم أُولد[5]
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم   يا ليتنى صُبِّحت سَمَّ الأسود[6]
أوْ حلّ أمر الله فينا عاجلاً   فى رَوحة من يومنا أو من غَدِ
فتقوم ساعتنا فَنلقى طَيِّباً   مَحْضًا ضرائبه كريم المَحتدِ[7]
يا بِكرَ آمنَةَ المباركَ بِكْرُها   ولدته مُحْصَنَة بسعد الأسْعُد
نورا أضاء على البرِيّةِ كلها   من يُهد للنور المبارك يَهْتدى
يارب فاجمــــعنا معا ونبيَّنا   فى جَنة تَثْنى عيون الحُسَّد[8]
فى جنة الفردوس فاكتُبها لنا   ياذا الجَلال وذا العلا والسُّودَد

---

(١) فى ا : « ولا يلقى لما قات » .
(٢) عازب العقل : بعيد العقل .
(٣) المآقى : مجارى الدموع من العين ، الواحد مأقى . والأرمد : الذى يشتكى وجع العينين ورواية هذا البيت فى ديوان حسان :
« ما بال عينى . . . »
(٤) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة . ورواية هذا البيت فى الديوان :
« جنبى يقيك . . » الخ
(٥) متلدد : متحير .
(٦) صبحت : سقيت صباحا . والأسود : ضرب من الحيات .
(٧) الضرائب : الطبائع . والمحتد : الأصل .
(٨) تثنى : تصرف وتدفع .

والله أسمع ما بقيت بهالكٍ ... إلا بكيتُ على النبيِّ محمدِ[1]
يا ويحَ أنصارِ النبيِّ ورهطِه ... بعد المُغيَّب فى سواء المَلْحد[2]
ضاقت بالانصار البلادُ فأصبحوا ... سُودًا وجوهُهم كلونِ الإثمد[3]
ولقــد وَلدناه وفينا قبرُه ... وفضول نِعمته بنا لم نجحَد[4]
والله أكرمنا به وهــدى به ... أنصارَه فى كل ساعة مَشْهد
صلى الإلٰهُ ومن يَحُفّ بعرشه ... والطيِّبون على المُبارك أحمد[5]

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ المساكينَ أن الخيرَ فارقهم ... مع النبى تولّى عنهمُ سَحَرا[6]
من ذا الذى عنده رَحْلى وراحلتى ... ورزقُ أهلى إذا لم يُؤْنِسوا المَطَرا[7]
أم من نُعاتِبُ لا نَخْشَى جنادعَه ... إذا اللسان عتا فى القول أو عَثَرا[8]
كان الضِّياءَ وكان النورَ نَتْبَعُه ... بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروْه بمُلْحده ... وغيبوه وألقَوا فوقَه المَدَرا
لم يترك الله منا بعدَه أحدًا ... ولم يَعِشْ بعده أنثى ولا ذَكَرا
ذلّت رقابُ بنى النجّار كلِّهِم ... وكان أمرًا مِنَ أمرِ الله قد قُدِرا

---

(١) والله أسمع : أى والله لا أسمع .
(٢) سواء الملحد : وسط القبر .
(٣) الإثمد : كحل أسود يكتحل به .
(٤) ولدناه : يشير إلى أن بنى النجار أخوال النبي عليه السلام من قبل آبائه .
(٥) وردت هذه القصيدة فى ديوان حسان باختلاف فى بعض كلماتها وترتيب أبياتها .
(٦) نب : نبيء وأعلم، سهله ، ثم عامله معاملة المعتل .
(٧) لم يؤنسوا المطر : لم يحسوه .
(٨) الجنادع : أوائل الشر : وعتا : زاد وطغى .

واقتُسِم الفيء دون الناس كلِّهم   وبدّدوه جهارًا بينهم هَدَرا[١]

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً :

آليت ما في جميع الناس مُجتهدًا   مني أليةَ برٍّ غـــير إفناد[٢]
تا الله ما حملت أنثى ولا وضعتْ   مثلَ الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من بريّته   أوفى بذمة جارٍ أو بميعاد
مِنَ الذي كان فينا يُستضاء به   مباركَ الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطّلْنَ البيوت فما   يَضْربن فوق قفاً سِتْر بأوتادِ
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد   أيقنّ بالبؤس بعد النعمة البادِي[٣]
يا أفضل الناس إني كنت في نَهَر   أصبحت منه كمثل المفرد الصادِي[٤]

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق[٥] .

انتهى الجزء الرابع من سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبه تم الكتاب

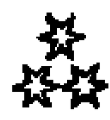
---

(١) هدرا : باطلا .

(٢) الألية : اليمين والحلف . والإفناد : العيب . ورواية الشطر الأول من هذا البيت في الديوان : « آليت حلفة بر غير ذي دخل »

(٣) المباذل : جمع مبذل (بكسر الميم) وهو الثوب الذي يتبذل فيه .

(٤) الصادي : العاطش . وقد وردت هذه القصيدة في الديوان ببعض اختلاف عما هنا .



(٥) في م ، ر بعد هذا وردت العبارة الآتية :

وجد بآخر بعض النسخ ما نصه : وهذا آخر الكتاب ، والحمد لله كثيراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين .

أنشدني أبو محمد بن عبد الواحد عن محمد بن عبد الرحمن البرقي قال : أوعب أبو محمد عبد الملك ابن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجل من فصحاء العرب ، فقال :

تمّ الكتاب وصار في القرض   عشرين جزءا كلها ترضى
كملت بلا لحن ولا خطل   في الشكل والاعجام والقرض
والحمل حتى صح ناقله   بعض من العلماء عن بعض

فهرس

الجزء الرابع

من

السيرة النبوية

لابن هشام

فهـــرس رجال السند

ش

ص

ع

ق

ك

ل

م

ن

و

ى

فهـــرس الأعلام

أ

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

فهرس الشعراء

فهـــرس القبائل

أ

ب

ت

ث

ج

ح

فهرس الأماكن

غ

ف

ق

ك

ل

م

فهـــرس أسماء الكتب

فهـــرس الأيام

ف

ى

فهـــرس القوافى

أ

ب

ت

ج

ح

د

ق

ك

ل

م

ن

فهـــرس الموضوعات

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان .

إسلام عباس بن مرداس .

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة ومسير على لتلافى خطأ خالد

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى .

غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

أمر أموال هوزان وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

عمرة الرسول من الجعرانة

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

غزوة تبوك

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

أمر وفد ثقيف و إسلامها

حج أبى بكر بالناس سنة تسع

استـــدراك

قلنا فى صدر الجزء الأول من هذه الطبعة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندالتعريف بأبى ذرّ مُصْعب بن محمد بن مسعود الخشنى أحدشراحها : إنه خُشَنِيّ جَيّانىّ . وحَسِبْنا أنه منسوب إلى خُشَن : بلدة بإفريقية ، على ما أفاده ياقوت فى معجم البلدان .

وقد هدانا البحث بعد ذلك إلى أن «الخُشنى» نسبة إلى خُشَين كقُريش ، وهى قرية بالأندلس ، وقبيلة من قضاعة يُنْسَبُ إليها طائفة من أعلام العلمـاء الذين ظهروا بالأندلس ، والمغرب وقد صرّح بذلك السيوطى فى معجم النحويين ، ونقله عنه عبد القادر البغدادى فى خزانة الأدب إذ يقول[1] :

«وأما مُصْعَب الخُشَنى فهوابن محمد بن مسعود الخُشَنى ، الأندلسىّ ، الجَيّانى ، كان أحد الأئمة المتفننين ، وأحد المعتمدين فى الفقه والأدب : إماما فى العربية : جال الأندلس فى طلب العلم ، ورَوَى عن ابن قرقول وابن بشكوال وعبد الحق الأشبيلى ، وأجاز له السلفِى. وولى قضاء بلده ، ولم يكن فى وقته أتم وقارا ، ولا أحسن سمتا منه ، واتفقوا على أنه لم يكن فى وقته أضبط منه ، ولا أتقن فى جميع علومه : حفظا وقلما ؛ وكان نقَّادا للشعر وعارفا أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها ، متقدما فى كل ذلك .

والخُشنى «بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ، وبالنون» : نسبة إلى خُشَيْن كقريش ، قرية بالأندلس ، وقبيلة من قُضاعة ، وهو خُشَين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن عمران بن حُلوان بن الحاف بن قضاعة . كذا فى معجم النحويين للسيوطى» اه .

(١) انظر الجزء الثانى من خزانة الأدب فى شرح الشاهد الثانى والثلاثين بعد الأربع مئة ص ٥٢٩ من طبعة بلاق .



